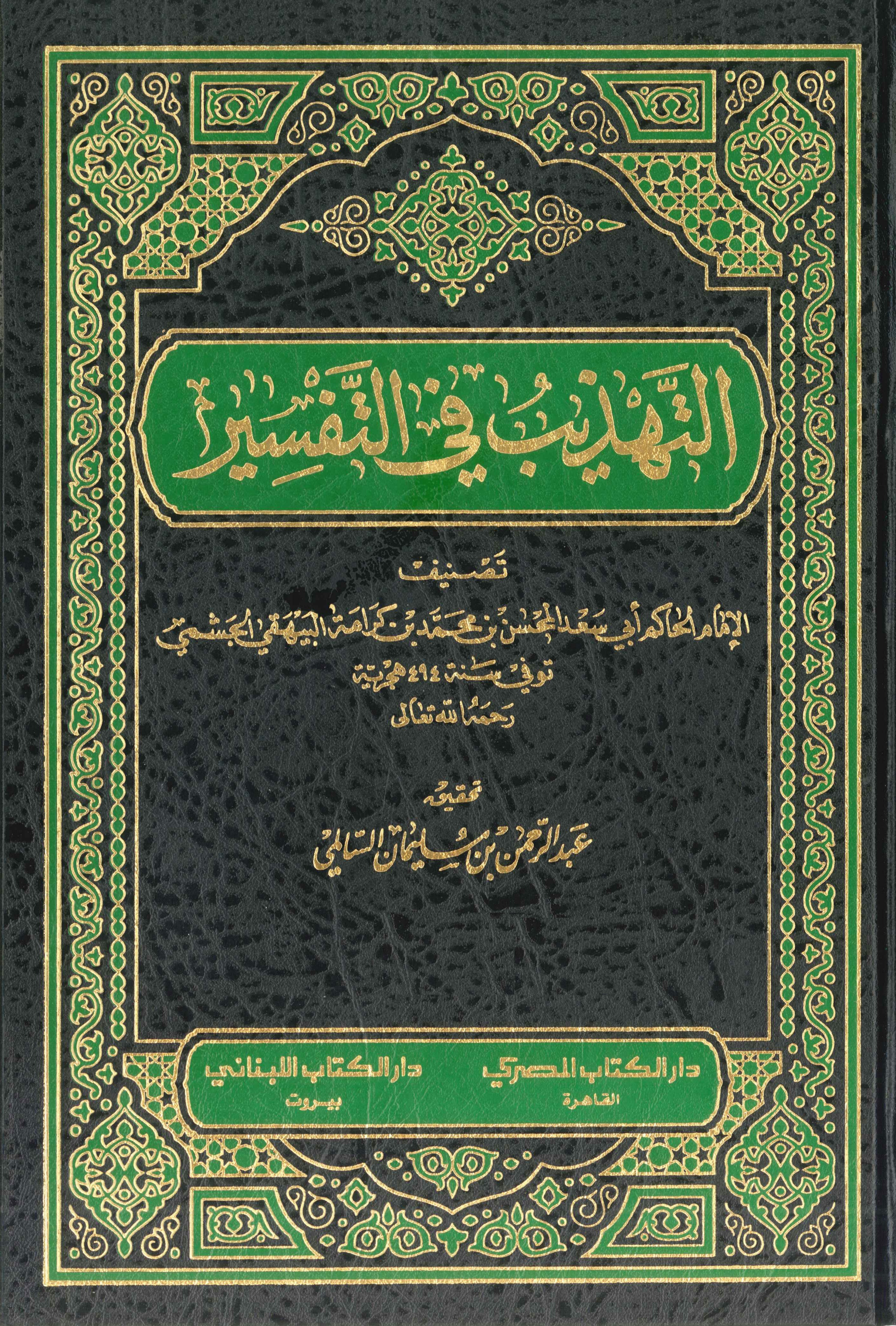

التهذيب في التفسير
تصنيف
الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي
توفي سنة ٤٩٤ هجرية
رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الرحمن بن سليمان السالمي
دار الكتاب المصري
القاهرة
دار الكتاب اللبناني
بيروت

التهذيب في التفسير

التهذيب في التفسير

تصنيف

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي
توفي سنة ٤٩٤ هجرية
رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

الجزء السابع

سورة طه - سورة الشعراء

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت



تابع سورة طه

قوله تعالى:

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر: «ولِتُصْنَعْ» بكسر اللام وسكون العين، والباقون بكسر اللام ونصب العين.

فالأول: عطف على قوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾.

والثاني: فعلت ذلك لتصنع على عيني.

اللغة

السُّؤْلُ: الطلب، وأصله من السُّؤَال، ويجوز بالهمز وترك الهمز[1].

(١) وترك الهمز: +، ب، ي.

والمن: النعمة، وأصله من[1] القطع، ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] أي: غير مقطوع، والمَنُّ: النعمة كأنه قطعه من غيره فجعله له. واليم: البحر.

الإعراب

«فليلقه» خبر وإن كان بصيغة الأمر.

«سنين» نصب على الظرف، وقيل: تقديره[2]: في سنين، فلما حذف[الجار] نصب[3].

المعنى

ثم بين تعالى أنه أجاب موسى إلى ما سأل وأنعم عليه مع سائر نعمته عليه من قبل، فقال سبحانه[4]: «**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ**»[5] أعطيت «**سُؤْلَكَ**» مرادك وطلبك «**يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا**» أنعمنا «**عَلَيْكَ**» نعماً متوالية[6] تلك النعمة، فقال سبحانه: «**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى**» قيل: برؤيا في المنام، عن أبي علي[7]. وقيل: وحي إلهام[8]، عن الحسن. وذلك بأن أخطر ببالها، وقيل: على لسان بعض الأنبياء، وقيل: على لسان بعض علماء[9] بني[10] إسرائيل.

ثم فسر ذلك[11] الوحي فقال: «**أَنِ**[12] **اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ**» قيل: سمع

---

(١) من: +، ب، ز، ي.
(٢) وقيل تقديره: وقيل: تقديره وقيل: تقديره، ز.
(٣) نصب: نصبه، ب، ي.
(٤) نعم بيّن تعالى... سبحانه: ـ ، ز.
(٥) قال قد أوتيت: +، ب، ي.
(٦) ولقد منن... متوالية: ـ ، ب، ي.
(٧) تلك النعمة... على: ـ ، ب، ي.
(٨) إلهام: المنام: ز، ل، م.
(٩) علماء: العلماء، ب، ز، ي.
(١٠) بني: من بني، ب، ي.
(١١) ذلك: ـ ، ل.
(١٢) أن: ـ، ز.

فرعون[١] ممن قرأ في الكتب، وقيل: من الكهنة، وقيل: رأى رؤيا فعبر له أن زوال[٢] ملكه على يدي رجل من بني إسرائيل، فأخذ في ذبح الأولاد وشدد في ذلك، ووكل بكل حامل قبطياً يحفظها[٣]، فلما قرب ولادة[٤] موسى جعلته أمه في التابوت وألقته في اليم، وقيل: الذي صنع التابوت مؤمن آل فرعون اسمه: حِزْقِيلُ[٥]، عن مقاتل. «فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ» أي[٦]: في البحر، قيل: هو نِيلُ مصر «فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ» يعني شاطئ البحر، وقد بينا أنه أَمْرٌ، والمراد خبر، يعني[٧] حتى[٨] يلقيه اليم إلى الساحل «يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ» لموسى وهو فرعون، وقيل[٩]: هو عدوه[١٠] في الحال[١١] وإن لم يعرفه[١٢] بعينه، وقيل: يصير عدوا[١٣] له في المستقبل، ففعلت ذلك[١٤]، فمرت بدار فرعون فأخذ التابوت وفتحه[١٥] فإذا فيه صبي، قال تعالى: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي» قيل: جعلتك محبباً[١٦] بحيث[١٧] يحبك من يراك، فرآه فرعون فأحبه، ورأته امرأة[١٨] فرعون فأحبته، فرباه في حجره وأحسن إليه وإلى أمه ليكون أسخن لعينه، وأعظم منة على موسى، وقيل: أحبه

---

(١) فرعون: +، ب، ز، ي.
(٢) زوال: ـ، ز.
(٣) يحفظها: يحفظهما، ز.
(٤) ولادة: ولادته، ب، ي.
(٥) حز قيل: جبريل، ب، ي.
(٦) أي: +، ب، ي.
(٧) خبر يعني: +، ب، ي.
(٨) حتى: حين، ز، ل، م.
(٩) وقيل: قيل، ز.
(١٠) عدوه: عدو، ز، ل، م.
(١١) الحال: +، ب، ز، ي.
(١٢) يعرفه: يعرفه يعرفه، م.
(١٣) عدوا: عدو، ز، ل، م.
(١٤) ذلك: ذلك، ز.
(١٥) وفتحه: وفتح. ب، ل، م، ي.
(١٦) محببا: +، ب، ي.
(١٧) بحيث: +، ب، ي.
(١٨) امرأة: امرأته، ب، م، ي.

وأحببه إلى خلقي، وقيل: جعله مسحة من جمال لا يصبر عنه من رآه، عن عطية العوفي. وقيل: كان في عينيه ملاحة ما رآه أحد إلا أحبه، عن قتادة. «**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**» أي: لتغذى على محبتي وإرادتي، عن قتادة. وتقديره: ولتربى وأنا أراك يجري أمرك على ما أريد بك من الرفاهة، وقيل: مع تربيتهم[1] إياه أَحْفَظُهُ وأحرسه من كل سوء، وهذا من فصيح الكلام، عن أبي مسلم. وقيل: لتربى وتطلب لك الرضاع على علم مني ومعرفة؛ لتصل إلى أمك، عن أبي علي. وقيل: امتنع أن يقبل ثدي أحد إلا ثدي أمه فدلت عليها أخته[2] «**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ**» قيل: بعثتها[3] أمه لتنظر إلى حال التابوت، وكان الناس يدخلون ولا يمنعون، «**فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ**» لما امتنع من قبول ثدي كل أحد قالت أخته ـ واسمها مريم ـ: هل أدلكم على امرأة تضمه وتربيه وترضعه وهي ناصحة له؟ فقالوا: نعم، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله: «**فَرَجَعْنَاكَ**[4] **إِلَى أُمِّكَ**» أي: رجعناك إليها «**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا**» برؤيته وبقائه «**وَلاَ تَحْزَنَ**» من خوف قتله[5] أو غرقه، وذلك أنه حمل إلى بيتها آمنة مطمئنة «**وَقَتَلْتَ نَفْسًا**[6]» قيل: قبطياً كافراً، عن ابن عباس. وقيل: حين قتله كان ابن اثنتي عشرة سنة، عن كعب. وقيل: كان ذلك قتل خطأ فيما يروى[7] عن النبي صلى الله عليه «**فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ**» أي[8]: غم القتل وكربه؛ لأنه خاف من السلطان[9] أن يقتص منه بالقبطي، وقيل: لأنه[10] لم يعلم الحكم[11] في القتل قبل مبعثه، فخاف وعيد الله، فنجاه الله[12] بأن عفا عنه «**وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا**» قيل: اختبرناك اختباراً، عن ابن عباس، وقتادة،

---

(١) عن قتادة. . . مع تربيتهم: +، ب، ز، ي.
(٢) أخته: أختها، ز، ل، م.
(٣) بعثتها: بعثها، ل.
(٤) فرجعناك: فرددناك، ب، ز، ل، م، ي.
(٥) قتله: قله، ز.
(٦) نفساً: نفسها، ز.
(٧) يروى: روي، ب، ل، ي.
(٨) أي: ـ، ل.
(٩) من السلطان: السلطان، ب، ز، ي.
(١٠) لأنه: أنه، ز.
(١١) حكم: الحكم، ب، ز، ل، م، ي.
(١٢) الله: +، ب، ي.

والضحاك. ومعناه: عاملناك[1] معاملة المختبر حتى[2] حصل[3] الاصطفاء للرسالة[4]، وقيل: أخلصناك إخلاصاً، عن مجاهد. وقيل: خلصناك من المحن تخليصاً، وذلك أنه وقع[5] في محنة بعد محنة خلصه الله منها، أولها: أن أمه حملت به في السنة التي كان فرعون يذبح الأبناء فيها[6]، **ثم إلقاؤه في البحر، ثم منعه الإرضاع إلا من ثدي أمه، ثم ما[7] أخبر به والهَمُّ بقتله، ثم ما[8] لقي في طريق مدين، عن ابن عباس.** وقيل: **شددنا عليك التعبد[9] في أمر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين، عن الحسن، وأبي علي.** «**فَلَبِثْتَ**» أي: مكثت[10]» قيل: عشر سنين، وقيل: ثمان وعشرون سنة، عشراً لمهر امرأته صفراء بنت شعيب، وثمان عشرة أقام عنده حتى ولدت[11]، عن مقاتل. «**فِي أَهْلِ مَدْيَنَ**» مدينة شعيب على ثمان مراحل من مصر «**ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**» قيل: على موعد، عن مقاتل. وكان الوعد لمجيئه[12] ونبوته تقدم على لسان شعيب أو بعض[13] الأنبياء[14]، وقيل: جئت للقدر[15] الذي قدرت أنك تجيء، عن محمد بن كعب، وأبي مسلم. أي: حيث[16] الوقت الذي قدره الله تعالى لكلامك ونبوتك والوحي إليك، وقيل: على رأس أربعين سنة، وهو العمر الذي يوحى فيه إلى[17] الأنبياء، عن الأصم.

---

(١) عاملناك: عاملناه، ب، ي.
(٢) حتى: +، ب، ي.
(٣) حاصل: خلصت. + ب، ي.
(٤) للرسالة: الرسالة، ز، ل، م.
(٥) وقع: دفع، م.
(٦) الأبناء فيها: ـ ، ب، ي.
(٧) ما: +، ب، ي.
(٨) ما: +، ب، ي.
(٩) التعبد: ـ ، ز.
(١٠) أي: مكثت: ـ ، ب، ي.
(١١) ولدت: ولد له، ب، ي.
(١٢) لمجيئه: لمحنة، د.
(١٣) أو بعض: وأبعض، د.
(١٤) الأنبياء: أنبيائه، ب، ي.
(١٥) للقدر: على القدر، ب، ي.
(١٦) حيث: جئت، ز.
(١٧) إلى: ـ ، ز.

الأحكام

تدل الآية على أن الله تعالى أجاب دعاءه، فيبطل قول من قال[1]: بقي في لسانه أدنى عقدة.

ويدل قوله: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ أن فرعون أخذه بنفسه، أو[2] أعوانُهُ بأمره.

ومتى[3] قيل: كيف كان[4] عدواً له في الحال؟

فجوابنا: لأنه كان يقتل كل ذكر ويعادي كل وليد[5]، وكان عدوه بصفته[6] لو[7] علم حال موسى[8] لما أبقاه، فكان عدواً في الحال، ويحتمل أن يصير عدواً له.

وتدل على كثرة نعم الله تعالى عليه[9] وأنه كان[10] يحرسه وينجيه[11] من كل محنة، ويعطيه كل نعمة.

وتدل على أن ذلك القتل لم يكن عن إذن ولم يكن[12] مباحاً؛ لذلك اغتم.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) قال: يقول، ب، ي.
(٢) أو: أي، ز.
(٣) متى: ـ ز.
(٤) كان: ـ ، ب، ي.
(٥) وليد: ولد، ز.
(٦) بصفته: وصفته، ز.
(٧) لو: لم، ل، م.
(٨) موسى: ـ ، ز.
(٩) عليه: عليه السلام، ز.
(١٠) كان: ـ، ب، ي.
(١١) وينجيه: ـ ، ز.
(١٢) عن إذن ولم يكن: ـ ، ب، ي.

القراءة

قراءة العامة: (لا تَنِيا)، وعن ابن مسعود: (لا تَهِنَا) بمعنى لا تضعفا، والوهن: الضعف، ولعله[1] فسر الآية به، وإلا فالقراءة لا تجوز إلا بالشائع المستفيض.

اللغة

الاصطناع: افتعال من الصنع، والاصطناع والاختيار[2] والاصطفاء نظائر، اصطنعته[3] اصطناعاً، وهي لفظة[4] يستعملها[5] السادة لأصاغرهم إذا أرادوا رفع منزلتهم بالاختصاص بهم، ومنه يقال: فلان صنيعة فلان، كأنه اختاره لنفسه واختصه بتلك المنزلة.

الوَنى و[6] الوُنى بفتح الواو وضمها: الفتور في الأمر[7] والضعف، وَوَنِيَ في الأمر يَنِي[8] وَنْياً إذا أفتَر في[9] الأمر، وهو وانٍ ومُتَوانٍ فيه[10]، قال العجاج:

فَمَا وَنَى مُحَمَّد مُذْ أَنْ[11] غَفَرْ   لَهُ الإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرْ

والونا: التعب، أونيت[12] غيري: أتعبته.

والإفراط: الإسراف، والتفريط: التقصير، وأصل الباب: التقدم[13]، ومنه

(١) ولعله: والعلة، ز.
(٢) والاختيار: الاختيار، ب، ي.
(٣) اصطنعته: الظائر اطنعه، ز.
(٤) لفظة: لفظ، ز.
(٥) يستعملها: استعملها، ب، ي.
(٦) الونى و: ــ، ز.
(٧) الأمر: الأرض. ز، ل.
(٨) الأمر يني: وفي الاخر يني. وفي ز، ل، م: وفي الايني، ب، ي.
(٩) في: ف، ز، ل، م.
(١٠) فيه: ـ، ب، ي.
(١١) مذ أن: مذ وإن. ز؛ مذ أن، ل، م، وإن. والبيت قائله العجاج بن عبد الله بن رؤبة التميمي.
(١٢) أونيت: وانيت، ل.
(١٣) التقدم: المتقدم، ل.

الفارط: المتقدم[1] أمام القوم إلى الماء، والفَرْطُ[2] تَقَدُّمٌ فيما ينبغي ألا[3] يقدم، أو تأخر فيما يجب [التقدم له]، ومنه: «أنا فَرَطُكَمْ على الحوض» فكأن الإسراف يقدم في التباعد عن الحق.

الإعراب

﴿طَغَىٰ﴾ محله رفع؛ لأنه خبر (إن) واسمه في هاء[4]﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني إن فرعون طغى.

و﴿تَنِيَا﴾ جزم على النهي.

﴿فِرْعَوْنُ﴾ اسم أعجمي لا ينصرف وهو في محل الخفض بـ(إلى)[5].

المعنى

ثم بيّن تعالى إرساله إلى فرعون، فقال سبحانه: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ أي[6]: أخلصتك واخترتك للرسالة، وقيل: رفعت منزلتك لتختص بي.

ومتى قيل: كيف جعله كذلك؟

قلنا: بالألطاف التي يفعلها[7] به حتى يصلح للاصطفاء[8] والرسالة «لِنَفْسِي» قيل: تتصرف على إرادتي، وقيل: لديني، كأنه يجب عليه بيان[9] الشرائع لمصالح[10] عباده

(١) المتقدم: التدم والمتقدم، ل.
(٢) الفرط: والتفريط، ز.
(٣) ألا: +، ب، ي.
(٤) في هاء: فيها، ز.
(٥) إلى: بالياء، ز، ل،م.
(٦) أي: ـ ز.
(٧) يفعلها: يبلغها، ز، ل، م.
(٨) للاصطفاء: الاصطفاء، ز.
(٩) بيان: شأن، ز.
(١٠) لمصالح: لصالح، ز.

فبعثه لبيانه[١] عنه، وأقامه مقام نفسه[٢] في ذلك، وقيل: تقوم بأمري لأن مَنْ اصطنع غيره فإنما يصطنعه لتخصيصٍ به في أوامره خاصة[٣]، وقيل: لنفسي رسولاً.

ثم بيّن ما لأجله اصطنعه فقال: «**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ**» يعني موسى وهارون «**بِآيَاتِي**» بحجتي، قيل: اليد، والعصا، وقيل: الآيات التسع[٤]«**وَلاَ تَنِيَا**» قيل: لا تضعفا، عن ابن عباس. وقيل: لا تُبْطئا عنه أيضاً، وقيل: لا تفترا، عن السدي. وقيل: لا تقصرا[٥]، عن محمد بن كعب. وقيل: لا يحملنكما[٦] خوف فرعون حتى تقصرا في أمري «**فِي ذِكْرِي**» في أداء الرسالة والدعاء إلى الله تعالى وتوحيده وذكره للناس[٧]» يعني موسى وهارون.

ومتى قيل: لم كرر الأمر بالذهاب؟

قلنا: لما طال الخطاب واعترض خلاله[٨] الاعتراضات جاز إعادته تأكيداً، وقيل: في الأول خصه في الأمر، وفي الثاني[٩] أمرهما ليصيرا نبيين وشريكين[١٠] في الأمر، وقيل: في الأول أمرهما بالذهاب، وفي الثاني بَيَّنَ ما يذهبان إليه، عن أبي مسلم.

«**إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**» أي: جاوز[١١] الحد في العصيان «**فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا**» قيل: ارفقا به في الدعاء والقول؛ ولا تغلظا له في القول، عن ابن عباس. وذلك لأن الجبار

---

(١) لبيانه: لثباته، ذ.
(٢) نفسه: نفسي، ب، ي.
(٣) خاصة: +، ب، ي.
(٤) التسع: السبع، ب، ي.
(٥) لا تقصرا: لاتقصر، ز، م.
(٦) لا يحملنكما: لايحملكما، ز.
(٧) للناس: +، ز، ي.
(٨) خلاله: خلافه، ز، ل، م.
(٩) الثاني: ـ، ز.
(١٠) شريكين: ومرسلين، ب، ي.
(١١) أي: جاوز: ـ، ز.

ربما[1] يزداد عتواً، وقيل: كَنِّيَاهُ[2]، عن السدي، وعكرمة. واختلفوا في كنيته[على] ثلاثة أقاويل، قيل أبو[3] الوليد، وقيل: أبو مرة، وقيل: أبو العباس، وقيل: القول اللين[4] هو قوله[5] ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، عن مقاتل. وقيل: ارفقا به فإنه ربّاك وأحسن إليك، وقيل: عِدَاه على الإيمان بمواعيد حسنة في الدنيا من العيش الهني والملك السني، وفي الآخرة من جنة الخلد والثواب الدائم، وروي أن موسى قال له: إن آمنت يُمد في عمرك خمسمائة سنة[6] ولا يمنعنك الطعام والشراب والاستمتاع[7] بالسمع والبصر، ولا يصيبك داء، ثم تصير[8] إلى نعيم[9] الآخرة دائماً، فلما سمع ذلك أراد أن يؤمن فمنعه هامان، وقيل:

كان هارون بمصر، فلما أوحى الله تعالى إلى موسى أن يأتي مصر[10] أوحى إلى هارونأن يَلْقَى[11]موسى، فتلقاه على مرحلة[12]، واجتمعا قال[13] اذهبا إلى فرعون»، «**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ**» قيل: ادعواه[14] على الرجاء والطمع لا على اليأس من خلافه، فتعبدهما على هذا الوجه، لعله[15] يرجع إليهما، وقيل: ليتذكر، فالمراد بيان الغرض ببعثتهما «**يَتَذَكَّرُ**» يعني على[16] ما أغفل عنه من ربوبية الله تعالى وعبودية[17] نفسه «**أَوْ يَخْشَى**»

---

(١) ربما: + ب، ي.
(٢) كنياه: كناه، ل.
(٣) أبو: + ب، ي.
(٤) اللين: الذي. ز، ل، م.
(٥) قوله: ـ ، ز.
(٦) في الدنيا من العيش. . . خمسائة سنة: +، ب، ي.
(٧) للاستمتاع: ـ، ل.
(٨) تصير: تصر: ل، م.
(٩) نعيم: نعمة، ز، ل، م.
(١٠) مصر: ـ ، ز.
(١١) يلقى: يتلقا، ب، ي.
(١٢) مرحلة: رحله، ز، ل، م.
(١٣) قال: +، ب، ي.
(١٤) ادعواه: دعواه، ب، ز، م.
(١٥) لعله: لعل، ز، ل، م، ي.
(١٦) على: +، ز.
(١٧) عبودية: عبودته، ب، ز، ل، م، ي.

يخاف[1] الوعيد والعقاب، وقيل: لعله يتذكر غيره «**قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا**» أن يسرف ويجاوز الحدّ، عن الضحاك. وقيل: بالقتل[2] والعقوبة، عن ابن عباس. وقيل: يغلبنا، وقيل: يعجل علينا بالعقوبة، عن أبي مسلم. «**أَوْ أَنْ يَطْغَى**» قيل: يتكبر[3] ويعصي.

ومتى قيل: كيف خافا[4] مع علمهما أن الله تعالى يحفظهما؟

فجوابنا: قيل: سألا ذلك زيادة في تقوية قلوبهما. وقيل: خافا[5] أن ينالهما بمكروه، وقيل: أَمِنَا بقوله[6] ﴿لَا تَخَافَآ﴾.

ومتى قيل: أليس يجب تبقيتهما إلى أن يؤديا؟

قلنا: نعم، ولكن يجوز أنهما خافا الأذى والمكروه لا القتل، ويجوز أنهما خافا القتل بعد الأذى[7].

الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى اصطنع موسى حيث رباه وهداه وعَلَّمَهُ.

وتدل على أنه أرسله إلى فرعون، ولا شبهة أنه رسول إلى قومه إلا أنه حذف لدلالة الكلام عليه.

ويدل قوله: «**قَوْلاً لَّيِّناً**» على وجوب الرفق في الدعاء إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، ليكون أقرب إلى القبول وعن زيادة شيء أبعد؛ لأن خلافه ربما يؤدي إلى

---

(١) يخاف: بخلاف، ز.
(٢) بالقتل: القتل، ل، م.
(٣) يتكبر: ينكر، ز، ل، م.
(٤) خافا: يخافا، ز، ل، م.
(٥) خافا: يخافا، ز، ل، م.
(٦) بقوله: لقوله، ز، ن.
(٧) ذ، ل: الأداء.

زيادة طغيان، وكان يحيى بن معاذ يقول: هذا رفقك بمن[١] ادعى[٢] الربوبية فكيف رفقك بمن يدعي العبودية.

وتدل على أن في القرآن مجازاً؛ لأن اللين[٣] في صفة الكلام مجاز، وهو هاهنا في غاية الفصاحة.

وتدل على أن فعل العبد حادث من جهته؛ إذ لو كان خلقاً لله تعالى[٤] لكان الرفق وغيره سواء، وكان المعتبر خلق الله فيه الإيمان.

ويدل قوله: «لَعَلَّهُ» أنه أراد منهم التذكر خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الأنبياء يخافون[٥] من[٦] شر أعدائهم حتى يؤمنهم الله تعالى[٧].

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) بمن: ثم، ز.
(٢) أدعى: يدعى، ب، ز، ي.
(٣) اللين: ألين، ز.
(٤) تعالى: ـ ، ب، ز، ي.
(٥) يخافون: يخافوا، ز.
(٦) من: +، ب، ي.
(٧) تعالى: +، ب، ذ، ل، ي.

۞ القراءة

روى نصير[١] عن الكسائي: «كل شي خَلَقَهُ» بفتح اللام على فعل ماضٍ، وروي نحوه عن ابن عباس، والقراء على سكون اللام على أنه اسم.

۞ اللغة

الرؤية: إدراك المرئي[٢]، رأى يرى رؤية فهو راءٍ، والشيء مرئي إذا أُبْصِرَ.

والسامع: المدرك للمسموع[٣]، سمع يسمع سمعاً فهو سامع، فالسامع الرائي مع[٤] من يسمع ويرى، والسميع البصير من[٥] كان على حالة يصح أن يدرك المرئي[٦] والمسموع إذا وجدا[٧]، ولذلك نصف الله تعالى بأنه سميع بصير ولا نصفه بأنه سامع راءٍ إلا بعد وجود المدركات.

۞ المعنى

ثم بين تعالى أنه أمنهما وأنهما أتيا فرعون، وما جرى بينهما، فقال سبحانه: «**قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**[٨]» قيل: بالنصرة[٩] والحفظ والدفع عنكما فلا تلتفتا إلى تجبره[١٠] وأديا الرسالة بقوة قلب، وقيل: بالعلم والرؤية والقدرة أسمع قولكما، وقوله: «**وَأَرَى**» فعلكما وفعله، وقيل: أسمع وأرى ما يجاوبكما به وأُلهمكما ما تجيبان به، عن ابن جريج.

---

(١) نصير: نصر، ب.
(٢) المرئي: المراى، ب، ز، ي.
(٣) للمسموع: للسمع، ز.
(٤) مع: +، ي.
(٥) من: ما، ب، ي.
(٦) المرئي: المرائي، ب، ي.
(٧) وجدا: وجد، ب، ل، م، ي.
(٨) أسمع وأرى: +، ب، ي.
(٩) بالنصرة: بالنصر، ز، ل.
(١٠) تجبره: تحيره، ز، ل.

ثم فسر ما أجمله في قوله: «**قَوْلاً لَّيِّناً**»، فقال سبحانه: «**فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ**» ندعوك إليه «**فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**» أي: أطلقهم[1] من اعتقالك «**وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ**»، وقيل: بذبح الأبناء، واستعباد الرجال، واستحياء النساء، وعلم أنه لا يتم ذلك إلا بإظهار المعجز، فقال: «**قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ**» بحجة «**مِنْ رَبِّكَ**» اليد والعصا، وقيل: كأنه قيل لهما: ما الحجة على ما قلتما؟ فقالا: قد جئناك بآية من ربك.

ثم بينا أن سلامة الدارين لمن اتبعهما[2]، فقال سبحانه: «**وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**» أي: الحق الذي جئنا به «**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ**» الرسل «**وَتَوَلَّى**» أي[3]: أعرض عن الحق، فاتصل الأمر والنهي[4] بالوعد والوعيد فـ«**قَالَ**» فرعون «**فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى**» وتقديره: فمن ربكما يا موسى وهارون، فحذف لدلالة الكلام عليه واستواء رؤوس الآي، وقيل: إنما قال ذلك تكذيباً[5]، وقيل: بل سأله[6] عمن أرسله، وقيل[7]: في الكلام حذف كأنه قال: فأتياه وقالا[8] له ذلك، فقال[9] مجيباً: فمن ربكما يا موسى؟ «**قَالَ**» موسى «**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**» قيل: أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه، عن الحسن، وقتادة. وقيل: أعطى كل حي[10] صورته التي قدر له ثم هداه[11] إلى مطعمه ومشربه ومسكنه[12] ومنكحه إلى غير ذلك، عن مجاهد، وعطية، ومقاتل. وقيل: أعطى كل شيء اليد للبطش،

---

(١) أطلقهم: ، ل.
(٢) اتبعهما: أبلغهما، ل.
(٣) أي: +، ز.
(٤) والنهي: ـ ، ب، ي.
(٥) تكذيباً: كذباً، ز.
(٦) سأله: قاله، ب، ي.
(٧) قيل: +، ب، ز، ي.
(٨) وقالا: : قالا، ب، ي.
(٩) فقال: فيقال، ب.
(١٠) حي: شيء، ب، ز، ي.
(١١) ثم هداه: وهداه، ز.
(١٢) ومسكنه: ـ ، ز، ل.

والرجل للمشي، واللسان للمنطق، والعين للبصر، والأذن للسمع[1]، وقيل: «**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**» يعني شكله، للإنسان الزوجة، وللبعير[2] الناقة[3]، وللفرس الرَّمَكَةَ، وللحمار الأتان[4] «ثُمَّ هَدَى» لمنكحه[5]، وقيل: أعطى خلقه كل شيء من النعم في الدنيا ثم هداه إلى الرشد والدين، والذي[6] به[7] يتوصل إلى نعم الآخرة دائماً، عن أبي علي. وقيل: أنعم على خلقه بكل شيء يملكونه، وهداه لمعاشهم ومكاسبهم، عن أبي مسلم.

الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[8] أنه مع العبد بالحفظ والحراسة، ولا يجوز حمله على المكان؛ لأنه من صفات[9] الجسم.

ويدل قوله: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أنه سامع مبصر، وهما صفتان غير كونه عالماً على[10] ما يقوله مشايخنا خلاف ما تقوله البغدادية أنه يرجع إلى كونه عالماً.

ومتى قيل: هل[11] هما حالتان؟

قلنا: كونه سميعاً بصيراً لا[12] لأن معناه أنه حي لا آفة به، فأما سامعاً مبصراً مدركاً لسائر المدركات فهي حالة مقتضاة عن كونه حياً عند وجود المدركات.

---

(١) وقيل: أعطى كل شيء... والأذن للسمع: ـ، ز.
(٢) وللبعير: والبعير، ل.
(٣) الناقة: والنا، ز.
(٤) الأتان: الإناث، ي.
(٥) لمنكحه: لنكحه، ز، ل.
(٦) والذي: الذي، ب، ز، ي.
(٧) به: +، ب، ز، ي.
(٨) أنني معكما اسمع وأرى: ب، ز، ي.
(٩) صفات: صفة، ز.
(١٠) على: وعلى هل هما يخالفان، ل.
(١١) قيل: هل: وهل، ب، ي.
(١٢) لا: ـ، ز، ل.

وتدل على أنه كان[1] يستعبد بني إسرائيل حتى قال: «أرسل».

وتدل على أنه أظهر عنده[2] المعجزات، وأن التصديق إنما يجب عند المعجزات[3] لذلك قال: ﴿جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾.

وتدل على أن النجاة لمن اتبع الهدى، فتدل[4] على أنه[5] لا نجاة للمبتدعة.

ويدل قوله: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ﴾ أنه تعالى يعرف بأفعاله لا طريق سوى ذلك، فيبطل قول من يقول بالتقليد، والضرورة، والإلهام[6]، وقول المشبهة.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «مَهْداً» بغير ألف، والباقون «مِهَادًا» بالألف، وهو كالفرش والفراش، وعلى هذا الخلاف في (الزخرف)، واتفقوا في ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ [النبأ: ١٤]، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ: ٦] أنه بالألف.

---

(١) كان: ـ، ب، ي.
(٢) عنده: +، ب، ي.
(٣) المعجز: ب، ز، ي.
(٤) فتدل: فدل، ب، ز، ي.
(٥) أنه: أن. ز، ل، م.
(٦) والإلهام: وبالإلهام، ل.

۞ اللغة

البال والحال والشأن واحد، متفقة[١] في المعنى.

والقرون: أهل العصر؛ لاقتران بعضهم مع بعض، وجمعه: القرون، ومنه: القران.

وأولوا[٢] النهى: أولوا العقول، وهو جمع: نُهْيَةٍ، نحو كُشْيَةٍ وكُشًى، وهو شحم في جوف الضب، وأصله من النهى، وسموا أولي النهى؛ لأنهم ينهون النفس عن القبائح، وقيل: لأنه ينتهى إلى رأيهم. يقال: رعيت الغنم فَرَعَتْ[٣] لازم ومتعدّ.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ بما قبله وهو الدعاء إلى التوحيد؟

قلنا: فيه وجوه:

قلنا: لما دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث في قوله: ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ قال إنكاراً: فما بال القرون الأولى لم يبعثوا.

وقيل: لما أظهر المعجزة وبين التوحيد تحير وخاف الفضيحة فأقبل على نوع آخر من السؤال تلبيساً، وكثيراً ما يفعل المبتدعة مثل ذلك عند ظهور الحجة.

وقيل: طال المجلس وأوعده بعذاب النار إن مات كافراً فقال: ما بال القرون الأولى ماتوا كفاراً وما أعيدوا للجزاء.

وقيل: لما خوفاه بمثل يوم الأحزاب قال: فما بالهم.

۞ المعنى

«قَالَ» فرعون **«فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى»** يعني فما حال الأمم الماضية، قيل: في الثواب والعقاب، وقيل: فيما دعوت إليه، وقيل: في إعادة القرون.

---

(١) متفقة: ومتفقة، ب، ي.

(٢) وأولوا: والولد،ز.

(٣) رعيت الغنم فرعت: عيت الغنم فهو عيت.، ز.

ومتى قيل: لماذا لم يجب موسى عليه السلام؟

فجوابنا: لأنه سأل عن كيفية حالهم[1] لا عن نفس أحوالهم، ولو سأل عن ذلك لقال: المؤمن في الجنة والكافر في النار، فأما كيفية تفصيل أحوالهم فالله أعلم به.

«**قَالَ**» موسى «**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ**» قيل: هو محفوظ عند الله، عن أبي مسلم. وقيل: هو مسطور في اللوح المحفوظ، وقيل: أراد بالكتاب ما تكتبه الملائكة «**لاَ يَضِلُّ رَبِّي**» أي: لا يخطئ[2] «**وَلاَ يَنسَى**» من النسيان، عن أبي مسلم. وقيل[3]: هما شيء واحد، عن مجاهد. وقيل: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ أي: لا يذهب عليه شيء، ثم وصف ربه فقال: «**الَّذِي**[4] **جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مهَادًا**» وقيل: بل يتصل بما قبله من دلائل التوحيد، يعني جعل الأرض للعباد[5] فرشاً ليتصرفوا عليها[6] ويتهيأ لهم المعاش «**وَسَلَكَ لَكُمْ**[7] **فِيهَا سُبُلاً**» أي: جعل لكم فيها طرقاً[8] للذهاب والمجيء في أكنافها «**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ**[9]» قيل: هذا الكلام مبني على ما تقدم من كلام موسى، وقيل: بل تم كلامه، ثم[10] استأنف الكلام من جهته تعالى فقال: «**فَأَخْرَجْنَا بِهِ**»، عن أبي مسلم. وهذا من تلوين[11] الخطاب الذي تعده العرب من[12] الفصاحة، وقيل: هو من كلام موسى، وأضافه إلى نفسه؛ لأنه[13] يزرع فيخرج النبات، ثم قال: وربنا الذي قال: «**كلوا**»[14]، «**أَزْوَاجًا**» أي: أصنافاً «**مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى**»

(١) حالهم: أحوالهم، ب، ي.
(٢) لا يخطئ: لايخفى، ز.
(٣) وقيل: ـ، ز.
(٤) الذي: ـ، ز.
(٥) للعباد: للعبادة، ز، ل، م.
(٦) عليها: عليه، ب، ي.
(٧) لكم: لهم، ب، ي.
(٨) طرقا: طريقا، ز.
(٩) به: ـ، ب، ي.
(١٠) ثم: بعدما، ب، ي.
(١١) تلوين: تكوين، ز.
(١٢) من: من يعد، ز.
(١٣) لأنه: لا، ز، ل، م.
(١٤) كلوا: +، ب، ز، ل، م، ي.

قيل: مختلف الألوان والطعوم والمنافع، منها ما يصلح لطعام[١] الإنسان وما يصلح للدواء، ومنها ما يصلح للدواب.

ثم بين أن هذه الأشياء لمنافع العباد، فقال سبحانه: «**كُلُوا**» إباحة وليس بأمر «**وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ**» أي: ارتعوا أنعامكم فيها، قيل: كلوا أطيبها[٢] وارعوا أنعامكم فيما لا يصلح لكم منها «**إِنَّ فِي ذَلِكَ**» فيما تقدم ذكره «**لَآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى**» قيل: الذين[٣] ينتهون عما حرم الله عليهم، عن الضحاك. وقيل: لذي[٤] الورع، عن قتادة. وقيل: لذوي التقى، عن ابن عباس. وقيل: لذوي العقول «**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**» أي: من الأرض خلقنا آدم وهو أبوكم، وقيل: إن الملك يأخذ من تراب المكان الذي[٥] يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب والنطفة، فذلك قوله: «**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**»، عن عطاء الخراساني. «**وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ**» أي: في الأرض عند الموت من الدفن «**وَمِنْهَا**» من الأرض «**نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**» أي[٦] نخرجكم أحياء عند البعث؛ وهو المدة الأخرى.

الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى[٧] لا يجوز عليه النسيان؛ لأنه عالم لذاته.

ويدل قوله: «**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ**» أنه يعرف بأفعاله.

ويدل قوله: «**تَارَةً أُخْرَى**» على[٨] إثبات المعاد والحشر.

---

(١) لطعام: الطعام، ز.
(٢) أطيبها: طيبها ب، ي.
(٣) الذين: للذين، ب، ز، ي.
(٤) لذي: لذوي، ـ، ب، ي.
(٥) الذي: ـ، ز.
(٦) أي: ـ، ز.
(٧) تعالى: ـ، ب، ي.
(٨) على: ـ، ز.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر: «**موعداً لا نُخْلِفْهُ**» بجزم الفاء على جواب الأمر، والباقون[١] بالرفع على الخبر.

وقرأ الحسن وابن عامر وعاصم وحمزة والأعمش: «**سُوَى**» بضم السين، والباقون بكسرها، وهما لغتان، مثل عدى وعدى[٢]، وقيل: إذا قصرها لغتان، وإذا فتحت السين مُدَّ، كقولهم: فهم فيه[٣] سواء.

وقرأ الحسن وهبيرة عن حفص عن عاصم: «**يَوْمَ الزينة**» بنصب الميم، «**الزينة**» فهو[٤] نصب على الظرف، والباقون برفع الميم على الابتداء والخبر، فتجعل يوم اسماً؛ لأنك عطفت عليه اسماً وهو: **(أن يحشر الناس ضحى)**.

اللغة

الإباء: الامتناع، أَبَى يَأْبَى[٥] إباءً: امتنع.

والسوى: الوسط، وأصله من استواء الشيء.

---

(١) والباقون: الباقون، ل، م.
(٢) وعدى: +، ب، ي.
(٣) فهم فيه: في مد ، ب، ي.
(٤) فهو: وهو، ب، ي.
(٥) يأبى: يأتي، ز.

والزَّيْنُ: نقيض الشَّيْنِ، والزينة[1]: ما يتزين به.
والحشر: الجمع. والكيد والمكر[2] والحيلة من النظائر.

الإعراب

موضع قوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ [3] من الإعراب، يحتمل الرفع على تقدير: موعدكم حشر الناس، ويحتمل الجر على تقدير: ويوم يحشر الناس[4] كلها نصب نعت للآيات.

المعنى

ثم بين تعالى ما[5] قابل به فرعون من الآيات[6]، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا**» أي: أرينا فرعون كل الأدلة التي أعطيناها موسى وغير ذلك، وقيل: هو أدلة التوحيد والعدل وما يهدي به[7] المهتدي، عن أبي مسلم. وقيل: هو[8] معجزات موسى الدالة[9] على توحيد الله تعالى[10] ونبوة موسى، كأنه قيل: أريناه آياتنا التي أعطيناها موسى الدالة على توحيد الله تعالى ونبوة موسى[11]، عن أبي علي. وإنما أضافه إلى نفسه؛ لأنه أراه ذلك على يد موسى، «**فَكَذَّبَ**» موسى بعد رؤية[12] الآيات أي: وصفه بالكذب «**وَأَبَى**» وامتنع[13] عن قبول ما دُعي إليه من توحيد الله تعالى وعبادته وطاعته، ثم نسبه إلى السحر تلبيساً على قومه فـ«**قَالَ أَجِئْتَنَا**

(١) والزينة: +، ب، ي.
(٢) والمكر: والمكروه، ل.
(٣) من الإعراب... يحشر الناس: ـ، ب، ي.
(٤) من الإعرب... الناس: +، ب، ي.
(٥) ما: بما، ـ، ل.
(٦) الآيات: آيات، ـ، ز، ل.
(٧) به: +، ب، ز، ي.
(٨) هو: ـ، ب، ز، ي.
(٩) الدالة: الدلالة، ز.
(١٠) تعالى: ـ، ز، ل.
(١١) كأنه قيل.... ونبوة موسى: +، ب، ز، ي.
(١٢) رؤية: رؤيته، ب، ي.
(١٣) «وأبى» وامتنع: ـ، ز.

لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى» قيل: أرض مصر، عن أبي علي. وقيل: أرض ملكه، فأوهم أنه يريد الدنيا «**فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ**» أي: مثل ما أتيت به[١]«**فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا**» أي: اضرب بيننا ميعاداً[٢] للوقت الذي نلتقي فيه «**لاَ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَانًا سُوًى**» قيل: عَدْلاً بيننا وبينك، عن قتادة، ومقاتل[٣]، والسدي. وقيل: مستوياً يتبين للناس[٤] ما تبينا فيه، عن ابن زيد. وقيل: نصفاً، عن ابن عباس. وقيل: وسطاً بين القريب والبعيد، عن أبي عبيدة، والقتيبي. وقيل: معنى «**سوى**[٥]» المكان، عن الكلبي. وقيل: يستوي حالنا في الرضى[٦] به «**قَالَ**» موسى «**مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ**[٧] **الزِّينَةِ**» قيل: كان يوم عيد يتزينون ويجتمعون، عن قتادة، وابن جريج، والسدي، وابن زيد، وابن[٨] إسحاق. وقيل: يوم سوق يتزينون بها، عن الفراء. وقيل: يوم عاشوراء، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقيل: يوم النيروز، وقيل: يوم المهرجان «**وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**» أي[٩]: وقت الضحى[١٠] وهو صدر النهار يجتمع الناس نهاراً جهاراً فيرون ما يجري[١١] بيننا، فيكون أبلغ في الحجة وأبعد من الشبهة «**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ**» أي: انصرف وفارق موسى على الوعد «**فَجَمَعَ كَيْدَهُ**» سِحْرَهُ وحِيَلَهُ «**ثُمَّ أَتَى**» إلى[١٢] الميعاد، قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل واحد[١٣] منهم[١٤] حبال[١٥] وعصي، وقيل: كانوا أربعمائة، وقيل: كانت

---

(١) به: ـ، ب، ي.
(٢) ميعاداً: معاداً، ـ ، ذ.
(٣) ومقاتل: +، ب.
(٤) للناس: الناس، ب، ي.
(٥) سوى: ـ ، ذ.
(٦) في الوحى: بالرضى، ذ.
(٧) يوم: ـ ، ذ.
(٨) وابن: وأبي، ب.
(٩) أبي: +، ذ.
(١٠) وقت الضحى: ـ ب، ذ، ي.
(١١) ما يجوي: ـ ، ذ.
(١٢) إلى: +، ب.
(١٣) واحد: أحد، ب، ي.
(١٤) منهم: +، ل.
(١٥) حبال: حباله، ب، ي.

الغلبة[1] في أيام موسى للسحر فجاءهم[2] موسى[3] بما[4] أبطله كله؛ ليعلم الفرق بين المعجز وبين[5] الشعبذة، وقيل: كانوا ذا[6] عدد كثير[7].

۞ الأحكام

تدل الآية أن التكذيب بعد إقامة الحجة ورؤية المعجز أعظم، والعقوبة عليها أكبر.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم؛ إذ لو كانت[8] خلقاً لله تعالى لما اعتبر الآيات، ولكان الاعتبار بأن يخلق هو أو لا يخلق، ولأنه أضاف التولي والتكذيب إليه، وأوجب العقاب على فعله.

وتدل على أنه تواعد ليوم يجتمع الناس، وهذا غاية المعجز؛ لأن الشعبذة إنما تنفذ على أفرادهم وجهالهم، وربما[9] آثروه خفية[10] وليلاً، وبين موسى غاية ذلك بأن جعل الموعد نهاراً وأن[11] يجتمع الناس.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

---

(١) الغلبة: العظة، ل.
(٢) فجاءهم: فجاء، ز، ل، م.
(٣) موسى: ـ ب، ي.
(٤) بما: +، ب، ي.
(٥) بين: + ب، ي.
(٦) ذا: +، ب، ي.
(٧) كثير: كثيراً، ل.
(٨) كانت: كان، ب، ي.
(٩) ربما: يوماً، ز.
(١٠) خفية: خفيفة، ل.
(١١) أن: +، ل.

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «فَيُسْحِتَكُمْ» بضم الياء وكسر الحاء، والباقون بفتح[1] الياء والحاء، وهما لغتان، سَحَتَ وأَسْحَتَ.

واختلف القراء في قوله: «إِنْ هَذَنِ[2]» **على خمس قراءات:**

أولها: قرأ أبو عمرو وعيسى[3] بن عمران: «**هذين لساحران**» على حدِّ إعمال (إِنْ)[4]، وهي لغة الحجاز، والإجماع على أن القرآن نزل بلغتهم، فقال أبو عمرو: **إني لأستحيي من الله أن أقرأ «إن هذان»**.

ورابعها[5]: «إنّ هذان» بتشديد نون إن[6] والألف[7] من هذان، وتخفيف النون[8]: وقرأ[9] كذلك أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم، وحمزة والكسائي.

وخامسها: في قراءة عبد الله (أَنْ) بفتح الألف وتخفيف النون (**هذان**) بالألف على تقدير: ما هذان إلا ساحران، وفي قراءة أبي بن كعب[10] أن هذان إلا ساحران)، والذي عليه أكثر القراء: «**إِنَّ هذان**» بتشديد (**إن**)، والألف[11]، وقد[12] قيل فيه وجوه:

---

(١) بكسر. ز، ل، م.
(٢) هذان: ـ، ز.
(٣) عيسى، ز.
(٤) ما بين المعكوفين في ل، م: على (إن) أحد الأعمال.
(٥) هكذا في المخطوطات المتوفرة لدينا. ولم يذكر الثاني والثالث.
(٦) إن: ـ، ب، ي.
(٧) والألف: فالألف.
(٨) وتخفيف النون: وتخفيف إلاالنون، ذ.
(٩) وقرأ: قرأ، ب، ذ.
(١٠) هذان بالألف. . . . أبي بن كعب: +، ب، ي.
(١١) والألف: وألف، ل، م؛ ـ، ز.
(١٢) وقد: وقيل، ز.

أولها: ضعف عمل (إن)؛ لأنها تعمل[1] بالشبه بالفعل وليست بأصل في العمل، كما أنها لما خففت لم تعمل.

ومنها: «**إن هذان**» شبه[2] (الذي) في البنا، وقيل: هذا أصله ذا، زيدت الهاء؛ لأن ذا كلمة منقوصة فكملت بالهاء، ثم[3] بعد[4] التشبيه[5] زيدت ألفا[6] للتثنية فصار (هذان)، واجتمع[7] ساكنان من جنس واحد، واحتيج[8] إلى حذف واحد، ولا يكون حذف ألف الوصل؛ لأن أصل الكلمة منقوصة فلا تجعل أنقص، فحذف ألف التثنية؛ لأن النون تدل عليه فلم تعمل (إن) لأن عمله في ألف التثنية، فبقي «**إن هذان**»، قال صاحب النظم: قال الفراء[9]: والألف دعامة في هذا فلا يزول بحال كما قالوا: الذي، ثم زادوا نوناً لتدل على الجمع[10] فقالوا: الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم لا يتغير.

وقيل: المعنى إنه هذان فحذف[11] الهاء، وقيل: لما حذفت الألف من هذا صارت ألف التثنية عوضاً منها فلم تَزُلْ عن حالها، وهي بلغة الحارث بن كعب وخثعم وزبيد[12] وجماعة من قبائل اليمن، وينشدون أشعاراً منها قول القائل:

إِنَّ أَبَـــاهَـــا وَأَبَـــا أَبَـــاهَـــا   قَـدْ بَـلَـغَـا فـي الـمـجْـدِ غَـايَـتـاَهَـا[13]

---

(١) تعمل: تفعل، ز.
(٢) شبه: الشبه، ب.
(٣) ثم: لم، ز، ل.
(٤) بعد: هذا، ل.
(٥) التشبيه: الشبه، ز.
(٦) ألفا: الهاء، ز، ل، م.
(٧) واجتمع: واجمع، ز.
(٨) واحتيج: فاحتيج، ب، ي.
(٩) الفراء: القراء، ي.
(١٠) الجمع: الجميع، ز، ل، م.
(١١) فحذف: يحذف، ل.
(١٢) وزبيد: وزيد، ل.
(١٣) قد بلغا.. غايتاها: +، ب، ي. والبيت لرؤبة بن العجاج، ونسبه السيد المرتضى في شرح القاموس لأبي النجم العلي.

فيجعلون رفع الاثنين ونصبه بالألف، تقول: مررت برجلان، ورأيت رجلان، وأتاني[1] رجلان، وقال آخر[2]:

[تَـزَوَّدَ مِـنَّـا][3] بَـيْـنَ أُذْنَـاهُ ضَـرْبَـةً دَعَـتْـهُ إلـى هـابِـي الـتُّـرَاب عَـقِـيـمِ

أراد بين أذنيه، وقيل: (إنّ) بمعنى نَعَمْ، قال الشاعر:

بَـكَـرَت عَـلـيّ عـواذلـي يَـلْـحَـيْـنَـنِـي وَأَلُـومُـهُـنَّـهْ[4]

ويـقُـلـنَ شَـيْـبٌ قَـدْ عَـلا كَ[5] وقـد كَـبِـرْت فَـقُـلْـتُ إِنَّـهْ

أي: نعم.

فأما ما ترويه[6] الحشوية[7] عن عائشة أنها خطأ وقعت من الكاتب، وعن عثمان أن فيه لحناً وستقيّمه العرب بألسنتهم وأنه قيل له: غَيِّرْهُ، فقال: دعوه فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً[8]. فلا يصح ألبتة؛ لأنهم بَلَغُوا الغاية في حفظ القرآن ونقله فكيف يتوهم لحن عرفوه فلم يغيروه، كيف وأكثر القراء عليه ويسندون ذلك إلى الصحابة.

قرأ أبو عمرو: «**فَاجْمَعُوا**» بالوصل وفتح الميم من الجمع[9] أي: اجمعوا مكايدكم ولا تدعوا شيئاً تقدرون عليه، والباقون بقطع الألف وكسر الميم، وأصله [قيل][10]: من أجمعت على الأمر، أي: عزمت عليه وأضمرت، قال الشاعر:

---

(١) وأتاني: وأتا، ز، ل، م.
(٢) آخر: جرير، ز.
(٣) تزود منا: ودمنا، ز.
(٤) وألومهنة: والودمهنه، ز، ل م.
(٥) علاك: دعاك. والبيت لعبد الله بن قيس الرقيات، انظر الديوان، ز، ل، م.
(٦) ما ترويه: ما يرويه، ز.
(٧) الحشوية: الحشو، ب، ي.
(٨) حلالاً: حراماً، ل، م.
(٩) من الجمع: +، ز، ي.
(١٠) قيل: + ب، ز، ي.

يَا لَيْتَ شِعْرِي والـمُنَى لا تَنْفَعُ[١] هل أَغْدُوَنْ[٢] يومًا وأمري[٣] مُجْمَعُ

اللغة

الافتراء والافتعال والاختلاق نظائر، وأصله من القطع، فراه[٤] يفريه فرياً[٥]، وافترى افتراءً، والافتراء: الكذب؛ لأنه يقطع الخبر الباطل فيدخله في جملة الحق.

والسحت: استقصاء الحلْق[٦]، سَحَتَهُ يَسْحَتُهُ[٧] سَحْتاً، وسَحَتَ شَعْرَهُ استقصى حلقه، وسحت الله الكافر استأصله، وأسحته، ومال[٨] مسحوت ومُسْحَتٌ: مُذْهَبٌ[٩]، قال الشاعر:

وعَضَّ زمانٌ[١٠] يَابْنَ مَرْوَانَ لَم يَدَعْ مِنَ المالِ إلا[١١] مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ

وسَحَتَ يَسْحَتُ مثل منع يمنع، وأَسْحَتَ يُسْحِتُ مثل أكرم[١٢] يكرم.

والخيبة: انقطاع الرجاء[١٣]، يقال: رجع بخيبة أي بغير قضاء حاجة، خاب يخيب خيبة.

---

(١) لا تنفع: لاينفع، ب، ي.
(٢) أغدون: أوعدن، ز.
(٣) يوماً وأمري: وذي قرى. وفي ز: وأقرا. انظر البيت في لسان العرب، وتاج العروس مادة (جمع)، ب.
(٤) فراه: فرا، ب، ي.
(٥) فرياً: +،ب، ي.
(٦) الحلق: الحق. ل، م.
(٧) يسحته: +، ب، ي.
(٨) ومال: وبال، ز.
(٩) البيت للفرزدق، انظر لسان العرب وتاج العروس، مادة (سحت). مذهب: ـ ، ب.
(١٠) زمان: زماناً، ز.
(١١) إلا: +، ب، ي.
(١٢) أكرم: كرم، ب، ي.
(١٣) الرجاء: الرط، ز، ل.

والمنازعة: المجادلة، وأصله من[1] النزع، كأن كل واحد من الخصمين يحاول نزع المال[2] عن[3] صاحبه، تنازعا في الأمر تنازعاً.

والنجوى من المناجاة، تكون اسماً ومصدراً.

والمُثْلَى: تأنيث الأمثل، وجمع الأمثل: أماثل، وهم السادات.

والاستعلاء: الغلبة، وإدراك البغية، يقال: استعلى فلان على الناس غلبهم، وأصله من العلو، يقال: علوته أي: غلبته.

۞ الإعراب[4]

«**ويلكم**» منصوب على تقدير: ألزمكم الله ويلاً[5]، ويجوز على النداء نحو: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا﴾[6] ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [7] [يس: ٥٢]، عن الزجاج.

«**ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا**» لم يجمع؛ لأنه مصدر، ونصب «**فَيُسْحِتَكُمْ**» لأنه جواب النهي بالفاء وهو قوله: «**لاَ تَفْتَرُوا**».

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى بعد[8] اجتماعهم للموعد، فقال سبحانه[9] وتعالى: «**قَالَ لَهُمْ مُوسَى**» للسحرة لأنهم لما أحضروا ما عملوا من السحر ليقابلوا به معجزة موسى وعظهم موسى عليه السلام فقال: «**وَيْلَكُمْ**» (ويل): كلمة وعيد وتهديد، وقيل: ألزمكم[10]

(١) من: +، ب، ي.
(٢) المال: المعنى، ب، م.
(٣) عن: من، ل.
(٤) الإعراب: ـ ب، ي.
(٥) ويلا: ـ، ز، ل.
(٦) بعثنا: بثنا، ل.
(٧) من بعثنا من مرقدنا: +، ب، ي.
(٨) بعد: +، ب، ي.
(٩) سبحانه: ـ، ب، ز، ي.
(١٠) ألزمكم: ألزمهم، ز.

الله الويل والعذاب «**لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**» أي: لا تكذبوا عليه[1] بأن تنسبوا معجزتي إلى السحر وسحركم إلى أنه حق، وبأن[2] تنسبوا فرعون إلى أنه الرب المعبود وأن ما أدعوكم إليه ليس بحق «**فَيُسْحِتَكُمْ**» قيل: يستأصلكم «**بِعَذَابٍ**»، عن قتادة، وابن زيد[3]، والسدي. وقيل: يهلككم[4]، عن مقاتل، والكلبي، وأبي علي. «**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**» أي: خسر وانقطع رجاؤه عن ثواب الله تعالى من كذب عليه، قاله موسى عظة وتخويفاً «**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**» يعني تفاوض[5] القوم في حديث موسى وهارون وفرعون، وقيل: تشاورت السحرة «**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**» أي: أخفوا كلامهم، واختلفوا ممن أخفوه على ثلاثة أقوال[6]:

أولها: من فرعون وقومه، أي: تناجوا فيما[7] بينهم، وأخفوا عنه لما علموا من أمر موسى.

وثانيها: من موسى وهارون، عن أبي علي، وأبي مسلم. أي: تناجوا مع فرعون في إبطال أمرهما.

وثالثها: من عوام الناس ليموهوا[8] عليهم لما علموا أنه حق.

واختلفوا في الذي أسروا، قيل: قالوا: إن كان ساحراً سنغلبه، وإن كان أمراً سماوياً فله أمره، عن قتادة. وقيل: لما قال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قالوا: ما هذا بقول ساحر، عن وهب بن منبه. وقيل: أسروا عن موسى وهارون «**إِنْ هَذَانِ**[9] **لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ**»، عن السدي. وقيل: إسرارهم أنهم قالوا: إن غلبنا موسى اتبعناه، وقيل: قالوا: قلب العصا حية[10] ليس من

---

(١) عليه: +، ب، ي.
(٢) وبأن: وأن، ل.
(٣) زيد: ـ ، ل.
(٤) يهلككم: يهلكم، ل.
(٥) تفاوض: تفاضض، ل.
(٦) أقوال: أقاويل، ب، ي.
(٧) فيما: ـ ، ز.
(٨) ليموهوا: ليوهموا، ب، ي.
(٩) هذان: هذين، ب، ي.
(١٠) العصا حية: الفصاحة، م.

السحر، وتنازعوا، وقيل[١]: قالوا[٢]: لا نعارضه[٣] بالحبال والعصي، ثم رأوا أن[٤] الصواب أن يموهوا على العوام[٥] لئلا يفطنوا بذلك[٦]، وقيل: هموا بالإسلام[٧]؛ لأنهم لم يروا مع موسى من آلات السحر شيئاً، وكانت عصا يابسة[٨] إذا[٩] ألقاها صارت حية، وإذا أخذها عادت عصا كما كانت، ولو كان سحراً لما صار كذلك، ولاحتاج إلى آلات كثيرة في التمويه كما احتاجوا إليه، وقيل: أسروا مع فرعون في دفع موسى وهارون «**لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**» قيل: أولو[١٠] الفضل والشرف والأنساب، عن مجاهد. ومعناه بأهل طريقتكم المثلى، وقيل: يذهبا بِسُرَاةِ الناس، وقيل: يذهبا ببني إسرائيل وكانوا أولي عدد ولسان، عن قتادة. وقيل: يذهبان بطريقتكم[١١] التي أنتم عليها في السيرة والدين، عن أبي علي، وأبي مسلم، وابن زيد. والمثلى والأمثل الأشبه بالحق والأولى «**فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ**» قيل: هو من قول[١٢] فرعون للسحرة، عن أبي علي. وقيل: من قول السحرة بعضهم لبعض، عن أبي مسلم. ومعناه على قراءة ألف القطع: أحكموا[١٣] واعزموا عليه، وعلى الأخرى: اجمعوا ما تقدرون عليه من المكائد، «**كَيْدَكُمْ**»[١٤] أي[١٥]: ما صنعتم من السحر «**ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا**» قيل: جمعاً، عن مقاتل،

---

(١) وقيل: قيل، ل، م.
(٢) قالوا: ـ، ب، ي.
(٣) لا نعارضه: لا تعارضوه، ب، ي.
(٤) أن: +، ب، ي.
(٥) العوام: القوم، ز، ل، م.
(٦) بذلك: ذلك، ز.
(٧) بالإسلام: بالسلام، ز.
(٨) وكانت عصا يابسة: وكان عصاً يابساً، ب، ي.
(٩) إذا: ـ، ز.
(١٠) أولو: أولى، ب، ز، ل، م، ي.
(١١) قيل... يذهبان بطريقتكم: +، ب، ي.
(١٢) قول: +، ب، ي.
(١٣) أحكموا: حكموا، ز.
(١٤) «كيدكم»: +، ب، ي.
(١٥) أي: ـ، ل.

والكلبي. وقيل: صفوفاً[١]، وقيل: مجتمعين على أمركم لا يختلف منكم اثنان، عن أبي مسلم[٢]. وقيل: مجتمعين المصلى والمجتمع، عن أبي عبيدة. وإنما قالوا ذلك لأنه أهيب[٣] في قلوب العوام لميلهم[٤] إلى الكثرة «**وَقَدْ أَفْلَحَ**» ظفر بالبغية «**الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى**» من غلب، قيل: معناه أن العلو لمن غلب اليوم، وقيل: أرادوا أن الفوز بالحجة.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن عادة دعاة[٥] الله البداية بالدعاء[٦] إلى التوحيد والعظة الحسنة، وأنه الأولى.

وتدل على أن الفوز بالحجة لا بالغلبة.

وتدل على أنهم عند العجز عن[٧] محاجة موسى عدلوا إلى الطعن عليه بقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ وهكذا عادة أهل البدع سوء القول في أهل الحق والطعن فيهم والتنفير عنهم، وعن[٨] مكالمتهم.

وتدل على أن القوم كان غرضهم الدنيا؛ لذلك جعلوا الشبهة أن موسى وهارون يريدان الدنيا، فمن أحب الدنيا عاند الحق.

وتدل على أن الافتراء والمنازعة والنجوى فِعْلُهُمْ ليس بخلق الله تعالى[٩].

---

(١) صفوفاً: صفاً، ز.
(٢) وقيل: ـ، ب.
(٣) أهيب: هيبة.
(٤) لميلهم: بميلهم، ب، ي.
(٥) دعاة: دعا، ل، ز، م.
(٦) بالدعاء: بالبداية، ل، م.
(٧) عن: من، ز، ل.
(٨) وعن: ومن، ل، م.
(٩) تعالى: ـ، ل.

قوله تعالى:

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر ويعقوب: «**تُخَيَّلُ إليه**» بالتاء رداً إلى الحبال والعصا، وقرأ الباقون بالياء[١] رداً إلى الكيد والسحر.

وقرأ ابن عامر: «**تلقّفُ**» بالتشديد ورفع الفاء، وقرأ حفص عن عاصم: «**تلْقَفْ**» بسكون اللام وجزم الفاء من لَقِفَ يَلْقَفُ، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء[٢]، والأصل: تتلقف فأدغم إحدى التاءين في الأخرى فصار تَلَقَّف، فأما جزم الفاء فإنه جواب الشرط، كأنه قيل: إذا[٣] ألقيت عصاك تلقف، ومن رفع فعلى معنى الخبر عنه.

وقرأ حمزة والكسائي: «**كَيْدُ سِحْرٍ**» بغير ألف وكسر السين، وقرأ الباقون بالألف وفتح السين على فاعل، قال أبو عبيدة: إضافة الكيد[٤] إلى الرجل أولى[٥] من إضافته إلى السحر[٦] وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، وأنهم اتفقوا على: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أنه[٧] بالألف.

---

(١) بالياء: ـ، ز.
(٢) من لقف يلقف... وجزم الفاء: +، ب، ي.
(٣) إذا: إن، ب، ي.
(٤) الكيد: الكذب، ز.
(٥) أولى: وإلى، ز.
(٦) السحر: السحرة، ب، ل، م.
(٧) أنه: بأنه، ب، ي.

۞ اللغة

الإلقاء: مصدر ألقى يُلْقِي إلقاءً[١] إذا نبذه وطرحه، والإلقاء[٢] والطرح والنبذ[٣] والرمي نظائر.

والحبل: واحد الحبال[٤] وجمعه: حبال وأَحْبُلٍ[٥]، إلا أن أَحْبُلاً في الجمع القليل والحبال في الكثير، والحبلى لأنها[٦] تحمل الولد[٧] كما يحمل بالحبل.

والعِصِيُّ: جمع عصا، يقال: عصا وعصوان، ويجمع أَعْصٍ وعِصِيّ.

والتخيل: هو أن ينظر إلى الشيء فيخيلها أي: يظنها على صفة ليست[٨] عليها، ومنه الخيال، ومنه الحديث: «ونَسْتَخْيِلُ الرِّهَام» أي: إذا نظروا إليها خالوها[٩] ماطرة.

وتوجس بالشيء أحس به، وأوجس مثله إذا أحس به[١٠] ووجده[١١].

يقال: لقفت الشيء ألقفه، وتلقفته والتقفته إذا أخذته[١٢] بسرعة أو بلغته[١٣].

۞ [الإعراب]

«إنما» كلمة تأكيد، ويقال إنه بمعنى (الذي) وإن كان بمعنى (الذي) فقوله: (سٰحركيد) خبر (الذي) فيكون مرفوعاً كأنه قيل: إن الذي صنعوا كيد ساحر[١٤]،

---

(١) يلقي إلقاء: +، ب، ي.
(٢) والإلقاء: وإلقاء، ب، ي.
(٣) والطرح والنبذ: النبذ والطرح، ب، ز، ي.
(٤) الحبال: +، ب، ي.
(٥) وأحبل: + ب، ز، ي.
(٦) لأنها: إلا أنها، ز.
(٧) للولد: الوالدة، ز.
(٨) ليست: ليس، ب، ي.
(٩) خالوها: خللتهما، ز.
(١٠) به: +، ب، ي.
(١١) ووجده: ووحره. وفي ل: وزجره، ز، م.
(١٢) أخذته: أخذه، ز.
(١٣) بلغته: وبلغته، ز.
(١٤) ساحر: ـ ، ب، ز، ي.

فرفع (كيد) لأنه خبر (إن)، وإن جعلتها شيئاً واحداً فتكون للتأكيد[1]، وتقع الصنعة على الكيد فينصب، وقيل: يجوز فيه النصب على أن تكون (ما) كافة لعمل (إنّ) كقولك: إنما ضربت زيداً، كقوله[2] تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

«عِصِيّ» فعول، كأن عصا فَعَلَ، وأصله عصوو فقلبت[3] الواو الأخيرة [ياء]، ثم أدغمت الواو في الياء بعدما قلبت الواو ياء فصارت[4] ثقيلة، ثم كسرت العين لانكسار الصاد، وفَعَل وفُعُول مثل أَسَدٍ وأُسُودٍ.

۞ المعنى

ثم بين تعالى ما جرى بين[5] الفريقين، فقال سبحانه: «**قَالُوا**» يعني السحرة «**يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ**» عصاك من يدك «**وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ**» نحن «**أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى**» عصاه[6] وحبله، وإنما قالوا ذلك إيهاماً بأن[7] الغلبة لهم، وقيل: كان بَلَغَهُمْ خبر العصا أنها تنقلب مرة حية ومرة عصا، عن أبي مسلم. وقيل: كان يجمع القوم: فرعون وجنوده في ناحية والعوام في ناحية، وموسى وهارون في ناحية[8]، عن أبي علي. «**قَالَ**» موسى «**بَلْ**[9] **أَلْقُوا**» أنتم، وليس هذا بأمر وإنما هو على معنى الخبر بأن من كان إلقاؤه حجة فَلْيُلْقِ، عن أبي علي. وقيل: هذا أمر[10] بالإلقاء على وجه الاعتبار لا على وجه الأمر[11] «**فَإِذَا حِبَالُهُمْ**» فيه حذف، كأنه قيل: فألقوا فإذا حبالهم «**وَعِصِيُّهُمْ**».

---

(١) فتكون للتأكيد: فيكون التأكيد، ب، ي.
(٢) كقوله: كقولك، ب، ي.
(٣) فقلبت: قلبت، ب، ي.
(٤) فصارت: +، ب، ي.
(٥) بين: من، ل، م.
(٦) عصاه: عصيه، ب، ي.
(٧) بأن: لأن، ز، ل، م.
(٨) والعوام في ناحية، وموسى وهارون في ناحية: ـ ، ب، ي.
(٩) بل: ـ ، ز.
(١٠) وإنما هو. . . هذا أمر: ـ ز.
(١١) الأمر: المعنى، ل؛ بياض في ل، م.

ويقال: لِمَ خص الحبال والعصي بالإلقاء، والسحر[1] لا يتم[2] بهما [فقط]، بل يحتاج إلى آلات كثيرة؟

قلنا: لأن معظم أمرهم كان ذلك، وكان ذلك العمدة والمقصود.

و[3] **﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾** توهم إلى موسى **﴿مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾** تمشي.

ويقال: كيف صنعوا حتى خيل[4] أنها تسعى؟

قلنا: كانوا بقروا العصي وجعلوا فيها الزئبق، وكذلك جعلوا الزئبق[5] في[6] الحبال، فلما أصابه حر الشمس اهتزت وتحركت. وقيل: حفروا أسراباً وأوقدوا فيها النار ثم ألقوا عليها الحبال والعصي، فلما أصابها حر النار تحركت[7].

ويقال: كم كان عدد السحرة وكم كانت العصي والحبال؟

قلنا: اختلفوا فيه، قيل: كانوا سبعين ألف ساحر، ومع كل واحد[8] حبل وعصا، عن أبي مرة[9]. وقيل: تسعمائة، عن ابن جريج. وقيل: كانوا ذا عدد كبير[10] مع كل واحد حبل وعصا، وقيل: اثنين وسبعين مع كل واحد عشرة[11] حبال وعشر عصي، وقيل: كان قدر ثلاثمائة حمل بعير[12].

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾ قيل: أحس ووجد، وقيل: أضمر **﴿خِيفَةً مُوسَى﴾** قيل: خاف أن يلتبس على العوام فيظنوا المساواة فيشكوا فلا يتبعوه[13]، ويشك مَنْ تَابَعَهُ، عن

---

(١) بالإلقاء، والسحر: والإلقاء السحر، ز، ل، م.

(٢) لا يتم: لا يتم إلا، ل، م.

(٣) و: ـ، ز.

(٤) خيل: يخيل، ز.

(٥) جعلوا الزئبق: +، ب، ز، ي.

(٦) في: فيها، ل، م.

(٧) وقيل... النار تحركت: +، ب، ي.

(٨) واحد: ساحر، ب، ي.

(٩) مرة كتب فوق هذه اللفظة لفظة: قرة، ي.

(١٠) كبير: كثير، ب.

(١١) عشرة: عشر، ز، ل، م.

(١٢) بعير: وبعير، ل، م.

(١٣) فلا يتبعوه: فلا يتبعونه، ب، ي.

مقاتل، وأبي علي. وقيل: خاف لأنه لم يَدْرِ أن العصا إذا انقلبت حية هل تظهر المزية؛ لأنه لم يعلم أنها تتلقفها وتزيل الشبهة، وكان ذلك موضع خوف؛ لأنها لو انقلبت حية لادعوا المساواة لاسيما والأهواء معهم، والدولة والملك لهم، وأسباب الدنيا متفقة، فلما تلقفت زالت الشبهة وتحقق عند الجميع صحة[1] أمر موسى وبطلان سحرهم، وقيل: خاف أن يتفرقوا قبل إلقاء[2] العصا ويلبسوا على العوام، عن أبي علي. وقيل: خوف طباع لما رأى من كثرة ما ألقوا **«قُلْنَا لاَ تَخَفْ»** يا موسى **«إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى»** الغالب القاهر، وهذا يدل على[3] أنه أراد[4] التلبيس حتى أمنه الله **«وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ»** أي: العصا **«تَلْقَفْ»** أي: تبتلع **«مَا صَنَعُوا»** أي: ما صنعوا فيه من الحبال والعصي؛ لأن الحبال والعصي أجسام ليس بفعلهم ولا يقدر عليها[5] أحد[6] غير الله تعالى وإنما صنعهم الأعراض التي حلها من[7] جمع وتفريق، قيل: لما ألقى عصاه صارت حية وطافت حول الصفوف حتى رآها[8] الناس كلهم، ثم قصدت الحبال والعصي فابتلعتها كلها مع كثرتها، ثم أخذها موسى فعادت عصا كما كانت **«إِنَّمَا صَنَعُوا»** من السحر، وذلك إشارة إلى الكذب، ثم يقال: هذا حديث مصنوع أي: كذب موضوع[9] **«كَيْدُ سَاحِرٍ»** أي: مكره وحيلته[10] **«وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ»** أي: لا يظفر ببغيته[11] الساحر؛ إذ لا حقيقة للسحر **«حَيْثُ أَتَى»** قيل: أتى[12] من السحر،

(١) صحة: ـ، ز.
(٢) إلغاء: إلقائه، ب، ز، ي.
(٣) على: ـ، ب، ي.
(٤) أراد: إيراد، ز.
(٥) عليها: عليهم، ب، ي.
(٦) أحد: +، ب، ز، ي.
(٧) من: في، ز.
(٨) رآها: رأتها. ب، ي، ؛رأوها، ز.
(٩) موضوع: موضوع أي، ز.
(١٠) وحيلته: وحيلة، ل، م.
(١١) ببغيته: بغيته، ز.
(١٢) قيل: أتى: أنه لا. ب، ي.

وقيل: حيث كان من الأرض، وقيل: حيث احتال، فلما رأت السحرة ذلك وهم الحُذَّاقُ [١] أنها ليست من السحر[٢] وأنها معجزة آمنوا، فقال تعالى: «**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا**» يعني سجدوا و«**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**» وأضافه إليهما لكونهما رسولين له ولدعائهما إليه.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**إما أن تلقي**. . . «الآية على أن الإلقاء فعلهما[٣]؛ إذ لو كان خلقاً لله تعالى لما صح هذا الكلام؛ لأن الإلقاء من[٤] فعل فاعل واحد، ولأنه إذا كانت الإلقاءات[٥] جميعاً منه تعالى فَلِمَ صار أحدها[٦] كفراً والآخر طاعة، ولأن موسى قال: «**بل ألقوا**» ولا يصح حمله على الكسب؛ لأن الكسب غير معقول، ولو عقل لما صح حصوله إلا بعد الخلق[٧] فهو موجب الخلق[٨]، ولأنه لا معنى تحت قولهم كسب إلا أنه خلقه مع القدرة، وهذا لا تأثير للعبد فيه، ولأن الإلقاء يحل في غير محل القدرة وذلك عندهم ليس بكسب للعبد.

ويدل قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[٩] يجوز أن يخاف النبي حتى يؤمنه الله[١٠]، والأولى أنه خاف على العوام الشبهة، وإلا فهو كان[١١] على بصيرة من أمره وأمرهم.

---

(١) الحذاق: ـ،ز؛ علمت، ب، ي.
(٢) السحر: بسحر، ب، ي.
(٣) فعلهما: فعلهما.
(٤) من: +، ب، ي.
(٥) كانت الإلقاءات: كان الإلقاء إن، ب، ي.
(٦) أحدها: أحدهما، ب، ز، ي.
(٧) الخلق: الحق، ز.
(٨) فهو موجب الخلق: ـ، ب، ي.
(٩) فأوجس في نفسه خيفة موسى: +، ب، ي.
(١٠) الله: +، ب، ز، ي.
(١١) إلا فهو كان: وإلا كان فهو، ل، م.

وتدل على أن القوم لما رأوا تلك الآيات وكانوا حذاقاً[١] فرقوا بين المعجز[٢] والشعبذة، فعلموا أنه حق، والحياة غير مقدورة لأحد.

ومنها: تصورها بصورة الحية، وذلك مما لا يقدر عليه غير الله تعالى.

ومنها: أن حركاتها حركات المختار لا حركات المضطر، وذلك مما[٣] لا[٤] يقدر عليه غيره تعالى؛ لأنه يحتاج إلى آلة وقدرة.

ومنها: أنها كانت جسماً عظيماً، وتلك الزيادة[٥] غير مقدورة لأحد.

ومنها: أنها كانت تبتلع مقدار ثلاثمائة حمل بعير وذلك نقض للعادة[٦].

ومنها: عودها[٧] عصا يابسة كما كانت.

ومنها: استحالتها[٨] كذلك مع ما في[٩] جوفها[١٠] من الحبال والعصي حتى لا تظهر عليها[١١]زيادة، وروي أن رئيسهم قال لهم: إن كان هذا سحرا[١٢] فأين تذهب[١٣] الحبال والعصي، ليس هذا سحراً؛ إنما هو من[١٤] أمر الله تعالى، عن أبي علي.

---

(١) حذاقاً: أحذاقاً، ز.
(٢) المعجز: المعجزة، ب، ي.
(٣) مما: ـ ، ب، ي.
(٤) لا: ـ ، ز.
(٥) الزيادة: المزيادة، ب.
(٦) للعادة: العادة، ب، ي.
(٧) عودها: عودة، ب، ي.
(٨) استحالتها: استحالته، ب، ي.
(٩) في: + ب، ي.
(١٠) جوفها: جوفه، ب، ي.
(١١) تظهر عليها: لايظهر عليه، ب، ي.
(١٢) سحرا: + ب، ي.
(١٣) تذهب: ذهب، ب، ي.
(١٤) من: +، ب، ي.

ومنها: أنها كانت[١] تقف على إلقاء موسى وأخذه، وكل ذلك يدل على معجزة[٢] له[٣].

قوله تعالى:

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

اللغة

الإيمان في اللغة: التصديق، ومنه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[٤] [يوسف: ١٧]، وفي الشرع: اسم لأفعال مخصوصة تشتمل على تحريم وتحليل وأذكار، والفرق بين قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ و﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧] أن[٥] في (آمنتم له) معنى[٦] الاتباع، ولا كذلك (به)؛ لأنه قد يؤمن من غير اتباع فيما دعاه الإله[٧] إذا قبل[٨] من الداعي؛ إذ[٩] الأمر إلى شيء واحد.

---

(١) أنها كانت: أنه كان، ب، ي.
(٢) معجزة: معجز، ز.
(٣) له: +، ب، ي.
(٤) وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صدقين: ـ ، ب، ي.
(٥) أن: +، ب، ي.
(٦) معنى: بمعنى، ل.
(٧) دعاه إليه: دعا إليه إلا الله، ب، ي؛ دعاه آلاله، ز، ل.
(٨) قبل: قيل، ي.
(٩) آل: إذ، ل، م؛ إذا، ز.

في (آمنتم له) معنى [يفيد] الاتباع، وليس كذلك (آمنتم به) لأنه قد يوقن[١] من غير اتباع [له] فيما دعا إليه إلا أنه [إذ] قبل من [قول] الداعي آل الأمرِ إلى شيءٍ وأخذ[٢] [به].

والإذن: الإطلاق في الفعل، وأصله الإعلام، والفرق بين الإذن والأمر[٣] أن في الأمر إرادة[٤] المأمور به، وليس في الإذن ذلك، وفي الأمر إيجاب، وليس ذلك[٥] في الإذن.

والإيثار[٦]: الاختيار، آثره[٧] يؤثره إيثاراً.

والزكاة[٨]: النماء في الخير، ومنه: الزكاة؛ لأن المال ينمو بها، والتزكي: طلب الزكا، وقيل: أصله الطهارة[٩].

الإعراب

(في) حرف ظرف، و(على) للاستعلاء[١٠] وكلاهما يخفضان ما بعدهما، ويستعمل (في) بمعنى[١١] (على)؛ لأن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض.

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِيَّ[١٢] في جِذْعِ نَخْلَةٍ[١٣]

(١) يوقن: يؤمن، ب، ز، ل، م، ي.
(٢) وأخذ: واحد، ب، ز، ل، ي.
(٣) الإذن والأمر: الأمر والإذن، ب، ز، ي.
(٤) إرادة: أراد، ز.
(٥) وليس ذلك: وليس في ذلك، م.
(٦) والإيثار: وإيثار و، ز.
(٧) آثاره: اثاره، ل، م.
(٨) والزكاة، ز، ل، م.
(٩) الطهارة: الطهار، ل، م.
(١٠) للاستعلاء: الاستعلاء، ز، ل، م.
(١١) بمعنى: معنى، ز، ل، م.
(١٢) في النسخ المتوفرة لدينا: العدى.
(١٣) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري وتمامه:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

وإنما شُدَّ[1] به؛ لأن ضم النخل لهم[2] كضم الوعاء لما فيه.

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ محل (الذي) من الإعراب يحتمل النصب عطفاً على قوله: «**ما جاءنا**»، ويحتمل الجر بأنه[3] قسم.

والنون في: (**لأقطعن**) و(**لأصلبن**) نون التأكيد تجري مجرى القسم. «**الحياة**» نصب بـ(**تقضي**) وقيل: تقديره: في الحياة الدنيا[4]، فلما سقطت الخافضة نصب، ويحتمل الرفع على (هذه) يعني[5] هي[6] الحياة الدنيا.

المعنى

ثم ذكر ما جرى بين فرعون والسحرة بعد إيمانهم به[7]، فقال سبحانه: «**قَالَ**» يعني فرعون للسحرة «**آمَنْتُمْ لَهُ**» أي: به، يعني لموسى[8] كقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، «**قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ**» في الإيمان به، «**إِنَّهُ**» يعني موسى «**لَكَبِيرُكُمْ**» أي: رئيسكم وأستاذكم ومعلمكم «**الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ**» موهماً بذلك للعوام أن ما أتوا به إنما هو تَواطؤٌ من جهتهم؛ لأنه علم أنه حق؛ ولكن تعمد ذلك ولبس[9] وأوعد القوم[10] فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ» يعني اليد اليمنى والرجل اليسرى، وقيل: أول من فعل ذلك وصلب هو فرعون «**وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**» قيل: على جذوع النخل، قيل: تلك الجذوع لهم[11] كالأوعية وهي الظرف «**وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا**» على[12] قولكم أنا أم[13] رب موسى على معصيتكم إياه لو عصيتموه «**وَأَبْقَى**»

(١) شد: تشد، ز، ب، ي.
(٢) لهم: إليه، ب، ي.
(٣) بأنه: لأنه، ز.
(٤) الدنيا: +، ب، ي.
(٥) يعنى: +، ب، ي.
(٦) هي: ـ، ز.
(٧) به: +، ب، ي.
(٨) لموسى: بموسى، ز، ل، م.
(٩) ولبس: +، ب، ي.
(١٠) القوم: +، ب، ي.
(١١) لهم: مثلهم، ب، ي.
(١٢) على: +، ب، ي.
(١٣) أم: أو، ب، ي.

أدوم، قيل: أبقى عقاباً إن عصي، وثواباً إن أطيع، عن محمد بن كعب، وابن إسحاق. فلما سمع المستبصرون وعيده لهم آثروا طاعة الله والدار الآخرة على الدنيا ونعيمها **«قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ»** أي: نختارك **«عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ»** قيل: الحجج الدالة على التوحيد، وقيل: اليد والعصا **«وَالَّذِي فَطَرَنَا»** أي: خلقنا، قيل: معناه لن نؤثرك على الذي فطرنا، أي: خلقنا، عن أبي علي. وقيل: إنه قسم، أي: لن نؤثرك والله على ما جاءنا من البينات وما ظهر من الحق **«فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ»** اصنع ما أنت صانع على إتمام وإحكام، وقيل: احكم ما أنت حاكم، وليس هذا بأمر؛ وإنما هو استسلام، وتقديره: اصنع ما شئت فلن نرجع عن دين الله **«إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»** يعني إنما تملك الأمر والحكم[1] في الدنيا، وليس لك سلطان إلا هاهنا[2] دون الدار الآخرة **«إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا»** أي: معاصينا، لما علموا وعيد الله هان عليهم وعيد فرعون **«وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ»** أي: ما أمرتنا من عمل السحر وتَعَلُّمِهِ، وقيل[3]: إنه دفع غلماناً إلى السحر، عن ابن عباس. وقيل: كانت السحرة اثنين وسبعين من بني إسرائيل أكرههم على تعلم السحر[4]، عن مقاتل. وقيل: إكراهه أنه[5] حشرهم من المدائن والأقطار لعمل السحر ليقابل بهم موسى، عن أبي مسلم. وقيل: إنهم امتنعوا لما علموا من[6] حديث العصا، وأن مثله لا يكون سحراً فأكرههم، وقيل: كانت[7] عادة الملوك أن يكرهوا الكبار على تعليم الشبان السحر كيلا يتعطل، وقيل: قالوا لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم، فإذا هو نائم وعصاه تحرسه، فقالوا: ليس هذا بسحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره[8]، فأبى عليهم إلا أن يعملوا، فذلك إكراههم، عن[9] عبد العزيز بن أبان. **«وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى»** قيل[10]:

(١) الأمر والحكم: الحكم والأمر، ب، ز، ي.
(٢) هاهنا: الإلهية، ب، ي.
(٣) وقيل: وقيل، ب، ل، م، ي.
(٤) وتعلمه. . . تعلم السحر: ـ ، ب، ي.
(٥) أنه: بأنه، ز.
(٦) من: ـ ، ب، ز، ي.
(٧) وفي ز: كان. كانت: +، ب، ي.
(٨) بطل سحره: ـ ، ز.
(٩) عن: +، ب، ز، ي.
(١٠) قيل: +، ب، ز، ي.

خير ثواباً وأبقى[١] للمؤمنين، وأبقى عقاباً للعاصين منك؛ لأنك فانٍ هالك[٢] **«إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا»** قيل: إنه خبر من الله اعترض بين القصة على غير وجه الحكاية، وقيل: هو حكاية عن السحرة ومعجز **«إِنَّهُ[٣] مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ»** قيل: إلى[٤] الموضع[٥] الذي[٦] وعده ربه، عن أبي علي. وهو الآخرة **«مُجْرِماً»** قيل: مشركاً، وقيل: عاصياً **«فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ»** أي: مأواه ومنزله جهنم **«لاَ يَمُوتُ فِيهَا»** فيستريح **«وَلاَ يَحْيَا»** حياة هنية فينتفع بحياته **«وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا»** أي: مات على الإيمان وأتى الآخرة **«قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلاَ»** الرفيعة، ثم فسر الدرجات فقال سبحانه: **«جَنَّاتُ عَدْنٍ»** إقامة، يعني دائمة **«تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ»** يجري الماء في الأنهار تحت أشجارها وأبنيتها **«خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى»** قيل: تَطَهَّرَ من الكفر والمعاصي، فبين أنه يعطي بالأعمال.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ﴾[٧] أنه عجز عن الحجة فعدل إلى الشبهة والوعيد والتمويه.

وتدل على بصيرة القوم[٨] حيث لم يبالوا[٩] بوعيده، وكان الحسن يقول: سبحان الله لقوم آمنوا فثبت في قلوبهم الإيمان حتى لم يتعاظم عندهم وعيد[١٠] فرعون حين قالوا: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ في ذات الله، وإن أحدكم اليوم بصحبة القرآن ستين عاماً ثم يبيع دينه بثمن خسيس.

---

(١) وأبقى: ـ، ب، ي.
(٢) هالك: هناك، ز.
(٣) إنه: +،ب، ز، ي.
(٤) إلى: ـ، ب، ي.
(٥) الموضع: المواضغ، ز.
(٦) الذي: +، ب، ز، ي.
(٧) لكبيركم الذي علمكم: ـ، ب، ي.
(٨) القوم: للقوم، ب، ي.
(٩) يبالوا: ينالوا، ز.
(١٠) وعيد: ووعيد، ز.

ويدل آخر الآيات على[1] أن[2] الوعد والوعيد وأن الثواب جزاء على العمل.
وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم؛ وكل[3] ذلك ظاهر.

قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

۞ القراءة

قرأ حمزة: «**لا تَخَفْ دركاً ولا تخشى**» بجزم الفاء، ويحتمل النهي، ويحتمل[4] الجزاء، فهو جواب الشرط، كأنه قيل: إن تضرب لا تخف. وقرأ الباقون بالألف ورفع الفاء على النفي والخبر، فأما: «**ولا تخشى**» بالألف باتفاق[5] القراء، فهو على قراءة حمزة كقوله: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] فاستأنف[6] الكلام، وقال الفراء[7]: لو نوى حمزة[8] في (**تخشى**) الجزم لكان صواباً.

۞ اللغة

الوحي: إلقاء المعنى إلى النفس على وجه يخفى، ويستعمل في الإلهام والرؤيا والكلام.

---

(١) على: +، ب، ز، ي.
(٢) أن: ـ ، ز.
(٣) على: +، ب، ي.
(٤) النهي، ويحتمل: +، ب ز، ي.
(٥) باتفاق: واتفاق، ب، ي.
(٦) فاستأنف: +، ب، ي.
(٧) وقال الفراء: ـ، ل.
(٨) حمزة: خير، ل.

والإسراء والسَّرَى: السير بالليل، أَسْرَى إسراءً.

واليابس خلاف الرطب، والرطوبة واليبوسة عرضان لا يقدر عليهما غير الله تعالى، وهما شرطان في وقوع[١] التأليف على وجه الالتزاق، يقال: يَبِسَ الشيء يَيْبَسُ على يَفْعِلَ بكسر العين وفتحها، واليُبْسُ بسكون الباء يبوس النبات[٢]، قال ابن السكيت: يَبِسَتْ الأرض ذهب ماؤها ونداها[٣]، وأيبست[٤] إذا كثر يبسها، واليَبَس بفتح الباء ما كان رطباً فيبس، وقيل: اليابس الذي لم يزل مذ[٥] **كان يابساً، واليبس ما كان رطباً فيبس**[٦]، قال ابن السكيت: واليبس جمع يابس، قال علي بن عيسى: جمع اليَبَس بفتح الباء: أيباس، وجمع اليبْس بسكون الباء: يُبوسٌ.

والإدراك: اللحوق، أدرك العدو، وأدرك قتادة الحسن، وأدرك الغلام، وتدارك القوم، والدَّرَكُ اسم من الإدراك كاللحوق من اللحاق[٧]، ومنه: دركات النار أي: منازل أهلها كأنهم ألحقوا بها.

والغشاء: الغطاء، ومنه: الغاشية، والغشيان، وسميت القيامة غاشية[٨]؛ لأنها تغشى بأفزاعها، وغشيت الرجل بالسوط ضربته، والغِشْيان بكسر الغين: إتيان الرجل المرأة.

۞ الإعراب

نصب «**طريقاً**» بقوله: «**اضرب**» تقديره: اجعل لهم طريقاً بالضرب بالعصا، فعداه إلى الطريق لما دخله هذا المعنى.

---

(١) وقوع: وقوف، ز، ل، م.
(٢) النبات: الباب، ل، م، الثياب، ب، ز، ي.
(٣) ونداها: ونداوها، ب، ي.
(٤) وأيبست: يبست، ز، ل، م.
(٥) مذ: +،ب، ي.
(٦) وقيل: . . . رطباً فيبس: ــ ، ز.
(٧) اللحاق: الإلحاق، ز، ل، م.
(٨) غاشية: الغاشية، ل.

و(من) في قوله: «**من اليم**» قيل: للتبعيض؛ لأن بعض اليم غشيهم، وقيل: صلة وتأكيد تقديره: فغشيهم اليم[١].

وموضع: «**لا تخاف**» موضع الحال، كأنه قال: افعل ذلك آمناً، وهذه القراءة الأَوْلَى[٢]؛ لأنه عطف عليه[٣] ما لا يكون[٤] إلا مرفوعاً كقوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

والباء[٥] في قوله: ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾ صلة وتفخيم، كقوله[٦]: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ [طه: ٩٤]، ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ[٧]﴾[٨] [الإسراء: ١].

المعنى

ثم بين تعالى إصرارهم على الكفر، وأمره بني إسرائيل بالخروج، وإهلاك[٩] قوم[١٠] فرعون، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا**[١١]» الوحي هاهنا يحتمل معنيين: أحدهما ألقينا إليه[١٢] ذلك على لسان ملك. وثانيها: كلمناه به. «**أَنْ أَسْرِ** «**بِعِبَادِي**»[١٣] أي[١٤]: سر[١٥] بهم ليلاً من أرض مصر، بعبادي هذه نسبة تشريف، قيل: أمرهم بالسير لما قرب إهلاك[١٦] فرعون، وقيل:

(١) وقيل صلة وتأكيد تقديره: فغشيهم اليم +، ب، ي.
(٢) الأولى: أولاً، ز،ل،م.
(٣) عليه: +، ب، ز، ي.
(٤) لا يكون: لايكن، ز.
(٥) والباء: والثاني، ز.
(٦) كقوله: قوله، ب، ز، ل، م، ي.
(٧) بعبادي: بعبادة؛ ب، ز، ل، م.
(٨) أسوى: ـ ، ز.
(٩) بعبده: +، ب، ز، ي.
(١٠) وإهلاك: وإهلاكهم، ز، ل، م.
(١١) قوم: ـ ، ل.
(١٢) فاضرب لهم طريقا: ـ ، ب، ز، ي.
(١٣) إليه: عليه، ل، م.
(١٤) أسر بعبادي أي: ـ ، ب، ي.
(١٥) سر: أسر، ز.
(١٦) إهلاك: هلاك، ب، ي.

أراد تمييز[1] المؤمن من الكافر «**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا**» أي: اجعل لهم بضرب العصا طريقاً «**فِي الْبَحْرِ يَبَساً**» يابساً لا ماء فيه ولا طين[2] **لاَ تَخَافُ دَرَكًا**» أي: لا[3] يدركك فرعون «**وَلاَ تَخْشَى**» غرقاً في البحر، وقيل[4]: لا يدركك أذية من قومه ولا تخشى شيئاً[5] من أمر البحر، قيل: لا تخاف كون فرعون خلفك ولا كون[6] البحر أمامك، قيل: أوحى الله[7] إليه ليعلم بذلك قومه، وخصه بالذكر تشريفاً «**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ**» قيل: في الكلام حذف، أي: فعلوا وساروا[8] فأتبعهم فرعون؛ أي: مضى خلفهم، قيل: لحقهم فرعون «**بِجُنُودِهِ**» وخيله، والهاء في قوله: «**فأتبعهم**» كناية عن قوم موسى، قيل: لما علم بخروجهم خرج في جنوده متبعين آثارهم طالبين لهم، فلما رأى الطريق يابسة[9] بسلوكه والماء لا يتحرك دخله رجاء أن يدركهم في البحر، وقيل: لما رأى بنو إسرائيل فرعون وقومه ظنوا أنه[10] يدركهم؛ لأن البحر أمامهم، فضرب البحر بعصاه فصار[11] كالطود، وأصابهم ضباب فلم ير بعضهم بعضاً، فلما انجلت رأوا بني إسرائيل جاوزوا البحر فدخلوا البحر[12]، وقيل: تقدمهم جبريل[13] على رَمَكَةٍ فأتبعه[14] فرعون، وإنما أدخله فرسه «**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُم**[15]»

---

(١) تمييز: تميز، ب، ي.
(٢) لا طين: +، ب، ي.
(٣) لا: ب، ز، ي.
(٤) قيل: ـ، ز.
(٥) شيئاً: +، ب، ز، ي.
(٦) ولا كون: ولا لون.
(٧) الله: +، ز.
(٨) وساروا: وشاوروا، ز.
(٩) يابسة: ساكنة، ز.
(١٠) أنه: أن، ب، ي.
(١١) فصار: وصار، ز.
(١٢) البحر: +، ب، ي.
(١٣) جبريل: +، ب، ز، ي.
(١٤) فأتبعه: أتبعه، ب، ز، ل، م.
(١٥) ما غشيهم: + ، ب، ي .

أي: أصابهم من البحر[1] ما أصابهم[2]، وغمرهم الماء، وقيل: معناه فَعَلَاهُمْ من[3] ماء البحر ما علاهم[4]؛ يعني ماء كان[5] كالطود العظيم، وقيل: الذي غشيهم هو[6] الغرق، عن أبي علي. «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى» قيل: أهلكهم في البحر وما نجاهم من الغرق تأكيداً[7]، وقيل: أضلهم[8] عن الدين وما هداهم إلى خير، وقيل: ذكر «وَمَا هَدَى» تأكيداً لإضلاله، وقيل: أضلهم واستمر بهم الضلال فما هداهم قط، قيل: ما هداهم قط[9] في خير.

۞ الأحكام

تدل الآيات على معجزات عظيمة لموسى:

منها: أنه ضرب البحر بالعصا فصار فيه اثنا عشر طريقاً.

ومنها: أنه يبس في الحال.

ومنها: أنه تراكم الماء[10] حتى صار كالطود العظيم[11].

وتدل على أنه أهلك قوم فرعون ما نجا منهم أحد.

ومتى قيل: كيف دخل فرعون، و[12] العاقل لا يفعل مثل ذلك؟

---

(١) البحر: اليم. ز، ل، م.
(٢) ما أصابهم: + ب، ي.
(٣) من: + ، ب، ي.
(٤) ما علاهم: ما علا، ب.
(٥) كان: +، ز.
(٦) هو: ـ ، ز.
(٧) تاكيداً: ـ ، ب، ي.
(٨) أضلهم: أضل، ب، ي.
(٩) قط: +، ب، ي.
(١٠) المساء: + ، ب، ي.
(١١) العظيم: +، ز.
(١٢) فرعون، وفرعون، ز.

قيل: رأوا آيات كثيرة، وسَلِمُوا فظنوها مثلها، وقيل: أوهمهم فرعون أنه انفلق لهيبته، عن أبي علي. وقيل: بل دخل مكرهاً فإن فرسه أدخله[1] اتباعاً لفرس جبريل.

وتدل أنهم ساروا ليلاً، قيل[2]: لئلا[3] يعلم[4] فرعون، وقيل: استعاروا من القبط حُلِيًّا[5]، وقيل: خرجوا وهم سبعون ألفاً وتبعهم فرعون في ستمائة ألف.

وتدل على أن فرعون أضلهم، فلو[6] كان على ما تزعمه المجبرة لكان الله أضلهم، ولا يصح وصف فرعون بأنه أضل، ولو كان الضلال خَلْقَ الله فيهم لكان هو الأولى بأن يوصف بذلك، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والهدى والضلال.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ۞وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي والأعمش ويحيى بن وثاب: «**أنجيتكم**»، و«**وأوعدتكم**»، و«**رزقتكم**» كله بالتاء على الواحد، والباقون بالنون، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: «**وعدناكم**» بغير ألف، والباقون: «**واعدناكم**» بالألف من المواعدة التي تكون بين اثنين.

---

(١) أدخله: دخل، ز، ل، م.
(٢) قيل: ـ ، ب.
(٣) لئلا: + ، ب، ي.
(٤) يعلم: ليعلم، ل، م.
(٥) حليا: حللاً، ز، ل، م.
(٦) فلو: ولو، ب، ز، ي.

قرأ الكسائي[١] والأعمش ويحيى بن وثاب: «**فَيَحُلَّ**» بضم الحاء، و«**يحلُل**» بضم اللام، وقرأ الباقون (**فَيَحِلَّ**) بكسر الحاء، و«**مَنْ يَحْلِلْ**» بكسر اللام، وقيل[٢] يحُل بالضم ينزل، و(**يحِل**) بالكسر يَجِب، وقيل هما بمعنى، ولم يختلفوا[٣] في قوله: ﴿يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [طه: ٨٦] أنه بالكسر.

❁ اللغة

الطغيان: مجاوزة الحد في العصيان، وطغى[٤] يطغى طغياناً، ومنه: طغى السيل سال، وطغى البحر ماج[٥]، وطغى الدم تَبَيَّغَ، والطُّغْوَان[٦] لغة يقال: طغوت وطغيت، حكاه[٧] الخليل.

والحلول: النزول، حَلَّ: نَزَلَ، يقال: حَلَلْتُ[٨] القَوْمَ وحَلَلْتُ[٩] بالقوم، والحليل البعل، والحليلة الزوجة، سميا بذلك؛ لأن كل واحد منهما يحل عند صاحبه، قال أبو عبيد: كل من نازلك[١٠] أو جاورك[١١] فهو[١٢] حليل، وقيل: سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه[١٣] من حَلَلْتُ العقدة أَحُلُّها حلاً، وحل يحِل بكسر الحاء في المستقبل؛ وجب، ويحُل بالضم نزل، وحقيقة الحلول تصح في الأعراض، وأما[١٤] الجسم فيجوز عليه المجاورة، ولا يجوز عليه الحلول، وكذلك المكان والجهة.

---

(١) قرأ الكسائي: والكسائي، ب، ي.
(٢) وقيل: قيل، ب، ل، م.
(٣) يختلفوا: يخلفوا، ز.
(٤) وطغى: طغي، ب، ي.
(٥) ماج: هاج، ب، ي.
(٦) الطغوان: الطغون، ل، م.
(٧) حكاه: حكاهما، ب، ز، ي.
(٨) حللت: حلات، ب، ي.
(٩) حللت: أحللت، ل، م.
(١٠) نازلك: حاولك، ز، ل، م.
(١١) جاورك: حاولك، ز، ل، م.
(١٢) فهو: هو، ب، ي.
(١٣) وقيل: سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه: +، ب، ي.
(١٤) أما: فأما، ب، ي.

ومتى قيل: حلول العرض في المحل لذاته أو بالفاعل[1]؟

قلنا: كونه سواداً بياضاً حلاوة ونحوه من صفات الأجناس لذاته ووجوده بالفاعل، فأما وجوده في هذا المحل فكل عرض يختص بمحل لا يجوز وجوده في غيره، ولا يعلل ذلك بالنفس ولا بالفاعل.

ويقال: هل يجوز حلول المعاني في ذات القديم؟

قلنا: لا؛ لأن ذلك يتبع التحيز.

والهوى: هو النفس مقصور؛ [هَوَيَ يَهْوَى هَوًى شديداً والجمع أهواء]. والهواء بالمد هو[2] [ما بين السما والأرضِ] نحو هَوِيتُ [أهوى] هَوًى، [والجمع أهوية]. وهو [يعني به] يهوى يسقط[3] من غير راد يمسكه[4]، والهاوية: كل مهواة، ومنه سمي النار هاوية، وتهاوى القوم [في] المَهْوَاةِ[5] سقط بعضهم في إثر بعض.

والفتنة: أصلها الاختبار، وتستعمل في العقوبة والكفر والهَرْجِ.

۞ الإعراب

(هؤلاء) و(**أُولاَءِ**) بمعنى، وهما[6] مبنيان على الكسر[7]«فيحل» نصب؛ لأنه جواب النهي بالفاء. و«**منيحلل**» جزم؛ لأنه شرط، «**فقد هوى**» جوابه[8].

۞ المعنى

ثم عاد الكلام إلى خطاب بني إسرائيل وذِكْرِ نعمه عليهم، فقال سبحانه: «**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**» قيل: هذا خطاب للذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه، وقيل:

---

(١) أو بالفاعل: وبالفاعل، ز.
(٢) هو: هوا، ب، ي.
(٣) يسقط: سقط، ب، ي.
(٤) يمسكه: يمسكهه، ز.
(٥) المهواة: المهاواة، ز.
(٦) بمعنى، وهما: + ب، ي.
(٧) الكسر: الكسرة، ز.
(٨) نصب... جوابه: +، ب، ز، ي.

لأسلافهم، وهو عطف على ما تقدم، وإسرائيل: يعقوب بن إسحاق «قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ» خصلناكم «مِنْ عَدُوِّكُمْ» أي: من فرعون وعمله[١] وعذابه واستعباده، والنعمة على الأسلاف تكون نعمة على الأخلاف، فلهذا ذَكَّرَهُمْ به على قول من يقول: إنه خطاب لمن كان في عهد رسول الله[٢] صلى الله عليه وآله[٣]«وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ» قيل: وعد موسى جانب الجبل الذي هو الطور[٤] مع جماعة من وجوه بني إسرائيل ليستمعوا كلامه، فاختار سبعين وذهب إلى الموعد وأعطي التوراة، عن أبي علي. وقيل: كانت المواعدة بأن يوافي[٥] هو وقومه، عن ابن إسحاق[٦]«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى» يعني في التيه، وقد بينا ما قيل في المن والسلوى، وكل ذلك نعم عليهم ديناً ودنيا «كُلُوا[٧]» هذا إباحة، وليس بأمر بأكل الحلال «مِنْ[٨] طَيِّبَاتِ» قيل: الطيب الحلال، وقيل: الطيب المشتهى «مَا[٩] رَزَقْنَاكُمْ» أعطيناكم «وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ» لا تجاوزوا الحد في ذلك، قيل[١٠]: لا[١١] تأكلوا الحرام، وقيل: لا تأكلوا على وجه الحرام بأن يتعمد[١٢] فيه العصيان لله تعالى، وقيل: لا تظلموا فيه ولا تعصوا، عن ابن عباس، ومقاتل. وقيل: لا تكفروا النعمة، عن الكلبي، وقيل: لا تحرموا الحلال، وقيل: لا تنفقوا في معصية[١٣]، وقيل: لا تدخروه، وكانوا نهوا[١٤] عن[١٥] ذلك، وقيل: لا

---

(١) عمله: +، ب، ي.
(٢) رسول: النبي، ب، ي.
(٣) وآله: +، ي.
(٤) الطور: الطهور، ز.
(٥) يوافي: يوافقي، ز.
(٦) إسحاق: عباس، ز.
(٧) كلوا: حلوا، ز.
(٨) من: ـ، ز.
(٩) ما: مما، ب، ز، ل، م، ي.
(١٠) قيل: +، ب، ي.
(١١) لا: ولا، ل.
(١٢) يتعمد: يعتمد، ز، ل، م.
(١٣) معصية: معصيته، ب، ي.
(١٤) نهوا: +، ب، ي.
(١٥) عن: في، ز، ل، م.

تنفقوا نعمتي على معصيتي «**فَيَحِلَّ**» أي: يجب أو ينزل[1] على اختلاف القراءات فيه، وقد بينا «**غَضَبِي**» من الله إرادة العقوبة «**وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي**[2] **فَقَدْ هَوَى**» قيل: هلك، عن أبي علي. وقيل: تَرَدَّى في النار، وقيل: سقط عن رتبته العالية في استحقاق الثواب إلى استحقاق العقاب «**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**» أي: تاب عن[3] جميع المعاصي، وآمن بالله، وعمل بطاعته «**ثُمَّ اهْتَدَى**» قيل: لزم الإيمان إلى أن مات عليه، عن قتادة، والثوري. كأنه قيل: ثم استمر على الهداية، وقيل: اهتدى لكيفية[4] العمل بأن عمله، عن زيد[5] بن أسلم. وقيل: علم أن لذلك ثواباً[6]، عن مقاتل، والشعبي، والكلبي. وقيل: استقام على الدين، عن الضحاك. «**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى**» يعني ما حملك على العجلة عليهم[7]، قيل: كان الله أمر موسى أن يختار من بني إسرائيل جماعة، وقيل: سبعون من خيارهم ليذهبوا معه إلى الميقات ويأخذوا التوراة، ووقت لهم وقتاً، فتقدمهم موسى وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، وقيل: ذهب معهم إلى الطور وأقعدهم وتقدمهم، فعاتبه الله سبحانه وقال: ما أعجلك عنهم، «**قَالَ**» موسى[8] «**هُمْ أُولاَءِ عَلَى**[9] **أَثَرِي**» يعني قريبون مني صائرون إلى هذا الموضع «**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**» لتزداد رضى، وكان الله تعالى راضياً عنه ولكن المؤمن كلما ازداد[10] طاعة تجدد له رضى[11]، والرضى هاهنا المدح والتعظيم.

ومتى قيل: إذا كان مأموراً بإحضارهم فَلِمَ تقدمهم؟

---

(١) ينزل: فينزل، ز.
(٢) غضبي: ـ، ب، ي.
(٣) عن: من، ز.
(٤) كيفية: بكيفية، ز.
(٥) زيدٍ: ابنزيد، ز، ل، م.
(٦) ثواباً: لثواباً، ز.
(٧) عليهم: عنهم، ب، ي.
(٨) موسى: +، ب، ي.
(٩) عى: ـ، ز.
(١٠) ازداد: أراد، م.
(١١) وكان الله... رضى: ـ، ز، ل.

قلنا: أُمِرَ أن[1] يحضر ويحضرهم، ولم يُنْهَ عن التقدم[2]، فأدّى اجتهاده إلى أن التقدم[3] أقرب إلى رضاه.

ومتى قيل: فلِمَ قال: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾[4]؟

قلنا: لم يؤذن له في التقدم[5] فعاتبه، وقيل: سأله عن سبب تقدمه لا[6] أنه عاتبه وليس هذا سؤال استفهام.

«**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ**» يعني امتحناهم وشددنا عليهم التكليف بما حدث في بني إسرائيل من أمر العجل[7]، وألزمنا عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بإله وأن الله ليس بصفة الأجسام كما قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، «**وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**» يعني دعاهم إلى الضلال فضلوا عند دعائه، فأضاف الضلال إليه، قيل: كانوا ستمائة ألف آمنوا بالعجل غير اثني عشر ألف وعبدوه، والعجب منهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة وصحبوا النبي[8] هارون ثم لم يرسخ في قلوبهم الإيمان حتى قالوا مرة: اجعل لنا إلهاً، ومرة عبدوا العجل[9]، وأعجب أنهم رأوا جسماً يتحرك ويسكن [ثم عبدوه ولا يكلمهم ولا ينفعهم ولا يضرهم، وأعجب من ذلك أن[10] العجل صنع [في] ساعة[11]، ورأوه وأحبوه وإنما أتي القوم بقلة التأمل والتفكر.

---

(١) أن: بأن، ب، ي.
(٢) التقدم: التقديم، ز.
(٣) التقدم: التقديم، ز.
(٤) وما: فما، ز.
(٥) فأدى اجتهاده... التقدم: +، ب، ي.
(٦) لا: +، ب، ي.
(٧) العجل: العمل، ز، ل.
(٨) النبي: +، ب، ي.
(٩) العجل: ـ ب، ي.
(١٠) أن: +، ب، ي.
(١١) ثم عبدوه... ساعة: +، ب، ي.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أن الفاسق ممن يهوي ويستحق العقاب خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن المغفرة تنال بالتوبة والعمل الصالح خلاف قولهم.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ أن العجلة[1] فعل موسى حتى يصح قوله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ وجواب موسى ﴿وَعَجِلْتُ﴾ [2] فيبطل[3] قولهم في المخلوق.

وتدل على[4] أن المبادرة إلى الطاعات مما[5] يقرب من رضى[6] الله سبحانه، واستدل به بعض الشافعية في أداء الصلاة في أول الوقت.

ويدل قوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أنه تعالى لم يضلهم ولا خلق[7] الضلال لذلك فرق بينهما في الإضافة.

قوله تعالى:

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾﴾

---

(١) العجلة: العجل، ز، ل م

(٢) وعجلت: +، ب، ي.

(٣) فيبطل: فبطل، ب.

(٤) على: +، ب، ي.

(٥) مما: ممن، ل، م.

(٦) من: إلى، ب.

(٧) ولا خلق: +، ب، ي.

۞ القراءة

في قوله: «بملكنا» ثلاث قراءات:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بكسر الميم، يعني ما حوته الأيدي.

وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بفتح الميم أي: بجهدنا، يقال: ملكت العجين أملكه ملكاً.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف: «بِمُلكنا» بضم الميم يعني سلطاننا وقوتنا.

قرأ[1] أبو جعفر[2] ونافع وابن كثير[3] وابن عامر وحفص عن عاصم: «حُمِّلنا» بضم الحاء وكسر الميم مشددة على ما لم يسم فاعله، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: «حَمَلْنَا» بفتح الحاء والميم مخففة على أن الحمل يضاف إليهم.

۞ اللغة

الغضب: ضد الرضى، وهو إرادة[4] الإضرار، ورجل غضبان وغُضُبَّةٌ بضم الغين والضاد والتشديد[5]: سريع[6] الغضب.

والأسف: الحزن، والأسف: الغضب أيضاً، والآسف بالمد وكسر السين الغضبان[7]، أسفت أسفاً: غضبت غضباً[8]، فأما حديث عائشة في أبي[9] بكر رضي

(١) قرأ: قال، ب، ي.
(٢) ونافع وعاصم... أبو جعفر: ـ، ز.
(٣) ونافع وابن كثير: ونافع وابن كثير ونافع وابن كثير، ز.
(٤) إرادة: أراد، ل، م.
(٥) التشديد: والتشدد، ل، م.
(٦) سريع: ـ، ز.
(٧) أيضاً، والأسف... الغضبان: +، ب، ي.
(٨) غضباً: ـ، ب، ي.
(٩) في أبي: وأبي، ز، ل، م.

الله عنهما أنه رجل أَسِفٌ أي: سريع الحزن والبكاء وهو الأَسِيفُ[١] أيضاً.

والملك: أصله القدرة، ومنه: المَلِكُ، لقدرته[٢] على التصرف، والملك لتصرفه فيه، والمُلْكُ القدرة والسلطان[٣]، ومَلَكْتُ العجينَ أَمْلِكُهُ[٤] [إذا عجنته فانعمت عجنه، واملكتهُ إذا أكثرت دلكه حتى يشتد]، نحو نصرته، وأَمْلَكْتُهُ[٥] أُمْلِكُهُ إذا [أنعمت عليه] لغتان، وعجين مملوك ومُمْلَكٌ ومُمَلَّكٌ[٦] مشددة ومخففة.

والوِزْرُ: أصله الثقل، ومنه: الوزر: الذنب، ومنه: الوزير[٧]، والأوزار ما يحمله الإنسان، والأوزار: السلاح لأنه يثقل على لابسه[٨]، والأوزار: المتاع لأنه يحمل.

والخُوَار: الصوت الشديد المتردد كصوت البقر وغيره.

الإعراب

«**أسِفاً**» نصب على الحال، وقيل: على المصدر بتقدير: أسف أسفاً.

(**ألاّ[٩] يرجع**) يجوز فيه الرفع والنصب، وقرئ بهما، أما النصب[١٠] فتقديره: أفلا يرون بألا يرجع، وأما الرفع[١١] بتقدير: أنه لا يرجع إليهم قولاً.

«**غضبان[١٢]**» نصب على الحال إلا أنه لا ينصرف في معرفة ولا نكرة.

(١) الأسف: الأسوف، ب، ي.
(٢) لقدرته: القدرة، ب، ي.
(٣) والسلطان: ـ ، ب، ي.
(٤) أملكه: ملكه.
(٥) وأملكته: أو أملكت، ز، ل، م.
(٦) ومملك: ـ ، م؛ وملك، ب.
(٧) الوزير: الوزر، ز.
(٨) لابسه: الابسها، ز، لابسها، ب، ل، م، ي.
(٩) ألا: لأن لا، ب.
(١٠) النصب: ـ ،ب، ي.
(١١) والنصب وقرئ بهما، أما النصب. . . واما الرفع: ـ ، ل.
(١٢) غضبان: ـ ، ل.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما أخبر به موسى من حديث العجل ورجوعه إليهم، فقال سبحانه[1] «فَرَجَعَ مُوسَى» أي: انصرف من الميقات «إِلَى قَوْمِهِ» بني إسرائيل «غَضْبَانَ أَسِفًا» قيل: حزيناً، عن ابن عباس، وقتادة، والسدي. وقيل: الأسف شدة الغضب، وقيل: التلهف لأمرٍ فاته، عن أبي علي. «قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا» أي: صدقاً، قيل: هو وعدهم بالنجاة من فرعون ومجيئهم إلى جانب الطور، ووعده أنه غفار لمن تاب، وقيل: وعدهم أن يعطيهم التوراة[2] منه هدى ونورا ليعلموا [ما] فيه ويعملوا به فيستحقوا الثواب[3]، عن أبي علي. وقيل: الوعد[4] الحسن الجنة بشرط التمسك بالدين في الدنيا، عن الحسن. وتقديره: ألم يعدكم على التمسك بالتوحيد وعداً حسناً في الدنيا بأن الجنة لكم فما بدا لكم حتى تركتم ذلك وعبدتم العجل، وقيل: الوعد الحسن الميقات المعلوم أربعون يوماً بجانب الطور، عن أبي مسلم. «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ» قيل: مدة مفارقتي إياكم، قيل: كان الموعد أربعين جعلوا الليل مفرداً[5] والنهار مفرداً، فلما تم العشرون قال السامري: إن موسى ضل حيث[6] لم يرجع، وقيل: عهد أن يرجع بعد ثلاثين يوماً، فلما لم يرجع تحيروا وتمكن منهم السامري «أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ» أي: ينزل عليكم عقوبة منه «فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي» قيل: أنه وعدهم اللحاق به[7] فتركوا المسير على أثره للميقات، وقيل: أمرهم أن يقيموا على أمرهم ودينهم حتى يرجع[8] فخالفوا، وقيل[9]: أمرهم أن يتمسكوا بطريقة هارون وطاعته ويعملوا بأمره إلى أن يرجع[10] فخالفوا، وقيل:

---

(١) سبحانه: تعالى، ز.
(٢) الثورة: ـ، ز؛ الثواب، ل، م.
(٣) منه هدى... الثواب: ـ، ز.
(٤) الوعد: الوعيد، ز.
(٥) مفرداً: منفرداً، ز.
(٦) حيث: حين. ، ب، ل، م، ي.
(٧) به: بهم، ز، ل، م.
(٨) يرجع: يرجعوا، ب، ز، ي، م، ي.
(٩) وقيل: وقيل وقيل، ز.
(١٠) يرجع: أرجع، ز.

هذا بيان أنه لا عذر لهم فيما فعلوا «**قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا**» قيل: لم نتعمد ذلك، وقيل: بملكنا وطاقتنا، عن قتادة، والسدي. وقيل: لم نملك أنفسنا للبلية[1] التي وقعت بنا، عن ابن زيد. وقيل: بجهدنا، وقيل: باختيارنا، وقيل: لم نملك أمرنا، عن مقاتل. وقيل: لم نملك الوفاء بالوعد؛ لأن العوام أكرهونا فلم ينفذ لنا أمر، وقيل: قال المؤمنون: لم نملك أن نرد السفهاء، عن أبي علي. وقيل: لم نملك الصواب ولكن أخطأنا «**وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا**» أي: أثقالاً من حلي آل فرعون، وذلك أن موسى أمرهم أن يستعيروا من حليهم، عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد. وقيل: كانت[2] غنائم آل فرعون، وقيل: لما قذفهم البحر[3] أخذوها منهم، واختلفوا، فقيل: لم تكن حلالاً لهم ولذلك قال السامري: إنّ ما أصابكم عقوبة بالحلي الذي معكم فاجمعوها حتى يجيء موسى، فدفعوها[4] إليه، وقيل: كان حلالاً لهم ولذلك قال تعالى[5] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٧]، وقيل: سميت أوزاراً لأنها[6] كانت لآل فرعون جمعه من غصب وحرام، وقيل: لأنهم حملوها «**فَقَذَفْنَاهَا**» أي ألقيناها في النار لتذوب «**فَكَذَلِكَ**[7] **أَلْقَى السَّامِرِيُّ**» ليوهم أنه منهم، عن أبي علي. وقيل: أمرهم هارون أن يجعلوا الغنائم في حفرة ليرجع موسى، وكان لا يحل لهم فلم يفعلوا[8]، وقيل: «**فَقَذَفْنَاهَا**»[9] أي: جمعناها ودفعناها إلى السامري وكان مطاعاً فيهم، وقيل: كان من أهل كرمان، عن سعيد بن جبير. وقيل: كان من قرية يعبدون البقر، فكان حب ذلك في قلبه، وقيل: كان من بني إسرائيل فلما جاوز البحر نافق، فلما قالوا: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، اغتنمها[10] وأخرج لهم العجل

---

(١) للبلية: لليلة، ز

(٢) كانت: +، ب، ي.

(٣) البحر: اليم، ل.

(٤) فدفعوها: فادفعوها، ب، ي.

(٥) تعالى: +، ز.

(٦) كان حلالاً. . . أوزاراً لأنها: +، ب، ز، ي.

(٧) فكذلك: وكذلك.

(٨) فلم يفعلوا: فلم يحل لهم، ب، ي.

(٩) فقذفناها: قذفناها، ل، م.

(١٠) اغتنمها: اغتنمهم، ل، م.

ودعاهم إليه، عن قتادة. وقيل: قوله: ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ حكاية عنهم على[1] نسق الكلام، وقيل: بل كلام الله تعالى ابتداء، كأنه حكى عنهم أنهم ألقوا، ثم قال: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ حكاية عنهم[2]، عن أبي مسلم.

«**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً**» قيل: صورة بقرة[3] صاغها من الحلي، ثم ألقى عليها[4] من تراب أثر جبريل، فانقلبت حيواناً تخور، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي. وقيل: صاغ عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر لا روح فيه «**لَهُ خُوَارٌ**» صوت، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقال[5] أبو علي: صاغ على صورة عجل، وجعل فيه خروقاً إذا دخلته الريح أوهم أنه يخور، وخوار قيل: له صوت، وقيل: خار مرة ولم يعد، وقيل: كان خُوارُهُ[6] بالريح إذا دخلت جوفه، عن مجاهد، وأبي علي، وأبي مسلم. «**فَقَالُوا**[7]» **يعني السامري ومن تبعه** «**هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى**» أي: معبودكم ومعبود موسى «**فَنَسِيَ**[8]» اختلفوا فيمن[9] نسي وما نسي، ومِنْ قول مَن (فَنَسِي) على قولين:

الأول: أنه قول الله تعالى. والناسي[10]: السامري.

واختلفوا[11]، فقيل: ترك السامري الإسلام الذي بعث الله[12] به موسى، عن ابن عباس بخلاف. وقيل: نسي الاستدلال على حدوثه[13] بأنه مصنوع لا يجوز أن يكون إلهاً، وقيل: نسي السامري أمر[14] العجل أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، عن أبي علي. وقيل: نافق السامري وترك الإسلام.

---

(١) على: عن، ل، م.
(٢) حكاية عنهم: +، ب، ي.
(٣) بقرة: +، ب، ي.
(٤) عليها: عليه، ل، م.
(٥) وقال: قال، ز.
(٦) خواره: خوار، ب، ل، م، ي.
(٧) فقالوا: قال، ز، ل.
(٨) فنسي: ونسي، ز، ل.
(٩) فيمن: فيم، ز، ل، م.
(١٠) والناسي: والثاني، ز، ل، م.
(١١) واختلفوا: ثم اختلفوا، ب، ل م.
(١٢) الله: +، ب، ي.
(١٣) حدوثه: حدوث، ل، م.
(١٤) أمر: من، ز.

الثاني: أنه من قول السامري والناسي موسى، ثم اختلفوا فقيل: نسي[1] موسى أنه إلهه، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والضحاك. وقيل: «فنسي» أي: ضل وأخطأ الطريق، وقيل: تركه هاهنا وخرج يطلبه، وقيل: فنسي موسى[2] ما أمره الله تعالى من مفارقة قومه إلى أن يوافي بهم موضع[3] الطور، وقيل: نسي موعد[4] قومه أنه يرجع إليهم على رأس ثلاثين يوماً.

ثم احتج عليهم فقال: «**أَفَلَا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً**» أي: لا يجيبهم ولا يكلمهم، وقيل: لا يعود إلى الخوار والصوت، والأول الوجه «**وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا**» أي: لا يقدر لهم على نفع ولا[5] ضر «**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ**» أي: قبل عود موسى إليهم «**يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ**» يعني شدد الله عليكم[6] التعبد، فاعلموا إلهكم واعبدوه ولا تعبدوا العِجل، عظةً ونصحاً، ويحتمل: فَتَنَكُمْ السامري وأضلكم «**وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي**» أي: اتبعوا أمري في عبادة الله ولا تتبعوا السامري في عبادة العجل.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ[7] أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ على أن للعبد فعلاً.

ويدل قوله: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ وقوله: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أنه لم يكن حياً.

وتدل على أن عبادة[8] الله تجب لإنعامه[9] وبِمِلْك الضر والنفع[10].

---

(١) نسي: فنسي، ب، ز، ي.
(٢) موسى: ـ ،ب، ز، ي.
(٣) موضع: ـ ،ب، ي.
(٤) موعد: وعد، ب، ي.
(٥) لا: +، ز.
(٦) عليكم: عليهم، ب.
(٧) فكذلك: وكذلك، ب.
(٨) عبادة: عباد، ل، م.
(٩) لإنعامه: بقائه، ز.
(١٠) الضر والنفع: النفع والضر، ز.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على أن[1] الشبهة وإن ضعفت يجب حلها؛ لأن الفتنة ربما وقعت عظيمة مع ضعف الشبهة، فلذلك حاج فيه تعالى، وإلا فالعلم بأن العجل ليس بإله لا يشكل على أحد.

وتدل على أن الضلال أوقعه فيما بينهم السامري[2]، وذلك يبطل قول من يقول: إن الله تعالى هو الذي أضلهم.

قوله تعالى:

﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝٩٤ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر: «**ألا تتبعني**» بإثبات الياء[3]، ونافع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ الباقون بحذفها، وقرأ أبو جعفر بفتح الياء[4] والباقون بسكونها.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو[5] وحفص عن عاصم: «**يابن أُمَّ**» بفتح الميم، والباقون بكسر الميم[6]، والكسر[7] على الإضافة لأنه بَنَى (ابْنَ) مع (أم)

---

(١) أن: ـ، ز.
(٢) الضلال أوقعه.. السامري: +، ب، ي.
(٣) الياء: بالتاء، ب، ي.
(٤) الياء: التاء، ب، ي.
(٥) عمرو: عمر، ل.
(٦) بكسر الميم: بكسرها، ب، ي.
(٧) والكسر: فالكسرة، ب، ي.

فجعلا بمنزلة اسم واحد باتصال[1] الثاني بالأول اتصال (خمسة عشر) إلا أن هذا تضمن[2] معنى[3] الواو؛ وذلك تَضَمَّنَ معنى اللام وكلاهما على تقدير الاتصال[4] بالحرف على جهة الحذف، ولم يجئ هذا النداء إلا في (ابن أم) و(ابن عم) لكثرة استعماله، قال الشاعر:

رِجَـالٌ ونِسْـوانٌ يَـوَدُّون[5] أَنَّـنِـي وإياك نَخْزَى[6] يا ابن عم ونُفْضَحُ[7]

وحذف الياء كقولك: يا غلام أقبل.

فأما الفتح فعلى تقدير: يابن أُمَّا، فحذف الألف، قال الشاعر:

يا بنتَ[8] عَمَّا لا تلومي واهجعي

يعني: يا بنت[9] عمي.

(١) باتصال: يتصل، ب، ي.
(٢) تضمن: تضمين، ز، ل، م.
(٣) معنى: ـ، ز.
(٤) الاتصال: الاصال، ز.
(٥) يودون: يريدان، ز؛ يردون، ل.
(٦) نخزى: ـ ،ب.
(٧) ونفضح: ونقبح. ز، ل، م. والبيت لجميل بثينة، انظر ديوانه، ط دار صادر، بيروت.
(٨) في ز، ل، م: يابن؛ والبيت لأبي الحسن علي بن محمد حريق المخزومي، وتكملته:
يـا ابـنـة عـمـا لا تـلـومي واهـجـعي لايـخـرق الـعـذل حـجـاب مـسـمـعي
ولا جـنـيـنـي فـاعـلـمـي بـمـتـبـعـي
انظر: ابن حريق حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، الطبعة الأولى ١٩٩٦.
(٩) يا بنت: يابن، ز، ل، م.

۞ اللغة

العكوف والإقامة واللزوم من النظائر، والعكوف: ملازمة الشيء، ومنه: الاعتكاف[1] في المسجد، وعكف يعكف عكوفاً، وهو[2] معتكف إذا أقام.

والرقيب: الحافظ والمنتظر، رَقَبْتُ[3] أَرْقُبُ رِقْبَةً ورقْبَاناً إذا انتظرت، والمَرْقَبُ المكان العالي الذي يقف عليه الرقيب، ومنه: الرقبى والعمرى، وقيل: هما واحد، وقيل: الرُّقْبَى فاسد، والعُقْبَى جائز، والفرق بينهما أن الرقبى أن يقول: أيهما مات أولاً فالدار لصاحبه، فهذا تعليق ملك بحظر، فلا[4] يجوز، والعمرى أن يقول: وهبت داري لك وسلمها إليه وإن مِتَّ قَبْلي[5] رَجَعَتْ إليّ، فإنه[6] تصح الهبة ويبطل الشرط، وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه، ومنه: أرقبت[7] فلاناً داري.

۞ المعنى

ثم بين تعالى ما نهاهم هارون ومخالفتهم له، واعتذاره[8] إلى موسى، فقال سبحانه: «**قَالُوا**[9]» يعني الذين عبدوا العجل «**لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ**[10]» أي: لن نزال «**عَلَيْهِ**[11]» على العجل وعبادته «**عَاكِفِينَ**» أي: مقيمين لا نفارق ذلك «**حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**» فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً[12]، فلما رجع موسى عليه السلام وهو

---

(١) الاعتكاف: الاعكاف، ز.
(٢) وهو: فهو، ز.
(٣) رقبت: رقيب، ب، ز، ي.
(٤) فلا: ولا، ي.
(٥) قبلي: ـ، ل.
(٦) فإنه: ـ، ب، ي.
(٧) أرقبت: أرقب، ز.
(٨) واعتذاره: واعتذارهم، ز، ل، م.
(٩) قالوا: ـ، ز.
(١٠) عليه: +، ز.
(١١) عليه: ـ، ب، ي.
(١٢) ألفا: ألف، ب، ي.

ممتلئ[1] غيظاً منهم ومن عبادة[2]العجل، وسمع الصياح والجلبة، وكانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدفوف والمزامير، فقال موسى[3]: هذا صوت الفتنة واستقبله[4] هارون عليه السلام فألقى الألواح وأخذ يعاتب هارون فـ«**قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلاَّ تَتَّبِعَنِي**» قيل[5]: هلا تتبعني[6] بمن[7] أقام على إيمانه، عن ابن عباس. وقيل: هلا تتبعني في شدة الزجر عن الكفر، عن ابن جريج. وقيل: هلا قاتلتهم إذ علمت أن لو كُنْتُ فيهم لقاتلتهم، وقيل: هلا لحقت بي حين رأيتهم ضلوا قبل استحكام الأمر، وقيل: هلا تبعت أمري ووصيتي، وقيل: ما منعك من اتباعي ومفارقتهم فِرَاق مغاضب؛ فيكون مفارقتهم توبيخاً[8] لهم وزجراً عن فعلهم.

ومتى قيل: ما معنى قوله: «**ألا[9] تتبعني**»؟

قلنا: قيل: صلة[10]، وتقديره: ما منعك بدعائي[11] لك ألا[12] تتبعني، فدخل (**ألا**)[13] لتبيين[14] هذا المعنى.

«**أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**» فيما أمرتك به[15].

ويقال: ظاهر الآية يقتضي أنه أمره باللحاق به[16] فخالفه هارون.

(١) ممتلىء: مملى، ب، ل، م، ي.
(٢) عبادة: عبادتهم، ز.
(٣) موسى: السبعون، ب، ي.
(٤) واستقبله: فاستقبله، ز.
(٥) قيل: ـ، ب، ي.
(٦) هلا تتبعني: ـ، ب، ي.
(٧) بمن: ثم، ز.
(٨) توبيخاً: توبخاً، ل؛ لوبيخا، م.
(٩) ألا: لا ألا، ب، ألا ألا، ي.
(١٠) صلة: أصله، ز، ل، م.
(١١) بدعائي: بدعائه، ب، ي.
(١٢) ألا: أن، ب، ي.
(١٣) ألا: لا، ب، ي.
(١٤) لتبيين: ـ، ب، ي.
(١٥) به: ـ، ز، ل.
(١٦) به: ـ، ب.

قلنا[١]: أمره بذلك بشرط المصلحة، ورأى هارون الإقامة أصلح، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب[٢]، وقيل: لم يُؤْمَرْ بذلك وأمر بمجاهدتهم وزجرهم عن القبيح.

ويقال: لم بدأ هارون باللائمة؟

قلنا: إنما عاتبه واللوم متوجه على القوم، فأما هارون فلم يتوجه عليه[٣] لوم، وأَمْرُهُ بمفارقتهم لوم لهم، وقيل: موقع الذنب ممن عظمت رتبته أعظم، فلما كان هارون أَجَلَّ مَنْ خَلَّفَهُ خصه باللائمة، وهذا إن ثبت له ذنب، فأما هارون فبريء الساحة، والأول الوجه[٤].

«قَالَ» هارون «يَبْنَؤُمَّ» قيل: كان أخاه[٥] لأبيه وأمه فذكر الأم استعطافاً، وقيل: بل كان أخاه لأمه، والأول الوجه، ومن قال: إنه أضافه إلى الأم لتحقيق النسب منها لا يصح؛ لأن موسى منزه عن ألا يضيفه[٦] إلى أمه وهذا سوء ثناء على الأنبياء[٧] «لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي» قيل: معناه لا تفرط في توبيخي ولومي، والذي في القرآن أنه[٨] أخذ برأس أخيه يجره إليه، وقيل: إنه أخذه[٩] على وجه التشكي[١٠] كما يفعله المحزون بأخيه، ولم يفعله استخفافاً؛ لأن الاستخفاف بالأنبياء كُفْرٌ، فقال: لا تأخذ، فيراك بنو إسرائيل فيظنون أنك واجد علي، وإنما كان غضبه عليهم، وقيل: كانت العادة جارية في القبض عليها في ذلك الزمان كالعادة في زماننا في القبض على

---

(١) قلنا: فلما، ب، ي.
(٢) الغائب: ـ ،ب، ي.
(٣) عليه: إليه، ز.
(٤) والأول الوجه: والوجه الأول، ب، ي.
(٥) أخاه: أخاً، ب، ي.
(٦) عن أن ألا يضيفه: عن أن يضيفه، ز، ل، م؛ أن لا يضيفه، ب، ي.
(٧) لا يصح... الأنبياء: ـ ، ز.
(٨) أنه: +، ب، ي.
(٩) أخذه: أخذ، ب، ي.
(١٠) التشكي: التسلي، ب، ي.

العضد[1] والمعانقة، وذلك مما يختلف بالأزمنة، وقيل: إنه أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على رأسه ولحيته لأنه لم[2] يتهمه وعلم عصمته كما لا يتهم[3] نفسه، وقيل: أخذه مبالغة في تأديبه؛ لأنه أخوه الأكبر، والغضب في أمر الله، وطريقته[4] تقتضي أدبه[5] وإن كان صغيراً، وهذا لا يصح؛ لأنه لم يوجد من هارون ذنب ألبتة.

ومتى قيل: فلم قال: ﴿فَلَا[6] تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]؟

قلنا: من رأى ذلك لعلة توهم أنه غضب عليه فنهي عنه لإزالة الإيهام.

ثم بيّن هارون عليه السلام عذره في مقامه، فقال سبحانه حاكياً عن هارون[7] «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعني لو[8] فارقتهم أو قاتلتهم[9] لصاروا أحزاباً، حزباً يلحق بموسى ومن[10] معه، وحزبا يقيم مع السامري على[11] عبادة العجل، وحزبا يبقى على الشك، وقيل: خشيت من العنف أن يتفرقوا أحزاباً فيقتل بعضهم بعضاً، وقيل: لو فارقتهم لكان عَبَّاد العجل يقتلون المؤمنين «**وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**» أي: لم تحفظه، عن ابن عباس. يعني قال هارون لموسى: خشيت إن فارقتهم أو جاهدتهم أن يتفرقوا أحزاباً[12]، ثم تقول: ما حفظت وصيتي إياك، حين[13] قلت:

---

(١) العضد: اليد، ب، ي.
(٢) لأنه لم: لا بأنه. ز، ل، م.
(٣) يتهم: يأتهم، ل، م.
(٤) وطريقته: فطريقه، ظ، ل، م.
(٥) أدبه: إذنه، ب، ل، م، ي.
(٦) فلا: ولا، ل، م.
(٧) عليه السلام عذره... هارون: +، ب، ي.
(٨) لو: +، ب، ي.
(٩) قاتلتهم: وقاتلتهم، ز، ل، م.
(١٠) ومن: ـ، ب، ي.
(١١) على: +، ب، ي.
(١٢) فيقتل بعضهم... أحزاباً: +، ب، ي.
(١٣) حين: +، ب، ي.

﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وقيل[١]: لم تحفظ قولي[٢] في الاعتذار أن لو تفرقوا، ولما ظهر براءة ساحة هارون، وبين العذر في الإقامة، وعلم أن الذنب للسامري أقبل عليه هو يخاطبه[٣] فـ «**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ**» أي: ما شأنك، وما دهاك[٤]، وما دعاك إلى ما صنعت، والخطب أصله الأمر العظيم، كأنه قيل: ما هذا العظيم الذي أحدثت وما حملك عليه.

الأحكام

يدل قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾ الآية أن الواجب عند وقوع الفتنة البدار إلى التلافي[٥] بما أمكن، ولهذا بادر أبو بكر يوم السقيفة إلى تلافي الفتنة بتعجيل البيعة بإقامة[٦] إمام الأمة، ولا فتنة أعظم[٧] من ردة العرب، وظهور النفاق، ومحاولة الأنصار ببيعة سعد مع ما سبق من موت النبي ﷺ، فلولا أنه بادر إلى تلافيه وأجرى الله تعالى ذلك على يديه وإلا كانت ثُلْمَة عظيمة في الإسلام.

وتدل على[٨] أن للنبي[٩] ﷺ أن يجتهد ويراعي المصلحة ولذلك قال: ﴿خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، فإنه لما خاف زيادة الفتنة بالمفارقة وكان قوله الأصوب والأصلح كما أن أبا بكر لما رأى من المصلحة المبادرة إلى البيعة كانت الأصلح.

(١) وقيل: ـ، ل.
(٢) قولي: +، ب، ي.
(٣) يخاطبه: موبخاً، ب، ي يخا، ز.
(٤) ومادهاك: +، ب، ي.
(٥) التلافي: التلاقي، ز.
(٦) بإقامة: فإقامة، ل.
(٧) أعظم: +، ب، ي.
(٨) على: +، ب، ي.
(٩) للنبي: النبي، ز، ل، م.

وتدل على عظيم هيبة موسى في قلوبهم حيث توقفوا[1] عند رجوعه[2] وتركوا عبادة[3] العجل عند نهيه.

وتدل على أن كون النبي بين أمته قد يكون لطفاً في التوحيد فلذلك[4] لما رجع موسى تركوا العجل[5].

وتدل على أن هارون وإن كان شريكاً لموسى في النبوة فإنه كان كالتابع[6] وموسى كالمتبوع؛ لأن كلامه كلام متبوع، وكلام هارون[7] كلام الأتباع في جميع ما دار بينهما من الكلام.

ويدل قوله: ﴿فَمَا[8] خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ على عظيم ذنبه، فلذلك وبخه.

ففي[9] الآية دلالة على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم من[10] وجوه:

منها: قوله ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾.

ومنها: معاتبة هارون إياهم[11].

ومنها: معاتبة موسى إياه في ترك الاتباع.

ومنها: قوله: «فرقت» فلو[12] كان التفريق خلق الله سبحانه لاستوى كونه بينهم وعدم كونه.

---

(١) توقفوا: توقعوا، ب، ز، ي.
(٢) رجوعه: روحه، ل، م.
(٣) عبادة: ـ، ب، ي.
(٤) فلذلك: ولذلك، ب، ي.
(٥) العجل: الكفر، ب، ي.
(٦) كالتابع: كالتبع، ب، ي.
(٧) هارون: موسى، ل، م.
(٨) فما: ما، ب، ز، ل، م، ي.
(٩) ففي: وفي، ب، ل، ي؛ في: ز.
(١٠) من: ـ، ز.
(١١) إياهم: أيامهم، ب.
(١٢) فلو: ولو، ب، ز، ي.

ومنها: قوله: «**ما خطبك**» إذ لو كان كما قالوا لقال: خطبي ما خُلِقَ فيّ وخُلِقَ[1] فيهم.

قوله تعالى:

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

القراءة

قرأ «**تبصروا**» بالتاء المعجمة من فوق على الخطاب لهم: حمزة والكسائي والأعمش ويحيى بن وثاب، وقرأ الباقون بالياء[2] غير معجمة من فوق على الخبر عنهم.

وقراءة العامة: «**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً**» بالضاد معجمة من فوق، وعن الحسن بالصاد غير معجمة: أخذها[3] على الكف، وبالضاد[4]: أخذها[5] بأطراف الأصابع، ومنه حديث بلال لما أتي بتمر[6] فجعل يحثي قبضاً قبضاً، وهو جمع قُبْضَة بضم القاف، والقراءة: «**قَبْضَةً**» بفتح القاف على المرة الواحدة، وقُرِئَ بضمها مقدار ما يقبض به، ونظيره: الغَرفة والغُرفة بالفتح[7] الفعلة، وبالضم لما يغرف به.

---

(١) خلق: +، ز.
(٢) بالياء: بالتاء، ز.
(٣) أخذها: وأخذهما، ز؛ وأخذها، ل، م.
(٤) وبالضاد: وبالصاد، ي.
(٥) أخذها: أخذهما، ز.
(٦) بتمر: بتمرة، ز.
(٧) بالفتح: فبالفتح، ب، ي.

قرأ أبو جعفر وأبو عمرو[١] وحمزة والكسائي: «**فنبذتها**» بإدغام الذال في التاء[٢] لقرب المخرج، والباقون بإظهاره[٣] على الأصل.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**لن تخلفه**» بكسر اللام وهو قراءة الحسن وقتادة و[٤] **أبو جعفر**: «**لنُحَرِّقَنه**» بضم النون وفتح القاف والتشديد، وعن أبي جعفر وأشهب العقيلي: «**لنَحْرُقنه**» بفتح النون وضم الراء[٥] خفيفة من الإحراق[٦] بالنار أيضاً، يقال: أحرقت وحرقت بمعنى[٧] تممت[٨] وأتممت[٩]، وعلى هذا حمل بعضهم قراءة العامة أنه الإحراق مرة بعد مرة، وتصديقه ما روي عن ابن عباس: (حَرَّقَهُ[١٠] بالنار ثم ذراه في اليم)، وقيل: في قراءة العامة معناه: لنُبْرِدَنَّهُ بالمِبْرَدِ، يقال: حَرَقَهُ[١١] أَحْرُقُهُ، وأَحْرِقُهُ حرقاً: وبَرَدَهُ بالمبرد وأصله الحرق بالنار، فيسمى[١٢] ما يبرد[١٣] بالمبرد[١٤] لأنه يقطع كما يقطع[١٥] المحرق بالنار، ودليل هذا التأويل ما روي عن السدي أن موسى عليه السلام أخذ العجل وبرده بالمبرد ثم ذراه في اليم، وعن[١٦] ابن عباس[١٧]: لنذبحنه (ثم لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً).

---

(١) وأبو عمرو: وابن عمر، ل.
(٢) في التاء: ـ، ب، ي.
(٣) بإظهاره: وبإظهار، ب، ي؛ بإظهارها، ز.
(٤) و: +، ب، ي.
(٥) الراء: القاف، ب، ي.
(٦) الاحراق: الاحتراق، ز.
(٧) بمعنى: يعني، ز، ل، م.
(٨) تممت: الممت، ز؛ أتممت، ل.
(٩) أتممت: وتممت، ل.
(١٠) حرقه: حرقته، ب؛ يحرقه، ز، ل، م.
(١١) حرقه: ـ، ز.
(١٢) فيسمى: فسمي، ب، ز، ي.
(١٣) يبرد: ما برد، ز.
(١٤) بالمبرد: ـ، ل.
(١٥) يقطع: +، ب، ي.
(١٦) وعن: عن، ز.
(١٧) ابن عباس: مسعود، ب، ز، ي.

اللغة

سَوَّلْتُ له الشيء: زينته، وهو مأخوذ من السَّوَلِ، وسواءٌ[1] ذلك وطاوعتني نفسي.

والمس: مصدر مَسِسْتُ بكسر السين أَمَسُّ بفتح الميم، واجاز[2] بعضهم مَسَسْتُ بفتح السين، أَمُسُّ بضم الميم، والممسوس الذي مُسَّ.

ظَلْتَ: أصله ظَلِلْتَ، حذفت اللام المكسورة للتخفيف وكراهة التضعيف، وللعرب فيه مذهبان: فتح الظاء وكسرها، فمن فتحها تركها على حالها، ومن كسر نقل حركة اللام إليها للإشعار بأصلها، نحو: مِسْتُ ومَسْتُ من مَسِسْتُ، وهِمْتُ وهَمْتُّ من هَمِمْتُ.

ويقال: نَسَفْتُ الشيء ذرّيته، والنسف أصله القطع، يقال: نسف البعير برجله نسفاً إذا ضرب بمقدم رجله، ونسفت البناء قلعته[3] من أصله، ونسف فلان الطعام بالمِنْسَفِ إذا ذراه ليطير عنه قشوره.

الإعراب

(بَصُرْتُ) لا يتعدى، و(رأيت)[4] يتعدى[5]، وقد عَدَّاهُ هاهنا بالياء.

«لاَ مِسَاسَ» نصبه بـ (لا) كقولك: لا رجلَ[6]، وتقول: لا مَسَاسِ نحو نَزَالِ، قال: لا مماسة.

---

(١) في ز، ل، م: وسول.
(٢) وأجاز: واختار، ز، ل، م.
(٣) قلعته: +، ب، ي.
(٤) رأيت: +، ب، ي.
(٥) يتعدى: يتعداني، م.
(٦) لا رجل: لأي رجل، ز.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما أتى به السامري، وما فعل بالعجل، فقال سبحانه: «**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا**» قيل: قبضت قبضة من تراب من أثر قدم جبريل فنبذتها في العجل «**وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**» أي: زينت لي نفسي[١]، وقيل: حدثتني نفسي، عن ابن زيد.

ومتى قيل: كيف كان[٢] حديث العجل؟ وما الذي قبض؟

فجوابنا: فيه خلاف، قيل: قُلِبَ[٣] لحماً ودماً، عن الحسن، وأبي بكر أحمد[٤] بن علي، قال: وكان معلوماً في ذلك الزمان أن[٥] من قبض من أثر الرسول قبضة فألقاها على جماد أنه يصير حيواناً، فكانت العادة جارية بذلك، ففعل ذلك السامري فأخرج عجلاً.

وقيل: سولت له نفسه ما لا حقيقة[٦] له، وإنما صاغ عجلاً وجعل فيه خروقاً إذا دخلها[٧] الريح سمع له خوار، عن أبي علي. فَمَوَّهَ[٨] ودلس على العامة[٩] تسويفاً[١٠] بأنه رأى[١١] أثر[١٢] قدم جبريل وأنه قبض من ذلك قبضة، وأنه إذا ألقي على الجماد صار حيواناً، وذلك كذب منه، وأراد بذلك تعظيم العجل عندهم.

وقيل: مر به هارون عليه السلام وهو يصوغ العجل، فسأله عنه، فقال: شيء أفعله

---

(١) أي: زينت لي نفسي: ـ، ز.
(٢) كان: ـ ب، ز، ي.
(٣) قلب: قلت، ز.
(٤) أحمد: وأحمد، ل.
(٥) أن: +، ب، ز، ي.
(٦) مالا حقيقة: بلا حقيقة، ز، ل، ي.
(٧) دخلها: دخلتها، ب، ي.
(٨) فموه: فمنوه، ز.
(٩) العامة: العاه، م.
(١٠) تسويفاً: تسوفاً، ب، ي.
(١١) بأنه رأى: رأى أنه، م.
(١٢) أثر: +، ب، ي.

مصلحة لقوم، ادع الله[1] أن يتم ذلك، فدعا فحيي بدعائه، وهذا جهل عظيم؛ لأن النبي لا يدعو إلا بإذن الله تعالى، ولا يؤذن في مثل هذا، ولا يدعو لمسألة[2] السامري، والله تعالى لا يحيي ما هو فتنة لأقوام.

وقيل: معناه علمت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وهم لم يعلموا، وقد كنت قبضت[3] قبضة من أثرك أيها الرسول، أي: علمت علماً قليلاً وديناً قليلاً من سنتك وطريقتك ثم نبذتها وانسلخت منها لا بدليل «**وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**» أي: دعتني إلى ذلك، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: ما الذي[4] حملهم على قبول قوله في العجل مع رؤيتهم المعجزات وكون نبي بينهم؟

قلنا: الجهل بالله، واعتقاد التشبيه، ومن اعتقد أنه تعالى جسم لا ينكر منه مثل هذه الأباطيل؛ ألا ترى أن الحنابلة والمشبهة لما اعتقدوا أنه جسم جوزوا عليه الذهاب والمجيء[5] والركوب والصورة والأعضاء، والكرامية لما اعتقدوا أنه في جهة جوزوا حلول[6] الأعراض فيه. وهكذا يكون كل ضالّ[7] يعتقد شيئاً فيؤديه[8] إلى ضلالات جمة، وقيل: إنهم اعتبروا بخواره[9] ولم يعلموا أنه حيلة منه لجهلهم وقلة تفكرهم.

«**قَالَ**» له موسى «**فَاذْهَبْ**[10] **فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ**» أي: ما

---

(1) الله: +، ب، ي.
(2) لمسألة: المسألة، ز، ل، م.
(3) قبضت: ـ، ب، ي.
(4) الذي: +، ب، ي.
(5) الذهاب والمجيء: المجيء والذهاب، ب، ز، ي.
(6) حلول: طول، ز، ل، م.
(7) ضال: ضال له، ل، م؛ ضلال له، ز.
(8) فيؤديه: فيؤدي، ب، ي.
(9) بخواره: الخواره، ز، ل، م.
(10) فأذهب، ـ، ز.

دمت حياً تقول[1] لا مساس أي: لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ، أي: لا تخالط[2] أحداً ولا يخالطك أحداً، وكان موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل ألا[3] يواكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه، وقيل: كان موسى عليه السلام أمر بالمباعدة من المخالفين وترك مخالطتهم، وقيل: حرم موسى كلامه ومخالطته على قومه فتوحش، وقيل: إن الله تعالى نَفَّرَ طبعه حتى مات جائعاً عطشان[4]، وقيل: ألقيت هذه الكلمة على لسانه فكان يعدو[5] في الفيافي ويقول[6]: لا مساس. «**وَإِنَّ لَكَ**» يا سامري «**مَوْعِدًا**» لعذابك وهو[7] الحشر «**لَنْ تُخْلَفَهُ**» أي: لا تخالف ذلك الموعد، وبكسر اللام سَتَحْضُرُهُ[8] ولن تجاوزه «**وَانظُرْ**[9]» **يا سامري** «**إِلَى إِلَهِكَ**» أي[10]: الذي اتخذته[11] إلهاً بزعمك «**الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**» قيل: أقمت[12] على عبادته ودُمْتَ «**لَنُحَرِّقَنَّهُ**» بالتشديد أي: نحرقنه[13] بالنار مرة بعد مرة، وبالتخفيف لنحرقنه بالنار مرة واحدة، وبضم الراء لنَبْرُدَنَّهُ[14]، وقد بينا ذلك «**ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**[15]» **لنذرينه في البحر** «**نسفاً**» نَذْراً، وقيل: أحرقه حتى صار رماداً ثم ذراه في البحر، عن ابن عباس. وإنما فعل ذلك إزالة للشبهة عن قلوب العامة.

---

(١) لا مساس . . . تقول: ـ ، ب، ي.
(٢) تخالط: يخالط، ب؛ أخالط، ز، ل، م.
(٣) ألا: ـ ، ي.
(٤) عطشان: عطشاناً، ب، ي.
(٥) يعدو: يعدي. ب، يغدوا، ز؛ يغدي، ي.
(٦) ويقول: ويول، ز.
(٧) وهو: وهذا، ز.
(٨) ستحضره: تحتضره، ز.
(٩) وانظر: انظر، ز، ل.
(١٠) أي: +، ب، ي.
(١١) اتخذته: اتخذه، ب، ي.
(١٢) أقمت: أدمت، ز.
(١٣) نحرقنه: نحرقه، ب، ي.
(١٤) لنبردنه: الدال لنبرقنه، م؛ الذال لنبردنه، ز.
(١٥) نسفا: ـ ، ب، ي.

فلما بَيَّنَ[(١)] استحالة كون الجسم إلهاً[(٢)] بَيَّنَ مَنْ الذي يجب عبادته واتخاذه إلهاً، فقال سبحانه: «**إِنَّمَا إِلَهُكُمُ**» خالقكم والمنعم عليكم[(٣)] المستحق للعبادة هو «**اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**» أي: يعلم كل شيء، وهو لفظ عجيب في الفصاحة.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ أن للعبد فعلاً، وكذلك قوله: «**قبضت**» و(**نبذت**).

وتدل على أن قوله: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ عقوبة له، فإما أن يكون أَمَرَ بمجانبته، أو جعل يهيم في البرية مع الوحش والسباع على ما قاله أبو علي.

ويدل قوله: ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةً﴾ مع ترك الإنكار أن الأمر كما قال.

فأما من حمله على[(٤)] أن الرسول موسى والقبضَ العلمُ والدينُ[(٥)] بخلاف الظاهر وخلاف قول المفسرين، ولحقيقة[(٦)] القبض والنبذ، ولا يبعد أن يكون ذلك[(٧)] لعادة جرت؛ كخلق الولد في الزنا، واستحالة العصير خمراً عند الادخار، ونحو ذلك.

ويدل قوله: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أنه أحرقه بالنار، فيكون معجزة لموسى[(٨)].

وتدل على أن للمحق إبطال مذهب المخالف، ثم بيان مذهبه كما فعله موسى عليه السلام.

وتدل على أن المعدوم يسمى شيئاً؛ لأنه معلوم.

---

(١) بين: تبين، ب، ي.
(٢) إلها: القاء، ز.
(٣) والمنعم عليكم: +، ب، ز، ي.
(٤) على: ـ، ب، ي.
(٥) والدين: والذي، ز.
(٦) ولحقيقة: فلا حقيقة، ز، ل، م؛ ولأن حقيقة، ب، ي.
(٧) ذلك: كذلك، ز، ل، م.
(٨) لموسى: له، ب، ز، ي.

قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو وحده: «نَنْفُخ» بالنون لقوله: «ونحشر»، وقرأ الباقون على ما لم يُسَمَّ فاعله.

الوِزْرُ[١] أصله الثقل، ومنه سمي الذنب وزراً.

اللغة

الزَّرَقُ: في[٢] العين وغيرها معروف، وسميت الأَسِنَّةُ زُرْقاً للونها[٣]، قال ابن السكيت: يقال: أزرق بَيِّن الزَّرَقِ إذا كان شديد[٤] الصفاء، والزَّرَقُ: العمى.

واللبث: الإقامة. والقاع: الأرض المستوية، وجمعه: قِيَعَةٌ وقِيعانٌ، يقال: قاع وقيعة، نحو جَارٍ وجِيرَةٍ، وأصل القاع الواو، ولذلك يصغر قُوَيْع، قال الفراء: القاع[٥] مستنقع الماء، وجمعه: أقواع.

والصَّفْصَفُ: المكان المستوي كأنه على صف واحد.

---

(١) الوزر: والوزر، ب، ي.

(٢) في: +، ب، ي.

(٣) للونها: ـ، ل؛ لكونها، ز.

(٤) شديد: شد، ل، م.

(٥) القاع: ـ ،ب، ي.

والأَمْتُ: الاعوجاج، ويقال[1]: ما بها[2] أَمْتٌ، أي: اعوجاج.

الإعراب

يقال: لِمَ دخل الفاء في قوله: ﴿فَقُلْ[3] يَنسِفُهَا رَبِّى[4]﴾ ولم يدخل في أخواتها في القول؟

قلنا: لأن السؤال هناك قد تقدم، وهاهنا لم يتقدم.

ويقال: ما فاعل «ساء[5]»؟

قلنا: مضمر، تقديره[6]: ساء الحمل حملاً، فاستغنى بالمظهر عن إظهار المضمر، ونظيره: بئس رجلاً، أي: بئس الرجل رجلاً.

ويقال: لِمَ[7] قال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ﴾ فَوَحَّدَ، ثم قال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فَجَمَعَ؟

قلنا: لأن (مَنْ) اسم مبهم[8] يقع على الواحد والجمع.

﴿خَٰلِدِينَ﴾ نصب على الحال. «طَرِيقاً» نصب على التمييز.

نصب قوله: «يوماً» لأنك سَمَّيْتَ[9] الفاعل.

المعنى

ثم ذكر تعالى من أنباء الرسل تسلية للنبي ﷺ، وعقبه بالوعيد[10] وذِكْرِ القيامة، فقال سبحانه: «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ» أي: كما[11] قصصنا عليك

---

(١) ويقال: يقال، ب، ز، ي.
(٢) ما بها: ماتها، ز.
(٣) فقل: ـ ، ل.
(٤) ينسفها ربي: ـ ،ب، ي.
(٥) ساء: حملاً، ز، ل، م.
(٦) تقديره: وتقديره، ز.
(٧) لم: لمن، ز.
(٨) اسم مبهم: اسمه، ز، ل، م.
(٩) لأنك سميت: لايسد وسميت، ز، ل، م.
(١٠) بالوعيد: بالتوعيد، ز، ل، م.
(١١) كما: +، ب، ي.

من أخبار موسى وبني إسرائيل نقص عليك[١] من أخبار الأمم والأمور المتقدمة «**وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا**[٢]» أي: أعطيناك من عندنا «**ذِكْراً**» يعني القرآن؛ لأن فيه ذِكْرَ كل ما تحتاج إليه من أمور[٣] الدين «**مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ**» أي: من أدبر عن القرآن، فلم يعمل بما فيه ولم يؤمن به «**فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا**» قيل: إثماً، عن مجاهد. وأصله الثقل، أي[٤]: يشق عليه حمله؛ لما فيه من العقوبة، كما يشق حَمْلُ الثقيل، يعني قد عمل عملاً يشق عليه جزاؤه، ولأن[٥] الذنوب ألوان[٦] وحركات لا يصح فيه الحمل «**خَالِدِينَ فِيهِ**» أي: في عقابه وجزائه، وهو الخلود في النار «**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**» قيل: هو[٧] جمع صورة، يعني كل صورة ينفخ فيه الروح فيكون حياً بإذن الله تعالى، وقيل: إنه قرن ينفخ فيه[٨] النفخة الثانية ليقوم الناس من قبورهم للجزاء «**وَنَحْشُرُ**» نجمع «**الْمُجْرِمِينَ**» قيل: الكافرين، وقيل: المذنبين «**يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**» قيل: زرق الأعين من شدة العطش، وقيل: عمياً، وقيل: شُوهِ الخَلْقِ، وجوههم[٩] سود، وأعينهم زرق، وقيل: أعينهم بيض لا سواد فيها «**يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ**» أي: يتشاورون، عن ابن عباس، وقتادة. يعني يكلم بعضهم بعضاً خفية وسراً، إما للخوف أو للحسرة[١٠] أو لخوف الفضيحة «**إِنْ لَبِثْتُمْ**» قيل[١١]: في الدنيا، وقيل: في القبر «**إِلاَّ عَشْرًا**» يعني عشر ليال، قيل: من شدة ما يرون من هول ذلك اليوم[١٢] ينسون[١٣] لبثهم في الدنيا،

---

(١) عليك: +، ب، ي.
(٢) ذكرا: +، ز، ل، م.
(٣) أمور: أمر، ل، م.
(٤) أي: الذي، ب، ي.
(٥) ولأن: لأن، ب، ي.
(٦) ألوان: أكوان، ب، ي.
(٧) هو: +، ب، ي.
(٨) فيه: +، ب، ي.
(٩) وجوههم: فوجوههم، ب، ي.
(١٠) للحسرة: الحسرة، ب، ي.
(١١) قيل: ـ ، ل.
(١٢) إلا عشرا... اليوم: +، ب، ز، ي.
(١٣) ينسون: يلبثون، ل، م.

فيقولون هذا القول تقليلاً[1]، وقيل: يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم كأنهم كانوا نياماً فانتبهوا.

ومتى قيل: كيف قالوا ذلك وعندكم لا يكذبون في الآخرة؟

فجوابنا: فيه قولان:

أولهما: قالوه تقليلاً[2]، ولم يريدوا العدد، كمن يقول لمن أصابه محنة لأمر سبق منه: هذا جزاء يوم أو يومين.

وثانيهما[3]: أنه أراد في ظننا.

«نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً» قيل: أشبههم طريقة بأهل العقل، فكأنه قيل: أوفرهم عقلاً وأصوبهم رأياً **«إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا»** قيل: قصر ذلك في أعينهم لما عاينوا العذاب، وقيل: إلا يوماً بعد انقطاع عذاب القبر عنهم، عن أبي علي.

ثم بيّن أن منكري البعث يسألونك[4] عند ذكر القيامة عن الجبال ما حالها، فقال سبحانه: **«وَيَسْأَلُونَكَ[5]» قيل[6]: سئل[7] عنها، وقيل: لم يُسْأَلْ بعد، ولكن بين تعالى أنه متى سُئِلَ يَجِبُ أن يقول: «فَقُلْ»** يا محمد **«يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا»** قيل: يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها[8] كتذرية الطعام من القشور والتراب، ولا[9] يبقى على الأرض منه شيء، وقيل: يقلعها ثم يذريها **«فَيَذَرُهَا»** أي: يدع الأرض، كناية عن غير مذكور، كقوله تعالى[10] ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]، عن أبي مسلم. وقيل: أراد مكان الجبال، أي: يترك[11] موضعها، عن أبي علي. فإنه[12] يظهر عند

(١) تقليلا: +، ب، ز، ي.
(٢) تقليلا: تعليلاً، ز، ل، م.
(٣) وثانيهما: وثانيها، ز، ل، م.
(٤) يسألونك، يسألون، ل، م.
(٥) ويسألونك: ويسألون، ز، ل، م.
(٦) قيل: ـ، ب، ي.
(٧) سئل: +، ب، ي.
(٨) فتفرقها: فيفرقهما، ب.
(٩) ولا: فلا، ب، ي.
(١٠) تعالى: ـ، ب، ي.
(١١) يترك: ترك، ب، ي.
(١٢) فإنه: فكأنه، ل.

قلعها أرض[١] ملساء مستوية «**قَاعًا**» أي: أرضاً منكشفة[٢]، عن أبي علي. وقيل: القاع الأرض الملساء المستوية «**صَفْصَفًا**» أي: أرضاً مستوية ليس للجبل فيها أثر، والصفصف: المستوي الذي لا نبات فيه، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. «**لاَ تَرَى فِيهَا**» أيها السامع، وقيل: لا ترى يا محمد «**فيها**» في الأرض «**عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا**» قيل: عوجاً واديا[٣]، وأمتا رابية، عن ابن عباس، ومجاهد، وأبي علي. فالاعوجاج[٤] الأودية، والأمت الارتفاع والروابي، وقيل: الأمت رِقَّةُ موضع وغلظ موضع، وقيل: عوجاً صدعاً[٥]ولا أمتا» أَكَمَة، عن قتادة.

الأحكام

يدل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ[٦] نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ أنه إنما أخبر بهذه الأشياء ليعتبر به.

ويدل قوله: ﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ﴾ على أن من لم يعمل بالقرآن يستحق الوعيد.

وتدل على أنه في إعراضه أُتِيَ مِنْ قِبَلِ نفسه، فإنه تعالى فعل به ما هو أصلح.

وتدل على إثبات المعاد وحشر الخلق[٧]، والنفخ في الصور[٨]، وإنما خص المجرمين بالذكر؛ لأنه أراد بيان صفتهم، فخصهم بالذكر، وقيل: لأنه إذا حَشَرَ المجرمين مع جواز ألاّ يحشرهم عقلاً؛ لأن العقاب حق له؛ فبأن يَحْشُرَ[٩] المؤمنين والثواب حق لهم عليه أولى، وقيل: أراد وعيدهم.

---

(١) يظهر عند قلعها أرض: وقيل: القاع الأرض، ب.
(٢) منكشفة: ـ، ز.
(٣) واديا: +، ب، ي.
(٤) فالاعوجاج: الاعوجاج، ل.
(٥) صدعا: عرضاً، ز؛ صرعاً، ل.
(٦) كذلك: +، ب، ي.
(٧) ما هو أصلح... الخلق: ـ، ل.
(٨) الصور: الصورة، ب، ي.
(٩) يحشر: حشر، ز، ل، م.

وتدل[١] على صفة القيامة من نسف الجبال واستواء الأرض[٢].

قوله تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)﴾

۞ اللغة

قرأ ابن كثير: «**فلا يَخَفْ**» بالجزم على النهي، وقرأ الباقون: «**فلا يخاف**» بالرفع على الخبر.

۞ اللغة

الخشوع: الخضوع، قال الشاعر:

لَـمَّـا أَتَـى خَـبَـرُ الـزبـيـر تـهـدّمَـتْ   سور[٣] المدينة والجبالُ الخشَّعُ[٤]

والهمس: الصوت الخفي، همس بحديثه: أخفاه، قال الشاعر:

وَهُـنَّ يَـمْـشِـيـنَ بِـنَـا هُـمَـيْـسَـا[٥]

يعني صوت أخفاف الإبل.

---

(١) وتدل: +، ب، ز، ي.

(٢) على صفة... الأرض: ـ، ل.

(٣) سور: ستور، ل.

(٤) البيت لجرير وفي رواية لزيد الخيل الطائي:

لـمـا أتـى خـبـر الـزبـيـر تـواضـعـت   سـور الـمـديـنـة والـجـبـال الـخـشـع

انظر ديوان جرير ٢٧٠.

(٥) انظر تاج العروس، لسان العرب مادة: رفث.

عَنَتْ الوجوه: خضعت[1] وذلت، ومنه العاني: الأسير، وعَنَا وجهه[2] يَعْنُو عُنُواً خضع وذل، ومنه: أخذت الشيء عَنْوَةً أي: غلبة بِذُلِّ المأخوذ منه.

والهضم[3]: النقص، هضمني حقي أي: نقصه، وامرأة هضيم الحشا أي: ضامرة؛ لنقصانه عن حد غيره، ومنه: هضمت المعدة الطعام، أي: نقصته مع تغييرها له.

۞ الإعراب

(مِنْ) في قوله: «**من الصالحات**» قيل: زيادة للتوكيد، وتقديره: وَمَنْ[4] يعمل الصالحات، وقيل: للتبعيض، أي: يعمل بعض الصالحات؛ وهي الفرائض.

«**همساً**» نصب للاستثناء، كأنه قيل: تسمع همساً.

«**عِلْماً**» نصب على التمييز. «**هضماً**» نصب لأنه مفعول.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى صفة القيامة، فقال سبحانه: «**يَوْمَئِذٍ**» أي: يوم القيامة «**يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ**» يعني من يدعوهم إلى الموقف فيتبعونه، وذلك نحو قوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق:٤١]، وقيل: الداعي إسرافيل، وقيل[5]: يجوز ذلك و يكون[6] هو النفخ في الصور، عن أبي مسلم[7] لاَ عِوَجَ لَهُ[8]» أي: لا عوج[9] لدعاء الداعي، ولا يعدل عن

(١) خضعت: خشعت، ب، ي.
(٢) وجهه: +، ب، ي.
(٣) والهضم: وأن الهضم، ب، ي.
(٤) ومن: من، ب، ي.
(٥) وقيل: ـ، ز.
(٦) ويكون: +، ب، ي.
(٧) في الصور عن أبي مسلم: عن أبي مسلم، وقيل: هو من المقلوب، ب.
(٨) لا عوج له: ـ، ب.
(٩) أي لا عوج: أي لاعوج أي لاعوج، ب.

أحد؛ بل يحشرهم جميعاً، عن أبي مسلم. وقيل: هو من المقلوب[١]، أي: لا[٢] عوج لهم عن دعائه، وأنهم[٣] يتبعون سراعاً لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، عن أبي علي. «**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ**» قيل: سكنت الأصوات له، فوصف الأصوات[٤] بالسكون[٥] لخشية[٦] الله تعالى وهيبته ذلك اليوم «**فَلَا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا**»، عن أبي مسلم. وقيل: صوت الأقدام، عن ابن عباس، وابن زيد. وقيل: أخفى الكلام، عن مجاهد. وقيل: إن الأصوات العالية بالأمر والنهي في الدنيا تنخفض ويذل أصحابها فلا تسمع منهم[٧] إلا الهمس «**يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ**» يعني شفاعة الملائكة والأنبياء، أنهم لا يشفعون «**إِلاَّ مَنْ**[٨] **أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ**» قيل: أذن له في[٩] أن يشفع، عن أبي علي. «**وَرَضِيَ**» المشفوع له قولا، وقيل: «**أذن**» أي: سمع في الدعاء دعاه ورضي قوله، عن أبي مسلم. «**وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**[١٠]» والرضا كلمة الحق «**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**» الكناية ترجع إلى الذين يتبعون الداعي، يعني يعلم منهم جميع أفعالهم وأقوالهم، وقيل: يعلم[١١] أحوالهم قبل[١٢] خلقهم وبعد أن خلقهم، وما كان في حياتهم وبعد مماتهم، لا يخفى عليه شيء من أمورهم تقدم أو تأخر، عن أبي مسلم. وقيل: يعلم ما لم يعلموه، وما سيعلمونه، وما عَلِمُوهُ، وما نَسَوْهُ، وقيل: يعلم ما بين أيديهم من أحوال الآخرة، وما خلفهم من أحوال الدنيا، وقيل: يعلم ما

---

(١) المقلوب: المقلو، ز.
(٢) أي لا: لأن أي، ز.
(٣) وأنهم: +، ل.
(٤) الأصوات: الصوت، ب، ي.
(٥) بالسكون: (بالكسوت)، ز.
(٦) لخشية: خشية، ز، ل.
(٧) منهم: +، ب، ي.
(٨) إلا من: لمن، ز.
(٩) في: +، ب، ز، ي.
(١٠) وقيل أذن. . . قولا: ـ ،ز.
(١١) يعلم: +، ب، ز، ي.
(١٢) قبل: +، ب، ي.

بين أيديهم من أعمالهم، وما خلفهم من الجزاء، وقيل: يعلم ما مضى وما يكون، كأنه قيل: يعلم كل المعلومات لم يزل ولا[1] يزال «**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**» أي: بالله علما[2]، قيل: بمعلوماته[3] ومقدورات، وقيل: كنه عظمته في ذاته وأفعاله، وقيل: بما[4] خلفهم وما بين أيديهم، عن أبي علي. وقيل: لا يدركونه بشيء من الحواس حتى يحيط علمهم به[5]، وقيل: لا يعلمون[6] ما هو صانع بهم «**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ**[7]» قيل: ذلت، وقيل: خضعت، وقيل: هو وَضْعُ الجبهة والأنف على الأرض في السجود، عن طلق بن حبيب[8] الْوُجُوهُ» قيل: هي الجارحة المخصوصة بالذكر؛ لأنها موضع السجود، وقيل: لأنها موضع العز والذل، وقيل: فيها يبين الذل والخضوع، وقيل: أراد بالوجوه الخلق، يقال: هذا وجه الرأي أي الرأي، يعني يصير الخلق كلهم إلى الذل والخضوع، وقيل: أراد بالوجه[9] الرؤساء والقادة والملوك ينسلخون عن ملكهم ويذلون ويزول عزهم[10]» هو الله الحي الذي لا يجوز عليه الموت، وغيره من الأحياء يجوز عليهم الموت، «**الْقَيُّومِ**» قيل[11]: القائم بتدبير جميع[12] الخلق، فعلى هذا هو صفة فعل، وهو في هذه المنزلة وصفه بأنه حكيم، وأنه على وجهين[13]: عليم، فيكون[14] من صفات الذات، ومُحْكِمٌ لأفعاله فيكون من صفات العقل،

---

(١) ولا: ولم، ز.
(٢) أي بالله علما: ـ، ز.
(٣) بمعلوماته: معلوماته، ب، ل، م، ي.
(٤) بما: لما، ب، ل، م، ي.
(٥) وقيل لا يدركونه... له؛ +، ب، ز، ي.
(٦) لا يعلمون: يعلم، ل.
(٧) الوجوه: +، ب، ي.
(٨) حبيب: جندب، ب، ي.
(٩) الخلق يقال... بالوجه: +، ب، ز، ي.
(١٠) عزهم: عنهم، ز، ل، م.
(١١) قيل: +، ب، ي.
(١٢) بتدبير جميع: بجميع تدبير، ز.
(١٣) وجهين: وحين، ز.
(١٤) فيكون: وكون، ز.

وقيل: هو القائم[1] على كل نفس بما كسبت حتى يجزيها به، عن[2] الحسن، وقيل: القيوم الدائم الذي لا يبيد ولا يزول، عن أبي علي. «وَقَدْ[3] خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا» أي: خسر[4] من وافى القيامة وهو ظالم؛ لأن حمله لا يصح في الحقيقة؛ ولكنه لما بقي عليه عقابه كان كأنه حامل له «وَمَنْ[5] يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» قيل: الطاعات، وقيل: الفرائض «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» مصدق لله ورسوله «فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا[6]» قيل: لا يخاف ظلماً بالزيادة في سيئاته، ولا هضماً بالنقصان من حسناته، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة. وقيل: لا يخاف ظلماً بألاَّ يُجْزَى بعمله، ولا هضماً بالانتقاص من حقه، عن أبي علي[7]، وابن زيد. وقيل: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب لأحد، عن أبي العالية، وقيل: لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل حسنة عملها، عن الضحاك.

الأحكام

يدل قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ أن الخلق تُدعى إلى الحشر، وقد روي أنهم يخرجون من القبور يموج بعضهم في بعض، ثم ينادون فيتبعون المنادي إلى الحشر، وقيل: إن الله تعالى يُجري أمر القيامة على ما جرت به عادة الملوك في الدنيا، ينادى بالرحيل[8]، ويُنْفَخ في البوقات علامة للخروج، عن أبي مسلم.

ويدل قوله: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أنهم يتبعونه فلا يزيغون عنه؛ لأنهم صنفان بين راج

(١) القائم: القادر، ز.
(٢) عن: +، ب، ز، ي.
(٣) وقد: وقيل، ز.
(٤) خسر: +، ب، ي.
(٥) ومن: +، ب، ي.
(٦) ظلماً ولا هضماً: ظلما وهضما، ل، م.
(٧) علي: + ، ب، ي.
(٨) بالرحيل: في الرحل، ز.

لكل سرور فلا[١] يزيغ، وكافر يساق[٢] مقهوراً ويدعو ثبوراً، وقد روي أن المنادي ينادي: (أيتها العظام[٣] الرميمة، واللحوم المتمزقة، والعروق المتقطعة، اخرجوا بإذن الله تعالى[٤]، هذا إن كان قبل البعث، فهو لطف لبعض الملائكة، وإن كان بعد البعث فكأنه قال: كنتم هكذا وعدتم أحياء، والله تعالى يحييهم في طرفة عين، والمنادي علامة لذلك.

ويدل قوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أن إخفاء الصوت من أمارات التواضع، و[٥] لذلك نهى الله تعالى عن رفع الصوت عند مكالمة الرسول.

ويدل قوله: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ على أن الشفاعة لا تكون إلا[٦] للمؤمنين على ما نذهب إليه، فيبطل قول المرجئة أنها لأهل الكبائر.

ومتى قيل: قوله: ﴿لَّا تَنفَعُ﴾ لمن لا تنفع؟

قلنا: المشفوع له، وليس المراد أنهم يُشَفَّعُون فلا تنفع؛ لكن المراد أنهم لا يُشَفَّعُون؛ إذ لو شُفِّعُوا لنفعهم.

ويدل قوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ أن الخلق يضطرون[٧] إلى الخضوع يوم القيامة.

ويدل قوله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ أن الظالم[٨] لا ينال الثواب، فيبطل قول المرجئة، ثم أكد ذلك[٩] بأن ذلك لا[١٠] ينال إلا[١١] بالإيمان والعمل الصالح على أن العمل

---

(١) فلا: ـ، ز.
(٢) يساق: يسافر، ز، ل، م.
(٣) العظام: الطعام، ز.
(٤) تعالى: +، ب.
(٥) ويدل قوله... و: ـ، ب.
(٦) ولا تكون: تكون، ز؛ ـ، ل، م.
(٧) يضطرون: لايضطرون، ل، م.
(٨) الظالم: الظلم، ب، ي.
(٩) أكد ذلك: أكد لك، ز.
(١٠) لا: +، ز.
(١١) إلا: +، ز.

الصالح والظلم فِعْلُ العبد، ليس بخلق[1] الله، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

القراءة

قرأ يعقوب: «من[2] قبل أن نَقْضِيَ» بالنون وفتحها[3] وكسر الضاد، «وَحْيَهُ» منصوب الياء، أضاف القضاء إلى الله تعالى، والوحي مفعول، وقرأ الباقون: «يُقضَي» بضم الياء الأولى، وفتح الضاد، وسكون الياء الثانية، «وَحْيُهُ» يرفع على ما لم يسم فاعله.

اللغة

تعالى: تفاعل من العلو، وهو بمعنى علا.

والعزم: عقد القلب على الشيء ليفعله، وهو العزيمة، وهو من جنس الإرادة عندنا إلا أنه إرادة متقدمة لتوطين النفس على الفعل[4].

الإعراب

«كذلك[5]» قيل: موضعه نصب، تقديره: أنزلنا كذلك.

الواو في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ عطف على قوله: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا﴾ أي: ينسفها ولا

(١) بخلق: خلق، ز، ل، م.
(٢) من: +، ب، ي.
(٣) وفتحها: ـ ،ب، ي.
(٤) الفعل: القلب، ز.
(٥) كذلك: +، ب، ي.

تعجل، عن أبي مسلم. والألف في قوله: ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ﴾ قيل: زائدة، أي: يحدث لهم ذكراً، وقيل: للتمييز.

۞ النزول

قيل: كان النبي ﷺ[1] ربما ينزل عليه الوحي، فيعجل بقراءته حرصاً على أخذه؛ مخافة لنسيانه[2]، فنهي عنه، وأنزل الله تعالى الآية، عن ابن عباس، والحسن، وجماعة.

وقيل: لطم رجل امرأته فطلبت القصاص عند رسول الله ﷺ، فَأَمَرَ به، فنزل: «ولا تعجل»، ثم نزل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤].

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله[3] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ بما قبله؟

قلنا: قيل[4]: يتصل بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ[5]﴾.

وقيل: بما قبله من قصة موسى، أي: كما أنزلنا التوراة على موسى أنزلنا عليك القرآن، وأمره بالتذكير فيه أن يذكره ولا يكون مثل آدم في أنه نسي عهده[6] ووعيده.

وقيل: لا تعجل ولا تنس هذا كما نسي آدم، فلا غرو إن نسيت فقد نسي آدم[7] أبوك.

وقيل: لا تعجل خوف النسيان، وتوكل على الله، وسَلْهُ[8] التوفيق على ما تقدم

---

(١) صلى الله عليه وآله: +، ي.
(٢) مخافة لنسيانه: ومخافة نسيانه، ب، ي؛ ومخافة لسانه، ز.
(٣) قوله: ـ ، ب، ي.
(٤) قيل: + ، ـ ب، ي.
(٥) عليك: +، ب، ي.
(٦) عهده: عهد الله، ب، ز، ي.
(٧) آدم: ـ ، ب.
(٨) وسله: واسأله، ز.

في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ نَقُصُّ عليك من[1] قصة آدم، عن أبي مسلم.

المعنى

ثم بيّن تعالى أنه أنزل القرآن عليه، والغرض به أن تتقوا، فقال سبحانه: «**وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ**» قيل: معناه هكذا أنزلناه بلسان العرب؛ ليكون إلى فهمهم أقرب، وقيل: كما أنزلنا الكتب على الأنبياء وعلى موسى بلسان قومه، كذلك أنزلنا القرآن بلسان قومك «**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**» بلغة العرب «**وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ**» قيل: كررنا وأكدنا، وقيل: بينا «**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**» أي: لكي يتقوا[2] المعاصي والكبائر، وقيل: ليتقوا أفعال الأمم الماضية كيلا ينزل بهم ما نزل بأولئك «**أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ**» القرآن «**ذِكْرًا**» قيل: ذكراً يعتبرون به[3] ويتعظون به[4]، وقيل: شرفاً لهم بإيمانهم به، وقيل: زجراً[5] وردعاً[6]، عن قتادة. وقيل: ينبههم[7] عن الغفلة؛ ليتذكروا أمر دينهم ومعادهم، عن أبي مسلم. وإنما أضاف إحداث[8] الذكر إلى القرآن؛ لأنه يَحْدُثُ عنده، فهو سبب فيه فأضيف إليه[9]، وقيل: يحتمل يُحْدِثُ الله لهم ذكراً بهذا القرآن[10] الذي أنزله عليهم «**فَتَعَالَى اللَّهُ**» قيل: ارتفعت[11] صفته[12] عن صفة كل شيء؛ لأنه موجود لم يزل ولا

---

(١) من: ـ، ب، ي.
(٢) لكي يتقوا: ليتقوا، ب، ي.
(٣) به: ـ، ب، ي.
(٤) به: ـ، ب، ي.
(٥) زجراً: جدا، ز.
(٦) وردعا: ورعا، ز، ل، م.
(٧) ينبههم: ينبئهم، ل.
(٨) إحداث: أحدث، ز.
(٩) إليه: +، ب، ي.
(١٠) القرآن: ـ، ز، ل.
(١١) إرتفعت: ارتفع، ل، م.
(١٢) صفته: صفة، ز؛ بصفته، ل.

يزال، قادر لم يزل ولا يزال على ما لا نهاية له، لا يعجز عن شيء، عالم لم يزل ولا يزال بكل شيء، لا يجوز عليه الجهل والشك، حي لم يزل ولا يزال لا يجوز عليه الموت، سميع مدرك للمدركات لا تجوز عليه الآفات، غني لا تجوز عليه الحاجة، حكيم في جميع أفعاله، مُنْعِمٌ بأصول النعم، فقد تفرد بهذه الصفات والأفعال لا يشاركه أحد فيها، وجميع ذلك واجب لا يجوز خلافه[١]» قيل: معناه: العلو لمن له الملك حقاً، عن أبي مسلم. وقيل: الملك الذي يملك الدنيا والآخرة[٢]» أي: يحق أن يوصف بهذه الأوصاف وأنه يملك، عن أبي علي. وملكه حق؛ لأنه[٣] لا يزول ملكه، وأصل الملك يرجع إلى القدرة **«وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ»** قيل: لا تُقْرِئْهُ أصحابك ولا تُمْلِهِ عليهم حتى تتبين معانيه أو تتم السورة، فنهي عن تلاوة الآية المنزلة على الناس حتى يتبين[٤] معانيها، ويُتِمَّ أَداءَها، عن مجاهد، وقتادة، وابن عباس، وعطية، وأبي مسلم. وقيل: كان يقرأ مع جبريل مخافة النسيان[٥]، فنهي عن ذلك، ومعناه لا تعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته عليك، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي. وقيل: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك وحيه؛ لأنه تعالى ينزله بحسب المصلحة **«وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»** قيل: بالقرآن فَهْماً وحفظاً **«وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ»** ما عهد إليه، عن ابن زيد، وجماعة. وقيل: نسي لطول الزمان، وقيل: كان النهي عن الجنس، فنسي وظن أن[٦] النهي عن العين، وهو الوجه **«وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا»** قيل: عقداً ثابتاً، وقيل: صبراً، عن قتادة، ومقاتل. وقيل: حفظاً لما أمر به وجزاء، عن عطية. وقيل: محافظة على[٧] أمر الله

---

(١) خلافة: يخالفه، ز.

(٢) قيل معناه... والأخرة: ـ، ل.

(٣) لأنه: +، ب، ي.

(٤) معانيه أو .... يتبين: +، ب، ز، ي.

(٥) النسيان: للنسيان، ب، ي.

(٦) أن: إذن، ز.

(٧) على: عن، ز، ل، م.

وتمسكاً به، عن ابن زيد. وقيل: إصراراً وإضماراً عن العود إلى الذنب، وقيل: عزماً على المعصية، وإنما فعله نسياناً.

ويقال: ما الذي نسي على التأويل الثاني؟

قلنا: قيل: نسي الوعيد، وأنه يخرج من الجنة إن أكل[١]، وقيل: نسي قوله[٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾، وقيل: نسي الاستدلال بأن النهي[٣] عن الجنس، عن أبي علي.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أن القرآن منزل بلغة العرب، فيدل[٤] على حدوثه من هذين الوجهين.

وتدل على أن الوعيد متكرر في القرآن؛ لذلك قال: «صرفنا[٥]»، فيبطل قول من يقول: لا يفهم بظاهر القرآن شيء، ويبطل قول من يقول: إن الوعيد[٦] في الكفار خاصة.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أنه أراد من الجميع التقى؛ لأن معناه: لكي يتقوا، فدل على[٧] أن المقصود بالقرآن أن يتقي الكل، وأنه أراد من الكل الاتقاء خلاف قول المجبرة في الوجهين.

ويدل قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ على وجوب التدبر[٨] في القرآن ليحدث ذلك.

---

(١) اكل: كل، ز.
(٢) قوله: ب، ز، ي.
(٣) بأن النهي: بالنهي، ز.
(٤) فيدل: فدل، ب، ي.
(٥) صرفنا: صرفناه، ب، ي.
(٦) متكرر في.... الوعيد: ـ، ل.
(٧) على: +، ب، ي.
(٨) التدبر: التدبير، ب، ي.

ويدل قوله: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ﴾ أنه لا يجوز إبلاغ شيء إلا بعد إتمام الإيتاء لاتصال الكلام بعضه ببعض.

ويدل على ما يقوله أبو علي أنه لا يجوز إبلاغ العموم إلا مع دلالة الخصوص[١]، وتأدية المجمل[٢] قبل بيانه وإن حمل على تعجيل التلاوة.

وتدل على أنه لا يجوز أن يبادر إلى اعتقاد حتى يتكامل الوحي؛ لأن آخر الكلام يغير[٣] فائدة أوله.

ويدل قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ على فضل العلم.

ويدل قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا[٤]﴾ إلى[٥] آخره على جواز الصغائر على الأنبياء، ومعنى (نسي) ترك؛ إذ معنى النسيان الحقيقي لا يتوجه به[٦] التكليف.

ومعنى قوله: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ أنه لم يكن له عزيمة قوية[٧] في التحرز.

ومتى قيل: إذا علم بالقبيح، وأقدم عليه فكيف[٨] يوصف بالنسيان؟

قلنا: قد يكون متمكناً من العلم وقد يكون عالماً، فلا يجب ما ذكرته، وقد بينا معنى «نسي»، وكان أبو علي يقول: لا يقع من الأنبياء صغائر مع العلم[٩] ألبتة، وكان أبو هاشم يُجَوِّزُ ذلك ويقول: علمهم بقبحها لا يمنع من[١٠] وقوعها صغيرة، إذا لم يكن فيه تنفير، وقد بينا من قَبْلُ الكلام في حديث آدم فلا معنى لإعادته.

---

(١) الخصوص: الحضور، ز.
(٢) المجمل: الجمل، ب، ز، ي.
(٣) يغير: بغير، ب، يفيده، ز، ل، م.
(٤) ولم نجد عزما: ـ ، ب، ز، ي.
(٥) إلى: +، ب، ز، ي.
(٦) به: ـ ،ب، ي.
(٧) قوية: قومه، ز.
(٨) فكيف: وكيف، ز.
(٩) وقد يكون... العلم: ـ ، ل.
(١٠) من: ـ ، ب، ي.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

القراءة

قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم: «**وإنك لا تظمأ**» بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ الباقون بالفتح عطفاً على اسم (**أن لا تجوع**).

اللغة

الظمأ مهموز: هو العطش، ظَمِئْتُ ظمأً، وما بين الشربتين ظِمْءٌ، والظَّمَى غير مهموز: قلة دم[١] اللثة، امرأة ظَمْياء.

والضحى: ابتداء النهار، وضَحى الرجل تعرض لحر الشمس، وضَحا يَضْحُو مثله، واِضْحَ يا رجل أُبْرُزْ[٢] للشمس، ومنه: الضحى: الغداة، وَضَحا الطريقُ يضحو ضَحْواً: بدأ وظهر، وضاحية كل بلدة[٣]: ناحيتها البارزة، وفعلتُ ذلك الأمر ضَاحِيَةً أي: ظاهراً، والضَّحِية والأضحِيَّة[٤] بمعنى؛ لأنه يذبح عند الضحى، وفيه أربع لغات: أُضْحِيَّة بضم الألف وكسرها، والجمع: أضاحي، وضَحِيَّة والجمع: ضحايا، وأَضْحَاةٌ والجمع: أَضْحىً، قال الفراء: الأضحى مؤنثة وقد تذكّر، يذهب بها إلى اليوم، وأصله: البروز[٥]، قال ابن عرفة: يقال لكل ما كان بارزاً من غير ما يكنه

(١) دم: ـ، ز.
(٢) أبرز: أبدر، ز؛ أبد، ل، م.
(٣) بلدة: بلد، ب، ي؛ لدة، ل.
(٤) والأضحية: الأضحية، ب.
(٥) البروز: الدور، ل، م.

ويظله: أنه ضَاحٍ[1]، ومنه في حديث الاستسقاء: «اللهم ضَاحَتْ بلادنا» أي: برزت[2] للشمس[3]، يعني أن السَّنَةَ أحرقت البلاد، وقال ابن الأعرابي: أي: أضحت[4] الشمس، وضحيت ضحواً فيها.

۞ المعنى

ثم بيّن تفصيل ما أجمل من قصة آدم عليه السلام[5]، فقال سبحانه: «**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ**» قيل: السجود لله، وآدم قِبْلَة السجود[6]، وهو معظم به، عن أبي علي[7]. وقيل: هي سجدة تعظيم لا سجدة عبادة، عن أبي بكر أحمد بن علي. «**فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ**» استثناء من غير جنس؛ لأن إبليس لم يكن من الملائكة؛ لكن دخل معهم في الأمر في السجود[8]، وقد بينا ذلك «**أَبَى**» أي[9]: امتنع من السجود «**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا**» يعني[10] إبليس «**عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ**» حواء «**فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ**» بغرور هو وساوسه[11]» قيل: هي شقاوة الدنيا وهو أن يأكل من كَدِّهِ وكسبه، وإنما قال: «**فتشقى**[12]» على خطاب الواحد والمعنى فتشقى أنت وزوجك؛ لأن أمرهما[13] في السبب واحد، فاستوى حكمهما[14] لاستواء سببهما، وقيل: غلب

---

(١) ضاح: أضاح، ب، ي.
(٢) برزت: بزر، ز.
(٣) للشمس: الشمس، ز، ل، م.
(٤) أضحت: أضحيت، ب، ي؛ ضحت، ل، م.
(٥) عليه السلام: +، ب، ي.
(٦) في السجود: بالسجود، ب، ي.
(٧) أبي علي: عن ابن عباس، ز.
(٨) السجود: +، ب ز، ي.
(٩) أي: +، ب، ي.
(١٠) يعني: ـ ، ز.
(١١) وساوسه: وسوسته، ل.
(١٢) فتشقى: لتشقى، ز، ل.
(١٣) أمرهما: ـ، ل.
(١٤) حكمهما: حكمها، ز.

المذكر[١] على المؤنث[٢]، وقيل: لتستقيم رؤوس الآي، وقيل: لأن[٣] نفقة المرأة على الزوج، فكان العمل عليه، قال سعيد بن جبير: هبط[٤] على آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن[٥] جبينه، فهي تلك الشقاوة، وقيل: لما أخرج[٦] إلى الدنيا كُلِّف[٧] تحصيل أسبابه «**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا**» «أي: في الجنة فتكفى المؤنة، أي لا تحتاج إلى تكلف الطعام والشراب[٨]«وَلاَ تَعْرَى» من اللباس من غير تكلف[٩] وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى» أي لا[١٠] تعطش ولا يصيبك حر الشمس، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة. وقيل: ليس في الجنة شمس، إنما هو نور وضياء «**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**» يعني إبليس، وقد مضى كيف وسوس وبينا ما قيل فيه على ثلاثة أقوال:

أولها: على باب الجنة، وكانا يجتمعان، عن أبي علي.

وقيل: من الأرض إلى السماء، عن الحسن.

الثالث: في الأرض، عن أبي مسلم.

ثم بين ما وسوس به، فقال سبحانه: «**قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ**» يعني شجرة إن أكلت منها بقيت خالداً مخلداً «**وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى**» أي[١١]: لا يفنى.

ومتى قيل: كيف يقال: إن آدم نسي مع قول إبليس[١٢] [الأعراف: ٢٠]؟

(١) المذكر: الذكر، ز.
(٢) المؤنث: الموت، ز.
(٣) لأن: لا، ز.
(٤) هبط: اهبط، ب، ي.
(٥) عن: من، ب، ز، ي.
(٦) أخرج: خرج، ز، ل، م.
(٧) كلف: تكلف، ز، ل، م.
(٨) أي في الجنة. . . والشراب؛ +، ب، ي.
(٩) تكلف: تكليف، ل.
(١٠) أي لا: ولا، ل، م.
(١١) أي: ـ، ب، ي.
(١٢) أبليس: الله، ز، ل، م.

قلنا: يحتمل أنه أشار إلى الجنس على أنه لم يقبل[1] قوله ولا عمل على[2] ما أشار به[3] كما يقال: كل من هذا العنب، وأراد جنسه.

ومتى قيل: هل بين قبل[4] قوله: ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾؟

قلنا: لا؛ لأنه علم أن لا خلود ولا بد من قطع التكليف[5]، وقيل: يجوز[6] أن تكون شجرة تسمى[7] شجرة الخلد، فظننا أنها سميت بذلك؛ لأن مَنْ أكلها يخلد وأوهم ذلك هو.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الخروج من الجنة يسمى شقاوة، وقد يسمى كذلك مضار الدنيا شقاوة، وهو[8] المراد هاهنا؛ لأن الأنبياء ليس لهم شقاوة الآخرة.

وتدل على[9] أن إبليس وسوس، وأن الوسوسة لها تأثير في الإنسان على ما يقوله الحسن وأبو هاشم خلاف قول أبي علي.

وتدل على أن الدنيا دار تعب وشقاوة، وأن الآخرة دار رضى[10] وراحة.

وتدل على أن السجود فِعْلُ العبد، وأن إبليس فَعَلَ الإباء[11]، فيبطل قولهم في المخلوق.

---

(١) يقبل: يقل، ل.
(٢) على: ـ، ز.
(٣) ما أشار به: إشارته، ز، ل، م.
(٤) قبل: +، ب، ي.
(٥) التكليف: تكليف، ز، ل، م.
(٦) يجوز: كان يجوز، ب، ز، م، ي.
(٧) تسمى: لا تسمى.
(٨) وهو: وهي، ب، ي.
(٩) على: +، ب، ي.
(١٠) رضي: تعب، ب، ي.
(١١) أبليس فعل الإباء: أبى إبليس فعله، ب، ي.

قوله تعالى:

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾

اللغة

يقال: طَفِقَ يَفْعَلُ كذا، وظل[1] يفعل كذا[2]، وأَقْبَلَ[3] يفعل، وجَعَلَ يفعل، كله[4] بمعنى أنه أخذ[5] في الفعل.

والخَصْفُ: خصف النعل، وهو إطباق طاق على طاق، ومنه: حديث علي (عليه السلام): (وهو قاعد يخصف نعله)، وأصل الخصف: الضم والجمع، خَصَفَهُ يَخْصِفُهُ خَصْفاً فهو خاصف وخَصَّافٌ.

وغوى: خاب، والغي الخيبة.

والضَّنْكُ: الضيق والصعب، منزل ضَنْكٌ أي: ضيق، وعيش ضنك لا يُثَنَّى ولا يجمع ولا يؤنث؛ لأن أصله المصدر.

الإعراب[6]

يقال: لِمَ جمعت ﴿سَوْءَاتُهُمَا﴾ وهي لا تثنى؟

---

(١) وظل: وضل، ز.
(٢) كذا: +، ب، ي.
(٣) وأقبل: وأصل، ز، ل، م.
(٤) كله: +، ب، ي.
(٥) بمعنى أنه أخذ: بمعنى واحد، ز، ل، م.
(٦) الأعراب: +، ب، ي.

قلنا: لأن كل شيئين من شيئين فهو في موضع التثنية جمع، كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ تم الكلام، ثم استأنف ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

و(**ما**) في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ صلة، والمعنى[1]: فإن يأتينكم، وهو شرط لذلك[2] دخلت النون، وجوابه: ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾.

المعنى

ثم بيّن تعالى ما آل إليه أمر آدم عليه السلام، فقال سبحانه: «**فَأَكَلَا**» يعني آدم وحواء «**مِنْهَا**» من الشجرة «**فَبَدَتْ**» ظهرت «**لَهُمَا سَوْآتُهُمَا**» عوراتهما[3]، قيل: ذهب عنهما لباسهما فعلما أنهما[4] واقعا معصية، وقيل: كان لباس سوآتهما الظفر، عن السدي. «**وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**» أي: يضعان ورقاً بعد ورق ليسترا عوراتهما «**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ**» أي: خالف أمره فيما أمره به[5]، وقيل: أخطأ، ولم ينل مراده بما[6] أكل «**ثُمَّ اجْتَبَاهُ**» أي: اختاره واصطفاه، قيل: للنبوة، وقيل: لخلافة[7] الأرض «**فَتَابَ عَلَيْهِ**» أي: قبل توبته، ووفقه للتوبة، ولطف له حتى تاب «**وَهَدَى**» بأن هداه لأمر دينه ودنياه، أما الدين فبما أوحى إليه حالاً بعد حال من[8] بيان[9] شرائعه[10]، وأما الدنيا ما علّمه[11] من عمارته وأسبابه «**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا**» قيل: خطاب[12] لآدم

(١) والمعنى: فالمعنى، ب، ي.
(٢) لذلك: كذلك، ب.
(٣) عوراتهما: ـ، ز.
(٤) فعلما أنهما: ـ، ز.
(٥) به: +، ب، ي.
(٦) بما: فيما، ز.
(٧) لخلافه: للخلافة، ز.
(٨) من: عن، ل، م.
(٩) بيان: ـ، ز.
(١٠) شرائعه: الشريعة، ب، ي.
(١١) علمه: عمله، ز، ل، م.
(١٢) خطاب: خطا، ز.

وحزبه[1] وإبليس وحزبه «**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى**» أي: رسول وكتاب وبيان «**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ**» يعني الكتاب والرسول «**فَلَا يَضِلُّ وَلَا**[2] **يَشْقَى**» قيل: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، عن ابن عباس. ضمن[3] الله لمن يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ألاّ يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة «**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي**» عن القرآن والعمل بما فيه[4] **فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**» قيل: عيشاً ضيقاً، عن مجاهد، وقتادة، وأبي علي. وقيل: هو الضريع والزقوم في النار، عن الحسن، وقتادة، وابن زيد. وقيل: هو الحرام في الدنيا الذي يؤدي إلى النار، عن عكرمة، والضحاك. وقيل: إنه[5] غير موقن بالخلف فَعَيْشُهُ منغص، عن ابن عباس. وقيل: هو عذاب القبر، عن ابن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وأبي صالح، والسدي، ورواه أبو هريرة مرفوعاً. وقيل: معيشة[6] سوء؛ لأنها في معصية الله، عن مقاتل، وقيس بن أبي حازم. وقيل: ضيقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها، وإنما العيش الرغد في الجنة، عن أبي مسلم. وقيل: هو[7] الحرص؛ لأنه في كل وجهة[8] لا يشبع ولا يقنع، ولا يقبل النصح، ويتعب نفسه، ويسخط ربه، وكلها ترجع[9] إلى قولين: منهم من يجعل العيش الضنك في الدنيا، ومنهم من يجعله في الآخرة «**وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**» قيل: أعمى البصر، عن ابن عباس. وقيل: أعمى عن الجنة، عن مجاهد، والأول الوجه[10]؛ لأنه الظاهر، ولا مانع منه، وقيل: أعمى في الآخرة عن كل خير لا يهتدي لشيء[11] منها، وقيل: يحشر أعمى، ثم يبصر في حال العذاب ويعمى في حال «**قَالَ**

---

(١) وحزبه: وحواء، ز، ل، م.
(٢) يضل ولا: + ، ب، ز، ي.
(٣) ضمن: تضمن، ز، ل، م.
(٤) بما فيه: به، ب، ز، ي.
(٥) إنه: هو، ل.
(٦) معيشة: عيشا معيشة، ب، ي.
(٧) هو: +، ب، ز، ي.
(٨) وجهة: وجه، ز.
(٩) ترجع: يرجع، ز.
(١٠) والأول الوجه: والوجه الأول، ب ز، م ي.
(١١) لشيء: بشيء، ز.

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى» هو سؤال استفهام، أي: لأي ذنب استحققت العمى، وقيل: هو سؤال تضرع وتذلل، وقيل: العمى نوع عقوبة، فيقول: لما حشرتني أعمى «**وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا**» قال: قد[(١)] كنت بصيراً بعيني[(٢)] ولم أكن أعمى، عن ابن عباس. وقيل: كنت بصيراً بحجتي، عن مجاهد، يعني كنت بصيراً[(٣)] عند نفسي[(٤)]؛ لأنه كان يظن[(٥)] الشبهة حجة «**قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا**» حجتنا «**فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**» أي: كما أتتك[(٦)] آياتي فأعرضت عنها، كذلك تترك اليوم[(٧)] أعمى، وقيل: حشرتك أعمى[(٨)]؛ لتكون فضيحة كما كنت أعمى القلب، تركت آياتي فلم تنظر فيها، وقيل في قوله: «**تنسى**» أي: تترك في النار، وقيل: تجازى على النسيان، وقيل: لا تُذكر عند الرحمة والمغفرة فتكون بمنزلة المنسي، عن أبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية أنهما أكلا من الشجرة، وأن الأكل كان معصية، فتدل على جواز الصغائر على الأنبياء، وقد بينا فيما تقدم كيف وقع الأكل، وأن منهم من قال: أخطأ التأويل، عن أبي علي، وأبي مسلم، ومنهم من قال: نسيا، ومنهم من قال: إنه كان[(٩)] نهي تنزيه، وهو خلاف الظاهر.

ويدل قوله: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا﴾ أنهما امتحنا بذلك عند وقوع المعصية، ولا يحمل على العقوبة؛ لأن الصغائر تقع مكفرة، ولأن الأنبياء لا يعاقبون.

ويدل قوله: ﴿وَطَفِقَا﴾ على حسن ستر العورة عقلاً؛ لأن وجوبه علم سمعاً،

---

(١) قد: +، ل.
(٢) بعيني: لسعي، ز.
(٣) قال قد... بصيرا: ـ، ب، ي.
(٤) عند نفسي: عن نفسه، ز.
(٥) يظن: ـ، ز.
(٦) أتتك: أتاك، في جميع النسخ. وما أثبتناه من تفسير الأعقم: ١/ ٤١١.
(٧) تترك اليوم: اليوم تترك، ز.
(٨) وقيل حشرتك أعمى: ـ، ب، ي.
(٩) إنه كان: ـ، ل.

ويحتمل أن سترها [كان واجبا] في شريعة آدم كما هو في شريعتنا، وقيل: إنها تدل على قبح كشف العورة عقلاً؛ لأنهما فرَّقا بينها وبين سائر الأعضاء، لا يجوز أن يقال: إن قبحه كان من شرعه.

ويدل قوله: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ﴾ على أنه اصطفاه للرسالة.

ومتى قيل: هل[1] يدل قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2] أن ما أتى به كانت كبيرة؟

قلنا: لا؛ لأن التوبة من الصغائر تحسن، وقد تجب عند بعض العلماء على ما يقوله أبو علي: أنه إذا لم يتب عند تَذَكُّرِهِ كان مُصِرًّا، وقد يفعل ترغيباً في الثواب؛ لأنه بالصغيرة[3] يُنقص شيء من ثوابه، فيكون خيراً له على ما يقوله أبو هاشم.

ويدل قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ[4] هُدَاىَ﴾ [و] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾[5] على أن فعل العبد حادث من جهته، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على أن الهدى الدلالة والبيان دون نفس الإيمان على غير ما تزعمه المجبرة.

وتدل على أنهم يحشرون عمياً[6].

ومتى قيل: هذا يناقض قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] وغيرها من الآيات؟

فجوابنا: أنه[7] يكون على[8] حالين على ما تقدم.

---

(١) هل: هلا، ل.
(٢) فتاب عليه: ثم تاب، ب، ز، م، ل، ي.
(٣) بالصغيرة: بالصغير، ز.
(٤) فمن اتبع: واتبع، ب، ز، ل، م، ي.
(٥) ومن أعرض عن ذكري: +، ب، ي.
(٦) عميا: عمي، ب، ي.
(٧) أنه: أن، ز.
(٨) على؛ في ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

القراءة

قرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم: «تُرضَى[(١)]» بضم التاء[(٢)] على ما لم يسم فاعله، والباقون بفتح التاء اعتباراً[(٣)] بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

اللغة

اللزام[(٤)]: العذاب الملازم للكفار، وأصله من لَزِمَ يَلْزَمُ لزوماً[(٥)]، يقال: هو لزام حروب إذا لم يفارقها[(٦)].

وآناء[(٧)] الليل: ساعاته وأوقاته، واحده: إِنيً، مثل مِعيً وأمْعاء، وإِنْيٌ مثل نِحْيٍ وأَنْحاء، وأَنى[(٨)] مثل فَرَأ وأَفْراء[(٩)]، يقال: مضى[(١٠)] آناء من الليل وإِنْيان وإِنْي، قال الهذلي:

---

(١) ترضى: ـ، ب، ل، ي.
(٢) التاء: الياء، ز.
(٣) اعتبار: اعتبا، ز.
(٤) اللزام: الازام، م.
(٥) لزوما: لزماً، م.
(٦) يفارقها: يفارقه، لا، ز، ل، م، ي.
(٧) وآناء: ـ، ز؛ أناء، ل.
(٨) وأنى: +، ب، ي.
(٩) فرأ وأفراء: قرى وأقرى، ب، ي.
(١٠) مضى: +، ب، ي.

بِكُـلٍّ[1] إنْـيٍ حَـدَاهُ الـلَّـيـلُ يَـنـتَـعِـلُ[2]

فأما الإناء[3] بكسر الهمزة والمد مثل غطاء فهو جمع آنية، نحو غطاء[4] وأغطية، وكِسَاء وأكسية.

الإعراب

يقال: ما[5] فاعل: ﴿يَهۡدِ﴾ ؟

قلنا: مضمر فيه، تفسيره: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ وتقديره: يهد لهم إهلاكنا مَنْ قبلهم من القرون.

وقيل: المضمر المصدر، ثم يفسر بـ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾.

ويقال: ما موضع: ﴿كَمۡ﴾ من الإعراب؟

قلنا: نصب بـ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ ، عن الفراء، والزجاج، وزعم بعضهم أنه رفع بـ ﴿يَهۡدِ﴾، والأول الوجه.

ونصب: (أطراف) عطفاً[6] على قوله: ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾.

ويقال: لِمَ قال: (أطراف النهار) على الجمع؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

أولها: أن المعنى أطراف كل نهار، والنهار في معنى جمع.

---

(١) بكل: فكل، ز، ل م.

(٢) في ب، ز، ل، م، ي: يفتعل. والبيت للهذلي المتنخل: وتمامه:

السالك الثغر مخشيا موارده ... بكل إني قضاه الليل ينتعل

وفي رواية:

حلو ومر كعطف القدح مرته ... في كل إني قضاه الليل ينتعل

(٣) الاناء: الا، ز، ل، م.

(٤) غطاء: ـ، ب، ي.

(٥) ما: ـ، ب.

(٦) عطفاً: +، ب، ي.

الثاني: أنه بمنزلة: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].
الثالث[١]: أن آخر[٢] النصف الأول طرف أول النصف الثاني.

النظم

يقال: كيف اتصل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ[٣] نَجْزِي﴾ بما قبله؟

قلنا: تقديره: كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزي من أسرف في المعاصي.

وقيل: انقضت الحكاية عن مخاطبة إبليس وابتدأ مخاطبة النبي ﷺ وأمته فكأنه قيل هنا: لما[٤] قلنا لآدم وإبليس وعداً ووعيداً، فكذلك[٥] نجزي من أسرف من قومك، ثم بين بعده شدة العذاب ووعظهم، عن أبي مسلم.

المعنى

«وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ» أي: نعاقب جزاء على فعله **«مَنْ أَسْرَفَ»** قيل[٦]: أشرك، وقيل: أسرف في العصيان **«وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ»** أي: لم يصدق حجته[٧] وكتبه ورسله **«وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ»** من عذاب الدنيا **«وَأَبْقَى»** أي: أدوم **«أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ[٨]»** أي: لم يكن هادياً لهم ودليلاً **«كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ[٩] مِنَ الْقُرُونِ»** الأمم الماضية **«يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ»** يعني في ديارهم، قيل: كانت قريش تتجر إلى الشام فتمر بديار عاد وثمود وترى آثار[١٠] إهلاك الله تعالى إياهم[١١]، وترى مساكنهم خالية منهم،

---

(١) الثالث: الثاني، ب، ي.
(٢) أن آخر: أن أول، ز، ل، م.
(٣) وكذلك: كذلك، ب، ز، ل، م، ي.
(٤) لما: ما، ب، ز، م، ي.
(٥) فكذلك: وكذلك، ب، ل، ي.
(٦) قيل: وقيل، ز.
(٧) حجته: بحجته، ز.
(٨) لهم كم: لهم، ب، ي.
(٩) قبلهم: من قبلهم، ز، ل، م؛ ـ ، ب، ي.
(١٠) آثار: ـ ، ز.
(١١) إياهم: ـ ، ل.

وقيل: مساكنهم قبورهم؛ لأنها مساكن الموتى «**إِنَّ فِي ذَلِكَ**[(١)]» في إهلاك[(٢)] الأمم[(٣)] «لآيات»[(٤)] لعبر ودلالة «**لِأُوْلِي النُّهَى**» لذوي العقول الذين يتدبرون في أحوالهم[(٥)] وما كانوا فيه من نعيم الدنيا وعظيم الشأن، ثم صاروا إليه وتركوا النعيم، وبقوا في العذاب الأليم «**وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**» الكلمة: وَعْدُ الله تعالى[(٦)] بتأخير العذاب «**لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى**» قيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديره[(٧)]: ولولا[(٨)] كلمة سبقت من ربك[(٩)] وأجل مسمى لكان العذاب لازماً لهم، واختلفوا في الأجل المسمى، قيل: قيام الساعة، عن قتادة. وقيل: الأجل الذي كتبه الله تعالى لكل أحدٍ أنه يبقيه إليه، واختلفوا في اللزام، قيل: لكان العذاب لازماً لا يفارقهم، وقيل: لكان القتل الذي نالهم يوم بدر لازماً لهم أبداً.

ثم أمره[(١٠)] بالصبر على أذاهم فإن وبَالَهُ عليهم كالأمم الماضية، فقال سبحانه: «**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**» من التكذيب والأذى، وقيل: معناه اصبر حتى يأتيك النصر، فهو[(١١)] وعيد لهم، ووعد[(١٢)] للمؤمنين وتسلية لهم أيضاً[(١٣)].

ثم أمره[(١٤)] بما يخص نفسه، فقال سبحانه: «**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**» يعني سبحه في

(١) ذلك: ذلك لآيات، ز، ل، م.
(٢) إهلاك: الهلاك، ب، ل، م، ي.
(٣) الأمم: للأمم، ب، ي.
(٤) لآيات: ـ ، ب، ز، ل، م، ي.
(٥) أحوالهم: أقوالهم، ب، ي.
(٦) تعالى: ـ ، ب، ي.
(٧) تقديره: وتقديره، ل، م.
(٨) ولولا: فلولا، ز، ل، م.
(٩) من ربك: +، ل؛ وزاد في ل بعد ذلك: (وعد الله تعالى بتأخير العذاب). وقد تقدمت هذه العبارة قبل هذه الآية وأظنه تكرار.
(١٠) أمره: أمرهم، ب، ي.
(١١) فهو: وهو، ب.
(١٢) لهم ووعد: ـ ، ل.
(١٣) أيضاً: ـ ، ل.
(١٤) أمره: أمر، ز، ل، م.

هذه الأوقات واحمده، وقيل: صل في هذه الأوقات[1]، وقيل: معناه داوم على التسبيح «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» صلاة الفجر[2]وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» صلاة العصر[3]وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ» أي ساعاته وأوقاته فسبحه وأطراف النهار، ومن حمل الآية على أوقات الصلاة قال التسبيح «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ»: صلاة الفجر، «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»: صلاة العصر «وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ»[4]: صلاة المغرب والعشاء، «وَأَطْرَافَ النَّهَارِ»: صلاة الظهر، عن قتادة، وأبي علي. وقيل: أطراف النهار: الظهر والمغرب، وقيل[5]قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ»: الفجر، «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»: الظهر والعصر «وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ»: المغرب والعشاء «وَأَطْرَافَ النَّهَارِ»: صلاة التطوع[6]، عن الحسن. ومن حمل الآية على التسبيح قال: أراد المداومة عليها في عموم الأوقات، وهو الظاهر «لَعَلَّكَ تَرْضَى» بما يعطيك الله من الجزاء كما وعدك، وقيل: الشفاعة والدرجة، وقيل: بجميع[7] ما[8] وعدك في الدنيا من النصر وإعزاز دينه، وفي الآخرة الشفاعة، فقد أنجز وعده في الدنيا وسينجزه في الآخرة[9].

۞ الأحكام

تدل الآية أن العقاب يقع جزاء على الأعمال خلاف قول المجبرة، لذلك قال: «كَذَلِكَ[10] نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ»، وكذلك يبطل قولهم في المخلوق؛ لأنه يوجب أن السرف من جهتهم، وكذلك في أطفال المشركين؛ لأنه لا سرف لهم.

---

(١) وأحمده وقيل... الأوقات: ـ، ب.
(٢) صلاة الفجر: ـ، ب، ي.
(٣) صلاة العصر: ـ، ب، ي.
(٤) أي ساعاته... الليل: +، ب، ي.
(٥) قيل: ـ، ب، ي.
(٦) التطوع: التوع، ز.
(٧) بجميع: بجمع، ب، ي.
(٨) ما: +، ب، ي.
(٩) في الدنيا.. الاخرة: +، ب، ي.
(١٠) كذلك: كذلك قال كذلك، ب.

ويدل قوله: «**أَفَلَمْ**[(١)] **يَهْدِ لَهُمْ**» على وجوب التدبر[(٢)]، وعلى أن التدبر فِعْلُ العبد، وعلى أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: «**وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ**» على قولنا في اللطف، وعلى ما نقوله في تأخير العذاب؛ لئلا[(٣)] يكون العبد[(٤)] كالمُلْجَأ إلى الإيمان، وأنه يؤخر لكي يؤمن.

وتدل على بيان أوقات الصلاة في الجملة، وقد بينا ذلك، وفيه ما اتفقوا[(٥)] عليه كصلاة الفجر أولها عند طلوع الفجر وآخرها عند طلوع الشمس، وكأول[(٦)] الظهر أنه[(٧)] عند زوال الشمس، واختلفوا في آخرها فقيل: إذا[(٨)] صار ظل كل شيء مثله سواء[(٩)] في الزوال، وهو قول الأكثر، ومنهم من قال: إذا صار ظل كل شيء مثليه، ومنهم من قال: آخر وقته إذا صار[(١٠)] ظل كل[(١١)] **شيء مثله**[(١٢)] ولا يدخل وقت العصر حتى يصير مثليه، ثم يدخل وقت العصر، والاختلاف على هذه الأوجه الثلاثة، وآخرها عند غروب الشمس، فأول المغرب عند[(١٣)] غروب الشمس، وآخرها عند غيبوبة الشفق، واختلفوا في الشفق، فقيل: الحمرة عند الأكثر، وقيل: البياض عند أبي حنيفة، ثم يدخل وقت العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر، ومتى تجب الصلاة؟ قيل: بأولها، وقيل: بآخرها، وقيل: بأولها ويقوم العزم مقامه، ويتضيق بآخرها وهو قول مشايخنا.

---

(١) أفلم: أولم، ل.
(٢) التدبر: التدبير، ل.
(٣) لئلا: لأن لا، ب، ز، ي.
(٤) العبد: ـ ، ل.
(٥) ما اتفقوا: ما تفقوا، ز.
(٦) وكأول: وكان أول، ل، م.
(٧) أنه: +، ب، ز، ي.
(٨) إذا: إذ، ز.
(٩) سواء: ـ ، ز.
(١٠) صار: كان. ، ل، م.
(١١) كل: ـ ، ل.
(١٢) ومنهم من... مثله: ـ ، ز.
(١٣) عند: ـ ، ب، ي.

واختلفوا في الجَمْع، قيل: لا يكون إلا بعرفة ومزدلفة[١]، عن[٢] أهل العراق، وقيل: في السفر والمطر، عن الشافعي، وقيل: في كل[٣] من كان مشغولاً له عذر، عن الهادي عليه السلام، وقيل: في عموم الأحوال، واختلفوا، فقيل[٤]: التعجيل في جميع الصلوات أفضل، عن الشافعي، وفصل أبو حنيفة ذلك تفصيلاً.

ويدل قوله: «فاصبر» على[٥] أن الصبر على أذى الأعداء مما يحسن، وقد يجب في بعض الأحوال، واختلفوا، فقيل: نسخته آية السيف[٦]، وقيل: لم تنسخه، ولا تنافي بينهما حتى يحمل على النسخ.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ أن العبادات تجب وتُفْعَلُ لمكان الثواب، فيدل[٧] أن الثواب يستحق على الأعمال[٨].

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

---

(١) ومزدلفة: وبالمزدلفة، ب، ي؛ والمزدلفة، ز.
(٢) عن: من، ل، م.
(٣) كل: ـ، ز.
(٤) فقيل: قيل، ب، ز، ي.
(٥) على: +، ز.
(٦) السيف: القتل، ب، ي.
(٧) فيدل: وتدل، ب، ي.
(٨) الأعمال: الإيمان، ز، ل، م.

۞ القراءة

قرأ يعقوب: «**زَهَرَة الحياة**[1]» بفتح الهاء، والقراء على سكونها، وهما لغتان كجَهَرة وجَهْرة[2].

وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم، وقتيبة عن الكسائي: «**أولم تأتهم**» بالتاء لتأنيث[3]».

وقرأ ابن عامر وابن كثير[4] وأبو بكر عن عاصم، وحمزة والكسائي: «**يأتهم**» بالياء لتقديم الفعل على الاسم؛ لأن البينة معناه البيان فيرد[5] إلى المعنى.

قراءة العامة: «**نَذِلَّ ونَخْزَى**» بفتح النونين أضاف الفعل إليهم، وعن بعضهم بضم النونين على ما لم يسم فاعله.

۞ اللغة

الإمتاع: الإلتذاذ[6] بما يدرك، أَمْتَعَهُ إمتاعاً، ومَتَّعَهُ تمتيعاً إلا أن في مَتَّعَهُ تكثير الإمتاع.

والأزواج: الأشكال، وأصل الزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه آخر، والاثنان زوجان، يقال: زوجا خُفٍّ وزوجا نعل[7]، والرجل[8] زوج امرأته، والمرأة زوج بَعْلِهَا، ويجوز بالهاء أيضاً، والزوج: الصنف أيضاً.

والزَّهْرُ: نَوْرُ[9] كل نبات، والزهر كل ما ينور[10]، وأصله النير، ومنه يقال لكل

---

(١) الحياة: +، ب، ي.
(٢) كهجرة وجهرة: كجهر وجهر، ب، ز، ي.
(٣) بالتاء لتأنيث: ـ ، ب، ي.
(٤) ابن عامر وابن كثير: ابن كثير وابن عامر، ب، ي.
(٥) فيرد: فرد، ب، ي.
(٦) الالتذاذ: الإلذاذ، ز، ل، م.
(٧) نعل: فعل، ل.
(٨) والرجل: والزوج، ز.
(٩) نور: ثوب، ز.
(١٠) ينور: يرى، ز؛ يرون، ل، م.

شيء مستنير زاهر، ومنه الحديث في صفته ﷺ: (كان أزهر اللون) أي: نير اللون[١]، ومنه سمي الزهرة النجم المعروف، وزهرة الدنيا: حسنها، والأزهر القمر، والزهراوان (البقرة) و(آل عمران)، ويوم الأزهر يوم الجمعة.

والاصطبار: افتعال من الصبر. والتربص: الانتظار.

۞ الإعراب

نصب «**زهرة**» على التمييز، عن أبي مسلم. وقيل: على القطع، والخروج من الهاء في قوله: «**مَتَّعْنَا بِهِ**».

و(من) في قوله: ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ﴾ يحتمل الرفع على طريقة الاستفهام، والنصب على معنى (الذي).

«**فنتبع**» نصب لأنه جواب بالفاء للاستفهام؛ لأن قوله: «[لولا] **أرسلت**» أي: هلا أرسلت، وهل[٢] استفهام في اللغة.

۞ النزول

قيل: نزل برسول الله ﷺ وآله[٣] ضيف، ولم يكن عنده شيء، فأرسل إلى يهودي ليستقرضه[٤] فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن أبي رافع، وقال: أرسلني إلى اليهودي.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الكفار وما أعد لهم، بين حالهم في الدنيا فلا يغتر أحد بهم[٥]، فقال سبحانه: «**وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**» أي: لا تنظر، قيل: نَظَرَ رَغْبَةٍ، وقيل: نظر تأسف على فائت «**إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ**» أي: أعطيناهم ليتمتعوا بها من نعيم الدنيا «**أَزْوَاجًا مِنْهُمْ**»

(١) أي نير اللون: +، ب، ي.
(٢) وهل: وقيل، ز.
(٣) وآله: +، ي.
(٤) ليستقرضه: ـ ، ب، ي.
(٥) فلا يغتر أحد بهم: فلا يعتبر بهم أحد، ز، ل، م.

قيل: أزواجاً من بعضهم[١] لا من نعت المتاع، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: معناه أمثالاً وأشباهاً؛ لأنهم أشكال في الذهاب عن الصواب، وقال بعضهم: أزواجاً أراد الذكر والأنثى، وقيل: هو من نعت المتاع أي: أصنافاً من نعيم الدنيا، وقيل[٢]: أزواجاً آحاداً؛ لأن الواحد بعد الواحد من الجماعة، عن أبي مسلم. «**زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا**» قيل: زينتها، عن قتادة وغيره. وشَبَّهَهَا بالزهرة لسرعة زوالها، ونحو ذلك قول النبي ﷺ: «حلوة خضرة»، «**لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**[٣]» أي: لنختبرهم، ومعناه نعاملهم معاملة المختبر فيما أوتوا[٤]؛ ليظهر المحق من المبطل والشاكر من الكافر، وذلك أنه يلزمه عند إيتاء الزكاة[٥] تكاليف على ما يلزمه في الأموال والدواب وفي العبيد والجواري، وقيل: أمرهم وهم أغنياء وملوك وكبراء باتباع النبي ﷺ والمؤمنين وهم فقراء، وذلك[٦] شدة تعبد عليهم، فذلك معنى: «**لنفتنهم**»، وقيل: نفتنهم نعذبهم[٧] بما أوتوا من ذلك فنعذبهم بعذاب الدنيا والآخرة، عن أبي مسلم. وقيل: نفتنهم بأن أمرناهم بإنفاقه والزكوات والحج والجهاد، وقيل: نختبرهم بقلة الإمتاع وسرعة الزوال وسوء الحساب «**وَرِزْقُ رَبِّكَ**» أي: عطاء[٨] ربك، قيل: الذي وعدك في الآخرة «**خَيْرٌ وَأَبْقَى**» مما متعنا به هؤلاء في الدنيا، عن أبي علي، وأبي مسلم، وجماعة. وقيل: ما[٩] أعطاك في الدنيا مع حسن العاقبة خير مما أعطاهم إذ كان عاقبتهم النار، وقيل: ما أعطاك ربك[١٠] خير؛ لأنه لا يُغْتَنَمُ[١١] كما تغتنم[١٢] أموال الكفار، والأول الوجه

(١) بعضهم: نعمتهم، ز، م.
(٢) أزواجاً منهم. . . وقيل: ـ ، ل.
(٣) فيه: ـ ، ب، ي.
(٤) أوتوا: وتوا، ز.
(٥) الزكاة: الدنيا، ب، ي.
(٦) وفقراء وذلك: ويراد ذلك، ل.
(٧) نعذبهم: +، ب، ز، ي.
(٨) عطاء: إعطاء، ل.
(٩) ما: مما، ل.
(١٠) ربك: ـ ، ل.
(١١) يغتنم: يغنم، ل.
(١٢) تغتنم: نغنم، ل.

«**وَأَبْقَى**» أدوم «**وَأْمُرْ أَهْلَكَ**» قيل: أهل بيتك وأهل دينك «**بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**» أي: على فعلها «**لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا**» أي: لا نسألك شيئاً ينتفع به كما يفعله ملوك الدنيا من جر المنافع، وإنما نكلفك العمل الذي يعود نفعه إليك[1]، وقيل: لا نكلفك رزقك ورزق عيالك؛ بل كلفناك العبادة وأداء الرسالة، وضمنا رزق الجميع «**نَحْنُ نَرْزُقُكَ**» أي: نعطيك «**وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**» أي: العاقبة المحمودة لأهل التقوى، وقيل: لا ينفق في سوق العاقبة إلا التقوى فكان العاقبة له، وعن هشام بن عروة بن الزبير قال: كان عروة بن الزبير[2] إذا رأى ما عند السلطان دخل بيته وقرأ: «**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا**[3] . . .» الآيات، ثم ينادي: الصلاة يرحمكم الله، «**وَقَالُوا**[4]» **يعني الكفار** «**لَوْلاَ يَأْتِينَا**» محمد «**بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ**» أي: بحجة تدل على نبوته من عند ربه، كما أنزلها[5] على[6] الأنبياء من قبله «**أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى**» أي: الكتب الأولى، قيل: تحكموا في طلب الآيات، فلما جاءتهم لم يؤمنوا، فعذبوا بالاستئصال، وقيل: ما في التوراة والإنجيل من البشارة بما وافق صفته ﷺ، وقيل: أتاهم[7] في هذا القرآن بيان ما في الكتب، عن أبي مسلم. ولم يكن له[8] طريق إليه[9] إلا بالوحي؛ لأنه كان أمياً لا يقرأ «**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ**» أي: من قبل نزول القرآن وبعثة محمد ﷺ وآله «**لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً**» يعني لو هلكوا في الدنيا ثم بعثوا في يوم[10] القيامة لقالوا؛ لأنه[11] لا يصح قولهم بعد الهلاك إلا[12] على هذا الوجه،

(١) إليك: عليك، ز.
(٢) قال كان عروة بن الزبير: ـ ، ل.
(٣) عينيك إلى ما متعنا: +، ب، ي.
(٤) وقالوا: فقالوا، ز، ل، م.
(٥) أنزلها: أنزلهما، ب، ز، ي.
(٦) على: ـ ، ز، ب، ي.
(٧) أتاهم: أتتهم، ب، ي.
(٨) له: +، ب، ي.
(٩) إليه: البتة، ب، ي.
(١٠) يوم: ـ ، ل، م.
(١١) لأنه: إنه، ب، ي.
(١٢) إلا: الأول، ز، ل، م.

وقيل: لقالوا عند معاينة الهلاك، وقيل: معناه لكان لكم[1] أن تقولوا، عن أبي علي، و[2] أبي مسلم. ومعنى[3] «لَوْلاَ أَرْسَلْتَ» أي: هَلاَّ أرسلت رسولاً إلينا «فَنَتَّبِعَ» رسولك و«آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى» نفتضح بالعذاب «قُلْ» يا محمد لهم[4] «كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ» منتظر الدوائر[5] ولمن يكون الفتح والنصر «فَتَرَبَّصُوا» أنتم انتظروا «فَسَتَعْلَمُونَ» إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، وقيل: كل متربص هلاك صاحبه، وقيل: نحن نتربص وعد الله ليأتيكم وأنتم تتربصون[6] موتنا «فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ» الطريق «السَّوِيِّ[7]» المستقيم والدين الحق «وَمَنِ اهْتَدَى» إلى رشده[8] نحن أم أنتم.

الأحكام

يدل قوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ على[9] تأديب من الله تعالى لعباده في الزهد في الدنيا، والقناعة بقليلها وحقيرها[10]، وألاَّ يغتر[11] بها، وتقوية لقلب الرسول ﷺ، والخوف[12] عند[13] مشاهدة هؤلاء الكفار وما أوتوا من النعم.

وتدل على أن ما أعد الله[14] للمؤمنين من ثواب الجنة خير وأدوم، وفيه ترغيب في أمر الآخرة.

---

(١) لكم: +، ب، ي.
(٢) أبي علي و: ـ، ب، ي.
(٣) ومعنى: ومعناه، ب، ز، م، ي.
(٤) لهم: لهؤلاء، ز.
(٥) الدوائر: لدوله، ز؛ الذلة، ل، م.
(٦) تتربصون: تربصون، ز، ل، م.
(٧) السوي: ـ ب، ي.
(٨) رشده: دينه، ل.
(٩) على: ـ ، ز.
(١٠) وحقيرها: وتحقيرها، ب، ي.
(١١) يغتر: يعتبر، ل، م.
(١٢) والخوف: والمؤمن، ب، ي؛ والحرف، ز.
(١٣) عند: من عند، ز.
(١٤) الله: +، ب، ي.

ويدل قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا﴾ وقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم﴾ على وجوب اللطف؛ لأنه بين أنه[١] بعث الرسول لطفاً لهم، ولو لم يبعث لكان لهم الحجة عليه، فبعث قطعاً للعذر وإزاحة للعلة.

ويدل آخر الآيات على وعيد عظيم.

وتدل الآيات على بطلان مذهب الجبر من وجوه:

منها[٢]: أنه بَيَّنَ أنه لو لم[٣] يبعث رسولاً لكان[٤] لهم الحجة، وعلى قولهم أنه لا اعتبار[٥] بالرسول، فإذا خلق الكفر والقدرة الموجبة للكفر وأراد منهم الكفر[٦]؛ ولم يخلق الإيمان، ولا أعطاهم قدرة الإيمان، ولا أراد منهم[٧] الإيمان؛ بل كرهه[٨]، فهذا آكد في العذر، وأنه لو خلق الإيمان ولا رسول كانوا مؤمنين[٩]، ولو لم يخلق وملأ الدنيا بالرسل والكتب والمواعظ لما آمنوا، فأي فائدة في هذا، وأي قطع للعذر.

ومنها: أنه بين أنه لا يعذب إلا بَعْدَ الرُّسُلِ، وعندهم لو عذب ولم يرسل جاز.

ومنها: أنه لم[١٠] يعذبهم قبل الرسول فيكون[١١] ذلك حجة عليهم، وعندهم لو عذب الأنبياء والمؤمنين وأثاب الفراعنة جاز، تعالى الله عن ذلك وعما يقول الظالمون[١٢] علواً كبيراً.

---

(١) بين أنه: +، ب، ز، ي.
(٢) منها: +، ب، ز، ي.
(٣) لم: +، ب، ي.
(٤) لكان: ـ، ز.
(٥) أنه لا اعتبار: لاعتبار، ز.
(٦) وأراد منهم الكفر: +، ب، ي.
(٧) منهم: فيهم، م.
(٨) كرهه: كرهوا، ز.
(٩) مؤمنين: +، ب، ي.
(١٠) لم: أنه لو. ز؛ أنه لو لم، ل، م.
(١١) فيكون: يكون، ز، ل، م.
(١٢) يقول الظالمون: +، ب، ي.



سورة الأنبياء

سورة (الأنبياء) مكية، عن ابن عباس، وقتادة، والأصم.

وهي مائة واثنتا عشرة آية في الكوفي، وهو أصح الأعداد؛ لأنه عدد أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا أطلقت[1] العد[2] فهو عدد الكوفة، ومائة[3] وإحدى عشرة آية[4] في عد[5] الباقين.

وفي خبر أبي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ سورة ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ حاسبه[6] الله حساباً يسيراً، وصافحه وسلم عليه كل نبي ذُكِرَ اسمه في هذه السورة».

ولما ختم سورة (طه) بذكر الوعيد بقوله: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾[7] ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾[8] [طه: ١٣٥] بَيَّنَ أنه متى يكون، فافتتح السورة بذكر القيامة.

---

(١) في د، ي: أطلقنا.

(٢) في د، ز، ي: العدد.

(٣) في ز: مائة.

(٤) زيادة من ل، د، ي.

(٥) في د، ز، ي: عدد.

(٦) في ز: حاسبهم.

(٧) زيادة من د، ي.

(٨) زيادة من د.

قوله تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «قال ربي» بالألف على الخبر، وكذلك في مصاحف أهل الكوفة، والباقون: «قُلْ رَبِّي» على الأمر، وكذلك هي في مصاحفهم.

اللغة

القُرْبُ[1]: نقيض البُعْدِ[2]، والاقتراب افتعال منه، والقرب[3] على ثلاثة أوجه: قرب في المكان وهو الحقيقة، وقرب في[4] الزمان، وقَرُبَ الحال، وقَرُبَ واقترب بمعنى، والقرب والبعد[5] من جنس الأكوان، والاجتماع والافتراق والحركة والسكون عند[6] المتكلمين، وعند بعضهم: الكون جنس آخر.

والحساب والمحاسبة بمعنى، تقول: حاسبت حساباً ومُحَاسَبَةً، نحو: قاتلت قتالاً ومقاتلة.

---

(١) القرب: القريب، ل.

(٢) البعد: البعيد، ل.

(٣) والقرب: والأقرب، ل.

(٤) في: +، د، ي.

(٥) والبعد: والبعدي، ز.

(٦) عند: وعند، ز، ل، م.

والغفلة: السهو[١]، وهو ذهاب المعنى عن النفس، ونقيضها: اليقظة، والسهو عند بعضهم معنى برأسه، وعند بعضهم: فساد في القلب، وعند القاضي: ذهاب العلم الضروري بما جرت العادة به.

والضَّغْثُ: التباس الشيء بعضه ببعض، ويقال للحالم[٢] أَضْغَثَ الرؤيا، ومنه: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ﴾ [يوسف: ٤٤]، والضغث في اللغة: الحزمة من كل شيء كالبقل[٣] والحشيش، وقيل: ملء اليد من الحشيش، والأحلام: الرؤيا المختلطة.

۞ الإعراب

الواو في قوله: «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» واو الحال.

«لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ» قيل[٤]: نعت للقلب[٥]، وقيل: هو في محل النصب، وقيل: نصب على الحال أي في حال لهو قلوبهم، وقيل: نصب على الذم، وقيل: نعت تقدم الاسم، والنعت يتبع الاسم في إعرابه إذا تأخر عنه[٦]، يقال: هذا رجل عالم، ومررت برجل عالم، ورأيت رجلاً عالماً، فإذا تقدم الاسم فله حالتان: وصْلٌ وفَصْل، فحاله في الفصل النصب كقوله: ﴿خُشَّعًا[٧] أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القمر: ٧]، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ [الإنسان: ١٤]، و«لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ»، وقال الشاعر:

لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ[٨]

---

(١) السهو: والسهو، د.
(٢) للحالم: للحاكم، د.
(٣) كالبقل: كالنقل، ز.
(٤) قيل: وقيل، ز.
(٥) للقلب: للقب، ز.
(٦) عنه: +، د، ز، ي.
(٧) خشعا: خشا، ز.
(٨) البيت لكثير عزة، وتمامه:
لمية موحشا طلل ... يلوح كأنه خلل
انظر: الصحاح مادة: وحش، وورد البيت في اللسان:
لسلمى موحشا طلل

أراد طلل[1] موحش.

وحالهُ في الوصل حالُ ما قبله من الإعراب[2] كقوله: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

وقوله: «مُحْدَثٍ» جر نعت للذِّكْرِ[3]، ويجوز فيه الرفع على تقدير: هو محدث، ويجوز النصب أيضاً.

ويقال: ما موضع «الَّذِينَ ظَلَمُوا» من الإعراب؟ وهلا قيل: وأَسَرَّ؛ لأنه فِعْلٌ تقدم[4] الاسم؟

قلنا: اختلفوا فيه، قيل: محله جر على أنه بدل من الناس، عن الفراء. وقيل: محله رفع على البدل من الضمير في قوله: «وأسروا» وذلك جائز في اللغة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ[5]﴾ [المائدة: ٧١]، وعن بعض العرب: أكلوني البراغيث، عن قطرب. وقيل: رفع على الاستئناف تقديره: هم الذين ظلموا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، وأراد والذين ظلموا أسروا النجوى، عن الكسائي. وقيل: محله نصب بتقدير: أعني الذين ظلموا.

۞ النزول

قيل: نزلت الآيات في منكري البعث.

۞ المعنى

«اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» قيل: اللام بمعنى مِنْ، أي قرب الناس من[6] حسابهم،

---

(١) طلل: +، د، ز، ي.
(٢) الإعراب: الإعر، ز.
(٣) للذكر: الذكر، د، ي.
(٤) تقدم: مقدم، ل؛ متقدم، ز.
(٥) منهم: ـ، د، ي.
(٦) من: ـ، ز.

والمراد بالناس: المكلفون، وقيل: قرب وقت المحاسبة، وقيل: قرب محاسبة الله إياهم على أعمالهم، عن أبي مسلم. والمراد به قرب القيامة؛ إذ[1] كان من أشراطها أمر النبيﷺ وعلى آله، عن أبي علي. «**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**» أي: من دنوها وكونها «**مُعْرِضُونَ**» قيل: عن التفكر[2] فيها والتأهب لها، وقيل: عن الإيمان بها[3].

ويقال[4]: لِمَ ذكر الحساب؟

قلنا: لأنه الكاشف عن حال المكلف والتخويف بذكره أعظم.

«**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ**» قيل: أي شيء من القرآن محدث ينزله[5] سورة فسورة وآية فآية، تنبئهم عن ذكر القيامة والوعد والوعيد، وقيل: الذكر هو محمدﷺ، والأول الوجه، وقيل: الذكر ما يذكرهم[6] من أمر الآخرة وتحذيرهم المعاصي[7]، عن أبي مسلم. «**إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**» قيل: كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل، عن الحسن، وقتادة. وقيل: يلعبون أي[8] يفعلون ما لا يعنيهم ولا يتعظون ولا يعتبرون «**لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ**» قيل: غافلة من أمر دينهم معرضة عن ذكر الله، عن قتادة وغيره. وقيل: بحرصهم على الدنيا وجمع المال.

ومتى قيل: أَكُلُّ[9] أعمال الدنيا لعب؟

قلنا: نعم[10]، إلا ما يكون[11] لآخرته أو لطلب[12] معيشة.

---

(١) إذ: إن، ز.
(٢) التفكر: التذكر، د، ي.
(٣) بها: ـ، ز.
(٤) ويقال: ومتى قيل، د، ي.
(٥) ينزله: نزله، د؛ فينزله، ل، م.
(٦) يذكرهم: يذكر، ل.
(٧) المعاصي: ـ، ز، ل، م.
(٨) أي: +، د، ي.
(٩) أكل: كل، د، ي.
(١٠) نعم: بلى، د، ي.
(١١) ما يكون: ما كان، ل.
(١٢) لطلب: طلب، ل.

وقيل: لِمَ سماه لعباً؟

قلنا: لأنه لا عاقبة له كلعب الصبيان؟

ومتى قيل: كيف عجب من غفلتهم وإعراضهم مع كونهم منكرين للبعث؟

فجوابنا: لأن أقل أحوال العاقل[(١)] فيما يورد عليه من المخاوف أن ينظر ويحتاط وهم لم يفعلوا ذلك[(٢)].

«**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**» قيل: أسروا أخفوا، وقيل: أظهروا، وهو من الأضداد، والنجوى[(٣)] أي أخفوا مناجاتهم، وهو كلام ينفرد به اثنان سراً كان أو جهراً، قال الله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَهُ[(٤)] نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، «**الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا**» يعني محمداً[(٥)] ﷺ «**إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**» نفروا الناس عنه بشيئين: أحدهما: أنه بَشَرٌ، والثاني: أن ما أتى به سِحْرٌ، وكل واحد منهما جَهْلٌ؛ لأن النبوة تتبع المصلحة لا الصورة، وتثبت بالمعجز، والقرآن معجز[(٦)]؛ إذ لو كان سحراً لقدر[(٧)] عليه غيره من البشر «**أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**» يعني أتقبلون[(٨)] وأنتم تعلمون أنه سحر، وقيل: أيروج عليكم وأنتم بصراء عقلاء «**قُل**» يا محمد لهم «**رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ**» أي: هو عالم بأسرار المتناجين وبكل[(٩)] قول «**فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**» «**وَهُوَ السَّمِيعُ**» لأقوالهم «**الْعَلِيمُ**» بأفعالهم وضمائرهم[(١٠)] «**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ**» قيل: تخليط رؤيا رآها[(١١)] في المنام، عن قتادة. «**بَلِ افْتَرَاهُ**» أي:

(١) العاقل: الغافل، ل.
(٢) ذلك: كذلك، ز.
(٣) والنجوى: النجوى، ز، ل.
(٤) وقربنٰه: وقربنا، ز.
(٥) محمداً: محمد، ز، م.
(٦) معجز: معجزة، د، ي.
(٧) لقدر: لقدره، ل، م.
(٨) أتقبلون: أتقولون، ز؛ أتقلبون، ل.
(٩) وبكل: ولكل، ز، ل، م.
(١٠) وضمائرهم: وضميرهم، ز.
(١١) رآها: ـ، ل.

ما أتى به كذب فيه[1] ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا﴾ محمد ﴿بِآيَةٍ﴾ بحجة[2] إن كان صادقاً ﴿كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ من الرسل يأتوا[3] بالآيات كَفَلْقِ البحر وانقلاب العصا حية لموسى[4]، وإحياء الميت لعيسى، عن أبي علي. وقيل: فليأتنا بآية مصرحة.

ويقال: ما معنى: «بل» هاهنا؟

قلنا: الإضراب عما حكى أنهم قالوا أولاً[5]، والإخبار عما قالوه ثانياً. وقيل: إنهم قالوا قَوْلَ مُتَحَيِّرٍ قد بهره[6] ما سمع، فمرة يقول ساحر، ومرة يقول شاعر، ولا يقطع على[7] شيء، وقيل: اقتسموا القول، فقال بعضهم: أضغاث أحلام، وقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: فِرْيَةٌ. وقيل: (بل) للرجوع، كأنهم قالوا ساحر ثم[8] فكروا وعلموا أن ذلك ليس بسحر، فقالوا: هو منامات[9] مختلطة[10]، ثم نظروا[11] وعلموا أنه لا يشبه ذلك فقالوا: فرية، ثم تفكروا فوجدوا الخبر كما أخبر فقالوا: شاعر، ثم علموا أنه ليس بشعر فقالوا: فليأتنا بآية اقتراحاً[12].

۞ الأحكام

تدل الآيات على إثبات المعاد والحساب والجزاء.

وتدل على أنه يَرِدُ بعضه[13] تحذيراً[14] للمكلف.

---

(١) فيه: +، ز.
(٢) بحجة: حجة، د، م، ي.
(٣) يأتوا: فأتوا، د، ي.
(٤) لموسى: ـ، ل.
(٥) أولا: ـ، ز، ل، م.
(٦) بهره: لاده، ز، ل، م.
(٧) على: ـ، ز، ل، م.
(٨) ثم: لم؛ ز؛ ولم، ل، م.
(٩) منامات: منافاة، د، ي.
(١٠) مختلطة: مختلفة، ل.
(١١) نظروا: تفكروا، ز.
(١٢) اقتراحاً: اختراعاً، م، ل.
(١٣) بعضه: بعثه، ل، م.
(١٤) تحذيراً: تحديداً، د، ي.

وتدل على أنه قريب، وروي عن النبيﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى الوسطى والسبابة»، وإنما قال: «**اقترب**[١]»؛ لأنه يأتي على أمته ولا نبي بعده، ولا يُنْسَخُ شرعه، ولذلك سمي خاتم النبيين، وقيل: لهما حال قرب يقتضي مدة التكليف بعده.

وتدل على تعجيب من حالهم في غفلتهم وإعراضهم مع أنهم يطالبون بالحساب.

وتدل على أنه مع قرب الساعة الناس أكثر إعراضاً، ولهذا قال النبي[٢]ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

ويدل قوله: «**محدث**» على حدث القرآن؛ لأن المراد بالذكر القرآن[٣]، ولهذا قال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾، ولا يقال: المراد حَدَثُ إتيان الذكر أو حكاية[٤] كلامه أو صفة الوحي؛ لأن جميع[٥] ذلك مجاز، يوضحه أنه قال: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ وهو صفة الذكر.

وتدل على وجوب التدبر في القرآن وأنه حجة لذلك ذم الإعراض والمعرضين.

وتدل على[٦] أن القوم كانوا متحيرين لذلك لم يقطعوا على أمر، وهكذا كل مبطل.

وتدل على بطلان قول المجبرة في خلق الأفعال من وجوه:

أحدها: الحساب، ولو كان خلقاً له لكان لا يحاسب العباد عليه.

ومنها: قوله: «**يلعبون**» فأضاف اللعب إليهم، وكذلك[٧] «**أسروا النجوى**»،

(١) اقترب: قرب.، د، ي، اقتربت، ل.
(٢) النبي: +، د، ي.
(٣) لأن المراد بالذكر القرآن؛ +، ي.
(٤) حكاية: وحكاية، ل.
(٥) جميع: ـ ، ز.
(٦) على: ـ ، ز، ل، م.
(٧) وكذلك: ولذلك، ز.

وكذلك[١]«**بل قالوا**»، ولأنه ذمهم ووبخهم بجميع ذلك، ولو كان خَلْقًا[٢] له[٣] لما صح ذمهم.

قوله تعالى:

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

۞ القراءة[٤]

قرأ حفص عن عاصم: «**إلا رجالاً نوحي إليهم**[٥]» بالنون وكسر الحاء، أضاف الوحي إلى نفسه تعالى، والباقون بضم الياء وفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ فاعله.

۞ اللغة[٦]

السَّرَفُ: مجاوزة الحد، والمسرف الخارج عن الحد إلى ما باعد منه، أسرف إسرافاً، والسَّرَفُ الجهل، والمسرف الجاهل، فأما السَّرَفُ في قول جرير:

ما في عطائهم مَنٌّ ولا سَرَفٌ

فمعناه[٧]: الإغفال، يقال: مررت بكم فَسَرِفْتُكُمْ أي: أغفلتكم.

---

(١) وكذلك: وقوله، ز، ل، م.
(٢) خلقا: ـ ، ل.
(٣) له: ـ ، د، ي.
(٤) القراءة: اللغة، د، ي.
(٥) إليهم: ـ ، د، ي.
(٦) اللغة: ـ ، د، ي.
(٧) فمنعاه: معناه، ل.

الإعراب

«أَفَهُمْ» استفهام والمراد الإنكار، يعني لا يؤمنون وإن جاءتهم الآيات.

«وَمَنْ نَشَاءُ» محله نصب، تقديره: وأنجينا من نشاء، ووحد الجسد[1]؛ لأن أصله المصدر كالخلق.

المعنى

لما تقدم الحكاية عن[2] الكفار بأنه[3] شاعر وساحر[4] وهلا[5] أتى بآية، بيّن الجواب، وأتى بالمقنع فقال سبحانه: «مَا آمَنَتْ» أي: ما صَدَّقَتْ «قَبْلَهُمْ» قيل: هم الكفار «مِنْ قَرْيَةٍ» قيل[6]: من أهل قرية «أَهْلَكْنَاهَا» أي: جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا فأهلكناهم مُصِرِّينَ على الكفر «أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ» عند مجيئها، هذا جواب لقولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾ وإخبار عن حالهم وأن سبيلهم سبيل[7] من تقدم[8] من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا فأهلكوا[9]، وهؤلاء لو أتاهم لما آمنوا، ولاستحقوا[10] عذاب الاستئصال، لذلك[11] لم يجبهم، وقيل: ذلك احتجاج[12] عليهم أي لو كان مجيء الآيات سبباً يؤدي إلى الإيمان[13] من غير أن يكون لطفاً لكان[14] سبباً يؤدي إلى

(١) ووحد الجسد: وفصلوا بحسد، ز، ل، م.
(٢) عن: من، ل.
(٣) بأنه: أنه، ز، ل، م.
(٤) شاعر وساحر: ساحر وشاعر، د، ي.
(٥) وهلا: هلا، ز، ل، م.
(٦) قيل: أي، د، ي.
(٧) سبيل: ـ، م.
(٨) من تقدم: ـ، ل.
(٩) فاهلكوا: وأهلكوا، د، ي.
(١٠) ولاستحقوا: ولااستحقوا، ل.
(١١) لذلك: كذلك، ز، ل، م.
(١٢) احتجاج: احتاج، ز.
(١٣) الإيمان: إيمان، ز، ل، م.
(١٤) لكان: كان، ز، ل، م.

إيمان أولئك لا محالة، فلما لم يكن كذلك لأولئك لم يكن[١] لهؤلاء[٢]، وقيل: ما حكم الله بهلاك قرية إلا أن المعلوم أنهم لا يؤمنون؛ فلذلك[٣] لم يأتهم بالآيات المقترحة «**وَمَا أَرْسَلْنَا**» من «**قَبْلَكَ**» يا محمد «**إِلاَّ رِجَالاً**» وهذا جواب لقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] وفيه احتجاج عليهم، أي: لو كان يجب كون الرسول إلى هؤلاء من غير البشر؛ لوجب في أولئك، وما أرسلنا إليهم إلا رجالاً «**نُوحِي إِلَيْهِمْ**» قيل: ما أرسل الله امرأةً[٤] ولا رسولاً من الجن ولا من أهل البادية، عن الحسن. «**فَاسْأَلُوا**» يعني إن كنتم في شك من ذلك فاسألوا «**أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**» قيل: أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم، فقد كانت الرسل لا تأتيهم إلا من البشر، «**فَاسْأَلُوا**[٥]**أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**[٦]» قيل: أهل الذكر: أهل التوراة والإنجيل، عن الحسن، وقتادة. وقيل: الذكر: القرآن، وأهل الذكر هم المؤمنون، يعني المؤمنين العالمين بالقرآن، عن ابن زيد. وقيل: لما نزلت الآية قال أمير المؤمنين (عليه السلام): نحن أهل[٧] الذكر، عن جابر الجعفي.

ويقال: لِم جاز أن يأمر أن يَسْأَلَ أهل الكتاب وهم كفار؟ ففيه وجهان:

أحدهما: أنه يقع العلم لهم[٨] ضرورة، عن أبي علي.

وقيل: لأن[٩] الجماعة الكثيرة إذا أخبرت عن مشاهدة فهي دلالة مؤدية إلى العلم.

«**وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا**» يعني الرسل الأولين ما جعلناهم «**لاَ**[١٠] **يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ**»

---

(١) لم يكن: كذلك، د، ز، ي.
(٢) لهؤلاء: أهؤلاء، ي؛ هؤلاء، د.
(٣) فلذلك: ولذلك، ز.
(٤) امرأة: امرأتا، ز؛ أمرا، ل.
(٥) فاسألوا: وقيل، د، ي.
(٦) لا تعلمون: ـ ، ل.
(٧) أهل: أولوا، د، ي.
(٨) لهم: بهم، ز.
(٩) لأن: كانت، ز، كان.
(١٠) لا: إلا، ز.

والشراب مثل الملائكة؛ بل هم بشر محتاجون، وهذا جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا[(١)] ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]، «وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ» أي: باقين في الدنيا لا يموتون، وكذلك[(٢)] حالك «ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ» قيل: في إنجائنا إياهم وإهلاك الكفار المكذبين لهم.

النظم[(٣)]

ويقال: كيف يتصل هذا بما قبله؟

قلنا: لأنهم[(٤)] كانوا على صفة البشر فاختارهم الله تعالى وأوحى إليهم، ووعدهم النصر على أعدائهم، وصَدَقَهُمْ[(٥)] الوعد، وقيل: كما صدقناهم الوعد في إهلاك أعدائهم[(٦)] كذلك نفعل بك وبقومك المكذبين لك.

«فَأَنجَيْنَاهُمْ» خلصناهم «وَمَنْ نَشَاءُ» من المؤمنين «وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ» قيل: المشركين، عن قتادة. وقيل: المجاوزين حد الله تعالى «لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا» يعني القرآن «فِيهِ ذِكْرُكُمْ» قيل: ما تحتاجون إليه من أمر دينكم[(٧)]، عن الحسن. وقيل: حديثكم، عن مجاهد. وقيل: شرفكم بإنزاله بلغتكم على رجل منكم، وقيل: ذكركم لما فيه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، وقيل: موعظة لما[(٨)] وعد الله فيه وأوعد «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أي: أفلا تعلمون أن ذلك الأمر كما أخبرتكم[(٩)]، عن أبي علي. وقيل: أفلا تتفكرون فيه[(١٠)]؛ لتفوزوا بما فيه نجاتكم ديناً ودنيا.

---

(١) هذا: لهذا، د، ز، ل، م، ي.
(٢) وكذلك: فكذلك، ي.
(٣) النظم: +، د، ي.
(٤) لأنهم: إنهم، د، ل، م، ي.
(٥) وصدقهم: فصدقهم، ز، ي.
(٦) أعدائهم: أعداء، ي.
(٧) دينكم: دينهم، ز.
(٨) كما: بما، د، ي.
(٩) أخبرتكم: أخبرناكم، د، ي.
(١٠) فيه: قيل، د، ي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه لم يرسل إلا رجالاً، ولم يبعث امرأة ولا صبياً ولا جنياً.

وتدل على أن ما اقترحوا[١] من الآيات لم يكن لطفاً لهم، وأن حكم المقترح حكم الواقع، فإذا لم يؤمنوا بالواقع كذلك بالمقترح.

ويدل قوله: «**فسألوا**» على جواز الرجوع إلى أهل الكتاب وإلى الأحبار؛ لأن معرفة كون الأنبياء من البشر طريقه التواتر.

وتدل على عظيم نعمه بإنزال القرآن وما فيه من الشرف، وبيان ما يحتاجون إليه على ما روي في الخبر[٢]: «فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وفَصْلُ[٣] ما بينكم».

قوله تعالى:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ (١٣) قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ (١٥)﴾

۞ اللغة

القصم: الكسر، قصمت الشيء: كسرته، وقيل: القصم بالقاف أن يكسر الشيء اثنين، ومنه: هو أقصم[٤] الثَّنِيَّة؛ أي: منكسرها، والفَصْمُ بالفاء أن يتصدع الشيء فلا يَبِينَ، يقال: قصمه يقصمه قصماً وانقصم قصماً[٥] وانقصاماً، وهو قاصم الجبابرة، والعرب تسمي الشدائد قاصمة الظَّهْرِ.

---

(١) اقترحوا: ما اقترحوه، د.
(٢) في الخبر: +، د، ي.
(٣) وفصل: وقيل، ز.
(٤) أقصم: قصيم، ز، ل، م.
(٥) قصما: ـ ، د، ي.

والإنشاء: إيجاد الشيء من غير سبب أنشأه، ونظيره: الاختراع والابتداع، والنشأة الأولى: الدنيا، والنشأة الثانية: الآخرة.

والإحساس: الإدراك بحاسة من الحواس الخمس، أَحَسَّهُ إحساساً وأحسّ به.

والركض: العَدْوُ بشدة الوطء، ركض دابته: ضربها برجله لتعدو، وارْتِكَاضُ الصبي[1]: اضطرابه في بطن أمه، وأصله التحريك.

والترفه: النعمة، والمترف المُنَعَّم، والترفه: التنعم وهو[2] طلب النعمة، قال ابن عرفة: المترف: المتروك[3] يصنع ما يشاء لا يُمْنَعُ منه، وقيل للمتنعم: مترف؛ لأنه يطلق له ما يفعل لا[4] يُمْنَعُ منه.

والويل: الوقوع في الهلكة، قال ابن عرفة: الويل الحزن[5]، تَوَيَّلَ[6] الرجل: دعا[7] بالويل، وهي[8] الويل والوَيْلَةُ، قال الفراء: أصله وَيْ، أي: حُزْنٌ، فوصلت العرب اللام، وقد روي[9] أنها منه فأعربوها، وقال غيره: بل هي كلمة واحدة.

والحَصْدُ: قصد الاستئصال، كما يحصد الزرع بالمِنْجَلِ.

والخمود والهمود: خمود النار إذا[10] طُفِئَتْ، خمدت النار خموداً إذا طفي لهبها، وخمدت الحمّى: سَكَنَتْ، وخمد الرجل: مات أو أغمي عليه.

---

(١) الصبي: الظبي، ز، م.
(٢) وهو: وهي، ي.
(٣) المتروك: ـ ،ل.
(٤) لا: ـ ، ل.
(٥) الحزن: الخزي، ز.
(٦) تويل: أويل، م؛ فويل، د، ي.
(٧) الرجل دعا: دعاه؛ د، ي.
(٨) وهي: وهو، ز.
(٩) روي: راو، ز، ل، م.
(١٠) إذا: ـ ، ز، ل.

۞ الإعراب

نصب «يَا وَيْلَنَا» على تقدير: ألزمنا، يا ويلنا ويا ويلتنا[1] لغتان، ومعنى النداء كأنه قال: يا ويلتي تعالي[2] فهذا[3] حينك.

۞ النزول

قيل: نزلت الآيات[4] في قوم من اليمن أتاهم رسول من الله تعالى فكذبوه وقتلوه، فأتاهم بخت نصر، فقتلهم وسباهم، وخرجوا من ديارهم منهزمين.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما نزل بالمكذبين قبلهم، فقال سبحانه: «وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً» قيل: أهلكنا، وقيل: قدرنا هلاكها، والعرب تسمي الشيء باسم ما لم يجاوزه كقوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١] أي: قربن من ذلك، وإنما يسمى[5] الهلاك قصماً؛ لأنه يقصم الظهر أي: يكسره[6] «كَانَتْ ظَالِمَةً» لنفسها بعصيان الله تعالى «وَأَنْشَأْنَا» أحدثنا وخلقنا بعد إهلاك تلك القرية «قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا» قيل: هذا يتصل بما قبله، تقديره: وكم أهلكنا من قرية كانت ظالمة[7] فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا» عذابنا «إِذَا هُمْ مِنْهَا» أي: من قريتهم «يَرْكُضُونَ» أي: يخرجون سراعاً هاربين رجاء النجاة وطلباً لها[8] «لاَ تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ» يعني قيل لهم[9]: لا تخرجوا،

(١) ويا ويلتنا: ـ، ز، ل، م.
(٢) يا ويلتي تعالي: ياويلي يقال، ز، ل، م.
(٣) فهذا: هذا، ز، ل، م.
(٤) الآيات: +، د، ز، ي.
(٥) يسمى: سمي، د، ز، ي.
(٦) أي يكسره: أي يكسره أي، د، ي.
(٧) فلما أحسو... ظالمة؛ +، د، ي.
(٨) لها: لها به، ي.
(٩) لهم: ـ، ز.

فلا ينفعكم الهرب من عقاب[1] الله إذا[2] أتاكم، وارجعوا إلى ما كنتم تتنعمون فيه وإلى مساكنكم التي كنتم فيها بَطِرِينَ، توبيخاً وتقريعاً على ما فرط منهم، وقيل: ارجعوا إلى النعم التي عصيتم الله فيها ولأجلها، وقيل: لما أخذتهم السيوف هربوا، فقالت الملائكة: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم، فرجعوا فقتلوا **«لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ»** قيل: تُسألون عن قتل نبيكم، عنابن عباس. وقيل: لعلكم تفقهون بالمسألة، عن مجاهد. وقيل[3]: لعلكم تُسألون عن دنياكم سؤال[4] استهزاء بهم، وقيل: تسألون من أين جمعتم وإلى أين خرجتم، وقيل: لكي[5] «تسألوا»[6] عن أعمالكم وتَنَعُّمِكُمْ بغير الحق، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: لكي تقتلوا بأموالكم أنفسكم[7] **«قَالُوا يَاوَيْلَنَا»** أي: لما رأوا العذاب اعترفوا وقالوا على سبيل التندم: **«يَاوَيْلَنَا»** قيل: الويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة[8]، وقيل: معناه واحزناه، قيل: المشقة والعذاب، عن ابن عباس. وقيل: الويل: الهلكة **«إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ»** أنفسنا بالعصيان **«فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ»** أي: قولهم ودعاهم **«حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا»** قيل: بالعذاب، عن الحسن. وقيل: بالسيف، عن مجاهد. وقيل: هو بُخْتُنَصَّر **«خَامِدِينَ»** قيل: ميتين لا حراك بهم، وقيل: أَصَبْنَا بالنار جسدهم فصاروا خامدين.

الأحكام

يدل قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ على إثبات المجاز في القرآن؛ لأن القرية لا

---

(١) عقاب: عذاب، د، ي.
(٢) إذا: ـ ، ز.
(٣) قيل تسألون. . . وقيل: ـ ، ل.
(٤) سؤال: شيئاً، د، ي.
(٥) لكي: لكن، د، ي.
(٦) تسألوا: تسألون: د، ز، م، ي.
(٧) أنفسكم: وأنفسكم، ل.
(٨) هلكه: هلكته، ز.

تكون ظالمة ولا مقصومة فالمراد[1] أهلها، وهذا هو المجاز؛ لأنه على ضروب: إما أن يفيد بزيادة، أو نقصان[2]، أو تشبيه.

وتدل على أن العذاب جزاء الظلم خلاف ما يقوله[3] أهل الجبر.

وتدل على أن الظلم فِعْلُهُمْ حادث من جهتهم، وليس بخلق الله تعالى؛ لذلك قالوا[4]، وندموا على ذلك.

وتدل على أن عذاب الله إذا وقع لا[5] ينفع الهرب، وفيه تحذير من حال الظلم وترغيب في الطاعة.

وتدل على أن العذاب أتاهم[6] من جهته تعالى أو بأمره؛ ولذلك[7] أضافه إلى نفسه، وذلك يبين أن ما روي أنه[8] كان من بُخْتُنَصَّر غير[9] صحيح.

وتدل على أن البطر في النعم قبيح.

ومتى قيل: في قوله: ﴿أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ مَنْ فَعَلَ ذلك بهم؟

قلنا: لم يكن ثَمَّ غيرهم وهم[10] نعموا أنفسهم، فأضيف إليهم، كما يقال: فلان معجب بنفسه، عن أبي مسلم.

وقيل: تنعموا[11] في نعم[12] أنعم[13] الله عليهم بها[14].

وقيل: نعم بعضهم بعضاً.

---

(١) فالمراد: والمراد، ز، ل، م.
(٢) أو نقصان: والقصان، م؛ والنقصان، ل.
(٣) ما يقوله: ما يقول، ز.
(٤) قالوا: قال، د، ي.
(٥) لا: فلا، ز.
(٦) أتاهم: أتهم، د، ي.
(٧) ولذلك: لذلك، د، ي.
(٨) أنه: +، د، ز، ي.
(٩) غير: أنه غير، ز، ل، م.
(١٠) وهم: رهم، ز.
(١١) تنعموا: نعموا، ز.
(١٢) نعم: نعيم، ز.
(١٣) أنعم: +، د، ي.
(١٤) بها: +، د، ي.

قوله تعالى:
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

اللغة

اللعب معروف، والتِّلْعَابَةُ[١]: الكثير اللعب، ومنه حديث علي (عليه السلام): (يزعم ابن النابغة أن[٢] فيّ دُعابة وأني امرؤ[٣] تِلْعَابَةٌ) يعني عمرو[٤] بن العاص، والملْعَب مكان اللعب، واللُّعْبَةُ اللون من اللعب[٥]، واللعب والعبث من النظائر، وهو كل عمل لا يجدي نفعاً ويكون كلعب الصبيان، ويقال: لعِب بكسر العين يلعَب بفتحها من اللعب، ولعَب يلعَب بفتحها من اللعاب، ومعناه: سال لُعَابُهُ.

والزاهق من الأضداد، يقال للهالك[٦] زاهق، والسمين من الدواب زاهق، وزَهِقَتْ نفسه: تَلِفَتْ تَزْهَقُ زهوقاً.

واللهو معروف، وكل ما شغلك فقد ألهاك، ولهوت من اللهو، ولهيت عنه إذا انصرفت عنه، ومنه الحديث: «إذا استأثر[٧] الله بشيء فَالْهَ[٨] عنه[٩]»، واللهو واللعب صفتا[١٠] نقص، وذلك[١١] لا يجوز في صفات القديم.

---

(١) والتلعابة: واللعابة، ز، ل، م.
(٢) أن: ـ ، ل، م.
(٣) أمرؤ: امرئ، ز، ل، م.
(٤) عمرو: عمر، ز.
(٥) واللعبة اللون من اللعب: واللعبة مكان اللعب، ز، ل، م.
(٦) للهالك: للرأة، ز، م؛ للمرأة، ل.
(٧) استأثر: استأمر، ز.
(٨) فاله: فسأله، ز، ل، م.
(٩) عنه: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) صفتا: صنفا، ز.
(١١) وذلك: ولذلك، ي.

والدمغ: شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، يقال: دَمَغَهُ يَدْمَغُهُ دَمْغًا، ورماه[1] فدمغه أي: أصاب دماغه، ويقال: دمغه أي[2] أهلكه، ومنه في صفة النبي ﷺ: دامغ جَيْشَات الأباطيل.

والاستحسار: الانقطاع من الإعياء، يقال: بعير حسير إذا أعيا فقام، وأصله من حسر عن ذراعيه إذا كشف، يعني كشف قوته بإذهابه بالإعياء، وجِمَالٌ حَسْرَى، وحسر البصر إذا كَلَّ لنظر بعيد، وحسر واستحسر بمعنى واحد إذا أعيا، والحاسر في الحرب: الذي لا درع له ولا مغفر كأنه كشف عن نفسه.

والفتور: الضعف، ومنه الطرف الفاتر الذي ليس بحديد، وفي الحديث: «نهى عن كل مُسْكِرٍ ومُفَتِّرٍ» فالمسكر ما يزيل العقل، والمفتر الذي يُفَتِّر الجسد[3]، وقال[4] ابن الأعرابي: أفتر الرجل إذا ضعف حقواه[5] وانكسر طرفه.

قيل: في «إِنْ كُنَّا» قولان:

أحدهما: (إن) بمعنى الشرط[6].

وثانيها: بمعنى (ما).

الإعراب

«لاعبين» نصب على الحال أي: ما كنا لاعبين في حال خلقهما.

النظم

قيل: لما تقدم قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ وهو شيء مموه لا حقيقة له؛ رَدَّ[7] ذلك عليهم بأن بيّن أنه ليس من صفته[8] ذلك، عن أبي مسلم.

---

(1) ورماه: ودماغ، ز، ل، م.
(2) أي: +، ز.
(3) الجسد: بالجسد، ز.
(4) وقال: قال، ل.
(5) حقواه: جفونه، ز، حقواه، د، ي.
(6) بمعنى الشرط: إلى الشرط، ز، ل، م.
(7) رد: ردد، د،ي: ليرد، ل.
(8) صفته: صفة، ز.

وقيل: رد عليهم قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]، فبيّن أنهم عبيده[١]، وذلك يحيل معنى الولادة؛ لأنه لا يكون إلا مع الجنسية، عن علي بن عيسى.

وقيل: لما[٢] تقدّم ذكر[٣] هلاك من تقدم، بيّن[٤] أنه لم يهلكهم إلا مجازاة؛ لأنه[٥] خلقهم للعبادة فكفروا فجازاهم[٦]، ولولا ذلك لكان[٧] خلق السماء والأرض وما بينهما لعباً؛ لأن خلق الأشياء إنما[٨] يحسن لأجل التكليف[٩] وحسن خلق المكلف[١٠] تعريضاً[١١] للثواب.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى أنه خلق جميع ما[١٢] خلق لغرض صحيح، فقال سبحانه: «**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ**» أي: عبثاً وباطلاً؛ بل خلقناهما لغرض صحيح وهو كونه نعمة ودلالة وتعريضاً لمنزلة عظيمة «**لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا**» أي: عبثاً ولعباً، قيل: اللهو: المرأة، عن الحسن، ومجاهد. قال قتادة: هو المرأة بلغة اليمن، وسميت بذلك لأنه يلهى بها، وقيل: اللهو الولد، عن ابن عباس، و[١٣] الحسن بخلاف. «**لاَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا**[١٤]» أي: كنا نتخذه بحيث لا يظهر[١٥]

(١) عبيده: عبيد، ز.
(٢) لما: +، د، ي.
(٣) ذكر: +، د، ي.
(٤) بين: ثم بين، ز، ل، م.
(٥) لأنه: لأنهم، ي.
(٦) فكفروا فجازاهم: فلما كفروا جازاهم، د، ي.
(٧) لكان: كان، د، ل، م، ي.
(٨) إنما: +، د، ز، ي.
(٩) التكليف، ـ، ز.
(١٠) المكلف: التكليف، ل، م.
(١١) تعريضاً: تعريض، د، ي.
(١٢) ما: ـ ، ل.
(١٣) الحسن ومجاهد. . . عباس و: ـ ، د، ي.
(١٤) لدن: عندنا، ز، ل، م، ي.
(١٥) لا يظهر: لايظهر عليه، د، ز، ي.

للعباد[١]؛ لأن العبث قبيح وإظهاره قبيح، وقيل: لاتخذناه من عندنا، ولم نتخذ امرأة ولا ولداً من أهل الأرض، وقيل: لو أردنا ذلك ما كنا نتخذه من الأوثان الذي أضفتموه[٢] إليه وهو جماد لا يسمع ولا يبصر؛ بل كنا[٣]نتخذه خلاف ذلك، عن أبي علي. وقيل: لاتخذناه من الملائكة؛ لأنهم أطهر وأشرف، فإذا لم نتخذ منهم[٤] مع جلالتهم وهم عباد يعبدونه، فكيف من[٥] دونهم مِنْ أهل الأرض «**إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**[٦]» **قيل: معناه إذ كنا فاعلين ذلك؛ ولكنا لا نفعله، عن أبي علي. وقيل: ما كنا فاعلين، عن قتادة، ومجاهد، وابن جريج، ومقاتل. يعني ليس كما[٧] تزعمون من[٨] إضافة الباطل إليه؛ لكن «نَقْذِفُ»** نرمي «**بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ**» يعني ننزل[٩] عليك[١٠] من القرآن والحجج على أصناف الكفرة، وقيل: بالإيمان على الكفر، وقيل: بالحجة على الشبهة «**فَيَدْمَغُهُ**» قيل: يعلوه ويبطله، وقيل: يهلكه[١١] «**فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**» قيل: هالك مضمحل[١٢]، عن قتادة. والمعنى أنه تعالى يظهر الحق بأدلته ويبطل الباطل، ومن كان[١٣] كذلك لا يفعل الباطل واللعب «**وَلَكُمُ الْوَيْلُ**» أي: يا معشر الكفار الهلاك لكم[١٤] «مما[١٥] **تَصِفُونَ**» الله به من اتخاذ الصاحبة والولد،

---

(١) للعباد: العباد، د، ي؛ العبادة، ز.
(٢) اضفتموه: أضفتموها، د، ز، م.
(٣) كنا: كان، د، ز، ل، م، ي.
(٤) منهم: معهم، ل.
(٥) من: بمن، د، ز، ي.
(٦) فاعلين: غافلين، ل.
(٧) ليس كما: كما ليس، ز، ل، م.
(٨) من: عن، ز، ل، م.
(٩) ننزل: نترك، ز، ل، م.
(١٠) عليك: عليه، ز.
(١١) يهلكه: يهلك، ز، ل، م.
(١٢) قيل هالك مضمحل: ـ ، ز.
(١٣) كان: ـ ، د، ي.
(١٤) لكم: ، ـ د، ي.
(١٥) مما: بما، د، ي.

وفِعْلِ القبيح والعبث، وقيل: ما تكْذبون به[1]، عن مجاهد. «**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» خالقهما[2]وجميع الخلق عبيده[3] فكيف[4] يفعل اللعب، وكيف يجوز عليه اتخاذ الولد «**وَمَنْ عِنْدَهُ**» يعني الملائكة، والمراد قرب المنزلة لا قرب المكان «**لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**» قيل: لا يأنفون، عن أبي مسلم. «**وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ**» قيل[5]: لا يستنكفون، عن ابن عباس. وقيل: لا يعيون[6]، عن قتادة، والسدي، ومقاتل. وقيل: لا يَمَلُّون، عن ابن زيد. وقيل: يسهل عليهم التسبيح كسهولة فتح الطَّرْف والنفَس[7]، عن كعب. «**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» قيل: في الليل والنهار الذي أنتم فيه، وقيل: هو عبارة عن الدوام؛ لأنهم يدورون الفلك، وليس هناك ليل ولا نهار «**لاَ يَفْتُرُونَ**» قيل[8]: لا يضعفون، وقيل: لا يسأمون[9].

۞ الأحكام

تدل الآية على بطلان قول المجبرة؛ لأنه تعالى نفى اللعب عن خَلْقِهِ، وعندهم كل[10] لعب خَلْقُهُ فوجب كونه لاعباً، وكان لا يصح هذا الإطلاق، ولأنه أراد أنه خلقها على وجه الحكمة؛ لأنه المفهوم من الكلام، فلا بد من غرض، خلاف قولهم: إنه يفعل لا لغرض.

وتدل على أنه لا يفعل القبيح؛ لأنه بمنزلة اللعب في القبح.

وتدل على أن جميع الكفر والمعاصي ليست[11] من خلقه؛ لأن جميع ذلك باطل.

---

(١) به: +، د، ي.
(٢) خالقهما: حالتهما، ي.
(٣) عبيده: عبده، ل.
(٤) فكيف: كيف، ي.
(٥) قيل: وقيل، د، ي؛ ـ، ز.
(٦) يعيون: لايغيبون، د، ي.
(٧) والنفس: والتنفس، د، ي.
(٨) قيل: ـ، ل.
(٩) لايسأمون: لا ينامون، ز، ل، م.
(١٠) كل: وكل، ل.
(١١) ليست: ليس، د، ي.

وتدل على[1] أنه يميز[2] الحق من الباطل بالأدلة؛ فلذلك صح قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾.

وتدل على فساد قول من يقول: ليس في القرآن مجاز؛ لأن رمي الحق ودمغ الباطل وزهوقه كل ذلك تَوَسُّعٌ ومجاز، وهو من فصيح الكلام، وكثير من مجاز الكلام أفصح وأحسن من حقيقته، ويدل عليه[3] وصفه[4] الملائكة بما وصف على عظمهم وفضلهم وأنهم مكلفون، وأن عباداتهم[5] تتصل دائماً، ويشهد بذلك اتصال[6] مراعاة الحفظة لعباده. وتدل على أن العبادة فِعْلُهُمْ لذلك مدحهم.

قوله تعالى:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «نوحي» بالنون وكسر الحاء على الحكاية لقوله[7] «وما أرسلنا»[8]، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الحاء على ما لم يسم فاعله.

(١) على: +، د، ز، ي.
(٢) يميز: بمنزلة، د، ي.
(٣) عليه: على، ز، ل، م.
(٤) وصفه: وصف، ل.
(٥) عباداتهم: عبا عباداتهم، ز.
(٦) اتصال: ـ، ل، م.
(٧) لقوله: بقوله، د، ي.
(٨) وما: إنا، ز، ل، م؛ ما، د.

اللغة

النَّشْرُ: خلاف الطي، يقال: نشرتُ الكتاب والثوب، خلاف طويته، وأَنْشَرَ الله الموتى فَنَشَرُوا[١] أي: أحياهم فَحَيَوْا؛ لأنه كان مطوياً بالقبض[٢] عن الإدراك فأنشر[٣] بالحياة.

والبرهان: البيان، يقال: بَرْهَنَ[٤] قوله، أي: بَيَّنَهُ بحجة، ومنه: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢] حجتان تبينان الحق.

الإعراب

(أم) كلمة يعطف بها على الاستفهام إذا تقدمه الاستفهام، وقد يكون لافتتاح الكلام والخروج من نوع إلى نوع، فإذا لم يتقدمه الاستفهام[٥] كان[٦] الميم ملغاة[٧] يعني: أم اتخذوا، أي[٨] أَتَّخَذُوا.

(إلا) في[٩] قوله: «إلا[١٠] الله» صفة وليس[١١] باستثناء؛ لأنه لا يجوز أن تقول[١٢]: لو كان [١٣]معنا[١٤] إلا زيد له لهلكنا على الاستثناء؛ لأنه لم يذكر ما

---

(١) فنشروا: نشروا، ل.
(٢) بالقبض: بقبض، ز، ل، م.
(٣) فأنشر: وأنشر، ز، ل، م.
(٤) برهن: يبرهن، ل.
(٥) وقد يكون... الاستفهام: ـ ، ز.
(٦) كان: كانت، د، ي.
(٧) ملغاة: ملقاة، د، ي.
(٨) أي: +، د، ي.
(٩) في: +، د، ز، ي.
(١٠) إلا: ـ ، ل.
(١١) وليس: ليس، ز، ل، م.
(١٢) تقول: يقال، ز.
(١٣) كان: معي، ز، ل، م.
(١٤) معنا: كان فيهما، د، ي.

يستثنى منه كما لم يذكره[١] في قوله: لو[٢] كان[٣] معنا[٤] إلا زيد فهلكنا[٥].

۞ النزول

قيل: نزلت الآية[٦] فيمن وصف الله بالشركاء والأولاد كعُبَّاد الأصنام وغيرهم، فاحتج[٧] عليهم ببيان ظاهر[٨].

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: «**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً**» بما قبله؟

قلنا: إنه يتصل بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: سلهم[٩] هل أرسل قبلك إلا رجالاً، وهل اتخذوا آلهة[١٠] من الأرض، أي[١١]: من الحجر والمدر والخشب؛ لأن كله من الأرض، عن أبي مسلم. يعني لم[١٢] يرسل رسولاً إلا بالدعاء إلى[١٣] أنه[١٤] واحد.

وقيل: إنه يتصل بقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي: أضافوا إليه الولد، وأضافوا إليه الشريك.

ويقال: كيف يتصل قوله[١٥]: «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا[١٦] يَفْعَلُ» بما قبله؟

---

(١) يذكره: يذكر، ز.
(٢) قوله له: ـ، د، ي.
(٣) كان: كان فيهما، د، ي.
(٤) معنا: معي، ز، ل، م.
(٥) فهلكنا: تهلكنا، د، ي.
(٦) الآية: الآيات، ي.
(٧) فاحتج: واحتيج، ي.
(٨) ظاهر: بظاهر، م.
(٩) سلهم: اسألهم، ي.
(١٠) اتخذوا آلهة: اتخذ، ز، ل، م.
(١١) أي: ـ، ل.
(١٢) لم: ولم، ز، ل، م.
(١٣) إلى: إلا، ل.
(١٤) أنه: إله، د، ي؛ الله، ل.
(١٥) قوله: بقوله، د، ي.
(١٦) عما: بما، ل.

قلنا: قيل: إنه[1] يتصل بقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ والحساب[2] هو السؤال عما أنعم عليهم هل شكروا أم كفروا، عن أبي مسلم.

وقيل: يتصل بما قبله؛ لأنه بين التوحيد وعطفه عليه ببيان العدل.

ويقال: كيف يتصل[3] قوله[4]«هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي» بما قبله؟ يعني ما[5] تقدم ذكره من التوحيد والعدل[6] مذكور في القرآن وسائر الكتب.

وقيل: هو استئناف، والوجه الأول.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى التوحيد رداً عليهم، ودل عليه، فقال سبحانه: «**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ**» يعني الأصنام «**هُمْ يُنشِرُونَ**» قيل: يحيون الأموات، عن مجاهد. وقيل: ينشرون الأشياء ويخلقون الخلق، وهذا استفهام والمراد الإنكار، يعني لِمَ يعبدون ما لا يَخْلُقُ ولا يملك؛ بل مخلوقون[7] مملوكون[8].

ثم دل عليه فقال[9] سبحانه: «**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ**» يعني في[10] السماء والأرض «**إِلاَّ اللَّهُ**» غير الله «**لَفَسَدَتَا**» لخربتا، وهلك من فيهما وما استقامتا «**فَسُبْحَانَ اللَّهِ**» أي: منزه عن ذلك «**رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**» من الشريك والولد «**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**» قيل: جميع أفعاله[11] حكمة وصواب، ولا[12] يقال: لِمَ فَعَلْتَ الصواب؟

---

(١) قيل إنه: ـ، د، ي.
(٢) والحساب: فالحساب، د، ي.
(٣) بما قبله... يتصل: +، د، ي.
(٤) قوله: بقوله، ز، ل، م.
(٥) ما: بما، د، ي.
(٦) والعذاب: العذاب، ز.
(٧) مخلوقون: مخلوق، ز، ل، م.
(٨) مملوكون: ـ، ز، ل، م.
(٩) فقال: قال، د، ي.
(١٠) في: +، د، ي.
(١١) أفعاله: أحواله، ز.
(١٢) ولا: ولم، ل.

وإنما يُسألون؛ لأنهم يفعلون الحق والباطل، وقيل: ليس لأحد عليه نعمة يسأله عن شكرها وكفرانها؛ بل له النعم على جميعهم فيسألهم عنها شكروا[١] أم كفروا، عن أبي مسلم. وقيل: من حق المعبود ألاَّ يُسأل عما فعله؛ لأن فعله حكمة، وكان[٢] يجب ألا يسأل المسيح والملائكة، فلما كان من حقه أن يسألهم دل أنهم عبيد[٣] لا معبودون، وأنهم كسائر العباد، عن أبي علي. وقيل: لأنه فوق الأشياء فيسألهم[٤]، ولا شيء فوقه فيسأله، عن أبي علي. «**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**» أي[٥] أرباباً يعبدونها، يعني[٦] أن الأنبياء[٧] لم يفعلوا ذلك وفعلتم ذلك «**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**» أي: حجتكم على ذلك.

ثم بيّن أن لا حجة على ما قلتم عقلاً ولا شرعاً، فقال سبحانه: «**هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**» بما قبله يعني من الأمم ممن[٨] نجا بالإيمان أو هلك بالكفر، عن قتادة. وقيل: «**هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي**» بالحق[٩] في إخلاص الإلهية، وعلى[١٠] هذا «**ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**» في التوراة والإنجيل، عن أبي علي. قال: لأن [القرآن] ذِكْرُ ما[١١] أتاه[١٢] [الله] إليه ومن معه، والتوراة والإنجيل ذكر تلك الأمم، وقيل: من القرآن ذِكْرُ من معي وذكر من قبلي، عن ابن عباس. وقيل: معناه[١٣] هذا ذكر المشركين الذين في عصر نبينا والذين كانوا قبله؛ إذ لا دليل على صحة دعواهم ولا حجة على صدقهم،

---

(١) شكروا: فشكروا، ز، م.
(٢) وكان: فكان، د، ي.
(٣) عبيد: عبود، ز، م.
(٤) عنها شكروا... فيسألهم: ـ، ل.
(٥) أي: +، ز.
(٦) يعني: ـ، ل.
(٧) ان الأنبياء: الأنبياء إذا ثبت أنهم، ل.
(٨) ممن: فيمن، د، ي.
(٩) بالحق: في الحق، ل.
(١٠) على: +، د، ي.
(١١) ما: ـ، ي.
(١٢) آتاه: أتى: د، ي.
(١٣) معناه: ـ، د، ي.

وقيل: هذا ذكر من معي من المؤمنين والعلماء، وذكر من قبلي من الأنبياء وعلماء الأمم؛ لأنه لا دلالة على صحة الكفر «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ» قيل: أكثرهم مقلدون في الكفر لا يعلمون الحق «فَهُمْ مُعْرِضُونَ»[1] عن النظر والتفكر في الحق[2]، قيل: معرضون عن القرآن، وقيل: عن النبي ﷺ، وإنما خص الأكثر؛ لأن منهم من آمن.

ثم بيّن تفسير[3] من قبلي، فقال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ» يعني لم نبعث رسولاً إلا دعا إلى التوحيد وأمر به، فَمَنْ خالف ذلك لم يعدل إلى معقول ولا منصوص[4].

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أي: من حق[5] المعبود أن يقدر على الإحياء والإماتة وعلى[6] الاختراع، وغيره لا يقدر عليه، فلا يصح أن يعبد.

ويدل قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ على التوحيد ونفي[7] دلالة التمانع التي بنى عليها المتكلمون نفي الاثنين[8]، وتقدير ذلك: لو كان فيهما مدبِّران لفسد الأمر بأن يريد أحدهما ضد ما يريد[9] الآخر.

فأما دلالة التمانع فهو أن يقول: لو كان معه إله[10] لكانا قديمين، والقدم من

(١) قيل أكثرهم... معرضون: +، د، ز، ي.
(٢) في الحق: والحق، د، ي.
(٣) تفسير: تفسيره، ز، ل، م.
(٤) منصوص: منقوص، ز، ل، م.
(٥) حق: خلق، ز، ل، م.
(٦) وعلى: على، ز، ل.
(٧) ونفي: وهي، د، ز، ي.
(٨) الاثنين: الأيدي، ز، ل، م.
(٩) يريد: يريده، ز، د.
(١٠) إله: آلهة، ز، ل، م.

صفة الخاص والاشتراك فيه يوجب التماثل[١]، فيجب كونهما قادرين عالمين حيين، ومن حق كل قادرين أن يصح أن يريد أحدهما ضد ما يريده الآخر من إماتة وإحياء، أو تحريك أو تسكين، أو اجتماع أو افتراق، ولا يخلو إما أن يحصل مرادهما، وذلك محال، أو لا يحصل فيه[٢] اجتماع أو افتراق أو فيه نفيهما[٣]، أو يحصل[٤] مراد أحدهما وفيه نفي الاثنين[٥].

ولا يقال: إن عند الدِّيصانية هما قديمان؛ ولكن أحدهما قادر عالم حي، والآخر عاجز جاهل ميت يقع الفعل منه طباعاً؛ لأنا بينا أن الاشتراك في القدم يوجب التماثل في سائر صفات النفس، ولأنه لو وجب[٦] مخالفتهما لاختلاف ما يقع منهما[٧] لما جاز أن يكونا قديمين باقيين.

ولا يقال: إن كل واحد منهما يريد ما[٨] يريده الآخر؛ لأنه يريد بإرادة لا في محل، وذلك لأنا نعني هذا في الإرادة فيفعل هذا إرادة التحريك[٩] والآخر التسكين[١٠]، ولأن هذا يؤدي إلى التباس القادر بالقادرين.

ولا[١١] يقال: إنهما لا يتمانعان؛ لأن ما يريد أحدهما يكون حكمة؛ لأن كلامنا يجري بصحة التمانع لا بوقوع التمانع، وصحة التمانع تدل على أن أحدهما متناهي المقدور فلا يكون إلهاً.

---

(١) التماثل: التمانع، د، م، ي.
(٢) وفيه: +، اجتماع أو افتراق، +، ل؛ كلام غير واضح، م.
(٣) نفيهما: نفيمهما، ل.
(٤) يحصل مرادهما... أو يحصل: ـ، د.
(٥) يعني نفي الاثنين مجتمعين وإثبات الواحد.
(٦) لو وجب: أوجب، د.
(٧) منها: فيهما، ل، م، ي.
(٨) يريد ما: + د، ز، ي.
(٩) التحريك: للتحريك، د، ي.
(١٠) التسكين: للتسكين، د، ز، ي.
(١١) ولا: ولأن، د، ي.

ولا يقال: أليس صحة الظلم عندكم لا تدل على الجهل والحاجة ووقوعه يدل، كذلك هاهنا؟

قلنا: صحة التمانع ووجوده سواء في دلالة أن أحدهما أقدر، وصحة الظلم لا تدل على الجهل والحاجة وإنما يدل وقوعه.

ويدل قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ على تنزيهه عن جميع ما لا[1] يليق به من الصفات والأفعال القبيحة.

ويدل قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ أنه[2] لا يخلق أفعال العباد ولا يأمرهم بما لا يطيقون، ولا يعذبهم بغير ذنب، وهذا أليق بالتوحيد[3] والعدل؛ إذ لو خلق أفعالهم وأرادها لكان الأولى بالسؤال هو[4].

ويدل قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ[5]﴾ أن الحق يحتاج إلى برهان وما لا برهان فيه فهو باطل.

وتدل على بطلان التقليد.

ويدل قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ على بطلان قول أصحاب المعارف.

وتدل على أنه لم يبعث نبياً إلا دعا إلى التوحيد لإزالة التهمة أن فيهم من دعا إلى شرك على ما أضافه إليه النصارى في المسيح، واليهود في عزير، والعرب في الملائكة.

---

(١) لا: ـ، د، ي.
(٢) أنه: لأنه، ز، ل، م.
(٣) وهذا أليق بالتوحيد: وقيل في التوحيد، ز.
(٤) هو: +، د، ي.
(٥) برهانكم: +، د، ي.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير: «**ألم**[1] **ير الذين كفروا**» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف[2] مكة، وقرأ الباقون: «**أولم**» بواو، وكذلك في مصاحفهم.

۞ اللغة

الإكرام: التعظيم، أَكْرَمَهُ إكراماً.

والرتق: أصله السد، ونقيضه: الفتق، وهو نقض ما خيط، يقال: رَتَقَ فلان الفتق يَرْتُقُهُ رَتْقًا ورتوقاً إذا سده، ومنه: الرَّتْقَاء، المرأة التي فرجها ملتحم فلا يصل إليها الزوج، وأرتتق[3] الفتق أي[4] التأم، ورتقته أنا، والرِّتاق ثوبان يُرْتَقَانِ[5] بحواشيهما[6]، قال الشاعر:

جـاريـةٌ بـيـضـاءُ فـي رِتـاقِ[7]

(١) ألم: أولم، د، ي.
(٢) مصاحف: مصا، ز.
(٣) وإرتتق: وأرتقق، د، ي؛ وأرتق، ل، م.
(٤) أي: +، د، ي.
(٥) يرتقان: يرقعان، ل، م.
(٦) بحواشيهما: بحواشيها، ز.
(٧) البيت بتمامه:
جـاريـة بـيـضـاء فـي رتـاق ... تـديـر طـرفًـا أكـحـل الـمـآقـي
انظر اللسان والصحاح مادة: (رتق)

۞ الإعراب

يقال: لِمَ رفع «**عباد**»؟

قلنا: لأنه منقطع عن الحكاية، كأنه قال[1]: عباد مكرمون.

ويقال: لِمَ وحّد الأرض وجمع السماء؟

قلنا: أراد جنس الأرض.

ويقال: لم قال: «**كانتا**[2]» والسموات جمع؟

قلنا: لأنهما صنفان[3]، [4].

ويقال: لَمَ قال: «**كَانَتَا رَتْقًا**» فوحّد؟

قلنا: لأنه مصدر، ووصف[5] به كالعدل والخصم.

۞ النزول

قيل: نزلت في خزاعة قالت[6]: الملائكة بنات الله.

۞ المعنى

ثم رد عليهم ما حكى عنهم من وصف الله تعالى بالولد، فقال سبحانه: «**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا**» أي[7]: وصفوا الله بالولد وذلك على وجهين: إما أن يقولوا: إنه[8] اتخذ صاحبة وولداً[9] على سبيل التوالد، كالمعقول في الشاهد، أو يقولوا[10]:

---

(١) كانه قال: كأنهم قيل، د، ي.
(٢) كانتا: ـ ، ي.
(٣) صنفان: صفتان، ز.
(٤) ويقال لم قال كانتا... صنفان: +، ز، ي.
(٥) ووصف: فوصف، ز.
(٦) قالت: قالوا، د، ي.
(٧) أي: ـ ، ز.
(٨) إنه: ـ ، د، ي.
(٩) وولدا: وولد، ز.
(١٠) أو يقولوا: وقالوا، ز؛ أو قالوا، د، ي.

اتخذ الله ولداً على سبيل التبني، وكلاهما لا يجوز عليه؛ لأن اتخاذ الولد من صفات الأجسام، وإذا لم يجز[1] حقيقة فالمشبه به كذلك، والتبني أن يقيم غير ولده مقام ولده وليس كالخَلَّة؛ لأنه من الاختصاص[2]، وحقيقته[3] جائز عليه، فأما ما تزعمه[4] النصارى في الأب والابن وروح[5] القدس فغير معقول، فإن عندهم الجميع قديم، وعندهم أنه ثلاثة أقانيم جوهر واحد، فكيف[6] يكون القديم ابناً، وكيف يكون الواحد ثلاثة.

«**سُبْحَانَهُ**» أي: هو منزه عما وصفوه به؛ «**بَلْ عِبَادٌ**» يعني ليس كما قالوا؛ بل الملائكة[7] عباد له كغيرهم من العبيد «**مُكْرَمُونَ**» أي: أكرمهم بما استحقوا بجهدهم في طاعته وعبادته «**لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**» أي: لا[8] يتقدمونه[9] بالقول والعمل[10]، ولا[11] يجاوزون حد أمره، ولا[12] يقولون إلا بأمره، ولا يفعلون إلا بإذنه «**وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**» ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولده؛ إذ[13] قاموا مقام العبد في العبادة «**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**» قيل[14]: يعلم إقبالهم وإدبارهم وإن كان[15] ذلك يفعلونه بأمره، عن أبي مسلم. وقيل: باطنهم وظاهرهم «**وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ**

---

(١) يجز: يجزه، د، ي.
(٢) كذلك والتبني. . . الاختصاص: ـ، ز.
(٣) وحقيقته: وحقيقة، ز.
(٤) تزعمه: يزعمه، د، ز، ي.
(٥) وروح: ورح، ز.
(٦) فكيف: وكيف، د، ز، ل، ي.
(٧) بل الملائكة: بل لله، ل، م.
(٨) لا: ـ، ز.
(٩) يتقدمونه: يقدمونه، ز، م.
(١٠) والعمل: في العمل، ل.
(١١) ولا: فلا، د، ي.
(١٢) ولا: لا، د، ي.
(١٣) إذ: إذا، د، ي.
(١٤) قيل: وقيل، ي.
(١٥) كان: +، د، ي.

ارْتَضَى» أي: ليس لهم محل الشفاعة[1] إلا بإذنه كسائر العبيد «إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى» قيل: ارتضى[2] عمله، وقيل: لمن رضي الله عنه، عن مجاهد. وقيل: هم أهل الشهادة بأن لا إله إلا الله، عن ابن عباس. وقيل: هم المؤمنون المستحقون للثواب «وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» أي: من خوف عذابه لمكان وعده ووعيده خائفون[3]، ومن كان بهذه الصفة كيف يوصف بأنه ولده «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ» قيل: من يقل منهم ذلك على ما زعم[4] الكفار أنهم[5] آلهة، يعني أن حالهم كحال سائر العبيد في استحقاق الوعيد[6]، وقيل: عنى[7] به[8] إبليس؛ لأن[9] أحداً من الملائكة لم يقل ذلك، وليس بصحيح؛ بل الوعيد للجميع معلق[10] بشرط، ولأن إبليس ليس من الملائكة، ولأنه لم يقل: إنهم قالوا «فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ» يعني نكافئه عذاب جهنم بما قالوا «كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» الذين يصفون الله بما لا يليق به «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا» استفهام والمراد به[11] التقرير[12]، يعني هو الذي يفعل هذه الأشياء لا يقدر غيره عليها، فهو الإله المستحق للعبادة دون غيره «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» قيل: تقديره: كانتا ذات[13] رتق فجعلناهما ذات فتق، والمعنى: قيل: كانتا ملتزقتين[14] منسدتين[15] ففصل الله بينهما بالهواء، عن ابن عباس، والحسن،

(١) الشفاعة: للشفاعة، د، ي.
(٢) قيل ارتضى: +، د، ي.
(٣) خائفون: خائفين، ز.
(٤) زعم: يزعم، ل.
(٥) أنهم: أنهم؛ وانهم، ز، ل، م.
(٦) الوعيد: الوعد، ز، م.
(٧) عنى: عتق، ز.
(٨) به: +، د، ي.
(٩) لأن: لا أن، د.
(١٠) معلق: يتعلق، ل.
(١١) به: ـ ، ل.
(١٢) التقرير: التقريع، د، ي.
(١٣) ذات: ذا، ي.
(١٤) ملتزقتين: ملتزمتين، ز، ل.
(١٥) منسدتين: منشددتين، ل.

والضحاك[١]، وقتادة، وعطاء. وقيل: خلقهما الله[٢] بعضهما على بعض، ثم خلق ريحاً ففتحهما بها، عن كعب. وقيل: كانتا طبقة واحدة ففتقهما[٣] فجعلتا[٤] سبع سماوات وسبع أرضين، عن مجاهد، والسدي. وقيل: كانت السماء رتقا لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، عن عكرمة، وعطية، وابن زيد. وقيل: كانتا معدومتين فأوجدهما[٥] الله، عن أبي مسلم. وذلك خلاف الظاهر، والأولى ما رويناه[٦] عن عكرمة وابن زيد، وهو قول أبي علي؛ لأن الكفار يرون ذلك فتلزمهم الحجة، ويرون عجزهم فلا بد من إثبات صانع مخالف لهم «**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**» قيل: خلقنا كل شيء من نطفة نحو قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، وقيل: أراد به الماء في الحقيقة، وهو الأولى؛ لأن النطفة ليست[٧] بماء على الإطلاق، ولأن[٨] حياة كل شيء ليست من النطفة، وقيل: جعلنا الماء حياة كل ذي روح، ونماء[٩] كل نامي، فيدخل فيه الحيوان والنبات والأشجار، عن أبي مسلم. «**أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**» أي: أفلا يصدقون بالقرآن وحجج الله تعالى.

۞ الأحكام

يدل أول[١٠] الآيات أن في الناس من وصفه بالولد وهي طريقة النصارى وبعض الكفار.

ويدل قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ الآية أن الملائكة مكلفون وأنهم معصومون؛ لأنه أطلق القول بأنهم يفعلون ما يؤمرون.

---

(١) والضحاك: ـ ،د، ز، ي.
(٢) الله: ـ ، ز.
(٣) ففتقهما: ففتنهما، د، ي.
(٤) فجعلتا: فجعلهما، د، ي.
(٥) معدومتين فأوجدهما: معدومين وأوجدهما، ز، ل، م.
(٦) ما رويناه: ما روينا، د، ي.
(٧) ليست: ليس، د، ل، م، ي.
(٨) ولأن: وإلا، ز.
(٩) ونماء: ولا نماء، ل.
(١٠) أول: +، د، ي.

ويدل قوله: ﴿وَلَا[1] يَشْفَعُونَ﴾ أن الشفاعة لا تكون لأهل الكبائر؛ لأنه يحبط[2] عملهم[3]، بخلاف قول[4] المرجئة، ويبطل قولهم: إن الشفاعة لأهل الكبائر لا يفيد؛ لأنه تعالى أثبت شفاعتهم لمن رضي عنه، ولأنه يزيد في درجة المشفوع له[5] ويظهر درجة الشفيع، ولأن أكثر الشفاعات في الدنيا في زيادة المنافع والدرجات.

وتدل على أنهم يعبدون الله ولا يستحقون العبادة.

وتدل على أن[6] شمول الوعيد لهم وإن كانوا معصومين، وذلك نحو قوله: ﴿لَئِنْ[7] أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وذلك شرط وليس بإثبات ذلك[8] فيهم[9].

ويدل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ [10] على إثبات صانع يصح[11] منه خلق هذه الأشياء، وإنزال المطر، وإخراج النبات، وذلك مما لا يقدر عليه قادر بقدرة، فدل[12] أنه من فعل قادر لذاته[13].

---

(١) ولا: لا، د، ز، ي.
(٢) يحبط: سخط، ز.
(٣) عملهم: عليهم، ل.
(٤) بخلاف قول: خلاف ما يقوله، د، ي.
(٥) له: لهم، د، ي.
(٦) أن: +، ل.
(٧) لئن: لأن، ز.
(٨) ذلك: وذلك، ز.
(٩) فيهم: منهم، د، ي.
(١٠) «اولم ير»: «أَوَ لَمْ يَرَ» الآيات، ي.
(١١) يصح: فصح، ل.
(١٢) فدل: دل، د، ز، م، ي.
(١٣) إلى هنا نهاية النسخة د.

قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

اللغة

الرواسي: جمع راسية وهي الثوابت، يقال: رسا يَرْسُو: ثبت، وجبلٌ راسٍ[١]، ورَسَتْ[٢] أقدامهم[٣] في الحرب، وألقت السحاب مَرَاسِيَها أي: دامت وثبتت، ومنه: مَرْساها أي: ثباتها[٤] وأرست السفينة أي[٥] وقفت.

والميد: الاضطراب[٦] والتحرك في الجهات، ماد يَمِيدُ مَيْدًا فهو مائد.

والفَجُّ: الطريق الواسع وجمعه: فِجَاجٌ، وقيل: ما بين كل جبلين فج.

والفلك: أصله كل دائر، وجمعه: أفلاك، ومنه: فَلْكَةُ المغزل، ويقال: فَلَّكَ ثدي المرأة إذا استدار، ومنه اشتق فلك السماء، والفَلْكَةُ: قطعة من الأرض مستديرة مرتفعة عما حولها، والفُلك بضم الفاء: السفينة، قيل: هو واحدٌ وجمعٌ، وقيل: واحدها: فَلَكٌ، نحو أَسَد وأُسْد.

والتسبيح: التنزيه، ومعنى سبحان الله: براءةً له من كل سوء، والسُّبْحَة

(١) رأس: راسي، ز.
(٢) ورست: ورسى، ل، م، راسي، ز.
(٣) أقدامهم: ـ، ل.
(٤) ومنه مرساها أي ثباتها: +، ز، ي.
(٥) أي: +، ي.
(٦) الاضطراب: والاضطراب، ز.

والتسبيح[1]: الصلاة أيضاً؛ لأن فيها تنزيه الله[2] تعالى، والعرب تقول: سبحان من كذا ما أبعده، قال الشاعر:

أقـولُ لَـمَّـا جـاءنـي فَـخْـرُهُ[3] سُـبْـحـان مِـنْ عَـلْـقَـمَـةَ الـفـاخِـرِ

وقيل: معناه عجباً له، والسباحة: العَوْم، والسبح والجري من النظائر.

الإعراب

يقال: لم جاز «يَسْبَحُون» على نحو فِعْلِ ما يعقل[4]؟

قلنا: لأنه أضيف إليها[5] الفعل على تدبير ما يعقل[6]، ونظيره: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وذكر «**محفوظا**[7]» لأنه يرجع إلى السقف و«**آياتها**» ترجع إلى السماء، وقال: «**يسبحون**» على الجمع وإن تقدم ذكر الشمس والقمر؛ لأنه أراد النجوم كلها، ولذلك جمع.

وقوله: «**فَهُمْ**» استفهام وقد يحذف ألف الاستفهام إذا كان في الكلام دليل[8] عليه، قال[9] الشاعر:

فَقُلْتُ وأَنْكَرْتُ الوجُوَه: هُمُ هُم؟[10]

«**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**» معناه نفتنكم[11] فتنة إلا أنها وضعت موضع الحال.

---

(١) والسبحة والتسبيح: والتسبيح والسبحة، ل.
(٢) تنزيه الله: تنزيهاً لله، ي.
(٣) أقول لما جاءني فخره: +، ز، ي.
(٤) يعقل: يفعل، ز، ل، م.
(٥) إليها: إليهما، ز، ل، م.
(٦) يعقل: يفعل، ز، م.
(٧) محفوظاً: محفوظ، ز، ل، م.
(٨) دليل: دليلاً، ز، ل، م.
(٩) قال: وقال، ز، ل، م.
(١٠) البيت لأبي خراش الهذلي، انظر: لسان العرب مادة: رفا وتمام البيت: رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم.
(١١) معناه نفتنكم: نفتنكم نفتنكم، ل.

النزول

قيل: نزل[١] قوله: «**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ**. . .» الآية وما بعدها في الذين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون.

النظم

يقال: كيف يتصل: «**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ**. . .» الآية[٢] **بما قبله؟**

قلنا: قيل: لما ذكر نعمة الدنيا بيّن أنه لم يخلقها للخلود؛ وإنما خلقها ليتوصل[٣] بها إلى الآخرة، وأنه لا بد لكل أحد من الموت والرجوع إلى الجزاء، عن القاضي.

وقيل: إنه[٤] يرجع[٥] إلى قوله في ذكر الأنبياء في[٦] أول السورة: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨] وأعاد[٧] ذلك هاهنا تأكيداً له كأنه قيل: إنه بشر مثلهم[٨]، يأكل الطعام كما أكلوا، ويموت كما ماتوا، وذلك كل حي سوى الله تعالى.

المعنى

ثم بيّن تعالى من قدرته وتدبيره ونعمه، وأنه القديم الذي لا يزول، وأن غيره محدث، وأنه الحي الذي لا يموت وغيره يموت، فقال سبحانه: «**وَجَعَلْنَا**» أي: خلقنا «**فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ**» أي: جبال ثوابت تمنع الأرض من الحركة والاضطراب «**أَنْ تَمِيدَ**

---

(١) قيل نزل: ـ ، ي.
(٢) من قبلك الخلد الآية: +، ي.
(٣) ليتوصل: بالتوصل، ز؛ لتوصلها، ل.
(٤) إنه: +، ل.
(٥) يرجع: رجع، ي.
(٦) في: إلى، ل.
(٧) وأعاد: وإنما؛ ز؛ وأعيد، ي.
(٨) مثلهم: مثلكم، ز.

بِهِمْ[١]» أي[٢] تتحرك وتميل وتضطرب بكم فتمنعكم[٣] من التصرف، وقيل: مستقرة، عن قتادة.

ومتى قيل: لم احتيج إلى الجبال في إمساك الله تعالى إياها؟

قلنا: الله تعالى قادر على أن يمسكها ويسكنها من غير جبال، وعلى أن يسكنها، إلا أنه إذا علم أن[٤] المصلحة في الجبال خلقها، ولأنه أودع في الجبال من الجواهر والمنافع والمياه ما فيه المصلحة[٥] للخلق[٦]، ولأن فيه الاعتبار بتدبير الأسباب، قال أبو بكر أحمد بن علي: لو لم تثقل[٧] لأمكن العباد تحريكها بما معهم من القدرة، فجعلت على صفة لا يمكنهم تحريكها، وهذا لا شيء؛ لأنه تعالى[٨] إذا أسكنها[٩] حالاً بعد حال يمنع غيره من تحريكها، ولا يقال ما فيه من السكون باق[١٠] فيكون الطارئ أولى؛ لأن ثقل الأرض موجب[١١] للهوي والحركة، فلا بد أن يخلق السكون لأنه[١٢] يبقى فلا[١٣] وجه للسؤال.

«**وَجَعَلْنَا فِيهَا**» في[١٤] الرواسي وهي الجبال «**فِجَاجًا**» أي: طرقاً واسعة بين الجبال لولا ذلك لما أمكن السلوك.

ثم[١٥] بيّن الفجاج، فقال: «**سُبُلاً**» أي: طرقاً «**لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**» أي: لكي يهتدوا،

---

(١) أي: بكم.
(٢) أي: أن، ز، ل، م.
(٣) فتمنعكم: وتمنعكم، ز، ل، م.
(٤) أن: +، ز، ي.
(٥) المصلحة: مصالح، ي.
(٦) للخلق: للحق، ز.
(٧) تثقل: تفعل، ز.
(٨) لو لم تثقل... تعالى: ـ، ل.
(٩) اسكنها: أسكنه، ي.
(١٠) باق: باقية، ي.
(١١) موجب: يوجب، ز.
(١٢) لأنه: لا، ز، ل، م، ي.
(١٣) فلا: ولا، ز.
(١٤) في: من، ز.
(١٥) ثم: ـ، ز، ل، م.

قيل: لدينهم إذا نظروا فيها واستدلوا بها على توحيد الله وصفاته وعدله، وقيل: ليهتدوا لمقاصدهم[1] ومواطنهم والخروج إلى أقطار الأرض وطلب المعيشة والتجارات «**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظاً**[2]» يعني كالسقف وكل ما علاك فهو سقف وسماء[3] قيل: محفوظ من أن يسقط على الأرض، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤١]، وقيل: محفوظ عن أن يطمع أحد أن يتعرض لها بنقض، أو يلحقها[4] بلاء أو هرم أو غيرهما[5] من المضار، عن الحسن. وقيل: محفوظاً[6] من[7] الشياطين التي ترمي[8] بها، عن أبي علي. ونظيره: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]، «**وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا**» أعني حجج السماء وما جعل فيها من دلالات الحدث والحاجة إلى المحدث المدبر «**مُعْرِضُونَ**» يعني أعرضوا عن التفكر فيها والاستدلال[9] بها، وإنما قال آيات؛ لأن في السماء آيات كثيرة قد بيناها، منها خلقها، ورفعها، وإمساكها، وتسكينها، وتزيينها، والأفلاك الدائرة فيها، والنجوم السائرة والثابتة إلى غير ذلك «**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**» قيل: الفلك مجرى[10] الشمس والقمر والنجوم، عن الضحاك. وقيل: هو[11] جسم تدور عليه الكواكب كفُلْكَةِ المغزل، عن الحسن. وقيل: كهيئة حديدة الرحى، عن مجاهد. وقيل: الفلك موج مكفوف تجري فيه النجوم، وقيل: الفلك السماء التي فيها تلك الكواكب، عن قتادة. والصحيح أن في[12] السماء مقر الملائكة وهو فوق الأفلاك، ثم

---

(١) لمقاصدهم: مقاصدهم، ز، ل، م.
(٢) محفوظا: +، ز، ي.
(٣) وسماء: وسماه، ز.
(٤) يلحقها: ويلحقها، ز، ل، م.
(٥) أو غيرهما: أو غيرها، ي.
(٦) محفوظاً: محفوظ،ز، ل، م.
(٧) من: يرمى، ز، ل، م، ي. وما أثبتناه (من تفسير مجمع البيان، للطبرسي: ٧/ ٧٣).
(٨) ترمي: ليرمى، ز؛ يرمى، ل، م، وما أثبتناه من (تفسير مجمع البيان، للطبرسي: ٧/ ٧٣).
(٩) والاستدلال: واستدلال، ل، م.
(١٠) مجرى: يحوي، ي.
(١١) هو: هم، ز.
(١٢) في: ـ ، ي.

الأفلاك تحتها، فيحتمل[١] أن تكون عبارة عن مجرى الكواكب، ويحتمل أن يكون جسماً عليه الكواكب، وجوز أبو علي كلا الوجهين وهو قول أكثر المتكلمين من مشايخنا «**يَسْبَحُونَ**» قيل: يخرون، عن ابن جريج. وإنما أضاف الفعل إليها توسعاً فإنه تعالى هو المجري؛ لأن الفعل لا بد له من حي قادر «**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ**» لآدمي «**مِنْ قَبْلِكَ**» يا محمد «**الْخُلْدَ**» دوام البقاء في الدنيا «**أَفَإِيْنْ مِتَّ**» أي[٢]: **مت أنت على ما يتوقعون وينتظرون** «**فَهُمُ**» أي: أفهم[٣] بعدك يعني إن تمنوا[٤] ذلك كانت أمانيهم كاذبة «**كُلُّ نَفْسٍ**» قيل: أراد من كان في عصره، وقيل: بل جميع البشر أي: كل نفس[٥] حي «**ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**» يعني تموت[٦]«نعاملكم معاملة المختبر ما دامت النفس حية بالتكليف ليظهر منه المعلوم من[٧] أفعاله من خير أو شر «**بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ**» قيل: بالشدة والرخاء، عن ابن عباس. «**فِتْنَةً**» قيل: ابتلاء وشدة، وقيل: ليظهر شكركم[٨] فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون، عن ابن زيد. «**وَإِلَيْنَا**[٩] **تُرْجَعُونَ**» أي[١٠]: إلى حكمه، وجزائه أشار بأن[١١] التعبد إنما يكون حكمة إذا تعقبه الجزاء، والجزاء[١٢] عند الرجوع إليه في القيامة.

(١) فيحتمل: ويحتمل، ي.
(٢) مت أي: ـ ، ي.
(٣) أفهم: فهم، ز، ل، م.
(٤) تمنوا: تموتوا، ز؛ تمتوا، م.
(٥) نفس: +، ي.
(٦) تموت: يموت، ي.
(٧) المعلوم من: ـ ، ي.
(٨) شكركم: سركم، ز، ل، م.
(٩) وإلينا: ثم إلينا، ز، ل، م.
(١٠) أي: ـ ، ي.
(١١) بأن: ـ ، ز، م.
(١٢) والجزاء: ـ ، ي.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَجَعَلْنَا[1] فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ على مدبر حكيم لا يشبه الأجسام، وعلى نعمة عظيمة.

ويدل قوله﴿مُعْرِضُونَ﴾ على وجوب النظر والتدبر وفساد التقليد.

ويدل الليل والنهار والشمس والقمر على التوحيد، وعلى نعمة عظيمة في الدين والدنيا، وقد بينا فيما تقدم تفصيلها.

ويدل قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ أن أحداً لا يدوم حياً في الدنيا وأن دار الدنيا ليست بدار خلود وإنما الغرض منها الآخرة[2].

ويدل قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ على أن أحداً لا يبقى حياً من جميع الخلق.

ومتى قيل: ما الحكمة في الموت؟

قلنا: قيل: لينفصل[3] للثواب من التكليف؛ إذ لو اتصل به لكان كالمُلْجأ، ثم الفناء أبلغ في ذلك، فوعد بالفناء.

ويدل قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ أن هذه الدار دار امتحان وأن دار الآخرة هي دار الجزاء.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) وجعلنا: جعلنا، ز، ل، م.

(٢) ويدل: قوله وما .... الآخرة: ـ ، ل.

(٣) لينفصل: ـ ، ي.

۞ القراءة

قراءة العامة: «خُلِقَ» بضم الخاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، وقرأ بعضهم بفتحها على تقدير خلق الله الإنسان من عجل.

۞ اللغة[1]

الهُزْءُ والسخرية من النظائر، وهو إظهار خلاف الإبطان لإيهام البعض[2]، هزأ منه[3] يَهْزَأُ[4] هُزُؤًا وهو هازئ.

والاستعجال: طلب الشيء قبل وقته، والذي حقه أن يكون فيه[5]، والعَجُول: الكثير الطلب قبل وقته، والعجلة: تقديم الشيء قبل وقته.

وبَهِتَ: تحير[6]، ونحوه[7] دَهِشَ، والمبهوت: المتحير، والبهتان: الكذب؛ لأنه يتحير منه، يقال: بَهِتَ يَبْهَتُ.

۞ الإعراب[8]

يقال: أين جواب (**لو**) في قوله: «**لو يعلم**»؟

قلنا: محذوف؛ لعلم السامع به، والعرب تحذف الجواب في كثير من المواضع، وتقديره: لو علموا ما[9] لهم فيه من أنواع العذاب لما استعجلوا، وهو أبلغ من التصريح؛ لأن التصريح[10] لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، ومع الإضمار يحتمل

---

(١) اللغة: ز، ل، م.
(٢) البعض: النقص، ي.
(٣) منه: ـ ، ز، ل، م.
(٤) يهزأ: يهز، ل، م.
(٥) فيه: فيها، ي.
(٦) تحير: عني، ل.
(٧) ونحوه: نحو، ز، ل، م.
(٨) الإعراب: اللغة، ل، م.
(٩) ما: لما، ز.
(١٠) التصريح: الصريح. ز، ل، م.

وجوهاً، وقيل: لو يعلمون حالهم فيها[1] تسارعوا[2] إلى الإيمان بها وصدقوا الوعد والوعيد.

المعنى

ثم بيّن تعالى أنهم مع كثرة الأدلة عدلوا عن الحق وسلكوا طريقة الاستهزاء، وهكذا حال الجاهل لا يفكر[3] في الأدلة إذا سمع ما يخالف عادته وطريقته، فقال سبحانه: «**وَإِذَا رَآكَ**» يا محمد «**الَّذِينَ كَفَرُوا**» وأنت تعيب دينهم وتدعو إلى التوحيد والعدل والشرائع، قال أبو مسلم: هم الذين ذكر الله تعالى في أول السورة في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣] فأخبر عنهم في هذا الموضع بالاستهزاء «**إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا**» أي: ما[4] يتخذونك إلا هزواً و[5]سخرية، ثم يقول بعضهم لبعض: «**أَهَذَا[6] الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ**» قيل: يعيبها من قول العرب: فلان يذكر فلانًا، أي بِعَيْبٍ أو بمدح[7]، وقيل: يذكرها[8] بالعجز، وأنها جماد لا تضر ولا تنفع «**وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ**» قيل: بكتابه المنزل، وقيل: بذكر توحيد الرحمن «**هُمْ كَافِرُونَ**» أي[9] جاحدون، عَجَّبَ الله تعالى نبيه منهم حيث جحدوا الحي المنعم القادر الخالق الرازق، واتخذوا ما لا ينفع ولا يضر ولا هو حي ولا قادر بل جماد، ثم دعاهم إلى تركها إلى عبادة المنعم فاتخذوه هزواً، وهم أحق بالهزو لمن[10] تدبر حالهم «**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**» قيل: خلق الإنسان أي: على جهة العجلة في أمره، عن قتادة،

---

(١) فيها: فيما، ز، ل، م.
(٢) تسارعوا: تسارعون، ز، ل، م.
(٣) يفكر: لايتفكر، ز.
(٤) ما: +، ي.
(٥) إلا هزوا: +، ي.
(٦) أهذا: هذا، ز، ل، م.
(٧) أو بمدح: وبمدح، ي.
(٨) يذكرها: يذكرونهم، ي.
(٩) أي: +، ز.
(١٠) لمن: من، ز.

وأبي مسلم. قال أبو علي: يستعجل في كل شيء يشتهيه، والإنسان لا يخلو من العجلة ولكن ذكر مبالغة في وصفه بالعجلة، كما يقال للذكي[1] هو نار، فعلى هذا المعنى هو على جميع[2] الإنسان، وقيل: استعجلوا العذاب تكذيباً ورداً، كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤]، وعلى هذا المعنى هو على[3] الكفار، وقيل: المراد به آدم، عن السدي. وقيل: خلق على تعجيل قبل غروب الشمس يوم الجمعة، عن مجاهد. وقيل: لما خلق الله آدم وجعل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل الروح جوفه[4] اشتهى، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه، فذلك قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ عن سعيد بن جبير، والسدي. وهذا ليس بشيء؛ لأن الآية عامة في جميع الإنسان، ولأنه لا يصح أن ينظر ما لم يحيا جميع البدن، ولأنه[5] لا[6] يحيا العين وباقي الشخص غير حي، وقيل: هو من المقلوب، يعني خلقت العجلة من الإنسان، كقولهم: عَرَضْتُ الناقة على الحوض، عن أبي عبيدة. وليس بشيء؛ لأنه مع صحة معناه لا[7] يحمل على القلب، ولو حمل عليه[8] فما معنى[9] خلق العجلة من الإنسان، فهذا يحتاج مع القلب إلى تأويل كالأول، فلا فائدة في القلب، وقيل: العَجَلُ الطين أي: خلق الإنسان من الطين، عن أبي عبيدة وجماعة، قالوا: وهي لغة حمير، وأنشدوا فيه[10] بيتاً[11]، وليس ذلك بظاهر، فلا يجوز حمل القرآن عليه، والتأويل ما ذكره[12] قتادة وأبو علي وأبو مسلم، ولأنه لم يَجْرِ ذكر آدم ولا

---

(١) للذكي: للزكا، ز.
(٢) جميع: جمع، ي.
(٣) هو على: المعنى هم، ز، ل، م.
(٤) جوفه: بجوفه.
(٥) ولأنه: فلأنه، ي.
(٦) لا: ـ، ز.
(٧) لا: ـ، ز.
(٨) عليه: عليها، ي.
(٩) معنى: معناه، ي.
(١٠) فيه: +، ي.
(١١) بيتا: بيتين، ي.
(١٢) ما ذكره: ما ذكر، ز، ي.

تعقبه[١] ذكره فلا يحمل عليه «**سَأُرِيكُمْ آيَاتِي**» حجتي في التوحيد والعدل والنبوة «**فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**[٢]» بطلب الآيات، وقيل: سأريكم عذابي إذا أنزلناه إليكم فلا تستعجلوه، فهو ما نزل بهم يوم بدر وغيره من الأيام من القتل والأسر في الدنيا، وقيل: سأريكم يوم القيامة فلا تستعجلوا مجيئها، فإن لها وقتاً مؤقتاً[٣]، والصحيح أن المراد به إما في الدنيا أو في الآخرة؛ لأنه تعالى بَيَّنَ ما استعجلوا فيه فقال: «**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا**» قيل: الذي يعدنا من[٤] العذاب، وقيل: القيامة، والمراد بالوعد الموعود «**إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**» في ذلك «**لَوْ يَعْلَمُ**[٥] **الَّذِينَ كَفَرُوا**» ما ينالهم أو إذا[٦] أتاهم ما يستعجلون به «**حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ**» ما[٧] استعجلوا ولا آمنوا به، وقيل: عن قُدَّامِهِم وخلفهم، وقيل: أراد الوجه والظَّهْرَ، وقيل[٨]: أراد إحاطة[٩] النار[١٠] بهم «**بَلْ**[١١] **تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً**» يعني الساعة تأتيهم فجأة «**فَتَبْهَتُهُمْ**» قيل: تحيرهم، عن أكثر المفسرين، وقيل: تفجأهم «**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا**» أي: لا يقدرون على دفعها بحيلة ولا قوة[١٢]«وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ» أي: لا[١٣] يؤخَّرون.

---

(١) ولا تعقبه: ولايتعقبه، ي.
(٢) تستعجلون: تستعجلوا، ي.
(٣) مؤقتاً: +، ي.
(٤) إما في الدنيا... من: ـ، ي.
(٥) يعلم: ليعلم، ز، ل، م.
(٦) إذا: ـ، ي.
(٧) ما: لما، ي.
(٨) وقيل: وقال، ز، ل، م.
(٩) إحاطة: أحاطت، ز.
(١٠) النار: النظر، ل.
(١١) بل: ـ، ي.
(١٢) ولا قوة: ولا بقوة، ي.
(١٣) لا: +، ي.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم[١] موقع الاستهزاء بأهل الدين، وأنها من الكبائر العظيمة، وهذا حال كل مبطل يستهزئ بالمحق[٢].

وتدل على ذم العجلة في الأمور، ومدح التأني، وقد وردت السُّنَّةُ أن التأني من الله والعجلة من الشيطان، ولا يجوز حمل الآية على الحقيقة؛ لأن الإنسان لم يُخْلَقْ من العجلة ولا العجلة من الإنسان، فلا بد من تأويل، والأولى ما ذكرنا أن عادته ذلك.

ويدل قوله: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ أنه تعالى خلقهم ولا يعجل العقوبة[٣].

وتدل على أن العذاب إذا وقع فلا دافع.

وتدل الآيات أن أفعال العباد حادثة من جهتهم ليس بخلق الله تعالى منها قوله: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ولو كان الهُزْءُ خَلْقَهُ لما[٤] اتخذهم هزواً، ومنها قوله: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ ولو كانت[٥] العجلة خَلْقَهُ لكان هو يستعجل، وكذلك قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ وكل ذلك يبطل قول المجبرة[٦] في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) عظيم: عظم، ز.
(٢) بالمحق: بالحق، ز.
(٣) العقوبة: بالعقوبة، ز.
(٤) لما: لكان هو، ي.
(٥) كانت: كان، ي.
(٦) المجبرة: المجبر، ز.

۞ القراءة

قرأ ابن عامر: «**ولا تُسمِع**» بضم التاء[1] وكسر الميم «**الصُّمَّ**» بالنصب، جعل الخطاب للنبيﷺ أي: لا يمكنك[2] أن تسمع[3] الصم شيئاً، وقرأ السلمي «**يُسْمَعُ**[4]» بضم الياء وفتح الميم «**الصُّمُّ**» رفع، يعني أنه لا يفعل ذلك بهم على ما لم يُسَمَّ فاعله، وقرأ الباقون بالياء مفتوحة وفتح الميم «**الصم**» رفع على إضافة الفعل إليهم[5].

۞ اللغة

حاق الشيء به[6]: حَلَّ ونزل، يَحِيقُ حَيْقًا، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] قال[7] ابن عرفة: حاق به الأمر لزمه ووجب[8] عليه، وقال الأزهري: الحَيْقُ: أَنْ يشتمل على الإنسان عاقبة مكروه فَعَلَهُ.

والهزؤ[9] والسخرية من النظائر إلا[10] أن في السخرية معنى طلب الإذلال؛ لأن التسخير هو التذليل، وفي الهزؤ طلب صغر[11] القدر بما[12] يظهر[13] من القول.

والكِلاءَةُ بكسر الكاف: الحفظ، يقال: كَلَأَهُ يَكْلَؤُهُ كَلاءَةً فهو كالِئٌ، قال:

إن سَعْدَى والله يَكْلأُ سَعْدَى[14]

(١) التاء: الياء، ز.
(٢) لا يمكنك: لا يملك، ز.
(٣) أن تسمع: ـ، ز، ل، م.
(٤) يسمع: +، ز، ي.
(٥) إليهم: إليهما، ز، ل، م.
(٦) حاق الشيء به: حاق به الشيء، ي.
(٧) قال: وقال، ي.
(٨) ووجب: ووجه، ي.
(٩) والهزو: فالهزؤ، ل.
(١٠) إلا: ـ، ز.
(١١) صغر: ضغن، ي.
(١٢) القدر بما: القلب مما، ز، ل، م، ي.
(١٣) يظهر: ـ، ز، ل.
(١٤) هكذا في ز، ل، م. وفي ي: تيابا. بدون نقاط. والبيت في مجمع البيان: م٤/ج٢٨/١٧:
إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرذؤها

ويقال: كَلأَكَ الله فبلغ[١] بك أَكْلأَ العمر أي: آخره، وأصله من التأخير، ومنه الحديث: «نهى عن الكالئ بالكالئ».

الإعراب

الميم[٢] في قوله: «**أم لهم**» صلة تقديره[٣]: ألهم آلهة، وهي استفهام والمراد به النهي والتقريع[٤].

المعنى

لما تقدم ذكر استهزائهم بالمؤمنين والنبي ﷺ[٥] أتبعه بقوله: «**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ**» تسلية للنبي وإنذارًا لقومه من العذاب مثل ما نزل[٦] بمن[٧] قبلهم، فقال سبحانه: «**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ**» كما استهزأ هؤلاء بك «**فَحَاقَ**» حل ونزل «**بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ**» من الرسل «**مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**» يعني وبال استهزائهم وما استحقوا عليه من العقاب «**قُلْ**» يا محمد لهم «**مَنْ يَكْلَؤُكُمْ**» فخرج[٨] الكلام مخرج الاستفهام والمراد الإنكار؛ أي: لا حافظ سواه مع[٩] أنكم تكفرون به وتستهزئون برسله، وإذا حل بكم عذابه فلا[١٠] مانع ولا دافع، ومعنى «**يكلؤكم**» يحفظكم ويحرسكم «**بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» يعني في[١١] جميع[١٢] الأوقات «**مِنَ الرَّحْمَنِ**» قيل: مما

---

(١) فبلغ: وبلغ، ي.
(٢) الميم: والميم، ل.
(٣) تقديره: وتقديره، ي.
(٤) والتقريع: والتوبيخ، ي.
(٥) صلى الله عليه وسلم: عليه السلام، ي.
(٦) مثل ما نزل: ما زال، ي.
(٧) بمن: من، ل.
(٨) فخرج: خرج، ي.
(٩) مع: يعني، ي.
(١٠) فلا: لا، ل، م.
(١١) في: +، ز، ي.
(١٢) جميع: ـ، ز.

يريد الرحمن إحلاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة «**بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ**» يعني ما يلتفتون إلى شيء من الحجج والمواعظ؛ بل هم معرضون، وقيل: مَوَاعِظِهِ وزواجره «**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا**» أي: ألهم آلهة تمنعهم من عذاب الله وبأسه إذا نزل بهم، فيه معنى التوبيخ والنهي[١]، يعني[٢] هؤلاء الأصنام التي اتخذوها لا تمنعهم من عذاب الله ولا يقدرون عليها، فهلا عبدوا القادر على النفع والضر.

ثم بَيَّنَ وصف ما اتخذوها آلهة فقال سبحانه: «**لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ**» يعني الأوثان لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدها «**وَلاَ هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**» قيل: ولا الكفار منا يجارون، عن ابن عباس. والعرب تقول: لك من فلان صاحب أي يجيرك[٣]، وروي عنه يمنعون، وقيل: ينصرون ويحفظون، عن مجاهد. وقيل: لا يصحبون من الله خير، عن قتادة. وقيل: لا يصحبهم صاحب يمنعهم منا، وقيل: لا يصحبهم الله ولا ينصرهم «**بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ**» الكفار «**وَآبَاءَهُمْ**» في الدنيا بما أنعم عليهم من نعم الدنيا وطول الإمهال «**حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ**» فغرهم شيئان: طول العمر وأسباب الدنيا وإمهال الله إياهم حتى أتوا ما أتوا[٤]، «**أَفَلَا يَرَوْنَ**»[٥] يعني ينبغي ألاّ يغتروا بالدنيا؛ فإنها إلى زوال، ويجب أن يعتبروا بمن[٦] مضى من الأمم الخالية كيف أتتهم المنية، فقال سبحانه: «**أَفَلَا يَرَوْنَ**[٧]» هؤلاء الكفار «**أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**» قيل: بخرابها، عن أبي علي. وقيل: بموت أهلها، وقيل: بهلاكهم[٨] ونقصان أموالهم، وقيل: بموت العلماء، وقيل: بإهلاك الظَّلَمَةِ وخراب دورهم

---

(١) والنهي: والنفي، ز، م، ي.

(٢) يعني: +، ي.

(٣) يجيرك: يجرك، ز، ل، ي.

(٤) ما أتوا: ولم يروا؛ ز، ل، م، ي. وما أثبتناه من تفسير الأعقم: ٤١٨/١.

(٥) أفلا يرون: +، ي.

(٦) بمن: بأن من، ز، ل، م.

(٧) أفلا يرون: أولم يرو، ز، ل، م، ي.

(٨) بهلاكهم: هلاكهم، ي.

ومنازلهم[1] وبلادهم، وقيل: أَوَلاَ يرى أهل مكة أنا نأتي أطراف الأرض نزيد أطراف المؤمنين وننقص من أطراف المشركين «أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ» قيل: هؤلاء الذين أهلكهم الغالبون لله[2] أم الله حيث أهلكهم[3]؟ كذلك حالكم[4]، وقيل: معناه أهم الغالبون لرسول الله توبيخاً لهم، عن قتادة، وأبي علي. وقيل: أفهؤلاء الغالبون أم نحن «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» أي: بما يوحى إليّ من القرآن وأخبار الأمم والوعد والوعيد، وقيل: معناه ليس عليّ إلا الإنذار، يعني أنهم يستثقلون القرآن وسماعه وذكر الحق[5] لما هم[6] عليه من الإلف والعادة، فهم في ذلك بمنزلة الأصم الذي لا يسمع دعاء، فشبههم بالأصم الذي لا يسمع، وقيل: إنهم يتصاممون عند الدعاء إلى الحق كقول الشاعر:

بَـصِـيِّـر أعــمــى[7] أَصَــمٌّ ســمــيــع

«إِذَا مَا يُنذَرُونَ» أي[8] يخوفون.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ على تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين وتقوية قلوبهم، ووعيد[9] الكافرين في نزول ما نزل[10] بمن[11] كان قبلهم[12].

---

(١) منازلهم ودورهم.
(٢) لله: به، ي.
(٣) حيث أهلكهم: حيث، ل.
(٤) كذلك حالهم: فكذلك حالهم، ل.
(٥) الحق: الخلق، ي.
(٦) هم: ـ، ي.
(٧) أعمى: عما، ل، ي.
(٨) أي: +، ل، ي.
(٩) ووعيد: وعيد، ز، ل، م.
(١٠) ما نزل: ما أنزل، ي.
(١١) بمن: بهم من، ل.
(١٢) كان قبلهم: قبله، ل.

ويدل قوله: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ الآية على[1] أنه المنعم بضروب النعم من نفع ودفع، وأنه المستحق للعبادة.

ويدل قوله: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا﴾ أنه أمهلهم حتى اغتروا، وحذر من الاغترار بالإنعام والإمهال.

ويدل قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ على وجوب النذير في الآيات.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم من حيث ذمهم[2] بالاستهزاء والإعراض وأمرهم بالتدبر.

النظم

يقال: بِمَ يتصل قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ؟

قلنا: فيه قولان:

أولهما: بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ تقديره: أفهم الخالدون[3] أم لهم آلهة تمنعهم[4].

ويقال: بِمَ يتصل قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ ؟

قلنا: فيه قولان:

أولهما: اتصل بقوله: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ تقديره: لو تفكروا[5] علموا أن لا عاصم إلا الله، وفيما أنذرهم من القرآن أعظم الآيات والحجج.

وقيل: بما تقدم من العظة بحال[6] من مضى[7] من الأمم، فبين[8] أن ذلك

(١) على: +، ز، ي.
(٢) في الآيات... ذمهم: +، ي.
(٣) الخالدون: الغالبون، ي.
(٤) أم لهم آلهة تمنعهم: تمنعهم سواه تمنعهم، ي.
(٥) لو تفكروا: لو تكفروا، م.
(٦) بحال: فحال، ز، ل، م.
(٧) من مضى: مضت. ز، ل، م.
(٨) فبين: مبين، ز، ل.

وجميع ما يعظهم به من الوحي، وقيل: تقديره: بما وعظتكم ليس عليّ[1] إلا الإنذار، فإن قبلتم وإلا فقد قضيت ما عليّ.

قوله تعالى:

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع: «مِثْقَالُ» برفع اللام وكذلك في سورة (لقمان) ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٦] بالرفع[2]، وقرأ الباقون بالنصب في السورتين، فأما مَنْ رفع بمعنى كان وقع، تقديره: وإن وقع مثقال حبة، وقيل: تقديره: وإن هو مثقال حبة.

وقرأ مجاهد: «**آتينا بها وكفى**» بالمد، وقرأ الباقون: «**أتينا**» بغير مد، فمعنى المقصور: جئنا بتلك الحبة[3]، يعني جزاءه، ومن قرأ بالمد، فمعنى ذلك: أعطيناه ثواب تلك الحبة من عمله.

اللغة

النفحة: الوقعة اليسيرة تقع بهم، وأصله من الريح اللينة، ثم يستعمل في الخفيف من كل أمر، نَفَحَ يَنْفَحُ نفحاً ونفحة، فهو نافح، ونَفَحَ بهم[4] الطيب يَنْفَحُ نفحاً، وله نفحة طيبة، ونَفَحَتْ الدابة إذا رمت بحافرها فضربت به، ونَفَحَهُ بالسيف: إذا تناوله

(١) علي إلا: إلاعليّ، ي.

(٢) بالرفع: لاليرفع، م.

(٣) الحبة: الحة، ز.

(٤) بهم ـ ، ز، ي.

من بعيد، ونفحه بالمال نفحاً، ونَفْحُ الريح هبوبها، فأما حديث شُرَيْح: (أنه أبطل النَّفْحَ) فمن نفح الدابة يعني: كان لا يلزم صاحبها شيئاً.

والويل والوَيْلَةُ: الهلكة، وقيل: الويل الحزن، وتَوَيَّلَ الرجل دعا بالويل، والنداء فيه لتنبيه المخاطبين، وقيل: للاستغاثة لما نزل به، وقيل: تقديره: يا ويل هذا أوانك.

۞ الإعراب

«بنا[١]» في موضع رفع، وتقديره: كفاه محاسبتنا فليكتف به.

و«**حاسبين**» نصب على التمييز؛ لأن قوله: «**كفى بنا**» يقتضي أنواعاً، فإذا قال: حاسبين كأنه ميز[٢]، كقولهم: عشرون درهماً، وقيل: نصب على الحال كأنه قيل: يكتفى بنا في[٣] حال محاسبتنا[٤].

والواو[٥] في قوله[٦] «وضياء» واو عطف الضياء على الفرقان؛ لأن الضياء غير الفرقان[٧]، وهو كقولك: أعطيتك الخيل وسلاحها، وقيل: هو من صفة الفرقان.

۞ النظم

يقال: كيف اتصل قصة موسى وهارون بما قبلها؟

قلنا: لما تقدم ذكر الوحي بَيَّنَ[٨] أنّ إنزال القرآن عليه[٩] ليس ببدع؛ فقد أنزل على[١٠] موسى وهارون.

(١) بنا: وكفى بنا. ز، ل، م.
(٢) ميز: بين، ي.
(٣) بنا في: في كل، ز.
(٤) محاسبتنا: محاسبينا، ي.
(٥) والواو: الواو، ز، ل، م.
(٦) في قوله: في قوله كقوله، ل، م.
(٧) لأن... الفرقان: ـ ، ي.
(٨) بيّن: وأن، ز، ل، م.
(٩) عليه: ـ ، ل، م.
(١٠) على: إلى، ي.

وقيل: اتصل[١] بقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ﴾ [٢] وكما أن هؤلاء استهزأوا بك مع أنا أنزلنا إليك الكتاب، فكذلك[٣] أنزلنا على موسى فكذبوه واستهزأوا به.

المعنى

لما تقدم الإنذار بالعذاب بين ذلك، فقال سبحانه: «**وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ**» أي: أصابتهم «**نَفْحَةٌ**» قيل: طرف، عن ابن عباس. وقيل: عقوبة، عن مقاتل، وقتادة. وقيل: قليل، عن ابن كيسان. وقيل: نصيب، عن ابن جريج. وقيل: بعض ما يستحقونه من العذاب، عن أبي مسلم. «**مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا**» يعني يدعون بالويل عند نزوله «**إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**» قيل[٤]: لأنفسنا بأن عصينا الله وكذبنا الرسل، وقيل: ظلمنا دعاة الله ورسله حيث رددنا وكذبنا.

ثم بين تعالى أن ذلك العذاب إنما يصيبهم لاستحقاقهم عدلاً منه، فقال سبحانه: «**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ**[٥]» قيل: نضع العدل، وإنما ذكر الميزان مثلاً وأراد العدل[٦]، عن مجاهد. وقيل: المراد محاسبته[٧] وهو سؤاله إياهم عما أنعم عليهم وما كان منهم في مقابلته، عن أبي مسلم. وقيل: هو ميزان له كفتان ولسان كموازين الدنيا[٨]، عن الحسن، وأبي علي. «**القسط**» العدل؛ لأنه عند وضع الموازين يظهر أنه لا يظلم أحداً[٩].

ومتى قيل: لم وحّد القسط في صفة الموازين؟

---

(١) اتصل: يتصل، ي.
(٢) «ولقد استهزئ برسل»: ـ ، ز.
(٣) كذلك: وكذلك، ز، ي.
(٤) قيل: وقيل، ي.
(٥) القِسْطَ: ـ ، ي.
(٦) إنَما... العدل: +، ي.
(٧) محاسبته: بمحاسبته، ل.
(٨) الدنيا: الدعاء، ز.
(٩) أحداً: ـ ، ل.

قلنا: ذهب به[١] مذهب المصدر كقولهم: رجل عَدْلٌ، ورجلان عَدْلٌ، ورجال عدل[٢]، ورجل رِضًى، ورجلان رِضًى[٣]، ورجال رِضًى، ورجل خَصْمٌ، ورجال خَصْمٌ.

«**لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**» قيل: لأهل يوم القيامة، وقيل: يؤتى[٤] في يوم القيامة للحساب «**فَلَا**[٥] **تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**» يعني لا تنقص من ثوابها المستحق ولا يزاد[٦] في العذاب المستحق «**وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ**» هذا مَثَلٌ، والمراد وإن كان يسيراً من الطاعات لا يضيع؛ بل يجازي عليها «**أَتَيْنَا بِهَا**» قيل: إنها محفوظة حتى نجازي عليها؛ لأن نفس العمل يتلاشى ولا يجوز عليه الإعادة، وقيل: أراد[٧] أتينا جزاءها، وأقام الجزاء مقامه «**وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**» لأنه لا يعلم الخردلة والحب غيره، كذلك اليسير من الأعمال، وقدر جزائه، فهو يعلم تفاصيل[٨] الأعمال وقدر الجزاء، فيجازي كل أحد بما عمل قَلَّ أم كثر، وقيل: إنه يوفي ما عليه أكثر مما عليه[٩] تفضلاً، ويستوفي ما له أو أقل[١٠] مما[١١] يستحقه، وقيل: إنه[١٢] لا يظلم في حسابه، فيكفي أنه محاسبهم[١٣] ولا يكلهم إلى أحد، وقيل: هو أرحم الراحمين فيكفي العبد أن يكون هو[١٤]

---

(١) به: في، ل، م.
(٢) عدل: عدول، ي.
(٣) ورجلان رضى: ـ، ي.
(٤) يؤتى: ـ، ز، ل، م.
(٥) فلا: ولا، ز.
(٦) يزاد: +، ي.
(٧) أراد: ـ، ي.
(٨) تفاصيل: بتفاصيل، ي.
(٩) أكثر مما عليه: +، ز، ي.
(١٠) أو أقل: إذ قل. ز، ل، م.
(١١) مما: بما، ل.
(١٢) إنه: لأنه، ي.
(١٣) محاسبهم: يحاسبهم، ز، ل، ي.
(١٤) هو: ـ، ي.

محاسبه[1]«وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ» أي[2] أعطيناهما «الْفُرْقَانَ» قيل: التوراة تفرق بين الحق والباطل، عن مجاهد، وقتادة، وأبي علي. وقيل: البرهان الذي فرق بين[3] حق موسى وباطل فرعون وهو النصر، عن ابن زيد، كقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾[4] [الأنفال: ٤١] يوم بدر، وقيل: هو فلق البحر ونجاتهم وغرق فرعون «وَضِيَاءً» قيل: بيان الحلال والحرام، عن ابن عباس، وعكرمة. آتينا موسى الكتاب ضياء، والواو زائدة، قال أبو علي: الضياء صفة التوراة، وأنكر ذلك بعض النحويين، وليس بشيء؛ لأنه قد يوصف مع الواو، قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم[5]

وجميع ذلك[6] صفة الموصوف واحد، وقيل: الضياء التوراة، والواو للعطف لاختلاف اللفظين[7] والمعنى واحد، وقيل: الضياء العلم؛ لأنه ضياء لمن عمل به «وَذِكْرًا[8] لِلْمُتَّقِينَ» يعني يتذكرون به ويستدلون فيعلمون[9] الدين، وخص المتقين؛ لأنهم ينتفعون بها.

ثم وصف المتقين فقال سبحانه: «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» أي: يخافون عقابه «بِالْغَيْبِ» قيل: في سرائرهم من غير رياء، وقيل: في حال الخلوة والغيب عن الناس «وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ» أي: من القيامة وأهوالها «مُشْفِقُونَ» خائفون «وَهَذَا ذِكْرٌ» يعني القرآن «مُبَارَكٌ»؛ لأن مَنْ تمسك به وعلمه[10] وعمل به استحق ثواب الأبد، وقيل: «مبارك» لوفور فوائده من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والعظة والأخبار والأمثال، وكل

---

(١) محاسبه: محاسبهم، ي.
(٢) أي: +، ي.
(٣) بين: +، ي.
(٤) وما. . . . الفرقان: +، ز، ي.
(٥) المزدحم: الإزدحام، ز، ل، م.
(٦) وجميع ذلك: وجميع ذلك على، ي.
(٧) لاختلاف اللفظين: +، ي.
(٨) وذِكرا: وذكر، ل.
(٩) فيعلمون: فيعملون، ز.
(١٠) وعلمه: علمه، ل.

ذلك مما يدعو إلى مكارم الأخلاق، وينهى عن سَفْسَافِها «أَنزَلْنَاهُ[١] أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ» قيل: جاحدون مع كونه معجزاً.

الأحكام

يدل قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنهم أُتُوا في استحقاق العقاب من قِبَلِ أنفسهم، وأنه تعالى لم يخلقهم[٢] للعذاب، ولا خلق فيهم[٣] الكفر الموجب للعذاب.

ويدل قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ على إثبات الميزان، والرواية مشهورة، فلا معنى للعدول[٤] عن الظاهر، ولا مانع منه، ثم الأعمال لا تصح أن توزن؛ لأنها أعراض تلاشت، فإما أن[٥] توزن الصحف، أو تظهر علامات تُعلم أهل الجمع مقادير استحقاق الجزاء[٦].

ويدل قوله: ﴿فَلَا[٧] تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ على بطلان قول المجبرة؛ لأن عندهم أنه خلق فيهم الكفر والقدرة الموجبةللكفر، وأراد منهم الكفر، ومنعهم من[٨] الإيمان، ثم عاقبهم على ذلك، وأَيُّ ظلم أعظم من هذا، وقد نزه[٩] الله سبحانه عن ذلك نفسه.

ويدل قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ على صحة قولنا في العدل، فأما عندهم إذا جاز تعذيب الأنبياء وإثابة الفراعنة فيبطل مثل الجبال من طاعاتهم.

(١) أنزلناه: ـ ، ي.
(٢) يخلقهم: يخلق، ز، ل، م.
(٣) فيهم: لهم، ي.
(٤) للعدول: العذاب، ز.
(٥) أن: ـ ، ي.
(٦) الجزاء: ـ ، ي.
(٧) فلا: ولا، ز، ي.
(٨) من: عن، ي.
(٩) وقد نزه: وقدره، ل.

وتدل على صحة الموازنة؛ لأنه بَيَّنَ أنه لا يضيع قليل ولا كثير، وعلى[1] ما يقوله أبو علي كثيراً ما يضيع، فأما عند أبي هاشم، فإما أن يثاب عليه أو ينقص من عقابه فقط، فأما من حمله على ما يثيب ويحبطه بكبيرة فخلاف الظاهر.

ويدل قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ أنه يتولى حسابهم، وفيه ترغيب وترهيب.

وتدل على بطلان الجبر؛ لأن الأفعال إذا كانت كلها خَلْقَهُ، وَخَلَقَ كل فريق لشيء[2] فما معنى الحساب.

ويدل قوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أن القرآن من أعظم النعم؛ لأنه عليه مدار الدين.

وتدل على أنه محدث لكونه منزلاً.

قوله تعالى:

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥)﴾

۞ اللغة

الرشد: نقيض الغي، رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْدًا وَرشَدًا فهو رشيد، وغَوِيَ يَغْوَى غَوًى فهو غاوٍ، والرشد: حق يؤدي إلى نفع يدعو إليه. والتمثال[3]: الصورة، وجمعه تماثيل، والتماثيل الأصنام.

والعكوف: اللزوم للشيء، عَكَفَ عليه يَعْكُفُ فهو عاكف، وقيل: هو المقيم على الشيء، ومنه الاعتكاف. والمبين: المظهر للمعنى بدعائه إليه، والبين: الظاهر.

---

(١) وعلى: على، م، ي.
(٢) لشيء: لكل شيء، ل.
(٣) التمثال: والتماثل، ز.

۞ الإعراب

«إبراهيم[(١)]» موضعه نصب بـ«آتينا».

«رشده» نصب؛ لأنه المفعول الثاني، تقول: أعطيت زيداً درهماً، والهاء في محل الخفض؛ لأنه مضاف إليه.

۞ المعنى

ثم عطف على ما تقدم من قصة موسى وهارون بقصة إبراهيم عليه السلام فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ آتَيْنَا**» أعطينا[(٢)] «**إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ**» قيل: النبوة، وقيل: التوفيق واللطف حتى اهتدى وناظر قومه، ودعاهم[(٣)] إلى عبادة الله تعالى[(٤)]، ونهاهم عن عبادة غيره، وقيل: الحجة التي احتج بها على قومه من أدلة التوحيد والعدل، وقيل: هداه صغيراً، عن مجاهد. وقيل: رشده: الإيمان والمراد اللطف والهداية، وإلا فنفس الإيمان فعل إبراهيم لذلك استحق المدح والثواب، وقيل: هداه، كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥].

ومتى قيل: هلاّ قلتم: إن الرشد الإيمان، بأن خلق فيه ذلك كما يقوله أهل الجبر؟

قلنا: لأنه ثبت بالدليل أن الإيمان فِعْلُ العبد ليس بخلق الله تعالى؛ لأنه أمره به ووعده عليه وأوعده على تركه، ولأنه يحصل بحسب فعل العبد، وينتفي بحسب كراهته، ولأنه مثاب عليه، ولأنه يدعو إليه الرسل، وكل ذلك يبين أنه فعل العبد، وقد أضافه تعالى إلى إبراهيم وإلى نفسه، فأضافه إليه لأنه بأمره وهدايته ومعونته ولطفه وقد[(٥)] **أضافه إلى إبراهيم**[(٦)] لأنه فعله، وهو[(٧)] المتمسك[(٨)] به، وإن حمل على النبوة

---

(١) إبراهيم: ـ، ل.
(٢) أعطينا: +، ي.
(٣) ودعاهم: وداعهم، ل، م.
(٤) عبادة الله تعالى: عبادته، ي.
(٥) وقد: وحثه، ز، ل؛ في م كلمة غير واضحة.
(٦) أضافة إلى ابراهيم: ـ ، ي.
(٧) هو: ـ ، ل.
(٨) المتمسك: التمسك، ن.

فإن إبراهيم عليه السلام[1] تحملها وقام بها وتمسك بها «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل موسى وهارون، وقيل: من قبل محمد، وقيل: من قبل النبوة بما تراءى له من الكواكب «وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ» أي: علمنا أنه أهل للنبوة، ومستصلح لها، يقوم بها عملاً وأداء[2] «إِذْ قَالَ لأَبِيهِ» آزر «وَقَوْمِهِ» حين رآهم يعبدون الأصنام «مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ» قيل: الصور[3] التي لا تنفع ولا تضر وهي الأصنام، وقيل: الأصنام[4]، عن مجاهد. وقيل: سماها بذلك لأنه[5] رآها على صور الرجال والنساء، وقيل: جعلوا الأصنام أمثلة[6] للأجسام[7] العلوية، وقيل: أمثلة لعلمائهم الذين انقرضوا، والأول الوجه «الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ» مقيمون على عبادتها[8]، وهذا استفهام والمراد الإنكار «قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا» يعني الأصنام[9]» فاقتدينا بهم، لَمَّا عابهم بعبادة الأصنام ونبههم[10] وحاجهم لم يجيبوا إلا باتباع التقليد والإلف، فأجابهم إبراهيم و«قَالَ[11] لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» أي: بيّن ظاهر في عبادة ما لا ينفع ولا يضر، و«قَالُوا[12]» له «أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ» أي: أجادٌ أنت أم هازل في قولك، وإنما قالوا ذلك لاستبعادهم إنكار عبادة الأصنام لما ألفوا ذلك واعتادوه[13].

الأحكام

تدل الآيات على فساد التقليد.

---

(١) عليه السلام: +، ل.
(٢) أداء: ـ ، ل.
(٣) الصور: الصورة، ز، م.
(٤) وقيل: الأصنام، ي.
(٥) لأنه: لأنها، ل.
(٦) أمثلة: مثلة، ل، م.
(٧) للأجسام: الأجسام، ز.
(٨) عبادتها: عبادته، ي.
(٩) يعني الأصنام: +، ي.
(١٠) ونبههم: وأنفهم، ز، ل، م.
(١١) وقال: فقال، ز.
(١٢) قالوا: فقالوا، ز.
(١٣) واعتادوه: واعتادوا، ي.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على فساد قول المجبرة في المخلوق؛ لأنه لو خلق فيهم عبادة الصنم لقالوا له: لماذا تعيبنا بشيء[1] خلقه الله فينا، وهل يجوز من الحكيم أن يعيب ما يخلق، وأنت[2] رسوله أجئت لتبطل[3] ما خلق وتعيب ما فعل الله؟! تعالى الله[4] عن ذلك.

قوله تعالى:

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

القراءة

قرأ الكسائي: «جِذاذًا» بكسر الجيم، وبه قرأ يحيى بن وثاب[5] والأعمش، وقرأ الباقون بضمه، والكسر[6] بمعنى جَذِيذ وجِذاذ نحو كريم وكِرام، وخفيف وخِفَاف، ومَنْ ضم فالمراد به القطع كالرُّفات والفُتات والدُّقاق[7]، وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع.

اللغة

الفَطْرُ: أصله الشق، ومنه: انفطر، يقال: فَطَرَهُ يَفْطُرُهُ فَطْرًا وانفطر[8] انفطاراً، وفطر الله الخلق[9] ابتدأ خلقه، والفاطر: الخالق.

---

(١) بشيء: لشيء، ي.
(٢) وأنت: وأنه، ز، ل، م.
(٣) لتبطل: فتبطل، ز، ل، م.
(٤) الله: ـ، ل.
(٥) وثاب: مؤمل، ي.
(٦) الكسر: فالكسرة، ز، ل.
(٧) والدُّقاق: الدقاق، ز، ي.
(٨) وانفطر انفطاراً: وانفطارا، ز، ل، م.
(٩) الخلق: السماوات، ي.

والشاهد: الدال على الشيء عن مشاهدة، وإبراهيم[1] شاهد بالحق؛ لأنه دال عليه بما يرجع إلى ثقة[2] المشاهدة.

والكيد: تدبير إضرارٍ[3] على وجه يخفى[4]، كادَهُ يَكِيدُهُ كيداً فهو كائد.

والجَذُّ: القطع، جَذَذْتُهُ أَجُذُّهُ جَذًّا، إذا قطعته[5]، قال الشاعر:

آلُ المهلب[6] جَذَّ اللهُ دابرَهُمْ أَمْسَوْا رَمادًا فلا أصلٌ ولا طَرَفُ[7]

وقيل: الجذاذ بضم الجيم وكسرها لغتان، كالقُباب[8] والقِباب.

يقال: لِمَ قال: «**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا**» ولم يقل: جعلها؟

قلنا: بناه على اعتقادهم أنها آلهة، فعبر عنها بعبارة ما يعقل.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى جواب إبراهيم لقومه، فقال سبحانه: «**قَالَ بَل[9] رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» يعني قال إبراهيم لقومه حين قالوا: أجادٌّ أنت أم[10] لاعب: بل خالقكم خالق السماوات والأرض «**الَّذِي فَطَرَهُنَّ**» أي: خلقهن، فبيّن لهم شيئين: أحدهما: أن طريق معرفتهم[11] الدلالة لا التقليد[12]، والثاني: أن طريق معرفته النظر في أفعاله «**وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ[13] الشَّاهِدِينَ**» قيل: قال هذا مبالغة في إظهار الحق،

(١) وإبراهيم: فإبراهيم، ي.
(٢) ثقة: الفقه، ز، م نفيه، ي.
(٣) إضرار: ضرار، ز.
(٤) يخفى: الخفا، ل، م.
(٥) قطعته: قطعت، ـ، م.
(٦) المهلب: الله، ل.
(٧) البيت لجرير، انظر الديوان.
(٨) كالقباب: كالقبان، ز، م.
(٩) بل: ـ، ز.
(١٠) أم: ـ، ز، ل، م.
(١١) معرفتهم: معرفتهما، ز.
(١٢) التقليد: التأكيد، ي.
(١٣) مِنَ: على، ز.

كما يقال: إن فلاناً كريم، وأشهد أن فلاناً لئيم، وقيل: أظهره على وجه الشهادة لما قرر[١] القاعدة قال: أشهد أني من الشاهدين أن لا إله إلا الله «**وَتَاللَّهِ**» هذا قسم به سبحانه «**لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ**» أي: أُدَبِّرُ في شأنهم[٢] تدبيراً خفياً[٣] فيسوؤُهم[٤] ذلك، وقيل: لأكيدن في سر من قومه، ولم يسمع ذلك إلا رجل منهم فأفشاه، عن قتادة، ومجاهد. «**بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**»قيل: في حال غيبتكم، وقيل: أشار إلى أنها تحتاج إلى نصرهم، فإذا غابوا[٥] لا يقدرون على حفظ أنفسهم، فنبه على بطلانه، وقيل: كان هذا يوم عيد، عن الحسن. وقيل[٦]: كان لهم في كل سنة عيد[٧] إذا رجعوا دخلوا على الأصنام وسجدوا[٨] لها، فقيل لإبراهيم[٩]: تخرج[١٠] معنا، فخرج، فلما كان ببعض الطريق قال: أشتكي[١١] رجلي، وانصرف، وقال في آخرهم: (**لأكيدن أصنامكم**[١٢])، فسمعها جماعة، وقيل: واحد في آخر القوم، ثم رجع إليها وكسرها، وعلق الفأس في عنق الصنم الكبير، عن السدي. «**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا**» قيل: قطعاً قطعاً، عن قتادة. وقيل: حطاماً، عن ابن عباس. «**إِلاَّ كَبِيرًا**» أي[١٣]: عظيماً في الخلقة والجثة[١٤] من الأصنام لم[١٥] يكسره، وقيل: جعل الفأس في عنقه «**لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ**

---

(١) قرر: قدر، ز.

(٢) شأنهم: نانهم. بدون نقاط، ز، م.

(٣) خفياً: حقاً، ز، ل، م.

(٤) فيسوؤهم: فسيوهم، ز.

(٥) غابوا: كانوا، ز، ل، م.

(٦) وقيل: وكان، ي.

(٧) عيد: عيداً، ي.

(٨) وسجدوا: فسجدوا، ز.

(٩) لإبراهيم: فقيل لإبراهيم، فقيل لإبراهيم، ي.

(١٠) تخرج: لاتخرج، ي.

(١١) أشتكي: أشكي، ل، م، ي.

(١٢) أصنامكم: ـ ز، ي.

(١٣) أي: ـ ، ل.

(١٤) الجثة بدون نقاط في النسختين، ز.

(١٥) لم: ولم، م، ي.

﴿يَرْجِعُونَ﴾ قيل: لعلهم يرجعون إلى إبراهيم فيسألونه[1] ليبين لهم بطلانه[2]، وقيل: إلى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق، فيعلمون ضعفها وبطلانها، ويحتج عليهم[3] بحالها، فلما رجعوا من عيدهم[4] إلى بيت آلهتهم وجدوها مكسورة **﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾** يعني خاطب بعضهم بعضاً[5] بذلك **﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ[6]﴾** قيل: نسبوه إلى الظلم بما فعل لما استقبحوا[7] فعله، وقيل: الظالم لنفسه حيث استحق العقاب منا ومن الأصنام **﴿قَالُوا﴾** يعني الذين سمعوا إبراهيم وهو يقول: **(لأكيدن)**، وقيل: قال الذين[8] سمعوه يعيبهم[9] ويدبر أمرهم **﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾** قيل[10]: يذكرهم بسوء، وقيل: يعيبهم ويسبهم **﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾**.

۞ الأحكام

تدل الآيات على جواز المحاجة في الدين.

وتدل على جواز الحجاج بالقول والفعل؛ بل ربما كان بالفعل أبلغ؛ لأن كسره[11] إياها كان أبلغ في الحجاج، وربما يكون البيان بالقول أبلغ، فيفعل ذلك بحسب المصلحة.

وتدل على أنه فعل[12] ذلك ليبين لهم بطلانه، ولذلك[13] قال: **«لأكيدن»**.

---

(١) فيسألونه: ويسألوه، ل.
(٢) بطلانه: بطلانهم، ي.
(٣) عليهم: عليها، ي.
(٤) عيدهم: عندهم، ي
(٥) بحالها، . . . بعضاً: ـ ، ل.
(٦) الظالمين: الظالمون، ل.
(٧) استقبحوا: استحقوا، ل.
(٨) الذين: الذي كانوا، ز، م، ي.
(٩) يعيبهم: بعضهم، ل.
(١٠) قيل: ـ ، ز، ي.
(١١) كسره: كبيرة، ز.
(١٢) فعل: فعله، ل، م.
(١٣) لذلك: وكذلك، ي.

ومتى قيل: كيف أطلق الكيد[1] مع الأوثان وليست بحية؟

قلنا: فيه ثلاثة[2] أوجه:

أولها: أجرى الكلام[3] على حسب اعتقادهم أنها آلهة تسمع وتعلم.

وثانيها: قيل: معناه لأكيدنكم في أصنامكم.

وثالثها: أنه تَوَسُّعٌ، والمراد أنه[4] لو فعل بالأحياء لكان كيداً، عن أبي علي[5].

وتدل على أن الدعاء إلى الدين يعتبر فيه[6] ما[7] هو أولى؛ لأنهم كانوا مقلدة لا يستمعون إلى الحجج[8]، فأداهم ما اضطرهم إلى القبول.

قوله تعالى:

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

اللغة

﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: بحيث يراه[9] الناس، وهذا يُذْكَرُ ويراد[10] به الظهور،

---

(١) الكيد: ـ، ز، ل، م.
(٢) ثلاثة: ـ، ز، ل، م.
(٣) أجرى الكلام: أجرى الكلام مجرى، ز، ل، م.
(٤) أنه: به، ي.
(٥) عن أبي علي: +، ز، ي.
(٦) فيه: ـ، ي.
(٧) ما: بما، ي.
(٨) الحجج: الحجاج، ز، ل، م.
(٩) يراه: يرى، ز، ل، م.
(١٠) ويراد: والمراد، ز، ل، م.

تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس، كأنه يريد أنهم ينظرون إليه بأعينهم، وهذا تَوَسُّعٌ من فصيح الكلام.

النَّكْسُ: قَلْبُكَ الشيء[1] على رأسه، نَكَسَهُ يَنْكُسُهُ، والوِلاَدُ المنكوس هو[2] أن تخرج رِجْلاَهُ قبل رأسه، والنِّكْسُ: السهم الذي انكسر فُوقُهُ فيجعل أعلاه أسفله، ويقال للمنافق[3]: إنه ينكس، تشبيهاً بذلك.

۞ الإعراب

روي عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ ثم يبتدئ: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ فعلى هذا الكناية عن[4] غير مذكور، كأنه قيل: فعله، ويكون (كبيرهم) مستأنفاً رفعاً على[5] الابتداء[6]، وعلى قول الآخرين: الهاء كناية عن الكبير، و(كبيرهم) رفع لأنه[7] فاعل.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما جرى بينه وبين قومه في الأصنام[8]، فقال سبحانه: «**قَالُوا**» يعني قوم إبراهيم «**فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ**» يعني فأتوا بإبراهيم بمشهد من الناس حيث يجتمعون ويرونه ويسمعون بالحق فيه «**لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ**» بما قاله شهادة تكون حجة عليه بأنه[9] فعله، وكرهوا أن يأخذوه[10] بغير بينة، عن الحسن، وقتادة، والسدي.

---

(١) الشيء: للشيء، ي.
(٢) هو: ـ، ي.
(٣) للمنافق: للمائق، ي.
(٤) عن: من، ي.
(٥) على: ـ، ل، م.
(٦) الابتداء: بالابتداء، ل.
(٧) لأن: بأنه، ي.
(٨) في الأصنام: +، ي.
(٩) بأنه: وأنه، ي.
(١٠) يأخذوه: يأخذونه، ز.

وقيل: لعلهم يشهدون عقابه وما[(١)] يُصْنَعُ به أي: يحضرون، عن الضحاك، والسدي، وابن إسحاق. وقيل: لعلهم يشهدون ما يفعل به فيعتبرون[(٢)] فلا يفعل أحد بعد هذا مثل ذلك «**قَالُوا أَأَنْتَ**» في الكلام حذف، أي: أتوا به ثم قالوا له[(٣)]: أأنت «**فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**» فأجاب «**قَالَ**[(٤)] **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ**» اختلفوا في معناه وتقديره على وجوه، فقيل: هو مقيد بقوله: «**إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ**» وقوله: «**فَاسْأَلُوهُمْ**» اعتراض بين الكلامين كقولك: لي عليه دراهم فسله[(٥)] إن أقر، تقديره[(٦)]: هو الذي فعله إن نطق فسأله[(٧)] إن كان ينطق، يعني إن قدر على النطق قدر على الفعل، عن أبي علي، والقتيبي. وقيل: إنه يخرج مخرج الخبر، وليس بخبر؛ إنما هو إلزام يدل عليه الحال كأنه قال: بل[(٨)] تنكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا، والفاء[(٩)] تارة تكون[(١٠)] بلفظ السؤال وتارة بلفظ الأمر كقوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، وتارة[(١١)] بلفظ الخبر، وربما يكون أحد[(١٢)] ذلك أبلغ، وهذا كما يقال للخصم: إن الله أصمك وأعماك، ولا يراد الحقيقة، وأراد أنه لا يقدر على حجة، وقيل: إنه معلق[(١٣)] بما قبله، تقديره: إن كانوا آلهة فقد فعله كبيرهم ليختص بالإلهية، وقيل: إنه كناية عن غير مذكور، أي: فعله من فعله، عن الكسائي.

---

(١) ما: بما، ل.
(٢) فيعتبرون: يعتبرون، ل.
(٣) له: +، ز.
(٤) قل: فقال، ز، ي.
(٥) فسله: فسأله، ز، ل.
(٦) تقديره: وتقديره، ي.
(٧) فسأله: ينطق وسله، ي.
(٨) بل: بل ما، ز، م، ي.
(٩) والفاء: والألف، ز، ل، م.
(١٠) تكون: +، ي.
(١١) تكون . . . ، وتارة: ـ ، ز.
(١٢) أحد: أخبر، ل؛ أخر، م.
(١٣) معلق: تعلق، ل.

فأما ما ذكره[1] بعضهم أنه أراد الخبر، وأراد أن كبيرهم غضب لما عُبِدُوا معه[2] فكسرهن، ورووا أن إبراهيم كذب[3] ثلاث كَذِبَاتٍ: أحدها: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وثانيها: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وثالثها: قال لسارة: هي أختي، وهذا مع كونه من الآحاد من أضعف الروايات، ولعله من دسيس الملحدة؛ لأن الكذب لا يجوز على الأنبياء، ولو جاز ثلاثة جاز أربعة وأكثر فلا تبقى ثقة بقوله، ولا يقال: أُذِنَ له فيه[4]؛ لأن الله تعالى لا يأذن في القبيح والكذب، على أن لكل شيء[5] من ذلك تأويلاً صحيحاً، فإن ثبت فلماذا يحمل على الكذب؟ وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] سنبينه في موضعه، ولعله كان سقيماً فما المانع من ذلك، وقيل: عندكم ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] في ديني، وقيل: في قوله: سارة أختي في الدين كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] بغرض ذلك[6].

ومتى قيل: لِمَ قال: «**فاسألوهم**[7]» ولم يقل: فاسألوه[8] وإنما أراد الكبير؟

قلنا: لأنه كان منهم[9] كالأمير عندهم[10]، يعظمونه أكثر من تعظيم ما سواه، فخاطب بلفظ العظماء على حسب اعتقادهم واستهزائهم، وقيل: أراد فاسألوهم[11] بأجمعهم مع كبيرهم.

«**فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ**» قيل: تلاوموا بينهم ورجع بعضهم إلى بعض كقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، [وقوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ[12]﴾ [البقرة: ٥٤]، وقيل:

---

(١) ذكره: ذكر، ز، ل، م.
(٢) لما عبدوا معه: العبد وأمنعه، ز.
(٣) كذب: ـ ، م.
(٤) فيه: +، ز، ي.
(٥) شيء: ـ ، ي.
(٦) بغرض ذلك: لغرض بذلك.
(٧) فاسألوهم: فسألوهم، ز، ل.
(٨) فسألوه: فسألوه، ز، ي.
(٩) منهم: فيهم، ي.
(١٠) عندهم: +، ز، ي.
(١١) فسألوهم: فسألوهم، ز.
(١٢) فاقتلوا أنفسكم: ـ ، ي.

رجعوا إلى أنفسهم منكرين[(١)]» يعني بعضهم لبعض «**إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ**» حيث لم تحفظوا الآلهة مما نزل بهم[(٢)]، وقيل: أنتم الظالمون لأنفسكم حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه وما نرى إلا هو[(٣)] كما قال، وقيل: أنتم الظالمون لأنفسكم[(٤)] في سؤالكم إياه، ولو قدر على الجواب قدر على الدفع عن نفسه[(٥)]، ولَمَا قدر على كسرها، وقيل: أنتم الظالمون[(٦)] بعبادتكم الأوثان[(٧)] الصغيرة[(٨)] مع هذا الكبير، وقيل[(٩)]: أنتم الظالمون لإبراهيم في لومه وتبكيته[(١٠)] وما نسبتم إليه؛ لأنهم توهموا أنها لو[(١١)] كانت آلهة لما قدر إبراهيم على كسرها، عن أبي علي. وقيل: عرفوا صدقه وعاندوا «**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ**» قيل: تحيروا فنكسوا لأجلها على رؤوسهم إذ علموا أنها لا تنطق، ثم اعترفوا بما هو حجة فقالوا: «**لَقَدْ عَلِمْتَ**» يا إبراهيم[(١٢)] مَا هَؤُلاَءِ» يعني الأوثان «**يَنطِقُونَ**» يعني كيف نسألهم[(١٣)] وهم لا ينطقون.

---

(١) منكرين: متفكرين، ي.
(٢) مما نزل بهم: لما برزتم، ل، م.
(٣) هو: ـ، ي.
(٤) لأنفسكم: ـ، ز، ي.
(٥) وما نرى نفسه: ـ ل.
(٦) الظالمون: للظالمون، ي.
(٧) الأوثان: الأون، م..
(٨) الصغيرة: ـ، م.
(٩) وقيل: وقال، ز.
(١٠) وتبكيته: تبكيته، ز، ل، م.
(١١) لو: ـ، ز، ل، م.
(١٢) يا إبراهيم: +، ي.
(١٣) نسألهم: وسأله، ز.

الأحكام

يدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أنهم كرهوا عقوبته من غير أن تثبت له[1] جناية ظاهرة.

ويدل قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ على جواز العدول في الجواب إلى التنبيه؛ لأنه نبه أنه لو[2] كان إلهاً لأخبر مَنْ كسرها، ولما قدر أحد على كسرها.

وتدل على أن الظالم كان اسم ذم عقلاً؛ لأن القوم كانوا كفاراً.

قوله تعالى:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

القراءة

قد بينا اختلاف القراء في «أف» وأن أبا جعفر ونافعاً وحفصاً[3] قرأوا «أُفٍّ» بكسر الفاء والتنوين، وابن كثير وابن عامر ويعقوب قرأوا بفتح الفاء بغير تنوين، وأن أبا عمرو وحمزة والكسائي وأبا بكر وعاصم قرأوا بكسر الفاء غير[4] منونة، وكلها لغات صحيحة.

---

(١) له: أنه، ل.

(٢) لو: ـ، م.

(٣) نافعاً وحفصاً: ونافع وحفص، ي.

(٤) غير: ـ، ي.

۞ اللغة

التحريق: التقطيع بالنار، حَرَّقَهُ ويحرقه[1]، تحريقاً[2] وأحرقه[3] إحراقاً، وثوب حريق أي: متقطع كالمتقطع بالنار، واحترق الشيء احتراقاً.

(أف) كلمة تذكر للضجر بما[4] كان من أمر ونهي وهي مبنية، وكسرت على أصل الحركة لالتقاء الساكنين، ويجوز الضم للإتباع، والفتح ليقل التضعيف[5].

۞ الإعراب

﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ وصف[6] النار بالبرد والسلام[7]، فلا يؤنث البرد[8] لتأنيث النار، كقولك للمرأة: أَنْتِ أسد، ولا تقول: أَسَدَةٌ؛ لأنك شبهتها به، والعرب تفعل هذا تصف المؤنث بصفة المذكر والمذكر بصفة المؤنث، تقول: هذه امرأة حائض[9]، وتقول[10]: رجل[11] نُكَحَةٌ.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى أنه لما توجه عليهم حجة إبراهيم أقبل عليهم باللوم والتوبيخ وأنهم قابلوه بالوعيد، فقال سبحانه: «**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**[12] مَا لاَ يَنفَعُكُمْ

---

(١) ويحرقه: ـ ، ي.
(٢) تحريقاً: +، ي.
(٣) وأحرقه: ـ ، ز.
(٤) بما: لما، ز.
(٥) التضعيف: الضعيف، ز، م.
(٦) وصف: وصفه، ز، ل، م.
(٧) والسلام: والسلامة، ي.
(٨) البرد: البير. بدون نقاط، م.
(٩) حائض: حاض، ل.
(١٠) تقول: +، ي.
(١١) رجل: ـ ، ي.
(١٢) من دون الله: +، ي.

شَيْئًا[1] وَلاَ يَضُرُّكُمْ» يعني الأوثان «أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ» أن عبادة ما[2] لا ينفع ولا يضر ولا يعقل تقبح، فعجزوا عن جوابه فـ «قَالُوا[3] حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ» قيل: إن كنتم تعقلون انتصاراً منه[4] لآلهتكم فليس إلا الإحراق، عن أبي علي، وأبي مسلم. فمن جهلهم لم يعلموا أن من حق المعبود أن ينصر العابد ويحفظه، وقيل: الذي أشار بتحريقه رجل من أكراد فارس، عن ابن عمر. وقيل: خسف الله به الأرض، وقيل: لما أجمعوا[5] على تحريقه حبسه نمرود، ثم جمعوا الحطب حتى كان الشيخ الفاني[6] يحمل والمرأة[7] تمرض فتنذر، ومن يطلب شيئاً يحطب إلى نار[8] إبراهيم، وقيل: جمع ذلك في شهر، عن ابن إسحاق. ثم أشعلوا ناراً[9] في نواحيه، ثم رموا بإبراهيم من[10] المنجنيق، وقيل: لما أوثقوه ليلقوه في النار قال: «لا إله إلا أنت سبحانك[11] رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك»، «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً[12]» هذا مَثَلٌ؛ لأن النار جماد ولا تُخَاطَبُ، والمراد أنا جعلنا النار برداً وسلامة، فلا يصيبه من أذاها شيء، وقيل: يجوز أن يتكلم[13] الله مصلحة للملائكة، وقيل: ما أحرقت النار إلا وثاقه، عن قتادة.

ومتى[14] قيل: إذا كانت النار محرقة، فكيف منعت من الإحراق؟

---

(١) شيئا: ـ ، ي.
(٢) ما: من، ي.
(٣) فقالوا: قالوا، ي.
(٤) منه: ـ ، ي.
(٥) أجمعوا: اجتمعوا، ي.
(٦) الفاني: البالي، ي.
(٧) المرأة: والامرأة، ي.
(٨) إلى نار: للنار، ل.
(٩) ناراً: النار، ي.
(١٠) من: في، ي.
(١١) سبحانك: ـ ، ي.
(١٢) وأرادوا به كيداً: +، ي.
(١٣) يتكلم: يكلم، ل.
(١٤) متى: ـ ، ي.

قلنا: يحتمل وجوهاً:

منها: أن يجعل بين أجزاء النار وبينه حائلاً لا تصل إليه.

ومنها: أن يجعله برداً بخلق البرودة في الأجزاء المجاورة لها، فيبقى الضوء ولا يبقى الإحراق[١].

ومنها: أن يخلق في الأجزاء الظاهرة[٢] من إبراهيم ما يمنع النار من الإحراق.

ومنها: أن الإحراق إنما يحصل بالاعتمادات، وفي الجملة يعلم أنه منع من الإحراق[٣]، والله أعلم بتفاصيله.

وقيل: بعث الله ملكاً يؤنسه، وقميصاً يلبسه، وجعل حوله رياضاً[٤] ورياحين، وقيل: ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة.

«**وَسَلَاماً**» قيل: سلمه الله من إحراق[٥] النار وبردها، وما روي أنه لو لم يقل[٦] «سَلاماً» لقتله البرد ليس بشيء؛ لأن الموت في البرودة إلى الله تعالى، وليس من موجب الحر والبرد الموت، وقيل: سلاماً[٧] من الله وتحية عليه، والأول أصح، والمراد أنه جعل في[٨] النار قدراً من البرودة بحيث لا يؤذيه البرد كما[٩] لم يؤذه الحر.

«**وَأَرَادُوا بِهِ**» يعني قومه أرادوا (به) بإبراهيم «**كَيْدًا**» يعني شراً وتدبيراً في إهلاكه «**فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ**» لأنهم غُلبوا وذلوا، وقيل: نَفَذَ كيد إبراهيم على أصنامهم ولم ينفذ كيدهم عليه، وكانوا الأخسرين.

---

(١) الإحراق: الاحتراق، ز.
(٢) الأجزاء الظاهرة: أجزاء الظاهر، ي.
(٣) ومنع من الإحراق: +، ز، ي.
(٤) رياضاً: روضاً.
(٥) إحراق: احتراق.
(٦) يقل: ـ، ز، ل، م.
(٧) سلاماً: سلام، ي.
(٨) في: ـ، ز، ي.
(٩) كما: لما، ز، ل، م.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**أفتعبدون**[(١)]» **على قبح عبادة غير الله وأنه وبخهم بذلك.**

وتدل على[(٢)] عبادتها؛ لذلك صح[(٣)] التوبيخ.

ومتى قيل: إذا كان عبادة ما لا ينفع ولا يضر تقبح، فعبادة من ينفع ويضر غير الله هل يحسن؟

قلنا: لا[(٤)]؛ لأن[(٥)] العبادة[(٦)] تستحق بأصول النعم، وذلك لا يقدر عليه غير الله بخلق الخلق[(٧)] والحياة والشهوة والأرزاق ونحوها.

وتدل على كيدهم به، ومنع الله إياهم نعمة عليه بذلك.

وتدل أن ذلك الكيد كان فِعْلَهُمْ؛ إذ لو كان خلقاً لله تعالى لكان هو الذي يكيد وهو الذي يمنع، وهذا لا يجوز، وقد روي عن إبراهيم قال: «ما[(٨)] كنت أياماً[(٩)] قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار»؛ وهذا لأن وجوه النعم تكثر عليه نحو سلامته من النار، والسرور بما يرى من النعم بالظفر بالعدو ودفع كيده، وبما رأى من معجزاته، وبظهور دينه، وما كان يصل إليه من نعم[(١٠)] الله حالاً بعد حال في مؤانسة[(١١)] الملائكة، ونجاته من أذى الكفار، ونحو ذلك مما لا يعد ولا يحصى.

---

(١) أفتعبدون: أتعبدون، ز.
(٢) على: على أن، ي.
(٣) صح: يصح، ل.
(٤) لا: ـ، ي.
(٥) لأن: إلا، ز.
(٦) العبادة: العباد، ز، م.
(٧) الخلق: الحي، ز، ل، م.
(٨) ما: لما، ي.
(٩) أياماً: بأياماً، ز، م.
(١٠) نعم: النعم، ي.
(١١) مؤانسة: ومؤانسة، ي.

قوله تعالى:

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ (٧٣) وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (٧٥)﴾

اللغة

النجاة: الدفع عن الهلكة، نَجَّاه يُنَجِّيْه وَأَنْجَاهُ يُنْجِيه[١] بمعنى، وأصله الدفع، ومنه النجوة: المكان المرتفع.

والنافلة: العطية الخاصة، وكذلك النفل، ثم يستعمل في كل عطية اتساعاً، والنوفل: الرجل الكثير العطاء، ومنه سمي نوفل، وهو هاهنا مصدر من **(وهبنا له)** فهو مصدر[٢] من غير لفظه، ويستوي ذلك وقوله: وهبنا له هِبَةً.

الإعراب

قيل: نصب **(لوطاً)** بمحذوف تقديره: واذكر لوطاً، وقيل: نصب بـ**(آتينا)**، قال أبو مسلم: هو عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾، كأنه قال[٣]: آتينا إبراهيم ولوطاً. وقيل: عطف على قوله: «**وَنَجَّيْنَاهُ**» كأنه قال: نجينا إبراهيم ولوطاً.

المعنى

ثم بيّن تعالى تمام نعمه[٤] على إبراهيم، وعطف عليه نعمه على لوط، فقال

(١) وأنجاه ينجيه: +، ز.
(٢) من: . . . مصدر: ـ، ز.
(٣) قال: قيل، م.
(٤) تمام نعمه: نعم الله، ز.

سبحانه: «**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا**» أي: خلصناهما من الهلكة وشر الأعداء «**إِلَى الأَرْضِ**» قيل: أمره بالهجرة إلى الشام ليعلِّم الناس الدين، وقيل: إلى أرض مكة، عن ابن عباس. وقيل: إلى أرض بيت[1] المقدس، عن أبي علي وجماعة. «**الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**[2] **لِلْعَالَمِينَ**» فمن حمله على الشام أراد بها بلاد خصب، ومن حمله على بيت المقدس[3] أراد بها مقام الأنبياء، ومن حمله على مكة فَلِمَا بها[4] من بركات الدين والدنيا، وخرج إبراهيم ولوطاً وسارة إلى الشام «**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً**» أي: عطية، عن مجاهد، وعطاء. يعني عطية زائدة على ما تقدم، وقيل: سأل ولداً وأعطاه، وزاده يعقوب نافلة، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد. وقيل: فضلاً، عن الضحاك، والحسن. وقيل: تبرعاً من غير استحقاق «**وَكُلًّا**» يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب «**جَعَلْنَا صَالِحِينَ**» قيل: جعلناهم كذلك بالألطاف التي فعلنا بهم حتى صلحوا، وقيل: بالتسمية على وجه[5] المدح بالصلاح، وقيل: أمرناهم بالصلاح فصلحوا، كما يقال: أَدَّبْتُ فلاناً أي: أمرته بالتأديب فتأدب، عن أبي مسلم. «**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً**» يعني أنبياء يقتدى بهم «**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**» يدعون الناس إلى الدين، ويرشدونهم، ويبينون لهم الشرائع، «**بِأَمْرِنَا**» أي يفعلون بأمرنا[6]«**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**» الطاعات والشرائع «**وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**» أي: مخلصين في العبادة «**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا**» قيل: الفصل في[7] الخصومة بالحق، وقيل: بالنبوة، وقيل: إصابة الحق «**وَعِلْمًا**» أي: علماً بالدين وما يحتاج إليه «**وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ**» قيل: سدوم «**الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ**» يعني أهلها[8] **تعمل الخبائث**[9]،

---

(١) بيت: ـ، ل، م.
(٢) فيها: +، ز.
(٣) عن ابي على... المقدس: ـ، ي.
(٤) بها: فيها، ز، ي.
(٥) وجه: جهة، ي.
(٦) يدعون... بأمرنا: +، ز، ي.
(٧) في: عن؛ ز، ل، م، ي.
(٨) أهلها: +، ز، ي.
(٩) يعني... الخبائث: ـ، ز، ي.

قيل: **كانوا يأتون الذكور**[1] في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم، وقيل: الكفر وسائر القبائح، عن أبي علي. وقيل: هو ما حكى الله تعالى عنهم[2] ﴿لَتَأْتُونَ[3] ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وغير ذلك، «**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ**» خارجين عن طاعة الله تعالى، يعني قوم لوط «**وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا**» قيل: الرحمة النجاة، وقيل: النبوة والعلم «**إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**[4]».

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى ينجي أنبياءه ويعصمهم، وفيه تسلية للنبي ﷺ.

وتدل على أن[5] الهداية ليس خلق الإيمان، لذلك قال: «**يهدون**» والمراد البيان والدلالة[6] والدعاء.

وتدل على أن مُقَامَ الصالح[7] بين الفساق مِحْنَةٌ إذا لم يمكن تغييرهم[8]، ولذلك سمى إخراجه نجاة.

وتدل على[9] أن الرحمة تنال بالصلاح.

وتدل على أن الصلاح والفساد فِعْلُ العبد.

---

(١) الذكور: الذكران، ي.
(٢) عنهم: +، ز، ي.
(٣) لتأتون: أتأتون، ز، ل، م.
(٤) الصالحين: للصالحين.
(٥) أن: ـ، ز، ل، م.
(٦) والدلالة: ـ، ي.
(٧) الصالح: الصالحين، ي.
(٨) إذا لم يمكن تغييرهم: لم يكن تغيرهم، ز، م.
(٩) على: +، ي.

قوله تعالى:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم: «**لِتُحْصِنَكُمْ من بأسكم**[1]» بالتاء، الضمير[2] يعود إلى الصنعة، وقيل: على تأنيث الدروع[3].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: «**لِيُحْصِنَكُمْ**» بالياء، يعود الضمير على «**لبوس**[4]»، **وقيل: جعل الفعل لله تعالى والكناية تعود على اسمه.**

وقرأ أبو بكر عن عاصم وورش[5] عن يعقوب[6] لنحصنكم[7]» بالنون لقوله: «**علمناه**» فهو مضاف إلى الله تعالى.

اللغة

النداء: هو الدعاء على طريقة: يا فلان، فأما على طريقة افعل ولا تفعل فهو دعاء وليس بنداء.

---

(١) من بأسكم: ـ، ي.

(٢) الضمير: لضمير.

(٣) الدروع: الدرع، ز، ل، م.

(٤) لبوس: اللبوس، ي.

(٥) وورش: وزويش، ي.

(٦) يعقوب: بعضهم، ل.

(٧) لنحصنكم: +، ز.

والكرب: أشد الغم، وقيل: هو الغم الذي غم به القلب.

والنصير[١] والناصر: المعين، نَصَرْتُهُ عليه: أعنته، ونصرته منه: منعته[٢]، ومنه: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾[٣] [هود: ٦٣] أي: يمنعني من عذابه، ونَصَرَ الغيث البلد أعانه على الخصب والنبات[٤]، ونُصِرَتْ الأرض فهي[٥] منصورة أي: ممطورة، ونَصَرْتُ المكان: أي[٦] أتيته، وقيل: منه أخذ النصارى، وواحدها: نَصْرَان، كنَدْمَانٍ ونَدْمَانَةٍ، فالأنثى[٧] نصرانة، ويقال: نصراني ونصران، وقيل: هم منسوبون إلى ناصرة وهي قرية[٨].

النفش بفتح[٩] الفاء وسكونها، أن تَنْفِشَ الإبلُ فيه[١٠] بالليل فترعى[١١]، وهي إبل نُفَّاشٌ، يقال: نفشت الإبل ترددت ليلاً بلا[١٢] راع، وأهملت بالنهار، وأنفشها صاحبها، قال شريح: النفش لا يكون إلا ليلاً، وقال الزهري: الهَمَل بالنهار.

واللبوس: قيل: هو اسم السلاح[١٣] كله عند العرب، درعاً كان، أو جَوْشَنًا، أو سيفاً، أو رمحاً، قال الهذلي يصف رمحاً[١٤]:

ومعي لبوس للبئيس[١٥] كأنه ... رَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذي نِعَاجٍ مُجْفِلِ

(١) النصير: والنصر، ل.
(٢) منعته: منه منعته منه، ي.
(٣) فمن: من، ز، م، ي.
(٤) النبات: وإنبات، ز.
(٥) فهي: وهي، ي.
(٦) أي: +، ي.
(٧) فالأنثى: والأنثى، ز، ي.
(٨) قرية: قرة، م.
(٩) بفتح: ـ، ل، م.
(١٠) فيه: ـ، ي.
(١١) فترعى: فرعى، ز.
(١٢) بلا: بلى، ز.
(١٣) السلاح: للسلاح، ي.
(١٤) قال الهذلي يصف رمحاً: ـ، ي.
(١٥) للبئيس: اللبس، ز.

وقيل: هو كل ما يلبس من ثياب ودرع، وقيل: هو الدرع سمي لبوساً لأنه يلبس، كما يقال للبعير الذي يُرْكِبُ رَكُوب، وأصل اللباس من الاختلاط والاجتماع، ومنه سميت المرأة لباساً، والليل لباسا لمَّا ستر بظلمته الناس.

والإحصان: الإحراز، وأصله من المنع، ومنه يقال لكل ممنوع: محصن، ومحصنة، للمرأة[(١)] العفيفة[(٢)].

۞ الإعراب

«ونوحاً» قيل: نصب بمحذوف[(٣)] أي: اذكر نوحاً، وقيل: عطفاً على «فنجيناه».

وقوله: «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» جمع في موضع تثنية[(٤)]، كقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١].

و«الطير» قيل: نصب بـ«سخرنا»، وقيل: يجوز أن يكون موضعه خفضاً بتقدير: سخرنا الجبال مع الطير، ولما أسقطت (مع) انتصب.

۞ المعنى

ثم عطف[(٥)] قصةنوح وداود[(٦)] على قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولوط فقال «وَنُوحاً إِذْ نَادَى» أي دعا ربه فقال: «رَبِّ لاَ تَذَر»[(٧)] ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، وغير ذلك مما نطق به القرآن «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل إبراهيم ولوطاً «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ» أي: أجبناه[(٨)]في دعائه «فَنَجَّيْنَاه[(٩)] وَأَهْلَهُ» يعني مَنْ آمن به

---

(١) للمرأة: وللمرأة، ل؛ ولمرأة، ز، ي.
(٢) العفيفة: العفيفة محصنة، ز، ل، م، ي.
(٣) بمحذوف: لمحذوف، ي.
(٤) تثنية: ثلاثة، م، ل.
(٥) ثم عطف: بيّن، ل، م.
(٦) نوح وداود: داود ونوح، ي.
(٧) على قصة... رب لا تذر: +، ي، زيادة من تفسير مجمع البيان للطبرسي: (٧/ ٩٠).
(٨) أجبناه: أجبنا له، ي.
(٩) فنجيناه: ونجيناه، ز، ل، م.

«**مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**» أي[1]: من الغم العظيم، قيل: من العذاب والغرق الذي نزل بقومه، عن أبي مسلم، وقيل: ما كان تلقاه من الأذى طول تلك المدة، وتحمل[2] الاستخفاف من السقاط من أعظم الكرب «**وَنَصَرْنَاهُ**» أي: منعناه بالنصرة منهم حتى لم يصلوا إليه بسوء، وقيل: نصرناه على «**الْقَوْمِ**» أي: أَعَنَّاهُ، و(مِنْ) بمعنى (على)، عن أبي عبيدة. «**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**» وقد[3] مضت قصة نوح.

«**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ**» قيل: الحرث كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً، عن قتادة. وقيل: كان[4] كَرْماً قد نبت عناقيده، عن ابن مسعود، وشريح. واختلفوا في معنى: «**يحكمان**» وقيل: شرعا في الحكم من غير قطع، وقيل: طلبا الحكم ولم يحكما، وقيل: اجتهدا ليحكما[5] ولم ينفذا «**إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ**[6]» **أي: رعته ليلاً**[7] **فأفسدته** «**وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ**» **لا يغيب عنا منه شيء** «**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**» أي: فتحنا[8] له طريق الحكمة لما اجتهد في طلب الحق من غير[9] عتب على داود، وقيل: فهم سليمان قيمة ما أفسدت[10] الغنم «**وَكُلًّا**»من[11] داود وسليمان «**آتَيْنَا**» أعطينا «**حُكْمًا وَعِلْمًا**» النبوة، وقيل[12]: الحكمة، وقيل: إصابة الحق والعمل على[13] الدين والشرع.

---

(١) أي: ـ، ي.
(٢) وتحمل: ويحمل، ز؛ ويحتمل: م، ل.
(٣) وقد: وقيل، ل، م.
(٤) كان: +، ي.
(٥) وقيل... ليحكما: ـ، ز، ل، م.
(٦) غنم القوم: غنم الغنم. ل، م.
(٧) ليلاً: ـ، ل، م.
(٨) فتحنا: وفتحنا، ي.
(٩) غير: ـ، ز.
(١٠) ما أفسدت: ما أفسد، ي.
(١١) من: يعني، ز، ل، م.
(١٢) وقيل: قيل، ي.
(١٣) على: علم، ي.

ويقال: كيف كان قيمة[(١)] الحرث، وما[(٢)] الذي حكما[(٣)] به؟

قلنا: اختصم إليه صاحب الحرث وصاحب الغنم التي أفسدت الحرث، فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: عندي[(٤)] غير هذا بما[(٥)] بيّن الله تعالى، قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم، فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان دفع كل واحد ماله إلى صاحبه، عن ابن مسعود.

وقيل: قضى بما[(٦)] قال سليمان، قال الحسن: كان الحُكْم[(٧)] ما قضى به سليمان، فرجع إليه[(٨)] داود فيما حكم به «**وَسَخَّرْنَا**» يعني التسخير بالطاعة، وكان تصرفه كما شاء «**مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ**» فيه تقديم وتأخير تقديره: سخرنا[(٩)] الجبال والطير يسبحن[(١٠)] مع داود، وقيل: كان الجبال والطيور تسبح معه معجزة له بالغداة والعشي، وقيل: التسبيح التسيير بعرشه مع الجبال[(١١)] والطير متى شاء، والتسبيح السير في الأرض، ومنه: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾[(١٢)] [المزمل: ٧] قيل: جعل السير تسبيحاً لما فيها من الآية التي تدعو إلى تسبيح الله وتنزيهه، وكذلك تسخير[(١٣)] الطير [له]، تدعو إلى تسبيح مسخرها، [يدل على أن مسخرها قادر لا

---

(١) قيمة: ـ ، ز، م.
(٢) ما: وأما، ز، ل، م.
(٣) حكماً: حكمنا، ل، م.
(٤) عندي: عندي الغنم، ز.
(٥) غير هذا بما: غيره إنما، ل.
(٦) بما: كما، ز.
(٧) كان الحكم: ـ ، ل، م.
(٨) فرجع إليه: ولم يعنف الله، ي.
(٩) سخرنا: وسخرنا، ي.
(١٠) يسبحن: فسبحن، ل.
(١١) والطيور. . . الجبال: ـ ، ل، م.
(١٢) إن: وإن، ي.
(١٣) تسخير: سير، ز.

يجوز عليه مما يجوز على العباد] عن أبي علي. وقيل: يسبحن مع داود، عن وهب. وقيل: تصلي، عن قتادة. وهذان الوجهان يبعدان؛ لأن[1] تسبيح الجماد وصلاته تستحيل.

فإن قال: خلق[2] الله فيه التسبيح؟

قلنا: فالمسبح هو الله تعالى فلا يضاف إلى الجبال، وقيل: كانت الطيور تُسَبِّحُ معه، وهذا قريب بأن يقال: يفهمه الله وينطقه، وإن لم يكن مكلفاً بمنزلة الصبي المراهق ويكون معجزة له.

«**وَكُنَّا فَاعِلِينَ**» ذلك «**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ**» قيل: الدرع، قال قتادة: أول من[3] صنع الدرع داود، والله تعالى جعل الحديد في يده كالعجين كما قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقيل: إن داود سأل مَلَكًا ماذا يقول له أهل السماء، فقال: يقولون: نعم العبد لو أكل من كسب يده، فسأل الله تعالى أن يعلمه كسباً، فعلمه صنعة الدرع[4]» لتحرزكم وتمنعكم «**مِنْ بَأْسِكُمْ**» أي: من حربكم «**فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**» لهذه النعم.

الأحكام

تدل الآية على نعمة عظيمة على نوح حيث نَجَّا[5] من[6] قومه الذين[7] آمنوا به[8] معه، وأهلك من كفر به بالغرق.

وتدل على أن إجابة الدعاء والنصرة يجريان مجرى الثواب ولا يستحقهما إلا المؤمنون[9] لذلك خص به نوحاً.

---

(١) لأن: لا، ز.
(٢) خلق: يخلق، ي.
(٣) من: ما، ل.
(٤) الدرع: الدروع، ي.
(٥) نجا: نجاه، ل.
(٦) من: +، ل، م.
(٧) قومه الذين: والذين، ي.
(٨) به: ـ، ي.
(٩) المؤمنون: المؤمنين، ي.

وتدل على أن داود وسليمان اجتهدا، لذلك قال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، ولو كان العمل بالنص وأحدهما[١] منسوخ لما كانا حكماً وعلماً؛ بل كان الناسخ كذلك[٢]، فيدل[٣] على أن للنبي أن يجتهد؛ لأن الأحكام[٤] تتبع المصلحة، ولأن رأي النبي أفضل من رأي غيره، فإذا جاز أن يتعبد الغير بالاجتهاد فالنبي أولى، ولأنه إذا جاز أن يتعبد بالاجتهاد في الحروب جاز في الديانات.

ومتى قيل: إذا قدر على العلم فكيف يجوز[٥] أن يقتصر على غالب الظن والواجب على الحكيم أن يختار أعلى البيانين؟

قلنا: هذا ينتقض بغير نبي[٦]، وبعد فإذا علم أن المصلحة في ذلك جاز أن يقتصر عليه، وهذا كما جاز ورود الآي المتشابهة[٧] وإن قدر على جعلها محكماً للمصلحة، وبعد فإذا جاز أن يتعبدنا[٨] بأخبار الآحاد وبالظن في قيم المتلفات وأروش الجنايات، وبالعلم المكتسب كذلك هذا.

ومتى[٩] قيل: إذا كان حكم داود واجتهاده قبل حكم سليمان فكان يجب أن يكون هو النافذ؟

قلنا: داود اجتهد ولم ينفذ الحكم، وكان أوشك على أن يحكم، فلما رأى سليمان رأياً أراه وجه اجتهاده فرآه أولى فرجع إليه.

ومتى قيل: كيف يقولون: إنه كان اجتهاداً، والله تعالى يقول: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ وذلك يوجب النص؟

قلنا: فهمه طريقة الاجتهاد، فكان[١٠] ما اجتهد داود صواباً؛لكن كان ما اجتهد

---

(١) وأحدهما: فأحدهما، ز، ل، م.
(٢) كذلك: لذلك، ز، ي.
(٣) فيدل: فيدل فيدل، ل.
(٤) لأن الأحكام: الاجتهاد، ز، ي.
(٥) يجوز: يجز، ز.
(٦) نبي: النبي، ي.
(٧) المتشابهة: المتشابه، ي.
(٨) يتعبدنا: يتعدنا، ز، ل.
(٩) ومتى: متى، ز.
(١٠) فكان: فكأنه، ز.

سليمان أقرب وأرفق فمال إليه، وكان أشبه بالأصول، فيدل من هذا الوجه على أن في الاجتهاديات أَشْبَهَ، على ما يقوله محمد بن الحسن وأبو علي.

وتدل أن كل مجتهد مصيب لذلك قال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [١]، فلما قال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ دل على أن كل واحد مصيب[٢]، وخص سليمان لأنه أشبه.

ويقال: ما الذي[٣] قضى به؟ وما[٤] وجه قضاء كل واحد منهما؟

قلنا: قضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فرأى أن[٥] قيمة الغنم إزاء[٦] قيمة الحرث الذي أفسدته[٧]، فحكم بالغنم له، ورأى سليمان أن الحرث فسدت منافعه فقابلها بالمنافع، وحكم له بمنافع الغنم في مدة ما[٨] يصلح الكرم، وذكر أبو مسلم أنه باع الغنم بالكرم، وليس بالوجه، واختلفوا، فقيل: كان حكمهما بالنص فأوحى[٩] الله إلى سليمان فنسخ حُكْمُهُ حُكْمَ داود، وليس للنبي أن يجتهد، ولو صح أن يجتهد لما صح في هذا الموضع، لأنه خلاف القياس، وهذا قول أبي علي.

وقيل: بل حَكَمَا بالاجتهاد على ما بينا، ويجوز ذلك، وهو قول أبي هاشم، وأبي بكر أحمد بن علي، والقاضي.

وقيل: اجتهدا فأخطأ داود وخَطَؤُهُ مغفور له[١٠]، وقد بينا[١١] أن هذا لا يصح، وإنما أصابا الحق وإن كان أحدهما أشبه، ولا يقال: إنهما حكما بالنص؛ لما بينا أن المنسوخ لا يكون حكماً وعلماً.

---

(١) وكلاً: كلا، ي.
(٢) لذلك... مصيب: ـ، ز.
(٣) ما الذي: فالذي، ز، م.
(٤) وما: ما، ز، م.
(٥) أن: بأن، ي.
(٦) إزاء: آثاراً، ز؛ بإزاء، ل، م.
(٧) أفسدته: أفسد، ل.
(٨) ما: ـ، ي.
(٩) فأوحى: وأوحى، ز، ل، م.
(١٠) له: +، ي.
(١١) وقد بينا: وقدمنا، ز، م.

ويدل ظاهر الآية أن حكم سليمان هو المأخوذ به، وليس فيه كيفية الحكم، والذي روي فيه ما بينا.

ومتى قيل: حكم شريعتنا في هذه القصة كما قضى به أم بخلافه؟

قلنا: جميع ذلك منسوخ عدا[١] أصحاب أبي حنيفة؛ لأن ما أفسدت الماشية لا يضمن صاحبها سواء كان[٢] ذلك[٣] ليلاً أو نهاراً، والحكم بأصل الغنم ومنافعه منسوخ بالاتفاق، لأن من[٤] يرى ضمانه يرى بالمثل أو بالقيمة[٥]، وقال بعضهم: وجوب الضمان غير منسوخ، ولكن جعل بدلاً منسوخ[٦]، والذي شرع النبي ﷺ[٧] أنه يلزمه قيمة المتلف أو مثله، وهو قول الشافعي، وعنده ما أفسدت بالنهار فلا ضمان، وما أفسدت ليلاً ففيه الضمان؛ لأن على صاحب الماشية حفظها ليلاً، وقال بعضهم: ما[٨] حكم به سليمان ثابت في شريعتنا، وهو مروي عن الحسن، ولعل عنده أن[٩] شريعة من قبلنا تلزمنا إلا ما عرف نسخه.

وتدل على معجزة لداود وهو تسخير الجبال والطير.

وتدل على جواز الكسب؛ لأنه أنعم عليه بأن عَلَّمَهُ عمل الدروع، وفي الآية استدعاء إلى الشكر بألطف الوجوه[١٠].

وتدل على أن العلم بالصناعات نعمة من الله تعالى[١١]؛ لأنها ـ أَجْمَعَ ـ ضرورية، ولأن[١٢] بها يتم أمر الدين والدنيا.

---

(١) عدا: هذا عند، ل.
(٢) سواء كان: +، ي.
(٣) ذلك: ـ ، ي.
(٤) من: ما، ز.
(٥) أو بالقيمة: وبالقيمة، ي.
(٦) ولكن جعل بدلاً منسوخ: +، ي.
(٧) ﷺ: عليه السلام، ي.
(٨) ما: إن، ز.
(٩) أن: +، ز، ي.
(١٠) الوجوه: لوجوه، ي.
(١١) تعالى، +، ي.
(١٢) لأن: ـ ، ي.

وتدل على أنه أول من عمل الدروع؛ لذلك قال: «**علمناه**»، وقيل: حَكَمَ سليمان بذلك وهو ابن إحدى عشرة سنة.

قوله تعالى:
﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

اللغة

الريح: هو الجو، إذا سكن سمي هواء، وإذا تحرك سمي ريحاً، وإذا دخل في مخارق الإنسان سمي روحاً، والريح يشتد تارة ويضعف[1] أخرى، فالأول: يسمى[2] عاصفاً وقاصفاً، والثاني: يسمى رُخَاء، والعصوف: شدة حركة الريح، عَصَفَهُ عصفاً وعُصُوفًا[3]، إذا اشتدت، وسمي التِّبْنُ[4] عصفاً؛ لأن الريح تعصفه بتطييرها له.

والغوص[5]: الدخول تحت الماء، والهاجم على الشيء غائص[6].

والكِفْلُ: النصيب، ومنه: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، والكفيل: الضمين، ومنه: ذو الكِفْل؛ لأنه تكفل بأمر نبي، فقام[7] بما يجب في أمته، وأصل

(١) ويضعف: ويعصف، ل.
(٢) يسمى: سمي، ل.
(٣) والثاني... وعصوفاً: ـ، ل، م.
(٤) التبن: النبت، ل.
(٥) الغوص: والفرض، ل.
(٦) غائص: غوامص، ل.
(٧) فقام: وقام، ل.

الباب: هو الكِفْل[1]، وهو كساء يدار حول سنام البعير لئلا يسقط، فسمي الكفيل لأنه يحفظ من قام بأمره.

۞ القراءة

قراءة العامة: (وأيوب) بالنصب عطفاً على (داود وسليمان)، وجميع ذلك معطوف على قوله: «ونجيناه»، وقيل: تقديره: اذكر أيوب، وعن بعضهم بالرفع على الاستئناف.

۞ الإعراب[2]

الجالب اللام في قوله: «ولسليمان» أي: وسخرنا لسليمان.

«الريح» نصب؛ لأنه مفعول التسخير، والريح تُذَكَّر وتؤنث ولذلك قال مَرَةً: «رخاء» ومرة: «عَاصِفَةً»[3].

و(مِنْ) في قوله: «وَمِنَ الشَّيَاطِينِ» للتبعيض أي: بعض الشياطين.

ونصب (إسماعيل) و(إدريس) قيل: عطفاً على ما تقدم، وقيل: اذكر إسماعيل.

۞ المعنى

ثم عطف بقصة سليمان عليه السلام على ما تقدم من القصص، فقال سبحانه: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً» أي[4]: شديدة الهبوب[5].

ومتى قيل: كيف جمع[6] بين قوله: «عاصفة» و«رخاء» في موضع آخر؟

---

(١) هو الكفل: والكفل، ل، م؛ بالكفل، ز.

(٢) الإعراب: اللغة، ي.

(٣) عاصفة: عاصف، ز، ل، م.

(٤) أي: ـ ، ي.

(٥) الهبوب: الصوت، ل، م، ي.

(٦) جمع: الجمع، ز، ي.

قلنا: أراد أنه سخر[١] له الريح، فكان[٢] يجري كيف يشاء[٣]، إن شاء سهلاً وإن شاء شديداً؛ كالراكب فرساً في يده لجامه يصرفه كيف شاء، مرة سيراً ومرة ركضاً.

«**تَجْرِي بِأَمْرِهِ**» بأمر[٤] سليمان «**إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**» قيل: أرض الشام بورك فيها بالخصب، وقيل: لأنها مكان الأنبياء، قيل: كان الريح تجري به في الغداة مسيرة شهر[٥]، وفي الرواح[٦] كذلك، وكان يسكن ببعلبك، ويبنى له بيت المقدس، فيحتاج إلى الخروج إليها وإلى غيرها، وعن وهب: كان سليمان يخرج إلى مجلسه، فتعكف له[٧] الطير، ويقوم له الإنس والجن حتى يجلس على سريره، ويجتمع معه جنوده وما يحتاج إليه من الآلات ثم تحمله[٨] الريح إلى حيث أراد «**وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ**» فنفعل[٩] ما فعلنا لما نعلم من المصلحة وإصلاح سليمان لذلك «**وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ**» أي: سخرنا من الشياطين من غاص له يدخلون تحت الماء في البحار فيخرجون الجواهر واللآلئ «**وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ**» كالأبنية ونحوها وكالحمل.

ومتى قيل: كيف عملت[١٠] الجن تلك الأعمال العظيمة مع ضعف أجسامها؟

قلنا: إنه تعالى كثف أجسامها[١١] وكثر قواهم[١٢] حتى فعلوا ما فعلوا معجزة لسليمان؟

ومتى قيل: كيف يخرجهم بالأمر والقهر؟

(١) أراد أنه سخر: أراد به سخرنا، ي.
(٢) فكان: فكيف، ل.
(٣) يشاء: شاء، ل.
(٤) بأمر: بأمر بأمر، ل.
(٥) شهر: ـ، ز، ل، م.
(٦) الرواح: المراح، ي.
(٧) فتعكف له: فيعكف عليه، ز.
(٨) تحمله: يحتمله، ي.
(٩) فنفعل: فنعل، ي.
(١٠) عملت: عمل في، ي.
(١١) أجسامها: أجسامهم، ز، ي.
(١٢) قواهم: قوامهم، ز.

قلنا: يحتمل أن فيهم مؤمنين أطاعوا[١] بالأمر، وفيهم كفار قهرهم بجنوده من الملائكة وغيرهم.

«**وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**» قيل: كنا حافظين[٢] للجن[٣] لئلا يخرجوا عن أمره، عن أبي مسلم. وقيل: يحفظهم بالملائكة منعاً من الإفساد، وقيل: شغلهم سليمان بالأعمال الشاقة لئلايفسدوا، فكان ذلك حفظاً منه تعالى حيث كان أمره[٤]، وقيل: حفظناهم من أن يوسوسوا[٥] أحداً، وعلى هذه الوجوه الكناية في قوله: «**وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**» ترجع إلى الشياطين، ويحتمل أن ترجع إلى الأنبياء الذين تقدم ذكرهم، أي: لما[٦] أنعمنا عليهم بالنعم حفظناهم عن أعدائهم فلم يصلوا إليهم بسوء، ويحتمل أن ترجع إلى داود وسليمان، «**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ**» أي: دعا ربه لما اشتدت به[٧] المحنة[٨] وانقرضت أولاده، ونفدت أمواله، ووسوس إليه الشيطان بما ضيق صدره، فدعا ربه وقال: «**أَنِّي مَسَّنِي**» وهو مرض أصابه واتصل به وساوس الشيطان فضاق صدره، فالتجأ إلى الله تعالى في كشف ضره، وما روي[٩] أن ذلك المرض فعل الشيطان باطل؛ لأن الشيطان لا يقدر على ذلك، ولأن الله تعالى يعصم[١٠] رسله[١١] عن ذلك، وإنما آذاه بالوسوسة، وما روي أنه سلط عليه الشيطان حتى فعل ما فعل من إماتة أولاده وما أصابه في جسده فباطل[١٢]؛ لأنه تعالى لا يسلط أعداءه على أوليائه، وقيل: إنما قال أيوب: «**مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**» من لطيف الكنايات في

(١) اطاعوا: أطاعوه، ي.
(٢) قيل كنا حافظين: ـ، ي.
(٣) للجن: +، ز.
(٤) كان أمره: بأمره، ز، ي.
(٥) يوسوسوا: يوسوسون، ز.
(٦) لما: ما، ي.
(٧) به: ـ، ز.
(٨) المحنة: المحنة به، ي.
(٩) وما روي: وما روي وما روي، ز.
(١٠) يعصم: يعظم، ل.
(١١) رسله: رسوله، ي.
(١٢) فباطل: باطل، ي.

طلب الحاجة، ومثله قول موسى: ﴿رَبِّ﴾[1] [القصص: ٢٤]، وما روي أن أيوب طرح في كناسة سبع سنين وأنه أكله الدود، وكان[2] متى سقط منه دُودة حملها ووضعها في موضعها من جسده، من أباطيل الروايات لما فيه من التنفير، وليس على وجه الأرض أكرم على الله تعالى منه.

ومتى قيل: هل يصح ما روي أنه لم يَشْكُ مدة ثم[3] شكا؟

قلنا: الشكاية إلى الله تعالى وسؤاله[4] إِزالةَ المضرة حَسَنٌ، وتركه إذا علم أنه من مصالحه، فكلا[5] الوجهين جائز.

وقيل: إن هذا دعاء وليس بشكاية، ولذلك[6] قال: «**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**» وفي هذه الحالة لم يسأل قطعاً، وإنما كشف عن حاله متوكلاً[7] على لطيف تدبيره، ومظهراً للرضى به.

ومتى قيل: ما الفائدة في تعبده بالصبر؟

قلنا: مصلحة له ولما عليه من الثواب، وليُقتدَى به، ولذلك قال: «**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**»، واختلفوا، فقيل قال[8]: «مسني» بعد أن كان صابراً.

وفي أي وقت ولأي سبب قال؟

قلنا: لبث في المحنة مدة حتى ضجر، وقيل: إن بعض من كان[9] يتبعه قال: لقد أذنب عظيماً حيث فعل الله به هذا، فضاق به صدره، فدعا الله[10]، عن ابن عباس.

وقيل: إن إبليس وسوس إلى امرأته بما ذهب من مالها وولدها، فبكت وفارقت

---

(١) رب: ـ، ي.
(٢) كان: +، ي.
(٣) ثم: ـ، ي.
(٤) سؤاله: ومسألة.
(٥) فكلا: وكلا، ل.
(٦) ولذلك: فلذلك، ل.
(٧) متوكلاً: توكلاً، ز، ل، م.
(٨) قال: فقال، ز، ل، م، ي.
(٩) كان: ـ، ي.
(١٠) فدعا الله: ودعا إليه، ي.

أيوب، ولم يكن عنده من يتعهده[1]، فعند ذلك دعا الله، عن الحسن. ثم رجعت إليه بعد تغير الحال.

وقيل: قال إبليس لامرأته[2]: اسجدي لي سجدة أَرُدَّ المال والولد، فذكرت لأيوب فقال: مسني الضر، من[3] حيث طمع إبليس في أن يسجد له أهلي.

وقيل: وقعت في نفسه إِكْلَة وشغله المرض عن إصلاحه، فلما بلغ قلبه ولسانه خشي أن يتعذر عليه الذكر فقال: «**مَسَّنِيَ الضُّرُّ**» من شماتة الأعداء «**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**» قيل: يرحم من لا يرحم نفسه، وقيل: أرحم[4] من أن تهلكني في هذا البلاء، وقيل: مع أن هذه صفتك لا أدري لأي شيء لا أُستجاب، وقيل: لبث في المحنة ثماني[5] عشرة سنة، عن وهب. وقيل: ثمانون سنة، عن الحسن. وقيل: أربعون سنة، وقيل: سبع سنين، عن كعب، وقيل: ثلاث سنين، عن وهب. «**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**» أي: أجبناه في دعائه «**فَكَشَفْنَا**[6] **مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ**» أي: من[7] مرض «**وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ**» قيل: رد عليه جميع ماله[8] وأهله الذين أهلكوا، وأعطاه مثلهم معهم، عن ابن عباس، وابن مسعود، والحسن، وقتادة، وكعب. وقيل: خير أيوب عليه السلام فاختار إحياء أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا، فأوتي على ما اختار، عن عكرمة، ومجاهد. وقيل: كان له سبع بنات وثلاثة بنين، عن وهب. وقيل: سبعة بنين وسبع بنات، عن ابن يسار. «**رَحْمَةً**» منا أي: نعمة «**مِنْ عِنْدِنَا**[9]» أي: عظة «**لِلْعَابِدِينَ**» أي: لكل مؤمن في الصبر والانقطاع إلى الله تعالى، والتوكل عليه؛ لأن كل مَنْ تذكر

---

(١) يتعهده: يتعاهده، ي.
(٢) لامرأته: لها، ي.
(٣) من: +، ز.
(٤) أرحم: أرجى، ل.
(٥) ثماني: ثمان، ز، ل، م.
(٦) فكشفنا: وكشفنا، ز، ل، م.
(٧) من: ، ي.
(٨) ماله: ما هله، ز.
(٩) من عندنا: ـ ، ز؛ عليه، ي.

أمر أيوب سهل عليه الصبر وهانت عليه المحن، وقيل: ليعلموا أن البلاء في الدنيا لا يدوم، وقيل: لئلا[١] يعجبوا بعبادتهم إذا علموا حال أيوب، وقيل: ليقتدي به أهل البلاء ويعلموا أن عاقبة[٢] الصبر محمودة «**وَإِسْمَاعِيلَ**» هو أكبر ولد إبراهيم، وأمه هاجر، وقيل: هو الذبيح، وهو الصحيح، وقيل: الذبيح إسحاق، والأول اختيار القاضي. «**وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ**» قيل: كان رجلاً صالحاً تكفل لنبي صوم النهار وقيام الليل وألاّ يغضب، ويعمل بالحق[٣]، فوفى بذلك ولم يكن نبياً، عن أبي موسى الأشعري، وقتادة، ومجاهد، وقال مجاهد: اسمه اليسع، وقيل: بل كان نبياً[٤] كفل[٥] بأمر فوفى به، وقيل: كان نبياً، ويسمى ذا الكفل يعني ذا الضِّعْف وله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه، عن أبي علي. وقيل: هو[٦] نبي اسمه ذو[٧] الكفل، عن الحسن، قال: ولم يَقُصَّ الله خبره مفصلاً، وقيل: هو زكريا تكفل بمريم[٨]، وقيل: هو إلياس، وقيل: كان رسولاً إلى كنعان فضمن له الجنة إن آمن وكتب له بذلك كتاباً، فآمن فسمي ذا الكفل، وكان عبداً صالحاً، وقيل: كان رجلاً فاسقاً تمكن من الزنا بامرأة فارتعدت فقال: ما بالك؟ قالت: هذا مقام لم أقمه[٩] قط، وكان دفع إليها مائة دينار، فوهب ذلك منها وتكفل بأمرها، فمات من ليلته[١٠]، فوجد مكتوب على بابه: قد غفر الله للكفل، فسمي ذا الكفل[١١]، وروي[١٢] ذلك[١٣] مرفوعاً، وقيل: تكفل بنفس نبي أرادوا قتله وخلصه من ذلك، وقيل: تكفل بأمر نبي وصبر

---

(١) لئلا: لا، ز.
(٢) عاقبة: عادة، ي.
(٣) بالحق: الحق، ل، م.
(٤) نبياً: +، ي.
(٥) كفل: ـ ، ز.
(٦) هو: إنه، ز.
(٧) ذو: ذا، ز، ل، م.
(٨) بمريم: لمريم، ز.
(٩) أقمه: يقمه، ي.
(١٠) ليلته: ليله، ي.
(١١) فسمي ذا الكفل: ـ ، ي.
(١٢) وروي: روي، ي.
(١٣) ذلك: +، ي.

على عبادة ربه، وأعان على تبليغ الرسالة واحتمال الأذى فيه «وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا» أي: نعمتنا عليهم بالنبوة والحكمة، وقيل: الجنة والثواب، عن أبي علي. وفيه[1]: إشارة إلى[2] أنه غمرهم بالرحمة خلاف ما لو قال: رحمناهم «إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ» أي: الفاعلين للصلاح في أمر دينهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على معجزة لسليمان في تسخير الشياطين، وما أعطاهم من القوة.

وتدل قصة أيوب على حسن الصبر، وأن الإنسان متعبد به، وما ترويه الحشوية منه ومن قصة إبليس، وأن الله سلطه عليه، وأنه نفخ في يديه فصارت قرحة إلى غير ذلك، ليس في ظاهر القرآن.

وتدل على أن اسم الصلاح اسم مدح لا يقع إلا على ممدوح.

وتدل على أن[3] الصلاح فِعْلُ العبد لذلك تمدح[4] به.

قوله تعالى:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٨٩) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠)﴾

---

(١) وفيه: وقيل، ز، ل، م.

(٢) إلى: +، ي.

(٣) اسم... أن: +، ي.

(٤) تمدح: مدح، ز، ل، م.

۞ القراءة

قرأ يعقوب: «فظن أن لن[١] يُقدَر عليه» بضم الياء وفتح الدال مخففة على المجهول، وقرأ عمر بن عبد العزيز بضم النون وتشديد الدال[٢] مكسورة من التقدير، وقرأ عبيد ابن عمير وقتادة: «يُقَدَّر» بالياء وضمها وتشديد الدال على المجهول، والقراء السبعة: «نَقدِر» بالنون وفتحها وكسر الدال مخففة[٣].

وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: «نُجِّي» بنون واحدة والجيم مشددة والياء ساكنة، والباقون «نُنْجِي» بنونين الثانية ساكنة من الإنجاء على معنى: نحن[٤] ننجي، واختلف النحاة في وجه قراءة[٥] ابن عامر وأبي بكر، فمنهم من قال: إنه لا يصح، ولا وجه له، عن الزجاج، وقال علي بن عيسى: لا وجه لهذه القراءة، ولا[٦] لما روي عن ابن عمرو أن النون مدغمة؛ لأن النون لا تدغم في الجيم لبُعْدِ مخرجها[٧]، وذكر أبو حاتم أنه لحن لا يجوز القراءة به ونسب قارئه إلى الجهل، وقال الفراء: هو لحن[٨]، ومنهم من قال بتصويبه وهو القتيبي وأبو عبيدة وغيرهما، قالوا[٩]: فيه إضمار معناه نجا النجا المؤمنين[١٠]، كما يقال: ضرب الضرب زيداً، قال القتيبي: من قرأها أراد نُنَجِّي من التنجية إلا أنه أدغم وحذف نوناً على طلب الخفة، والنحويون يبعدون ذلك، قالوا: إنما[١١] اتبعوا المصحف؛ لأنه كتب بنون واحدة.

---

(١) أن لن: +، ز، ي.
(٢) الدال: النون، ز.
(٣) وقرأ... مخففة: ـ، ل.
(٤) نحن: نجي، ز، ل، م.
(٥) قراءة: +، ي.
(٦) لا: +، ي.
(٧) مخرجها: مخرجهما، ي.
(٨) لحن: نجي، ز، ل، م.
(٩) قالوا: وقالوا، ي.
(١٠) المؤمنين: المؤمن، ز، م.
(١١) إنما: وإنما، ي.

قلنا: كتب كراهية التضعيف في الخط، وقيل: أراد ننجي فحذفت إحدى النونين، وقيل: لأن النون الثانية لما سكنت وكان[1] الساكن غير ظاهر على اللسان حذفت كما فعلوا بنون [إنْ] إذا كانت مدغمة في اللام[2].

وقرأ الأعمش: «رُغْبًا ورُهبًا» بضم الراءين وسكون الغين والهاء، والقراء على فتح الراءين والغين والهاء، وهما لغتان نحو: سَقَمٍ وسُقْمٍ، وعَدَمٍ وعُدْمٍ، وبَخَلٍ وبُخْلٍ.

اللغة

النون: الحوت، ويسمى ذا النون؛ لأنه لبث في بطن الحوت أياماً حياً ثم خرج.

والمغاضبة: مفاعلة من الغضب، والمفاعلة أكثر ما تكون بين اثنين كالمناظرة والمخاطبة والمقابلة[3]، وقد تجيء وتكون من واحد كقولهم: سافرت، وعاقبت، وشارفت الأمر، وهي هاهنا من هذا الباب، قال ابن القتيبي: يقال: غاضَبَ يغاضب فهو مُغَاضِبٌ.

القدَر والقدْر بفتح الدال وسكونها: ما يقدره الله تعالى، وهو أيضاً مبلغ الشيء، ونقدر قيل[4]: هو من التقدير، يقال: قَدَرَ وقَدَّرَ بمعنى، تقول العرب: قَدَّرَ الله الشيء[5] يُقَدِّرُهُ تقديراً، وقَدَرَهُ يَقْدُرُهُ قدراً، ومنه: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾[6] [الواقعة: ٦٠] على قراءة من خفف، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣] فليس من القدرة في شيء، وقيل: هو التضييق، ومنه: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧].

---

(١) وكان: +، إلاّ تفعل، ي.
(٢) اللام: فكان، ز، ل، م.
(٣) المقابلة: المقاتلةو ز.
(٤) قيل: قل، ز.
(٥) ونقدر... الشيء: +، ز، ي.
(٦) نحن: ونحن، ز.

۞ الإعراب[١]

«مغاضباً» نصب على الحال أي ذهب[٢] في حال المغاضبة.

۞ المعنى

ثم ذكر قصة يونس وزكريا، فقال سبحانه: «**وَذَا النُّونِ**» وهو يونس ابن مَتَّى عليه السلام «**إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا**» قيل: مغاضباً لقومه، عن ابن عباس، والضحاك. يعني غضب على قومه حين عصوه ولم يؤمنوا به، وقيل: إن مَلِكًا لهم أراد منه[٣] أن يخرج إلى غزو[٤] فأبى، وخرج مغاضباً للملك ولقومه، وقد قال بعض الجهال والمبتدعة في الآية وجهاً لا يجوز على نبي الله عليه السلام ذلك، وذكروا أن يونس وَعَدَهُمْ بالعذاب، فلما لم يبعث العذاب في ذلك الوقت غضب على ربه، وخرج[٥] وقال: والله لا أرجع إليهم كذاباً[٦]، ورووا رواية[٧] أخرى قالوا: كان عادة قومه قتل[٨] من كذب، فلما وعدهم فلم[٩] يأت العذاب غضب[١٠] على ربه فخرج[١١]، وقال: كيف[١٢] أرجع إليهم وقد أخلفتهم[١٣] الوعد، فكلاهما[١٤] باطل لا يجوز على الله تعالى ولا[١٥] **على رسوله؛ لأن الغضب على الله** تعالى[١٦] كُفْرٌ، ولأن النبي لا يُوعِدُ بالعذاب إلا بوحي، فإذا

(١) الإعراب: +، ي.
(٢) نصب على الحال أي ذهب: +، ي.
(٣) منه: ـ، ي.
(٤) غزو: غيرو، ز.
(٥) وخرج: ـ، ي.
(٦) كذاباً: كذباً، ز، م.
(٧) رواية: اية، ز، م.
(٨) قتل: قيل، ز.
(٩) فلم: ولم، ز، ي.
(١٠) غضب: فغضب، ز.
(١١) وقال... فخرج: ـ، ل.
(١٢) كيف: ـ، ي.
(١٣) اخلفتهم: أخلفهم، ي.
(١٤) فكلاهما: وكلاهما، ز، ل، ي.
(١٥) لا: ـ، ي.
(١٦) تعالى: ـ، ي.

أوحى إليه لا يخالف، ولا تجوز المخالفة على الله تعالى[١]، ولأنه إذا علم أنهم يؤمنون[٢] وأنه يعفو عنه لا يجوز أن يغضب؛ لأنه اعتراض عليه في حكمه، وقيل: خرج مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له، وظن أنه لا يُعَدُّ ذنباً فكانت[٣] صغيرة مغفورة[٤] من جهة تأويله[٥] أنه يجوز ذلك، ولأن عادة الأنبياء الخروج من بين أظهر القوم عند نزول العذاب «فَظَنَّ» يونس «أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» قيل: أن نضيق عليه، عن عطاء، وجماعة من المفسرين. وقيل: ظن أن لن نقضي[٦] عليه بالعقوبة، عن مجاهد، وقتادة، والضحاك، والكلبي، وأبي علي، والقدر[٧] بمعني القضاء، وقيل: هو استفهام بمعنى التوبيخ معناه: أفظن[٨] أن لن نقدر عليه، عن ابن زيد. وقيل: إنه عبارة عن فعله لا أن[٩] هناك ظناً كرجل يأمر عبده فرد عليه، فيقول: ظني أني لا[١٠] أتمكن منه، وليس هناك ظنٌّ[١١] على الحقيقة؛ ولكن فَعَلَ فِعْلَ مَنْ يظن ذلك، وقيل: ظن أن لن يقضي عليه بالرجوع إلى قومه، والقدر بمعنى القضاء، وقيل: ألاّ نشدد عليه، ولا نضيق في التكليف، فكان[١٢] ذلك التشديد ما كلفه[١٣] في بطن الحوت من الصبر وإقامة العبادات.

وأما[١٤] من قال: ظن أن لن[١٥] نقدر على أخذه بمعنى نعجز عنه، فلا يجوز؛ لأن من جوز العجز على الله تعالى كَفَرَ، ولا يجوز ذلك على أنبياء الله تعالى.

---

(١) و.... تعالى: ـ، ل.
(٢) يؤمنون: مؤمنون، ي.
(٣) فكانت: وكانت، ز.
(٤) مغفورة: مغفور، ز، ل، م.
(٥) تأويله: تأوله، ل.
(٦) نقضي: نعصي، ز.
(٧) والقدر: والقد، م.
(٨) أفظن: أيظن، ز.
(٩) أن: لأن، ي.
(١٠) لا: ـ، ل.
(١١) ظن: ظناً، ز، ل، م.
(١٢) فكان: وكان، ز.
(١٣) ما كلفه: مأكوله، ز.
(١٤) وأما: فأما، ز.
(١٥) لن: أن لا، ز.

«**فَنَادَى**» دعا[1]«**فِي الظُّلُمَاتِ**» قيل: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: حوت في بطن حوت آخر، عن سالم[2] بن أبي الجعد. وروي أنه لما[3] اقترع أهل السفينة وخرجت القرعة عليه ثلاث مرات، قام[4] وقال: أنا العبد الآبق، وألقى بنفسه[5] في الماء، وابتلعه[6] حوت، ثم جاء حوت أكبر فابتلع ذلك الحوت.

ثم[7] اختلفوا كم مكث في بطنه[8]، فقيل: أربعين من بين يوم وليلة، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاثة أيام، وأمسك الله نفسه، ولبثه في بطن الحوت حياً معجزة له وليس بعقوبة؛ لأن العقوبة[9] توجب العداوة، ولا يجوز أن يعاقب الأنبياء، ولكن يجوز أن يُؤَدَّبَ ويعمل به ما هو الأصلح له، وروي أنه تعالى أوحى إلى الحوت يعني أَلْهَمَهُ: خذه[10]، ولا تخدش له لحماً، ولا تكسر له عظماً. «**أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ**» لما أراد السؤال والدعاء قدم ذكر التوحيد والعدل، يعني لا إله غيرك سبحانك أنت منزه عن كل قبيح في القول والفعل، لا تفعل إلا ما هو المصلحة، ثم أكد القول فقال: «**إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**» لنفسي، قيل: بخروجي من غير إذنك، وقيل: معناه سبحانك أن تظلمني، إنما أنا ظلمت نفسي، ومعنى ظالم لنفسه قيل: بنقصان ثوابه في مقابلة صغيرته[11]، عن أبي هاشم. وقيل: لأنه يلزمه التوبة عند تذكره ما دام التكليف باقياً «**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**» أي: أجبنا دعاءه «**وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ**» قيل:

---

(١) دعا: ـ، ي.
(٢) ن سالم: عن ابنسالم، ل.
(٣) لما: +، ي.
(٤) قام: فقام، ز، ل، م.
(٥) بنفسه: نفسه، ز، ل، م.
(٦) ابتلعه: فابتلعه، ي.
(٧) ثم: و، ي.
(٨) بطنه: بطن أمه، ل، م.
(٩) لأن العقوبة: ـ، ي.
(١٠) خذه: أخذه، ز، ل، م.
(١١) صغيرته: صغيرة، ز، ل.

من غم البحر، وقيل: بما فعله من خروجه، وقيل: قذفه الحوت إلى الساحل، ثم أرسله[١] الله إلى قومه، وقيل: كانت رسالته بعد قصة الحوت، وقيل: كانت قبل وبعد، وهو الظاهر «وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» من الكرب إذا دعونا واستعانوا بنا «وَزَكَرِيَّا» أي: واذكر[٢] زكريا «إِذْ نَادَى رَبَّهُ» أي: دعا ربه فقال: «رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا» أي: وحيداً لا ولد لي ولا عقب وارزقني وارثاً، قيل: سأل الولد ليقوم مقامه في العلم والدين، وقيل: ليدعو له بعد موته كما روي: «ولد صالح يدعو الله له»، ثم فوض الأمر إليه، فقال: «وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ» قيل: لأنك إذا ورثت[٣] لا يزول ملكك، وغيرك يزول ملكه ويورث عنه، وقيل: أنت خير مَنْ يرث فتكون خليفة[٤] في الأهل، وقيل: لأنه يرث الخلق أجمعين «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى» ولداً «وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ» قيل[٥]: كانت عاقراً فجعلها ولوداً[٦]، عن قتادة. وقيل: كانت سيئة الخلق فجعلها حسنة الخلق، وقيل: كانت هرمة فرد شبابها فولدت، عن أبي مسلم.

ثم بين تعالى ما أجاب دعاءهم لأجله فقال[٧] سبحانه: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» أي: الطاعات «وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا» أي: طمعاً وخوفاً رغبة في ثوابه وخشية من عقابه «وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» أي: خاضعين.

۞ الأحكام

تدل الآيات أن من أراد دعاء أو مسألة[٨] أن يقدم ذكر التوحيد والعدل كما فعله يونس، فكأنه يقول: أنت المدعو وحدك القادر على الإجابة، الحكيم فيما تفعل، وما

---

(١) ثم أرسله: فأرسله، م، ي.
(٢) واذكر: اذكر، ي.
(٣) ورثت: ورث، ز.
(٤) خليفة: خليفته، ز.
(٥) قيل: وقيل، ز.
(٦) ولوداً: ولداً، ز.
(٧) فقال: وقال.، ي.
(٨) مسألة: يسأله، ي.

هو الأصلح، وأنا الظالم لنفسي، رحمتك أرجو، وإياك أدعو، وعند[١] ذلك يجيب الله دعاءه.

وتدل على أن إجابة الدعاء تختص المؤمن، وأنه يجري مجرى الثواب على ما يقوله أبو علي، خلاف قول الإخشيدية أنه يجوز إجابة دعاء الكفار استصلاحاً، ولأنه يوجب تعظيمه حيث فعل ذلك بسؤاله، وفيه تنبيه[٢] أن الطاعة لطف في إجابة الدعاء.

وتدل على جواز[٣] الصغائر على الأنبياء، وإنما يجوز ذلك بشرط ألّا يكون قدحاً في الأداء ولا يكون مُنَفِّرًا.

وتدل على أن طريقهم[٤] التشدد في التوبة وتجديدها حالاً[٥] بعد حال، وذلك يدل على عظيم منزلتهم.

وتدل على أن عادة الله في المؤمن إجابة دعائه، ولذلك قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتدل على أن بطن الحوت لم يكن عقوبة، ولكن كان امتحاناً؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن[٦] يعاقبوا كما لا يجوز أن يلعبوا[٧].

وتدل قصة زكريا على أن سؤال الولد الصالح جائز.

وتدل على أن المسارعة يرغب فيها، ومن هذا الوجه استدل بعضهم بالآية أن الصلاة في أول الوقت أفضل.

وتدل على أن العبادة يحسن فعلها[٨] رغبة ورهبة.

وتدل على أن الدعاء فِعْلُ العبد ليس بخلق الله تعالى.

---

(١) وعند: وعندك، ي.
(٢) وفيه تنبيه: وقد ينبه، ز.
(٣) جواز: ـ، ز.
(٤) طريقهم: طريقتهم، ي.
(٥) حالاً: ـ، ي.
(٦) أن: ـ، ز، ل، م.
(٧) كما لا يجوز أن يلعبوا: +، ي.
(٨) فعلها: +، ي.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم[(١)] «وحِرْمٌ» بكسر الحاء من غير ألف، والباقون «حَرام» بالألف وفتح الحاء، وهما لغتان كَحِلٍّ[(٢)] وحلال.

قراءة[(٣)] العامة: «أمةً واحدةً» بالنصب على القطع، وقرأ ابن أبي[(٤)] إسحاق بالرفع على التكرير، يعني هذه أمتكم هذه أمة.

اللغة

الإحصان: إحراز الشيء عن[(٥)] الفساد، وأصله المنع، ومنه: الحِصْنُ.

والآية: الحجة والعلامة.

والأمة: المِلَّةُ، والأمة: المقتدَى [به] لأنه يقصد، وأصل الباب القصد، قال:

تـيـمـمـت داراً ويـمـمـن داره

(١) عن عاصم: وعاصم، ي.
(٢) كحل: محل، ل.
(٣) قراءة: قرأ، ز.
(٤) أبي: +، ي.
(٥) عن: من، ي.

والأمة: الجماعة[١] تؤم[٢] أمراً واحداً.

الإعراب

يقال: لِمَ قال[٣]«آية» ولم يقل: آيتين؟

قلنا: أراد شأنهما[٤] وأمرهما.

«أمة[٥]» نصب على القطع، وقيل: على الحال.

«إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ» (هذه) اسم (إن)، و(أمتكم[٦] خبر (إن).

«أُمَّةً وَاحِدَةً» نصب على الحال.

المعنى

ثم عطف على ما تقدم بقصة عيسى، وعقبه بالوعد والوعيد، فقال سبحانه: **«وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا»** يعني مريم منعت وحفظت عن أن يمسها ذَكَرٌ، وقيل: منعت فرجها مما حرم الله عليها **«فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا»** قيل: أجرينا[٧] فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ، وأضاف الروح إليه على معنى الخلق[٨]، وقيل: أمر جبريل فنفخ في جيب[٩] درعها فخلق الله[١٠] من ذلك النفخ عيسى، وقيل: نفخ في فرجها فخلق الله[١١] عيسى في رحمها، وقيل: أضاف إلى نفسه على وجه التشريف

(١) والأمة الملة... الجماعة: ـ ، ي.
(٢) تؤم: تأم، ز.
(٣) قال: يقال، ي.
(٤) شأنهما: بهما، ز.
(٥) أمة: آية، ي.
(٦) وأمتكم: أمتكم، ي.
(٧) أجرينا: أخرجنا، ز.
(٨) الخلق: الكل، ي.
(٩) جيب: جنب، ز، ل، م.
(١٠) الله: ـ ، ي.
(١١) الله: ـ ، ي.

«**وَجَعَلْنَاهَا**[١]» أي: مريم «**وَابْنَهَا**» عيسى «**آيَةً**» أي: حجة على كمال قدرتنا ومعجزة لعيسى «**لِلْعَالَمِينَ**» للعقلاء، ووجه الحجة أنها ولدت من غير فحل، ثم تكلم عيسى في المهد ببراءة ساحتها، وكانت يأتيها رزقها من غير[٢] سبب، وتعب[٣] وهو في المهد، وآتاه الكتاب وهو في المهد «**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**» قيل: دينكم دين واحد وهو الإسلام، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. فأبطل ما سوى الإسلام، وأصل[٤] الأمة الجماعة التي تَقْصِدُ أمراً واحداً فجعلت الشريعة أمة لاجتماعهم بها على مقصد واحد، وقيل: أمتكم أمة واحدة يعني جماعة واحدة في أنها مخلوقة مملوكة لله تعالى[٥].

ومتى قيل: مَنْ هذه الأمة؟

فجوابنا: قيل: أمة محمد ﷺ كانت مجتمعة فتفرقت، وقيل[٦]: من تبع في التوحيد الأنبياء الذين قص الله خبرهم.

«**وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**» دون غيري، وقيل: هذا تفسير لقوله: «**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**» أي: دينكم التوحيد «**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**» أي: اختلفوا في الدين بما لا يسوغ فصاروا فرقاً وأحزاباً «**كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**» يعني من اجتمع ومن افترق راجع إلى حكمنا، وإلى الدار التي يحكم الله فيها بين عباده، ولا يملك ذلك أحد[٧] سواه، فيجازيهم بأعمالهم «**فَمَنْ**[٨] **يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» قيل: الصالحات الطاعات كلها، وهو الوجه، وقيل: صلة الرحم، ومعونة الضعيف، ونصرة المظلوم،

(١) وجعلناها: وجعلنا، ي.
(٢) فحل.... غير: +، ي.
(٣) تعب: لعب، ز، ل، م.
(٤) وأصل: وقيل، م.
(٥) تعالى: ـ ، ي.
(٦) وقيل: قيل، ي.
(٧) أحد: +، ي.
(٨) فمن: من، ي.

وإعانة الملهوف، والكف عن الظلم «**فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ**» أي: لا جحود[1] لإحسانه في عمله؛ بل يشكر ويثاب عليه «**وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ**» أي: نكتب عمله ونحفظه؛ ليجازى به من خير أو شر، وقيل: كاتبون أي: ضامنون جزاءه حتى نوفر على عاملها مجموعه، ومنه: الكتيبة؛ لأنه ضم رجل إلى رجل «**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا**» قيل: ممتنع عليهم لأن هناك تكليفا، وأصل الحرام المنع، ومنه الحَرَمُ «**أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**» فيه قولان: منهم من قال: (لا) صلة وهو محذوف، ومنهم من قال: يثبت.

فمن قال بالأول اختلفوا، قيل[2]: حرام أن يرجعوا بعد الهلاك إلى الدنيا، [و] قيل: حرام على أهل قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون عن كفرهم على حدٍّ ينفعهم، وقيل: حرام على قرية أمتناها بآجالها[3] رجوعهم إلى الدنيا؛ لأنا قضينا أنهم لا يرجعون.

ومن قال[4] (لا) مثبتة[5]، اختلفوا، فقيل: الحرام بمعنى الواجب، قالت الخنساء:

وإن حراماً لا أرى الدهر[6] باكياً على شجوه[7] إلا بكيت على عمرو[8]

وتقديره: واجب عليهم وحتم ألاّ[9] يرجعوا[10] إلى الدنيا وحال التكليف، وقيل[11]: حرام ألاّ[12] يرجعوا بعد الممات بل يرجعون أحياء للجزاء، عن

(1) لا جحود: لاحجة، ز.
(2) قيل: فقيل، ز.
(3) بآجالها: بآجالهم، ز، ل، م.
(4) ومن قال: ـ ، ل.
(5) مثبتة: مبنية، ز؛ صلة، ي؛ يثبته، ل.
(6) الدهر: بالدهر، ل.
(7) شجوه: شجواه، ل، م.
(8) انظر البيت في لسان العرب مادة: حرم.
(9) ألا: لا، ز.
(10) يرجعوا: لايرجعون، ي.
(11) وقيل: قيل، ي.
(12) ألا: لا، ز.

أبي مسلم. وقيل: حرام على قرية أهلكناها أنهم إلينا[1] لا يرجعون، وقيل[2]: حرام قبول[3] توبتهم وإيمانهم؛ لأنهم لا يرجعون إلى الدنيا وحال التكليف [. . . .][4] وقيل[5]: لا[6] للنهي[7] وهو في معنى الحرام، فذكر[8] للتأكيد، وتقديره: حرام حرام أن يرجعوا، فنقل أحدهما عن ابتداء الكلمة إلى الانتهاء بلفظ لا إيجازًا[9] فيكون لا في معنى التأكيد.

الأحكام

تدل الآيات على معجزات ظهرت على مريم وعيسى[10]، وقد قال مشايخنا: أن عيسى كان نبياً في تلك الحالة، والمعجزات ظهرت عليه، وما ظهر على مريم، اختلفوا[11]، فقيل: كانت معجزة لزكريا، وهو قول مشايخنا، وقالت البغدادية: كانت إرهاصاً لنبوة عيسى، وما ظهر على عيسى كان إرهاصاً لنبوته أيضاً؛ لأن عندهم لم يكن نبياً في ذلك الوقت.

وتدل على أن التفرق في الدين مذموم، وأن المحمود الاجتماع على[12] الحق.

ومتى قيل: التفرق في بعض المواضع مذموم كما قال: «ستفترق أمتي[13] على

---

(١) إلينا: +، ي.
(٢) وقيل: وتقديره، ي.
(٣) قبول: قل، ز؛ قبل، ل، م.
(٤) كلمة غير واضحة في م. وفي ي بياض. وفي ز: فنموره. بدون نقاط.
(٥) وقيل: قيل، ز.
(٦) لا: لأن، ز، ل، م.
(٧) للنهي: النهي، ز.
(٨) فذكر: فيذكر، ي.
(٩) إيجازاً: إيجاز، ل، م.
(١٠) مريم وعيسى: عيسى ومريم، ز، ي.
(١١) اختلفوا: ثم اختلفوا، ز، ل، م.
(١٢) على: في، ي.
(١٣) أمتي: ـ ، ل.

بضع وسبعين فرقة، واحدة ناجية»، ودلت الآية ونحوها[١] على ذلك، وفي بعضها ممدوح كقوله: «اختلاف أمتي رحمة»، فكيف[٢] الجمع بينها[٣]؟

فجوابنا: كل[٤] ما الحق فيه واحد كأصول الدين من التوحيد والعدل والنبوات وأصول[٥] الشرائع، وما عُلِمَ من دينه ضرورة فالخلاف فيه يَعْظُمُ، ثم قد يبلغ حد الكفر، ويبلغ حد الفسق، والمكلف مكلف بشيء واحد، فأما الاجتهاديات من فروع الشرع فالأكثر أن كل مجتهد فيها مصيب، ومنهم من قال: واحد مخطئ معذور مأجور، وههنا[٦] الخلاف غير مذموم.

والفرق بينهما أن في الأول التعبد لا يختلف ولذلك لا يجري فيه النسخ، والثاني يتبع المصلحة، والمصالح تتغير.

فأما الخبر فقد تأوله العلماء على وجوه، أصحها[٧] ما قاله مشايخنا[٨] أنه ورد في الاجتهاديات وأن كل مجتهد مصيب، فاختلافهم رحمة وتوسعة، كما أن اجتماعهم رحمة وحجة، وهذا الذي يختص بأمته ﷺ فوجب حمل قوله: «خلاف أمتي رحمة» على ذلك.

ومنهم من قال: معناه في زمانه[٩]؛ لأنهم إذا اختلفوا رجعوا إليه.

ومنهم من قال: اختلاف الهمم والصناعات وأمور الدنيا، وهذا لا يصح؛ لأنه لا يختص بهذه الأمة.

---

(١) نحوها: ويجوز، ز.
(٢) فكيف: وكيف، ز، ل، م.
(٣) بينها: بينهما، ز.
(٤) كل: ذلك. وفي ي: كلما، ز.
(٥) وأصول: وأصل، ي.
(٦) وههنا: وفيها، ز، ل، م.
(٧) أصحها: أصلحها، ي.
(٨) مشايخنا: شيوخنا، ي.
(٩) زمانه: زماننا، ي.

ومن مشايخنا من تأوله[1] على وجه آخر، وهو أن قوله: «خلاف[2] أمتي رحمة» أي: ما يجي خلفاً بعد سلف كلهم يتبعون ولا يخالف الخلف السلف، وهذا قريب، وإن كان ما قدمنا[3] أولاً أولى.

فأما قوله: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة» فإنا إذا أخذنا بأصول المذاهب فإنها تنقص عن سبعين، وإذا أخذنا بالطرق والفروع زاد كثيراً، فلا بد من تأويل، وقد أوله مشايخنا على وجهين:

أحدهما: أنهم سيفترقون فرقاً كثيرة، وليس المراد القصر على هذا العدد لقوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]، وللعرب عادة في ذكر السبعين يريدون[4] الكثير.

وثانيها: أنه في وقت واحد يبلغ هذا القدر ثم[5] يزيد أو ينقص.

وتدل على أن العمل الصالح لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنهما بمجموعهما[6] يثاب عليهما.

ويدل قوله: «وحرام» أن من مات في الدنيا يعدم[7] التوبة والرجعة إلى حد التكليف، فيبطل قول الإمامية في الرجعة إلى الدنيا.

وتدل على[8] أن الإحصان[9] والعبادة والتقطيع والعمل الصالح والإباق والبغي فِعْلُهُم، والاستدلال بالآية[10] كما تقدم في الآيات.

(١) تأوله: أوله، ز.
(٢) خلاف: ـ، ز، ل.
(٣) ما قدمنا: ما قدمناه، ز، ي.
(٤) يريدون: ويريدون، ي.
(٥) ثم: ـ، م.
(٦) بمجموعهما: لمجموعهما، ز.
(٧) مات في الدنيا يعدم: آيات الدنيا تقديم؛ ز: تاب في الدنيا يقدم، ل.
(٨) على: ـ، ي.
(٩) الإحصان: الإحسان، ل.
(١٠) الآية: في الآية، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب: «فُتِّحَتْ» مشددة التاء، الباقون خفيفة[١] التاء، وهما بمعنى، غير أن التشديد للتكثير، وفيه زيادة مبالغة.

قراءة العامة: «حصب جهنم» بالصاد، وعن علي عليه السلام[٢] وعائشة: (حطب) بالطاء، ولعلهما[٣] فسرا الآية بذلك؛ لأن حصب جهنم كل ما توقد به النار، فأما (يأجوج ومأجوج) فقد بينا أن عاصماً قرأ بالهمز في الحالين، والباقون بغير همز، وروى محمد بن حبيب عن الأعمش عن أبي بكر عن عاصم بغير همز.

اللغة

الفتح: ضد الإغلاق، وهو انفراج الشيء عن غيره، والأصل: فتح الباب، ثم يستعمل في غيره تشبيهاً، يقال: فتح العلم عليه[٤] والكلام والأمر ونحوه.

يأجوج ومأجوج: اسمان أعجميان، وهما قبيلتان، ولو كانا عربيين لكانا من أججت النار، والماء الأُجاج[٥].

(١) خفيفة: مخففة، ل.
(٢) عليه السلام: ـ ، ي.
(٣) ولعلهما: ولعليهما، ي.
(٤) عليه: +، ز، ي.
(٥) الأجاج: والأجاج، ل.

والحدب: الارتفاع من الأرض من انخفاض، ومنه: الحَدَبَة خروج الظهر، وقد احدودب كبر، ورجل أحدب.

والنُّسول: الخروج عن الشيء المُلاَبِس[(١)]، نسل ينسل نسولاً، ونسل ريشُ الطائر إذا سقط، وقيل: النسول الخروج بإسراع كَنَسْلانِ الذئب والعير[(٢)]، والنسلان ضربان من المشي، نَسَلَ يَنْسِلُ، وعسل يعسل، وقرب[(٣)] واقترب بمعنى.

وشخوص المسافر: خروجه من منزله، وشُخِصَ به إذا أتاه ما يقلقه[(٤)]، كأنه رفع من الأرض، وشَخَصَ من بلد[(٥)] إلى بلد: خرج إليه، وشخص بصره إذا نظر إليه كأنه قد[(٦)] خرج إلى ذلك الموضع، وأشخص الرامي إذا جاوز سهمه الغرض[(٧)] من أعلاه، وهو سهم شاخص.

والحصب: ما هيّئ للوقود من الحطب[(٨)]، فإن لم يهيأ فليس بحصب، كذا قاله الخليل، وريح حاصب أتت بالغبار لشدتها، وحصب الرجل بالحصباء، والمحصب موضع الرمي بمنى، وقيل: الحاصب: الريح التي تقلع الحصباء لشدتها.

والزفير: ترديد النفس حتى تنتفخ[(٩)] الضلوع.

۞ الإعراب

يقال: الواو في قوله: «**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ**» أي واو هي؟

قلنا: فيه قولان:

---

(١) الملابس: الماس، ز، ل، م.
(٢) والعير: والعسلا، ي.
(٣) وقرب: ـ ، ل.
(٤) يقلقه: يفعله، ل.
(٥) بلد: بلده، ي.
(٦) قد: ـ ، ي.
(٧) الغرض: المقرض، ل، م.
(٨) الحطب: الحصب، ز.
(٩) تنتفخ: تنفخ، ل.

قيل: صلة، وتقديره: حتى[1] إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق[2]، ونظيره: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]، عن الفراء وجماعة.

وقيل: بل[3] الجواب في قوله: «**واقترب**»، تقديره: حتى إذا فتحت يأجوج واقترب الوعد وقالوا يا ويلنا كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

وقيل: الجواب في قوله: «**يا ويلنا**»، وتقديره: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد قالوا يا ويلنا[4].

ويقال: «**فَإِذَا**[5] **هِيَ**» كناية عن ماذا؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

أولها: أن[6] الضمير يرجع إلى معلوم قد بينه بقوله: «**أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**»، تقديره: فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا، قال الشاعر:

لعمرو[7] أبيها لا تقول ظعينتي ... ألا فر عيني مالك بن أبي[8] كعب

يكنى[9] عنها وأبيها، ثم[10] أظهرها.

وثانيها: إظهار العماد على جهة[11] التفسير كقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦].

---

(١) حتى: ـ، ل.
(٢) الحق: +، ز، ي.
(٣) بل: ـ، ز.
(٤) وتقديره... يا ويلنا: +، ي.
(٥) فإذا: ماذا، ي.
(٦) أن: ـ، ز.
(٧) لعمرو: بعمرو، ز، ل.
(٨) بن أبي: من في، ي.
(٩) يكنى: يكفى، ز.
(١٠) أبيها، ثم: +، ي.
(١١) جهة: شريعة، ز، م.

وثالثها: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي»، على معنى: هي بارزة واقفة، بمعنى مِنْ قُرْبِها كأنها[١] وقفت[٢]، ثم[٣] ابتدأ فقال: «**شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**» على تقديم[٤] الخبر على الابتداء تقديره: أبصار الذين كفروا شاخصة من هول يوم[٥] القيامة.

«**فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**» أنث الفعل على معنى القبيلة أو الجماعة[٦].

المعنى

لما تقدم أنهم لا يرجعون إلى الدنيا وَعَدَهُمْ بالرجوع إلى الآخرة يوم القيامة وبَيَّنَ علامة ذلك[٧]، فقال سبحانه: «**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**» يعني فتحت جهنم بأن[٨] ينفرج عنهم السد لسقوط أو هدم أو كسر، ويأجوج ومأجوج أُمَّتان[٩]، وخروجهما من علامات الساعة كخروج الدجال، ونزول عيسى، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من المغرب، كل ذلك من أشراط الساعة يظهر بعضهم في إثر بعض «**وَهُمْ**» قيل: كناية عن يأجوج ومأجوج، وقيل: كناية عن الخلق[١٠]، والأول[١١]: خروجهم عن السد، عن عبد الله، وأبي علي. والثاني: خروجهم عن[١٢] قبورهم إلى الحشر، عن مجاهد، وكان يقرأ: (**من كل جدث**) بالجيم والثاء، يعني القبور، واستدلوا[١٣] بقوله: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، «مِنْ كُلِّ حَدَبٍ»

(١) كأنها: ـ، ي.
(٢) وقفت: وقعت، ي.
(٣) ثم: +، ي.
(٤) تقديم: تقدير، ز.
(٥) يوم: ـ، ي.
(٦) أو الجماعة: والجماعة.
(٧) ذلك: +، ي.
(٨) بأن: با، ز.
(٩) أمَّتان: اثنان، ل.
(١٠) الخلق: الحق، ز، ل، م.
(١١) والأول: فالأول، ي.
(١٢) عن: من، ل.
(١٣) واستدلوا: القبر واستدل، ي.

من كل أَكَمٍ مرتفع من الأرض، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: من القبور، عن مجاهد. وقراءته بالجيم تفسير القراءة الظاهرة، «**يَنسِلُونَ**» يخرجون «**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ**» يعني الصدق بالله تعالى وأنبيائه وعدوا بالقيامة والجزاء فكان كما وعدوا «**فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**» شاخصة مفتحة بارقة[(١)] ينظرون إلى تلك الأهوال «**يَاوَيْلَنَا**» أي: يقولون[(٢)]: يا ويلنا «**قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا**» أي: اشتغلنا بأمور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم ولم نتفكر فيه «**بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**» بأن[(٣)] عصينا الله تعالى وعبدنا غيره، فاعترفوا على أنفسهم بالذنب والغفلة، فخاطب الله تعالى[(٤)] هؤلاء المشركين فقال: «**إِنَّكُمْ**[(٥)]» **أيها المشركون** «**وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» يعني الأوثان؛ لأن **(ما)** هي لما لا يعقل، كما أن (مَنْ) لِمَن يعقل «**حَصَبُ جَهَنَّمَ**» قيل: وقودها، عن ابن عباس. وقيل: حطبها، عن مجاهد، وقتادة، وعكرمة[(٦)]. ويقال: إن الحصب بلغة اليمن الحطب، وروي عن عكرمة أنها حبشية، قال ابن عرفة: فإن[(٧)] أراد موافقة اللغتين، أوأن[(٨)] العرب أخذته عن[(٩)] الحبشة فصارت لهم لغة صحيحة، وإن أراد لغة حبشية فليس يصح؛ لأن القرآن ليس فيه لغة[(١٠)] حبشية؛ بل كله عربي[(١١)] كما قال تعالى[(١٢)] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقيل: يُرْمَوْنَ بها كما يرمون بالحصباء، عن الضحاك، وأبي مسلم، قال: إنما يحصب بهم، أي: يرمى بهم، ويقال: أصل

---

(١) بارقة: ابرقه، ز، ل، م.
(٢) يقولون: +، ل، م.
(٣) بأن: با، ز.
(٤) وعبدنا... الله تعالى: ـ، ز.
(٥) إنكم: فإنكم. وفي ل: إنهم.
(٦) وعكرمة: +، ي.
(٧) فإن: ـ، ل.
(٨) أو أن: وأن، ل، م.
(٩) عن: من، ل.
(١٠) لغة: ـ، ل.
(١١) كله عربي: كلها عربية، ي.
(١٢) تعالى: ـ، ي.

الحصب الرمي، يقال: حَصَبْتُ[١] الرجل: رميته، وقال تعالى: ﴿حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨] أي: ريحاً[٢] ترميهم بالحجارة.

ومتى قيل: أليس عيسى يُعْبَدُ والملائكة يُعْبَدُونَ؟

قيل: هم لا يدخلون[٣] في الآية؛ لأن (ما) لما لا[٤] يعقل، والثاني: أنه خاطب أهل مكة وهم كانوا يعبدون الأصنام.

ومتى قيل: فأي فائدة في إدخال الأصنام النار؟

قلنا: قيل: يعذب بها المشركون الذين عبدوها فيكون زيادة في حسرتهم وغمهم.

وقيل: توبيخاً لهم حيث عبدوها وهي جماد لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها.

وقيل: إنهم يحيون ويعاقبون، وهذا لا يصح؛ لأنه[٥] لا ذنب لهم فكيف يعاقبون؟! وما روي أنه لما نزلت هذه الآية اغتم الكفار، فقال ابن الزِّبَعْرَى: لو كنت حاضراً لَقُلْتُ: أليس عيسى يُعْبَدُ والملائكة يعبدون، فسكت النبي ﷺ[٦]، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[٧] الآية، وهذا إن ثبت فاعتراض فاسد؛ لأن (ما[٨] يدخل فيه ما لا يعقل، ولأنه لو كان يدخل فيه من يعقل[٩] لما تأخر البيان؛ لأن تأخير البيان عن وقت الخطاب لا يجوز.

وقيل: أول الكلام يليق بالأصنام وآخره بالشياطين؛ لأنه قال: «لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ»،

---

(١) حَصَبْتُ: أحصبت، م، ي.
(٢) ريحاً: ـ ، ي.
(٣) لا يدخلون: لايخلون، ز.
(٤) لما لا: ـ ، م.
(٥) لأنه: أنه، ل، م.
(٦) صلى الله عليه وسلم: عليه السلام، ي.
(٧) إن... مبعدون: ـ ، ي.
(٨) ما: ما لا، ي.
(٩) من يعقل: ـ ، ي.

فالآية تناولتها[1]، فأنزل عقيبها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ بياناً لذلك ولم يتأخر نزوله عن الأول.

وقيل: إن دخلوا في عمومه فإنه يخص عقلاً، وكان لا يشكل[2] على النبي ﷺ أن عيسى عليه السلام لا يدخل في الوعيد.

«**أَنْتُمْ**» أيها المشركون «**لَهَا**» أي: لجهنم «**وَارِدُونَ**» قيل: داخلون، وقيل: أنتم داخلون، وقيل: أنتم عليها واردون[3]، وقيل: المراد أنتم وإياهم داخلون «**لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ**» أي[4]: الأصنام والشياطين «**آلِهَةً**» كما تزعمون «**مَا وَرَدُوهَا**» أي: ما دخلوا[5] النار ولامتنعوا منها، وقيل: ما دخل عابدوها النار ولمنعوهم من[6] ذلك «**وَكُلٌّ**» منكم من العابد والمعبود «**فِيهَا**» في النار «**خَالِدُونَ**» أي: دائمون «**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ**» قيل: شهيق لهول ما ورد عليهم من العذاب في النار، وقيل: في[7] الزفير شدة النفس «**وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ**» قيل[8]: لا يجيبون داعياً، وذلك نحو قوله: سمع الله لمن حمده، وقيل: لا يسمعون ما ينفعهم وإن سمعوا ما يسوؤهم، عن أبي علي. وقيل: لا[9] يسمعون صراخ أهل النار وصوت المقامع، وأصوات الخزنة، ولا يسمعون صوتاً لهم فيه راحة ويُسَرُّون[10] به، وقيل: يصيرون[11] صماً في وقت ويسمعون في وقت، وقيل[12]: يجعلون في توابيت من النار عليها مسامير[13] من نار[14] لا يسمعون شيئاً ولا يرون

(١) تناولتها: تناولها، ي.
(٢) لا يشكل: لايشتكل، ي.
(٣) قيل: . . . واردون: +، ي.
(٤) أي: ز، ل، م: ـ ، ز، ل، ي.
(٥) دخلوا: دخلوها، ز، ل، م.
(٦) من: ـ ، ي.
(٧) في: ـ ، ي.
(٨) قيل: ـ ، ي.
(٩) لا: +، ز.
(١٠) يُسرُّون: ويسترون، ي.
(١١) يصيرون: يسيرون، ل.
(١٢) وقيل: قيل، ي.
(١٣) عليها مسامير: ـ ، ي.
(١٤) من نار: +، ي.

أحداً، عن ابن مسعود. وقيل: أراد به الأصنام أنهم[1] لا يسمعون شكوى مَنْ عَبَدَهُمْ واستغاثهم، ولا يجيبونهم، عن أبي مسلم.

الأحكام

يدل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ﴾ على أن ذلك السد يزول عند قيام الساعة، وأنهم يخرجون.

وتدل الآيات على شدة أهوال القيامة.

ويدل قوله: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ﴾ على صحة الحجاج في الدين، قال أبو علي: إن الإله ليس مَنْ يُعْبَدُ بل من[2] تحق له العبادة.

وتدل على أن الظلم والعبادة فِعْلُ العبد حتى يجازى[3] عليها.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر: «تُطْوَى» بالتاء ورفعها وفتح الواو على ما لم يسم فاعله. «السَّماءُ» رفع لأنه اسم ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون بالنون على الإضافة وكسر الواو، و«السماء» نصب لأنه مفعول.

---

(١) أنهم: لهم، ل.
(٢) من: ـ ، ز.
(٣) حتى يجازي: ـ ، ل.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «الكُتُب» بضم الكاف والتاء على الجمع، والباقون: «الكِتاب» بالألف وكسر الكاف على واحد.

وقرأ حمزة: «الزُّبور» بضم الزاي، والباقون بفتحها، وهما لغتان.

قرأ أبو جعفر: «يُحْزِنُهُمْ» بضم الياء وكسر الزاي من أَحْزَنَهُ يُحْزِنُهُ، والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حَزَنَهُ، وهما لغتان.

اللغة

السبق: تقدم وقت الشيء على غيره، سبق سبقاً وهو السابق.

والحسنى: تأنيث أحسن، وأصله الحُسْنُ ضد القبح.

والحسيس والحس: الحركة[1]. والطي ضد النشر.

والسَّجْلُ: الدلو العظيم، ومنه: المساجلة المفاخرة، وأصله صب الدلو إذا امتلأ، والسجل: قيل: مأخوذ من السجل الذي هو الدلو؛ لأنه يتضمن الانحدار عنها[2] كما ينصب الماء من الدلو، وقيل: مأخوذ من المساجلة وهو المكاتبة، ومن ذلك: افتتح سورة (النساء) فَسَجَلَها[3]، أي: قرأها، شبه حروف[4] السورة واتصال تلاوته بالصب، يقال: سَجَلْتُ السماء سَجْلاً إذا صبت[5] بالمطر[6]، وأصل الباب[7]: الدلو ملئ ماء[8].

والزُّبُر: الكتب، واحدها زبور، يقال: زَبَرْتُهُ أي: كتبته.

---

(١) الحركة: والحركة، ز، ل، م.
(٢) عنها: منها، ي.
(٣) فسجلها: سجلها، ي.
(٤) حروف: جدرت، ي.
(٥) صبت: صب، ل.
(٦) بالمطر: المطر، ي.
(٧) الباب: الدلوب، ز، م.
(٨) ماء: ملأنا، ي.

۞ الإعراب

يقال: ما عامل الإعراب في قوله[1] ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ[2]﴾.

قلنا: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بمعنى نعيد الخلق كما بدأناه[3].

«وعداً» نصب على المصدر، أي: وعدناه وعداً.

۞ النزول

قيل[4]: لما نزلت الآية المتقدمة قال ابن الزِّبَعْرَى لرسول الله ﷺ: أنت تقول[5] هذا؟ قال: «نعم»، قال: قد خصمتك، أليست[6] اليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح، وقوم يعبدون الملائكة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا يحمل على أنه زيادة في البيان؛ لأن الآية تُحمل[7] على[8] ما لا يعقل، فلما اعترضوا بهذه الشبهة تلبيساً أنزل الله تعالى[9] زيادة في البيان.

۞ المعنى

لما تقدم الوعيد عقبه بذكر الوعد، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى**» قيل: عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام عُبدوا وهم كارهون، عن الحسن. وقيل: هي[10] عامة في كل من سبق[11] له الوعد بالسعادة، وروي عن علي

(١) قوله: +، ي.
(٢) بدأنآ: بدلنا، ز.
(٣) بدأناه: بدأنا، ز، ل، م.
(٤) قيل: ـ، ز، ي.
(٥) تقول: أتقول، ل.
(٦) أليست: النساء، ز.
(٧) تحمل: تحتمل، ز، ل، م.
(٨) على: +، ي.
(٩) تعالى: +، ز، ل، ي.
(١٠) هي: +، ي.
(١١) سبق: سبقت، ي.

(عليه السلام) أنه تلا هذه الآية ثم قال: (أنا منهم وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، ثم افتتحت الصلاة فقام وهو[١] يجر رداءه وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾، يعني سبقت لهم منا الحسنى، قيل: الحسنى السعادة لأهلها أي سبقت[٢] السعادة لأهلها[٣] وسبق الشقاء لأهله[٤]، عن ابن زيد. كأنه يذهب إلى الكلمة أنه سيسعد[٥] وبأنه[٦]سيشقى، أو إلى العِدَةِ لهم على[٧] طاعتهم، وأَنَّثَ الحسنى؛ لأنه صفة الكلمة أو بعده[٨]، وقيل: الحسنى الطاعة، أي: سبقت لهم بالوعد بأنهم يجازون عليها، وقيل: الحسنى الجنة سبق للمؤمنين الوعد بها «**أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**» عن جهنم «**لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا**» أي: صوتها إذا نزلوا منازلهم من الجنة «**وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ**» من ثواب الله[٩] ولذاتهم «**خَالِدُونَ**» دائمون «**لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ**» أي: الخوف الأعظم، قيل: فزع عذاب النار إذا أطبقت على أهلها، عن سعيد بن جبير، وقيل: النفخة الأخيرة، عن ابن عباس. دليله: ﴿وَنُفِخَ[١٠] فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر:٦٨]، وقيل: حين يؤمر بالعبد إلى النار، عن الحسن. وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح وينادى: يا أهل الجنة خلود فلا[١١] موت، ويا أهل النار خلود فلا[١٢] موت، عن ابن جريج. وقيل: الإياس من الرحمة حين ينقلب من الموقف «**وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ**» بالتهنئة والبشارة، وقيل: هم الحفظة، وقيل: غيرهم من الملائكة «**هَذَا**

---

(١) وهو: ـ، ل، ي.
(٢) سبقت: سبق، ي.
(٣) أي سبقت السعادة لأهلها: +، ز، ي.
(٤) لأهله: لأهلها، ي.
(٥) أنه سيسعد: سعداً، ي.
(٦) وبأنه: أو بأنه شقى، ل، م.
(٧) على: عن، ز، ل، م.
(٨) أو بعده: أو أبعده، ل، م، ي.
(٩) الله: ـ، ل، م.
(١٠) ونفخ: ففزع، ز، ي.
(١١) فلا: ولا، ز، ي.
(١٢) فلا: ولا، ي.

﴿يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ قيل: هذا يومكم فتمنّ ما شئت، كما يقال: هذا يومك[1] فاصنع ما شئت، وقيل: يومك تنتصف من كل مَنْ ظلمك، وتقهر فيه أعداءك، وقيل: يومكم الذي تصلون إلى جزائكم[2] **﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾** قيل: هو ضد النشر، وقيل: هو المحو والطمس، تقول: اطو عني هذا الحديث واستره[3]، وقيل: نفنيها **﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ[4]﴾** قيل: السِّجِلُّ: الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، عن ابن عباس، ومجاهد. واللام بمعنى على، أي: تطوى على ما فيها، وقيل: السِّجِلُّ: ملك يكتب أعمال[5] العباد، عن ابن عمر، والسدي. وقيل: إنه اسم كاتب لرسول الله ﷺ، وليس بصحيح؛ لأن كُتَّابَهُ معروفون، ولم يُرْوَ فيهم أحد اسمه سجل **﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ[6]﴾** استئناف كلام يعني كما بدأنا **﴿أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾** أي: كما خلقناه ابتداء نعيده للحشر، وقيل: كما[7] بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة كذلك نعيدهم يوم القيامة، وقيل: نهلك كل شيء كما كان أول مرة، عن ابن عباس. وقيل: كما بدأناه من التراب نعيده من التراب **﴿وَعۡدًا عَلَيۡنَآ﴾** أي: وَعَدْنَا وعداً علينا الوفاء به، وقيل: حقاً علينا واجباً **﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾** الإعادة والبعث كما وعدنا **﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾** قيل: كتب الأنبياء **﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾** من بعد كتبه في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وابن زيد. وقيل: الزبور زبور داود، والذكر القرآن، عن الشعبي، و(**بعد**) بمعنى قبل، وروي عنه التوراة، وقيل: الزبور الكتب المنزلة بعد التوراة، والذكر التوراة، عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: الزبور[8] الوعظ، أي: كتبنا في الكتب بعد الوعظ والذكر، ويحتمل أن يكون الزبور والذكر: القرآن أي: كتبنا في القرآن هذا بعد ما كتبنا سائر ما يذكر ويحتاج إليه **﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ**

---

(١) يومك: +، ي.
(٢) جزائكم: إجزائكم، ز.
(٣) واستره: وانشره، ي.
(٤) للكتب: للكتاب، ز، ل، م.
(٥) أعمال: أفعال، +، ي.
(٦) أول: ـ ، ي.
(٧) كما: ـ ، ل.
(٨) الزبور: الذكر، ي.

الصَّالِحُونَ» قيل: أرض الجنة «**يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ**» قيل[1]: أمة محمدﷺ، عن مجاهد، وأبي العالية. وقيل: أرض الجنة يرثها الصالحون من العباد، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن زيد، وقرأوا: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤]، وقيل: هي[2] أرض الدنيا تصير للمؤمنين بعد إجلاء الكفار، عن ابن عباس[3]«**إِنَّ فِي هَذَا**» قيل: في هذا[4] القرآن ودلائله، وقيل: فيما[5] قصصنا عليك من الوعد والوعيد، وقيل: في الجنة كفاية[6]» لكفاية «**لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**» قيل: كفاية ووصلة إلى البغية لمن عبد الله، وقيل: بلاغاً أي: تبليغ رضوان الله وثوابه الجزيل «**لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**» قيل: مؤمنين يعبدون الله وحده، وقيل: عالمين، عن ابن عباس. وقيل: هم أمة محمدﷺ أهل الصلوات[7] الخمس وشهر رمضان، وقيل: هو مبالغة في الوعيد أي: أن أرض الجنة لا تُسْتَحَقُّ إلا بالعمل الصالح، وكفى ذلك عظة[8] للمكلف.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن المؤمنين لا يلحقهم الفزع يوم القيامة خلاف ما قاله بعضهم.

وتدل على أن الله تعالى يطوي السماء بأن يقبضها[9] [10].

ومتى قيل: فما فائدة طيها وإفنائها[11]؟

(١) قيل: ـ، ي؛ وقيل، ل.
(٢) هي: هو.
(٣) ابن عباس: عن الحسن، ز.
(٤) قيل: في هذا: ـ، ل، م.
(٥) فيما: مما، ي.
(٦) كفاية: +، ي.
(٧) الصلوات: الصلاة، ي.
(٨) عظة: عظمة، ز.
(٩) يقبضها: يفنيها، ي.
(١٠) يوم القيامة... يقبضها، ز.
(١١) إفنائها: أوإفنائها، ي.

قلنا: مبالغة في الحجة على من زعم أنها قديمة، ويجوز أن يطوي بعضها ويكتفي بعضها.

ويدل قوله[1] ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ أن الإعادة واجبة؛ لأن كلمة (على[2] تنبئ عن ذلك، وإنما تجب إعادة المثاب عقلاً، والذي يجب له العوض[3] ولم يُوَفَّرْ عليه في الدنيا، فأما المعاقب فالعقاب حق الله تعالى، ويجوز[4] ألاّ يُعَاقِبَ[5]؛ غير أن السمع ورد بأنه يعيد كل حي.

ويدل قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ أن الزبور محدث؛ لأنه بعد الذكر.

وتدل على أنه كتب لطفاً للملائكة هذه الأشياء.

ويدل قوله: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا﴾ أن الجنة يدخلها الصالح دون الكافر والفاسق، فهو[6] بخلاف نعم الدنيا.

وتدل على أن في القرآن كفاية لمن تدبره[7]، فيبطل قول الإمامية في الحاجة إلى الإمام في الدين.

قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

---

(١) ويكتفي بعضها، ويدل قوله: ـ ، ي.
(٢) على: الأعلى.، ز.
(٣) العوض: عوض، ل.
(٤) ويجوز: فيجوز، ي.
(٥) ألا يعاقب: لايعاقبه، ل، ي.
(٦) فهو: وهو، ز.
(٧) تدبره: تدبر، ي.

۞ القراءة

قرأ حفص عن عاصم: «**قال رب**» بالألف على الحكاية، وقرأ الباقون: «**قل**» بغير ألف على الأمر.

وقرأ أبو جعفر: «**رَبُّ احكم**» بضم الباء على النداء المفرد، والباقون بكسر الباء على الدعاء، وقرأ يعقوب: «**قل رب أحكم**» بالرفع وقطع الألف، وعن ابن عباس ويحيى بن يعمر نحوه على وجه الخبر بأنه سبحانه أحكم بالحق من كل حاكم، والباقون بالجزم على الدعاء، وقراءة يعقوب غير مرضية؛ لأنها خلاف المستفيض وخلاف المصحف.

۞ اللغة

يقال: آذنتك بالشيء: أعلمتك وأذنت لك فيه، والأذان سمي أذاناً لما فيه من الإعلام، وآذَنَ وتَأَذَّن: أعلم، كأيقن وتيقن.

۞ الإعراب

«**رحمة**» نصب على المصدر تقديره: إلا[١] أن يرحمهم رحمة.

﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ﴾ الياء في (أدري) لا يجوز تحريكها؛ لأنها بالرفع غير أنه يجوز أن تلقي حركة الهمزة على الياء فتحرك الياء[٢] بحركة الألف فتقول: وإن أدريَ[٣].

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى[٤] بأن[٥] ما أوحى إليه، وإرساله رحمة لينتفع[٦] العباد باتباعه،

---

(١) إلا: إلى، ز، ل، م.
(٢) الياء: وإن أدري أقريب، ي.
(٣) بحر: +، ي.
(٤) تعالى: +، ي.
(٥) بأن: أن، ي، ل.
(٦) لينتفع: لينفع، ز.

فقال سبحانه: «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ**» يا محمد «**إِلاَّ رَحْمَةً**» أي: نعمة في الدين والدنيا[1]» أي على الخلق، كأنه قيل: من آمن به كُتِبَ له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم من المسخ والخسف والعذاب، عن ابن عباس. وقيل: لأنه[2] عَرَّضَهُمْ بالإيمان[3] للثواب الدائم، وهداهم، فإن[4] لم يهتدوا فهو رحمة كمن قدم الطعام إلى جائع فلم يأكل، فهو مُنْعِمٌ وإن لم يقبل، وقيل: هو خاص في المؤمنين[5]، عن ابن زيد. وقيل: رحمة للمؤمنين بشفاعته[6] لهم، وللكافرين بتأخير العذاب، والصحيح[7] أنه رحمة في الدين، ومصلحة للخلق ولطف؛ لذلك عم، ولا يجوز تخصيصه من غير دليل[8]» يا محمد «**إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**» يعني من تحق له العبادة إله[9] واحد «**فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**» قيل: مستسلمون منقادون لذلك بأن تتركوا عبادة غير الله، قيل: هل أنتم داخلون[10] في الإسلام «**فَإِنْ تَوَلَّوْا**» أعرضوا «**فَقُلْ**» يا محمد «**آذَنْتُكُمْ**» أعلمتكم «**عَلَى سَوَاءٍ**» في الإيذان[11]، لم أُظْهِرْ شيئاً لبعض وأكتمه عن بعض، وقيل: آذنتكم لتستووا في الإيمان به، وهذا من فصيح القرآن، وقيل: على سواء في الإنذار والدعاء إلى الحرب مجاهرة، عن أبي مسلم. وقيل: على سواء في العلم بأني حرب لكم، كقوله: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وكان يجوز أن يظن أن حال[12] قريش يخالف حال غيرهم في الجهاد، فأزال الإيهام، وأمره بمجاهدة الجميع، وقيل: أبلغتكم جميع ما أوحي إليّ فصرت أنا وأنتم سواء في

---

(١) الدين والدنيا: الدنيا والدين، ي.
(٢) لأنه: لابل، ل.
(٣) بالإيمان: للإيمان، ي.
(٤) فأن: وإن، ز، ل، ي.
(٥) المؤمنين: المؤمن، ي.
(٦) بشفاعته: شفاعته، ي.
(٧) الصحيح: والأصح، ي.
(٨) دليل: ذلك، ز.
(٩) إله: +، ي.
(١٠) داخلون: منقلون. بدون نقاط، ز.
(١١) الإيذان: والإنذار، ي.
(١٢) حال: رجال، ز، ل، م.

العلم بذلك، وقيل: أعلمتكم ما أعد الله لكم على كفركم من العذاب فأنا وإياكم في العلم على[(١)] سواء، عن أبي علي. «**وَإِنْ أَدْرِي**» أي[(٢)]: لا أعلم «**أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ**» قيل: القيامة، فإن الله تعالى هو العالم بوقتها، وقيل: المراد العذاب الموعود لهم لا أدري متى يفعل ذلك، قال[(٣)] **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ**[(٤)]**يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ**» يعني العالم بوقت القيامة من يعلم السر والعلانية «**وَإِنْ أَدْرِي**» أي: لا أدري «**لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ**» قيل: كناية عن غير مذكور، أي: لعل تأخير العذاب فتنة لكم، أي: اختبار وشدة تكليف ليظهر صنعكم، وقيل: فتنة لكم أي: إذا أصررتم على الكفر وما يؤدي إلى العذاب فتنة لكم «**وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**» أي: تمتعكم إلى أجل، ومعنى الآية: لا أدري بعد البيان لعل بقاءكم زيادة في عقوبتكم إن لم تؤمنوا وتمتعكم بالدنيا إلى مدة «**قَالَ رَبِّ احْكُمْ عبِالْحَقِّ**» فَوَّضَ الأمر إليه، أي: احكم بيني وبين مَنْ كذبني بالحق.

ومتى قيل: أليس حُكْمُهُ[(٥)] يكون بالحق فكيف معنى الكلام؟

قلنا: سؤال ما علم[(٦)] كَوْنُهُ: جائزٌ، كقول إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٧]؛ لأن فيه انقطاعاً[(٧)] إليه، وقيل: أراد العذاب فعذبوا يوم بدر، وقيل: معناه: رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم[(٨)] وأقام الحق مقامه، وعن قتادة أن النبي ﷺ كان إذا شهد قتالاً قال: «رب احكم بالحق» أي: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع.

«**وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ**» الذي يرحم عباده «**الْمُسْتَعَانُ**» الذي يعينهم على أمورهم، فجمع

---

(١) على: ـ، ي، ل.
(٢) أي: ـ، ي.
(٣) قال: +، ي.
(٤) إنه يعلم... القول و: ـ، ي.
(٥) حكمُهُ: حكم، ز.
(٦) علم: فاعلم، ز.
(٧) انقطاعاً: انقطاع، ي.
(٨) الحكم: الحكيم، ز.

بين الرحمة والمعونة الذي يتضمن أصول النعم، وقيل: كان[1] يغمه ما يلقى منهم من الأذى، فأمره بالاستعانة عليهم «عَلَى مَا تَصِفُونَ[2]» من خلاف الدين.

۞ الأحكام[3]

يدل قوله: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أنه مبعوث إلى الكافة.

وتدل على[4] أن شرائعه نعمة ولطف للجميع مؤمنهم وكافرهم، وأن الكافر من جهة نفسه أُتِيَ خلاف ما تقوله المجبرة أنه لا نعمة على الكافر.

وتدل على أن أهم الأشياء التوحيد، لذلك بدأ به في الوحي، وهكذا عادة جميع الأنبياء.

وتدل على أن تبقية الكافر اختبار وامتحان.

وتدل الآيات على فساد قول المجبرة من وجوه:

منها[5]: أنه لو أرسل الرسول ليكفروا لم يكن رحمة للجميع.

ومنها: أن الأفعال لو كانت خلقاً له لم يكن للبعثة معنى[6].

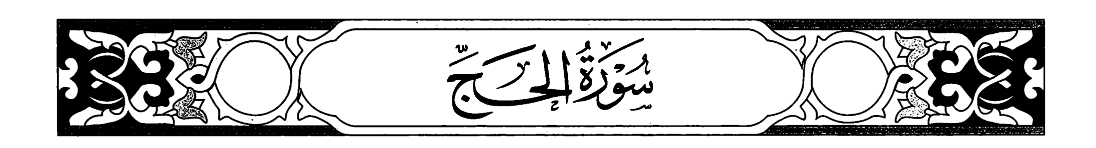
ومنها: قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ كيف يصح ذلك مع أنه ليس إليهم[7].

ومنها: أنه أمر بالاستعانة، ولو كان جميع القبائح منه لم تصح الاستعانة؛ لأنه لا يُؤْمَنُ شَرُّهُ.

ومنها: أنه إذا لم يكن لهم فِعْلٌ فما معنى الاستعانة.

---

(١) كان: +، ي.
(٢) تصفون: يصفون، ي.
(٣) الأحكام: ـ ، م.
(٤) على: +، ي.
(٥) منها: ـ ، ل.
(٦) معنى: منى، ز.
(٧) انه ليس إليهم: ليس لهم إليهم، م.



سورة الحج

سورة (الحج) ثمان وسبعون آية[١]، قيل: مكية غير ست آيات نزلت[٢] بالمدينة[٣] إلى قوله: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾.

وروي[٤] عن ابن عباس أنها مكية الآيات، وعن مجاهد أنها مدنية[٥]، وعن قتادة أنها مدنية إلا أربع آيات: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾، و﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قال القاضي: المنقول أنها مدنية[٦].

وعن أبي[٧] عن النبيﷺ: «من قرأ سورة (الحج) أعطي من الأجر كَحَجَّةٍ حجها، أو عمرة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي».

ولما ختم سورة (الأنبياء) بالدعاء إلى التوحيد وأنه بعثه[٨] رحمة ليعبدوه وحده، افتتح[٩] سورة (الحج) بخطاب الكافة؛ ليتقوا الشرك ومخالفة الرسول فيما دعاهم إليه.

---

(١) ثمان وسبعون آية: ـ ، ي.
(٢) نزلت: فنزلت، ي.
(٣) بالمدينة: في المدينة، ز.
(٤) وروي: روي، ي.
(٥) وعن مجاهد أنها مدنية: +، ل.
(٦) مدنية: مدنية وهي ثمان وسبعون آية، ي.
(٧) مدنية.. وعن أبي: ـ ، ز.
(٨) وأنه بعثه: ـ ، ل.
(٩) افتتح: +، ي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «وترى الناس سَكْرَى وما هم بِسَكْرَىَ» بفتح السين وسكون[1] الكاف بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف وضم السين وفتح الكاف في الحرفين، وهما لغتان، تجمع السَّكْرَان فتقول[2]: سَكْرَى وسكارى مثل كَسْلَى وكسالى، وروي عن عاصم: «ونُقِرَّ» بفتح الراء نسقاً على قوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ والباقون بالرفع على تقدير: ونحن نقر.

(١) سكون: +، ز، ي.

(٢) فتقول: فيقال، ل.

وقرأ أبو جعفر: «وَرَبَأَتْ» بالهمز، وفي (حم) مثله أي: ارتفعت وعلت من قولهم: رَبَأَ الرجل إذا صعد مكاناً مُشْرِفًا، وقرأ الباقون: «وَرَبَتْ[1]» أي[2]: زادت[3]، والقراءة الظاهرة: تَرَى[4] بفتح التاء، وعن بعضهم بضمها.

اللغة

الزلزلة: شدة الحركة، وأصله من قوله: زَلَّتْ قدمه إذا زَالتْ[5] عن الجهة لسرعة[6] ثم صرفت، فقيل: زلزل الله أقدامهم كما قيل: دكّ ودكدك، والزلزلة والزِّلزال بكسر الزاي: المصدر[7]، وبالفتح: الاسم.

والذهول: الذهاب عن الشيء دهشاً وحيرة، وذَهَلْتُ أَذْهَلُ عنه ذهولاً إذا نسيته[8].

المرضعة: المرأة التي[9] ترضع ولدها، وإذا أرادوا الصفة قالوا: مُرْضِعٌ بغيرها نحو: حامل وحائض وطالق[10]، وهذا قول البصريين والكوفيين يقولون: المرضع أن يكون معها[11] ولد لغيرها ترضعه، والمرضعة ذات ولد يَرْضَعُ[12].

والمارد: العاتي[13] الخارج عن الطاعة، سمي بذلك لتمرده في الفساد، وأصله

(١) وربت: ربت، ي.
(٢) وعلت من .... أي: ـ، ز.
(٣) زادت: أزادت، ز؛ ازدادت، ل.
(٤) ترى: +، ي.
(٥) زالت: زلت، ز، م.
(٦) لسرعة: لسرية، ز، ل، م.
(٧) زلزل... المصدر: ـ، ز.
(٨) نسيته: لنسبته، ل.
(٩) التي: +، ي.
(١٠) حائض وطالق: وطالق وحائض، ل.
(١١) معها: معا، ل.
(١٢) يرضع: رضيع، ل.
(١٣) العاتي: الغالي، ي؛ ـ ل.

الملاسة[1]، فكأنه ملس في الخير، يقال للصخرة ملساء مرداء، ومنه: الأمرد[2] الذي لم تَبْدُ لحيته، وشجرة مرداء ومَرَّدَ العصا تمريداً[3] إذا ألقى[4] عنه لِحَاهُ فتركه أمرد، ومنه: ﴿مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]، وَمَرَدَ الرجل يمـرُدُ مَرودًا[5] فهو مارد ومَرِيدٌ ومتمرد[6].

«**مخلقة**» أصله من الخلق في كلامهم يستعمل بمعنيين بمعنى الإنشاء وبمعنى التقدير.

وهامدة: راسية، هَمَدَتْ تَهْمُدُ هموداً، والهُمود: الدُّرُوس، وهمدت أصواتهم: سكنت، وهمد شجر الأرض: بَلِيَ، وهمدت النار طَفِئَتْ، وأرض هامدة: لا نبات فيها، ونبات هامد: ساكن[7].

والاهتزاز[8]: شدة الحركة في الجهات.

والربوة: المكان المرتفع، وفيه لغات أربع تتعاقب[9] الحركات الثلاث على الواو، ربا[10] والربو والرُّباوة وكل شيء زاد وارتفع فقد ربا، وربا الشيء يَرْبُو: زاد، ومَرْبَأَةُ[11] البازي: المكان يقف[12] عليه، والربا في البيع حرام أخذ من ذلك، ويُثَنّى رِبَوَان ورِبَيَان.

والبهجة: الحسن[13]، ونبات بهيج وباهج.

---

(١) الملاسة: الملامسة، ل.
(٢) الأمرد: الأمر، ز.
(٣) تمريداً: مريداً، ل.
(٤) إذا ألقى: ألقاه، ز، ل، م.
(٥) مروداً: مرداً، ز.
(٦) متمرد: ومستمرد، ز، م، ي.
(٧) ساكن: يابس، ز، ي.
(٨) الاهتزاز: والاهترام، ز، ل.
(٩) تتعاقب: تعاقب، ز.
(١٠) ربا: رباوة، ل، م.
(١١) ومربأة: ورباة، ز، ل.
(١٢) يقف: المقف، ز، ل.
(١٣) الحسن: والحسن، م.

۞ الإعراب

«زَلْزَلَةَ» اسم (إن) وخبره: **«شَيْءٌ عَظِيمٌ»**.

(أنه يضله[1] **فتح (أنه)** عطفاً[2] على **(أن)** الأولى للتأكيد، والمعنى: كتب عليه أنه من تولاه يضله، عن الزجاج. والأكثر في التأكيد إسقاط[3] حرف العطف إلا أنه يجوز كما يجوز زيد قائم[4] في الدار، وقيل: إنه[5] بمعنى: لأنه يضله، ومعنى[6] «كُتِبَ عَلَيْهِ» أنه كتب عليه ذلك، وكل موضع يقع فيه أن[7] ويحسن مكانه **(ذلك)**، فـ **(أن)** فيه مفتوحة تقول: علمت[8] أنك ذاهب؛ لأنك تقول: علمت ذلك[9]، و**(ثم)** في قوله: **«ثم لتبلغوا»** قيل[10]: بمعنى الواو، وقيل: مزيدة تقديره: لتبلغوا. **«طفلاً»** نصب على الحال، وأراد يخرجكم أطفالاً، والطفل يكون واحداً وجماعة.

۞ النزول

قيل: نزلت الآيات من[11] أول السورة في غزوة بني المصطلق حي من خزاعة ليلاً، فقرأها على الناس فبكوا وحزنوا في حديث طويل، قال في آخره: «إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة من أمتي، ويدخل من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب».

ونزل[12] قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ في النضر بن الحارث، كان كثير

---

(١) يضله: ـ، ز، ي.
(٢) عطفاً: عطف، ز، ل، م.
(٣) إسقاط: اسقوط، ي.
(٤) قائم: قام، ز.
(٥) إنه: لأنه، ي.
(٦) ومعنى: بمعنى، ل.
(٧) أن: ـ، ل.
(٨) علمت: علت، ز.
(٩) ذلك: ذاك، ل، م، ي.
(١٠) قيل: +، ز، ي.
(١١) من: في، ز، ل.
(١٢) ونزل: ونزل في، ز.

الجدال، فكان[1] يقول: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين، وينكر البعث.

المعنى

ثم خاطب تعالى جميع الخلق وابتدأ بالأمر بالتقوى وعقبه بذكر الوعيد لمن[2] خالف أمره، ثم ذكر أدلة التوحيد، فقال سبحانه: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ»** أراد به المكلفين؛ لأن مَنْ ليس بمكلف لا يدخل في الخطاب **«اتَّقُوا رَبَّكُمْ»** أي: اتقوا عذابه، وقيل: اتقوا معاصيه الموجبة لعذابه يوم القيامة **«إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ»** أي: حركة الأرض يوم القيامة[3]، قيل: الزلزلة بقرب القيامة من أشراطها، وتكون في الدنيا، عن علقمة، والشعبي. وقيل: هو يكون يوم القيامة في حديث مرفوع، رواه الحسن وغيره **«شَيْءٌ عَظِيمٌ»** أي: أمر هائل **«يَوْمَ تَرَوْنَهَا»** قيل الساعة، وقيل: الزلزلة **«تَذْهَلُ»** أي: تشتغل، عن ابن عباس. وقيل: تترك[4]، عن الضحاك. وقيل: تنسى[5] **«كُلُّ مُرْضِعَةٍ»** يعني امرأة رضيعة ذات ولد رضيع **«عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا»** قيل: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، عن الحسن. وخص المرضعة؛ لأنها أشفق على ولدها، وقيل: هو[6] مَثَلٌ، لو كانت[7] هناك مرضعة وحامل لكان حالهما هكذا من[8] هول ذلك اليوم، أما مَنْ حَمَلَهُ على أنه يكون في الدنيا فيصح حمله على حقيقته[9]، وأما من حمله على يوم القيامة فلا بد أن يحمله على أنه قال ذلك على طريق[10] المثل **«وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى»** أي: ترى أيها السامع الناس.

(١) فكان: وكان، ز، ي.
(٢) لمن: من، ز، ل، م.
(٣) إن زلزلة الساعة... القيامة: ـ، ز.
(٤) تترك: تسلو، ي.
(٥) تنسى: تلبس. بدون نقاط، ز، ل، م.
(٦) هو: هذا، ز، ي.
(٧) كانت: كان، ل، ي.
(٨) من: عن، ي.
(٩) حقيقته: حقيقة، ل.
(١٠) طريق: +، ي.

ومتى قيل: لِمَ لَمْ يقل: ترون؟

قلنا: لأنه ذكر[1] على سبيل التشبيه لا على[2] التحقيق إذ لاشك ثَمَّ[3]، وقيل: (ترى) كلمة لا تثنى ولا تجمع، وقيل: معناه كأنهم سكارى من شدة الاضطراب والذهول وليسوا بسكارى في الحقيقة، وقيل: تراهم سكارى من الفزع «**وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ**[4]» من شرب الخمر.

ثم بيّن السبب الذي[5] صاروا لأجله[6] كأنهم سكارى فقال سبحانه[7]«**وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**»؛ إذ عاينوه تحيروا وزالت عقولهم.

ثم حكى عن بعض الكفار مُعَجِّبًا رسوله من حالهم فقال سبحانه: «**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ**» أي: في إثباته[8] وصفاته وما يتصل به من العدل والتوحيد، وقيل: كانت المجادلة في عبادة الأصنام، وقيل: كانت في النشأة الثانية، زعم أنه لا يقدر على إحياء العظام وهي رميم، وفي المعجزات، قيل: جادلوا استخفافاً وهزواً، والمجادلة المخاصمة «**بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ**» يعني لا يعتمد في مناظرته على علم؛ بل يعتمد التقليد فيتبع كل شيطان مريد عاص عاد[9]، قيل: من الجن، وقيل: من الجن والإنس «**كُتِبَ عَلَيْهِ**» قيل: قضى عليه وحكم، وقيل: كتب الله[10] في اللوح المحفوظ «**عليه**» قيل: على الشيطان، وقيل: على المجادل بالباطل «**أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ**» اتبعه ووالاه[11] «**فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ**» عن الدين «**وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ**» يعني قضى أن الشيطان ضَالٌّ يضل ويدعو إلى ما يوجب النار.

---

(١) ذكر: لا كن، ي.
(٢) على: +، ز، ي.
(٣) إذ لاشك ثم: إذ لأسكرتم، ز، ل، م.
(٤) من شدة... بسكارى: ـ، ل.
(٥) الذي: الذي كانوا، ي.
(٦) لأجله: لأجلها، ي.
(٧) سبحانه: «ومن الناس من يجادل في الله»، ل.
(٨) إثباته: آياته، ز، ل.
(٩) عاد: عاصي عادي، ز، ل.
(١٠) تولاه: عليه، ل، م، ي.
(١١) ووالاه: وولاه، ل، م.

ثم ذكر الحجة في البعث، فإن الأقرب أن الجدال كان فيه، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**» خطاب للمكلفين «**إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ**» أي: في شك «**مِنَ الْبَعْثِ**» وهو إحياء الأموات يوم القيامة للجزاء بعد أن صاروا تراباً، فالدليل على صحته «**فَإِنَّا**[1] **خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ**» يعني[2] أصلكم وهو آدم، فمن قدر على أنه يُصَيِّرَ التراب بشراً سوياً حياً في الابتداء يقدر أن يحيي العظام ويعيد الأموات «**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**» أي: ذريته من نطفة وهو المني ماء الفحل، يقال للماء[3] القليل: نطفة، وللماء[4] الكثير: نطفة «**ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**» بأن يصير النطفة علقة وهو الدم الغليظ «**ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ**» بأن[5] يصير العلقة مضغة وهو قطعة لحم «**مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**» قيل: تامة الخلق وغير تامة الخلق، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: مصورة[6] وغير مصورة[7] يعني السقط، عن مجاهد. «**لِنُبَيِّنَ لَكُمْ**» لندلكم على مقدورنا بتصريفه في ضروب من الخلق؛ لأن استحالته في هذه الأحوال أعظم من استحالته مرة واحدة؛ لأن ابتداء[8] الإيجاد أصعب من إعادته، ولأن الابتداء لم يكن واجباً؛ بل كان تفضلاً، والإعادة واجبة لما تضمن من الثواب وانتصاف المظلوم من الظالم «**وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ**» قيل: نبقيه في الرحم ما نشاء إلى التمام[9]، عن مجاهد. وقيل: نقر علقة ومضغة ومخلقة مدة مدة على ما يعلمه تعالى «**إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**» وقت مسمى يخرج الولد عنده «**ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ**» نهاية عقولكم، وكمال قواكم، يعني كما نقلبكم[10] من حال إلى حال في الرحم كذلك نقلبكم بعد الخروج منها، على أنه ينقل من حال الموت إلى الحياة ومن الحياة[11] إلى الموت «**وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى**» تقبض روحه فيموت في حال شبابه أو صغره

(١) فإنا: إنا، ز، ل، م، ي.
(٢) يعني: بمعنى، ي.
(٣) للماء: الماء، ز.
(٤) وللماء: والماء، ز.
(٥) بأن: ثم، ل.
(٦) مصورة: مصور، ز، م.
(٧) مصورة: مصور، م.
(٨) ابتداء: الابتداء، ي.
(٩) التمام: التام، ز.
(١٠) نقلبكم: نقلكم، ل، ي.
(١١) ومن الحياة: ز، ي.

«وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ» قيل: أخبثه عند أهله وأحقره، وقيل: هو الهرم والخَرَفُ[١] «لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَّعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا» يعني يصير إلى حال يعدم عقله أو تذهب عنه علومه هرماً، فلا يعلم شيئاً[٢] مماً[٣] كان علمه، وإذا ذهب أكثره جاز أن يطلق ذلك.

ثم ذكر دليلاً آخر فقال سبحانه: «وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً» يابسة دارسة من أثر النبات[٤] «فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ» وهو المطر «اهْتَزَّتْ» تحركت بالنبات «وَرَبَتْ» زادت بمجيء[٥] الغيث «وَأَنْبَتَتْ» يعني الأرض «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» صنف من النبات «بَهِيجٍ» حسن الصورة والمنظر واللون.

۞ الأحكام

أول الآية يدل على الوعيد بذكر[٦] القيامة وأهوالها، والترغيب في التقوى التي بها النجاة من أهوالها.

ويدل على أن تلك الأهوال لا تَنَالُ من يستحق الثواب، وإنما تنال من يستحق العقاب، خلاف ما قاله بعضهم.

ومتى قيل: أيخشون من تلك الزلازل؟

قلنا: قد أعلمهم الله وأَمَّنَهُمْ، فلا غم عليهم؛ بل يزيدهم ذلك سروراً.

ويدل قوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ على إثبات المجاز في القرآن.

ويدل قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ على أن الجدال في الباطل مذموم، وأن الواجب اتباع العلم، فيبطل التقليد، وقول من يقول: إن المعارف ضرورية.

وتدل على أن اتباع المبطل قبيح؛ لأنها داعية إلى الباطل.

---

(١) والخرفُ: والخوف، ز.
(٢) شيئاً: ـ، ز.
(٣) مما: ما، ز.
(٤) النبات: التراب، ل.
(٥) بمجيء: لمجيء، ز.
(٦) بذكر: في ذكر، ي.

ومتى قيل: إذا كان الشيطان مكتوباً[1] عليه الإضلال فقد صح ما تقوله المجبرة؟

قلنا: في الإضلال المكتوب: مَنْ اتبع الشيطان فهو ضال؛ لأنه قضى عليه الإضلال؛ وذلك[2] أنه لا يلجئه إلى الإضلال؛ بل هو بلطفه[3] يمنعه من الإضلال والضلال.

وتدل على أن الإعادة[4]؛ بما بَيَّنَ من الدلائل من حال الإنسان، وأحوال النبات، ومَنْ تفكر فيها علم أنه قادر على الإعادة.

وتدل على أنه يعيد العظام واللحوم، فيبطل قول من يقول: إن المخاطب جزء في[5] القلب، ولأنه خاطب الناس وبين أنهم خلقوا هذه الخلقة، فيصح قولنافي الإنسان، واستدل إسماعيل بن إسحاق بقوله تعالى: ﴿وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾[6] على أن السقط تنقضي به العدة وإن لم يتبين[7] خلقه من حيث يُعَدُّ في خلق الإنسان[8] كما عُدَّ المخلقة، وأطال القول فيه، وهذا يبعد؛ لأن الغرض بالآية الاحتجاج على المشركين بعد[9] بيان حكم العدة، على أنا إذا حملناه على أنه غير مخلقة أنه غير تمام، بأن يكون أعمى، أو أصم، أو ناقص الخلق، فتنقضي العدة بها[10] بالاتفاق.

---

(١) مكتوباً: مكتوب، ز.
(٢) وذلك: وذكر، ي.
(٣) بلطفه: بلفظه، ز.
(٤) الإعادة: العبادة، ل، م.
(٥) في: وفي، ز.
(٦) وغير مخلَّقة: وغير مخقلة، ز.
(٧) يتبين: تبين، ز.
(٨) الإنسان: الناس، ي.
(٩) بعد: +، ز، ي.
(١٠) بها: منها، ل.

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾

اللغة

يقال: ثنيت الشيء ثنياً، والثِّني: الأمر يعاد مرتين، ومنه: «لا[١] ثِنيَ في الصدقة» أي: لا تؤخذ في السنة مرتين، وامرأة ثِنْيٌ ولدت مرتين، ولا يقال: ثِنْيَةٌ، وثَنَى عطفه إذا أعرض متكبراً، وعِطْفَا[٢] كل شيءجانباه، ومعناه: ثانياً عطفه، وعطفا الإنسان[٣] ناحيتا جسده، ويقال: ثنى عطفه، وثنى جسده، وصَعَّرَ خده، ونأى بجانبه، ولَوَى عنقه، ومال برأسه إذا تكبر.

الحرق[٤] ـ بسكون الراء ـ: من حَرَقْتُ الشيء أي: بَرَدْتُهُ[٥]، فحككت[٦] بعضه ببعض، والحَرَقُ ـ بفتح الراء ـ: قيل: النار بعينها، قال أبو العباس ثعلب[٧]: يقال[٨]: حَرَقُ النار: لهبها، والحريق: الإحراق.

الإعراب

﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ نصب على الحال، تقديره: يجادل ثانياً عطفه.

---

(١) لا: الا، ز.
(٢) وعطفا: أو عطفاً، ز.
(٣) وعطفا الإنسان: وعطفا الإنسان وعطفا الإنسان، ل.
(٤) الحرق: والحرق، ل.
(٥) بردتُه: توريه، ز، ل.
(٦) فحككت: فحلكت، ز.
(٧) ثعلب: ـ، ز، ل.
(٨) يقال: ـ، ي.

ومتى قيل: كيف يكون الحال في هذا، و﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ معرفة؟

قلنا: بل هو نكرة؛ لأن المعنى ثانياً عِطْفَهُ بالتنوين، إلا أنه حذف تخفيفاً، فأضيف[1] إلى[2] ما بعده، ومعناه معنى النكرة[3]، كما يقال: هذا عبد الله ضاربك، والمعنى: ضارباً لك.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ في النضر بن الحارث وكان ينكر البعث ويقول: الملائكة بنات الله، وقد بينا قصته فيما تقدم.

المعنى

لما تقدم ذكر الأدلة بيّن أن ذلك كذلك؛ لأنه القادر على الكمال، فقال سبحانه: «ذَلِكَ[4]» إنما فعل ما تقدم ذكره؛ لأن الله هو الحق، وقيل: ما تقدم من[5] الدلائل إنما دل عليه لأنه هو[6] الحق، عن أبي علي. وقيل: الحق يعني الكائن الثابت، وقيل: أفعاله حق وإذا كلّف[7] فلا بد أن يعيد لإتمام[8] الغرض، ولما تضمن من توفير الثواب والأعواض، «**وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» أما مقدوراته المعدومة فيقدر على إيجادها، ومقدوراته الموجودة يقدر على إفنائها وإعادتها، ويقدر على جميع الأجناس، وفي كل وقت على ما لا نهاية له[9]، ومقدورات العبد[10] يقدر

(١) فأضيف: فأضاف، ز، ل.
(٢) إلى: +، ز، ل.
(٣) النكرة: الكرة، ز.
(٤) ذلك: ـ، ل.
(٥) من: لمن، ز.
(٦) هو: ـ، ي.
(٧) كلف: خلق، ز، ل، م.
(٨) لإتمام: على تمام، ز.
(٩) له: +، ي.
(١٠) العبد: القدر، ي.

أن يُمَكِّنَ منها ويمنع، فهو في الحقيقة قادر على كل شيء «**وَأَنَّ السَّاعَةَ**» أي[١]: القيامة «**آتِيَةٌ**[٢] **لاَ رَيْبَ فِيهَا**» لا شك «**وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**» أي: يحييهم للجزاء «**وَمِنَ النَّاسِ**» أي: بعضهم «**مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ**» أي[٣]: في صفاته وتوحيده وعدله بالباطل وإلقاء الشُّبَهِ[٤] وهم علماء السوء «**بِغَيْرِ عِلْم**» أي: لا يرجع فيما يقوله إلى أصل ولا[٥] علم ولا[٦] دليل «**وَلاَ هُدًى**» ولا دلالة «**وَلاَ كِتَاب**» أي: ولا إلى كتاب «**مُنِيرٍ**» بنوره يؤدي إلى الحق، فمن يشك[٧] به يعني لا يتبع[٨] أدلة العقل ولا أدلة السمع وإنما[٩] يتبع الهوى والتقليد «**ثَانِيَ عِطْفِهِ**» قيل: أمال[١٠] عنقه وأعرض اغتراراً بنفسه وخوفاً على جاهه، وقيل: يلوي عنقه كبراً، عن قتادة، ومجاهد. وقيل: يعرض عما يُدْعَى إليه كبراً، عن ابن عباس، وعطية، وابن زيد. وقيل: معرضاً عن الحق، عن ابن جريج. وقيل: شامخاً بأنفه، عن الضحاك. وقيل: يستنكف[١١] عن قبول[١٢] الحق «**لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» أي: ليضل الناس عن الدين «**لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**» قيل: هوان وذل، وقيل: هو ما لحقهم يوم بدر، وقيل: هو ما يظهر من الخزي بأن ينقطعوا[١٣] وينقبضوا[١٤] عند مناظرة المؤمن وظهور الحجة عليهم «**وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ**» وهو عذاب النار التي تحرقهم، ثم تقول لهم الملائكة يومئذ: «**ذَلِكَ**» أي

(١) أي: ـ ، ز.
(٢) آتية: + ،ي.
(٣) أي: ـ ، ل.
(٤) الشُبهِ: الشبهة، ي.
(٥) أصل ولا: +، ي.
(٦) ولا: +، ي.
(٧) يشك: من تمسك، ز، ل، م.
(٨) لا يتبع: لا ينفع، ل.
(٩) إنما: ، ي.
(١٠) أمال: مال، ي.
(١١) يستنكف: مستكف ،ز.
(١٢) قبول: قول، ز.
(١٣) ينقطعوا: يقتصروا، ل.
(١٤) ينقبضوا: يقتصروا، ز، م.

العذاب «بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ» يعني بما قَدَّمَتْ من العمل، و(يداك) صلة مؤكدة لإضافة الذنب إليهم «وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» في تعذيبهم؛ لأنه عذبهم بما قدموا من الإجرام.

ويقال: لم وصف بأنه ليس بظلام للعبيد على طريق المبالغة، والظلم[١] لا يجوز منه؟

قلنا: فيه قولان:

أولهما: رداً على المجبرة؛ حيث أضافوا إليه كل الظلم، ولو كان[٢] كذلك لكان ظَلَّامًا.

وثانيها: لو فعل قليل الظلم[٣] لكان[٤] ظَلَّامًا، لأنه[٥] يفعله[٦] من غير حاجة، فهو أعظم من كل ظلم[٧].

۞ الأحكام

أول الآيات دلالة على أنه تعالى[٨] يبعث جميع الخلق، وقد بينا أن العقل يوجب بعثة مَنْ له حق لم يُوَفَّرْ عليه في الدنيا، وأن[٩] السمع ورد ببعثة جميع الأحياء[١٠].

وتدل على ذم المجادل بالباطل، فيدخل فيه كل ضال ومبتدع يجادل بالباطل

(١) والظلم: وقيل الظلم، ي.
(٢) كان: كانوا، ي.
(٣) الظلم: الظل، ز.
(٤) لكان: كان، ي.
(٥) لأنه: لأن، ل.
(٦) يفعله: من يفعله، ز، ل، م.
(٧) من كل ظلم: +، ي.
(٨) تعالى: ـ ، ي.
(٩) وأن: لأن، ل.
(١٠) الأحياء: الأنبياء، م.

ويتمسك بالشبهة[1] والتقليد، فنبه بذلك[2] على أن الواجب اتباع الأدلة والمجادلة في الحق[3].

ويدل قوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ على ذم المتكبر، وأن الواجب الانقياد والاستسلام[4] لله تعالى كذلك[5].

ويدل قوله: «**ذلك**» أن العقاب جزاء على المعاصي، خلاف ما تقوله المجبرة.

وتدل على أن أفعالهم غير مخلوقة لله تعالى؛ لذلك جاز توبيخهم بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾[6]

ويدل قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ أنه منزه عن الظلم، وأن الظلم من عمل[7] غيره، فيبطل قول المجبرة: إن كل ظُلْم مِنْ خَلْقِهِ، وأيضاً فإن هذا ورد منزهاً، ولو كان كل ظلم[8] وفاحشة من خَلْقِهِ فكيف[9] ينزه، وكيف يصح ذلك، ولأن عندهم أنه خالق كل ظلم، ولولا خلقه لما كان في الدنيا ظلم، فكأنهم نزهوه عن الاسم وهذا يستحيل.

وتدل على أنه لا يُعَذِّبُ من غير ذنب، ولا يعذب أحداً بذنب غيره، فيبطل قول المجبرة في أطفال المشركين.

---

(١) بالشبهة: الشبه، ز.

(٢) فيه كل ضال . . . فنبه بذلك: ـ ، ل.

(٣) على أن الواجب اتباع الادلة والمجادلة في الحق، ل. فيه كل ضال ومبتدع يجادل بالباطل ويتمسك بالشبه والتقليد فنبه بذلك.

(٤) الاستسلام: والاستسلالم، ز.

(٥) لله تعالى كذلك: +، ي.

(٦) بما: ما، ز.

(٧) عمل: قبل، ي.

(٨) ظلم: ظالم، ل.

(٩) فكيف: وكيف، ل، م.

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ۝١٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وأبو عمرو: «**ثم لِيَقْطَعْ**» بكسر اللام على منتهى الأصل، والباقون بسكون[1] اللام.

وقرأ[2] يعقوب: «**خاسر الدنيا**» بالألف، «**والآخرةِ**» بالجر على أنه اسم الفاعل، والقراء السبعة قرأوا: «**خسر**» بغير ألف على[3] فعل ماض «**والآخرةَ**» بالنصب.

اللغة

الحرف والطرف والجانب نظائر، والحرف: منتهى الجسم، وهو الحد، ومنه قيل[4]: حرف[5] السيف حده[6]، الانحراف الانعدال إلى الجانب، وقلم مُحَرَّفٌ قد انعدل بِقَشْطِهِ[7] عن الاستواء[8] إلى جانب.

(١) بسكون: بكسون، ز.
(٢) وقرأ: قرأ، ز، ل.
(٣) على: +، ي.
(٤) قيل: ـ، ز، ل.
(٥) حرف: وحرف، ز.
(٦) حده: ومنه، ز.
(٧) انعدل بشقطه: عدل بقطه، ي.
(٨) عن الاستواء: +، ي.

والعشير: الصاحب والزوج، والعشير: المعاشر.

والسبب: كل ما يتوصل به إلى شيءيَبْعُدُعنه، ومنه قيل للحبل[1] سبب، والطريق[2] إلى شيء سبب؛ لأنه يتوصل[3] به إلى المقصود، وقيل للباب سبب، وأسباب السماء قيل: أبوابها[4]، وقيل: طُرُقُهَا[5].

والمد مصدر مددت الشيء مدًّا[6]، ومنه: المِدَاد، ومنه: مَدُّ[7] النهار: ارتفاعه، ومنه: مَدَدُ الجيش.

الإعراب

اختلف النحويون في اللام في قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾[8] فقيل: هي صلة ذكر تأكيداً، والمعنى: يدعو من[9] ضَرُّهُ أقرب من نفعه، وكان ابن مسعود هكذا يقرأ بغير لام، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه، عن الفراء، والزجاج. وقيل: إنه على التأكيد معناه: يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو[10]، فحذف[11] يدعو[12] الأخيرة اجتزاء بالأولى، ولو قلت: نصرت[13] لمن خيره أقرب من شره نصرت، وحذفت[14] الخبر جاز، والعرب تقول: عندي لما غيره خير

(١) للحبل: للحساب، ز.
(٢) والطريق: وللطريق، ي.
(٣) لأنه يتوصل: موصل، ز.
(٤) أبوابها: أبوابه، ي.
(٥) طُرُقُها: طرقه، ي.
(٦) مدا: مداً.
(٧) مدُّ: +، ي.
(٨) ضره: ضرورة، ز.
(٩) من: ـ، ز.
(١٠) يدعو: ـ، ي.
(١١) فحذف: محذوف، ي.
(١٢) فحذف يدعو: ـ، ل.
(١٣) نصرت: نصوت، ز.
(١٤) حذفت: من حذفت، ي.

منه[١]، كأنه قال: الذي غيره خير منه عندي[٢]، ثم يحذف الخبر من الثاني والابتداء من الأول، كأنه قال: عندي شيء غيرها خيرمنه، وقيل: «**يدعو**» يعني يقول، والخبر محذوف تقديره: يقول لمن ضره أقرب من نفعه [هو][٣] آلهة، قال عنترة:

يدعون: عَنْتَرُ والرماح كأنها   أَشْطَانُ بِئْرٍ في لَبَانِ الأدهم

أي: يقولون: يا عنتر، وقيل[٤] يدعو من أجله.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ وموضع (**ذلك**) نصب بـ(**يدعو**)، وهو بمعنى (الذي)، كأنه قيل: الذي هو الضلال[٥] البعيد يدعو، ثم استأنف فقال: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ ويكون في محل الرفع بالابتداء وخبره: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ ، عن الزجاج.

❁ النزول

قيل: كان بعضهم إذا قدم[٦] المدينة مهاجراً وصح جسمه، ونتجت مهرته[٧] مهراً حسناً، وولدت امرأته غلاماً، وكثرت ماشيته، رضي به واطمأن إليه، وقال: ما أصبت مذ دخلت هذه[٨] الدار إلا خيراً، وإن أصابه وجع بالمدينة، أو ولدت امرأته جارية، أو ذهب ماله وأُخِّرَتْ عنه الصدقة[٩] قال: ما أصبت مذ كنت على ديني[١٠] هذا إلا شراً، فنزلت الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ ، عن ابن عباس.

---

(١) عندي لما غيره خير منه، ي؛ عندي غيره غيره خير منه، ل.
(٢) عندي: +، ي.
(٣) هو: +، تفسير التبيان ٧/ ٢٩٧.
(٤) وقيل: وهو، ز، ل، م.
(٥) الضلال: للضلال، ي.
(٦) قدم: نزل، ي.
(٧) مهرته: فرسه، ي.
(٨) هذه: هذا، ز.
(٩) الصدقة: الضرورة، ز.
(١٠) ديني: زمني، ز، ل، م.

وقيل: نزلت في بني أسد بن خزيمة جاءوا إلى رسول الله ﷺ وسألوه[١] أفضاله، فإن أعطاهم[٢] قالوا: نِعْمَ الدين هذا، وإن منعهم[٣] قالوا: نرجع إلى الشرك.

وقيل: نزلت في المنافقين، عن أبي علي؛ لأنه يَمْدَحُ الدين في وقت ويذمه في وقت.

وقيل: نزلت في ضعفة المسلمين؛ لأن المسلم يكون منقلباً على وجهه بالارتداد، والمنافق يكون كافراً أبداً. وقيل: المنافق إذا مدحه ثم ذمه، كأنه انقلب على وجهه.

وقيل: نزل قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ في أسد وغطفان، تثاقلوا عن الإسلام، قالوا: نخاف أن يُنْصرَ محمد فيقطع الذي بيننا وبين اليهود من الحلف فلا يميرونا.

۞ المعنى

قد تقدم في الآيات الثلاث ذكر مخالفي الحق، فذكر في الأولى فساد قول[٤] المقلدين في الضلالة، وفي الثانية حال الدعاة[٥] إلى الضلالة، ثم عقبه بذكر المضطرب في اعتقاده ولا يستقيم على طريقة؛ بل يتبع مراده في دنياه، فقال سبحانه: «**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ**» أي[٦]: على ضعف في العبادة كضعف القيام «**عَلَى حَرْفٍ**» يعني يكون مضطرباً، وقيل: على جانب لا يدخل فيه على ثبات وتمكين، وقيل: على شك، عن مجاهد. وقيل: على طريقة واحدة في الأحوال كلها يتبع مراده لا يدخل[٧] في الدين بتمكين[٨]، وقيل: أراد المنافق يعبده بلسانه دون

---

(١) وسألوه: وسألوا، ل.
(٢) أعطاهم: أعطوه. وفي ل: أعطوا، ز.
(٣) منعهم: منعوا، ل.
(٤) قول: ـ ل.
(٥) الدعاة: الدعاء، ز.
(٦) أي: يعني أي، ز، ل، م.
(٧) فيه على . . . لا يدخل: ـ ، ل.
(٨) بتمكين: على تمكين، ي.

قلبه، عن الحسن[١]، قال الحسن: الدين حرفان: أحدهما اللسان، والثاني القلب، فمن اعترف باللسان ولم يساعده قلبه فهو على حرف. «فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ» أي: صحة في بدنه وسعة في معيشته «اطْمَأَنَّ بِهِ» أي: سكن إليه «وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ» بلاء في جسمه وضيق في معاشه «انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ» أي: رجع إلى وجهه الذي كان عليه من الكفر[٢]«خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ» أي: ذهب حظه في الدارين من العز والكرامة «ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» البين[٣] الظاهر «يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعني مَنْ يعبد الله على حرف يعبد من دونه وينحاز إليه من دون الله «مَا لاَ يَضُرُّهُ وَ[مَا] لاَ يَنْفَعُهُ» يعني الأوثان لا تنفع ولا تضر، وقيل: لا ينفعه إن أطاعه ولا يضره إن عصاه «ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ» أي: الذهاب عن الحق ذهاباً بعيداً «يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» قيل: الأصنام، وقيل: الرؤساء.

ومتى قيل: إذا كان الصنم لا ينفع ولا يضر، فكيف قال[٤]﴿ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾؟

قلنا: قيل[٥]: معناه: هو لا ينفع وعبادته تضر، وقيل: معناه قرب ضره[٦] ونفعه بعيد أي: غير كائن، والعرب تستعمل البعد في النفي كقوله: ﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق:٣]، وقيل: كانوا ينتفعون بقليل النفع في الدنيا لأجل موالاة عبدة الأوثان، وقيل: المولى المتبوع، والعشير التابع، وقيل: المولى ابن عم، يعني بئس القوم بنو[٧] عمهم بما يدعونهم إليه من[٨] الضلال، عن الحسن.

ثم بين ما يُنالُ باتباع أمره إذا كان من تقدم ينال باتباعهم الضلال[٩]، فقال

(١) عن الحسن: +، ي.
(٢) انقلب على . . . الكفر: +، ي.
(٣) البيت: ـ ، ز.
(٤) فكيف قال: قال قال، ز.
(٥) قيل: +، ي.
(٦) ضره: +، ي.
(٧) بنو: بني، ز، ل، م.
(٨) من: في.
(٩) الضلال: العذاب، ي؛ ـ ، ز.

سبحانه: «**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**» أي: من تحت أشجارها وأبنيتها «**إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**» فيجازي كل واحد[1] بعمله «**مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ**» الهاء في قوله: «**ينصره**» اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: أنه ضمير عن النبي ﷺ.

وثانيهما: أنه ضمير عن قوله: «**مَنْ كَانَ يَظُنُّ**».

فمن ذهب إلى القول الأول اختلفوا في معنى الآية، فقيل: من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه، وأنه لا[2] يتهيأ له أن يغلب نبيُّه محمدٌ[3]، ويزيل عنه[4] نصر الله «**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ**» أي: ليطلب شيئاً ليتصل به إلى السماء وهي[5] السماء المعروفة، فيقطع نصر الله لنبيه عنه «**فَلْيَنظُرْ**» هل يتهيأ له الوصول إلى السماء بكيده وبسبب يحتاله، وهل يتهيأ له أن يقطع أمر[6] الله عن نبيه[7]، وأن يزيل بحيلته[8] ما يعطيه الله من نصره، فنبه[9] سبحانه وتعالى أنه كما لا يتهيأ لهم الوصول[10] إلى السماء ويقطعون بها نصر الله كذلك لا يتهيأ لهم[11] إزالة ما يغيظهم[12] مِنْ أَمْرِ الرسول ﷺ ونصره على أعدائه، وإنما ذكر السماء؛ لأن النصر يأتيه من قِبَلِ السماء ومن قبل الملائكة الذين ينزلون من قبل السماء، وهذا قول شيخنا أبي علي رحمه الله.

وقيل: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه فليمدد بسبب إلى السماء، أي: بِحَبْلٍ

---

(١) واحد: أحد، ي.
(٢) لا: +، ي.
(٣) محمد: محمداً، ز، ل، م.
(٤) عنه: ـ، ل.
(٥) وهي: وهو، ي.
(٦) امر: نصر، ي.
(٧) نبيه: نفسه، ي.
(٨) بحيلته: بحيلة، ي.
(٩) فنبه: نبيه، ي.
(١٠) الوصول: الوصل، ز.
(١١) لا يتهيأ... لهم، ـ، ي.
(١٢) يغيظهم: نغظيهم، ز، ل، م.

إلى سقف البيت فليختنق به حتى يموت، ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق، «**فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ**» وحيلته[1] «**مَا يَغِيظُ**[2]»، ومعناه: ليتصور هذا الأمر في نفسه وليس بحتم، عن قتادة وجماعة من المفسرين[3].

وقيل: السماء هي السماء المعروفة، والمعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكايده في دينه وأمره ليقطعه عنه[4] فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه[5] فإن أصله في السماء «**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ**[6] **ثُمَّ لِيَقْطَعْ**» عن النبيﷺ الوحي[7] الذي يأتيه من الله؛ فإنه لا يكايده حتى يقطع عنه أصله «**فَلْيَنظُرْ**» هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل، عن ابن زيد.

وقيل[8]: إنه نزل في قوم قالوا[9]: لعل محمد لا يُنْصَرُ! فقال: من استعجل نصر الله فليختنق، فلينظر استعجاله لذلك في نفسه هل هو مذهب غيظه، كذلك استعجالهُ من الله نَصْرَ محمد غَيْرُ مُقَدِّمٍ نصره قبل حينه.

وروي عن ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين أن الضمير يعود إلى النبيﷺ وعلى[10] آله، وهو قول أبي علي.

ومن قال الضمير يعود إلى«**من كان يظن**»[11] وهو رواية عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبي مسلم اختلفوا؛ فقيل: من كان من الناس يظن أن الله لا

(١) وحيلته: وحلته، ز.
(٢) ما يغيظ: ـ، ي.
(٣) المفسرين: والمفسرين، ي.
(٤) عنه: عليه، ل.
(٥) ياتيه: بماتيه، ل.
(٦) السماء: +، ي.
(٧) الوحي: بالوحي، ل.
(٨) وقيل: وكل، ز.
(٩) قالوا: ـ، ي.
(١٠) على: ـ، ز.
(١١) كان يظن: يظن، ل، م، ي.

ينصر فليفعل كذا وكذا، والمراد فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع يعني[١] من لا يصدق بأن الله ينصره[٢] فليدَعْ الإيمان به واتباع الله وليجهد جهده ويصعد السماء بحبل وهو السبب، فلينظر هل ينفعه كيده في إزالة غيظه لما يدعى إليه من دين الله، فإن الذي حكم به[٣] لا يبطل بكيد[٤] الكائد، والمراد بالقطع قطع المسافة، عن أبي مسلم.

وقيل: المراد بالنصر الرزق، يقال: أرض منصورة ممطورة، يعني من ظن أن الله لا يرزقه في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء فليخنق نفسه هل يذهب عنه[٥] ما يغيظ وهو خنقه ألا يرزق[٦]، وأراد: مَنْ استبطأ رزقه فليجهد ثم ينظر[٧] هل يمكنه يكثر رزقه.

وقيل: المراد بالآية و الغرض الانقطاع إلى الله تعالى وطلب النصر والرزق من جهته، يعني مَنْ طلب النصر والرزق من غير الله فَلْيُقَلْ له حتى يجتهد[٨] ويصعد إلى السماء ويمد حبلاً ويحتال كل حيلة في تحصيل النصر والرزق، فمع[٩] هذه الحيلة لا يقدر على ما يُذْهبُ غيظه من أمر النبي ﷺ[١٠] أو من النصر، أو من الرزق.

وعلى كل الأقوال اتفقوا أن الآية ليس بأمر وإنما هي إيعاد.

«فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ» بحبل **«إِلَى السَّمَاءِ»** قيل: السماء المعروفة، وهي سماء الدنيا ليقطع الوحي، عن ابن زيد. وقيل: السماء[١١] السقف، عن ابن عباس. **«ثُمَّ لْيَقْطَعْ»**

(١) يعني: +، ي.
(٢) ينصره: لا ينصره، ز، ل، م.
(٣) به: +، ي.
(٤) بكيد: بكيده، ز، ل، م.
(٥) عنه: عنده، ل.
(٦) ألا يرزق: لا يرزقه، ز.
(٧) ينظر: لينظر، ز.
(٨) يجتهد: يجهد، ي.
(٩) فمع: فعلى، ز.
(١٠) صلى الله عليه وسلم: +، ز.
(١١) السماء: للمؤمن من. ز، ل، م.

ذلك الحبل، والسبب: الحبل، عن الفراء وأكثر المفسرين[١]. وقيل: ثم ليقطع المسافة إلى السماء في تحصيل ذلك، عن أبي مسلم. وقيل: فليقطع نصر الله عن نبيه، عن أبي علي[٢]؛ لما ذكرنا أن النصر يأتيه من السماء «**فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ**[٣]» يعني ما يقوم من مد السبب إلى السماء «**مَا يَغِيظُ**» قيل: ما يغيظه، فحذف الهاء تخفيفاً، وقيل: هو بمعنى المصدر أي: هل[٤] يذهبن كيده غيظه، والمعنى إذا كان كيده لا يغني عن غيظه شيئاً فالواجب التسليم لأمر الله وألاَّ يغتاظ على ما فعل تعالى.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ﴾[٥] الآية أن الواجب عند البلاء الصبر، كوجوب الشكر عند[٦] النعمة، وهذه صفة المؤمنين[٧]، كما روي مرفوعاً: «عجباً للمؤمن[٨]، إن أمره كله خير، إن أصابه سوء[٩] صبر فهو خير، وإن أصابه خير شكر فهو خير[١٠]»، وهذا إنما هو على مذهب من يعتقد العدل والتوحيد؛ لأنه يعتقد أن جميع ما يفعله تعالى ففيه مصلحة له[١١] وخير[١٢]، فإن أصابته[١٣] نعمة علم أن مصلحته فيها فيشكره[١٤]، وإن أصابته محنة علم أن مصلحته فيها فيصبر، فأما على مذهب الجبر

---

(١) وأكثر المفسرين: وكثير من المفسرين، ي.
(٢) أبي علي: أبي مسلم، ز.
(٣) ما يغيظ: +، ز.
(٤) هل: ـ، ز.
(٥) أصابه: أصابته، ي.
(٦) عند: على، ل.
(٧) المؤمنين: المؤمن، ز، ل.
(٨) للمؤمن: +، ي.
(٩) سوء: سيئة، ي.
(١٠) خير: ـ، ز، ل.
(١١) له: ـ، ز.
(١٢) وخير: ـ، ي.
(١٣) فإن أصابته: وإن أصابه، ل.
(١٤) فيشكره: فيكشره، ز.

فلا يأمن أن تكون النعمة استدراجاً الى النار، والمحنة عقوبة، فكيف[1] يصح ذلك.

وبعد فإن المؤمن لا يخلو من هذين أبداً، يكون بين شكر وصبر، وكلاهما عبادة، فلذلك[2] قال ﷺ: «عجباً للمؤمن. . .» الخبر.

ويدل قوله: «يدعو» على أن الواجب الانقطاع إلى الله تعالى في جميع الأحوال دون غيره؛ فإن في الحقيقة النفع والضر إليه.

ويدل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أن الجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح، خلاف قول المجبرة والمرجئة.

وتدل على أن الأعمال الصالحة فِعْلُ العبد، فيبطل قولهم في المخلوق.

ويدل قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ الآية أن النصرة تُطْلَبُ من جهته، وأن من طلبها من جهة غيره لا ينالها وإن احتال كل حيلة، وأن أمور[3] الله تعالى لا يمكن إزالتها بالحيلة[4].

قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾

---

(١) فكيف: وكيف، ي.

(٢) فلذلك: فكذلك، ز، ل، م.

(٣) أمور: أمر، ي.

(٤) بالحيلة: بالحية، ز.

۞ القراءة

قراءة العامة: «مُكْرِمٍ» بكسر الراء، أي: ليس أحد يكرمه، وقرأ ابن أبي عبلة[١] بفتح الراء، أي: إكرام، كقوله: ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٣٠]، و﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩] أي[٢]: إدخالاً وإنزالاً.

۞ اللغة

الفصل: إظهار الحق، وأصله: إبانة الشيء من الشيء[٣]، ومنه سمي المِفْصَلُ، والمفَصَّلُ لكثرة السور.

والشهيد: العالم بما من شأنه أن يشاهد، والله تعالى يعلمه قبل كونه؛ لأنه علام الغيوب.

والسجود: الخضوع، والسجود بالأعضاء[٤]، وهو في الشرع: عبارة عن فعل مخصوص.

والهُونُ: الهوان[٥]، وأهانه يهينه إهانة إذا أذله[٦]، [والهاوُنُ] والهاوُون الذي يُدَقُّ فيه، عربي صحيح، فاعول من الهون، ولا يقال: هاون؛ لأنه ليس في كلامهم فاعل.

۞ الإعراب

يقال: أين[٧] خبر (إن)؟

قلنا: (إن) الثانية، كما تقول[٨]: إن زيداً إن الخير عنده كثير، قال الشاعر:

---

(١) ابن أبي علي عبلة، ز.
(٢) أي: ـ ، ل.
(٣) من الشيء: ـ ، ي.
(٤) بالأعضاء: الأعضاء، ز، ل، م.
(٥) الهوان: والهوان، ز، ل، م.
(٦) إذا أذله: أراد له، ي.
(٧) أين: ليس، ز.
(٨) تقول: يقال، ي.

إن الـخـلـيـفـة إن الله سَـرْبَـلَـهُ سِرْبَالَ ملك به تُرْجَى الخواتيم[١]

وزعم الفراء أنه لا يجوز: إن زيداً إنه قائم[٢] لاتفاق[٣] الاسمين، قال الزجاج: يجوز، وقيل: لما طال[٤] الكلام يجوز.

ويقال: ما الواو في قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ﴾؟

قلنا: واو العطف، وقيل: واو الاستئناف، تقديره: وكثير حق عليه العذاب لكثرة إبائه[٥] السجود.

المعنى

ثم بيّن تعالى أنه أنزل الآيات حجة، وأنه يَفْصِلُ بين الخلق[٦] بالعدل[٧]، فقال سبحانه: «**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ**[٨]» **يعني كما أنزلنا الكتب والحجج أنزلنا القرآن، وقيل: أنزلنا القرآن مشتملاً على جميع ما يحتاج** «**آيَاتٍ**» حججاً «**بَيِّنَاتٍ**» واضحات، قيل: حجج على التوحيد والعدل والشرائع، وقيل: دلالة على صدق نبيه، عن أبي علي. «**وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ**» يعني يدله[٩] بدلائله[١٠] إلى دينه وهم المكلفون؛ لأنهم الذين يريدهم بالتكليف، وقيل: يهديهم[١١] إلى طريق الجنة «**مَنْ يُرِيدُ**» وهو من آمن به وعمل صالحاً[١٢]، وقيل: يلطف لمن يريد، من يعلم أنه إذا زاده[١٣] هدى ثبت

(١) البيت لجرير يمدح الوليد بن عبد الله، انظر ديوان جرير.
(٢) قائم: قام، ز، ل، م.
(٣) لاتفاق: لا يفارق، ل، م، ي.
(٤) طال: لمطال، ز، ل، م.
(٥) لكثرة إبائه: أكثره وإبائه، ز، ل، م.
(٦) الخلق: الحق، ز، م.
(٧) بالعدل: ـ، ز.
(٨) أنزلناه: أنزلنا، ز، ي.
(٩) يدله: +، ي.
(١٠) بدلائله: بدلالة، ز، م.
(١١) يهديهم: يهدي، ز، ي.
(١٢) وعمل صالحاً: +، ي.
(١٣) زاده: زاد، ي.

على إيمانه، عن الحسن. وقيل[1]: معناه لأن الله يهدي، فحذف اللام لدلالة الكلام عليه، عن أبي مسلم. «**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**» بمحمد وقبلوا دينه «**وَالَّذِينَ هَادُوا**» هم اليهود، وقيل[2]: نسبوا إلى يهودا، وقيل: من قوله[3] ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، «**وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**» قال قتادة: الأديان ستة، خمسة للشيطان وواحد للرحمن، قال أبو مسلم: المذكورون بأصنافهم[4] فرقتان، مؤمنة وكافرة، فالمؤمن من آمن بمحمد، والكافرة[5]: اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا «**إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**[6]» أي: يحكم بينهم يوم القيامة[7]، قيل: يُبَيِّنُ المحق من المبطل بما يضطرهم إليه من العلم، وقيل: بما يظهر[8] من الأمارات، فتبيض وجوه وتسود وجوه ونحوها «**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**» عليم[9] بأحوالهم يجازي كل أحد بعمله، وقيل: «**شهيد**» عليم بما عُلِمَ منهم مبالغة في إبلاء العذر في عقوبتهم.

ثم بيّن كمال قدرته، فقال سبحانه: «**أَلَمْ تَرَ**» يا محمد، وقيل: ألم تر أيها السامع، وقيل: تر: تعلم، والرؤية بمعنى العلم، وقيل: بل[10] الرؤية بالبصر، والأول أصح، كأنه قيل: ألم تر بعقلك وقلبك[11] «**أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي**[12] **الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**» قيل: بمعنى[13] تخضع له فيصرفها كما يشاء، قال الشاعر:

---

(١) وقيل: قيل، ز، ل، م.
(٢) وقيل: قيل، ي.
(٣) من قوله: قولهم، ز، ل، م.
(٤) بأصنافهم: بأصنامهم، ز.
(٥) والكافرة: والكافر، ز، م.
(٦) يوم القيامة: ـ ، ي.
(٧) يوم القيامة: +، ي.
(٨) بما يظهر: يظهر، ي.
(٩) عليم: عالم، ل.
(١٠) بل: لل، ز، ل، م.
(١١) وقلبك: وبقلبك، ي.
(١٢) من في: ـ ، ل.
(١٣) بمعنى: ـ ، ز، ي.

بِجَمْعٍ تَظِلُّ البُلْقُ في حَجَراته ... ترى الأُكْم فيها سُجَّداً لِلْحوافر[1]

وقيل: ما فيه من التسخير[2] وآثار الصنعة يدعو إلى سجوده وعبادته، فكأنه يسجد[3]، وقيل: سجود المؤمن: ما يفعله من العبادة، وسجود كل شيء سوى المؤمن: سجود ظله حين تطلع الشمس وحين تغيب، عن مجاهد. كأنه يجعل ذلك لما فيه من العبرة بتصريف الشمس في دورها[4] عليه، فأما ما يرويه الحشوية[5] أن الجمادات تسجد فلا يصح؛ لأن الجماد لا يعقل ولا يقدر، فإيجاد الفعل منه محال «**وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**» يسجد[6] طوعاً وهم المؤمنون «**وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ**» قيل: بإبائه السجود، وقيل[7]: بل[8] هو يسجد لما يقتضيه عقله من الخضوع[9]، وإن كفر بغير[10] ذلك من الأمور، عن مجاهد. «**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ**» من مُعِزٍّ له ينجيه من العذاب ويدخله الجنة، وقيل: من يُهِنْهُ الله في الدنيا والآخرة بأن يشقيه فما له من مكرم يُسْعِدُهُ.

الأحكام

يدل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾[11] على[12] كون[13] القرآن حُجَّةً في الأحكام.

---

(1) البيت لزيد الخيل، انظر: الكامل للمبرد: ٢/١٥٦.
(2) التسخير: الشجر، ز، ل، م.
(3) يسجد: سجد، ل.
(4) دورها: درورها، ز، ل، م.
(5) الحشوية: الحشو، ي.
(6) يسجد: يجسد، ز.
(7) وقيل: قيل، ي.
(8) بل: ـ، ل.
(9) الخضوع: الجوع، ز، ل، م.
(10) في جميع النسخ: بعد. وما أثبتناه من التبيان في تفسير القرآن: ٧/٢٩٦.
(11) وكذلك أنزلناه آيات بينات: ـ، ي.
(12) على: على أن، ل، م.
(13) كون: +، ي.

وتدل على أنه يصح معرفة المراد منه[1] من غير إمام؛ خلاف قول الإمامية.

وتدل على أن بالنظر[2] في الأدلة يعرف الدين، فيبطل قول أصحاب المعارف.

ويدل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أن هذه أسماء[3] دينية بعضها اسم مدح، وبعضها اسم ذم، واستدل بعضهم بالآية على أن المشرك غير اليهود والنصارى لأجل العطف. وقيل: لا يدل على ذلك نحو أن يعيد ذكرهم تفخيماً لأمرهم، كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وإلا فالمشرك اسم عام للكفر، وأي شرك أعظم من شرك النصارى.

وتدل على أنه يفصل يوم القيامة بين الخلق بالعدل، بأن[4] يبين المحق من المبطل، وينتصف للمظلوم من الظالم.

وتدل على أنه يُعَوِّضُ المظلوم على ما نقوله.

ويدل قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ الآية[5] على كمال قدرته في تسخير الأشياء، وإجرائها على حسب إرادته.

قوله تعالى:

﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) منه: به، ز، ل، م.
(٢) بالنظر: النظر، ز، ل، م.
(٣) أسماء: الأسماء، ل.
(٤) بأن: على أن، ز.
(٥) الآية: ـ، ل.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم: «ولؤلؤا» بالنصب، وفي (فاطر) مثله على معنى: ويُحَلَّوْنَ لؤلؤاً، والباقون بالجر فيهما عطفاً على الذهب، وقرأ يعقوب هاهنا بالنصب وفي (فاطر) بالجر اتباعاً للمصحف؛ لأنه كتب هاهنا بالألف وهناك بغير ألف في جميع المصاحف، واختلفوا في إثبات الألف(١) هاهنا، فقال أبو عمرو: أثبت كما أثبت في قالوا وكالوا، وقال الكسائي: أثبتوها فيه للهمزة، ولأن الهمزة حرف من الحروف.

۞ اللغة

الخصم: معروف، والذكر والأنثى والواحد والجمع سواء، يقال: رجل خَصْمٌ، ورجلان خَصْمٌ، ورجال خَصْمٌ، ونساء خَصْمٌ، وإنما جاز ذلك لأنه مصدر، وتقديره: ذو خصم(٢)، قال الله(٣) تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] وقد بينا(٤)، ويقال(٥): خصمان وخصوم، والخِصَامُ مصدر خاصمته مخاصمة وخصاماً، والخصم يكون جمعاً أيضاً، والخصم: المخاصم.

والحميم: الماء الحار المغلى.

والصهر: الإذابة، يقال: صهرت الأَلْيَةَ بالنار أي: أذبتها، أصهرها صهراً، قال الشاعر:

تُصْهِرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهِرْ(٦)

---

(١) الآلف: الاب. وفي ز: الأف، ل، م.
(٢) ذو خصم: وخصم، ل، م.
(٣) الله: +، ل.
(٤) بينا: وقدمنا، م.
(٥) ويقال: فيقال، ل، م.
(٦) البيت لابن أحمر وتكملته:
تروي لقى الشمس ألقي في صفصف ... تصهره الشمس فما ينصهر

والمِقْمَعَةُ: مدقة الرأس، والجمع: مقامع، وقمعته: ضربته، وأصل القمع: الردع عن الأمر قمعاً، ومنه: المِقْمَعَةُ[1] لأنه يردع، ومنه قمعته: أذللته.

الإعراب

قيل: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ يرجع إلى الفريق المذكور فهم خصمان فرقتان: مؤمنة، وكافرة، وقيل: هو استئناف و﴿هَٰذَانِ﴾ ابتداء و﴿خَصْمَانِ﴾ خبره.

و«**ثياب**» اسم ما لم يسم فاعله و﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ كذلك.

«**أساور**» فاعل، وهي لا تنصرف؛ لأنها جماعة، ثالث حروفها ألف وبعد الألف حرفان.

النزول

قيل: نزلت في ستة نفر برزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث من أصحاب النبي ﷺ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة[2]، والوليد بن عتبة، عن[3] أبي ذر، وعطاء، وكان أبو ذر يقسم بالله أنها نزلت فيهم.

وقيل: هم أهل القرآن[4]، وأهل الكتاب، اختصموا، وقالت كل فرقة: نحن أَوْلَى بالحق، عن ابن عباس.

وقيل: هم المؤمنون والكفار[5] كلهم، عن مجاهد، والحسن، وعطاء، وعاصم، والكلبي.

وقيل: هما الجنة[6] [و] النار، اختصما، عن عكرمة، وهذا لا يصح إلا أن يحمل على مخاصمة أهل النار وأهل الجنة[7].

---

(١) المقمعة: القمعة، ي.

(٢) وعتبة وشيبة ابنا ربيعة: وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ي.

(٣) عن: ابن، ز.

(٤) القرآن: الفرقان، ز.

(٥) والكفار: والكافرون، ي.

(٦) هما الجنة: هم أهل الجنة وأهل، ز، ل، م.

(٧) النار وأهل الجنة: الجنة والنار، ي.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بيّن تعالى ما أعد لكل واحد من الفريقين، فقال سبحانه: «هَذَانِ خَصْمَانِ» أي: جمعان[1] يختصمون: فرقة مؤمنة وفرقة كافرة؛ لأن المؤمنين كلهم فرقة، والكفار كلهم فرقة مع اختلافهم، وكل واحد من الفريقين مخاصم للآخر «اخْتَصَمُوا» تنازعوا «فِي رَبِّهِمْ» قيل[2]: في دينه وأمره، وقيل: في ذاته وصفاته، فالمؤمنون يجمعهم الحق[3] وهو القول بالتوحيد، ونفي التشبيه، ونفي الاثنين، والقول بالتعديل ونفي الجور، والقول بالنبوات، والشرائع والاحتجاج لذلك، والكفار يجمعهم القول بالباطل، ويحتجون لباطلهم.

ثم بيّن ما لهم، فقال سبحانه: «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ» قيل: يجعل لهم ثياب من[4] نحاس من نار، وهي أشد ما يكون حَمًّا، عن سعيد بن جبير. وقيل: تحيط النار بالكفار فتصير لهم[5] في حكم الثياب لهم لإحاطتها بهم[6]، وقيل: كما تخلع على المؤمن ثياب الجنة تخلع على الكفار[7] ثياب من نار ليزداد عذابهم، كقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، وكقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:١٦]، «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ» فينفذ إلى أجوافهم فتسلب ما فيها «يُصْهَرُ» يذاب «مَا فِي بُطُونِهِمْ» أي تذيب ما فيه من الكبد والأفئدة والأمعاء[8]» أي: تشوى جلودهم فتتساقط «وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ» سياط من حديد يُضربون بها عقوبة لهم «كُلَّمَا أَرَادُوا» الخروج من النار ضربتهم الخزنة بأعمدة الحديد فيردونهم إلى النار، وقيل: يرفعهم زفيرها ولهبها حتى إذا كادوا «أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا» ضربوا بالمقامع حتى

(١) أي: جمعان: ـ، ل.
(٢) قيل: +، ز، ي.
(٣) الحق: الخلق، ز.
(٤) من: ـ، ز، ل.
(٥) لهم: +، ي.
(٦) بهم: عليهم، ي.
(٧) على الكفار: للكفار، ي.
(٨) أي تذيب... والأمعاء: +، ز، ي.

يهووا[1] فيها، وقيل[2]: إذا[3] أرادوا الخروج من نار مخصوصة أعيدوا في نار أخرى، والأول أصح «**وَذُوقُوا**» أي: قيل لهم؛ يعني الملائكة يقولون لأهل النار: ذوقوا «**عَذَابَ الْحَرِيقِ**» كالأليم، يعني المؤلم.

ثم بين تعالى[4] حال الفرقة المحقة[5] وما أعد لهم، فقال سبحانه: «**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» يعني الجنة تنال بِهِمَا: العمل الصالح مع الإيمان «**جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**» من تحت أبنيتها وأشجارها، قال أبو مسلم: والجنة اسم يقع على النخيل والأشجار أيضاً، «**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**» وهو جمع سوار، وهي حلية اليد «**وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**» يعني الديباج، والرجال يحشرون على وجه تَحْسُنُ عليهم هذه الزينة كما تحسن للنساء في الدنيا «**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ**» قيل: أرشدوا في الجنة إلى[6] التحيات الحسنة يحيي بعضهم بعضاً، وتحيتهم: شهادة أن لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله[7]، عن ابن زيد. وقيل: البشارات التي تجيئهم من الله تعالى على ألسنة الملائكة، عن أبي علي. وقيل: هو الكلام الحسن، فلا يسمعون في الجنة إلا ما يحبون، وقيل: هدوا[8] في الدنيا إلى الطيب من القول وهو الإيمان «**وَهُدُوا**» أرشدوا «**إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**» قيل: الدين، وقيل: إلى طريق الجنة، و«**الحميد**» قيل: المستحق للحمد، وقيل: المتحمد[9] إلى عباده بنعمه، عن الحسن. أي: الطالب منهم أن يحمدوه، وعن النبي ﷺ: «ما أجد أحب إلى[10] الله الحمد عن ذكره».

---

(١) يهووا: يهدوا، ي.
(٢) وقيل: وقيل وقيل، ز.
(٣) إذا: ـ ، ي.
(٤) تعالى: ـ ، ي.
(٥) المحقة: المعدة، ل.
(٦) إلى: ـ ، ز.
(٧) والحمدلله: ـ ، ل.
(٨) هدوا: وهدوا، ي.
(٩) المتحمد: المستحمد، ي.
(١٠) إلى: ـ ، ي.

۞ الأحكام

تدل الآيات أن المكلفين فرقتان: مؤمنة، وكافرة، فتدل[1] على مذهب أبي حنيفة أن الكفر كله[2] ملة واحدة، ويدل عليه[3] قوله[4]﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وقد اختلفوا فيه، فعند أبي حنيفة وأصحابه: إن[5] الكفر ملة واحدة يرث بعضهم من بعض إلا أن تختلف الدُّورُ، وقال الشافعي: الكفر مِلَلٌ مختلفة، وهو قول الهادي عليه السلام.

ومتى قيل: سوى الأديان المعدودة[6] أديان[7] أخر، ومقالات في الكفر؟

قلنا: كلهم أتباع هذه الفرق[8]، كما نقول: إن المجسمة والمشبهة تعد[9] في المشركين، والجهمية والمجبرة تعد في المجوس[10].

وتدل على أن الجنة تنال بالإيمان والأعمال الصالحة خلاف قول المجبرة والمرجئة.

ويدل قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾ أنهم يريدون الخروج مع الإياس، فيدل[11] على أن إرادة ما[12] يعلم أنه لا يكون يصح.

---

(١) فتدل: وتدل، ل، م.
(٢) كله: +، ي.
(٣) عليه: ـ، ي.
(٤) قوله: ـ، ل.
(٥) إن: +، ز.
(٦) المعدودة: المعدود، ز.
(٧) أديان: ـ، ز.
(٨) هذه الفرق: ـ، ز.
(٩) تعد: تعدى، ز.
(١٠) في المجوس: تبعاً للمجوس، ي.
(١١) فيدل: ويدل، ل.
(١٢) ما: ما ما، ل.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

القراءة

قرأ حفص عن عاصم، وروي عن يعقوب: «سَواءً» بالنصب بإيقاع الجعل[1] عليه؛ لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين، تقول: جعلت الثوب قميصاً، والباقون بالرفع على الابتداء وخبره ما بعده، والكلام يتم عند قوله: «**للناس**«، قال علي بن عيسى: في «**سواء**» يجوز الرفع والنصب والجر، أما الرفع والنصب قد بينا، وأما الجر فيرجع إلى المسجد.

اللغة

الصَّدُّ: المنع، والصد: الإعراض، صَدَّ عن الأمر، وصَدَّهُ غيره لازم ومتعدٍّ، صد يَصِدّ صدوداً، وصده يَصُدُّهُ صداً، وأصده إصداداً.

والعاكف: المقيم الملازم للمكان، عَكَفَ عكوفاً فهو معتكف وعاكف إذا كان مقيماً.

والبادي: أصله من بدا يبدو إذا ظهر، والبَدْوُ خلاف الحَضَرِ، سمي لظهوره[2]، يقال: بدا إلى كذا أي ظهر، وفلان ذو بَدَوَاتٍ، والمبدئ والبادئ هو الله تعالى؛ لأنه بدأ[3] الخلق، كأنه ظهر الخلق بوجوده بعد أن لم يكن ظاهراً، وأبدأت من أرض إلى أخرى، أبدي إبداءً[4]، أي: خرجت منها إلى غيرها، كأنه

---

(١) الجعل: الحول، ز.

(٢) لظهوره: لبدوه، ز، ل، م.

(٣) بدأ: يبدأ، ز.

(٤) أبدي إبداء: أبدأ أبدأ، ز.

ظهر بها، والبادِ في الآية: الطارئ عليها، كأنه ظهر بها، وقوله: «من بدا جفا» أي: من نزل البادية صار جافياً.

والإلحاد[1]: الميل عن[2] الحق، وأصل اللحد: الميل، ومنه سمي اللحد.

وأصل (بوأنا) من الرجوع، يقال: بَاءَ: رجع، ومنه: ﴿وَبَآءُو[3] بِغَضَبٍ﴾ [البقرة: ٦١]، وبوأته منزلاً، أي: جعلت له منزلاً يرجع إليه.

والمكان: ما يتمكن عليه، واختلف المتكلمون، فقالت[4] البصرية: المكان ما يتمكن عليه غيره، وقال أبو القاسم: ما أحاط بالشيء.

الإعراب

يقال: أين خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[5].

قلنا: قيل: محذوف تقديره: هلكوا، وقيل: قوله: ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ[6]﴾ ابتداء ثم عقبها[7] بالجواب، وقيل: الخبر عنهم يجيء في ما بعد فيقوله[8] ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ ، عن أبي مسلم.

ويقال: في ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: لِمَ عطف المستقبل على الماضي؟

قلنا: لأن المعنى من شأنهم الصدود، ونظيره: ﴿ٱلَّذِينَ[9] ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقيل: الذين كفروا بمعنى الكافرين، تقديره: إن الكافرين والصادين عن سبيل الله، وقيل: تقديره: الكافرين فيما مضى يصدون، فبين أن حالهم في

---

(١) والإلحاد: الإيجاد، ز.
(٢) عن: من، ز، م.
(٣) وباءو: باءوا، ي.
(٤) فقالت: فقال، ي.
(٥) إن الذين كفروا: +، ل.
(٦) أليم: السعير، ل.
(٧) عقبها: يعطف، ل، م.
(٨) وقيل الخبر... فيقوله: ـ، ز.
(٩) الذين: والذين، ز، ل.

الماضي والمستقبل واحد، وقيل: المراد وصدوا، فأتى بلفظ المستقبل والمراد الماضي، وقيل: الواو مقحمة[1] وتقديره[2]: إن الذين كفروا ويصدون.

ويقال: ما معنى الباء الأولى والثانية[3] في قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾؟

قلنا: الأولى مؤكدة، والثانية مُعَدِّيَةٌ[4]، وقيل: الأولى زائدة كقوله: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

النزول

قيل: نزلت الآية في أهل الحديبية صدوا رسول الله ﷺ[5] عن مكة.

وقيل: هو عام في جميع الكفار أن عادتهم ذلك.

المعنى[6]

ثم بيّن تعالى حال الكفار، فقال تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ**»[7] يمنعون[8] «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» قيل: دين الله[9]، وقيل: عن الحج والعمرة[10]، وقيل: عن الهجرة، وقيل: عن تعلم الدين، ولا تنافي بين الجميع، فيحمل على أن الجميع مراد «**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» أي: ويصدون عن المسجد الحرام وهو الكعبة، قيل: المراد نفس المسجد يستوي فيه جميع الخلق، عن الحسن، وأبي علي. وقيل: المراد به[11] الحرم[12]،

---

(١) مقحمة: معجمة، ز، ل، م.
(٢) وتقديره: تقديره، ي.
(٣) والثانية: في الثانية، ز، م.
(٤) والثانية مُعدية: معدية، ز، ل، م، ي.
(٥) صلى الله عليه وسلم: ـ ، ي.
(٦) المعنى: ـ ، ي.
(٧) ويصدون: وصدوا، ز، ل، م، ي.
(٨) يمنعون: منعوا، ز، ل، م، ي.
(٩) دين الله: عن دينه، ي.
(١٠) والعمرة: +، ز، ل، م.
(١١) به: ـ ، ز.
(١٢) الحرم: الحرام، ز.

والأول الوجه للظاهر «**الَّذِي جَعَلْنَاهُ**» قيل: بنيناه[١] وخلقناه، وقيل: حكمنا بأنه «**لِلنَّاسِ**» لم يَخُصَّ به بعضاً كسائر الأبنية «**سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ**» قيل: هما سواء في تعظيم حرمته، وقضاء النسك فيه، وحق الله الواجب فيه، عن مجاهد. وقيل: هما سواء في المنزل، فليس أحدٌ أولى بالمنزل[٢] من الآخر، وحرموا بهذا دور مكة، وكرهوا إجارتها أيام الموسم، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وابن زيد، وروي نحوه عن ابن[٣] عمر، وكان ابن عمر يقول: سواء كله محرماً أو كدار مكة، وقيل: هما سواء بأنه لا يملكه أحد، وقيل: يستوي ثواب المقيم والداخل.

واختلفوا في العاكف والبادي، فقيل: العاكف: المقيم فيه، والبادي: الجائي إليه من الآفاق، وقيل: هما المجاور والطارئ «**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ**» غير الله، عن قتادة. كأنه قيل: من يُرِدْ ميلاً عن الحق بأن يعبد[٤] غير الله ظلماً وعدواناً، وقيل: هو استحلال الحرام، وركوب الآثام، عن ابن عباس، والضحاك، وابن زيد، ومجاهد. وقيل: هو استحلال الحرام متعمداً، عن ابن جريج. وقيل: خص الحرم؛ لأن الذنوب فيه أعظم[٥]، وإلا فالمراد جميع المعاصي[٦]، وقيل: أراد[٧] الاحتكار، وروي[٨] عن علي بن موسى القمي مرفوعاً: «احتكار الطعام بمكة إلحاد»، وقيل: مَنْ قَصَدَ البيت بهدم وتخريب «**نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**» موجع، أي: نعذبه عذاباً وجيعاً، وهو عذاب النار «**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ**» قيل: أنزلناه فيه، عن الحسن. وقيل: وطَّأْنا، وقيل: جعلنا، عن ابن عباس. وقيل: دللناه[٩] عليه، عن مقاتل. وقيل: الجميع يرجع

(١) بنيناه: بيناه، ي.
(٢) بالمنزل: بالنزول، ز.
(٣) ابن: +، ي.
(٤) يعبد: يعبدوا، ز.
(٥) أعظم: أعلم، ز.
(٦) المعاصي: الماضي، ز.
(٧) أراد: المراد به، ز.
(٨) وروي: +، ي.
(٩) دللناه: دللنا، ز، ل، م.

إلى معنى واحد، يعني[(١)] مكَّنَّاهُ من ذلك الموضع حتى بنى الكعبة[(٢)]، وقيل: يقال بوأت له إذا مكنته[(٣)]، والمراد جعلت البيت مثواه ومسكنه[(٤)]، عن ابن الأنباري. وقيل: كان البيت انهدم أيام الطوفان فأمره الله أن[(٥)] يبنيه ويتخذه مأوى، وقيل: كانت العلامة ريح هبت فكشفت حول البيت، عن السدي. وقيل: بل أراه جبريل، وقيل: دل غمامة أظلته، ولا[(٦)] تشرك بي شيئاً، أي: وأمرناه «**أَنْ لاَ**[(٧)] **تُشْرِكْ بِي شَيْئًا**» أي[(٨)]: قلنا له: لا تعبد مع الله في هذا البيت شيئاً «**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ**» قيل: من[(٩)] الأوثان وعبادتها، عن قتادة. وقيل: عن الأنجاس، وقيل: من الدماء والفرث أن يلقى حول البيت «**لِلطَّائِفِينَ**» أي: من يطوف بالبيت وهو الحاج والمعتمر[(١٠)]» في الصلاة، عن عطاء. «**وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**» قيل: لمن يصلي، وقيل: لمن يعبد الله ويخضع له.

۞ الأحكام

تدل الآية على قبح الصد عن سبيل الله، فيدخل فيه المنع من العلم، وتعلمه، وإظهار الأمر بالمعروف وسائر ما يتعلق بالديانات.

ويدل قوله: «**سواء**» على موضع يستوي فيه المقيم والطارئ فيه[(١١)]، وقيل[(١٢)]: هو نفس المسجد، على ما حكيناه[(١٣)] عن الحسن وأبي علي، وقيل: هو الحرم كله،

---

(١) يعني: ـ، ز.
(٢) الكعبة: البيت، ي.
(٣) مكنته: ملكه، ي؛ ز: ملكته، ز.
(٤) مسكنه: ومكنه، ي.
(٥) أن: ـ، ز.
(٦) ولا: إلا، ي.
(٧) أن لا: بأن لا، ي.
(٨) أي: إذا، ي.
(٩) من: عن، ز، م، ي.
(١٠) المعتمر: والمقيم، ي.
(١١) فيه: +، ل.
(١٢) وقيل: ـ، ل.
(١٣) ما حكيناه: حكينا، ي.

ثم اختلفوا، فمنهم من قال: لا يجوز بيع[(١)] بيوت مكة ولا إجارتها، وهو ظاهر مذهب أبي حنيفة، ومنهم من جوز ذلك وهو رواية الحسن عنه، وإليه ذهب[(٢)] الشافعي، ومنهم من قال: هي[(٣)] مملوك الأبنية فتصح فيها الإجارة، ومنهم من قال: هي مملوكة يصح فيها[(٤)] سائر التصرفات[(٥)] كسائر الأمكنة.

وذكر إسماعيل بن إسحاق عن غنمة بن نضلة: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تُدعى رباع مكة إلا السوائب[(٦)]، من احتاج سكن، ومن استغنى[(٧)] أسكن.

وروي عن عمر أنه نهى أن تغلق أبواب[(٨)] دور مكة، قال: ليسكن[(٩)] البادي حيث أحب، وروي نحوه[(١٠)] عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والحسن. وقيل: إنما فعل ذلك أيام الموسم، وإلا فقد روي عنه أن اشترى داراً بأربعة آلاف درهم.

ويدل قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ أن في المعصية في الحرم زيادة عقوبة، فتدل[(١١)] أن للزمان[(١٢)] والمكان تأثيراً في تعظيم[(١٣)] المعاصي واستحقاق العقاب عليها.

وتدل على اختصاص البيت بنسك يجب لأجله التطهير، وهو إما الطواف وإما الصلاة.

---

(١) بيع: مع، ز.
(٢) أبي حنيفة. . . ذهب: +، ي.
(٣) هي: ـ، ي.
(٤) فيها: ـ، ز.
(٥) التصرفات: التصرفات بها، ز.
(٦) السوائب: للسوائب، ز.
(٧) استغنى: استغن، ز.
(٨) أبواب: +، ز، ي.
(٩) ليسكن: يسكن، ز، ل.
(١٠) نحوه: نحو، ل.
(١١) فتدل: فدل، ل.
(١٢) للزمان: الزمان، ز.
(١٣) تعظيم: +، ز، ي.

وتدل على أن الصد والإلحاد والظلم فِعْل العبد، لذلك علق الوعيد به[1]، وذمهم عليها، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وأبو عمرو[2] ويعقوب وورش عن نافع:[3] «لِيَقْضُوا» بكسر اللام[4]، وزاد ابن عامر «لِيُوفوا نذورهم وليطوفوا» بكسر اللام فيهما[5]، والباقون بجزم اللام فيهما[6]، فأما أبو عمرو ففرق[7] بين (ثم) والواو والفاء؛ لأن[8] (ثم) مفصول من الكلام، والواو والفاء كأنها من نفس الكلمة، وابن عامر جعل الجميع مفصولة، والباقون قالوا: كلها لامات الأمر، وقرأ أبو بكرعن عاصم «لْيُوَفُّوا» بفتح

---

(١) به: ـ، ي.
(٢) وأبو عمرو: وأبو بكر، ل.
(٣) ثم: +، ي.
(٤) اللام: اللا، ل، م.
(٥) فيهما: فيها، ز، ل، م.
(٦) فيهما: فيها، ز، ل، م.
(٧) ففرق: يفرق، ز.
(٨) لأن: ـ، ز.

الواو مشددة الفاء، والباقون قالوا: كلها ساكنة[1] الواو وخفيفة[2] الفاء، وهما لغتان: أَوْفاهُ ووفّاه.

وقراءةالعامة: «يأتين» من صفة النوق، وعن بعضهم (يأتون) من صفة الركبان.

۞ اللغة

الأذان: الإعلام، ومنه الأذان للصلاة.

والحج: القصد[3] في اللغة، وفي الشرع: اسم لأفعال مخصوصة في أزمنة وأمكنة.

الرجال جمع واحدها: راجل، نحو: صاحب وصِحَاب، وصائم وصِيَام، ونائم ونيام، ويقال: راجل وَرَجْلٌ، نحو: راكب وركْبٍ.

والضامر: المهزول، ضَمَرَ الفرس يَضْمُرُ، ورجل ضَمْرٌ خفيف الجسم.

والفج: المنخرق بين جبلين، ومنه: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]، ومنه: تَفَاجَّتْ الناقة إذا فرجت[4] رجليها للحالب.

والعمق: البعد، يقال: بئر عميقة إذا بعد قعرها، وقد أعمقتها، وما أبعد عماقة هذا الرَّكِيِّ.

والجسم: هو الذي له طول وعرض وعمق.

والبائس الفقير: الذي صار ذا بؤس، وهو الشدة، بَؤُسَ يَبْؤُسُ فهو بائس.

والتفث: الدرن، قال أعرابي[5] لآخر: ما أَتْفَثَكَ[6]، أي[7]: ما أدرنك، قال

(١) قرأ. . . كلها ساكنة: ـ، ز.
(٢) خفيفة: خفيفة، ل.
(٣) القصد: والقصد الحج، ل.
(٤) فرجت: اجترحت، ز.
(٥) أعرابي: الأعرابي، ز.
(٦) ما أتفثك: ما تفثك، ز، ل، م.
(٧) أي: ـ، ل، ي.

النضر بن شميل[1] البصريون سموا[2] التفث في كلام العرب [إذهاب الشعث وسمعت الأزهري يقول]: التفث في كلام العرب [لا يعرف] إلا من التفسير[3] وقول عن ابن عباس: [التفث الحلق والتقصير، والأخذ من اللحية والشارب والأبط]، وقال[4] أبو عبيدة: ولم يجئ فيه شعر يحتج به.

والاجتناب: المباعدة من[5] الشيء.

والحَنَفُ: أصله الميل، ومنه: الأحنف، قيل: أصله الاستقامة، وسمي الأحنف تفاؤلاً.

الإعراب

«رجالاً» نصب على الحال.

ويقال: لِمَ قال: «يأتين» للضامر؟

قلنا: لأنه في معنى الجمع، كأنه أراد النوق.

وقيل: لأن المعنى على كل ناقة ضامر.

و(من) في قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ للجنس لا للتبعيض، كأنه قال: اجتنبوا الأوثان، وقيل: (مِنْ) صلة، وقيل: (من) للتبعيض؛ لأن الرجس يشتمل على الأوثان وغيرها.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ إلى آخره في ناس من المشركين كانوا يقولون إذا أحرموا: لبيك لا شريك لك إلا[6] شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. يعنون الملائكة.

---

(١) شميل: شمول، ل.
(٢) البصريون سموا: +، ز.
(٣) التفسير: وأهل التفسير، ز، ل، م، ي.
(٤) وقال: قال، ي.
(٥) من: عن،ز، ل.
(٦) إلا: أي لا، ز.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر البيت بيّن ما يتعلق[1] به من أمور الحج، فقال سبحانه: «**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**» أي: نادِ وأَعْلِمْ، واختلفوا في المخاطب بهذا[2] على قولين:

أولهما: أنه عنى إبراهيم عليه السلام، أي: وقلنا لإبراهيم لما بنى البيت: أعلم الناس بوجوب الحج، عن علي، وابن عباس، وهو قول أبي مسلم.

وعن ابن عباس: قام[3] إبراهيم في المقام، وقيل: على جبل أبي[4] قبيس، فنادى: يا أيها الناس إن الله قد دعاكم إلى الحج. وروي أنه قال: إن ربكم بنى بيتاً فحجوه، فأجابوه: بلبيك اللهم لبيك، عن ابن عباس. وروي عنه أن الناس أهل القبلة.

ومتى قيل: أيصح ما روي أن صوته بلغ المشرق[5] والمغرب، وأجابه كل حجر ومَدَرٍ، وسمعه من[6] في أصلاب[7] الرجال وأرحام النساء؟

قلنا: أما بلوغ الصوت للمشرق[8] والمغرب فجائز معجزة له، وإجابة الجماد ومن ليس بحي وسماعه مُحَالٌ، فهذا[9] لا يجوز.

وثانيهما: أن المخاطب به نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أمره بأن يُعْلِمَ الناس بإيجاب الحج، ففعل ذلك في حجة الوداع، عن الحسن، وأبي علي، وجعلاه كلاماً مستأنفاً.

«**يَأْتُوكَ رِجَالاً**» أي: على أرجلهم «**وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ**» أي: ركباناً على كل ضامر،

---

(١) ما يتعلق: ما تعلق، ل.
(٢) بهذا: +، ي.
(٣) قام: قال، ي.
(٤) جبل أبي: عن أبي، ز.
(٥) المشرق: الممرق، ل.
(٦) من: +، ي.
(٧) أصلاب: الآصال، ز.
(٨) للمشرق: المشرق، ل.
(٩) فهذا: وهذا، ز، ل، م.

وهو البعير المهزول، فقد أضمرها طول الطريق وتحمل المشقة «**يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**» أي: طريق بعيد «**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**» قيل: المنافع التجارات، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقيل: التجارة في الدنيا والأجر في[1] الآخرة، عن مجاهد. وقيل: منافع الدين العفو والمغفرة، عن سعيد بن المسيب، ومحمد بن علي الباقر عليه السلام، وعطية العوفي. يعني غفران الذنوب، واستحقاق الثواب، وهو الأصح؛ لأنه المقصود بفعل الحج «**وَيَذْكُرُوا**[2] **اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ**» واختلفوا في هذه الآيام، وفي هذا الذكر فيها.

أما الأيام قيل: المعلومات أيام[3] العشر، قيل[4]: عشر[5] ذي الحجة، والمعدودات أيام[6] التشريق، عن الحسن، وقتادة. سميت معدودات لقلتها، ومعلومات لأن كل واحد يحفظها فيكون معلوماً، وقيل: المعلومات: أيام التشريق يوم النحر، وثلاثة أيام بعده، عن مقاتل، وأبي مسلم. وقيل: هما واحد، عن محمد بن كعب.

فأما الذكر، فقيل: هو التسمية على الذبيحة في هذه الأيام، وقيل: هو كناية عن الذبح لما كان بالتسمية سمي باسمه توسعاً، وقيل: التكبير.

«**عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ**» الإبل والبقر والغنم التي هي الهدايا والضحايا «**فَكُلُوا**[7]» **إباحة وليس بِأَمْر**[8] «من بهيمة الأنعام»، وقيل: بل أَمْرٌ ويجب على المضحي أن يأكل شيئاً منها[9] وإن قَلّ، والأول أوجه، وعليه إجماع الفقهاء، وقيل:

(١) الأجر في: +، ز، ي.
(٢) ويذكروا: ويذكر، ي.
(٣) أيام: الأيام، ي.
(٤) قيل: +، ي.
(٥) عشر: عن، ز.
(٦) أيام: ــ، ز.
(٧) فكلوا: كلوا، ي.
(٨) ليس بأمر: بأمر بأمر، ز.
(٩) منها: منه، ي.

قال ذلك لأن الجاهلية لا يأكلون من لحوم هداياهم «**وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**» قيل: البائس: الزَّمِنُ، وقيل: الذي أصابته الشدة، وقيل: الذي ظهر عليه أثر[1] البؤس بأن مد يده إليك، والفقير[2] المحتاج «**ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**» قيل: مناسك الحج كلها، عن ابن عباس، وابن عمر. وقيل: سائر محظورات الإحرام، أي: يزيلوا عن أنفسهم ما حرم عليهم بالإحرام، وقيل: مناسك الحج[3]: أَخْذ الشارب، ونَتْف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظفار، عن محمد بن كعب القرظي. وقيل: هو الشعر والظفر، عن عكرمة. وقيل: هو وضع الإحرام من حلق الرأس ولباس الثياب ونحوها، عن ابن عباس. «**وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ**» قيل: كل ما نذر في الحج، عن مجاهد. وقيل: كل ما نذر من النذور[4]، عن ابن عباس. والنذر: كل ما أوجبت[5] على نفسك بعقد «**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ العَتِيْقِ**[6]» قيل: أراد به[7] طواف الزيارة؛ لأنه ركن في الحج، وبه يتحلل عن جميع[8] محظورات الإحرام يوم النحر أو بعده[9]، وقيل: هو طواف الصدر[10]؛ لأنه عقيب المناسك كلها.

ثم وصف البيت فقال: «**الْعَتِيقِ**»: هو[11] الكعبة[12] بالاتفاق، واختلفوا لِمَ سمي عتيقاً؟ قيل: لأنه أَعْتَقُ مِنْ مُلْكِ العَبْدِ[13]، عن مجاهد، وسفيان بن عيينة،

---

(١) أثر: +، ز.
(٢) قيل... والفقير: ـ، ي.
(٣) الحج: +، ي.
(٤) كل ما نذر من النذور: نحو ما نذروا من النذر، ي.
(٥) أوجبت: أوجب، ز.
(٦) العتيق: +، ز.
(٧) به: +، ي.
(٨) جميع: ـ، ي.
(٩) او بعده: وبعده، ز.
(١٠) يقصد طواف الوداع أنظر القرطبي الآية.
(١١) هو: وقيل: هو، ز.
(١٢) الكعبة: العتيق، ل، م؛ البيت بالعتيق وهو الكعبة، ي.
(١٣) العبد: العبيد، ي.

وأبي مسلم. وقيل: أعتق عن[(١)] الجبابرة أن[(٢)] يصلوا إلى تخريبه، ولم يظهر عليه جبار، ولم يتسلط[(٣)] عليه إلا مَنْ يعظمه، عن ابن عباس، وابن الزبير، وقتادة. وقيل: لأنه[(٤)] قديم، وهو أول بيت وضع للناس، وبناه[(٥)] آدم[(٦)] وجدده إبراهيم عليه السلام[(٧)]، عن ابن زيد. وقيل: لأنه عتق[(٨)] من الطوفان، وقيل: لأنه كريم على الله كما يقال: فرس عتيق، «**ذَلِكَ**» قيل[(٩)]: هاهنا وقف، والمعنى: هكذا أمر الحج والمناسك، وقيل: ذلك الذي بينت لكم كان شريعة إبراهيم في الحج فاتبعوه، وقيل: ذلك الذي أمرتكم في مشاق الحج «**وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ**» قيل: ما[(١٠)] حرم الله من حرمة بيته ومسجده، فَمَنْ عَظَّمَهُ لا يرتكب شيئاً مما نهي عنه، وقيل: حرمات الله: المشعر الحرام، والمسجد الحرام، والبيت الحرام، عن ابن زيد، وقيل: حرماته مناسكه، وقيل: يجتنب ما حرم الله[(١١)] عليه من معاصيه «**فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**» يعني ذلك خير له مما يستعمله[(١٢)] في أمر دنياه «**وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ**» قيل: الإبل والبقر والغنم، وقيل: أراد بالأنعام ما حَلَّ[(١٣)] ذَبْحُهُ وأَكْلُ لحمه، وقيل: أراد أنه أحل في حال الإحرام «**إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**» استثناء مما أحل، وهو ما يتلى عليكم في القرآن في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ومن[(١٤)] قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ

---

(١) عن: من، ل.
(٢) أن: ألا، ز، ل، م.
(٣) ولم يتسلط: لينسل، ز، ل، م.
(٤) لأنه: أنه، ز.
(٥) وبناه: بناه، ي.
(٦) آدم: +، ي.
(٧) عليه السلام: ـ ، ي.
(٨) لأنه عتق: عتيق، ي.
(٩) قيل: وقيل، ز.
(١٠) ما: ـ ، ز.
(١١) الله: ـ ، ي.
(١٢) يستعمله: يستعمل، ي.
(١٣) ما حل: ما يحل، ي.
(١٤) من: +، ي.

﴿حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، **«فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ»** يعني عبادة الأوثان وتعظيمها، يعني عظموا الله فإنه أهل التعظيم، ولا تعظموا الأوثان، وإنما سماه رجساً تشبيهاً؛ لأنه يجب اجتنابه كالرجس، وقيل: كانوا يلطخون الأوثان بدماء قربانهم، فسماه رجساً **«وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»** قيل: الكذب، وقيل: هو تلبية المشركين: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وقيل: جميع الكذب في الأديان، وقيل: هو قولهم: الأوثان آلهة، عن أبي علي. **«حُنَفَاءَ لِلَّهِ[(١)]»** أي[(٢)]: كونوا حنفاء، أي: مستقيمين مخلصين، وقيل: حجاجاً **«غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ[(٣)]»**.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الحج، وقد بينا أن الأَوْلَى أنه خطاب لهذه الأمة، ولأنه أتبعه[(٤)] بذكر أحكام تتصل بشريعتنا.

وتدل على أنه نادى وأجابه الخلق، لذلك قال: **«يأتوك»**، وقد روي أنهدعا إلى الحج مرة بعد مرة، وشدد في أمره، وحث الناس عليه قولاً وفعلاً.

ويدل قوله: **«وَيَذْكُرُوا. . .»** الآية أن للذبح مدخلاً في الحج[(٥)] وهو مقصود.

والدماء[(٦)] ثلاثة:

الأضحية، وذلك واجب عند أبي حنيفة، وسُنَّةٌ عند أبي يوسف ومحمد، ويجوز الأكل منها؛ لأنها نسك بالاتفاق.

ودم جبران[(٧)] الحج، كجزاء الصيد وغيره من محظورات الإحرام، ولا يجوز الأكل منه بالاتفاق؛ لأنه دم جناية.

---

(١) لله: ـ، ي.
(٢) أي: قيل، ي.
(٣) به: ـ، ز.
(٤) أتبعه: أتبع، ي.
(٥) ويذكروا. . . الحج: ـ، ي.
(٦) والدماء: وللدماء، ي.
(٧) جبران: لجبران، ل.

والثالث: دم المتعة والقران، قال أبو (حنيفة) وأصحابه: دم نسك، ويؤكل منه، قال (الشافعي): دم جبران فلا[1] يؤكل منه.

وتدل على أن هذا النحر اختص[2] بأيام، والأقرب أن المراد به الأضحية؛ لأنه المختص بيوم النحر وما بعده من الأيام.

ويدل قوله: «**وأطعموا**» على وجوب الإطعام؛ لأنه أمر، وقيل: الإطعام مسنون، وقيل: واجب.

وتدل على أنه لا يجوز بيع الأضحية، ولا المعاوضة عنه.

ويدل قوله: «**وليوفوا**» على وجوب الوفاء بالنذر حجاً كان أو غيره، فإن كان هَدْيًا فيدل على أنه لا يؤكل منه، بل يجب التصدق بجميعه، ففرق[3] تعالى بين حكم النحر والحلق، وبين حكم[4] الهدي الواجب بالنذر.

ويدل قوله: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾[5] على وجوب الطواف، والأقرب أنه طواف الزيارة؛ لأنه المرتب[6] على قضاء التفث.

ويدل قوله: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أن المُحْرِمَ لا يحرم[7] عليه ذلك كما يحرم الصيد، وكان يجوز[8] أن يظن ذلك فأزال الإيهام.

وتدل على عظيم[9] أمر الشرك والكذب ووجوب اجتنابهما، وروي أن النبي ﷺ قال: «الكذب عدل الشرك» وتلا هذه الآية.

---

(١) فلا: ولا، ي.
(٢) اختص: يختص، ي.
(٣) ففرق: وكأنه، ي.
(٤) حكم: هدى، ز، ل، م.
(٥) ويطوفوا بالبيت العتيق: +، ز.
(٦) المرتب: مرتب، ل، م.
(٧) لا يحرم: لا يجوز، ل.
(٨) يجوز: يجب، ز، ل، م.
(٩) عظيم: عظم، ي.

وتدل على أن مع كونه مجتنباً للشرك يجب كونه حنيفاً مستقيماً على الطريقة، وذلك ينبي على فعل الواجبات واجتناب القبائح.

وتدل على أن الشرك والكذب فِعْلُ العبد؛ ليصح أمره بالاجتناب، فيصح[1] قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع: «فَتَخَطَّفُهُ الطير» بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: تتخطفه[2]، فأدغم، وقرأ الباقون بسكون الخاء وتخفيف الطاء اعتباراً بقوله: ﴿خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ [الصافات: ١٠]، وهما لغتان، خَطِفَهُ يَخْطَفُهُ خَطْفًا، وتخطفه تخطفاً، والاختطاف والاستلاب: تناول الشيء بسرعة.

قرأ حمزة والكسائي: «مَنْسِكًا[3]» بكسر السين في الحرفين على معنى الاسم، كالمَجْلسِ والمَطْلِعْ، أي: مذبحاً، وهو موضع القربان[4]، وقرأ الباقون[5] بفتح[6]

---

(١) فيصح: فيصحح، ي.
(٢) تتخطفه: تخطفه، ز، ل.
(٣) منسكا: ـ ، ل، ي.
(٤) القربان: القربات.، ز.
(٥) الباقون: للباقون، ي.
(٦) بفتح: بكسر، ز.

السين فيهما على المصدر، مثل: المدخل والمخرج، أي: إراقة[1] الدماء وذبح القرابين.

اللغة

الخرور[2]: السقوط، يقال: خر لوجهه إذا انكبّ عليه، ويقال للحجر إذا تدهور[3] من الجبل: خر يَخُرُّ خروراً، بضم الخاء في المستقبل، وخر الماء يَخِرُّ بكسر[4] الخاء، وخر الميت يخر بكسر الخاء خريراً، والخرير: صوت الماء كأنه عند سقوطه يخر.

يقال: هَوَى الشيء يَهْوِي[5] إذا سقط، والهاوية كل مَهْوَاةٍ، والهاوية اسم لجهنم، وتهاوى القوم في المهواة: سقط بعضهم في إثر بعض.

والسحيق: البعيد، ومنه: بُعْدًا له وسحقاً[6]، والسَّحُوقُ: النخلة الطويلة، والسَّحْقُ: الثوب البالي.

والشعائر: علامات مناسك[7] الحج، كرمي الجمار السبع[8]، والسعي[9]، والوقوف[10]، والشعيرة: العلامة، وأشعرت البُدْنَ: أعلمتها، وأصله العلم، ومنه: ليت شعري، ومنه: الشاعر.

والإخبات: الخشوع، وأصله الطمأنينة، واشتقاقه من الخَبْتِ، وهو المكان المطمئن، وقيل: المنخفض.

---

(١) إراقة: اهراقه، ي.
(٢) الخرور: قال الخرور، ز، ل، م.
(٣) تدهور: نهد، ي.
(٤) بكسر: ـ ، ي.
(٥) يهوي: +، ي.
(٦) بعداً له سحقاً: سحقاً وبعداً، ي.
(٧) علامات مناسك: العلامات لمناسك، ز.
(٨) السبع: ـ ، ي.
(٩) والسعي: + ، ي.
(١٠) والوقوف: ـ ، ل.

۞ الإعراب

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ [1] في محل النصب؛ لأنه صفة (المخبتين)، أو بدل عنه.
ويقال: إلى ماذا تعود الهاء في قوله: «**فإنها**[2]»؟
قلنا: تعود إلى التعظيم، وقيل: إلى الخصلة من التعظيم.
﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حذف نون الجمع للإضافة.

۞ المعنى

ثم ضرب مثلاً للمشركين في هلاكهم وضلالهم، فقال سبحانه: «**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ**» قيل[3]: يَعْبُدُ معه غيره، وقيل: يصفه بالشريك[4]، وقيل: يَكْفُرُ، وكُلُّ[5] كُفْرٍ شِرْكٌ، وكل شرك كفر «**فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ**» أي: سقط على وجهه إلى[6] الأرض «**فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ**» أي: تسلب[7] الطير لحمه كله «**أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ**» أي: تميل به ويسقط «**فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**» بعيد مفرط في البعد، قيل: إنما شبه حاله بحال الهاوي في أنه لا يملك دفعاً، كذلك المشرك[8] يوم القيامة لا يملك دفعاً، وقيل: شبه أعمال الكافر من حيث تبطل وتذهب، عن الحسن.

ومتى قيل: مَنْ سقط من السماء لا يسلم، فلماذا ضم إليه ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ ؟

فجوابنا: قيل: تأكيداً وتغليظاً وتنبيهاً على عظم المحنة، وانقطاع النصرة، وقيل: جعل كل واحد مثلاً، تقديره: كأنه سقط من السماء، وكأنه تختطفه الطير، وهو ينتظر الهلاك، وكمن يهوي به الريح إلى مكان بعيد فلا[9] يسلم.

---

(١) الذين إذا ذكر الله: ـ ، ي.
(٢) فإنها: ـ ، ي.
(٣) قيل: فقيل، ي.
(٤) وقيل: يصفه بالشريك: ـ ، ز.
(٥) وكل: كل، ي.
(٦) إلى: ـ ، ز.
(٧) تسلب: تسلبهم، ي.
(٨) المشرك: الشرك، ل.
(٩) فلا: ولا، ي.

«**ذَٰلِكَ**» يعني ما ذكره[1] من اجتناب الرجس وتعظيم شعائر الله، «**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ**[2]» قيل[3]: مناسك الحج كلها شعائر، عن ابن زيد. وقيل: هي البُدْن وتعظيمها[4] إسمانها[5]، عن مجاهد. وقيل[6]: شعائر الله دينه، والشعائر: الأعلام التي نصبها لطاعته، كالصلاة، والصوم، والحج ونحوها «**فَإِنَّهَا**» يعني هذه الخصال التي ذكرت «**مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**» وأضاف إلى القلب؛ لأن العارف بالله ووعده ووعيده هو الذي يتقي معاصيه، وقيل: أراد صدق النية، وقيل: أراد الخوف والحذر ومحلهما القلب «**لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ**» يعني في الشعائر منافع، قيل: الهدايا، وقيل: مشاهدة مكة، فمن قال بالأول اختلفوا، قيل: ذاك ما لم يسم هدياً أو نذراً، فإذا سمي هدياً لا[7] يجوز الانتفاع بها[8]، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. وقال عطاء: ما لم يقلد، وقيل: له ركوب ظهرها وشرب لبنها إذا احتاج إليها «**إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**» إلى أن تنحر، عن عطاء بن أبي رباح. وقيل: أراد بالمشاعر المناسك ومشاهدة مكة، و«**لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ**» بالتجارة إلى أن[9] يخرج، وقيل: بالأجر إلى أن يفرغ من المناسك، وقيل: «**إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**» إلى يوم القيامة «**ثُمَّ مَحِلُّهَا**» أي: منحرها «**إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**» الكعبة، وقيل: أراد به مِنًى، وقيل: أراد[10] مكة، والحرم [كله منحر]، والمنحر يختص بمكان وزمان، فمكة والحرم[11] كله[12] منحر، ويوم النحر ويومان

---

(١) ذكره: ذكر، ي.
(٢) ومن يعظم شعائر الله: +، ز، ي.
(٣) قيل: يعني، ي.
(٤) وتعظيمها: تعظيمها، ي.
(٥) إسمانها: استسمانها، ز.
(٦) وقيل: وقيل وقيل، ز.
(٧) لا: هذا فلا، ز، ل، م.
(٨) بها: به، ي.
(٩) أن: ـ، ز.
(١٠) أراد: +، ي.
(١١) والمنحر... والحرم: +، ي.
(١٢) كله: لأنه، ز، ل، م.

بعده وقت النحر، وقيل: محل الناس من إحرامهم بالبيت العتيق بأن[1]يطوف طواف الزيارة «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ» قيل: لأهل كل دين[2]، قيل: لكل جماعة مؤمنة سبقت قبلكم «جَعَلْنَا مَنْسَكًا» قيل: عبادة[3] بالذبح[4]، عن مجاهد. وقيل: قرباناً أحل لهم ذبحها، وقيل: متعبداً[5] أو موضع[6] نسك «لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ» أي: فَعَلَ ذلك ليذكروا اسم الله «عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» وهي الإبل والبقر والغنم، و(مِنْ) للتبعيض؛ لأن منها ما لم يَجُزْ ذبحها كالبغال والحمير، وسميت بهائم؛ لأنها لا تتكلم[7] «فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا» أي: انقادوا له واعبدوه ولا تعبدوا غيره «وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» قيل: المتواضعين، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: المطمئنين إلى الله، عن مجاهد. وقيل: الخاشعين، وقيل: الذين لا يَظْلِمون، وإذا ظُلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء، ثم وصفهم فقال سبحانه[8] «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» يعني إذا ذُكِرَ وَعْدُهُ ووعيده خافوا عقابه، وقيل: إذا ذكر أمره ونهيه خاف لعله[9] مقصر في امتثال أمره ونهيه «وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ» من المِحَنِ من جهة الله تعالى لما علم من كونه مصلحة «وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ» يعني يقيمون فرائضها «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» أعطيناهم «يُنْفِقُونَ» في سبيل الله.

۞ الأحكام

تدل أول[10] الآية على أن عقاب الله لا دافع له، كالذي خر من السماء، أو تهوي به الريح.

---

(١) بأن: لمن، ل، م.
(٢) دين: حي، ي.
(٣) عبادة: عبارة، ز.
(٤) بالذبح: في الذبح، ي.
(٥) متعبداً: متعمداً، ز.
(٦) موضع: وموضع، ز، م.
(٧) تتكلم: تكلم، ي.
(٨) سبحانه: تعالى، ل.
(٩) لعله: أنه، ز.
(١٠) أول: +، ي.

وتدل على وجوب ما أعد الله[١] ليحصل[٢] متقياً.

وتدل على أن محل الهدي الحرم.

ويدل قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ على أنه تَعَبَّدَ الأمم قبلنا بهذه العبادات، ثم اختلفوا، فقيل: هو الذبح، وقيل: هو الطاعات.

ويدل قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ على وجوب الانقياد وإظهار الخشوع والتذلل للمعبود على طريق الاستمرار.

ويدل قوله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وما بعده على جميع ما يتعلق به التكليف[٣] من أفعال القلوب وأفعال الجوارح، ثم خص الصلاة تنبيهاً على عظم محلها في الشرع.

ويدل قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أن الحرام لا يكون رزقاً؛ لأنه يَذُمُّ على إنفاقه.

ويدل قوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا۟﴾أنه[٤] أراد من الجميع أن يذكروا؛ لأنه تعليل وبيان الغرض.

وتدل على أن الصبر والإخبات وإقام الصلاة فِعْلُ العبد، كذلك الشرك[٥]، لذلك علق به الثواب والعقاب، فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

---

(١) أعد الله: وعد، ي؛ أعد، ز.
(٢) ليحصل: +، ز، ي؛ بياض، ل، م.
(٣) التكليف: المكلف، ز، م.
(٤) أنه: الآية، ز.
(٥) الشرك: المشرك، ل.

۞ القراءة

قراءة العامة: «**صواف**» بتشديد الفاء، يعني مصطفة، وصواف جمع صَافَّةٍ[(١)]، وهي تأنيث الصاف، وقيل: الصواف القائمة أي: انحروها وهي قائمة، وعن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم: «**صَوَافِنَ**» بالنون جمع صافنة[(٢)]، وهي المعقولة إحدى يديها، يقال: فرس صافن[(٣)]، ومنه: ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: ٣١]، والبَدَنَةُ إذا نحرت عقلت يد واحدة فكانت على ثلاث.

وقراءة القراء: «**لن ينال الله**»، «**ولكن يناله**» بالياء فيهما، وقرأ يعقوب بالتاء فيهما، وروى زيد عنه في الأول بالياء، وفي الثاني بالتاء، فالتأنيث[(٤)] على الجمع، والمعنى جماعة لحومها، وللفظ التقوى، والتذكير للجمع[(٥)]؛ أي جميع[(٦)] لحومها، ولأن التقوى بمعنى الاتقاء.

۞ اللغة

البُدْن: جمع بدنة، كتمرة وتمر، وهي الناقة، وسميت بَدَنَةً لسمنها، والبدانة: السمن، والبدن: الضخم من كل شيء، قال الزجاج: بدنت الناقة سمنتها، وبَدَنَ بَيْدُنُ إذا ضخم، وبَدُنَ سمن وكثر لحمها، تَبْدُنُ بَدَانَةً، وبَدَّنَ الرجل تبديناً إذا أسن، ومنه: «إني[(٧)] قد بدنت» كما جاء في[(٨)] الحديث، قال الشاعر:

وكُـنْـتُ خِـلْـتُ الـشَّـيْـبَ والـتَّـبْـدِيـنَـا[(٩)]

---

(١) صافة: صاف، ز، ل، م.

(٢) صوافن: بالنون جمع صافنة، ي. صوافي بالياء جمع صافية.

(٣) صافن: صافي، ي.

(٤) فالتانيث: والتأنيث، ز، ل، م.

(٥) للجمع: الجمع، ل، م، ي.

(٦) جميع: جمع، م.

(٧) إني: وإني، ي، ل.

(٨) في: خالي، ل.

(٩) البيت ينسب لحميد الأرقط، وتمامه:

وكـنـت خـلـت الـشـيـب والـتـبـديـنـا   والـهـم مـمـا يـذهـل الـقـريـنـا

انظر لسان العرب، والصحاح مادة: (بدن)

وأصل الوجوب الوقوع، وجبت الشمس: إذا وقعت في المغيب للغروب، ووجب الحائط: وقع، ووجب القلب: اضطرب إذا ما[١] وقع فيه ما يوجب اضطرابه، ووجب الفعل: إذا وقع ما يلزم به فعله، ووجب الميت: سقط ومات بوقوعه، ووجب البيع وجوباً.

وقَنَعَ[٢] الرجل يَقْنَعُ قُنُوعًا إذا سأل، وقَنِعَ بكسر النون إذا رضي واكتفى، يَقْنَعُ قناعة وقَنْعًا وقُنْعَانًا.

والمُعْتَرُّ والمعترى واحد، وروي عن الحسن أنه قرأ: **(والمعترى)** مِنْ: اعتراه يعتريه، ويحمل على أنه فسر به، والمعتر: المعترض للناس بالسؤال، يقال: عَرَوْتُهُ واعْتَرَيْتُهُ وعَرَرْتُهُ واعْتَرَرْتُهُ[٣] إذا أتيته تطلب إليه حاجة، ومنه: ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا﴾ [هود: ٥٤] أي: عرض لك وأمسك، وعراه مَنْ غشيه، واعتراه[٤] همه.

۞ الإعراب

الهاء في «**جعلناها**» كناية عن البدن.

وأما[٥] الهاء في قوله: «**لَكُمْ فِيهَا**» يحتمل أن ترجع إلى البدن وكذلك في «**جُنُوبُهَا**» وكذلك في «**سخرناها**» و«**لحومها ودماؤها**[٦]».

۞ النزول

قيل: كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن لطخوا حيطان الكعبة بدمائها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾.

---

(١) ما: ـ، ز، ي.
(٢) وقنع: قنع، ي.
(٣) اعتررته: وأعررته، ل، م.
(٤) واعتراه: واعتراك، ي.
(٥) وأما: فأما، ي.
(٦) لحومها ودماؤها: لحومها ولا دماؤها، ل.

۞ المعنى

عاد الكلام إلى ذكر الشعائر، فقال سبحانه: «وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» لا بد في الكلام من محذوف يتعلق بفعلنا كأنه قال: نَحْرُ البدن من شعائر الله، عن القاضي. «شَعَائِرِ اللَّهِ» قيل: معالم دينه، وقيل: من علامات مناسك الحج «لَكُمْ[1] فِيهَا خَيْرٌ» أي: نفع[2]، قيل: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فلحمها وصوفها، وفي الآخرة الثواب، وقيل: أراد بالخير ثواب الآخرة[3]، وهو الوجه؛ لأنه الغرض المطلوب «فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا» أي: عند نحرها، وهو التسمية على الذبيحة، وقال ابن عباس: هو أن تقول: الله أكبر ولا[4] إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك ولك[5]،[6]، وقيل: إنما أمر بالذكر لكي يذكروا اسمه خالصاً، خلاف ما يفعله المشركون من تسمية الأصنام، عن الحسن. «صَوَافَّ» قيل: قائماً على ثلاثة قوائم قد[7] صفت[8] رجليها وإحدى يديها والأخرى[9] معقولة[10]، والبعير ينحر قائماً، وعن ابن عمر أنه نحر بدنة[11] قائمة معقولة[12] إحدى يديها، وقال: صواف كما قال الله[13] سبحانه، وقيل: «صواف» أي[14]: جمعت ووقفت كالصف فهي مصطفة «فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا» أي: سقطت على الأرض منحورة على الجنب، وقيل: إذا ماتت[15]،

(١) لكم: +، ي.
(٢) نفع: +، ي.
(٣) أما... الآخرة: ـ، ز.
(٤) ولا: لا، ي.
(٥) ولك: ذلك، ي.
(٦) أما في الدنيا... ولك: ـ، م.
(٧) قد: +، ي.
(٨) صفت: صدفت، ز.
(٩) والأخرى: ـ، ي.
(١٠) معقولة: معكوفة، ز، ل، م.
(١١) بدنة: بدنته، ز، ي.
(١٢) معقولة: معقول، ز.
(١٣) الله: +، ي.
(١٤) أي: ـ، ي.
(١٥) ماتت: مات، ي.

عن ابن زيد. وقيل: سقطت لتنحر «**فَكُلُوا مِنْهَا**» إباحة للأكل[١]؛ لأنه كان يُظَنُّ أنه لا يجوز الأكل منها، كما في جزاء الصيد ونحوه، وقيل: كان أكل القرابين محرم على الأمم، وكانت تنزل نار من السماء بلا[٢] دخان ولا لهب مثل النور فتحرقه، فأباح لهذه الأمة أكلها، وقيل: فائدة الإباحة أن يشارك الغني الفقير[٣] في الأكل في القربان، فيحصل متواضعاً لله تعالى «**وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ**» قيل: القانع الذي يقنع بما أعطي عنده ولا يسأل، والمعترّ[٤] الذي يعترض[٥] لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل، عن ابن عباس. وقيل: القانع الذي لا يسأل، والمعتر الذي يسأل، عن الحسن، وسعيد بن جبير. والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل، عن الحسن. وقيل: المعتر جارك الغني، والمعتر الذي يعتريك من الناس، عن الحسن. وقيل: القانع المسكين الذي يطوف ويسأل، والمعتر الصديق[٦] الداني، عن زيد بن أسلم. وروي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن ذلك فقال: القانع الذي يقنع بما أُعْطِيَ، والمعتر الذي يعتر الأبواب، أما سمعت قول زهير:

عَلَى مُكثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وعِنْدَ المُقِلِّين السماحةُ والبَذْلُ[٧]

«**كَذَلِكَ**» قيل: تم الكلام هاهنا، أي: كذلك فافعلوا يعني[٨] كما[٩] أمرتكم فانحروا، وقيل: بل يتصل بما تقدم، أي: هكذا ذللنا البدن لكم مع شدة خلقها وقوتها وضعفكم خلاف السباع الممتنعة؛ لتنتفعوا بها بالركوب[١٠] والحمل والنتاج

---

(١) للأكل: الأكل، ز، ل، م.
(٢) بلا: لا، ل.
(٣) الفقير: والفقير، ل، م، ي.
(٤) قيل. . . والمعتر: +، ي.
(٥) يعترض: يتعرض، ز، ل.
(٦) الصديق: الطريق، ز، ل.
(٧) ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر بيروت.
(٨) يعنى: +، ي.
(٩) كما: ما، ز، ي.
(١٠) بالركوب: كالركوب، ي، بالمركوب، ز.

والصوف[1] واللحم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أي: لكي تشكروا[2] لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا» قيل: لن يصل إلى الله لحومها أي: لن يتقبل ذلك[3] ولكن يتقبل التقوى، وقيل: لن يبلغ[4] رضى الله لحومُها ولا دماؤها «وَلَكِنْ» يبلغه «التَّقْوَى مِنْكُمْ» وهو إخلاص العبادة «كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ» أي: هكذا سخر الله لكم البدن مع عظمها لتعبدوه وتعظموه قولاً وفعلاً «لِتُكَبِّرُوا[5]» أي: تعظموه «عَلَى مَا هَدَاكُمْ» لإعلام[6] دينه ومناسك حجه، وقيل: هداكم لوجه العبادة في نحرها وذبحها، وقيل: هو أن تقول: الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، وقيل: كرر التسخير؛ لأن الأول لإيجاب الشكر على التسخير، والثاني لتعظيم الشكر، لذلك قال: «لتكبروا الله»، «وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ» قيل: بشرهم بحب[7] الله إياهم لقوله﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقيل: بشرهم بالجنة، والمحسن مَنْ يحسن في اعتقاده[8] وقوله وعمله، وقيل: المحسن من أدى الفرائض وترك المعاصي.

۞ الأحكام

تدل الآية أن كل[9] نَحْرٍ من الشعائر، فيدخل فيه الأضحية والهدي، والأقرب[10] حمله على الأضحية؛ لأنها واجبة عند أبي حنيفة، وسنة[11] عند أبي يوسف ومحمد؛ لأنها مذكورة[12] بعد المناسك.

---

(١) والصوف: وللصوف، ي.
(٢) تشكروا: تشكرون، ي.
(٣) ذلك: ـ ، ل.
(٤) يبلغ: ينال، ي.
(٥) لتكبروا: ولتكبروا، ز، ل، م.
(٦) لإعلام: لإعلامه، ز.
(٧) بحب: لحب، م.
(٨) اعتقاده: عتقاده، ز.
(٩) كل: +، ي.
(١٠) والأقرب: فالأقرب، ي.
(١١) وسنة: سنة، ل، م، ي.
(١٢) مذكورة: مذكور، ز، ل.

وتدل على وجوب الأكل منها، ووجوب الإطعام، وقد بينا أن عند أبي حنيفة يستحب أن يتصدق بثلثها[١]، وإن زاد فهو خير، ولا ينقص منه.

فأما[٢] وقت الأضحية ففي الأمصار يذبح بعد صلاة الإمام بالاتفاق، وإن ذبح قبل صلاة[٣] الإمام فهي شاة لحم عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: إذا مضى من الوقت مقدار ما صلى رسول الله ﷺ وعلى[٤] آله العيد جاز الذبح[٥]، فأما في[٦] القرى فإنه يذبح و[٧]يجزيه بعد طلوع الفجر ولا يجزيه[٨] قبله، وأيام النحر ثلاثة: يوم الأضحى ويومان بعده يجوز ليلاً ونهاراً، إلا أنه يكره الذبح ليلاً، وعند الشافعي الثالث عشر من أيام[٩] النحر.

وروي عن علي (عليه السلام) وعمر[١٠] وابن[١١] عباس وابن عمر وأنس[١٢]: النحر[١٣] ثلاثة أيام[١٤]، أفضلها أولها، فإذا غربت الشمس باليوم[١٥] الثالث عشر[١٦] من أيام النحر[١٧] فات وقته، وإن كانت[١٨] منذورة تصدق بها حية، ولا يأكل منها.

---

(١) بثلثها: بثلثيها، ي.
(٢) فأما: وأما، ز.
(٣) صلاة: ـ، ز، ل.
(٤) على: +، ي.
(٥) الذبح: ـ، ز.
(٦) في: ـ، ي.
(٧) يذبح و: +، ز.
(٨) ولا يجزيه: ولا يجوز، ل، م.
(٩) الثالث عشر من أيام: من يوم أيام، ل.
(١٠) علي عليه السلام وعمر: عمر وعلي، ي.
(١١) وابن عباس: وعمر بن. والصحيح، ز، م.
(١٢) وأنس: كل من، ي.
(١٣) النحر: أنه، ز، م.
(١٤) أيام: ـ، ي.
(١٥) باليوم: في اليوم، ي: فاليوم، ز، ي.
(١٦) عشر: ـ، ل.
(١٧) من أيام النحر: +، ي.
(١٨) كانت: كان، ز.

وتدل على أنه لا يجوز بيعها ولا الاعتياض[١] عنها؛ لذلك[٢] نص على الأكل والإطعام[٣]، ولا يجوز بيع لحمها وشعرها وجلدها، فإما أن يتصدق بها أو ينتفع.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أنه[٤] أراد من الجميع الشكر، وأن الشكر فعلهم، فيبطل قول المجبرة في الإرادة والمخلوق.

وتدل على أنه لا حاجة لله إلى ذلك، وإنما النفع يعود عليهم بالتقوى.

ويدل قوله: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ على وجوب تعظيم الله في عموم الأحوال، وأنه يريد من جميع عباده أن يعظموه.

قوله تعالى:

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

۞ القراءة

في قوله: «ولولا دفاع الله الناس[٥] أربع قراءات:

---

(١) ولا الاعتياض: ولا اعتياض، ل.

(٢) لذلك: ذلك. وفي ز: كذلك، م.

(٣) والإطعام: والطعام، ز، م.

(٤) أنه: أنه إذا، ز، م.

(٥) الناس: +، ز.

أولها[١]: قرأ أبو عمرو: «**إن الله**[٢] يَدْفَعُ عن الذين آمنوا[٣]ولولا دَفْعُ **الله**» بغير ألف فيهما.

وثانيها: قرأ أبو جعفر ونافع: «**إن الله يدافع**»، «**ولولا دِفَاعُ**» بالألف.

وثالثها: «**إن الله يدافع**» بالألف[٤]ولولا دفع الله[٥]» بغير ألف، قرأ كذلك عاصم وحمزة والكسائي.

ورابعها: «**إن الله يدفع**» بغير ألف، «**ولولا دفاع الله**» بألف[٦]، قراءة يعقوب، فالدفاع[٧] من المفاعلة، والدفع المنفرد به.

وفي قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ أربع قراءات:

أولها: «**أَذِن**» بفتح الألف وكسر الذال مضافاً إلى الله تعالى، «**يقاتِلون**» بكسر التاء يعني المؤمنين، أي: أذن الله للمؤمنين في جهاد الكفار، وهو[٨] قراءةابن كثير وحمزة والكسائي.

وثانيها: «**أُذن**» بضم الألف على ما لم يسم فاعله، «**يقاتَلون**[٩]» بفتح التاء، يعني المؤمنين الذين يقاتلهم الكفار[١٠]، قراءةأبي جعفر ونافع وحفص عن عاصم.

وثالثها: «**أُذن**» بضم الألف على ما لم يسم فاعله، «**يقاتِلون**»[١١] بكسر التاء، يعني المؤمنين الذين أذن لهم في جهاد الكفار، قراءةأبي عمرو وأبي بكر عن عاصم ويعقوب.

---

(١) أولها: وأما، ل.
(٢) الله: ـ، ز، ل، م.
(٣) آمنوا: +، ز، ل.
(٤) بالألف: ـ، ز، ي.
(٥) الله: ـ، ي
(٦) بألف: بالألف، ز.
(٧) فالدفاع: والدفاع، ي.
(٨) وهو: ـ، ي.
(٩) يقاتلون: ويقاتلون، ز.
(١٠) يقاتلهم الكفار: يقاتلونهم كفار، ز، ل م.
(١١) بفتح التاء، . . . يقاتلون: ـ، ل.

ورابعها: «**أَذن**» بفتح الألف، «**يقاتَلون**» بفتح التاء، قراءةابن عامر «**يقاتلون**» على ما لم يسم فاعله، يعني أذن الله لكم من الذين يقاتلهم الكفار.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير: «**لهدمت**» خفيفة، وقرأ الباقون مشددة على التكثير من التخريب، واختلفوا في تاء[1]» فأظهرها[2] أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم ويعقوب، وأدغمها الآخرون.

۞ اللغة

الدفع: مصدر دفعت[3] الرجل دفعاً، ودافع الله عنك السوء دفاعاً، والمُدَفَّعُ الفقير؛ لأن كلاً يدفعه عن نفسه.

والْخَوَّان: الخائن، وأصل الخيانة النقص، والْخَوَّان: الأسد أيضاً.

والصومعة: معروفة، وأصله من الانضمام، ومنه: الأَصْمَعُ: اللاصق الأذنين، وكل منضم[4] فهو[5] مُتَصَمِّعٌ.

والبِيَع: جمع بيعة.

۞ الإعراب

قيل: (**الذين**) في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾ إذا ضم الألف محله رفع لأنه اسم ما لم يسم فاعله، وإذا[6] فتح فموضعه نصب؛ لأنه مفعول (**الذين أخرجوا**) بدل[7] من (**الذين**) الأول.

(١) تاء: ـ، ز.
(٢) فأظهرها: فأظهر، ل.
(٣) دفعت: دفت، ل.
(٤) منضم: وكلما انضم، ي.
(٥) فهو +، ز.
(٦) إذا: وإلا، ز.
(٧) بدل: ـ، ي.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟﴾ استثناء منقطع، وقيل: استثناء متصل، بتقدير: ما أخرجوهم لخصلة إلا لقولهم: «ربنا الله» و(إن) في موضع جر رداً على الياء في قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ويجوز أن يكون موضعه نصباً على وجه الاستثناء.

الباء في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [1] بمعنى[2] اللام، أي: لأنهم.

النزول

قيل: كان أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ وعلى[3] آله، ويشكونهم إلى رسول الله، فيقول لهم[4]: «اصبروا، فإني لم أومر بالقتال»، حتى هاجر، فنزل قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ وهو أول آية أذن فيها بالقتال، عن جماعة من المفسرين.

وقيل: لما أخرج النبي ﷺ مهاجراً، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا اليه راجعون، ليهلكن، فأنزل الله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الآية، قال أبو بكر: فعرفت[5] بأنه[6] سيكون قتال، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في قوم بأعيانهم، خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا[7] يمنعون، فأذن[8] لهم في قتال من منعهم من الهجرة، عن مجاهد.

المعنى

لما تقدم ذكر المناسك والصادين عن المسجد الحرام [ذكر دفاعه] عن المؤمنين ووعيد الكافرين[9] الصادين، عن أبي مسلم، فقال سبحانه: «**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ**

---

(١) بأنهم ظلموا: ـ، ل.
(٢) بمعنى: المعنى، ز.
(٣) على: ـ ، ي.
(٤) لهم: +، ز.
(٥) فعرفت: معرفته، ي.
(٦) بأنه: أنه، ز، ي.
(٧) فكانوا: وكانوا، ز.
(٨) فأذن: فإذا أذن، ي.
(٩) ووعيد الكافرين: ووعيداً للكافرين، ز، ي.

آمَنُوا» قيل: شدائد الدنيا بأن ينصرهم ويأمر بتعظيمهم، وقيل: جناية أعدائهم وإيذائهم ومنعهم عن المسجد الحرام، قيل: لما قال: «**يدافع**[(١)]» ولم يبين ماذا، ثم قال: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**[(٢)]» علم أن الدفع خيانة الأعداء ومكرهم «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ**» في آيات الله وأوامره «**كَفُورٍ**» النعمة[(٣)].

ثم أذن لهم في قتال الصادين بعد تقدم البشائر[(٤)] بالنصر، فقال سبحانه: «**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ**» وفيه حذف تقديره: أذن للذين يقاتلون وهم[(٥)] المؤمنين بأن[(٦)] يقاتلوا الكفرة، يعني أمروا بذلك «**بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا**» يعني لمّا ظُلموا أذن لهم ونصرهم لما نالهم[(٧)] من ظلم أعدائهم، وقيل: لما تناهى ظلمهم بالإخراج والإيذاء من يقاتلهم[(٨)]، «**وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**» يعني أنه سينصرهم؛ إذ لا فائدة فيه إلا على هذا الوجه، عن أبي علي.

ثم بيّن تعالى ما نالهم[(٩)] من الظلم[(١٠)]، فقال سبحانه: «**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ**» قيل: من غير أن يستحقوا ذلك، عن أبي علي. وقيل: بغير ذنب، وقيل: إخراجهم بالباطل لا بالحق «**إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**» يعني لم يخرجوا من ديارهم إلاّ لقولهم: ربنا الله وحده، والمعنى أنهم عادوه من غير ذنب[(١١)]، فلا يعتد بقولهم.

فلما[(١٢)] أذن بالقتال ووعد بالنصر[(١٣)] بيّن أن هذه عادته في حفظ المؤمنين

---

(١) يدافع: يدفع، ز.
(٢) كفور: ـ، ز.
(٣) النعمة: لنعمة، ي.
(٤) البشائر: البشارة، ز، ل، ي.
(٥) وهم: فهم، ل.
(٦) بأن: +، ل.
(٧) لما نالهم: +، ز، ل.
(٨) يقاتلهم: مقاتلهم، م.
(٩) نالهم: ما لهم، ز.
(١٠) من الظلم: ـ، ي.
(١١) ذنب: عتب، ز، م، ي.
(١٢) فلما: ولما، ز، ي.
(١٣) بالنصر: النصر، ي.

ونصرتهم[1]، فقال سبحانه: «**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**» قيل: بالجهاد، وإقامة الحدود، وتقديره: لولا دفع المشركين بالمؤمنين لفعلوا كذا وكذا، عن أبي علي. وقيل: ليس المراد به وقتاً دون وقت، ولكن[2] المراد أن عادته حفظ الدين في جميع الأحوال، ولولا ذلك لهلك أهل العبادة ومواضعها، ثم فصل[3]، عن أبي مسلم. وقيل: يدفع عن المؤمنين بالنبيين، وعن الكفار بالمؤمنين[4]، وعن العصاة بالأطفال، والوجه ما ذهب إليه أبو علي وأبو مسلم. «**لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ**» قيل: صوامع في أيام عيسى، وَبِيَعٌ في شريعة موسى، ومساجد في[5] شريعة محمد ﷺ، عن الزجاج. يعني في كل عصر يحفظه، وقيل: البيع للنصارى في القرى، والصوامع في الجبال والبراري، ويشترك فيها الفرق الثلاث، والمساجد للمسلمين، والصلوات كنائس اليهود، عن أبي مسلم. وقيل: الصوامع صوامع الرهبان، عن مجاهد، والضحاك. وقيل: صوامع الصابئين، وبِيَع النصارى، عن قتادة. وقيل: البيع: كنائس اليهود، عن مجاهد، وابن زيد. «**وَصَلَوَاتٌ**» قيل: كنائس اليهود، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وأبي[6] مسلم. وقيل: مساجد الصابئين، عن أبي العالية[7]. وقيل: مساجد لأهل الكتاب وأهل الإسلام[8] بالطرق[9]، عن مجاهد. وعلى هذه المعاني الصلوات أراد موضع[10] الصلوات، وقيل: أراد[11] الصلاة بعينها، وقيل: أراد[12] الصلوات صلوات[13] أهل الإسلام تنقطع إذا دخل عليهم

---

(١) ونصرتهم: ونصرهم، ز.
(٢) ولكن: والكن، ل.
(٣) ثم فصل: ـ ، ي.
(٤) وعن الكفار بالمؤمنين: ـ ، ل.
(٥) في: في أيام، ي.
(٦) وأبي: وابن، ل، م.
(٧) أبي العالية: العباس، ي.
(٨) الإسلام: السلام، ز، م
(٩) بالطرق: بالطريق، ي.
(١٠) موضع: مواضع، ي.
(١١) الصلوات وقيل: أراد: +، ي.
(١٢) أراد: +، ز.
(١٣) صلوات: صلاة، ز.

العدو، وانقطعت العبادة[1]، عن ابن زيد. «**وَمَسَاجِدُ**» أي: وهدمت المساجد كما فعل بخت نصر، وقيل: أراد مساجد المسلمين، وقيل: بالذكر في المساجد يتقي المؤمن[2] وبالمؤمن يدافع[3] عن أهل الذمة، وقيل: يدفع[4] عن [هدم] مصليات أهل الذمة بالمؤمنين، عن الحسن. وقيل: أراد لولا دفع المشركين لهدموا بيع النصارى وكنائس اليهود ومساجد المسلمين «**يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**» قيل: يرجع إلى المساجد، وقيل: إلى جميع ما تقدم؛ لأن الغالب فيها ذكر «**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ**» اللام للقسم[5]، فأكد الوعد بالنصر[6] بالقسم لمن ينصره، قيل: من[7] ينصر دينه، وقيل: ينصر أولياءه «**إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**[8]» يعني قادر عزيز[9] لا يغالب «**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ**» قيل: هم المهاجرون[10] الذين أخرجوا من ديارهم، وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ، عن قتادة. وقيل: هم أهل الصلوات الخمس، عن عكرمة. وقيل: هذه الأمة، عن الحسن، وأبي العالية. يعني إن سلّطناهم فتمكنوا في[11] الأرض قاموا بهذه العبادات[12] **أَقَامُوا الصَّلاَةَ**[13]» أي: أداموها[14] بشرائطها «**وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**» أي: أمور الخلق مصيرهم إليه يوم القيامة، وقيل: إشارة إلى أن هذا التمكن يحصل؛ لأن له العواقب، وقيل: دين[15]

---

(١) العبادة: العادة، ز.
(٢) المؤمن: +، ي.
(٣) يدافع: يدفع، ل، ي.
(٤) يدفع: يدافع، ز، ل، م.
(٥) للقسم: لام قسم، ي.
(٦) بالنصر: بالنصرة، ي.
(٧) من: لمن، ز.
(٨) عزيز: ـ، ي.
(٩) قادر عزيز: قادراً عزيزاً، ز، ل، م.
(١٠) المهاجرون: المهاجرين، ز.
(١١) في: من، ي.
(١٢) العبادات: العادات، ز.
(١٣) الصلاة: الصلوات، ل.
(١٤) أداموها: داوموها، ل، م.
(١٥) دين: ـ، ي.

الله يظهره على سائر الأديان، وقيل: يبطل كل مُلْكٍ[١] سوى ملكه.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه أمر المؤمنين بالقتال من حيث ظلمهم الكفار، وهذا وإن كان كالسبب في إباحة القتال فقد أوجب الله تعالى الجهاد[٢]، ولو كانت هذه العلة مفقودة، وأجمعت الأمة على ذلك.

وتدل على أنه ينصر المؤمنين بألطافه، ويقوي قلوبهم، ثم بين أن قتالهم لا يكفي؛ بل لا بد من دفاع من جهته، فيرد[٣] بعضهم ببعض حتى يتم التدبير، ولايستولي الكفار، ولولا ذلك لاستولوا.

ويدل آخر الآيات أن المراد دفع معرة الكفار بالمؤمنين ولذلك قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

وتدل على وجوبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويدل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ على فضل المهاجرين، وقوله: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾ بدل من (الذين) الأول، فمن هذا الوجه قال شيخنا أبو علي: إنها تدل على صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان[٤]؛ لأنهم الذين مكنوا في الأرض من المهاجرين، ولا يدخل فيها آل سفيان، ولا آل مروان كمعاوية وغيره؛ لأنهم لم يهاجروا ولم يخرجوا من ديارهم؛ بل[٥] أخرجوا المؤمنين، وقاتلوا رسول رب العالمين، ولا يقال: إن المراد به أمير[٦] المؤمنين فقط؛ لأنه جمع، ولأنهم أُخْرِجوا ومُكِّنُوا كما أخرج، فلا معنى للتخصيص.

ومتى قيل: وأي مدخل لهم في الإمامة؟

---

(١) ملك: ملكه، ل.

(٢) الجهاد: القتال، ز.

(٣) فيرد: فيه، ز، ل، م.

(٤) إمامة أبي بكر وعمر وعثمان: رضوان الله عليهم، ز.

(٥) بل: ثم، ي.

(٦) أمير: ـ ، ز.

قلنا: الإمام هو الذي يتمكن في الأرض[1]، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقيم الحدود، ويحفظ البَيْضَةَ، ويدفع الكفار عن المؤمنين، والظالم عن المظلوم، ويردع[2] عن الفساد.

وتدل على أن الإخراج فِعْلُ العبد، وكذلك الصلاة، والأمر بالمعروف، وكل ذلك يصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب: «**فكأين من قرية**[3] **أَهْلَكْتُهَا**» بالتاء على الواحد، والآخرون بالنون والألف على[4] التفخيم.

اللغة

الإملاء: الإمهال، ومنه: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٣] أي: أمهلهم.

والخواء: المكان[5] الخالي، خوت[6] الدار تَخْوِي خَوَاءً فهي خاوية، وخوى جوف الإنسان من الطعام خَوًى مقصور، وهو خَوًّى.

---

(١) الأرض: الأمر، ي.
(٢) ويردع: ويروع، ي.
(٣) قرية: قر، ل، م.
(٤) والألف على: عن الألف وعلى، ز.
(٥) المكان: +، ي.
(٦) خوت: خلت، ل.

والعرش: أصله البناء، ومنه: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، عرش يعرُش ويعرِش بضم الراء وكسرها، ومنه سمي السرير العرش[(١)].

والمُعَطَّلة من التعطيل، وهو إبطال العمل بالدين[(٢)]، ولهذا قيل للدهري مُعَطِّلٌ.

والمشيد: المرتفع من الأبنية، شاد الرجل بناءه يَشِيدُهُ، وشَيَّدَهُ يُشَيِّدُهُ، ومنه: أشاد بذكر فلان إذا نَوَّهَ باسمه، ولا يقال في هذا شاد ولا شَيَّدَ، قال ابن عرفة: الشِّيدُ ما طلي على الحائط من جَصٍّ[(٣)] وصاروج وغير ذلك[(٤)].

الإعراب

قوله تعالى[(٥)] ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ في كسرها قولان:

أولهما: عطفاً[(٦)] على قوله: «قرية» تقديره: فكأين[(٧)] من قرية ومِنْ بئر معطلة، فيكون إهلاكها كالقرية.

وثانيهما: بالعطف على العرش، فيكون المعنى: إن بها البئر المعطلة والقصر المشيد.

المعنى

لما تقدم الوعد بالنصر للمؤمنين على الكفار عقبه بهلاك من تقدم ليثقوا بنصره، فقال سبحانه: «**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ**» فيما آتيناهم[(٨)] من الدين «**فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ**

(١) عرش... العرش: +، ز، ي.
(٢) بالدين: +، ي.
(٣) جص: قصّ، ي.
(٤) وغير ذلك: +، ي.
(٥) قوله تعالى: +، ي.
(٦) عطفاً: +، ز.
(٧) فكأين: وكأين، ي.
(٨) آتيناهم: أتيتهم، ي.

﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ هم قوم شعيب **﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾** ولم يقل قومه؛ لأن قومه بني إسرائيل آمنوا به، وإنما كفر به فرعون وقومه **﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾** أي: أمهلتهم ولم أعاجلهم بالهلاك إقامة للحجة[(١)] وإزاحة للعلة[(٢)] واستيفاء الآجال[(٣)] والأرزاق **﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾** بالعذاب **﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾** قيل: معناه سَلْهُمْ كيف كان نكيري عليهم، فلا ينبغي لهؤلاء أن يغتروا[(٤)] بالإمهال، وقيل: كيف كان نكيري، ألم أبدلهم بالنعمة نقمة، وبالكثرة قلة، وبالحياة هلاكاً، وبالعمارة خراباً.

ثم زاد في التحذير، فقال سبحانه: **﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾** أي كم قرية[(٥)] **﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾** أي: أهلكناها[(٦)] ظالمة[(٧)] **﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾** قيل: ساقطة على سقوفها، أي تهدمت الحيطان على السقوف، وقيل: خالية عن أهلها ساقطة على سقوفها[(٨)] **﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾** متروكة مخلاة عن أهلها، لا ينزح ماؤها لهلاك أهلها **﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾** قيل: رفيع طويل، عن قتادة، والضحاك، ومقاتل. وقيل: مجصص، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة. وعن الضحاك أن هذه الآية كانت باليمن[(٩)] بحضرموت أهلك الله أهلها.

الأحكام

تدل الآية على أن الأمم كذبوا[(١٠)] أنبياءها فأهلكهم[(١١)] الله، وفيه تحذير عن مِثْلِ حالهم.

---

(١) للحجة: الحجة، ي.
(٢) للعلة: العلة، ز، ي.
(٣) الآجال: الرجال، ز.
(٤) يغتروا: يغيروا، ز.
(٥) أي كم قرية: +، ي.
(٦) اهلكناها: أهلكها، ل، م، ي.
(٧) أي: أهلكناها ظالمة: ـ، ي.
(٨) أي تهدمت... سقوفها: +، ي.
(٩) باليمن: +، ي.
(١٠) كذبوا: كذبت، ل.
(١١) فأهلكهم: فأهلكم، ل.

وتدل على أنه تعالى لا يهلك إلا بعد إبلاء العذر والإمهال.

وتدل على أن أهل الوبر المختصين بالآبار وأهل المدن المختصين بالقصور لم يبقوا في نعمتهم[1]، ففيها عظة لمن تأمل حالهم فيهتم لآخرته، ويقنع من الدنيا بما أوتي.

وتدل على أن التكذيب فِعْلُهُمْ ليس بخلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: «**مما يَعُدُّون**» بالياء[2] على الكناية[3]، والباقون بالتاء[4] على الخطاب.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «**مُعَجِّزين**» مشددة الجيم بغير ألف، وكذلك في (سبأ) [في] موضعين، يعني مُثَبِّطِين الناس عن الإيمان، وقرأ الباقون: «**معاجزين**» بالألف وتخفيف الجيم في السورتين، يعني مغالبين.

---

(١) نعمتهم: بغيهم، ز، م، نعمهم، ل.

(٢) بالياء: بالتاء، ي.

(٣) الكناية: المعاينة، ي.

(٤) بالتاء: بالياء، ي.

۞ اللغة

القلب: عضو معروف، وهو مأخوذ من تقلبه، وله أفعال مخصوصة، وتختص به أعراض مخصوصة، فالأول: كالاعتقادات، والإرادات، والكراهات، والنظر، والظن. والثاني: كالشهوة، والنفار. والعقل محله القلب، وكذلك العلوم.

والاستعجال: طلب الشيءقبلوقته.

والسعي: الإسراع في المشي[١]، سعى سعياً فهو ساعٍ، والجمع: سُعَاةٌ.

والعجز: قيل: معنى يضاد القدرة، وقيل: عدم القدرة، والمعاجزة: محاولة عجز الغالب، والتعجيز: طلب إظهار المعجز.

۞ الإعراب[2]

«فَتَكُونَ» نصب على الظرف، وقيل: لأنه جواب الاستفهام بالفاء، وقيل: رفع لأنه لم يجعله جواباً، وهو كقوله: ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾[٣] [الحج: ٦٣].

«مُعَاجِزِينَ» نصب على الحال، أي: في حال المعاجزة.

«فَإِنَّهَا» قيل: الهاء عماد، تقديره: فإن الأبصار لا تعمى.

۞ النزول

قال ابن عباس ومقاتل: لما نزل: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] جاء ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله، أنا في الدنيا أعمى، أفأكون[٤] في الآخرة أعمى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ في النضر بن الحارث.

---

(١) في المشي: والمشي، ز.
(٢) الإعراب: اللغة، م.
(٣) فتصبح الأرض مخضرة: ـ ، ي.
(٤) أفأكون: فأكون، ي.

المعنى

لما تقدم ذكر هلاك الأمم أمر بالتدبر في شأنهم والاعتبار بأحوالهم، فقال سبحانه: «**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ**» قيل: أراد كفار مكة، وقيل: أراد أولم تسيروا[١] أيها السامعون[٢]، وفيه حذف تقديره: فينظروا إلى مصارع الأمم الخالية وآثارهم «**فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**» أي: يعلمون بها «**أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**»، وإنما ذكر هذين العضوين، لأن الاعتبار يحصل بمشاهدة أثر أو سماع خبر، فإذا اجتمعا يكون آكد في الوعظ[٣]، فمن نظر إلى آثار الأمم الماضية، وسمع أخبارهم، وتفكر في أحوالهم تحرز عن سبب ما استحقوا به ذلك وهو الكفر والمعاصي، «**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ**» يعني[٤] أبصار هؤلاء الكفار «**وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ**» حيث لم يتفكروا «**الَّتِي فِي الصُّدُورِ**» وذكر الصدور[٥] تأكيداً لقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، و ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وإنما ذكر لإزالة إيهام من الإشتراك[٦]، وقيل: أراد بالعمى الضلال، يعني ضل القلب دون البصر، عن أبي مسلم. وقيل: ذكر عمى القلب توسعاً؛ لأن الأعمى لا يبصر شيئاً، فمن لم يتفكر فلم يعلم شيئاً كان قلبه أعمى «**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ**» تكذيباً ورداً «**وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ**» قيل: وَعَدَ وأَوْعَدَ ولن يخلف شيئاً منه، ولكن جعل لكل[٧] واحد وقتاً، قيل: أنجز يوم بدر، وقيل: سينجز يوم القيامة «**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ**» يعني يوم القيامة «**كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**» قيل: يوم[٨] من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا، عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد. ومعناه: وإن يوماً عند ربك فيعذبهم فيه في الثقل والاستطالة كألف سنة مما

(١) تسيروا: تسر، ي.
(٢) السامعون: السامع، ي.
(٣) الوعظ: اللوعظ، ز.
(٤) «الأبصار» يعني: +، ي.
(٥) وذكر الصدور: +، ي.
(٦) الاشتراك: من الاشراك، ز، ل، م، ي.
(٧) لكل: +، ي.
(٨) يوم: +، ي.

تعدون، فكيف يستعجلون ذلك لولا أنهم جهال، «**عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ**» طوَّل الإمهال للعباد لإصلاح[1] من يصلح فكأنه ألف سنة لطول الأيام، وقيل: وإن يوماً في مقدار العذاب في ذلك اليوم لشدته كمقدار[2] عذاب ألف سنة[3] من أيام الدنيا لو بقي، عن أبي علي. وقيل: أراد لطول وقوف العبد للمحاسبة يوم القيامة، وقيل: هي من الأيام التي خلق الله فيها السموات، عن ابن عباس.

ومتى قيل: كيف يصح ذكر اليوم وفي الآخرة لا نهار ولا ليل؟

فجوابنا: يحتمل أن تكون هناك علامة إذا بلغ ذلك القدر يسمى يوماً، فيكون مقداره في الدنيا ألف سنة.

«**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ**» أي: كم من قرية[4] «**أَمْلَيْتُ لَهَا**» أي: أمهلت «**وَهِيَ ظَالِمَةٌ**» أي: أهلها ظالمة، فلم أعاجلهم[5] بالعذاب لمصلحة «**ثُمَّ أَخَذْتُهَا**» بالعذاب «**وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**» للجميع[6] نبه أن طول الإمهال لا يعتبر به «**قُلْ**» يا محمد «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا**[7] **لَكُمْ نَذِيرٌ**» مخوف بالعذاب لمن عصى، وبشير[8] بالجنة لمن أطاع. أنه قال: قل لهم: ليس العذاب[9] الذي[10] تستعجلون[11] به إليّ[12] قل: إنما أنا مبلغ وبشير ونذير «**فَالَّذِينَ**[13] **آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**» يغفر ما سلف من ذنوبهم «**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**» عطاء كريم، قيل: نعيم أهل[14] الجنة، وهي أكرم نعم، وأكرم دار، وقيل:

---

(١) لإصلاح: ولصلاح، ز، ل، م.
(٢) لشدته كمقدار: وشدته كمقدار، ز؛ وشدته مقدار، ل، م.
(٣) سنة: ـ ، ل.
(٤) أي: كم من قرية: +، ي.
(٥) أعاجلهم: أعجلهم، ي.
(٦) للجميع: +، ي.
(٧) أنا: ـ ، ي.
(٨) وبشير: ومبشر.
(٩) إنه قال: قال لهم ليس العذاب: ومنهم من قال إنه نذير لهم وبشير بالعذاب، ز.
(١٠) الذي: ـ ، ل.
(١١) تستعجلون: وتستعجلون، ل.
(١٢) إلي: ـ ، ز، ل.
(١٣) فالذين: فأما الذين، ز، ل، ي.
(١٤) أهل: +، ز.

مكرم على أهله للتعظيم الذي ينالهم فيه «وَالَّذِينَ سَعَوْا» على طمع «فِي آيَاتِنَا[١]»

في إعجاز الرسول والمؤمنين[٢]، فأضافه إلى نفسه تعظيماً، وقيل: مقدرين أن يُعجزوا الله، ولن[٣] يعجزوه، عن قتادة. وقيل: مغالبين، عن ابن عباس، وأبي مسلم. وقيل: سابقين، وقيل: يعجزون المؤمنين[٤] في قبولها، وقيل: يعجزونهم في تصحيحها[٥]، وقيل: يعجزون عن إقامتها بجحدهم تدبير الله لها «أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» يعني الملازمين[٦] لجهنم، خالدين فيها.

۞ الأحكام

في قوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ ردع وزجر وتنبيه من[٧] وجوه:

أحدها: ذكر عذاب من تقدم.

وثانيها: انصرافهم عن التفكر.

وثالثها: ترك استعمال عقولهم.

وتدل على أن محل العقل القلب لا الدماغ.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل على وجوب النظر، وأن من لم ينظر فهو أعمى القلب، وذلك أشد من عمى[٨] العين.

ويدل قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ على خلاف قول[٩] المرجئة.

---

(١) في آياتنا: +، ز، ل.
(٢) المؤمنين: المؤمن، ي.
(٣) لن: وإن، ز، ل.
(٤) المؤمنين: المؤمن، ز، م، ي.
(٥) تصحيحاً: عن نصحتها، ز، ل.
(٦) الملازمين: الملازمون، ل.
(٧) من: عن، ي.
(٨) عمى: ـ، ل.
(٩) قول: ـ، ل.

وتدل على وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين[١].

وتدل على أن الثواب والعقاب يستحقان[٢] على الأعمال خلاف قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾[٣]

اللغة

التمني: قيل: هو معنى في القلب، وقيل: هو من جنس[٤] الأقوال، وهو قوله[٥]: ليت لي[٦] كذا، وتمنى تمنياً، هذا أصله، ومن[٧] هذا قول[٨] عروة بن الزبير للحجاج: يابن المُتَمَنِّيَة[٩]، أراد أمه قُرَيْعَةَ بنت[١٠] همام، وكانت قبل[١١] تحت المغيرة بن شعبة، وهي القائلة:

ألا سبيل إلى خمر فأشربها[١٢] ... أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

(١) الكافرين: الكفار، ز، ل.
(٢) يستحقان: يستحق، م، ي.
(٣) وما أرسلنا... يوم عقيم: ـ ، ل.
(٤) جنس: حسن، ز.
(٥) قوله: قواه، ز؛ قراءة، ل؛ قال، ي.
(٦) لي: ـ ، ز، ل.
(٧) ومن: ومن قال، ز، م، ي.
(٨) هذا قول: قال، ز، ل، م، ي.
(٩) المتمنية: التمنية، ل.
(١٠) بنت: ابنت، ي.
(١١) قبل: ـ ، ل.
(١٢) فأشربها: فأشرها، ل.

وكان نصر هذا[١] رجلاً من بني سليم رائع الجمال تُفْتَنُ به النساء، فمر عمر رضي الله عنه بهذه المرأة، وهي تنشد هذا[٢] البيت، فدعا نصراً وسَيَّرَهُ إلى البصرة. ثم يستعمل التمني[٣] في مواضع يقال: تمنى: قرأ، والأمنية[٤]: القراءة، قال الشاعر:

تَـمَـنَّـى كـتـاب الله أول لَـيْـلِـهِ

وقيل: سمى القراءة أمنية[٥]، لأن القارئ إذا انتهى إلى آية رحمة تمناها، وإذا انتهى إلى آية عذاب تمنى وقاها[٦]، وقيل: أخذ من[٧] التقدير؛ لأن التالي يتقدر[٨] الحروف بذكرها شيئاً بعد شيء، وقيل: تمنى من منيت[٩]، منى الله لك[١٠]، أي: قدر، ومنه: المنية؛ لأن الله قدرها له، وقد تسمي العرب الموت قدراً، كما تسميه منية، قال كعب بن زهير:

لو كُنتُ أَعْجَبُ مِنْ شيء لأعجبني　　سَعْيُ الفتى وهْو مخبوء له القَدَرُ

وقيل: تمنى الشيء وهو تقدير بلوغه والوصول إليه، عن أبي مسلم. والمنى التقدير مَنَّ الله خيراً: قدر، قال الشاعر:

مـا يَـمْـنَـى لَـكَ الـمـانـي

والتمني: الكذب، ومنه: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[١١] [البقرة: ٧٨] أي: إلا كذباً، يقال: مان في حديثه مَيْنًا[١٢]، وتمنى تمنياً إذا كذب، ومنه حديث عثمان: (ما

---

(١) هذا: +، ز، ل.
(٢) هذا: بهذا، ل.
(٣) التمني: الشيء، ل.
(٤) والأمنية: والأمنة، ز.
(٥) أمنية: منية، ز، ل.
(٦) وقاها: وقايتها، ل.
(٧) آية... اخذ من: ـ، ز.
(٨) التالي يتقدر: القارى يتفرد، ز، القارى بتقدر، ل.
(٩) منيت: منت، ي.
(١٠) لك: ـ، ل.
(١١) لا يعلمون الكتٰب إلآ أماني: ـ، ز، ل.
(١٢) مينا: مناً، ل.

تمنيت مذ أسلمت)، أي: ما كذبت، ويقال للأحاديث[1] المفتعلة[2]: أماني[3]، واحدها أمنية، ويقال: تمنى: أحب، تمنيت هذا الأمر أحببته، قال أبو مسلم: أصله بمعنى تَفَعَّلَ من منيت ومَنَّى الله لك أي: قدر، والمنية منه فَعِيلَة[4] من تمنيت، وتمنى الشيء قدر بلوغه والبلوغ إليه.

والخبت: السكون والاطمئنان، والإخبات: الطمأنينة، ويقال لما اطمأن من الأرض: الخَبْتُ.

والريب: الشك، والمِرْيَةُ: شك في تهمة.

والعقيم[5]: الذي لا يلد.

۞ الإعراب

﴿فَيُؤْمِنُواْ﴾ معطوف بالواو على ما عمل[6] فيه لام (كي)، تقديره: ليعلم الذين أوتوا العلم وليؤمنوا به.

﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ﴾ تقديره: ولتخبت.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ﴾ نصب بـ ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ [7]على معنى حتى[8] يأتيهم المقْضي[9].

۞ النزول

قيل: لما تلا سورة (النجم) وبلغ قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ

(١) للأحاديث: للأماني، ز، ل.
(٢) المفتعلة: المتفعلة، م، ي.
(٣) أماني: الأماني، ز، ل.
(٤) فعيلة: فعليه، م، ي.
(٥) والعقيم: العقيم، ي.
(٦) عمل: عمله، ز، ل، م.
(٧) بـ «تأتيهم»: تأتيهم، ي.
(٨) حتى: +، ز، ي.
(٩) المقضي: +، ي.

ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم[١] ترتجى، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، ومحمد[٢] بن كعب وغيرهم. وهذا الخبر إن صح فمحمول[٣] على أنه كان يتلو القرآن، فلما بلغ إلى هذا الموضع، وذكر اسم آلهتهم، وقد علموا من عادته في ذلك أنه يعيبها، قال بعض[٤] من حضر من الكفار: تلك الغرانيق العلا[٥]، وألقى ذلك في تلاوته، توهم أنه من القرآن، وأضافه إلى الشيطان؛ لأنه بإغوائه ووسوسته حصل، هكذا ذكره الناصر للحق الحسن بن علي (كرّم الله وجهه).

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله: إنما جاز ذلك[٦] الغلط عليه على سبيل السهو الذي لا يخلو منه بشر[٧]، بأن يخرج من سورة إلى سورة لمكان المشابهة[٨]، وأنكر ما ترويه الحشوية[٩] أن رسول الله ﷺ قال ذلك حتى نزل جبريل وقال: ما أنزل الله[١٠] عليك هذا، وأنه سجد وسجد المؤمنون والكافرون في سجدة السورة[١١] إلا شيخاً[١٢] في حديث طويل هذا عمدته.

وتدل على أن الواحد منا لا يغلط مثل[١٣] هذا الغلط، وإنما يغلط في المتشابه، ومن أصحابنا من قال: إن الخبرغير صحيح على ما رواه[١٤]، وأن ذلك من دسيس

---

(١) شفاعتهم: الشفاعة، ل، م.
(٢) ومحمد: ويحيى، ي.
(٣) فمحمول: فحمول، م.
(٤) بعض: ـ، ز.
(٥) العلا: ـ، ي.
(٦) ذلك: ـ، ز.
(٧) بشر: البشر، ز، ل.
(٨) المشابهة: التشابه، ي.
(٩) الحشوية: الحشو، ي.
(١٠) الله: ـ، ي.
(١١) السورة: ـ، ي.
(١٢) إلا شيخاً: +، ي.
(١٣) مثل: ـ، ل.
(١٤) على ماروواه: +، ي.

الملحدة؛ لأن الشيطان لا يمكنه أن[1] يلقي في لسان النبي ﷺ، كيف وقد عصمه الله تعالى عن ذلك، ولأن النبي ﷺ[2] بمكة[3] كان يقرأ[4] هذا على غفلة من المشركين، ولأن معاداتهم له كانت أعظم من أن يسمعوا القراءة، ويسجدوا بسجدته، ولأنه أثبت له[5] [من التمكين في الألقاء والثبات في الحكمة] ما أثبت[6] لجميع[7] [الرسل من قبله]، ثم لم يرو عن أحد مثل ذلك، علمنا أن المراد ما يقع بسهوٍ[8] في المتشابه، ولأنه كُفْرٌ مِنْ قائله، فلا يجوز إضافته إلى النبي، وقد قال بعضهم: إنه قال ذلك على سبيل الاستفهام[9]: أتلك الغرانيق العلا؟! قاله منكراً، وعن بعضهم أنه أراد أهم عند الله كالغرانيق العلا، وكل ذلك لا يصح؛ لأنه لا يجوز إدخاله في القرآن والقراءة خصوصاً في الصلاة، ولما فيه من الإيهام، فإما[10] أن[11] يكون[12] الخبر غير صحيح، وإن صح فالتأويل ما ذكره الناصر للحق عليه السلام.

النظم

يقال: كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟

قلنا: فيه وجوه:

أولها: قيل: لما تقدم ذكر الكفار وما متعهم به من الدنيا، ورأى رسول الله ﷺ

---

(١) يمكنه أن: ـ ، ل.
(٢) صلى الله عليه وسلم: عليه السلام، ي.
(٣) بمكة: +، ز، ي.
(٤) يقرأ: ـ، ي.
(٥) له: ـ ، ل.
(٦) ما أثبت: +، ي.
(٧) الجميع: بجميع؛ ل، م.
(٨) بسهو: بسهوه، ل، م.
(٩) على سبيل الاستفهام: على سبيل على الاستفهام، ز، ل، م.
(١٠) فإما: ـ ، ل.
(١١) أن: فإن، ز، ل.
(١٢) يكون: يكن، ل.

ما فيه أهل الكفر من أسباب الدنيا وما فيه أصحابه من الإقتار، تمنى لهم في الدنيا حالاً، فنزلت هذه الآية، وبين أنه من وسوسة الشيطان، وأن ما أعد للمؤمنين خير مما متعهم به[١] من الدنيا[٢].

وقيل: لما ذكر قوله[٣]: «إنما أنا[٤] لكم نذير مبين[٥]»، بين أنه بشر[٦] وأن حاله كحال الرسل قبله.

وقيل: كان المشركون إذا غلط رسول الله ﷺ في المتشابه أكثروا القول فيه وطعنوا عليه، فبين أنه وإن كان بشيراً ونذيراً فهو من البشر حاله[٧] كحال الأنبياء.

المعنى

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ[٨] قَبْلِكَ» أي ما بعثنا قبلك يا محمد «مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ» وإنما ذكر اختلاف[٩] اللفظين لاختلاف فائدتهما، فالرسول الذي أرسله الله تعالى، وهو[١٠] عند الإطلاق لا يحمل على غير رسول الله ﷺ، والنبي الذي له الرفعة والدرجة[١١] العظيمة بالإرسال كما قال الشاعر:

يَـــنْـــأ عَـــنِّـــي[١٢] ويَـــبْـــعُـــدِ

(١) به: منه، ز، ل، م.
(٢) من الدنيا: +، ي.
(٣) قوله: قال، ز، ل، م، ي.
(٤) أنا: +، ز، ي.
(٥) مبين: بشير، ز، ل، م، ي.
(٦) بين أنه بشر: +، ي.
(٧) حاله: +، ي.
(٨) من: ـ، ي.
(٩) اختلاف: ـ، ي.
(١٠) وهو: فهو، ل.
(١١) والدرجة: ـ، ز.
(١٢) ينأ عني: تنأ بي عنك، ز، ل، م؛ البيت قائله طرفة بن العبد في معلقته وتمامه:
مـالـي أداني وإبـن عـمـي مـالـكـاً ... مـتـى أدن مـنـه يـنـأ عـنـي ويـبـعـد

فذكرهما[1] لاختلاف اللفظتين[2]، وقيل: بينهما فرق، فالرسول مَنْ يوحى[3] إليه، والنبي من لا يوحى إليه، وهذا فاسد؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ [الأعراف: ٩٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، و[4]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، خاطبه مرة بالنبي ومرة بالرسول، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢]؛ لأن كل من وجبت طاعته وقبول شريعته[5] لا بد فيه من وحي ومعجز «**إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**» قيل: إذا تلا الكتاب[6] ألقى الشيطان[7] في تلاوته حتى تختلف عليه التلاوة سهواً[8] كما تختلف علينا فنقرأ مكان «**سميع عليم**»: (حكيم عليم)، وندخل من سورة في سورة، عن أبي علي. وقيل: تمنى: أراد وأحب أن يفعل[9] ما[10] يتقرب به[11] إلى الله تعالى، أو شيئاً من[12] أمور الدين فيما يوحى إليه، فيلقي الشيطان في خواطره ما يضاد الوحي من أشغال الدنيا وما يشغله عنه فيعصم الله نبيه، ويحكم الله[13] آياته فيرجع إلى الله، فيبطل ما يلقيه الشيطان، عن أبي مسلم. وقيل: المراد تمنى الدنيا بقلبه عن وسوسة الشيطان عند الافتقار، فيذهب الله ذلك عن قلبه[14] بأن الوحي ينزل[15] بحسب المصلحة لا على حسب[16] ما

---

(١) فذكرهما: فذكرها، ز.

(٢) اللفظتين: +، ي.

(٣) يوحي: ـ ، ل.

(٤) و: ـ ، ل.

(٥) شريعته: شرعه، ل.

(٦) الكتاب: القرآن، ز.

(٧) ألقى الشيطان: ـ ، ل.

(٨) سهواً: حتى ليسهو، ز؛ والسهو، ل.

(٩) يفعل: يفعل فعلاً، ي.

(١٠) ما: ـ ، ي.

(١١) به: ـ ، ي.

(١٢) من: في، ل.

(١٣) الله: ـ ، ي.

(١٤) المراد تمنى الدنيا بقلبه عن وسوسة الشيطان عند الافتقار، فيذهب الله ذلك عن قلبه: وقيل: تمنى حدثت نفسه بسرعة الوحي دون تأخيره فأذهب الله ذلك عن قلبه، ي.

(١٥) بأن الوحي ينزل: بأن الوحي إليه أن نزول الوحي، ي.

(١٦) حسب: سبيل، ل.

تمنى[١]، وقيل: إذا تمنى الوحي ليرشدهم[٢] ألقى الشيطان في قلوب الكفرة أنه سحر وباطل، فيذهب الله تلك الشبهة، ويحكم الله الآيات الدالة على نبوته، عن جعفر بن حرب رحمه الله، قال: لأنه لم يقل في قراءته[٣] مَنْ، وفي قَلْبِ[٤] مَنْ، وقيل: تمنى إسلام قومه، فعرف أن ذلك يتعلق باختيارهم لا بأمانيه «**فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**» لم يرد به النسخ الشرعي، وإنما أراد فيذهب الله ذلك ويزيله[٥] على[٦] معنى النسخ في اللغة «**ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**» قيل: تبقى آيات الله وكلامه وما أمر به محكمة لا سهو فيه ولا غلط، وقيل: الآيات: القرآن، فيحكمه بأن ينبهه[٧] عن السهو حتى يرجع إلى الصواب «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**» بكل شيء «**حَكِيمٌ**» فيما يفعل من إحكام آياته ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ قيل: ليجعل[٨] ذلك تشديداً في التعبد وامتحاناً؛ لأنه يجب عليهم[٩] النظر، فيعلموا أن جواز السهو عليه لا يطعن في نبوته، وأن ما لا يجوز عليه ينفر عنه، فسمى الامتحان وشدة التعبد فتنة، عن أبي علي. وقيل: الفتنة العذاب، أي: لما ألقى الشيطان فيما يريده المكلف، وأما[١٠] المؤمن فيتبع آيات الله، وأما[١١] الكافر والمنافق فيتبع[١٢] ما يلقي[١٣] الشيطان فكان ذلك عذاباً عليه، عن أبي مسلم. «**لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**» قيل: شك وكفر ونفاق «**وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**» يعني الكفار الذين قست قلوبهم «**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**» قيل: في معاداة

---

(١) ما تمنى: ما يتمنى، ي.
(٢) ليرشدهم: لرشدهم، ز؛ أرشدهم، ل.
(٣) قراءته: قراءة، م.
(٤) وفي قلب: قبل، ل، م.
(٥) ويزيله: وأزاله، ي.
(٦) على: عن، ز.
(٧) ينبهه: ينبه، ي.
(٨) ليجعل: +، ي.
(٩) عليهم: عليه، م.
(١٠) وأما: فأما، ي.
(١١) أما: ـ، ي.
(١٢) فيتبع: يتبع، ز، ل، م.
(١٣) يلقي: ألقى، ز، ل، م.

ومعاندة[١]، وقيل: في مخالفة بعيدة عن الحق «**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**» يعني الذين تفكروا حتى علموا التوحيد والعدل والنبوات وما يجوز على الله وعلى[٢] رسوله وما لا يجوز «**أَنَّهُ الْحَقُّ**» أي: يعلمون الذي أحكمه الله هو الحق وما ألقى الشيطان باطل، وقيل: يعلمون أن السهو يجوز[٣] على الأنبياء فلا يشكون في نبوته لأجل سهوه؛ بل يعلمون أنه الحق، وقيل: معناه أن القرآن لا يجوز فيه التبديل والتغيير «**فَيُؤْمِنُوا بِهِ**» يعني يثبتون على إيمانهم، وقيل: يزدادوا إيماناً مع إيمانهم «**فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ**» أي: تخشع وتتواضع لقوة[٤] الإيمان «**وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» طريق واضح لا عوج فيه بزيادة الألطاف يهديهم إلى وجوه الحق إذا نظروا وتفكروا، وقيل: حرس[٥] الأدلة عن المطاعن[٦]؛ ليدل المؤمن المتفكر[٧] فيه على الطريق المستقيم، وقيل: يهديهم بإيمانهم[٨] إلى طريق الجنة «**وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ**» أي: في[٩] شك منه، قيل: من القرآن، عن ابن جريج. وقيل: ما ألقى الشيطان، وقيل: من الدين وهو الصراط المستقيم «**حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً**» يعني تأتيهم القيامة فجأة.

ومتى قيل: كيف[١٠] الشك عنهم لا يبيد[١١] إلى يوم القيامة؟

قيل[١٢]: كل[١٣] عصر[١٤] لا يخلو من كافر إلى يوم القيامة.

---

(١) ومعاندة: ومتباعدة، ي.
(٢) على: +، ي.
(٣) يجوز: واجب، ز.
(٤) لقوة: وتواضع لقوله، ز.
(٥) حرس: تحرس، ي.
(٦) المطاعن: الطاعن، ز، ل، م.
(٧) المتفكر: المفكر، ز.
(٨) بإيمانهم: بإمانهم، ز.
(٩) في: +، ز.
(١٠) كيف: +، ي.
(١١) يبيد: يمتد، ز، ل، م.
(١٢) قيل: وقيل، م.
(١٣) كل: +، ي.
(١٤) عصر: عمر، م.

«**أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**» قيل: هو[1] يوم الموت، وقيل: يستأصلهم فيه فلا يُرَى بعده ليل ولا [بعده] يوم، وقيل: عذاب يوم لا ليل بعده وهو يوم القيامة، عن عكرمة، والضحاك. قال أبو علي: «**يوم عقيم**» يوم بدر، عن مجاهد، وقتادة[2]، وابن جريج. وقيل: لأنه[3] لم يكن فيه رأفة ورحمة، وقيل: هو[4] عقيم لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه، وقيل: عقيم لا خير فيه للكفار، وقيل: يوم لا ثاني[5] له، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية على جواز السهو على الرسول، وأنه لا مطعن في نبوته، وأنه تعالى يحكم آياته، ويزيل السهو، وإنما يجوز ذلك في غير الأداء، فأما في أداء الشرع فلا يجوز عليه السهو ألبتة.

وتدل على جوازه على سائر الأنبياء، قال شيخنا أبو علي: فيبطل قول الإمامية: إن السهو لا يجوز على الأنبياء والأئمة.

ويدل قوله: «**وليعلم**» أنه يفعل ذلك ليؤمنوا به، فيدل على أنه يجعل الأمر سبباً لغيره.

وتدل على أن الأحكام قد تكون لها علل[6].

وتدل على أنه يلطف في تثبيت[7] الحق وأحكامه.

ويدل قوله: «**ولا يزال**» أن[8] كل عصر لا يخلو من كافر، فيبطل قول من يقول: إن الناس كلهم يؤمنون.

---

(١) هو: ـ ، ز.
(٢) مجاهد وقتادة: قتادة ومجاهد، ل.
(٣) لأنه: أنه، ز.
(٤) هو: ـ ، ز.
(٥) ثاني: فله، ي.
(٦) علل: عللاً، ي.
(٧) تثبيت: تلبث، ز، م.
(٨) أن: ـ ، ي.

وتدل على أن الظلم فِعْلُ العبد، وكذلك الإخبات.

قوله تعالى:

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر: «قُتِّلوا» مشددة التاء على التكثير، والباقون خفيفة التاء.

قرأ أبو جعفر ونافع: «مَدْخَلًا» بفتح الميم، والباقون بضم الميم، قيل: هما بمعنى، وقيل: بالفتح المكان، وبالضم الإدخال، عن أبي مسلم، وقيل: بالفتح موضع الدخول.

اللغة

الملك: اتساع المقدور لمن له تدبير الأمر، فهو تعالى ملك[1] بنفسه، وما[2] سواه يملك بحكمه.

والهجر: ترك الشيء عنقِلًى[3]، هجره يهجره هجراً، والهَجْرُ: الهذيان؛ لأنه كلام مهجور، والمهاجر[4] سمي به لخروجه عن داره، عن قلى المشركين[5] الذين كانوا يؤذونه بمكة.

(١) ملك: ملك ملك، ز، ل، م.

(٢) ما: +، ز، ي.

(٣) عنقلى: فلان، ز.

(٤) والمهاجر: والهاجر، ي.

(٥) المشركين: للمشركين، ي.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «وَمَنْ عَاقَبَ» الآية في قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين فقاتلوهم في الأشهر الحرم، فنهاهم المسلمون عن ذلك فأبوا فنصروا عليهم، وقيل: كان ذلك لليلتين[١] بقيتا من المحرم.

وقيل: إن النبي ﷺ عاقب بعض المشركين لما مَثَّلُوا[٢] بقوم من أصحابه يوم أحد، ففيه نزلت الآية[٣].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر القيامة بيّن أن الملك يومئذ لله، فقال سبحانه: «الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» يعني يوم القيامة لا يملك أحد سواه[٤] شيئاً بخلاف الدنيا «يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» يعني كما يكون الملك له والحكم إليه بين العباد لا يحكم غيره في ذلك اليوم.

ثم بيّن تعالى حكمه، فقال سبحانه: «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» مُذِلّ يذلهم بذلك، وهو عذاب جهنم «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا» أعاد[٥] ذكرهم وإن كانوا قد[٦] دخلوا في الذين[٧] آمنوا وعملوا الصالحات تعظيماً لهم وتفخيماً لشأنهم، يعني فارقوا أوطانهم وأموالهم ابتغاء مرضات الله، «ثُمَّ قُتِلُوا» في الجهاد «أَوْ مَاتُوا» في الغربة «لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا» أي: يعطيهم عطاء حسناً في الجنة، والرزق الحسن[٨] ما إذا رآه لا تمتد عينه[٩] إلى غيره، ولا يقدر عليه إلا الله، ولذلك قال: «وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ[١٠] خَيْرُ الرَّازِقِينَ» وقيل:

(١) لليلتين: لليلاتين، ز، ل، م.
(٢) لما مثلوا: بما مثلوه، ي.
(٣) الآية: ـ، ز، ي.
(٤) أحد سواه: سواه أحد، ز، ل، م.
(٥) أعاد: أعادوا، ز.
(٦) قد: ـ، ي.
(٧) الذين: +، ز، ي.
(٨) في الجنة، والرزق الحسن: ـ، ل.
(٩) عينه: +، ز، ي.
(١٠) لهو: وهو، ز.

بل[1] هو قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، «**لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ**» يعني مكاناً يدخلونه ويرضونه وهو الجنة؛ لأن الأماني كلها مقصورة عليها[2]«**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ**[3]» بموضع الجزاء ومقداره «**حَلِيمٌ**» بالإمهال إلى ذلك اليوم «**ذَلِكَ**» أي: ما وعدت للمهاجرين[4] كما وعدت، وقيل: مع إكرامي لهم في الآخرة لا أَدَعُ نصرهم[5] في الدنيا، واختلفوا، قيل: إنه يرجع إلى المهاجرين، وقيل: إلى المؤمنين أجمع «**وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ**» أي: من أراد أن يعاقب بمثل ما عوقب فينتقم من عدوه، وقيل: الأول لم يكن عقوبة ولكن هو كقولهم: الجزاء بالجزاء، وقيل: معناه من أراد أن يخرجهم من ديارهم مثل ما أخرجوهم ومنعوهم من المسجد كما منعوا عام الحديبية، وقيل: أراد القصاص، أي يقتل قاتل وَلِيِّهِ، وقيل: أراد المُثْلَةَ التي[6] فعلها المشركون بحمزة[7] «**ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ**» أي: ظلم بأن حورب[8] من بعد[9]، وقيل: بأن يقتل بعد أن استوفى القصاص، عن ابن الأنباري. «**لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**» يعفو عمن ينتصر من ظالمه، غفور يغفر له لا يأخذه به، عن أبي مسلم. وقيل: هو عام.

الأحكام

تدل الآية على الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وهكذا عادة الله تعالى[10] في كتابه، يجمع بين الوعد والوعيد.

---

(١) بل: -، ي.

(٢) عليها: عليه، ز، ل.

(٣) لعليم: ليعلم، ز.

(٤) للمهاجرين: للمهاجر، ز، ل، م.

(٥) نصرهم: نصرتهم، ي.

(٦) التي: الذي، ز، ل، م.

(٧) بحمزة: بأخيهم، ي.

(٨) حورب: حررت، ي.

(٩) بعد: قبل، ز، ل، م.

(١٠) تعالى: +، ز.

وتدل على فضل الهجرة، لذلك خصها بالذكر.

وتدل على أنه ينصر المؤمن.

وتدل على النهي عن[1] المُثْلَةِ، كما فعل المشركون يوم أحد.

وتدل على معجزة للنبي ﷺ[2] حيث وعد النصر، فكان كما أخبر، عن أبي علي.

وتدل على أن الإيمان والهجرة فِعْلُ العبد، وكذلك الكفر والتكذيب، فيصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم: «**وأن ما تدعون من دونه الباطل**[3]» بالتاء على الخطاب، وفي سورة (لقمان) مثله، وقرأ أبو عمرو وحفص[4] عن عاصم وحمزة ويعقوب[5] والكسائي[6] بالياء في السورتين على الحكاية.

---

(١) عن: من، ل.

(٢) صلى الله عليه وسلم وآله: عليه السلام، ي.

(٣) الباطل: ـ، ز، ي.

(٤) وحفص: حفص، ز، ل، م.

(٥) ويعقوب: ويعوب، ز.

(٦) والكسائي: والكسائي ويعقوب، ي.

القراءة الظاهرة: «**والفلكُ**» بالرفع على الابتداء، وخبره «تجري»، وعن بعضهم بالنصب لوقوع[(١)] التسخير عليه.

۞ اللغة

الإيلاج: الإدخال، وَلَجَ يَلِجُ وُلُوجًا إذا دَخَلَ، وأَوْلَجَ يُوَلِجُ إيلاجاً، إذا أَدْخَلَ.

والعلي: القادر على كل شيء. والكبير: أصله من الكبر، وهو في[(٢)] صفته تعالى أنه المختص بصفة كل شيء سواه يصغر مقداره عنه؛ وذلك أنه قادر لا يعجز، عالم لا يجهل، قديم، باقٍ، حي لم يزل ولا يزال، غني[(٣)] عن كل شيء[(٤)]، لا تجوز عليه الحاجة إلى شيء[(٥)]، سميع بصير عدل حكيم.

واللطيف في صفته تعالى: المختص بدقيق التدابير، الذي لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء.

والحق في صفته: يحتمل وجهين[(٦)]:

أحدهما: ذو الحق في قوله وفعله.

وثانيهما: المتفرد بصفات التعظيم التي مَنْ اعتقدها فهو مُحِقٌّ.

۞ الإعراب

يقال: لِمَ جاز ﴿فَتُصۡبِحُ﴾ بالرفع وقبله استفهام؟ ولِمَ لم[(٧)] يجز في: لتأتيني فأُكرمَك؟

---

(١) لوقوع: بوقوع، ز، ل.
(٢) وهو في: من، ل.
(٣) غني: +، ز، ل، ي.
(٤) عن كل شيء: +، ي.
(٥) لا تجوز عليه الحاجة إلى شيء: ـ ، ي.
(٦) وجهين: معنيين، ي.
(٧) لم: ـ ، ل.

قلنا: في الآية مخرج الاستفهام، وهو على معنى الخبر، تقديره: قد رأيت أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة به على ما قد كان رآه ليتأمل[1] فيه، فهو في الحقيقة ابتداء، كأنه قيل: فيصيرها مخضرة، قال الشاعر:

ألم تسل الرَّبْعَ القديم فينطقُ   وهل يُخْبِرَنْكَ اليوم بَيْدَاءُ[2] سَمْلَقُ[3]

لأن[4] معناه: قد سألته فنطق.

وقيل: هو ماض؛ لأنه معطوف على ماضٍ، كأنه قيل: فأصبحت الأرض مخضرة.

المعنى

لما تقدم الوعد والوعيد، والوعد بالنصرة[5]، بيّن أنه قادر على ما يشاء، فقال سبحانه[6] «**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**» يعني يدخل ما انتقص من ساعات الليل في النهار وما انتقص من ساعات النهار في الليل «**وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**» لما يقول عباده في هذا «**بَصِيرٌ**» به لا يخفى عليه شيء، فيجازي به «**ذَلِكَ**»[7] يعني ما تقدم أنه لا شريك له «**بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**» قيل: الدائم القادر وما هو دونه ضعيف حقير، وقيل: فيما يقوله ويفعله الحق، وقيل: عبادته الحق[8] وأن ما يدعونه في الأوثان «**هُوَ الْبَاطِلُ**» أي: الهالك فلا يكون إلهاً «**وَأَنَّ**»[9] **اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ**» القادر[10] على كل شيء،

---

(١) ليتأمل: اليتأمل، ل، م.
(٢) بيداء: بيدايا، ز، ل، م.
(٣) سملق: +، ي.
(٤) لأن: +، ي.
(٥) بالنصرة: بالنصر، ل.
(٦) سبحانه: ـ، ي.
(٧) فيجازي به ذلك: فيجازيه بذلك، ي.
(٨) قيل... الحق: ـ، ي.
(٩) وأن: أن، ي.
(١٠) القادر: +، ل.

وقيل: العلي[١] على الأشياء «**الْكَبِيرُ**» العظيم في صفاته، وقيل: كبير[٢] عن أن يكون له نِدٌّ وضِدٌّ «**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**» وهو المطر «**فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً**» أي: ذات خضر بالنبات ولا يقدر عليها غيره «**إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ**» قيل: فاعل الألطاف، وقيل: يحسن التدبير في كل شيء الـ«**خَبِيرٌ**» العالم بكل[٣] شيء «**لَهُ [مَا فِي]**[٤] **السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**» يعني جميعهما[٥] خلقه، وقيل: جميع عباده «**وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**» الذي لا تجوز عليه الحاجة «**الْحَمِيدُ**» المحمود بصفاته وأفعاله «**أَلَمْ تَرَ**» أيها الإنسان «**أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ**» قيل[٦]: تسخيرها[٧]: تمكينهم من الأشياء والانتفاع بها وتصريفها فيما يريدون، عن أبي علي. وقيل: أراد تسخير الأنعام مع عظم[٨] قوتها وغير ذلك من الحيوانات «**وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ**» يعني السفن تجري في البحر بأمره مع ثقلها، فهو الممسك لها، وتجري بإرسال الريح «**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ**» أي: يُسْكِنُهَا[٩] بأن يخلق فيها السكون حالاً بعد حال؛ كيلا تقع على الأرض[١٠] مع ثقلها «**إِلاَّ بِإِذْنِهِ**» أي: بإمساكه، فالإمساك خلقه تعالى و«**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**» فَرَأْفَتُهُ ورحمته بعباده دائمة، فعل الله[١١] هذا التسخير وهذه الأموال وهي أسباب الدنيا لينتفعوا بها ويستدلوا بها[١٢] على توحيده فينا لوا الآخرة[١٣].

---

(١) العلي: العالي، ي.
(٢) كبير: كبر، ي.
(٣) بكل: لكل، ي.
(٤) ما في: ـ، ي.
(٥) جميعهما: جميعها، ي.
(٦) قيل: وقيل، ز، م.
(٧) تسخيرها: سخرها، ز.
(٨) عظم: عظيم، ي.
(٩) يسكنها: يسكنه، ي.
(١٠) أي... الأرض: ـ، ز.
(١١) الله: ـ، ي.
(١٢) لها: +، ل.
(١٣) فينا لوا الآخرة: ـ، ي.

۞ الأحكام

في الآية[١] تنبيه على وحدانيته، وأنه المحدث للأشياء والمتفرد بالإلهية.

وتدل على[٢] أن طريق معرفته هذه الأفعال التي لا تصح من غيره، وقد بينا دلالة كل واحد، وكيفية دلالته.

ويدل قوله: ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أنه لا يفعل القبيح؛ لأن مَنْ كان جميع القبائح منه لا يوصف بأنه حميد.

ويدل قوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ أنها أجسام ثقيلة ساكنة، وهي مقر الملائكة خلاف ما يقول المنجمون.

ويدل قوله: ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أنه لا يعاقب بغير ذنب.

قوله تعالى:
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾

۞ اللغة

أحيا يُحيي إحياءً فهو مُحْيٍ، والحياة عرض يحيا به الإنسان، يقال: حَيِيَ يَحْيَا حَيَاةً، والحياة لا يقدر عليها أحد[٣] غير الله تعالى، ومن حكمها[٤] أن تُصَيِّرَ الأجزاء

---

(١) الآية: الا، ز.
(٢) على: ـ، ل.
(٣) أحد: ـ، ز.
(٤) ومن حكمها: حملها على، ز.

في حكم الشيء الواحد حتى يصير قادراً واحداً عالماً، ويحتاج في وجودها إلى بنية، وحياة زيد لا يجوز أن تكون حياة لعمرو.

والمنسك[١]: أصله الموضع المعتاد[٢] لعمل[٣] خير أو شر، وهو المألف لذلك، والمنسك: المكان تألفه، قال الشاعر:

فوق نسكها واستسلمت لمقامه بربعة قط قلبك وتحلال

والنُّسُك[٤] بضم النون: العبادة، والناسك: العابد، والنسيكة: الذبيحة، والمنسك: الموضع تذبح فيه النسائك، ولا يكون كذلك[٥] إلا في[٦] القربان، وفيه لغتان: بفتح السين وكسرها.

والمنازعة: المخاصمة.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ في يزيد بن ورقاء وجماعة، قالوا[٧] لأصحاب رسول الله ﷺ: ما بالكم[٨] تأكلون ما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون ما قتل الله؟

المعنى

ثم ذكر[٩] دليلاً آخر، فقال سبحانه: «**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ**» في الدنيا «**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**»

(١) والمنسك: والنسك، ل.
(٢) الموضع المعتاد: المواضع المعتادة، ز، ل، م.
(٣) لعمل: بعمل، ي.
(٤) والنسك: والمنسك، ز.
(٥) كذلك: في ذلك، ي.
(٦) في: ـ، ي.
(٧) قالوا: قيل، ي.
(٨) ما بالكم: ما لكم، ي.
(٩) ذكر: دل، ي.

عند انقضاء آجالكم «**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**» في الآخرة للثواب والعقاب، وفيه بيان أن من قدر على ابتداء الإحياء قدر على إعادة الإحياء، وفيه بيان نعمه؛ لأنه أحيا أولاً لنعمة الدنيا والدين، وأحيا[1] ثانياً لنعيم الجنة «**إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ**»لجحود[2]، أي: مع هذه الأدلة وإسباغ[3] النعم يجحد الخالق «**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا**» قيل: مكاناً يألفونه[4] وموضعاً يعتادونه لعبادة الله، وقيل: عيداً، عن[5] ابن عباس. وقيل: متعبداً في إراقة الدماء بِمِنًى[6] وغيره، عن مجاهد، وقتادة. يعني موضع قربان، وقيل: أراد جميع العبادات التي أمر الله بها، يعني جعلنا[7] لكل قوم[8] شريعة، كما جعلنا لك ولأمتك، فليس أمرك مبتدع[9]، عن أبي علي، وأبي مسلم. «**فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ**» قيل: نَهْيٌ لهم عن منازعته، وقيل: نهي له[10] لأن المنازعة تكون بين اثنين[11]، وقيل: منازعتهم قولهم[12]: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله تعالى[13]، أي: فلا يخاصمنك في أمر الذبيحة[14]، وقيل: المنازعة في نسخ الشريعة، أي: ليس لهم أن ينازعوك في شريعتهم وقد نسخت هذه الشريعة[15] شرائع من تقدم «**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ**» أي: لا تلتفت إلى منازعتهم، وادع إلى توحيد ربك

---

(١) وأحيا: أحيا. وفي ز: وقد أحيا، م.
(٢) لجحود: جحود، ز، ل، م.
(٣) إسباغ: واتساع، ي.
(٤) يألفونه: يألفوه، ز.
(٥) عن: ـ، ز.
(٦) بمنى: بمعنى، ز، ل، م.
(٧) جعلنا: لجعلنا، ي.
(٨) لكل قوم: لكل أمة، ي.
(٩) مبتدع: ببدع، ي.
(١٠) نهي له: نهاه، ز، ل، م.
(١١) اثنين: من أمين، ز.
(١٢) قولهم: قواهم، ي.
(١٣) ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله تعالى: ولا تأكلون ما قتل الله تعالى، ي.
(١٤) الذبيحة: الذبح، ي.
(١٥) أي... الشريعة: ـ، ز.

ودينك «إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ» دين قيم[١]، وقيل: على طريق مستقيم «وَإِنْ جَادَلُوكَ» قيل: على سبيل المراء والتعنت بعد لزوم الحجج كما يفعله السفهاء، فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول وقل: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ»، وقيل: إن نازعوك في نسخ الشريعة فحاكمهم إلى الله «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: يفصل بين المحق والمبطل «فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من الدين فيعرفون الحق من الباطل ضرورة «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» ظاهره[٢] استفهام والمراد التقرير، تسلية للنبي ﷺ[٣] وتقوية لقلبه، أي: لا يهمك[٤] مخالفتهم مع وعد الله إياك بالنصر والفصل بينك وبينهم، مع علمك بأنه[٥] يعلم ما في السماء[٦] والأرض «إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ» قيل: الكتاب: الحفظ، أي: ما يعملونه محفوظ للجزاء؛ لأن العادة جرت بأن الأشياء تحفظ بالكتب، عن أبي مسلم. وقيل: في كتاب: اللوح المحفوظ كتبه لطفاً للملائكة، عن أبي علي. «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» يعني حفظه[٧] وعلمه يسير عليه[٨].

۞ الأحكام

تدل الآية على البعث بقوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٩].

ويدل قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أن[١٠] لكل قوم شريعة.

---

(١) دين قيم: ديناً قيماً، ي.
(٢) ظاهره: + ز، ي.
(٣) صلى الله عليه وآله: عليه السلام، ي.
(٤) لا يهمك: لا يهمنك، ي.
(٥) بأنه: أنه لا، ل.
(٦) السماء: السماوات، ي.
(٧) حفظه: بحفظه، ل، م.
(٨) يسير عليه: ـ ، ز.
(٩) ثم يحيكم: ـ ، ي.
(١٠) أن: أي، ز، ل، م.

ويدل قوله : ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ [(١)] أن شريعته ناسخة[(٢)] لجميع الشرائع ؛ لأنه تعالى كلف سائر الأمم ألاّ ينازعوه في شريعته ويستسلموا[(٣)] له.

ويدل قوله: ﴿وَٱدْعُ﴾ على وجوب الدعاء إلى التوحيد والعدل وسائر أمور الدين[(٤)].

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أن الخصم إذا ظهرت عليه الحجة فلم يقبل أن الأحسن السكوت والتحكيم[(٥)] إلى الله، وهذا من الآداب الحسنة.

وتدل على أن المجادلة والمنازعة والكفران فِعْلُهُمْ، لذلكاستحقوا الوعيد، ونهوا عنه، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾

---

(١) فلا: ولا، ي.

(٢) ناسخة: منسوخة، ل، م.

(٣) ويستسلموا: ويستسلمون، م، ي.

(٤) أمور الدين: الأمور في الدين، ز.

(٥) والتحكيم: والتحكم، ز.

۞ القراءة

قرأ يعقوب: «إن الذين يَدْعُونَ من دون الله» بالياء على الحكاية من الكفار[١]، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب.

۞ اللغة

السلطان: البرهان والحجة، سمي بذلك؛ لأنه يتسلط به على مخالفه[٢].

والسطوة والاستطالة والبطشة[٣] نظائر، وهو الحال الهائلة القاهرة[٤]، يقال: سطا فهو يَسْطُو سَطْوَةً فهو سَاطٍ، والإنسان مَسْطُوٌّ به، وسطوات الله قوارعه، وسطا الماء كثر لما يظهر[٥] من حاله.

والذُّبَابُ واحد، وجمعه في التقليل: أَذِبَّة، وفي الكثير: ذِبّان، كغُراب وأَغْرِبَةٍ وغِرْبان.

والسلب والأخذ نظائر، وهو[٦] مصدر سَلَبَ[٧] الشيء سَلْباً، والسَّلَبُ بفتح اللام: المسلوب.

۞ الإعراب

«النار» رفع، قيل[٨]: لأنه خبر ابتداء محذوف، أي: هي النار، وقيل: رفع بالابتداء، وتجوز فيه ثلاثة أوجه: الرفع لما ذكرنا، والجر على البدل من قوله: «بِشَرٍّ»، والنصب على تقدير: أعني النار.

---

(١) من الكفار: وفي ز، ي.
(٢) مخالفه: مخالفته، ل.
(٣) والبطشة: والسطة، ي.
(٤) القاهرة: القاهر، ل.
(٥) يظهر: ظهر، ي.
(٦) وفي... وهو: +، ي.
(٧) سلب: سلبت، ز، ي.
(٨) قيل: +، ز، ي.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿أَللَّهُ﴾[1] لما قالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[2] [ص:٨]، أخبر[3] أن الاختيار إليه لا إليهم.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[4] بما قبله؟

قلنا: لما تقدم قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ﴾[5] بما قبله.

قيل: لما بين أنهم يعبدون من دون الله ما لا حجة فيه ضرب لهم مثلاً، تقديره: يا أيها الناس ضرب مثل الكافر وعبادته الصنم فاستمعوا، واعلموا أن الأصنام لا تقدر على خلق ذباب مع صغره، وإن سلب[6] الذباب شيئاً لا تقدر على استرداده، فمن هذا حاله كيف يستحق أن يُعْبَدَ، فمن أشركه مع هذا في العبادة مع كمال قدرته فما عرف الله حق معرفته، وكذلك من يدعونه من الملائكة والرسل إنما أصطفاهم لعبادته، فكيف يكونون معبودين[7].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر[8] أدلة التوحيد بيّن أن ما هم عليه لا حجة فيه، فقال سبحانه: «**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» يعني الأصنام «**مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**» أي: حجة، يعني أنهم عبدوها من غير حجة ودليل على صحتها، وإنما قال «**لم ينزل**» قيل: لأن الوحي ينزل من السماء، وقيل: لأن ما يفعله تعالى يضاف إلى أنه منزل من السماء كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا

---

(١) الله: ـ، ز.
(٢) وأنزل عليه الذكر: وأنزل الله عليه، ز.
(٣) أخبر: فأخبر، ي.
(٤) ويعبدون من دون: ل، م، ي.
(٥) إنك لعلى هدى مستقيم: إنك على صراط مستقيم +، ز، ل، م.
(٦) وإن سلب: تسلبهم، ي.
(٧) معبودين: يكون معبوداً، ي.
(٨) ذكر: ـ، ي.

﴿ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقيل: لأن أدلة السمع تنزل من السماء «**وَمَا لَيْسَ**[١] **لَهُمْ**[٢] **بِهِ عِلْمٌ**» كما لا دليل لهم على ذلك فلا علم لهم بذلك أيضاً أنهم آلهة؛ لأن الإنسان يعلم أشياء من غير دليل كالضروريات نحو وجوب شكر[٣] المنعم[٤]، وقبح الظلم «**وَمَا لِلظَّالِمِينَ**» قيل: الكافرين[٥]، وقيل: هو على عمومه «**مِنْ نَصِيرٍ**» من ناصر يمنع عنهم عذاب الله.

ثم بيّن إعراضهم عن الأدلة المؤدية إلى[٦] الحق، فقال سبحانه: «**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ**[٧] **آيَاتُنَا**» حججنا المؤدية إلى الحق، وقيل: الحق «**بَيِّنَاتٍ**» واضحات لمن تفكر فيها «**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ**» يعني يتبين في وجوههم الكراهة والعبوس غضباً لمخالفتهم إياه، وقيل: المنكر: الإنكار، وقيل: المفعول من الإنكار، عن أبي مسلم. «**يَكَادُونَ يَسْطُونَ**» أي: يريدون البطش والقهر «**بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا**» قيل: يريدون تعجيل ضرب أو غيره «**قُلْ**» يا محمد «**أَفَأُنَبِّئُكُمْ**» أفأخبركم «**بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ**» يعني بِشَرٍّ من غيظكم على التالين[٨] لآيات الله، وقيل: أشد عليكم من سماع القرآن والآيات، عن أبي علي. وقيل: شر من سماع القرآن[٩] والكفر به، ثم فسر ذلك فقال: «**النَّارُ**» يعني هي[١٠] النار التي[١١] وعد[١٢] «**اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**» أي: المرجع والمأوى.

ثم ضرب لهم مثلاً فقال: «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ**» يعني جُعِلَ لهم شَبَهٌ

---

(١) ليس: +، ي.
(٢) ليس لهم: لهم ليس، ز، ل.
(٣) شكر: الشكر، ي.
(٤) المنعم: ـ، ي.
(٥) الكافرين: للكافرين، ي.
(٦) إلى: ـ، ز.
(٧) عليهم: ـ ل.
(٨) التالين: الناس، م.
(٩) والآيات... القرآن: +، ي.
(١٠) هي: +، ي.
(١١) التي: ـ، ي.
(١٢) وعد: +، ز، ل.

كقولهم: ضرب عليهم الجزية «**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**[1]» **أي: تدبروا وتفكروا فيه، فهو تنبيه لهم** «**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» يعني الأوثان[2] **لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا**» في صغره؛ لأن أحداً لا يقدر على الجواهر والأجسام، ولا على الحياة، ولا على الرطوبة واليبوسة، ولا على القدرة، وجميع ذلك مجموع في الذباب «**وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**» يعني لو اجتمع الأصنام لم يقدروا على خلق ذباب «**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ**» يعني لو سلب الذباب عن الأصنام شيئاً، فأخبر عنها بخبر ما يعقل بحسب[3] اعتقاد القوم، وقوله: «**شيئاً**» قيل: مما عليهم، وهذا على التقدير، وقيل: المسلوب المخلوق، وقيل: العسل؛ لأنهم كانوا يلطخون الأصنام كل سنة بالعسل ثم يفتحون الباب، فإذا أكله الذباب قالوا: أكله الآلهة، وقيل: الطيب، وكانوا يطيبون الأصنام ويحلون بالجواهر، عن ابن زيد، وابن كيسان. وقيل: دم القربان الذي لطخوا[4] الأصنام به[5]، والوجه الأول أولى[6]؛ وإنّه مثل، يعني لو كانت الأصنام أحياء ثم سلبهم[7] الذباب شيئاً لا يقدرون على استرداده[8] فكيف وهم جماد أموات[9]، فمع هذا كيف تُعْبَدُ «**لَا يَسْتَنْقِذُوهُ**» أي: لا يقدرون على استنقاذه «**مِنْهُ**»، «**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**» قيل: الطالب الذباب والمطلوب الصنم مما عليه من الطيب والعسل، عن ابن عباس. وقيل: المطلوب الذباب والطالب الأوثان، عن ابن زيد، وابن كيسان. وكان ربما يقع الذباب والطائر على شيء مما على[10] الصنم فيذهب به فلا يقدر على استرداده،

(١) له: ـ، ل.

(٢) ما يعقل الأوثان: للأوثان، م.

(٣) بحسب: ما يفعل على حسب، ز.

(٤) لطخوا: يلطخون، ي.

(٥) به: ـ، ز.

(٦) والوجه الأول أولى: والأولى الوجه الأول، ي.

(٧) سلبهم: يسلبهم، ز، ل، م.

(٨) استرداده: استرداد، ل.

(٩) أموات: جمادات، ل، م.

(١٠) على: عليه، ز، ل، م.

وقيل: الطالب العابد للصنم[1]، والمطلوب الصنم، عن الضحاك. يعني العابد والمعبود؛ لأنهم كانوا يتوقعون منافعهم، «**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**» أي: ما عظموه حق عظمته حيث عبدوا غيره «**إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ**» قادر «**عَزِيزٌ**[2]» لا يمتنع عليه شيء «**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ**» يعني ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا الملائكة والأنبياء بنات له[3] وأولاد له[4]، وهو اصطفاهم واختارهم لرسالته، فمن الملائكة جبريل وميكائيل «**وَمِنَ النَّاسِ**» كسائر الأنبياء «**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**» لأقوالهم[5]، عليم بضمائرهم وأفعالهم، وقيل: سميع لأقوالهم فيه، عليم بمن[6] يختاره للرسالة.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن عبادة غير الله لا حجة فيها، وأنه كفر وضلال.

وتدل على أن التمسك إنما يحسن بالشيء[7] إذا قامت به الحجة.

ويدل قوله: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[8] أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ على ما نقوله في الشفاعة.

وتدل على أنه لا يجوز نصرة الظالم فيما يفعله.

وتدل على أن كل ضال يكره سماع الحق، وهكذا عادة[9] كل مبتدع وضال.

ويدل ضرب المثل على حسن الحجاج في الدين.

---

(١) للصنم: الصنم، ز، ل، ي.
(٢) عزيز: عزيز قادر، ي.
(٣) بنات له: +، ز.
(٤) وأولاد له: +، ز.
(٥) لأقوالهم: بأقوالهم، ي.
(٦) بمن: لمن، ز، ل، م.
(٧) بالشيء: +، ي.
(٨) وما: ما، ز، ي.
(٩) عادة: حال، ز، ي.

وتدل على أن عبادته تجب؛ لقدرته[1] على أصول النعم، وأن عبادة[2] غيره لا تجوز.

وتدل على أن مِنْ الملائكة رسلاً، فيحتمل[3] أنهم أرسلوا إلى الأنبياء، ويحتمل أنهم أرسلوا[4] إلى بعض الأمم.

ويدل قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ أن الجن[5] لا رسول[6] منهم.

ويدل قوله ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[7] أنه بهاتين الصفتين خلاف قول البغدادية.

قوله تعالى:

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

القراءة

قد بينا اختلاف القراء في «ترجع» وأن منهم من فتح التاء[8] وكسر الجيم، ومنهم من ضم التاء وفتح الجيم فيما تقدم.

---

(١) لقدرته: بقدرته، ل.
(٢) عبادة: عبادته، ز.
(٣) فيحتمل: فيحمل، ز.
(٤) إلى الأنبياء... أرسلوا: ـ ، ز.
(٥) الجن: للجن، ز.
(٦) رسول: رسل، ز.
(٧) سميع بصير: سميع عليم، ز، ل، م، ي.
(٨) التاء: الياء، ي.

۞ اللغة

الاجتباء: الاختيار، ونظيره: الاصطفاء.

والاعتصام: مصدر اعتصم به أي: امتنع به من الشر، وأَعْصَمْتُ فلاناً: هيأت له ما يعتصم به، وقيل[١]: كل مستمسك بشيء معتصم، والعصمة: أن يمتنع[٢] من المعاصي بلطف الله تعالى.

والحرج: الضيق. والملة والنحلة نظيران[٣].

۞ الإعراب

في نصب «**ملة**» أوجه:

قيل: اتبعوا ملة أبيكم؛ لأن قبله: «**جاهدوا**».

وقيل: كلمة «**أبيكم**» لما حذف حرف الجزاء اتصل الاسم بالفعل فنصب.

وقيل: بنزع الخافض، عن الفراء.

وقيل: على الإغراء، أي: عليكم ملة أبيكم.

(من)[٤] في قوله: «**من حرج**» صلة وتأكيد، تقديره: ما جعل عليكم حرجاً[٥]، فلا يزاد (مِنْ) إلا في غير الواجب، تقول: ما أتاني[٦] من رجل، ولو قلت: أتاني من رجل[٧] لم يجز.

«**النصير**» رفع بـ«**نِعْمَ**»، لأن (نِعْمَ) ترفع الاسم الذي بالألف واللام، تقول: نعم

---

(١) قيل: +، ز.
(٢) يمتنع: يمنع، ز، ل، م.
(٣) نظيران: نظيرتان، ي.
(٤) من: ـ ، ز.
(٥) حرجاً: حرج، ي.
(٦) أتاني: أتى، ل، م.
(٧) ولو قلت أتاني [من] رجل: ـ ، ز.

الرجل أبوك. و«المولى» في موضع الرفع لأنه[1] من بنات الياء ولا يدخله الرفع، وأدخلت الفاء فقلت: فنعم المولى؛ لتعلق آخر الكلام بأوله.

النظم

يقال: كيف يتصل[2] [قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾] بما قبله؟

قلنا: تقدم ذكر صفاته بكونه قادراً سميعاً، فعقبه بكونه عالماً، وكونه ملكاً، ترجع الأمور كلها إليه.

ويقال: كيف يتصل قوله[3] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما قبله؟

قلنا: لما[4] تقدم ذكر الأوثان، وأنها على صفة لا تستحق العبادة، وأنه[5] سبحانه عنى[6] إبراهيم.

المعنى

«**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**» قيل: ما بين أيديهم: الآخرة، وما خلفهم: الدنيا، وقيل: يعلم ما مضى قبل خلق الملائكة، وما يكون بعد خلقهم إلى الأبد، وقيل: ما يقدمون من الأفعال وما يؤخرون من الآثار والسنين، وقيل: ما بين أيديهم: ما عملوه أولاً، وما خلفهم: ما هم فاعلوه مما[7] لم يعملوه بعد، عن الحسن. «**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**» يعني إلى حكمه تصير الأمور، فلا يكون لأحد أَمْرٌ ولا نهي ولا حكم «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**» يعني صلوا «**وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ**» بفعل[8] ما

---

(١) لأنه: إلا أنه، ي.

(٢) يتصل: اتصل، ي.

(٣) قوله: ـ ، ز.

(٤) لما: لم، ز.

(٥) وأنه: ولله، ز، ل، م.

(٦) عنى: على، ز، ل، م.

(٧) فاعلوه مما: غافلون مما، ي.

(٨) بفعل: لفعل، ل.

تعبدكم به «**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ**» قيل: أدوا الزكاة، وقيل: افعلوا الخيرات من الفرائض والنوافل «**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**» قيل: لكي تفلحوا، وقيل: رجاء أن تفلحوا، وقيل: افعلوا معرضين أنفسكم للفلاح «**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ**» أي: في دينه «**حَقَّ جِهَادِهِ**» وهو ثلاثة: الكفار بالسيف والحجة[1]، والمبتدعة بالحجة، ومع[2] النفس بالامتناع عن المعاصي. وقيل: جاهدوا في إثبات التوحيد والعدل وصفاته وشرائعه حق جهاده، وقيل: بقدر الطاقة، عن ابن عباس. وقيل: ألاَّ تأخذه في الله لومة لائم «**هُوَ اجْتَبَاكُمْ**» قيل: اختاركم لدينه وجهاد أعدائه؛ لتكونوا أنصار دينه وظَهْرَ نبيه، وقيل: اختاركم[3] بلطفه حتى هداكم للدين وأنقذكم من كيد الشيطان، وقيل: اختاركم[4] لتكونوا شهداء على الناس، وقيل: اختاركم[5] لتكليفه بإكمال العقل وإزاحة العلة «**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**» أي: من ضيق، وقيل: لم يكلفكم ما لا[6] تطيقون ولا ما يشق عليكم؛ بل[7] خفف، وقيل: ليس فيه ما لا[8] سبيل إلى الخلاص من العقاب فيه؛ بل[9] يتخلص منه بالتوبة «**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**» أي: دينه، وإنما ذكر ذلك؛ لأن ملته[10] داخلة في ملة محمد ﷺ وعلى آله وسلم[11]، وسماه أباً للجميع؛ لأن حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد، كقوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، عن الحسن. وقيل: العرب من ولد إسماعيل، وأكثر العجم[12] من ولد إسحاق، وهما

---

(١) الحجة: والحجر، ي.
(٢) مع: +، ي.
(٣) لدينه... اختاركم: ـ، ز.
(٤) اختاركم: اجتباكم، ل، م.
(٥) اختاركم: اجتابكم، ل، م.
(٦) لا: +، ز، ي.
(٧) بل: بل ما، ز.
(٨) ما لا: +، ز، ي.
(٩) بل: ما، ي.
(١٠) ملتة: ملة، ز.
(١١) على آله وسلم: عليهما، ي.
(١٢) العجم: العرب، ي.

أبناء إبراهيم، فالغالب عليهم أنهم أولاده «**هُوَ**[1] **سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ**» الله تعالى[2]، عن ابن عباس، ومجاهد. وقيل: إبراهيم سماكم، عن ابن زيد. وقيل: هو قوله: ﴿ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

«**مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا**» قيل: من قبل نزول القرآن في الكتب وفي القرآن، عن مجاهد وجماعة من المفسرين. وقيل: قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت[3] «**لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ**» بطاعة من أطاع وعصيان من عصى، وقيل: شهيداً بأنه بلغ رسالته[4] وبَيَّنَ شريعته «**وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**» قيل: بأنه بَلَّغَ، وقيل: بما شهدوا[5] من أعمالهم «**فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**» خصهما تعظيماً لشأنهما «**وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ**» أي: بدينه الذي أمر به ولطف له[6]، عن الحسن. وقيل: توكلوا عليه وثقوا به «**هُوَ مَوْلَاكُمْ**» وناصركم ومتولي أمركم «**فَنِعْمَ**[7] **الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**» أي نعم المولى ونعم الناصر[8].

الأحكام

يدل أول[9] الآيات على وجوب الصلاة.

ويدل قوله: «**وافعلوا**» على وجوب الواجبات واجتناب القبائح.

وتدل على أنه أراد من الجميع الفلاح، خلاف ما تقوله المجبرة.

وتدل على أن الفلاح ينال بالطاعة، فيبطل قول المرجئة[10].

---

(١) هو: ـ، ز.
(٢) تعالى: +، ي.
(٣) وفي هذا الوقت: +، ز، ي.
(٤) رسالته: رسالة، ز.
(٥) بما شهدوا: بما شاهدوا، ي.
(٦) له: ـ، ي.
(٧) فنعم: نعم، ي.
(٨) أي نعم المولى ونعم الناصر: +، ي.
(٩) أول: ـ، ل.
(١٠) المرجئة: المجبرة، ي.

ويدل قوله: «**من حرج**» أنه لا يكلف ما لا يطاق، ولو خلق فيه الكفر ولم يعطه[1] قدرة الإيمان كان أعظم الحرج، فيبطل قولهم في المخلوق والاستطاعة.

ويدل قوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أنه اختار الصحابة لنصرة نبيه[2] وإظهار دينه، فيبطل قول الرافضة وطعنهم فيهم.

ويدل قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ أنها[3] دخلت في ملة محمدﷺ، وأنه كما اتفق الملة اتفق الاسم.

ويدل قوله: «**شهداء**[4]» على أن الإجماع حجة.

ويدل قوله: «**واعتصموا**» على أنه بالعبادات واجتناب المعاصي.

ويدل قوله: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ أنه لا يخلق في أحد الكفر ولا يخلقه للنار.

ومتى قيل: أليس روي عن بعضهم أن قوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ منسوخ بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]؟

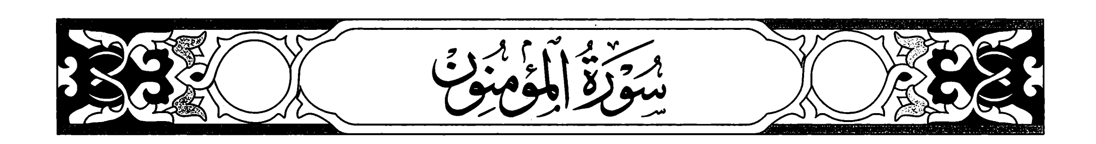
قلنا: ليس بشيء؛ لأن التكليف لا يتوجه إلا بشرط الطاقة فلا نسخفيه.

ويقال: هل هاهنا سجدة في قوله: «**واسجدوا**»؟

قلنا: قال أبو حنيفة: لا، وقال الشافعي: نعم، احتج أبو حنيفة بأنه جمع بين الركوع والسجود فكان[5] أمراً بالصلاة.

---

(١) يعطه: يعطيه، ز.
(٢) نبيه: دينه، ز.
(٣) أنها: ـ، ي.
(٤) شهداء: شهيداً، ي.
(٥) فكان: وكان، ل.



سورة المؤمنون

سورة (المؤمنين) قال القاضي: المنقول أنها مكية، وهي مائة وثماني[1] عشرة آية في الكوفي، وسبع[2] في البصري[3]، وقيل: نزل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ﴾[4] بالمدينة.

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة[5] بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت».

وعن عمر، عن النبي ﷺ في حديث طويل: «لقد أنزل عشر آيات من أقامهن[6] دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

ولما ختم سورة (الحج) بالأمر بالعبادة وفِعْلِ الخيرات افتتح هذه السورة بتفصيل تلك الجملة، فإن الفلاح ينال بها.

---

(١) وثماني: وثمان، ز، ل.
(٢) وسبع: وسبعة، م.
(٣) في البصري: في غيرها، ز.
(٤) حتى إذا... بالعذاب: +، ز.
(٥) الملائكة: ـ، ل.
(٦) أقامهن: آياتهن، ل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾

القراءة

قرأ ورش عن نافع «قَدَ افْلَحَ» بالوصل وترك الهمز[١]، ونقل حركة الهمزة إلى الدال قبلها بفتحها، وقرأ الباقون بسكون الدال وقطع الألف، غير أن حمزة وأبا بكر عن عاصم وقتيبة عن الكسائي يسكنون على[٢] الدال سكتة[٣] ويقطعون[٤] الألف، وحمزة والأعشى أشبع سكتة، وأطول وقفة، والباقون بغير سكتة[٥].

وقرأ ابن كثير: «**والذين هم لِأمَانَتِهِمْ**» على واحد وفي (المعارج) مثله اعتباراً بقوله: «**وعهدهم**»، وقرأ الباقون: «**لأماناتهم**» على الجمع اعتباراً بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقرأ حمزة والكسائي: «**على صلاتهم**» بغير واو على واحد بمعنى الجنس، والباقون: «**صلواتهم**» بالواو على الجمع.

---

(١) الهمز: الهمزة، ز.

(٢) على: ـ، ز.

(٣) سكتة: ـ، م.

(٤) ويقطعون: ثم يقطعون، ل، م؛ ولم يقطعون، ز.

(٥) والباقون بغير سكتة: +، ل، م.

قراءة العامة: «أفلح» بفتح الألف، وعن طلحة بن مصرف: «أُفلح» بمعنى ألقوا في التراب على المجهول.

اللغة

(قد) تأكيد للكلام، قال علي بن عيسى: (قد)[١] تقريب[٢] الماضي من الحال، فدل على أن فلاحهم قد حصل، وهم عليه في الحال.

والفلاح: الفوز، والفلاح: البقاء، والعرب تقول لكل من أصاب خيراً: مُفْلِحُ، وأفلح الرجل: فاز بما غبط به.

والخشوع: أصله السكون والتذلل، يقال: خشع له وتَخَشَّعَ، قال الليث: الخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن[٣]، والخشوع في البصر[٤] والصوت، ومنه: الخُشْعَةُ: قطعة من الأرض رخوة.

وحقيقة اللغو ما يجب أن يُلْغَى ويطرح، وهو ما لا فائدة فيه ولا يعتد به.

والابتغاء: الطلب.

الإعراب[5]

(هم) رفع؛ لأنه[٦] صلة للذين تقديره: الذين هم[٧] خاشعون في صلواتهم.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ (أو) بمعنى الواو، و﴿مَا مَلَكَتْ﴾[٨] محله[٩] خفض، تقديره: على ما ملكت.

---

(١) (قد): ـ، ل، م.
(٢) تقريب: يصرف، ل، م.
(٣) البدن: اليدين، ل، م.
(٤) في البصر والصوت: في البدن والبصر، ز.
(٥) الإعراب: ـ، ل، م.
(٦) رفع؛ لأنه: ـ، ل، م.
(٧) هم: ـ، ل، م.
(٨) ما ملكت: ـ، ل، م.
(٩) محله: فمحله، ل، م.

«**العادون**» من عدا يعدو[١]، ولذلك[٢] لم يقله[٣].

(**راعون**) أصله راعيون؛ لأنه من رعيت، إلا أن الياء حذفت لالتقاء الساكنين، وهما[٤] الواو والياء.

المعنى

«**قَدْ أَفْلَحَ**» أي: فاز وظفر بالمطلوب «**الْمُؤْمِنُونَ**» فهي بشارة لهم، ثم[٥] بَيَّنَ صفة المؤمنين.

ومتى قيل: إذا كان عندكم اسم الإيمان يقع على جميع ما ذكر، فَلِمَ[٦] فصل؟

قلنا: عرف المؤمنين[٧] بصفاتهم رفعاً للشبهة، فليس كل أحد يفهم أن هذه الصفات من شرائط الإيمان.

«**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**» أي[٨]: خاضعون، وحقيقة الخشوع في الصلاة بالقلب والجوارح، أما في القلب فبأن يقصد[٩] عبادة الله، ويفرغ قلبه، فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود، فأما[١٠] الجوارح فالسكون والطمأنينة، وترك الالتفات والعبث، ولهذا قال ﷺ وعلى[١١] آله لما رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته[١٢]: «أما إنه

(١) يعدو: ـ، ل، م.
(٢) ولذلك: كذلك، ل، م.
(٣) لم يقله: ينقله، ز.
(٤) وهما: وهو، ز.
(٥) ثم: ـ، ل، م.
(٦) فلم: فلماذا، ز، ل، م.
(٧) المؤمنين: المؤمن، ي.
(٨) أي: ـ، ل، م.
(٩) يقصد: يقصط، م.
(١٠) فأما: وأما، ز، ل، م.
(١١) على: +، ز.
(١٢) صلاته: الصلاة، ل، م.

لوخشع قلبه لخشعت[1] جوارحه»، واختلف المفسرون، قيل: يخبتون[2]، عن ابن عباس، وقيل: خائفون، عن الحسن، وقتادة، وإبراهيم، والضحاك، وقيل: متواضعون، عن مقاتل، وقيل: هو غض البصر، وخفض الجناح، عن مجاهد. فجعل ذلك من أفعال الجوارح، وقيل: هو ألاّ يلتفت يميناً وشمالاً، عن ابن زيد، وقيل: هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة، عن قتادة. «**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**» قيل: معرضون[3] عن المعاصي، عن أبي علي، والحسن، وأبي مسلم، والإعراض عنه ألاّ يفعله، وقيل: اللغو: الحلف الكاذب، عن ابن عباس، وقيل: الباطل، وقيل: الشتم، عن مقاتل. «**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**» أي[4]: يؤدونها، وسميت الصدقة زكاة، قيل[5]: لأنها تطهر وتزكي، وقيل: لأنها تنمي المال، وقيل: الزكاة اسم يقع على كل[6] فعل زكي[7] أي[8]: طاهر محمود مرضي[9]، ومنه أخذت الزكاة، عن أبي مسلم، «**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**» يعني يحفظونها مما[10] لا يجوز من زنا ونحوه، وقيل: عنى[11] به فروج الرجال خاصة بدليل ما بعده، وقيل: بل هو عام[12] في الرجل[13] والمرأة «**إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ**» قيل: معناه من أزواجهم، وحروف الصفات تتبادل، فأباح وَطْءَ الزوجة، «**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**» يعني الجواري، فتحل بملك

(١) لخشعت: خشعت، ل، م.
(٢) يخبتون: يخشعون، ز، ل، م.
(٣) قيل: معرضون: قيل معرضون قيل معرضون، ز.
(٤) أي: ـ ، ز، ل، م.
(٥) قيل: ـ ، ل، م.
(٦) على كل: كل شيء، ي.
(٧) زكي: زاك، ل، م.
(٨) أي: ـ ، ز، ل، م.
(٩) محمود مرضي: مرضي محمود، ز، ل، م.
(١٠) مما: ممن، ل، م.
(١١) عنى: يعني، ز.
(١٢) هو عام: هي عامة، ز، ل، م.
(١٣) الرجل: الرجال، ز.

اليمين[١] ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: لا يلام على[٢] وَطْءَ الزوجة وملك اليمين.

ومتى قيل: أليس يحرم وطْؤُها في مواضع، فكيف أطلق رفع اللوم؟

قلنا: فيه وجهان:

أولهما: أنه أباح بشرط ما يبيحه الشرع، فحذف لأنه معلوم، فلا يحل وطء الحائض والنفساء، والمحرمة، والصائمة، ولا يحل وطء الأَمَةِ[٣] المزوجة والمشركة والمجوسية، وكذلك إذا ظاهر من امرأته[٤] حتى يُكَفِّر، إلا أن هذه معانٍ[٥] عارضة، والأصل في التحليل حاصل.

الثاني[٦]: لا يلامون من جهة أنه وطء زوجة أو ملك يمين، وإن كان يلام من وجه آخر.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي: طلب سوى زوجته ومِلْكِ يمينه ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ قيل: يعدون[٧] الحلال إلى الحرام، وقيل: الخارجون عن حدود الله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ﴾ يعني ما ائتمنوا عليه، وهو على وجهين: أمانات الله من العبادات، وأمانات العباد كالودائع والعواري، والشركة والمضاربة والبياعات والشهادات وغيرها من العقود ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ عقودهم وعهودهم على ثلاثة أوجه: أوامر الله، ونذور الإنسان، والعقودالتي بين الناس ﴿رَاعُونَ﴾ أي: حافظون وافون، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يداومون فلا يضيعونها، ويراعون أوقاتها.

---

(١) يعني الجواري، فتحل بملك اليمين: ـ ، ل، م.

(٢) على: في، ل، م.

(٣) الأمة: المرة، ز.

(٤) امرأته: امرأة، ز.

(٥) هذه معاني: معاني، ز.

(٦) الثاني: والثاني، ل، م.

(٧) يعدون: يعتدون، ل، م.

ومتى قيل: لم أعاد[1] ذكر الصلاة؟

قلنا: لأنه أمر بالمحافظة عليها كما أمر بالخشوع، ولأنه نبه على عظيم[2] حالها، وقيل: المراد بالأول جميع[3] الصلوات لوجوب الخشوع في الجميع، وبالثاني المكتوبة؛ لأن محافظة[4] الأوقات فيها، عن أبي مسلم.

«**أُوْلَئِكَ**» يعني مَنْ كان بهذه الصفة «**هُمُ الْوَارِثُونَ**» يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة. روي[5] مرفوعاً، وقيل: لكل أحد[6] منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيدخل منزله في الجنة، ويهدم منزله في النار، وأما الكافر فيهدم منزله في الجنة، ويدخلمنزله في النار، عن مجاهد، وقيل: معنى[7]» الجنة ونعيمها يؤول إليهم[8] كما يؤول الحال إلى الوارث، «**الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ**» قيل: اسم من أسماء الجنة، عن الحسن، وأبي مسلم، ولذلك[9] أَنَّثَ وقال «**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**» وقيل: هو اسم لرياض الجنة، عن أبي علي، وقيل: حدائق الجنة، عن مجاهد، وقيل: إنه[10] اسم لجنة مخصوصة، وقيل: أصله البستان الذي فيه كَرْمُ، واختلفوا فقيل: إنه رومي، وقيل: حبشي، وقيل: عربي وزنه فِعْلَوْل، وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وما روي أنه رومي يحتمل موافقة اللغتين، أو كانت لغة لهم فأخذته العرب، فعربته فصار[11] عربياً.

---

(١) لم أعاد: أفاد، ز.
(٢) عظيم: عظم، ز، ل، م.
(٣) جميع: جمع، ز، ل، م.
(٤) لأن محافظة: ومحافظة، ز، ل، م.
(٥) روي: +، ز، ل، م.
(٦) لكل أحد: واحد، ز.
(٧) معنى: يعني، ل، م.
(٨) إليهم: إليه، ل، م.
(٩) ولذلك: وكذلك. وفي ل: وقيل، ز، م.
(١٠) إنه: هو، ز.
(١١) فصار: فيصير، ي.

۞ الأحكام

يدل أول[١] الآيات أن الجنة والفوز[٢] بها للمؤمنين[٣] خاصة، فيبطل قول المرجئة أن الفاسق ينالها.

وتدل أنه لا يؤمن إلا ويظفر ببغيته.

وتدل على[٤] أن قولنا: مؤمن من أسماء المدح، ولا يطلق على الفاسق ومن يستحق العقاب، وقيل: إنه من أسماء الشرع، ثم بَيَّنَ تعالى ما أزال كل شبهة، فذكر صفات المؤمن، فدل أن من كانت صفته ما ذكر، هو المؤمن[٥]، وكل[٦] ذلك يصحح قولنا.

وتدل على وجوب الخشوع في الصلاة، وقيل: إنه من أفعال القلب[٧]، وقيل: من أفعال الجوارح، وقيل: من أفعالهما[٨]، وهو الأولى؛ إذ لا شبهة أن الواجبعلى المكلف أداء الصلاة على وجه الخضوع والتذلل لله، ولا يكون كذلك إلا[٩] بأن يؤديها على تعظيم في القلب، ووقار في النفس.

ويدل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ أن المؤمن مَنْ أعرض عن اللغو وهو المعاصي، فيبطل قول المرجئة.

وتدل على وجوب الزكاة، وأنها من شرائط الإيمان، وذلك لا يجب إلا بشرائط ملك النصاب، وحَوْلِ الحول إلى غير ذلك مما[١٠] بيناه[١١].

---

(١) أول: ـ، ز.
(٢) والفوز: والقول، ز.
(٣) للمؤمنين: للمؤمن، ي.
(٤) على: ـ، ز.
(٥) ما ذكر، هو المؤمن: ما ذكره المؤمن، ز، ي.
(٦) كل: +، ل، م.
(٧) وقيل: إنه من أفعال.
(٨) أفعالهما: أفعالها، ز، ل.
(٩) إلا: ـ، ز.
(١٠) مما: ـ، ز.
(١١) بيناه: بينا، ز، ل، م.

وتدل على أن الزكاة عبادة شرعية.

وتدل على تحريم الوطء إلا بوجهين: ملك يمين، أو عقد نكاح.

وتدل على تحريم المتعة؛ إذ لا شبهة أنه ليس بملك يمين، وليس[١] بعقد نكاح؛ لأنه ليس بزوج ولا هي بزوجة[٢]، ولذلك لا ترث، وبهذه[٣] استدلت عائشة رضي الله عنها.

وتدل على وجوب الوفاء بالعهود والأمانات، فيدخل فيها جميع الأمانات والمضمونات من العقود وغيرها، فيدخل في ذلك جميع التكاليف[٤].

وتدل على[٥] أن من كان بهذه الصفة يرث الجنة فيبطل قول المرجئة، قال شيخنا أبو علي: إنما ذكر ذلك تشبيهاً بالميراث؛ لأنهم صاروا أولى بها.

ومتى[٦] قيل: **أليس هاهنا عبادات أخر لم نذكرها؟**

قلنا: لا[٧]؛ لأن جميع ما كلف دخل[٨] في الآية؛ لأن جميع[٩] ما يجب فعله من العبادات، وما يلزمه من[١٠] عقود الناس وضماناتهم يدخل في قوله: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ وجميع المعاصي، يدخل تحت قوله: ﴿عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

وتدل على أن[١١] هذه الأفعال حادثة من قِبَلِ[١٢] العباد، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

ومتى قيل: هل تدل الآيات على وجوب هذه الأشياء؟

---

(١) وليس: ولا، ز، ل، م.
(٢) بزوجة: زوجته، ل، م.
(٣) وبهذه: فبهذه، ز، ل، م.
(٤) التكاليف: التكليف، ل، م.
(٥) على: ـ، ل، م.
(٦) متى: ـ، ل، م.
(٧) لا: +، ز، ل، م.
(٨) ما كلف دخل: ما كلف داخل، ز.
(٩) جميع: أجمع، ل، م.
(١٠) من: في، ز، ل، م.
(١١) أن: ـ، ز.
(١٢) قبل: فعل، ي.

قلنا: قيل[1] هي[2] وإن كانت خبراً[3] فقد علق به المدح والذم فصار كالمأمور به، وهذا قول الأكثر، وقيل: لا تدل لأنه مدح، وقيل: هو يدل على أن الجنة مخلوقة، ومنهم من قال[4]: إنها[5] غير مخلوقة، ومنهم من قال: هو على تقدير: إذا كان يوم القيامة وخلق الجنة فهي إرث للمؤمنين[6].

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «**فخلقنا المضغة عَظْماً فكسونا الْعَظْمَ لحما**» بفتح العين وسكون الظاء في الحرفين، ذهبا به إلى الجنس، وقرأ الباقون بكسرالعين وفتح الظاء على الجمع[7]؛ لأن الإنسان ذو عظام كثيرة.

قراءة العامة: «**لميتون**[8]» بغير ألف، وعن أشهب العقيلي: (**لمائتون**)[9]، وميت ومائت لغتان: اسم لمن لم يمت بعد، وَمْيتُ بالتخفيف اسم لمن مات،

---

(١) قيل: هل، ي.
(٢) هي: هن، ل، م.
(٣) كانت خبراً: كن خيراً، ل، م.
(٤) مخلوقة، منهم من قال: ـ ، ل، م.
(٥) إنها: +، ز.
(٦) للمؤمنين: المؤمنين، ز، ل، م.
(٧) الجمع: الجميع، ز.
(٨) لميتون: ميتون، ز، ل، م.
(٩) لمائتون: المائتون، ز.

فلذلك[1] لم يخفف هاهنا، كقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2] [الزمر: ٣٠].

اللغة

الخلق في كلام العرب: التقدير، فلما كان جميع أفعال الله تعالى مقدرة صواباً على وفق مراده من[3] غير زيادة ولا نقصان، سمي جميع أفعاله[4] خلقاً[5]، فغلب هذا الاسم على أفعاله حتى لا يطلق لغيره.

والسُّلاَلَةُ: ما سللته من الشيء كما يسمى[6] ما[7] كشحته الكاشحة، فالنطفة سلالة[8]، والولد سلالة وسليلة[9]، والجمع: سلالات وسلائل، فكأنه يستخرج منه، والسليل والمسلول بمعنى واحد.

والنطفة: ماء الرجل، والعرب تقول للماء القليل: نطفة، وللماء الكثير: نطفة، ومنه الحديث: «حتى يسير الراكب بين النطفتين لا[10] يخشى جورا»، يعني بين[11] [بحر] المشرق وبحر المغرب[12]، والنَّطْفُ: القطر، نَطَفَ يَنْطُفُ، وليلة[13] نَطُوفُ[14] دائمة القَطْرِ.

والعلقة: القطعة من الدم، والعلق[15]: الدم[16] الجامد، وإذا خرج فهو

(١) فلذلك: ولذلك، ل، م.
(٢) إنك ميت وإنهم ميتون: ـ، ز.
(٣) من: عن، ي.
(٤) أفعاله: أفعاله له، ل، م.
(٥) خلقاً: خلق، ز.
(٦) يسمى: سمي، ز، ل، م.
(٧) ما: +، ز.
(٨) سلالة: سالة، ز، ل، م.
(٩) وسليلة: ـ، ل، م.
(١٠) لا: ـ، ز.
(١١) بين: ي.
(١٢) وبحر المغرب: والمغرب، ي.
(١٣) وليلة: ليلة، ز، ل، م.
(١٤) نطوف: تطرف، ز.
(١٥) والعلق: والعلق الجمع، ل، م.
(١٦) وللعلق: الدم: ـ، ز

المسفوح، وسمي علقة كأنه[1] تعلق بمكانه، ومنه عَلَقُ القربة عِصامُهَا الذي[2] تعلق[3] بها، وفي الأمر علق وعلاقة وعلقة وعلوق ومتعلق كله بمعنى، وعلاقة المهر ما يتعلقون به على المتزوج، ومنه الحديث: «أدوا العلائق».

والمضغة: قطعة من اللحم التي يمكن مضغها للينها[4]، والمَضَاغُ الطعام[5] يمضغ، والمضاغة[6] ما يبقى في[7] الفم مما يمضغ.

الإعراب

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ من نعت الله.

(ميتون[8] خبر (إن)[9] واسمه في ﴿إِنَّكُم﴾.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل: لما ذكر نعمه على المؤمنين بما أعد لهم في الآخرة ابتدأ بذكر نعمه عليه ابتداء، ومنبهاً له على النظر في نعمه والتمسك بهذه الخصال.

وقيل: لما بَيَّنَ أحوال الآخرة بَيَّنَ متى يكون البعث، ودل على أن[10] مَنْ قَدَرَ على خلق الإنسان على هذا الترتيب قدر على الإعادة.

---

(١) كأنه: لأنه، ز، ل، م.
(٢) الذي: التي، ز، ل، م، ي.
(٣) تعلق: يتعلق، ز، ل.
(٤) للينها: للسغاء، ز.
(٥) الطعام: والعظام. ل، م.
(٦) المضاغة: والمماضغة، ز.
(٧) في: من، ز.
(٨) ميتون: لميتون، ل، م.
(٩) خبر (إن): ـ، ز.
(١٠) أن: ـ، ز.

وقيل: لما قال: هم في الفردوس خالدون، وأحوال الإنسان في الدنيا تتغير بَيَّنَ أنه هو[١] المُغُيِّرُ[٢]، فإذا لم يُغَيِّرْ بقي على حاله.

۞ المعنى

ثم ذكر تعالى كيف خلق الإنسان، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**» أي: خلقنا الإنسان مسلولاً من الطين، أي: مستخرجاً منه، قيل: استل آدم من أديم الأرض فخلق منه. وقيل: استل من طين، عن قتادة، وقيل: استل الإنسان من صفوة ماء آدم الذي هو من الطين، واختلفوا في المعني بالإنسان[٣]، فقيل: كلهم[٤] يرجعون إلى آدم وآدم[٥] خلق من سلالة من طين، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: بل أراد به آدم، عن أكثر المفسرين. «**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ**» أي: جعلنا الإنسان، وهم ذرية آدم «**نُطْفَةً**» وهو المني «**فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**» أي: مكن لذلك بأن هيأ لاستقراره، وقيل: مكين: حَرِيزُ[٦]، وهو الرحم «**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً**» أي: قطعة دم جامد «**فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً**» أي قطعة[٧] لحم «**فَخَلَقْنَا**» تلك «**الْمُضْغَةَ عِظَامًا**» صلبها[٨]**فَكَسَوْنَا**[٩] **الْعِظَامَ لَحْمًا**» أي: ألبسنا العظام لحماً، بأن أنبت عليها اللحم بأن[١٠] **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ**» أي: جعلناه على صورة أخرى، قيل: بنفخ الروح، عن ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وعكرمة، وأبي العالية، والضحاك، وابن زيد،

---

(١) هو: ـ، ز، ل، م.
(٢) المغير: المغتر، ز.
(٣) بالإنسان: ما الإنسان، ل، م.
(٤) كلهم: كل بل، ز.
(٥) وآدم: +، ز، ل، م.
(٦) حريز: حرس.
(٧) أي قطعة: +، ز، ل، م.
(٨) صلبها: ـ، ز.
(٩) فكسونا: ثم كسونا، م.
(١٠) بأن: أن، ز، ل، م.

وقيل: بنبات الشعر والأسنان، عن قتادة، وقيل: بإعطاء العقل والفهم، وقيل: باستواء الشباب، عن ابن عمر، وقيل: تصريف أحواله بعد الولادة، كأنه قلبه في بطن أمه، ثم أخرجه من بطن أمه، وأطعمه من ثدي أمه، ثم تنتقل به الأحوال من صغر وشباب وكهولة، وأعطاه العقل، وعلمه وأقدره، ومكنه من الأفعال حتى صار إنساناً خصيماً، وقيل: ذكراً وأنثى، «**فَتَبَارَكَ اللَّهُ**» أي: الدائم الباقي، وأصل البركة: الثبوت، وقيل: المستحق لعظيم صفاته بأنه قديم لم يزل ولا يزال، عالم[1] قادر حي سميع بصير غني[2] عدل «**أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**» يعني تعالى الله[3] أن يكون فعله كفعل سائر الفاعلين؛ لأنه يفعل الجواهر[4] والأعراض والحياة والموت، ويخلق الفاعلين، ويخلق لا بآلة، وليس لمقدوراته[5] نهاية، قيل: أحسن أي: المصورين، وقيل: المقدرين، وقيل: الصانعين، عن مجاهد، «**ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**» أحياء من قبوركم للجزاء.

۞ الأحكام

تدل الآية أن الخالق والمصور في الأرحام هو الله تعالى، فيبطل قول من يزعم أن ملكاً يصور؛ لأن[6] من المستحيل أن يكون في الرحم ملك يصور؛ لأن هذه الصورة العجيبة والتأليفات البديعة لا تتأتى ممن يفعل بآلة.

وتدل على أنه خلق آدم من طين، وأولاده من نطفة، وأنه نقله من حال إلى حال، ولا يصح أن يقال: إن[7] تلك الأجزاء من النطفة بعينها تصير إنساناً، أو تنمو

(١) عالم: وعالم، ل، م.
(٢) غني: ـ ، ز، ل، م.
(٣) الله: ـ ، ز، ل، م.
(٤) الجواهر: ـ، ز.
(٥) لمقدوراته: بمقدوراته، ل، م.
(٦) لأن: لا، ز،ل، م.
(٧) إن: بأن، ز، ل، م.

على ما يزعمه بعضهم؛ بل نقول: إنه تعالى يخلق[1] الأجزاء الزائدة؛ لأن الشيء[2] الواحد يستحيل أن يصير أشياء[3].

قال أبو علي: تدل الآية على بطلان مذهب النَّظَّام أن[4] الإنسان هو الروح وأنه غير النطفة؛ لأنه تعالى بين أنه النطفة.

وتدل الآية[5] على بطلان قول معمر: إنه شيء لا ينقسم وليس بجسم؛ لأن النطفة جسم، قال أبو علي: ولا يدخل في هذه الجملة أن كل قبيح من خَلْقِهِ.

وتدل أن غيره يسمى خالقاً على سبيل التقييد، فأما على الإطلاق فلا يسمى به غير الله تعالى.

وتدل على البعث والإعادة.

ومتى قيل: هل تدل على أنه لا يبعث لعذاب القبر، فإما أن يقال: يبقيه، أو يقال: إنه يكون الروح، وكلاهما[6] لا تقولون به؟

قلنا: إثبات البعث في القيامة لا يدل على نفي ما عداه فهو يبعث في القبر للسؤال، ثم يبعث في الحشر.

ومتى قيل: كيف خلق النطفة علقة، والعلقة مضغة؟

قلنا: يخلق فيها الأعراض، ويزيد في الأجزاء وينقص ويؤلف، كما يقال: جعل الخشبة[7] سريراً.

ومتى قيل: أليس روي أن عبد الله بن سعيد بن أبي سرح، كان يكتب لرسول الله ﷺ[8]، وأملى عليه الآية فلما بلغ قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ

(١) يخلق: خلق، ز، ل، م.
(٢) الشيء: مني، ز، ل، م.
(٣) أشياء: إنساناً، ز، ل، م.
(٤) أن: لأن، ي.
(٥) الآية: ـ، ز، ل، م.
(٦) كلاهما: فكلاهما، ز.
(٧) الخشبة: الخشب، ل، م.
(٨) صلى الله عليه وآله: +، ز.

ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [(١)]، فقال ﷺ وعلى[(٢)] آله: «كذلك أوحي إلي» فقال: إن يك محمد يوحى إليه فقد أوحي إليّ][(٣)] وارتد[(٤)] ولحق بمكة؟

قلنا: هذا القدر لا يتبين فيه الإعجاز، حتى يكون معارضاً، فهو بمنزلة كلمة وحرف يتفق ممن لا يشعر، ثم لا يكون معارضاً للشاعر، وإنما اشتبه عليه لما كان في صدره من الغل والكفر.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو: «وطور سِينَاءَ» بكسر السين، والباقون بفتحها، قيل: هما اسم لبقعة ولذلك لا ينصرف[(٥)].

وقيل: من فتح فالألف علامة التأنيث، كصحراء وحوراء[(٦)] وعيناء، ومعناه: ذات أحجار، ومن قرأ بكسر السين[(٧)] فيكون اسماً كقولك: علباء، ومعناه[(٨)]: البقعة.

---

(١) فتبارك: وتبارك.

(٢) على: +، م.

(٣) فقد أوحي إلي: فيوحى إلي به. ز: فيوحى إليه ل، م، ي. وما أثبتناه من: (تفسير الطبري: ١١/ ٥٣٤، تفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ٣٢٢، الدر المنثور: ٤/ ٩٩).

(٤) وارتد: +، ي.

(٥) لاينصرف: لا يصرف، ي.

(٦) وحوراء: وحمراء، ز.

(٧) السين: الألف، ل، م.

(٨) ومعناه: أي معناه، ز، ل، م.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «تُنْبِتُ» بضم التاء وكسر الباء كما يقال: ذهب وذهب به[١]، وإذا ضممته[٢] ففيه وجهان:

أحدهما: أن الباء زائدة، كقولهم: أخذت بثوبه، أي: أخذت ثوبه.

والثاني: أنهما لغتان بمعنى، يقال: نبت وأنبت.

وقرأ نافع وابن عامر[٣] وأبو بكر عن عاصم: «نَسْقِيكُمْ» بفتح النون، وقرأ أبو جعفر: «تَسْقِيكُمْ» بالتاء يرجع بذلك إلى الأنعام، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم، وحمزة والكسائي: «نُسقيكم» بضم النون.

اللغة

الطرائق: جمع طريقة، وسميت الطرائق؛ لأنها مطارقة بعضها فوق بعض، يقال: طارق بين ثوبين، وطارَقْتُ[٤] نعلي إذا ركبت وجهاً على وجه، وجلداً على جلد.

والغفلة: ذهاب المعنى عن النفس، ونظيره: السهو.

والسيناء: يحتمل أن يكون من السنا وهو الارتفاع، والسَّناءُ: الرفعة[٥]، والسناء: الضو، والسَّنَاء: نبت له حمل إذا يبس وحركته[٦] الريح سمعت له زجلاً، الواحدة سَنَاةُ، ومنه الحديث: «عليكم بالسَّنَا» والسناء الحسن، ومنه الحديث لأم خالد لما ألبسته ثوباً، سنا سناء أي: حسن حُسنًا.

والأنعام: الماشية، وهي الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لنعمة في مشيها خلاف الحافر في وطئها[٧].

والعبرة: الدلالة المؤدية إلى البغية، كأنها معبر[٨] إليه وطريق تؤدي إليه.

---

(١) به: ـ، ز.
(٢) ضممته: ضممت، ز.
(٣) وابن عامر: وأبوعمرو، ز، ل، م.
(٤) طارقت: طارق، ز.
(٥) الرفعة: المرقعة، ز.
(٦) حركته: وحركة، ز.
(٧) وطئها: قطها.، ز.
(٨) معبر: تعبر، ز، ل، م.

الإعراب

(طرائق) فعائل، وهو لا ينصرف لأنها جماعة، ثالث حروفها[١] ألف، وبعد الألف حرفان. و(فواكه) فواعل فلا ينون.

(وشجرة) نصب على أنشأنا لكم جنات وشجرة، (صبغ) أي: يصبغ[٢] فهو عطف على الدهن، وقيل: (منها)[٣] يرجع إلى[٤] الجنات، وقيل: إلى الفواكه، وقيل: إلى النخيل والأعناب، قال أبو مسلم: يرجع إلى النخيل والأعناب، وكذلك دخلت الواو، ولو كانت ترجع إلى الفواكه لما احتاج إلى الواو إلا على ضرب من التأويل، وهو أن يقول: تتفكهون بها وتأكلون منها.

المعنى

ثم بين تعالى نعمه، وكمال قدرته بخلق السماء وما أنزل من السماء، وأنواع النبات، فقال سبحانه: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ» أيها الناس[٥]«سَبْعَ طَرَائِقَ» أي: سبع سماوات، وسميت بذلك[٦]، قيل: لأن[٧] كل طبقة طريقة، وهي السماوات الطباق، عن ابن زيد، وقيل: لأن بعضها فوق بعض من طارقت النعل، عن أبي مسلم، وقيل: لأنها طرائق الملائكة، عن أبي علي. وقال[٨] الحسن: بين كل سماءين[٩] مسيرة خمسمائة عام، وكذلك ما بين السماء والأرض.

ومتى قيل: ما وجه النعمة بخلق السماء، وما وجه الدلالة؟

---

(١) ثالث حروفها: ثلاث حروف فيها، ي.
(٢) يصبغ: ويصبغ، ل، م.
(٣) وقيل منها: ـ ،ز.
(٤) إلي: ـ ، ز.
(٥) أيها الناس: ـ ، ز، ل، م.
(٦) وسميت بذلك: وسميت طرائق، ز، ل، م.
(٧) لأن: ل، م.
(٨) وقال: قال، ي.
(٩) سماءين: سماء، ي.

قلنا: أما النعمة فإنها مواضع أرزاقنا، ومكان ثوابنا، ومنها ينزل الوحي[١] بألطافه[٢]، ومنها تنزل الملائكة، وهي مقر لهم، فأما وجه الدلالة فخلقها[٣] وإمساكها وتزيينها، وسَيْرُ النجوم فيها إلى غير ذلك.

«**وَمَا كُنَّا عَنِ الْـخَلْقِ غَافِلِينَ**» قيل[٤]: أراد خلقنا[٥] السماوات والخلق وما كنا غافلين عن شيء[٦] من ذلك؛ بل كنا عالمين بها حافظين لها، وقيل: ما كنا غافلين عنكم، فننزل عليكم من المطر ما يحييكم وما[٧] يرزقكم، عن الحسن، وقيل: ما كنا غافلين[٨] عن السماء، فأحكمنا خلقها وأمسكناها حتى لا تسقط عليكم فتهلككم، وقيل: معناه من جازت[٩] عليه الغفلة[١٠] لا يصح أن يمسك السماء فتقع، ولا أن يحفظ الخلق[١١] فيهلكوا، وقيل: ما كنا غافلين عن شيء حتى يخرج عن الذي أردنا كونه عليه، عن أبي مسلم، وقيل: ما كنا عن حاجاتهم غافلين صغر أم كبر كذلك عقبه بذكر المطر، وقيل: ما خلقناكم عبثاً؛ بل خلقناكم غير غافلين؛ بل عالمين بأعمالكم محصيين[١٢] لها نجازي[١٣] بها، عن أبي علي. «**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ**» قيل: بقدر ما يكفي لحاجاتهم وأرزاقهم، قيل: بقدر ما قدرناه[١٤] لإنزاله على ما توجب

(١) الوحي: بالوحي، ز، ل، م.
(٢) بألطافه: بألطافنا، ي.
(٣) فخلقها: فجعلها، ي.
(٤) قيل: وقيل؛ ز، ل، م، ي.
(٥) خلقنا: خلقت، ز، ل، م.
(٦) عن شيء: أشياء، ز.
(٧) ما: ـ، ز، ل.
(٨) عن شيء... غافلين: ـ، ل.
(٩) جازت: جاز، ي.
(١٠) الغفلة: +، ز، ل، م.
(١١) الخلق: ـ، ل، م.
(١٢) محصيين: محص، ي.
(١٣) نجازي: مجازي. وفي ز: نجازي، م.
(١٤) قدرناه: قدرنا، ز، ل، م.

الحكمة «فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ» أي: جعلنا له الأرض مسكناً، يبقى فيه ثم يخرج ينابيع[1] من الأرض على حسب ما يخرجه الله تعالى «وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ» فيهلكوا عطشاً، وتهلك المواشي، وتخرب الأرض، وتيبس الأشجار، ومعنى الذهاب به قيل: تغور فلا يقدر أحد عليه بالإخراج، وقيل: بأن يفنيه[2]، عن أبي علي. «فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ» أي: أحدثنا وخلقنا لنفعكم «بِهِ» أي: بسبب هذا الماء «جَنَّاتٍ» بساتين «مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ» وإنما أجرى العادة بأن يخلقها عند السقي والماء، ولو شاء لخلق بغير ماء ولا هواء ولا أرض.

ومما يدل على[3] أنه الخالق لجميع ذلك[4] و[أنها] ولاتخرج بالطبع وجوه:

منها: أن الطبع لا يُعْقَلُ؛ لأنه لا يعلم ضرورة، ولا دليل عليه.

ومنها: أن كل ما يحدث لا بد له من مُحْدِثٍ حي قادر.

ومنها: اختلاف الصور، والألوان، والطعوم، [والروائح]، مع اتفاق الهواء والماء والأرض.

ومتى قيل: لم خص النخيل والأعناب بالذكر؟

فجوابنا[5]: لأنهما ثمار الحجاز. وقيل: لأنهما أصول نعم كثيرة بخلاف غيرهما[6] من الفواكه.

«لَكُمْ فِيهَا» في الجنات «فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» قيل: من الفواكه، وقيل: من الجنات، وقيل: من النخيل والأعناب «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ» قيل: البركة، وقيل: جبل البركة، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: معناه الجنس[7]، عن قتادة،

---

(١) ينابيع: بما ينبع. وفي ل، م: ينابع، ز.

(٢) يفنيه: يفنه، ل.

(٣) عن: +، ز، ل، م.

(٤) ذلك: لذلك، ز، ل، م.

(٥) فجوابنا: فجوابنا قيل: ز، ي.

(٦) غيرهما: غيرها، ي.

(٧) الجنس: الحسن، ز.

والضحاك، وقيل: هو اسم للجبل[1] الذي نودي فيه موسى[2]، وهو كثير الشجر، عن معمر[3]. والمراد بالشجرة الزيتون، وخصه بالذكر؛ لأنه لا[4] يتعاهده[5] إنسان، وتنبت بالدهن مع كثرة منافعه، وقيل: لأن الزيتون ينبت أول ثمرة[6]، وقيل[7]: الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان **«تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ»** تقول نبت ثمرها بالدهن، وقيل: معناه تنبت ثمر[8] الدهن، والباء زائدة، **«وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ»** أي: إدام يُصْطَبَغُ به، **«وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً»** أي: دلالة مؤدية إلى يقين **«نُسقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا»** يعني ألبانها بإجرائها إلى ضروعها من عروقها، **«وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ»** من[9] اللحم والشعر والجلد **«وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْهَا»** يعني على الأنعام، **«وَعَلَى الْفُلْكِ»** السفينة **«تُحْمَلُونَ»** في البر والبحر.

الأحكام

يدل قوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ أنه عالم بجميع المعلومات، وفيه زجر عن المعاصي، وترغيب في الطاعات.

وتدل على أنه أنزل الماء من السماء لمنافع الخلق، فتدل أن ماء الأرض من ماء السماء.

ويدل جميع ما ذكرنا على تمام نعمه وكمال قدرته، وكذلك الأنعام، وجميع ذلك ظاهر.

---

(١) للجبل: الجبل، ز، ل، م.
(٢) موسى: ـ، ل، م.
(٣) معمر: معمرة، ل.
(٤) لا: ـ، ل، م.
(٥) يتعاهده: يعاهده، ل.
(٦) أول ثمرة: أولاً ثمر، ل، م.
(٧) وقيل: فقيل، م.
(٨) نبتت في... ثمر: ـ، ز، ل، م.
(٩) من: عن، ل.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم: «مَنْزِلاً» بفتح الميم وكسر الزاي على الاسم، أي: موضعاً مباركاً، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح الزاي على المصدر، أي إنزالاً مباركاً.

وقرأ حفص عن عاصم: «من كُلٍّ» بالتنوين، والباقون بالإضافة.

اللغة

الملأ: أشراف القوم.

والجُنَّة: غمرة تنفي العقل، وأصل الباب: السَّتْرُ لاستتاره عن العيون، ومنه: الجَنان: القلب، والجنون والمِجَنّ.

والتربص[1]: الانتظار.

والأعين: جمع عين، وهي حاسة[2] تدرك بها المرئيات إذا صحت، ومثله البصر.

---

(١) والتربص: والمربص، ز.

(٢) حاسة: خاصة، ل، ز.

والفَوْرُ: الغليان، فارت القدر تَفُورُ[١]، وفار غضبه إذا جاش، ويقال: سلكه في كذا، وأسلكه فيه، بمعنىً، وقيل: سلكته[٢] فيه محذوف، أي: سلكت به.

والاستواء: الاستقرار، والاستواء: الاستيلاء، والاستواء[٣]: القصد.

والابتلاء والاختبار والامتحان نظائر، وهو في صفة الله تعالى[٤] مجاز وتوسع، يعني يعامل معاملة المختبر؛ لأنه عالم لذاته، وخير غاية.

المعنى

لما تقدم ذكر الأدلة[٥] المنبهة على إثبات المدبر الحكيم، ونعمه على عباده أتبعه بذكر الأمم[٦] الخالية، وما أنعم عليهم بإرسال الرسل، وما قابلوا به من التكذيب، وما فعل بهم زجراً عن مثل ما فعلوا، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ**» قيل: سمي نوحاً لكثرة ما[٧] ناح على نفسه، عن ابن عباس، وقيل: سبب نوحه أنه دعا على قومه بالهلاك، وقيل: لدعائه[٨] في شأن ابنه، «**فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**» فبدأ بالتوحيد لأنه الأهم، «**أَفَلَا تَتَّقُونَ**» قيل: أفلا تتقون[٩] مخالفته ومعاصيه، وقيل: أفلاتتقون الشرك[١٠] فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ» يعني الأشراف، وكانوايصدون الناس عن اتباعه «**مَا هَذَا**» يعني نوحاً «**إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ**» أي: يتشرف ويترأس، فيكون له الجاه[١١] والفضل عليكم «**وَلَوْ شَاءَ**

(١) تفور: فوراً، ز.
(٢) سلكته: سلكه، ل، م.
(٣) والاستواء: والاستيلاء، ل.
(٤) تعالى: +، ل، م.
(٥) الأدلة: ـ ، ل، م.
(٦) الأمم: الأحم، ز.
(٧) ما: من، ز.
(٨) لدعائه: في دعائه، ي.
(٩) قيل: أفلا تتقون: +، ل، م.
(١٠) الشرك: الشرك الشرك، م.
(١١) الجاه: الحياة، ز، ل، م.

اللَّهُ لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً» أي: لو شاء الله[1] أن يرسل رسولاً لأرسل ملكاً، وأخطأوا في هذا من وجوه:

منها: أن الرسول يُرْسَلُ للمصلحة، وَيَظْهَرُ بالمعجزة[2]، ويفضل[3] بالعصمة، ولا اعتبار[4] بالصورة.

ومنها: أنهم ظنوا أن الملائكة ليست بعبيد لله[5]، وأنهم معظَّمون لا[6] بالطاعة.

ومنها: أن مَنْ كانت بعثته أصلح، وجبت بعثته.

ومنها: أن بعثه على خلاف الصورة[7] قد تكون مفسدة؛ لأن الإنسان قد يستنكف من اتباع غير جنسه.

ومنها[8]: أنهم اعتمدوا في صحة هذا قول آبائهم، والتقليد ليس بحجة.

«مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ» قيل: بهذا الدين، وقيل: بمثل دعوته، وقيل: بمثله بشراً أتى برسالة ربه **«إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ»** أي: جنون **«فَتَرَبَّصُوا بِهِ»** أي: انتظروا إلى حين، أي: إلى وقت.

ومتى قيل: كيف نسبوه إلى الجنون مع عقله؟

قلنا: عناداً وتلبيساً، أي: لجنونه، يقول ما يقول، وقيل: كأنه في طمعه هذامجنون، فقالوه تشبيهاً.

واختلفوا في قوله: **«فتربصوا به حَتَّى حِينٍ»** قيل: انتظروا حتى يفيق، فإذا أفاق

---

(١) الله: +، ل، م.
(٢) بالمعجزة: بالمعجز، ي.
(٣) ويفضل: وينصب، ز، ي.
(٤) ولا اعتبار: والاعتبار، ز.
(٥) بعبيد لله: بعبدالله، م.
(٦) لا: ـ، ز.
(٧) الصورة: الصور، ز، م، ي.
(٨) ومنها: ومنهم، ل.

عن جنونه رجع عما هو عليه، وقيل: معناه احبسوه[١] مدة ليرجع عن قوله، وقيل: إلى موته، فلما أيس منهم دعا الله سبحانه[٢] **«رَبِّ انصُرْنِي»** أعني[٣] عليهم بإهلاكهم **«بِمَا كَذَّبُونِ»** يعني إنما[٤] أدعو عليهم لتكذيبهم **«فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا»** قيل: بحيث يراها الرائي من عبادنا بعينه، وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين، فإنهم يحرسونك من كل مَنْ منعك منه[٥]، وقيل: بحفظنا، عن أبي مسلم[٦]، فذكر العين وأراد الحفظ ولم يرد الجارحة؛ لأنه ليس[٧] جسما، ولأنه[٨] ذكر بلفظ الجمع[٩]، وقيل: بعلمنا[١٠]، وما نوحيه[١١]. إليك مَنْ صفتها، عن أبي علي. **«وَوَحْيِنَا[١٢]»** أي: بأمرنا وإعطائنا ما يحتاج إليه فيها؛ لأنها[١٣] أول سفينة عُملت، **«فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا»** قيل[١٤]: نصرنا، وقيل: هو عبارة عن فوران الماء، وقيل: **أَمْرُنَا** بالدعاء عليهم؛ لأن الدعاء بالهلاك عليهم[١٥] لا يجوز إلا بإذن، فإذا دعا لا بد من الإجابة، وإنما يأذن إذا علم أنهم لا يؤمنون **«وَفَارَ التَّنُّورُ»** أي: غَلَى[١٦] التنور بالماء، وكان ذلك من[١٧] علامة الغرق، ومعجزة لنوح، وقيل: معناه اشتد

---

(١) انتظروا... احبسوه: ـ، ز، ل، م.
(٢) سبحانه: ـ، ل.
(٣) أعني: ـ، ز، ل، م.
(٤) إنما: أنا، ز، ل، م.
(٥) منه: منها، ل، م.
(٦) أبي مسلم: أبيعلي، ز.
(٧) ليس: +، ز، ل، م.
(٨) ولأنه: ولا، ي.
(٩) الجمع: الجميع، ز.
(١٠) بعلمنا: بأمرنا، ل، م.
(١١) نوحيه: نوجهه، ز، ي.
(١٢) ووحينا: وأوحينا، ز.
(١٣) لأنها: لأنه، ز، ل، م.
(١٤) قيل: وقيل، ل.
(١٥) عليهم: ـ، ز، ل، م.
(١٦) غلى: أي غلا، ز.
(١٧) من: ـ، ز.

الأمر، كما يقال: حمي الوطيس، «**فَاسْلُكْ فِيهَا**» أي: أدخل في السفينة «**مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ**» قيل: الزوج واحد له قرين من جنسه، أي: من كل شيء زوجين[1] ذكرا وأنثى، قال الحسن: فحمل معه من يلد ويبيض دون الحرشات «**وَأَهْلَكَ**» أي: من آمن معك «**إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ**» يعني تقدم الوعيد[2] عليهم لأجل كفرهم، كابنه وامرأته، فإنهم يهلكون مع القوم «**وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا**» أي: لا تراجعني فيمن ظلم بالكفر، قيل: من ظلم نفسه بكفره، وقيل: ظلم آيات[3] الله ورسوله بالتكذيب، وهذا سد باب الشفاعة «**إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**» فأخبره بأنه يغرقهم، وهو[4] لا يخلف الميعاد، فلا تراجعني[5] في بابهم، وقيل: لا تخاطبني في باب ابنك كنعان، واللفظ عام فلا معنى لتخصيصه من غير دليل.

ومتى قيل: لِم منع من الدعاء؟

قلنا: لكونه مفسدة، ولكونه خلفاً للوعد[6]، ولما فيه من التنفير.

«**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ**» يعني علوت واستقررت «**أَنْتَ**[7] **وَمَنْ مَعَكَ**» من المؤمنين، يعني إذا تم الركوب، قيل: ركب معه في[8] السفينة من المؤمنين سبعة ونوح ثامنهم[9]، عن الحسن، وقيل: سبعون. والله أعلم. «**فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**» يعني احمدوا الله حيث نجاكم مِنْ أذاهم، وقيل: احمدوا الله[10] إذ أخرج المؤمنين من جملة الكفار، فنجّى الله[11] المؤمنين، وأهلك الكافرين، فعلى الأول النجاة من أذاهم، وعلى الثاني من الطوفان.

---

(١) زوجين: ـ ، ز.
(٢) الوعيد: الوعد، ز.
(٣) آيات: بآيات، ل.
(٤) هو: ـ ، ز، ل، م.
(٥) فلا تراجعني: فلا تراجع ، م.
(٦) للوعد: للوعيد، ز، ل م.
(٧) أنت: ـ ، ز.
(٨) معه في: ـ ، ز، ل، م.
(٩) ونوح ثامنهم: وثامنهم نوح، ل، م.
(١٠) الله: ـ ، ز، ل، م.
(١١) الله: ـ ،ز، ل، م.

ومتى قيل: أيَّ ظُلْمٍ أتوا فاستحقوا العذاب؟

فجوابنا: أعظم الظلم وهو[١] الشرك والتكذيب، وقيل: إيذاءهم[٢] نوحاً والمؤمنين.

«**وَقُلْ**» يا نوح «**رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا**» بالفتح المنزل، أي: الموضع، وبالضم الإنزال، وقيل: المنزل المبارك هو السفينة، لأنها[٣] سبب النجاة، عن أبي علي، وقيل: أراد بالمنزل المبارك المنزل بعد الخروج من السفينة؛ لأن تمام النجاة يكون به، عن مجاهد، وقيل: هو عام في كل وقت، «**وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**» لأن الله يحفظه ويحرسه في جميع الأحوال، ويدفع عنه المكاره، فلا إنزال كإنزاله، وقيل: إن غيره[٤] إما أن يُنْزِلَ بِكِرَاءٍ أو عَارِيَّة أو بيع، وينزل وقتاً[٥] دون وقت، والله تعالى ينزل دائماً «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ**[٦]» **في قصة نوح**[٧]، **وقيل: فيما تقدم «لآيَاتٍ**[٨]**» لدلالات «وَإِنْ**[٩] **لَمُبْتَلِينَ**» قيل: مختبرين إياهم بتذْكِير[١٠] العقاب؛ لننظر ما هم عاملون[١١] قبل نزول العقاب[١٢] بهم، وقيل: مختبرين بالدلالات ليعلمواضانعهم ويشكروه[١٣]، عن أبي علي، وقيل: لمبتلين[١٤] في المستقبل، أي: يجب فيمن[١٥] كلفناه أن يعتبر

---

(١) وهو: +، ز، ل، م.
(٢) إيذاءهم: أذاهم، ي.
(٣) لأنها: لأنه، ز، ل، م.
(٤) غيره: غير، ز.
(٥) وقتا: وقتاً وقتا، ز.
(٦) لآيات: +، ز، ل، م.
(٧) في قصة نوح: وقيل: في قصة نوح، ي.
(٨) لآيات: ـ، ل، م.
(٩) وإن: وإنا، ز، ل، م.
(١٠) بتذكير: بذكر، ز، ل، م.
(١١) عاملون: فاعلون، ز.
(١٢) العقاب: العذاب، ل، م.
(١٣) يشكروه: وشكره، ز.
(١٤) لمبتلين: المبتلين، ز.
(١٥) فيمن: فيما، ز، ل، م.

بما ذكرنا، وقيل: لمبتلين: لمعاقبين لمن سلك سبيل قوم نوح في تكذيب الأنبياء، وقيل: كنا مبتلين بالغرق بعضهم، ومعاقبين بعضاً بالغرق، للبالغ[1] المكلف عقوبة، وللأطفال[2] والبهائم ومن ليس بمكلف محنة وابتلاء، وقيل: معناه أنه لم يعاقبهم ابتداء[3] لكن ابتلاهم بالنعمة ليعرفوا المنعم ويشكروه[4]، فلم يفعلوا فغرقوا، وقيل: لمبتلين[5] أمتك كما ابتلينا أولئك، ثم نجازيهم كما جازينا أولئك.

الأحكام

تدل الآيات على أنه تعالى لا يعذب إلا بعد الابتلاء والإعذار والإنذار.

وتدل على وجوب الانقطاع إلى الله تعالى في جميع الأحوال.

وتدل على وجوب الأمر بالمعروف وإن ناله الأذى.

وتدل على أن المبطل أبداً يتناقض كلامه[6]؛ لأ نهم قالوا أولاً: يريد أن يتفضل عليكم، ثم قالوا: به جُنَّةٌ.

وتدل على أن التكذيب[7] فِعْلُهُمْ فيصحح قولنا في المخلوق.

(١) للبالغ: البالغ، ل، م.
(٢) وللأطفال: والأطفال، ز، ل، م.
(٣) ابتداء: ابتلاء، ل، م، ي.
(٤) يشكروه: ومن يشكروه، ز، ل.
(٥) لمبتلين: لمبتلون، ي.
(٦) كلامه: كلامه لا يتم، ي.
(٧) التكذيب: التكليف، ي.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١)﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر: «**هَيْهاتِ هَيْهاتِ**» بكسر[1] التاء من[2] غير تنوين، وروي عنه بالكسر والتنوين، وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين، وقرأ نصر[3] عن عاصم فيهما[4] بالضم من غير تنوين، وقرأ أبو حيوة الشامي بالضم والتنوين، وكلها لغات إلا أن القراءة بالفتح، ونظيره: أين وكيف، ومَنْ ضَمَّهُ جعله كمنذ[5] وحيث، ومن كسره جعله: كأمس، وهؤلاء اختلفوا[6] في الوقف عليها، فالكسائي يقف بالهاء هيهاه[7] قياس هاء التأنيث، وكان الفراء يختار الوقف بالتاء؛

(١) بكسر: كسر، ل.
(٢) من: ـ، ز.
(٣) قرأ نصر: أبوبكر، ل، م.
(٤) فيهما: فيها، ز.
(٥) كمنذ: كمذ، ز.
(٦) اختلفوا: واختلفوا، ل، م، ي.
(٧) هيهات، ل، م.

لأن قبلها[١] ساكن، فصار كبنت وأخت، وقال الزجاج: يجوز هيهات، وهيهاتاً[٢] بالتنوين وترك التنوين.

اللغة

الإنشاء: إحداث الشيء على غير مثال، وقيل: اتخاذ الشيء من غير سبب، أنشأ يُنْشِيءُ إنشاءً.

والقرن: أهل العصر؛ بمقارنة بعضهم لبعض، ومنه: القرينة والقرين[٣].

والإتراف: التنعم بضروب الملاذ[٤]، والتَّرفُّه: النعمة، والمُتْرَف: المتروك يصنع ما يشاء[٥] لا يمنع عنه، وإنما قيل للمتنعم[٦]: مترف؛ لأنه مطلق[٧] له لا يمنع من تنعمه.

وهيهات: كلمة تفيد بُعْدَ الأمر جداً حتى يمتنع[٨]، وهو صوت[٩] بمنزلة صَهُ ومَه[١٠]، إلا أن الأصوات الأغلب عليها الأمر والنهي، ونظيره: شتان ما بينهما، أي[١١]: بَعُدَ ما بينهما[١٢]، وهذه الأصوات خرجت إلى شبه الفعل وليس بفعل؛ لأنها لا تتصرف تصرف الأفعال، وهيهات وأَيْهاتَ لغتان.

والصيحة: الصوت الشديد.

---

(١) يقف... قبلها: ـ، ز.
(٢) هيهاتاً: هيهات، ز.
(٣) أنشأ... القرين: ـ، ز، ل، م.
(٤) الملاذ: البلاد، ز.
(٥) ما يشاء: ما شاء، ز، ل.
(٦) للمتنعم: المتنعم، ز.
(٧) مطلق: يطلق، ز، ل.
(٨) يمتنع: يسمع، ل.
(٩) صوت: ضرب، ز، ل.
(١٠) صه ومه: صفه ومنه، ز.
(١١) أي: أي ما، ز.
(١٢) بينهما: ـ، ل.

والغُثاء: ما يحتمله[1] السيل من حشيش وقصب، وأصله ما يبس من النبت فحمله الماء فألقاه في الجوانب، يقال: غَثا السيل المرْتَعَ[2]، إذا جمع بعضه على بعض وأذهب[3] حلاوته.

الإعراب

(أن) في قوله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ موضعه[4] نصب على تقدير: بأن اعبدوا الله، إلا أنه نصب[5].

«فأرسلنا[6]» لِمَ حذفت الفاء وأدخلت الواو في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾ وحذفت[7] في قصة نوح؟ لأنه عطف على الأول، فكأنه قيل: قال فلان كذا، وقال فلان كذا.

ويقال: أين خبر **(أنّ)** الأولى ﴿أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ﴾[8]؟

قلنا: فيه قولان:

أولهما: مخرجون، وتكون[9] الثانية مكررة للتأكيد.

وثانيهما[10]: أن يكون الخبر الجملة بتقدير: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إخراجكم.

ويقال: لِم دخلت اللام مع **(هيهات)** في الاسم؟

---

(١) ما يحتمله: يحمله، ز، م.
(٢) المرتع: المرقع، ز، ل.
(٣) أذهب: فأذهب، ل، م.
(٤) موضعه: موضعها، ز، ل، م.
(٥) نصب: نصبه، ي.
(٦) فأرسلنا: ثم أرسلنا، ز، ل، م.
(٧) وحذفت: وحذفت، ل، م.
(٨) في (أنكم إذا مِتُّمْ): +، ل، م.
(٩) وتكون: ـ ، ل، م.
(١٠) وثانيهما: وثانيها، ي.

قلنا: لأنها أداة غير مشتقة من فعل، فأدخلوا معها في الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك.

واللام[1] في قوله: «**ليصبحن**» لام القسم.

و«**بعداً**» معناه: أَبْعَدَهُمْ[2] الله.

المعنى

ثم عطف على قصة نوح قصة قوم آخرين، فقال سبحانه: «**ثُمَّ أَنشَأْنَا**» أي: أحدثنا وخلقنا «**مِنْ بَعْدِهِمْ**» أي: من بعد ما أهلكنا «**قَرْنًا آخَرِينَ**» جماعة من الناس، «**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ**» قال المفسرون: هو هود؛ لأنه المبعوث بعد نوح، وقيل: أراد به[3] صالحاً؛ لأن قومه أهلكوا[4] بالصيحة، عن أبي علي. «**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**» فبدأ هو أيضاً بالتوحيد لما ذكرنا أنه[5] الأهم[6]، فلما لم يقبلوا منه قال: «**أَفَلَا تَتَّقُونَ**» قيل: الشرك، وقيل: المعاصي، وقيل: عقابه[7] «**وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ**» يعني الأشراف «**الَّذِينَ كَفَرُوا**» بالله «**وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ**» أي[8]: بالبعث والجزاء، وقيل: بلقاء ما وعدهم من الجزاء «**وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» أي: نعمناهم[9] فيها[10]، ووسعنا عليهم نعيم الدنيا «**مَا هَذَا**» الرسول «**إِلاَّ بَشَرٌ**[11] **مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ، وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ**» فيما يدعوكم إليه «**إِنَّكُمْ إِذًا**

---

(١) مع هيهات... واللام: ـ، ز، ل، م.
(٢) أبعدهم: أبعدكم، ل.
(٣) به: ـ، ل، م.
(٤) أهلكوا: هلكوا، ز.
(٥) ذكرنا أنه: بأن الله، ز، ل.
(٦) الأهم: إلههم، ز، ل.
(٧) عقابه: عذابه، ل.
(٨) أي: ـ، ل، م.
(٩) نعمناهم: نعمنا عليهم، ل.
(١٠) فيها: ـ، ز.
(١١) إلا بشر: مثل، ل.

لَخَاسِرُونَ» باتباعه «**أَيَعِدُكُمْ**» هذا الرسول «**أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا**» يعني صرتم بعد الموت رميماً وتراباً «**أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ**» من قبوركم أحياء، وأعاد «**أنكم**»[(١)] لما طال الكلام، ونظيره: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[(٢)] [التوبة:٦٣] معناه: وله نار جهنم[(٣)] «**هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ**» قيل: **بُعْداً**[(٤)] بعداً لهذا[(٥)] الذي توعدون، عن ابن عباس. «**إِنْ هِيَ**» يعني الدنيا «**إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا**» قيل: نحيا حيناً ثم نموت ولا إعادة بعد ذلك، وقيل: يموت قوم منا ويحيا قوم، وقيل: يموت الآباء ويحيا الأولاد «**وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**» بعد ذلك[(٦)] **إِنْ هُوَ**» يعني هذا الرسول «**إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**» أي: اختلق الكذب من نفسه «**وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**» بمصدقين فيما يقول «**قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ**» أي: انصرني عليهم، أي: تهلكهم لأجل تكذيبهم، فأجاب الله دعاء هو أخبر أنه سيهلكهم عن قريب، فقال سبحانه: «**قَالَ**[(٧)] **عَمَّا قَلِيلٍ**» من المدة، و(ما) صلة[(٨)] «**لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**» على كفرهم «**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ**» قيل: صيحة العذاب، وقيل: هي الصيحة التي أهلكت ثمود. وقيل: بعث الله ملكاً صاح بهم صيحة ماتوا عندها عن آخرهم، قيل[(٩)]: صاح بهم جبريل، وقيل: الصيحة العذاب «**بِالْحَقِّ**» أي: على وجه الحق؛ لأنه عاقبهم جزاء على كفرهم «**فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً**» أي: موتى، وقيل: هو المتفتت البالي من الشجر يحتمله[(١٠)] السيل، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، «**فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**» قيل:

---

(١) أنكم: وإعادتكم، ل، م.
(٢) آلم: إذا لم، ل.
(٣) معناه: وله نار جهنم: ـ، ز.
(٤) بعداً: ـ، ل، م.
(٥) لهذا: لهذا الهدى، ل، م.
(٦) وقيل... بعد ذلك: ـ، ز، ل، م.
(٧) قال: ـ، ز، ل، م.
(٨) صلة: أصله، ز.
(٩) قيل: وقال، ز، ل، م.
(١٠) يحتمله: يحمله، ز، ل، م.

بعداً لهم من الرحمة، ونظيره اللعنة التي هي[1] إِبْعادُ من الرحمة، وقيل: أبعدهم الله بعداً، وهذا دعاء، يقال: بُعْداً لهم وسحقاً، ونقيضه: لا تَبْعُدْ[2]، قال الشاعر:

يقولون لا تَبعْدُ وهُمْ يَدْفِنونني وأَيْنَ مكانُ البُعْدِ إلا مكانيا

الأحكام

تدل الآيات على[3] أنه بعث الرسول إزاحة للعلة، فلما خالفوا[4] وجبت[5] عليهم الحجة أهلكوا، ولو كان جميع ما فعلوا خلقاً لله تعالى لما كانت عليهم حجة، ولا للبعثة فائدة، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة والإرادة.

وتدل على مناقضة القوم؛ لأنهم جعلوا اتباع الرسول خسراناً، ولم يجعلوا عبادة الصنم خسراناً، وهي لا تنفع ولا تضر [لأنها] جماد[6] وهم أحياء، ثم اعتَلُّوا بأنه بشر مثلهم[7] فعبدوا جسماً غير حي، ولم يتبعوا الرسول؛ لأنه بشر.

ويدل قوله: «**بالحق**» أنه عذبهم بالحق، ولو كان عذبهم على ما خلقه وأراده لم يكن حقاً[8].

---

(١) هي: ـ، ز، ل، م.
(٢) لا تبعد: لا يبعد الله، ز، ي.
(٣) على: +، ز، ل، م.
(٤) فلما وجبت: فيما اختلفوا، ز، ل، م.
(٥) وجبت: ووجبت، ز، ل، م.
(٦) جماد: ـ، ز.
(٧) مثلهم: مثلكم، ز، ل، م.
(٨) حقاً: خلقاً، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر: «تترى» بالتنوين على توهم أن التاء أصلية، والباقون بغير تنوين، وجعلوا التاء للتأنيث، ومن نَوَّنَ وقف بالألف لا غير، ومن لم يُنَوِّنْ وكان[1] مذهبه الفتح وقف بالألف أيضاً، وهم نافع وعاصم وأبو عمرو ويعقوب، ومن كان مذهبه الكسر والإمالة[2] وقف بالياء[3]، وليس بياء[4]، ولكنه ألف ممالة، وهم حمزة والكسائي وخلف بن هشام.

اللغة

الأجل: الوقت المضروب لحدوث أمر من الأمور، ومنه: أجل الدَّيْن، وأجل الموت، وأجل العِدَّةِ، والأجل المحتوم لا يتقدم ولا يتأخر.

والمواترة: المبالغة، وقيل: المواصلة، واترت[5] بين الشيئين[6] أي: تابعت بينهما، وأصل تترى وَتْرَى، وهي فَعْلَى من المواترة، فقلبت الواو ياء لكراهتهم الواو

(١) كان: فكان، ي.
(٢) الإمالة: فالإمالة، ز، ل، م.
(٣) بالياء: بالتاء.
(٤) بياء: بتاء، ز.
(٥) واترت: ـ ، ز.
(٦) الشيئين: شيئين، ي.

أولاً[1] حتى لم يزيدوها[2] هنالك البتة[3]، ونظيره: تَقْوَى، وتُكْلَان[4]، وأصله في المعنى الاتصال[5]، ومنه: الوَتَر الفرد عن الجمع[6] المتصل، ومنه الوتر لاتصاله كأنه من القوس[7]، ومنه: وترتُ الرجل: قطعته بعد اتصال، ومنه حديث أبي هريرة: «لابأس بقضاء رمضان تترى» أي: منقطعة بعد اتصال الأصل.

والملأ: الأشراف؛ لأنه يملأ الصدور هيبتهم.

والبشر[8]: الإنسان، سمي بذلك لانكشاف بشرته بخلاف غيره، وفي الحيوانات المغطى بالشعر والصوف.

والعالي: القادر الذي مقدوره فوق مقدور غيره.

۞ الإعراب

(من) في قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ صلة، وتقديره: ما تسبق أُمَّةٌ أجلها.

«عالين» في موضع نصب، فلما اجتمعت تاءان: تاء بدل من الواو، وتاء في الأصل حذفت إحداهما.

۞ المعنى

ثم ذكر قصة موسى وهارون عطفاً على ما تقدم، فقال سبحانه: **«ثُمَّ أَنشَأْنَا»**: أحدثنا وخلقنا **«مِنْ بَعْدِهِمْ»** من بعد مَنْ تقدم ذكره **«قُرُونًا آخَرِينَ»** أي: جماعات من الناس **«مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ»** قيل: هو وعيد لهم، وقيل: تنبيه على

(١) أولاً: ولا، ز.
(٢) يزيدوها: يزيدوا ها، ز، ل، م.
(٣) يزيدها هنالك البتة: ـ، ل، م.
(٤) تقوى، وتكلان: ـ، م.
(٥) الاتصال: لا تضاد، ل، م.
(٦) الجمع: الجميع، ز، ل، م.
(٧) القوس: الفرس.، ز، ل، م.
(٨) والبشر: والبشرى، ز.

ترتيب الأمور ووضعها في حقها، يعني ما يسبق أحد ما قُدِّرَ له[١] ولا يتأخر. «**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى**» أي: متواترة يتبع بعضهم بعضاً، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. وقيل: تترى متقاربة[٢] الأوقات، «**كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ**» في رسالته[٣] وما جاء به «**فَأَتْبَعْنَا**[٤] **بَعْضَهُمْ بَعْضًا**» في الإهلاك، يعني أهلكنا بعضهم في إثر بعض «**وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ**» أي: يتحدث بهم على طريق المثل في الشر، وهو جمع أُحْدُوثَة، ويجوز أن يكون جمع حديث، إذ[٥]: لم يبق منهم إلا أخبارهم، وقيل: جعلناهم لِعَجِيبُ[٦] ما أنزلنا بهم يُتَحدث ويُتعجب منه، عن أبي علي.

ومتى قيل: كيف جعلهم حديثاً، والحديث عَرَضٌ وهم أجسام؟

قلنا: معناه أنه صيرهم بحالة لم يبق بين الناس منهم إلا حديثهم، فذكر أنه جعلهم حديثاً مجازاً وتوسعاً، قال الأخفش: إنما يقال[٧] هذا في الشر، فأما في الخير فلا يقال: جعلهم أحاديث[٨] وأحدوثة.

«**فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ**» أي: بعداً لهم من الرحمة «**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا**» بحججنا «**وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**» أي: حُجَّه بينة، وهي المعجزات التي أعطى موسى، وقيل: الآيات: أدلة التوحيد والعدل، والسلطان[٩]: المعجزات القاهرة لفرعون «**إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ**» يعني قومه، وقيل: أشراف قومه «**فَاسْتَكْبَرُوا**» أي: تعظموا وتكبروا عن الإيمان به «**وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ**» أي: متكبرين قاهرين للخلق[١٠] ظلماً، وقيل: إنما

---

(١) له: ـ، ل، م.
(٢) متقاربة: مقاربة، ل، م.
(٣) رسالته: رسالاته، ي.
(٤) فأتبعنا: وأتبعنا، ل، م.
(٥) إذ: أي، ز، ي.
(٦) لِعجيب: جعلناهم يعني، ز، ل، م.
(٧) يقال: قال، ل، م.
(٨) أحاديث: أحادث، ز.
(٩) وهي المعجزات... والسلطان: ـ، ز، ل، م.
(١٠) للخلق: الخلق، ل، م؛ للحق، ز.

خص الأشراف بالذكر لأن العوام تبع لهم «**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ**[1] **مِثْلِنَا**» هو استفهاموالمراد الإنكار، يعني قال قوم فرعون: لا نؤمن بهما، وهما بَشَرَانِ مثلنا «**وَقَوْمُهُمَا**» يعني بني إسرائيل «**لَنَا**[2] **عَابِدُونَ**» أي[3]: مطيعون طاعة[4] العبد لمولاه، وقال[5] الحسن[6]: كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون، وفرعون يعبد الأوثان، وقيل: إنهم في الطاعة لنا كالعبيد، «**فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ**» بالغرق «**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**» يعني[7] **لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**» أي: لكي يهتدي قومه بها[8].

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ أي أن أحداً لا يموت ولا يقتل قبل المسمى له، فيبطل قول من[9] يرى الأجلين، وأن المقتول قُتِلَ بغير أجله.

ويدل قوله: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ على عظيم نعمه بالرسل، وأنه لكمال الحجة حتى لا يعذب إلا بعد كمال[10] الحجة فيبطل قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الاهتداء؛ فيبطل[11] قولهم في المخلوق والإرادة.

وتدل أن التكذيب فعلهم، فيبطل قولهم أيضاً.

---

(١) لبشرين: لبشران، ل.
(٢) لنا: ـ ، ز، ل، م.
(٣) أي: ـ ، ز، ل، م.
(٤) مطيعون طاعة: فتطيعون طاعات، ل، م.
(٥) وقال: قال، ل، م.
(٦) وقال الحسن: قال الحسن قال الحسن، م.
(٧) يعني: ـ ، ل، م.
(٨) قومه بها: بها قومه، ل، م.
(٩) من: لمن، م.
(١٠) كمال: ـ ، ل، م.
(١١) قول... فيبطل: ـ ، ز.

قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «**وَإِنَّ هذه أمتكم**[١]» بكسر الألف وتشديد النون، وقرأ ابن عامر بفتح الألف وتخفيف النون جعل (أن) صلة، وتقديره: وهذه[٢] أمتكم، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**وَأَنَّ**» بفتح الألف وتشديد النون على معنى بأن هذه، ويجوز أن تكون نصباً بإضمار فعل، أي: واعلموا أن هذه أمتكم.

وقرأ ابن عامر[٣] «زبرا» بفتح الباء أي[٤] قِطَعاً وجماعات كتبار[٥]، وهو جمع زُبْرَة، والباقون بضم الباء، وهو جمع زبور، وهو الكتب[٦]، كرسول ورُسُلٍ.

اللغة

الآية: العلامة، ومنه: آية الرجل: شخصه، وذهب القوم بآيتهم أي[٧] بجماعتهم، وآية القرآن جماعة الحروف وهي[٨] علامة تمام الكلام، قال سيبويه: موضع العين من الآية واو؛ لأن ما كان موضع العين واو واللام ياء أكثر مما

---

(١) أمتكم: +، ز، ل، م.
(٢) وهذه: أو هذه، ل.
(٣) وقرأ ابن عباس: وقرأ البراءبن عامر، ز.
(٤) أي: +، ز، ل، م.
(٥) كتبار: كتيار، ز.
(٦) الكتب: للكتب، ي.
(٧) أي: +، ل، م.
(٨) وهي: هي.، ل م، ي.

موضعها[1] ياءان مثل شَوَيْتُ أكثر[2] من حَيَيتُ، والنسبة إليه أَوَوِيٌّ، وقال الفراء: هي من الفعل فاعلة، وآوى الإنسان إلى منزله يأوي إيواء، وحكى بعضهم آوِيّ[3]، وآواه غيره يُؤْيِهِ إيواءً، والمأوى: مكان كل شيء.

والربوة: المكان المرتفع على ما حوله، وأصله من الزيادة، ومنه الرِّبا[4]، ومنه: ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ [الروم: ٣٩] يقال: رَبَا[5] الشيء يربو إذا زاد، وربا الإنسان الرابية إذا علا، وفيه لغات: ربوة بتعاقب الحركات الثلاث على الراء، رباوة.

المعين[6]: الماء الجاري على وجه الأرض؛ لأنه تراه العيون، قال الفراء: يجوز أن يكون فعيلاً[7] من الماعون الذي هو المعروف، وقال غيره: هو من الماعون الذي هو الماء، يقال: معن[8] الماء وأمعن إذا سال، وقيل: هو مفعول من عِنْتُهُ[9] أَعِينُهُ إذا أدركه بالعين ورآه، والمعين أيضاً: الشيءالقليل، ومنه: الماعون، قال الزجاج: هو الشيء القليل، قال أبو مسلم: معين مفعول من العين، وأصله معيون[10]، استثقلت الضمة على الياء، فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الواو.

والأكل: تناول الطعام[11] بالفم، وَ(كُلْ) أمر منه، وحذفت الهمزة منه[12] للتخفيف، ولأنه لا يخل بالمعنى، ومثله قُلْ، ومُرْ.

والغمرة: الانهماك[13] في الباطل واللهو، وغمرات الموت: شدائده،

---

(١) موضعها: يوضعها، ل.
(٢) أكثر: أكبر، م.
(٣) آوي: ـ، ز.
(٤) الربا: الربوة، ز.
(٥) ربا: إن رب، ز، ي.
(٦) المعين: العين، ز.
(٧) فعيلاً: فعلاً، ل.
(٨) معن: معين، ز.
(٩) عنته: عينته، ز.
(١٠) معيون: ميعون، ل، م، ي.
(١١) الطعام: العظام، ل، ي.
(١٢) منه: +، ز، م.
(١٣) والغمرة: الانهماك: والغمرة والإنهماك، ل، ي.

وكل[1]شدة غمرة[2]، قال ابن عرفة: سمي به لأنه يغمر القلوب[3]، أي: يغطيها[4] لكثرته، ومنه: الغمرات ثم تنجلينا[5]. وغمار الناس: زَحْمَتَهُمْ[6]، والغَمْرو[7]: الماء الكثير، وأصل الباب: الستر والتغطية، يقال: غمرت الشيءإذاسترته، وفرس غَمْرُ كثير الجري، وغَمْرُ[8] العطاء: كثيره.

الإعراب

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ موضعه نصب بمعنى لأن هذه» ﴿أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَ[9] وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ أي: لهذا فاتقون.

«صالحاً» نعت لمحذوف أي: اعملوا عملاً صالحاً.

ونصب «زبراً» بدل عن (أمرهم)، عن أبي مسلم.

ونصب «آية» على الحال.

ويقال: لَم قال: «آية»، ولم يقل: آيتين: إحدهما عيسى، والأخرى[10] أمه؟

قلنا: للنحاة فيه أقوال:

قيل: جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ [الكهف: ٣٣].

وقيل: جعلنا شأنهما آية[11]؛ لأن عيسى وُلد من غير أب، ومريم ولَدتْ من غير

---

(١) وكل: كل، ي.
(٢) غمرة: غمه، ز، م.
(٣) القلوب: القلب، ل، م.
(٤) يعطيها: يغطيه، ز، م.
(٥) تنجلينا: تجلينا، م.
(٦) زحمتهم: زحمهم، ل.
(٧) الغمرو: والغمرة، ز.
(٨) وغمر: وغمره، ل، م.
(٩) أمتكم و: ـ، ز، ل، م.
(١٠) الأخرى: والآخر.
(١١) آية: ـ، ز، ل، م.

زوج، فكأنه قال: جعلناهما حجة على الاختراع[1] من غير شيء كما خلقنا[2] عيسى من غير أب.

المعنى

ثم عطف على ما تقدم بذكر قصة عيسى[3] عليه السلام فقال سبحانه: «**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**» يعني عيسى وأمه مريم «**آية**» أي: حجة على قدرتنا على الاختراع، ومعجزة لعيسى «**وَآوَيْنَاهُمَا**» أي: جعلنا ذلك حجة و[4]مأوى لهما «**إِلَى رَبْوَةٍ**» إلى[5] أرض مرتفعة، قيل: الرملة من فلسطين، عن أبي هريرة، وقيل: دمشق، عن سعيد بن المسيب، وقيل: مصر، عن ابن زيد، وقيل: بيت المقدس، عن قتادة، وكعب، قال كعب[6]: وهي أقرب الأرض[7] إلى السماء ثمانية عشر ميلاً، وقيل: غوطة دمشق، عن الضحاك، وقيل: إيليا والأرض المقدسة، عن أبي العالية. «**ذَاتِ قَرَارٍ**» قيل: ذات استواء وسعة ليستقر عليها، وقيل: ذات ثمار، عن قتادة، ذهب إلى أن لأجل الثمار يستقر[8] فيها ساكنها، وقيل: يمكن القرار فيها لوجود الماء والنبات، وقيل: ذات أمن؛ لأنه لا قرار مع الخوف «**وَمَعِينٍ**» ماء جار[9]، ظاهر للعيون[10] «**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ**» قيل: المراد به عيسى، وفيه حذف، أي: قلنا لعيسى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ على لفظ الجمع، كما يقال: للواحد: أيها القوم كفوا عنا أذاكم، وقيل: بل هو على الحكاية لما قيل لجميع الرسل، كأنه قيل: قلنا: يا أيها الرسل[11]، وهو الوجه

---

(١) الاختراع: اختراع، ي.
(٢) خلقنا: جعلنا، ز، ل، م.
(٣) عيسى: ـ، ل، م؛ وفي هامش ل: موسى. ظ.
(٤) حجة و: +، ز.
(٥) إلى: أي، ز.
(٦) قال الكعب: ـ، ز، ل، م.
(٧) الأرض: للأرض، م.
(٨) عليها، . . . ويستقر: ـ، ز، ل، م.
(٩) جار: جاري، ل، م.
(١٠) للعيون: العيون، ز.
(١١) كفوا عنا. . . يا أيها الرسل: +، ل، م.

لظاهر[1] اللفظ، وقيل: هو[2] خطاب لمحمد ﷺ[3]، عن الحسن، وقتادة، ومجاهد؛ لأنه ذكر بعض أخبار الأنبياء «**كُلُوا**[4]» يعني أن الله كفاكم أمر الأرزاق فكلوا، وقيل: لفظه لفظ[5] الأمر ومعناه الإباحة، «**مِنَ الطَّيِّبَاتِ**» قيل: من الحلال، وقيل: مما[6] يستطاب؛ لأن قوله: ﴿كُلُوا﴾ يتضمن الإباحة، وروي أن عيسى كان يأكل من غزل أمه، عن عمرو بن شرحبيل، فنبه بالآية أن النبوة لا تُحَرِّمُ الطيبات «**وَاعْمَلُوا صَالِحًا**» هو أمر[7] بالطاعات أجمع، «**إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**» فأجازيكم[8] بأعمالكم، وفيه تحذيرمن[9] مخالفته وترغيب في طاعته «**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**» قيل: دينكم دين واحد، عن الحسن، وابن جريج، والأمة الملة بالإجماع عليها بأمر الله تعالى، وقيل: جماعتكم جماعة واحدة في الشريعة التي نصبها الله تعالى[10] لكم، وقيل: هو من الأَمِّ أي: قصدكم، أي: قصد واحد، وطريقتكم طريقة واحدة في توحيد الله تعالى[11] وعبادته والدعاء إليه، عن أبي مسلم، وقيل: خطاب للرسل، وفيه حذف، أي: وقلنا: دينكم واحد فيما يلزمكم من التوحيد والعدل والنبوات، وأمتكم كأمة[12] واحدة فيما يلزمكم[13] من هذا، والمراد به العقليات دون الشرعيات، التي تختلف بالمصالح، وقيل: إنه خطاب لهذه الأمة، أن أمتكم أمة

---

(١) لظاهر: الظاهر، ز، ي.
(٢) هو: ـ ، ز، ل، م.
(٣) صلى الله عليه وسلم: صلى الله عليه وآله، ز.
(٤) كلوا: وكلوا، ز.
(٥) لفظ: ـ ، ز، ل، م.
(٦) مما: ـ ، ل، ما.
(٧) أمر: أمره، ز.
(٨) فأجازيكم: فنجازيكم، ي.
(٩) من: عن، ز، ل.
(١٠) تعالى: ـ ، ز، ل، م.
(١١) تعالى: +، ل.
(١٢) كأمة: ـ ، ز، ل، م.
(١٣) يلزمكم: يلزمهم، ل، م.

واحدة، وقيل: أمتكم يعني جميع الأمم، واحدة: في أنهم[1] عبيد الله وخلقه وتدبيره، ويجب[2] عليهم اتقاء معاصيه، عن أبي علي، «وَأَنَا رَبُّكُمْ» خالقكم «فَاتَّقُونِ[3]» أي: فاتقوا[4] مخالفة أمري.

ثم أخبر عن الأمم، فقال سبحانه: «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» أي: تفرقوا في أمرهم، وتقطعوا إشارة إلى شدة[5] الاختلاف، وأنهم لم يتبعوا الأدلة حتى يجمعهم؛ بل اتبعوا علماء السوء، ورؤساء القوم والأشراف[6] حتى تفرقوا في الدين و«زُبُرًا» قيل: كتباً، عن الحسن، ومجاهد، والمعنى تفرقوا كتباً[7]، فآمن[8] كل فريق بكتاب، وكفروا بغيره، كاليهود آمنت بالتوراة وكفرت بالإنجيل والقرآن، وكالنصارى[9] آمنت بالإنجيل وكفرت بالقرآن، وقيل: أحدثوا كتباً يحتجون بها لمذاهبهم، عن قتادة، وابن زيد. فأما بفتح الباء[10] يعني تفرقوا قطعاً، ومعناه جماعات مختلفة، «كُلُّ حِزْبٍ» جماعة[11] «بِمَا لَدَيْهِمْ» من دينهم «فَرِحُونَ» مسرورون معجبون[12]» أي: اتركهم، وهذا وعيد «فِي غَمْرَتِهِمْ» قيل: في كفرهم وهلاكهم، عن ابن عباس، وقيل: في عماهم، عن ابن زيد، وقيل: في غفلتهم، عن الربيع، وأبي مسلم، وقيل: في حيرتهم وجهلهم، عن أبي علي. «حَتَّى حِينٍ» قيل: إلى وقت الموت والمعاينة[13]، عن أبي علي، وقيل: إلى يوم القيامة، عن أبي مسلم، وقيل: إلى حين العذاب، فعند

---

(١) أنهم: وأنها، ل، م.
(٢) ويجب: يجب، ز.
(٣) فاتقون: فاعبدون، ل فاعبد، م.
(٤) فاتقوا: اتقوا، ز، ل، م.
(٥) شدة: أشد، ل، م.
(٦) والاشراف: الأشراف، ي.
(٧) تفرقوا كتباً: ـ، ل، م.
(٨) فآمن: دين، ي.
(٩) وكالنصارى: والنصارى.
(١٠) الباء: الزاي، ز، ل، م.
(١١) جماعة: ـ ، ل، م.
(١٢) معجبون: ـ ، ل.
(١٣) المعاينة: المعاتبة، ل، م.

ذلك يصطرخون، وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إنهم في[1] غفلة واشتغال بأمر الدنيا لا ينتهون حتى تأتيهم[2] الملائكة عند المعاينة[3].

۞ الأحكام

تدل الآية[4] على أن شأن عيسى وأمه حجة، وذلك أنها تدل على أشياء:

منها[5]: كمال قدرته في خلق عيسى.

ومنها: كمال علمه في تصويره في الرحم.

ومنها: أنها[6] حملت به ووضعته[7] في ساعة واحدة[8].

ومنها: أنه كان يُكَلِّمُ في المهد.

ومنها: أنه أعطي التوراة والنبوة وهو في المهد إلى غيره من الآيات.

وتدل على إباحة الطيبات، فيبطل قول من يحرم اللذات على ما يزعمه بعض الصوفية.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ أنه مأمور بما أمر به الأنبياء والأمم، وهو اعتقاد الحق.

وتدل على قبح الاختلاف في الدين، وذلك فيما فيه الحق واحد، فأما في المجتهدات فكل مجتهد مصيب، وعليه يحمل قوله: «اختلاف أمتي رحمة».

وتدل على أن المعارف مكتسبة لذلك تفرقوا.

---

(١) إنهم في: في يوم، ز، ي.
(٢) تأتيهم: تنبئهم، ز.
(٣) المعاينة: المعاتبة، ل، م.
(٤) الآية: الآيات، ل، م.
(٥) منها: فمنها، ل.
(٦) أنها: ـ ، ل.
(٧) ووضعته: ووضعت، ز، ي.
(٨) واحدة: +، ل.

وتدل على أن اغتباط صاحب المذهب لا يخرجه عن كونه مبطلاً.

وتدل على وعيد الكفار والمبطلين؛ لذلك قال: «فذرهم».

قوله تعالى:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

القراءة

قراءةالعامة وفي الأمصار: «نسارع» بالنون، لقوله: «نمدهم»، وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة[1] «يُسَارَعُ لهم[2]» على ما لم يسم فاعله.

وقراءة العامة: «يُؤْتُون[3] ما ءاتوا» وعن عائشة أن النبي ﷺ قرأ: «يأْتون ما أتَوْا» من المجيء، فإن ثبت ذلك فهو قراءة، إلا أنه من أخبار الآحاد[4]، ولا يثبت[5] بمثله القرآن.

اللغة

مددت الشيءمداً، ومَدَّ[6] النهرُ ومَدَّهُ نهر آخر، وأمددت الجيش بمدد، وأصل الباب: الزيادة في الشيء، ومنه: المدد.

---

(١) بكرة: بكر، ز.
(٢) لهم: +، ز، ل، م.
(٣) يؤتون: تؤتون، م.
(٤) الآحاد: الاتحاد، ز.
(٥) يثبت: ولا يثبته، ل، م.
(٦) ومد: أو مد، ز، ي.

والمسارعة والمبادرة[١] من النظائر، وهي[٢] على المفاعلة على تقدير: كأن أحد الفعلين سابق فعلاً آخر.

والخير: نقيض الشر، وهو النفع الذي يعظم شأنه.

والشعور: العلم الذي يَدِقُّ معلومه، كدقة الشعر، وقيل: هو العلم من جهة المشاعر، وهي الحواس[٣]، ولا[٤] يوصف القديم به.

المعنى

ثم بين تعالى أن ما أنعم به[٥] على هؤلاء الكفار ليس بمحل لهم، ولكن استصلاحاً وتفضلاً، فقال سبحانه: «**أَيَحْسَبُونَ**» يعني يظنون[٦] هؤلاء الكفار «**أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ**» نعطيهم ونزيدهم «**بِهِ**[٧] **مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ**» في الدنيا «**نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ**» أي: نسابق لهم في الخيرات، يعني نعطيهم ذلك ثواباً لأعمالهم، أو لرضانا[٨] عنهم[٩]، كَلَّا؛ ليس الأمر كذلك؛ بل للابتلاء، وقيل: لما أعطوا نعم الدنيا ظنوه ثواباً عاجلاً، وهذا هو ظن الجهل[١٠]، وقيل: إنما ظنوا ذلك لأنهم أنكروا المعاد، فرأوا الاختصاص بنعيم[١١] الدنيا ثواباً[١٢] «**بَل لاَ يَشْعُرُونَ**» لا يعلمون أن ذلك ليس بثواب، وإنما هو ابتلاء وتكليف يؤدي إلى الثواب إن أطاعوا، وقيل: لا يشعرون أن ذلك سبب عقوبة لهم؛ إذ لم يشكروا الله عز وجل على ذلك.

---

(١) المبادرة: والمناواة، ل.
(٢) وهي: وبني، ل.
(٣) وهي الحواس: ـ، ل.
(٤) ولا: وإلا، ز.
(٥) به: ـ، ل، م.
(٦) يظنون: أيظنون، ل، م.
(٧) به: ـ، ل، م.
(٨) أو لرضانا: وأرضانا، ل.
(٩) عنهم: عليهم، ز.
(١٠) الجهل: الجهال، ز، ل، م.
(١١) بنعيم: بنعم، ل، م.
(١٢) ثواباً: ـ، ل، م.

ولما بين حال الكفار بين حال المؤمنين المسارعين في الخيرات، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» قيل: هم بمعرفتهم بالله[1] تعالى[2] وصحة وعده ووعيده يطيعون الله، ويخافون[3] ألا يقبل، منهم فأدّوا[4] كما أمروا، وقيل: هم من خوف عقابه يخافون مخالفة أمره ونهيه «وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» بحججه «يُؤْمِنُونَ[5]» يصدقون «وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ» أي: يوحدون الله ويعبدونه «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا» أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والديون[6] والودائع والأمانات والضمانات «وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» أي: خائفة، عن قتادة، وقيل: يخافون التقصير، وقيل: يخافون ألاّتقبل منهم «أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» أي: إلى حكمه صائرون، وقيل: يخافون عذاب الله، وعن عائشة: سألت النبيﷺ وعلى[7] آله عن قوله: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا﴾ هو الذي يزني ويسرق؟ قال: «لا، الذي يصوم ويصلي ويتصدق، ومع ذلك يخاف الله تعالى».

«أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» في طاعة الله تعالى، «وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ» قيل: سبقت لهم السعادة، عن ابن عباس، يعني لما علم منهم الأعمال الصالحة حكم لهم بالسعادة، والسابق مَنْ أحرز الفضل والخير، وقيل: من أجل الخيرات سابقون إلى الجنة، وقيل: إلى الخيرات سابقون، و(لها): بمعنى[8] إليها، كقوله: ﴿لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٨] قيل: أراد يؤدونها في أوقاتها، لا يدخلون وقتاً في وقت[9]، قال الحسن: المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وأَمْناً، وتلا هذه الآيات.

---

(١) بالله: الله، ل.
(٢) تعالى: ـ، ز، ل، م.
(٣) يخافون: ـ، ز، ل، م.
(٤) منهم فأدوا: قيل منهم وأدوا، ي؛ قيا منهم وأدوا، ز، ل، م.
(٥) يؤمنون: +، ز، ل، م.
(٦) والديون: والدين، ز.
(٧) على: +، م.
(٨) بمعنى: يعني، ز، ل، م.
(٩) في وقت: ـ، ز.

۞ الأحكام

تدل الآيات أن من أوتي الدنيا فليس بكرامة[١] بل ابتلاء ومحنة، فصار[٢] ذلك حثاً على العبادة[٣]، وترك الاغترار بما عندهم.

وتدل على[٤] أن الفوز والجنة للمطيعين الذين وصفهم مرغباً في مثل طريقتهم.

وتدل على أن العبادات إنما تنفع إذا فُعِلَتْ[٥] على وجه الخشية والإشفاق.

ويدل قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [٦] على وجوب النظر.

ويدل قوله﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ على ما يلزم[٧] المرء فيما يأتي من[٨] شدة التحفظ، وشدة الخوف من عذاب الله.

وتدل على[٩] أن السابق مَنْ كان بهذه الصفة.

وتدل أن هذه الخصال فِعْلُهُمْ ليست[١٠] بخلق لله[١١] تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٍ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

---

(١) بكرامة: بمكرامه، ز.
(٢) فصار: صار، ز، ي.
(٣) العبادة: العادة، ز.
(٤) على: ـ، ز، م.
(٥) فعلت: فعله، ي.
(٦) بأيت ربهم: ـ، ز.
(٧) يلزم: يكره، ز.
(٨) فيما يأتي من: في، ل.
(٩) على: +، ل.
(١٠) ليست: ليس، ل، م، ي.
(١١) لله: الله، ز، ل، م.

اللغة

الوُسْعُ: الحال التي يتسع بها السبيل إلى الفعل، وأصله السعة.

والجُؤَار[1]: الاستغاثة، ورفع الصوت بها، يقال: جأر يَجْأَرُ، وفي الحديث: «كأني أنظر إلى موسى له جؤار إلى ربه بالتلبية» أي: رفع الصوت.

والتُّرْفَةُ: النعمة، والمترَفُ: المنعَّم، وهو المتروك يصنع ما يشاء لا يُمْنَعُ منه[2].

المعنى

لما بين تعالى[3] حال الكفار، وعقبه بحال المؤمنين بَيَّنَ بعد ذلك أنه لم[4] يكلف أحداً فوق الطاقة، وإنما أتوا[5] في التقصير من جهتهم، فقال سبحانه: **«وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا»** أي: ولا نُحَمِّل أمراً ولا نأمر به[6] **إِلاَّ وُسْعَهَا»** إلا وسع عليها فعله، كالمصلي لا يجد الماء جاز التيمم، ونحو ذلك **«وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ»** ومع هذا كتاب عندنا يحفظ جميع[7] ما يفعلونه ليجازوا به، وقيل: إن لم يحفظ فاعله[8] ما أسلف فالله يحفظه عليه وله، وقيل: ولدينا كتاب ينطق بصحة ما ذكرنا، واختلفوا في ذلك الكتاب، قيل: ما ينسخ من[9] الحفظة أعمال العباد، ولما قرئ منه أضاف[10] النطق إليه[11] مجازاً، وقيل: اللوح المحفوظ، كتب فيه جميع أعمال الخلق، اعتباراً

(١) والجؤار: وإيجار، ز، ل، م.
(٢) منه: ـ ، ل، م.
(٣) تعالى: +، ل، م.
(٤) لم: لا، ز، ل، م.
(٥) أتوا: ـ ، ل.
(٦) ولا نحمل امراً ولا نأمر به: لا يحمل أمراً ولا يؤمر به، ل، م.
(٧) جميع: ـ ، ز، ل، م.
(٨) فاعله: ـ ، ل، م.
(٩) من: +، ز، ل، م.
(١٠) أضاف: ـ ، ل.
(١١) إليه: إليها، ز، ي.

للملائكة فلما[١] كانت الملائكة يقرأونه[٢] جاز أن يضيفه إلى نفسه، فيقول «**ولدينا**» لا على جهة المكان، «**وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**» يعني يوفون جزاء أعمالهم، فلا ينقص من ثوابهم، ولا يزاد في عقابهم؛ «**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا**» اختلفوا فقيل: ينصرف[٣] هذا إلى المؤمنين؛ لأن[٤] قلوبهم مغمورة[٥] من خشية الله بما ذكر من الوعد والوعيد، أي: مملوءة بالخوف «**وَلَهُمْ**» مع ذلك «**أَعْمَالٌ**» صالحة دونتلك الأعمال التي ذكرها الله تعالى عنهم[٦]، وهم مقيمون عليها «**هُمْ لَهَا عَامِلُونَ**» أي: الفرائض والنوافل[٧]، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: كيف يكون قلب المؤمن متحيراً؟

قلنا: المؤمن الخائف يكون كالمتحير، لعل طاعته قُبلتْ أم رُدَّتْ،فقوله[٨]: «في غمرة» إشارة إلى هذا الخوف[٩] والإشفاق.

وقيل: هذا يصرف[١٠] الكناية إلى الكفار، وقد تقدم ذكرهم، يعني قلوب مَنْ سبق ذكره من الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ أي: في[١١] حيرة، عن الحسن، وقيل: في[١٢] جهل، عن أبي علي.

وقيل: في غفلة شديدة من هذا الكتاب المشتمل على الوعدوالوعيد ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من دون الشرك، من الفسق والظلم، ونحوه، وهذا أقرب.

---

(١) فلما: لما، ي.
(٢) يقرأونه: يقرونه، ز، م.
(٣) من ثوابهم... ينصرف: ـ، ز.
(٤) المؤمنين؛ لأن: المؤمن أن، ز، ل، م.
(٥) مغمورة: معمورة، م.
(٦) عنهم: عليهم، ز.
(٧) والنوافل: النوافل والفرائض، ز، ل، م.
(٨) فقوله: بقوله، ز، ل، م، ي.
(٩) الخوف: الحرف، ز.
(١٠) يصرف: ينصرف، ي.
(١١) في: +، ز، ل، م.
(١٢) في: +، ل، م.

وقيل: قلوب الكفار في حيرة من الكتاب الذي ينطق عليهم بالحق ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ قيل: خطايا من دون الحق، عن قتادة، وأبي العالية، ومجاهد.

وقيل: أعمال لهم من دون ما هم عليه من الأجل الذي[1] أجّلت[2] لهم في موتهم لا بد أن يفعلوها، عن الحسن، ومجاهد، وابن زيد.

وقيل: ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ أي: بها عاملون، كقوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، و[3]﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

«**حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ**» يعني متنعميهم[4] ورؤساءهم، قيل: أخذناهم «**بِالْعَذَابِ**» يوم القيامة، وقيل: بالسيف يوم بدر، عن ابن عباس، وقيل: بالجوع، عن الضحاك، وذلك حين دعا النبي -ﷺ[5]- عليهم، وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كَسِنِي[6] يوسف» فابتلاهم بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب «**إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ**» قيل: يضجون لشدة العذاب ويجزعون، وقيل: يستغيثون، عن ابن عباس، وقيل: يصرخون بالتوبة والتضرع، «**لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ**» لا تضجوا اليوم[7] وهو يوم القيامة، أو يوم[8] العذاب «**إِنَّكُمْ مِنَّا لاَ تُنصَرُونَ**» قيل: لا تُمنعون ولا ينفعكم جزعكم؛ إذ لا ناصر لكم، وقيل: لا تُنصرون بقبول[9] التوبة، ففي هذا يأس لهم، وذلك بعد التكليف.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى لا يكلف ما لا يطاق، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

---

(١) الذي: التي، ز، ي.
(٢) أجلت: اجل، ز، ل، م، ي.
(٣) كقوله. . . و: ـ، ل، م.
(٤) متنعميهم: منعهم، ل؛ منعمهم، م.
(٥) صلى الله عليه وسلم: وعلى آله، ل.
(٦) كسنين، ز، ل، م، ي.
(٧) لا تضجوا اليوم: +، ز، ل، م.
(٨) أو يوم: ويوم، ز.
(٩) بقبول: لقبول، ي.

وتدل على أن جميع أعمال العباد في اللوح المحفوظ.

وتدل على أنه لا يظلم أحداً، فتدل[1] على أنه لا يعذب بما[2] يخلقه فيهم، ولا يعذب بغير ذنب، ولا يعذب بذنب غيره، ولا يعذب أطفال المشركين، بخلاف[3] قول المجبرة في المخلوق[4] في جميع ذلك.

وتدل على أنه لا يكتب عليهم ما يخلقه[5] فيهم؛ لأنه يكون ظلماً.

وتدل على أن التضرع لا ينفع من العذاب.

قوله تعالى:

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

القراءة

قرأ نافع: «**تُهْجِرُون**» بضم التاء وكسر الجيم من الهُجْر، وهو قول الفحش والخنا، يقال: هَجَرَ[6] المريض إذا هَذَى، وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله [صلى الله عليه وعلى آله[7] وسلم[8]، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الجيم، ولهما وجهان:

أولهما: تهجرون الحق بالإعراض عنه، عن ابن عباس.

---

(١) فتدل: وتدل، ل، م.
(٢) بما: لما، ز، ل، م.
(٣) بخلاف: خلاف، ز، م.
(٤) في المخلوق: +، ز، م.
(٥) يخلقه: خلقه، ز، ل، م.
(٦) هجر: أهجر، ي.
(٧) على آله: +، ز، ل، م.
(٨) وسلم: +، م.

والثاني: القول الهُجْر وهو السيء من القول، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وابن زيد. يقال: هجرته أهجره[1] هجراً إذا شتمته.

اللغة

النكص: رجوع القهقرى، وهو المشي على الأعقاب إلى خلف، وهو أقبح مشية، مثل بها أقبح حال[2] في الإعراض عن الداعي إلى الحق، وقيل: شبه به لأنه يمشي ولا يرى ما وراءه، وهو النكوص، والنكوص: الإحجام عن الشيء.

والسَّامِرُ: المحدث بالسمر ليلاً، وجمعه: سُمَّارُ، والسَّامِرُ: المكان يجتمع فيه للسمر، ومنه: السُّمْرَةُ اللون الذي بين السواد والبياض[3]، وقيل: السَّمَرُ: ظِلُّ القَمَرِ، وقيل: سواد الليل، ومنه: السمراء الحنطة، وسمي حديث الليل سمراً؛ لأنهم يقعدون في ظل القمر فيتحدثون، فسمي الحديث سمراً بذلك[4].

والهجر: الكلام المنقوص، وهو المهجور، والنائم يهجر لأنه يأتي من الكلام ما لا فائدة فيه، وأصل الباب: الهجر[5]، أي: هو[6] من شأنه[7] أن يهجر.

الإعراب

«**سامراً**» نصب على الحال وَوُحّدَ، وهو بمعنى السُّمَّارِ، قيل: لأنه في موضع المصدر، كما يقال: قوموا قائماً، أي: قياماً، وقيل: لأنه في موضع الوقت تقديره[8]: ليلاً تهجرون[9]، وقيل: وحد[10]، والمراد الجمع[11] كقوله: و﴿يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا﴾.

---

(١) عن ابن عباس... أهجره: +، م.
(٢) حال: ـ، ل، م.
(٣) السواد والبياض: البياض والسواد، ز، م.
(٤) بذلك: ـ، ز، ل، م.
(٥) المنقوص... الهجر: ز، ل، م.
(٦) هو: ـ، ز، ل، م.
(٧) شأنه: بابه، ي.
(٨) تقديره: بتقدير، ز، ل، م.
(٩) تهجرون: تهجروا، ل، م.
(١٠) وحد: وحدوا، ز، ي.
(١١) الجمع: الجميع، ل، م.

«يدبروا[1]» أصله: يتدبروا، أدغمت التاء في الدال.

«مستكبرين» نصب على الحال، أي: في حال الإستكبار.

المعنى

لما تقدم الوعيد بَيَّنَ ما لأجله استحقوا ذلك، فقال سبحانه: **«قَدْ كَانَتْ آيَاتِي»** قيل: حججي الدالة على التوحيد والعدل، وقيل: القرآن **«تُتْلَى عَلَيْكُمْ»** أي: تقرأ **«فَكُنتُمْ»** أيها الكافرون المعذبون **«عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ»** أي: على أدباركم ترتدون، وتستأخرون، ترجعون القهقرى معرضين ومكذبين[2]، قيل: تستأخرون، عن مجاهد، وقيل: هو مثل، والمراد ترتدون **«مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ»** أي: متعظمين متكبرين إذا سمعوا القرآن، وقيل: تعظموا بالحَرَم، وقالوا: لا يظهر علينا أحد[3]؛ لأنا أهل الحرم، وقيل: هو كناية عنغير مذكور[4]، عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، وقيل: مستكبرين بكفرهم[5] عن الإيمان بالنبيﷺ وعلى[6] آله، وقيل: مستكبرين بالسمر والهجر من القول دون الفكر في القرآن، وقيل: مستكبرين عنه إذا تلي عليهم، وعن الإيمان به، وتهجرون: تسيئون[7] بالقول، عن أبي علي، وأبي مسلم. **«سَامِرًا»** يعني تسمرون بالليل حول الكعبة، وسمرهم بفسخ أمر رسول اللهﷺوآله ليلاً **«تَهْجُرُونَ»** قيل: تعرضون، وقيل: تقولون الهجر، وهو السيء من القول، وهو معنى[8] تُهجرون بضم التاء، **«أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ»** يعني أولم يتفكروا في القرآن يتلى عليهم، وقيل: بما يقوله الرسول[9] صلى الله عليه وعلى آله[10]، وما

(١) يدبروا: يريدوا، ي.
(٢) ومكذبين: مكذبين، ل، م.
(٣) أحد: ـ، ل، م.
(٤) مذكور: مكذوب، ز.
(٥) بكفرهم: بكتابهم، ي.
(٦) على: +، ز.
(٧) تسيئون: تسبون، ز.
(٨) معنى: بمعنى، ل.
(٩) الرسول: النبي، ل، م.
(١٠) صلى الله عليه وعلى آله: +، ز، ل، م.

دعاهم إليه، والأدلة التي بينها لهم «**أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**» يعني أهذا شيء جاءهم ولم يأت آباءهم حتى أنكروه، لكونه بدعاً، وقد بعث في الأمم الرسل قبلهم، عن ابن عباس، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل: إنهم منعوا بالجهل، ولما جاءهم مالميأت آباءهم جحدوا به «**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ**» محمداً ﷺ وعلى[1] آله أنه أصل في الصدق[2] والأمانة والخلال الحميدة، والخصال الحسنة لا خيانة فيه، ولا طمع، ولا شيء مما[3] يوجب التنفير والعيب، ومعناه أنه لا عذر لهم في الامتناع[4] من قبول الحق إلا الفهم لما اعتقدوه[5] من الباطل، وكراهتهم لما جاءهم من الحق «**فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**» يعني ينكرون رسالة الرسول حسداً وبغياً «**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ**» قيل: جنون، وقيل: دعا إلى ما لا مطمع[6] فيه، فهو كالمجنون، وإنما قالوا ذلك ليصرفوا الناس عنه «**بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ**» قيل: كُذِّبوا فيما قالوا؛ لأن المجنون يهذي، وهذا الرسول جاءهم بالحق، وقيل: جميع ذلك معدوم، والعلل مزاحة، فلا عذر لهم؛ لأن الحق قد جاءهم، «**وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**» لأنه لم يوافق[7] مرادهم فكرهوه.

۞ الأحكام

الآيات تدل على أن إنكار الآيات كُفْرُ.

وتدل على وجوب التدبر والتفكر في الأدلة والقرآن.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أن العلل مزاحة للمكلفين.

---

(١) على: +، ز.
(٢) الصدق: الشرف، ز، ل، م.
(٣) مما: ـ ، ل.
(٤) خيانة فيه... الإمتناع: ـ ، ز.
(٥) اعتقدوه: اعتقدوا، ز، ل، م.
(٦) ما لا مطمع: ما لاطمع، ز، ل، م.
(٧) لم يوافق: يوافقهم، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو ويعقوب: «**خَرْجاً**» بغير ألف «**فخراج**» بالألف، وقرأ حمزة والكسائي بالألف فيهما، وقرأ ابن عامر بغير ألف فيهما. قيل: هما واحد، وأصلهما الغلة والإتاوة، وعن النضر بن شميل[1]: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بينهما؟ فقال: الخراج ما لزمك[2] ووجب عليك أداؤه[3]، والخَرْجُ: ما تبرعت به من غير وجوب. وأصله ما يخرج على سبيل التوظيف، ومنه: خراج الرأس والأرض[4]، والخرج والخراج مصدران لا يجمعان.

اللغة

النَّكَبُ: الميل، والناكب: المُعْرِض عن القصد، يقال: ضربه فينكبه[5]، أي: أعرض عنه وولاه منكبه، ومنه: حديث عمر: نَكِّبْ عَنَّا، ابن عبدٍ[6] أي: نحه عنا، يقال: نكب عن الصواب تنكيباً، ونكب غيره.

(١) النضر بن شميل: ابنشميل، ز.
(٢) لزمك: لربك، ز.
(٣) أداؤه: ـ، ز، ل، م.
(٤) خراج الرأس والأرض: الرأس والناكب المعرض، ل، م.
(٥) فينكبه: فنكبه، ز.
(٦) ابن عبيد: أبوعبيد، ز.

ويقال: يَلَجّ، وقد لجِجْتُ على وزن فَعِلْتُ بكسر العين لججاً ولجاجاً، واللُّجّ بالضم[1]: لج البحر، واللَّجْلاج: الذي يلجلج[2] في كلامه.

المعنى

لما بين تعالى[3] إعراضهم عن الحق لمخالفة[4] هواهم بَيَّنَ أن الرسالة والشريعة لا تتبع أهواءهم وتتبع المصلحة، فقال سبحانه: «**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ**» قيل: الحق هو الله تعالى[5]، عن أبي صالح، وابن جريج، والمعنى لو اتبع الله[6] في أفعاله أهواء عباده «**لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**» وقيل: الحق ضد الباطل، قيل[7]: لو اتبع الحق داعي الهوى والباطل لدعا[8] إلى القبائح، وقيل: لو اتبع الحق أهواءهم في ما يعتقدون من الآلهة[9]، بمعنى لو كان الحق في عبادة الأصنام لكان فيه من الفساد شيء عظيم؛ لأنه كان يفسد الطريق إلى معرفة التوحيد والعدل[10] والوعد والوعيد، وقيل: هو[11] مثل قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، عن أبي علي، وأبي مسلم، وقيل: لو أنزل كتابه على مرادهم، ووضع دينه[12] على شهواتهم لخرج عن[13] حد الحكمة «**لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**» لأنه كان يوجب بطلان الأدلة، وألاّ يُؤْمَنَ وقوع الظلم وما فيه مفسدة، ولا يوثق[14] بوعده ووعيده، «**بَلْ**

(١) بالضم: الضم، ل، م.
(٢) يلجلج: يخاجج، ز.
(٣) تعالى: +، ل، م.
(٤) لمخالفة: بمخالفة، ز، ل، م.
(٥) تعالى: +، ل.
(٦) الله: ـ، ل، م.
(٧) قيل: أي، ز، ل، م.
(٨) لدعا: يدعو، ز، ل، م.
(٩) الآلهة: الإلهية، ل، م.
(١٠) والعدل: ـ، ل.
(١١) هو: ـ، ز.
(١٢) دينه: ديناً، ل، م.
(١٣) عن: من، ي.
(١٤) لا يوثق: ولا يؤمن، ل.

أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ»، قيل: هذا جواب الاستفهام في قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ يعني أتيناهم بذكرهم[١] أي: بشرفهم[٢] وعزهم؛ لأن شرف العرب به، وهم مع ذلك يجحدونه ويحسدونه، وقيل: أتيناهم بالقرآن؛ لأنه نزل بلغتهم، ولولاه ما اشتغل أحد بلغة العرب «**فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**» قيل: الذكر البيان للحق، عن ابن عباس، وقيل: أتيناهم الذكر يتذكرونه، عن أبي مسلم. «**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا**» هذا استفهام والمراد النفي، أي: ما تسألهم عن تبليغ الرسالة جُعْلاً وأجراً، وقيل: أجراً على العمل، عن الحسن. «**فَخَرَاجُ رَبِّكَ**» أي[٣]: رزقه وثوابه «**خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**» لأنه يخلق الرزق، ويعطي متفضلاً، «**وَإِنَّكَ**» يا محمد «**لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» أي: مع ارتفاع المعاني المنفرة التي تقدمت، تدعوهم «**إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[٤]، وهو دين الإسلام «**وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**» أي: بالنشأة الآخرة «**عَنِ الصِّرَاطِ**» عن الدين[٥]» لعادلون مائلون، وقيل: هو في الآخرة يؤخذ بهم يمنة ويُسْرةً إلى النار، عن أبي علي، وأجازالوجه الأول. «**وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ**» قيل: هو في الآخرة[٦] لو[٧] رحمناهم ورددناهم إلى دار التكليف «**لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**[٨]» نظيره[٩]«ولو[١٠]ردوا لعادوا لما نهوا عنه»[١١] [الأنعام: ٢٨]، عن أبي علي[١٢]، وأبي مسلم[١٣]، وقيل: هو في الدنيا من ضر أو جوع وجدب، عن ابن جريج،

---

(١) قيل. . . بذكرهم: ـ ، ز.
(٢) بشرفهم: لشرفهم، ل، م، ي.
(٣) أي: +، ل، م.
(٤) إلى صراط مستقيم: إلى طريقتهم، ي.
(٥) عن الدين: +، ل، م.
(٦) ولو. . . الآخرة: ـ ، ز، ل، م.
(٧) لو: +، ل، م.
(٨) يعمهون: +، ل، م.
(٩) نظيره: نظير، ي.
(١٠) ولو: لو، +،ل، م.
(١١) لما نهوا عنه: +، ل، م.
(١٢) أبي علي: مسلم، ل.
(١٣) أبي مسلم: علي، ل.

وقيل: من الأَسْرِ والسيف، عن أبي مسلم، تمادوا في طغيانهم بِعَدْلِهِمْ عن[1] طريق الحق «يَعْمَهُونَ» يترددون متحيرين.

۞ الأحكام

تدل الآيات[2] على أنه ينبغي للعاقل أن يتبع الأدلة دون الهوى.

وتدل على[3] أن غير الله لو جاز أن يُعبد ويُتخذ إلهاً لما استقام الدين والأمر، فنبه على أنه واحد.

وتدل على طريقة في الحجاج عظيمة؛ لأن المتكلمين أبداً يقولون: لو كان كذا وكذا لأدى إلى[4] فساد، وقد نبه القرآن عليه[5].

وتدل على أن القرآن ذِكْرٌ يجب التدبر فيه.

وتدل على أن رزقه خير، فيوجب أن الحرام ليس برزق.

وتدل على أن في العباد من يرزق، ولذلك قال[6] ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

ويدل قوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ على أن في المكلفين من لا لطف له لشدة بغضهم وإلفهم للتقليد؛ لذلك قال: لو فعلنا بهم من الرحمة والنعمة وكشف الضر لما آمنوا.

وتدل آخر الآيات[7] أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أن الإعراض والطغيان فِعْلُهمُ، وليس بخلق لله تعالى، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) بعدلهم عن: يعدلون من، ز.
(٢) الآيات: الآية، ل.
(٣) على: ـ، ل، م.
(٤) لأدى إلى: لأدي إلى الادى إلى، ز.
(٥) وتدل على... عليه: ـ، ل، م.
(٦) قال: +، ز، ل، م.
(٧) الآيات: الآية، ي.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

اللغة[١]

استكانوا: افتعلوا من السكون، وهو في الأصل اسْتَكْوَنُوا[٢]، فلما انفتحت الواو ألقوا[٣] حركتها على ما قبلها وقلبوها ألفا ساكنة نحو قولهم: استقالوا، وإنما هو اسْتَقْوَلُوا.

والاستكانة: طلب السكون خوفاً من السطوة[٤] استكان[٥] استكانة إذا ذَلَّ عند الشدة، ويقال: استكان واستكن وتسكن إذا خضع، وقيل: استكان استفعل[٦] من السكينة، وهي الحالة السيئة، قال الأزهري: وأصله السكون، وإنما مُدّت فتحة[٧] الكاف بألف ساكنة.

والإبلاس: الحيرة والإياس من الرحمة، أَبْلَسَ إبلاساً، ومنه: إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله، أي: يئس[٨].

والإنشاء: اتخاذ الشي ابتداءً لا من شيء، أنشأ يُنْشئ إنشاءً[٩].

---

(١) اللغة: القراءة، ي.
(٢) استكونوا: استكنوا، ز.
(٣) ألقوا: وألقوا، ز.
(٤) خوفاً من السطوة: خوفاً للسطوة، ي.
(٥) استكان: أو استكان، ز.
(٦) استفعل: افتعال، ل، م.
(٧) فتحة: ألف، ل، م.
(٨) يئس: بلس، ز، ل، م.
(٩) إنشاء: إنشاء إنشاء ل، م.

الإعراب

(الأفئدة[١] **نصب بـ(أنشأ)**، و**(قليلاً ما تشكرون)** و(ما) صلة، وتقديره: وأنشأ[٢] لكم الأفئدة.وتشكرون قليلاً.

النزول

قيل[٣]: إن ثُمامة بن أثال[٤] الحنفي أُخِذَ أسيراً[٥]، فأسلم، فخرج وأخذ على أهل مكة الميرة، وحال بين مكة والميرة، وأخذ الله قريشاً بِسِنِي الجدب، فجاء أبو[٦] سفيان إلى رسول الله ﷺ، وقال: أنشدك الله والرحم، أتزعم أنك بعثت رحمة؟ قال: «نعم»[٧]، قال: قد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فأنزل[٨] الله تعالى: **«وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ»**، عن ابن عباس.

المعنى

ثم بين تعالى أنه إنما لا يلطف؛ لأنه لا لطف، فقال سبحانه[٩]**«وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ»** قيل: بالجدب وضيق الرزق، والقتل بالسيف **«فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ»** أي: ما خضعوا **«وَمَا يَتَضَرَّعُونَ»** لطلب كشف البلاء، ممن يقلب عليه[١٠]، يعني مصائب الدنيا، ولا يؤمنون **«حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ»** يعني ما زالوا يفعلون

---

(١) الأفئدة: إلاقليلاً، ل.
(٢) وأنشأ: وأنشأنا، ز.
(٣) قيل: وقيل، ي.
(٤) أثال: أثائل، ل، م.
(٥) أخذ أسيراً: ز، ل، م.
(٦) أبو: ـ، ل، م.
(٧) «نعم»: +، ل، م.
(٨) فأنزل: وأنزل، ز، ي.
(٩) «ولقد... سبحانه: +، ز، ل، م.
(١٠) ممن يقلب عليه: مما نزل بهم، ز، م.

ذلك حتى فتحنا عليهم نوعاً آخر من العذاب، قيل: هو دعاء النبيﷺ عليهم[1] بسنين كسني[2] يوسف، فجاعوا حتى أكلوا العِلْهِزَ، عن مجاهد[3]، وقيل: القتل يوم بدر، عن ابن عباس، وقيل: فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم في الآخرة، عن أبي علي، وقيل: ذلك يوم فتح مكة «إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» أي: متحيرون آيسون[4] من كل خير.

ثم بين أنه المنعم بأنواع النعم التي بها يستحق العبادة، فقال سبحانه: «وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ» يعني خلق هذه الحواس ابتداء لا من شيء، وخص هذه الثلاثة[5] لأن الدلائل موقوفة[6] عليها، وينظر ويسمع[7] ويتفكر فيعلم «قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ» يعني قَلَّ[8] شكركم لها، وقيل: هو نفي كما يقال: ما أَقَلَّ عقلك وما أقل حياك، ومعناه: لا تشكرون[9]وهو[10] «الَّذِي ذَرَأَكُمْ» أي[11]: خلقكم «فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ[12]» إلى حكمه» أي[13]: تجمعون يوم القيامة «وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ» فيها للتوصل[14] إلى نعيم الآخرة؛ إذ لولا الثواب لما حسن التكليف، «وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» يعني له[15] تدابيرهما في مجيء أحدهما[16]

(١) يعني... عليهم: ـ، ز.
(٢) كسني: كسنين، ز، ي.
(٣) مجاهد: المجاهد، م.
(٤) آيسون: أمنون، م.
(٥) الثلاثة: الأشياء، ز، ل، م.
(٦) موقوفة: معروفة، ز، ل، م.
(٧) وينظر ويسمع: وينتظر ويستمع، ز.
(٨) قل: هل، ز.
(٩) يعني قل... لا تشكرون: +، ز، ل، م.
(١٠) وهو: وهذا، ز.
(١١) أي: +، ز، ل، م.
(١٢) إلى الحكمة: ـ، ز، ل، م.
(١٣) أي: +، ل، م.
(١٤) للتوصل: التواصل، ي.
(١٥) له: ـ، ز، ل، م.
(١٦) في مجيء أحدهما: ـ، ز.

خلف الآخر، وله[1] تدبيرهما بالزيادة والنقصان «**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**» أي: أفلا تعلمون بأن تتفكروا[2] لتعلموا أن لجميع ما تقدم صانعاً قادراً عالماً حياً حكيماً سميعاً بصيراً.

الأحكام

تدل الآية على[3] أن هؤلاء لا لطف لهم؛ لأنه تعالى بيّن أنه لا ينفعهم شيء[4] من عذاب الدنيا والآخرة.

ويدل جميع ما ذكر[5] على صانع قديم، فكل ذلك مما لا يقدر عليه غيره[6].

وتدل على وجوب العبادة والشكر لمكان هذه النعم.

وتدل على وجوب التفكر فيها لِيَعْلَمَ.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

قوله تعالى:

﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) وله: له، ز.
(٢) تتفكروا: تفكروا، ز، ل، م.
(٣) على: ـ، ز.
(٤) شيء: ـ، ز، ل، م.
(٥) ذكر: ذكرنا، ل، م.
(٦) غيره: ـ، ل، م.

۞ القراءة

«أإذا متنا» «أإنا[1]» قد بينا اختلاف القراء فيها، وأن أبا جعفر وابن عامر لا يستفهمان في (أإذا)، ويستفهمان في (أإنا)، ثم أبو[2] جعفر بهمزة واحدة مطولة، وابن عامر بهمزتين، وعلى الضد نافع والكسائي، ويعقوب يستفهمون في (أإذا)، ولا[3] يستفهمون في (أإنا)، ثم نافع ويعقوب بهمزة واحدة، والكسائي بهمزتين، والباقون يستفهمون في الحرفين، إلا أن ابن كثير بهمزة واحدة غير ممدودة، وأبو عمرو بهمزة ممدودة[4]، وعاصم وحمزة بهمزتين.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب، وأهل البصرة: **«رب العرش العظيم سيقولون الله»** بالألف، وكذلك الذي بعده، وكذلك في[5] مصاحف أهل البصرة «الله ـ الله[6]»، وقرأ[7] الباقون في الموضعين: **«لله»** بغير ألف، وهو جواب[8] مطابق للسؤال على **«لِمنْ الأرض»** فجوابه: لله.

فأما في الثاني والثالث: فوجه قراءة البصريين ظاهر لا يحتاج إلى تأويل، وهو جواب مطابق للسؤال، كما قال: **«من رب السماوات»** فقيل[9] «الله» و**«من بيده ملكوت كل شيء»** فقيل: **«الله»**.

ووجه قراءة الباقين بغير ألف، فالجواب على المعنى دون اللفظ، كما يقال: من مولاك؟ فيقول: لفلان فهو مولاي، وأنشد الفراء لبعض بني عامر:

وأَعْلَمُ أنني سأكون رمسًا ... إذا سار النَّواعج لا أسِيرُ[10]

---

(١) أإنا: ـ ،ز.
(٢) أبو: ـ ،ز، ل، م.
(٣) ويعقوب... لا: ـ ، ز.
(٤) ممدودة: ممدود، ز.
(٥) في: ـ ، ز، ل، م.
(٦) الله ـ الله: ـ ، ز، ل، م.
(٧) قرأ: ـ ، ز.
(٨) جواب: ـ ، ل، م.
(٩) فقيل: فقل، ز.
(١٠) أسير: يسير، ل، م، ي.

وقال السائرون لمن حفرتم[1]   فقال المخبرون لهم: وزيرُ

اللغة

حد المثلين ما يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته، كالسوادين والجوهرين، هذا حقيقة المثلين عند المتكلمين، والمِثْل في معنى هو اتفاقهما في ذلك المعنى.

والأساطير: هي[2] الأحاديث المسطورة في الكتب.

والملكوت: عظيم الملك، وفَعَلُوتُ من صفات المبالغة نحو جبروت، يقال: رَهَبُوتُ[3] خير من رَحَمُوتِ، أي: لأن[4] ترهبهم خير من أن ترحمهم، والتاء[5] مُلحِقة، تُلْحِق[6] هذا الاسم ببناء قَرَبوس.

الإعراب

«مِثْلَ» نصب لأنه نعت لمحذوف، فقال سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾ يعني هؤلاء ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ في إنكار البعث بعد الموت.

النظم

ويقال: كيف يتصل هذا بما قبله؟

قلنا: يتصل بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعني لو تفكروا لعلموا، ولكن عولوا على التقليد، فقالوا مثل ما قال الأولون لما عدلوا إلى[7] التقليد، وقيل: إن هذا جواب[8]

---

(١) لمن حفرتم: لمن حضرتم، ز، ل، م.
(٢) هي: ـ ، ز، ل، م.
(٣) هبوت: وهوت، ز، ل، م.
(٤) لأن: +، ز، ل، م.
(٥) والتاء: الياء، ز.
(٦) تلحق: للحق، ز.
(٧) عدلوا إلى: عولوا على، ز، ل، م.
(٨) جواب: ـ ، ل.

الاستفهام في قوله: ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقيل: قالوا لرسلهم[1] ما قال هؤلاء لك[2]، وقيل: معناه أنعمنا على هؤلاء بالكتاب والرسول فلم يعرفوا موضع النعمة؛ بل كذبوا، وقالوا مثل ما قال الأولون[3] أولئك الذين لم يؤتوا الكتاب.

المعنى

ثم حكى قول أولئك، فقال سبحانه: «**أَئِذَا مِتْنَا وَ**[4] **كُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا**» بالية «**أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**» بعد الموت أحياءً، فذكروا بلفظ الاستفهام على وجه التكذيب «**لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ**» يعني هذا الوعد، وهوالبعث قد وَعَدَ[5] آباءنا من قبل مجيئك قَوْمٌ زعموا أنهم رسل الله فلم[6] نَرَ له حقيقة «**إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**» يعني شيئاً سطره الأولون، أي: كتبوه، ولا حقيقة له، وإنما يجري مجرى السِّيَرِ[7].

ولما استبعدوا البعث بعد الموت دل على[8] صحته، وأمره[9] بمحاجة القوم، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد «**لِمَنِ**[10] **الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**» يعني[11] خَلْقُ الأرض ومن[12] فيها، ولمن ملكها؟ فإذا قالوا: لله فـ «**قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**» أي: تتفكرون، فتعلمون أن مَنْ قدر على[13] خلق الأرض ومن فيها ابتداء قدر[14] على إحيائهم بعد الموت، فدل بذلك[15] على التوحيد والإعادة.

---

(١) لرسلهم: إن سلهم، ل، م.
(٢) لك: أولئك، ل.
(٣) الأولون: +، ز، ل، م.
(٤) متنا و: ـ، ز، ل، م.
(٥) وعد: وعدنا، ل، م.
(٦) يعني... فلم: ـ، ز.
(٧) السير: الشرط، ز.
(٨) على: +، ل، م.
(٩) أمره: وأمر، م.
(١٠) لمن: لمن في، ز، ل، م.
(١١) يعني: ـ، ل، م.
(١٢) ومن: وما، ز.
(١٣) قدر على: +، ز، ل، م.
(١٤) قدر: دل، ل.
(١٥) بذلك: ـ، ل، م.

ثم زاد في الحجة، فقال: «**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ**» أي: خالقها، «**وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**» أي[1]: خالقه ومقدر[2] جميع ذلك، ومعنى رب السماوات والعرش أنه مدبرهما كما يشاء، فإذا قالوا[3]: الله لزمتهم الحجة[4]، فقال: «**قُلْ**» لهم «**مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**» قيل: جزاء كل شيء، عن مجاهد، وقيل: ملك كل شيء«**وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ**» أي: يمنع من السوء من يشاء، ولا يمكن لأحد أن يمنعه متى أراد بأحد سوءاً وعذاباً، وقيل: هو يجير من العذاب، ولا يجار[5] عليه منه، وقيل: يُؤَمِّنُ من يشاء فلا يخاف أحداً، ومن أخافه فلا يقدر أحد أن يؤمِّنه[6]، وقيل: هو يجير من مكائد[7] الشيطان والكفار، والشيطان[8] لا يجير من عذابه، فكيف[9] موه[10] عليكم حتى صرفكم عن آيات الله؟! فإذا اعترفوا به فـ «**قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ**» يعني كيف تُخْدَعون وهو يموه عليكم الباطل في صورة الحق؛ حتى تنصرفوا عن الحق.

۞ الأحكام

تدل[11] الآيات[12] على[13] محاجة الكفار، وعبدة الأصنام، ومنكري البعث،

---

(١) أي: ـ، ل، م.
(٢) ومقدر: وتقدير، ز، ل، م.
(٣) قالوا: فقالوا، ز.
(٤) الحجة: +، ز، م.
(٥) ولا يجار: والإيجار، ز.
(٦) فلا يقدر أحد أن يؤمنه: فأحد لا يقدر أن يؤمنه، ي.
(٧) مكائد: نكاية، ي.
(٨) والشيطان: السلطان، ل، م.
(٩) فكيف: وكيف، ز، م، ي.
(١٠) موه: مودة، ز.
(١١) تدل: ـ، ل، م.
(١٢) الآيات: الآية.
(١٣) على: ـ، ز، ل، م.

فنبه بهذه الأدلة أنه الخالق لا إله سواه، وأنه القادر على البعث كما قدر على الإنشاء[1].

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

ومتى قيل: كيف تدل هذه الأشياء على البعث؟

قلنا: لأن القادر على الأجسام وكثير من الأعراض قادر لذاته، لا يصح من القادر بقدرة، والقادر للذات[2] يصح أن يعيد مقدوره إذا كان مما يبقى ولا يصح ذلك في القادر بقدرة.

قوله تعالى:

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥)﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم، وحمزة والكسائي: «**عالمُ الغيب**» بالرفع، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، بالكسر[3].

وعن يعقوب: إذا وصل كسر، وإذا ابتدأ رفع، أما الكسرة[4] فلأنه صفة لله في قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ والرفع على الابتداء، وقيل: هو[5] على معنى هو عالم الغيب[6]، فيكون خبر الابتداء.

---

(١) الإنشاء: الإنسان، ز، ل، م.
(٢) للذات: الذات، ز.
(٣) وقرأ... بالكسر: ـ، ز.
(٤) الكسرة: الكسر، ل، م.
(٥) هو: ـ، ل، م.
(٦) الغيب: +، ز، ل، م.

۞ الإعراب

﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] هذه الفاء فاء جواب[2] لقوله: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾[3] واعترض[4] النداء بينهما. ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ﴾ دخلت إجابة[5] لأن قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ على معنى: لو كان معه إله إذاً[6] لذهب بذلك[7]، يدلك[8] عليه دخول اللام في ﴿لَّذَهَبَ﴾؛ لأن هذه اللام تدخل على قولك: لو ذهبت[9] لكان كذا.

﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ المعنى إن تريني، هذه (إن) الجزاء، دخلت عليها (ما) التأكيد وأدغمت النون في الميم فصارت ميماً ثقيلة[10].

۞ المعنى

ثم عطف على ما تقدم من بيان أدلة التوحيد نفي الاثنين والولد، فقال سبحانه: «**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ**» أي: بالصدق في التوحيد والدين «**وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**» في قولهم: إن الأصنام آلهة، وإن لله ولداً، وإن الملائكة بنات الله، وغير ذلك مما يزعمون، وقيل: هو جواب الاستفهام في قوله: ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ [سبأ: ٨] يعني أم[11] يقولون ذلك، ونحن أوضحنا لكم الحق على لسان الرسول، «**وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**[12]» في قولهم: به جنة «**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ**» لأن اتخاذ الولد هو أن يجعل ولد غيره مقام ولده[13]، وهذا[14]

---

(١) رب... الظالمين: ـ ،ز، ل، م.
(٢) جواب: جواباً.
(٣) إما... يوعدون: +، ز، ل، م.
(٤) واعترض: وإعراض، ز.
(٥) إجابة: لعام، ز، م؛ اللام، ل.
(٦) إذا: إذن، ي.
(٧) بذلك: يدلك، ز، ي.
(٨) يدلك: +، ز.
(٩) ذهبت: ذهب، ز.
(١٠) ثقيلة: ثقلته، م.
(١١) أم: لم، ز، ل، م.
(١٢) لكاذبون: لكان، ي.
(١٣) لأن... ولد: ـ ، ز.
(١٤) وهذا: وهو، ل.

محال في صفة القديم، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ دل بدليل قاطع على نفي الاثنين، يعني لو كان معه من[١] إله يخلق لاختص كل واحد بملك نفسه، حتى لا يكون للآخر عليه يد وقدرة[٢]، ولو كان كذلك لكان مقدوراته[٣] محصورة، ولما كان قادراً لذاته فلا يصح أن يكون إلهاً، وقيل: لَغَالَبَ[٤] كل واحد منهما صاحبه بمخلوقه[٥]، بأن[٦] يزيد[٧] كل واحد في خلقه، فيغلب الآخر على العسكرين، وهذا في القادر للذات محال.

ثم دل بدليل آخر، فقال سبحانه: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: لغلب[٨] بعضهم بعضاً، فكان الضعيف[٩] لا يكون إلهاً ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: براءة له وتنزيهاً[١٠] عما يصفه المشركون به[١١] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعني يعلم[١٢] ما غاب وما حضر، فلا يخفى عليه شيء، دل بذلك على أنه لا شريك له؛ إذ لو كان له شريك لكان ينبغي أن يكون هكذا، ولأن ذلك ليس من صفات الأجسام، وقيل: هو يعلم كل شيء، فيأتي بالحق، وهم يقولون بالجهل.

ومتى قيل: ما معنى الغيب والشهادة؟

قلنا: يحتمل ما غاب من الحواس وما أدركته الحواس، ويحتمل أنه أراد المعدوم والموجود.

---

(١) من: +، ز، ل، م.
(٢) يد وقدرة: يد قدرة، ل، م.
(٣) مقدوراته: مقدراً له، ي.
(٤) لغالب: يغالب، ل، م.
(٥) بمخلوقه: مخلوقة، ز، م.
(٦) بأن: لأن، ي.
(٧) يزيد: يريد، ل، م، ي.
(٨) لغلب: يغلب، ز، ل، م.
(٩) الضعيف: للضعيف، ز.
(١٠) تنزيهاً: وتنزيه، ز.
(١١) به: +، ز، ل، م.
(١٢) يعلم: ـ ، ل، م.

«**فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**» أي: جل وصفه عن الشركاء «**قُلْ**» يا محمد «**رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا**[1] **يُوعَدُونَ**» يعني ما يوعد هؤلاء الكفار من العقاب «**رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**» أي: لا[2] تهلكني بهلاكهم، قيل: هو عذاب الدنيا، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: هو عذاب مؤخر عن أيامه، وقيل: هو في[3] كفار قُتلوا بعده، وقيل: هم أهل البغي، وقيل: معناه: إن تريني فيهم ما تعدهم من العذاب، فلا تهلكني به، ولا تجعلني منهم، واجعلني ممن رضيت عنهم، و(في) بمعنى (مع)، أي: لا تجعلني معهم، «**وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ**» قيل: من العذاب المعجل، وقيل: من العذاب الآخرة[4].

۞ لأحكام

يدل قوله: «**وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**» على نفي الاثنين، وهو دليل التمانع الذي فصله المتكلمون[5].

وتدل على[6] أن العبادة تحق لخالق الأجسام.

وتدل على[7] أن الجسم لا يفعل الجسم، إذ لو فعله لاستحق العبادة.

وتدل على وجوب الانقطاع إلى الله تعالى في كل حال.

وتدل على حسن دعاء العبد بما يعلم أنه[8] تعالى[9] يفعله[10] لا محالة، عن أبي علي، لذلك قال: «**فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**».

وتدل على أن الكذب والشرك فِعْلُهُم ليس بخلق الله تعالى.

---

(١) ما: أما، ز.
(٢) لا: +، ز، ل، م.
(٣) في: ـ ، ل، م.
(٤) العذاب الآخرة: العذاب الأخير، ي.
(٥) المتكلمون: في المتكلمون، ز.
(٦) على: ـ ، ل، م.
(٧) على: ـ ، ل، م.
(٨) أنه: الله، ز، ل، م.
(٩) تعالى: +، ز، م.
(١٠) يفعله: ـ ، ل.

قوله تعالى:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: «**لعلي أعمل**[(١)]» ساكنة الياء والباقون بفتحها.

اللغة

العِيَاذُ: طلب الاعتصام من الشر، عَاذَ به واستعاذه[(٢)].

والهَمْزُ[(٣)]: شدة الدفع، وهمز الشيطان: دفعه بالإغواء إلى المعاصي، ومنه: الهَمْزَةُ للحرف[(٤)] الذي لا[(٥)] يخرج من أقصى الحلق إلا[(٦)] باعتماد شديد ودفع، وهمزت الشيء في يدي عَصَرْتُهُ، وهمزته الأرض: ضربته مكانه، وقوس هَمَزى[(٧)]: شديد الدفع للسهم[(٨)]، والهَمّاز والهُمَزَةُ: الذي يعيب الناس كأنه يدفع في تعييبه.

---

(١) أعمل: ـ ، ز.
(٢) واستعاذه: واستعاذ، ل، م.
(٣) والهمز: والهمزة، ل، ي.
(٤) للحرف: الحرف، ز.
(٥) لا: +، ز، ل، م.
(٦) إلا: +، ز، ل، م.
(٧) شديد... همزى: ـ ، ز، ل، م.
(٨) للسهم: السير، ل، م.

وكلا[١]: زَجْرٌ وردع[٢]، وقيل: هو نفي[٣] لما قبله وإثبات لما بعده.

والبرزخ: الحاجز بين شيئين، وكُلُّ فصل[٤] بين شيئين برزخ.

الإعراب

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لم ينون (يوم) لأنه مضاف إلى[٥](يبعثون).

ومتى قيل: كيف أضاف[٦] إليه يوما وهو[٧] فعل؟

قلنا: اسماء[٨] الزمان والظرف[٩] كلها قد تضاف إلى الفعل؛ لأنها أضعف من سائر الأشياء، فعوضوها[١٠] الإضافة لتقوى بذلك، على أنه مضاف معناه إلى يوم بعثهم[١١]، ولو أدخل فيه التنوين، لكان[١٢] يقول إلى يومٍ يبعثون فيه، كما يقولون[١٣]: هذا يومُ آتيك، أي: يوم[١٤] إتيانك، ولو قلت فيه، لقلت: هذا يومٌ آتيك فيه، فتذهب الإضافة.

المعنى

ثم عَلَّمهُ[١٥] تعالى مكارم الأخلاق ديناً ودنيا، فقال سبحانه: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

---

(١) وكلا: لكلا، ز.
(٢) زجر وردع: ردع وزجر مقدم مؤخر، ز.
(٣) هو نفي: ـ، ل، م.
(٤) فصل: فعل، ز.
(٥) إلى: إلى يوم، ل، م، ي.
(٦) أضاف: يضاف، ز، ل، م.
(٧) يوما هو: وقيل هو، ل، م.
(٨) أسماء: اسم، ز، ي.
(٩) الزمان والظرف: والظرف، ز، ي.
(١٠) فعوضوها: فوضوها، ل، م.
(١١) بعثهم: يبعثهم، ز، ل، م.
(١٢) لكان: فكان، ي.
(١٣) يقولون: يقول، ل، م.
(١٤) يوم: يو، ز.
(١٥) علمه: علم، ي.

أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ» قيل: أعرض عن أذاهم ولا تعجل عليهم بالسيئة والقتال، ولكن بالعظة الحسنة، ونسختها آية السيف، وقيل: هو الإغضاء[١] والمصالحة، عن الحسن، وقيل: أَخِّرْ القتال بما هو أحسن من الموعظة[٢] الجميلة، فإن لم يجيبوك فقاتلهم، ولا[٣] نسخ فيه، وقيل: ادفع بمعاشرتك الجميلة أذاهم عن نفسك، وقيل: ادفع باطلهم ببيان الحجج على ألطف الوجوه وأوضحها على وجه ترجى الإجابة والقبول **«نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ»** فنجازيهم به، **«وَقُلْ»** يا محمد **«رَبِّ أَعُوذُ بِكَ»** أي: أستجير بك[٤] **«مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ»** قيل: نزغاته، عن ابن عباس، وقيل: وساوسه، عن الحسن، وقيل: نفخه ونفثه، عن مجاهد، والكل متقارب[٥]، والمعنى: مِنْ دعائهم إلى الباطل والعصيان بكثرة الوساوس.

ومتى قيل: كيف يدعو الشيطان رسول الله ﷺ إلى المعاصي وهو معصوم؟

قلنا: في الآية الاستعاذة[٦] من همزه، وليس فيها كيفية ذلك، والمعنى فيه أنه يوسوس إلى الكفار، يغريهم بالكفر وأذى المسلمين، ويوسوس النبي ﷺ بما يؤديه إلى ضيق صدره، فأمره[٧] الله تعالى أن[٨] يستعيذ به حتى يرد الكفار عنه، يلطف له في الصبر.

«وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ» في شيء من الأمور **«حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ»** يعني هؤلاء الكفار لا يقبلون النصح، ولا يتفكرون في العواقب، حتى إذا جاء أحدهم أسباب الموت[٩]، من معاينة الملائكة وأحوال الآخرة، قال عند ذلك[١٠]: رب[١١] ارجعون إلى الدنيا.

---

(١) الإغضاء: الإعطاء، ز.
(٢) الموعظة: الوعظة، ز.
(٣) ولا: لا، ز.
(٤) أستجير بك: أستجيرك، ز.
(٥) متقارب: مقارب، ز.
(٦) الاستعاذة: استعاذه، ز.
(٧) فأمره: فأمر، ل، م، ي.
(٨) أن: بأن، ـ، ز، ي.
(٩) الموت: ـ، ز.
(١٠) عند ذلك: ـ، ز، ل، م.
(١١) رب: +، ز، ل، م.

ويقال: لِمَ ذكر[١] على خطاب الجمع[٢]؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أنهم استغاثوا أولاً بالله، ثم رجعوا إلى مَسْأَلَةِ[٣] الملائكةِ الرجوعَ إلى الدنيا، عن ابن جريج.

وقيل: على تعظيم المخاطب، كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٢] و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾[٤] [الإنسان: ٢٣]. «**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**» من الأموال، كأنه قال: أنفقه إن رددتموني، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: كيف سألوا الرجعة وقد اضطروا إلى أن لا رجعة؟

قلنا: طلب الرجعة[٥] يحسن وإن علم أنه لا يكون، كما[٦] يتمنى المرء حياة أبيه.

«**كَلَّا**» كلمة ردع و[٧]زجر، أي: أنه[٨] لا يكون[٩] ولا يرجع إلى الدنيا «**إِنَّهَا كَلِمَةٌ**» يعني سؤال الرجعة «**هُوَ قَائِلُهَا**» ولا ينالها، وقيل: إنها كلمة يقولها ولا تنفعه «**وَمِن وَرَائِهِمْ**» أمامهم «**بَرْزَخٌ**» أي: حجاب «**إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**» وهو البعث في القيامة من القبور، وقيل: حاجز بين الموت والبعث، عن ابن زيد، وقيل: حاجز بين الميت[١٠] والرجوع إلى الدنيا، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: حاجز بين الدنيا والآخرة، عن الضحاك، واختلفوا في الحاجز، قيل: أَجَلُ[١١]، عن السدي، وقيل: بقية الدنيا، عن

---

(١) لم ذكر: يذكر، ز، ل، م.
(٢) الجمع: الجميع، ز، ي.
(٣) مسألة: منزلة، ز.
(٤) عليك: إليك، ز، ل، م، ي.
(٥) الرجعة: الراحة، ل، م، ي.
(٦) كما: فيما، ل، م.
(٧) ردع و: +، ز، ل، م.
(٨) أنه: إنها، ز، ل، م.
(٩) لا يكون: لاتكون، ز.
(١٠) الميت: الموت، ي.
(١١) أجل: أحد، ز، م.

قتادة، وأبي علي، وقيل: القبر عن أبي أمامة، وقيل: الإمهال، وكل[١] فصل بين شيئين برزخ، وقيل: الموت، عن أبي مسلم[٢].

۞ الأحكام

يدل أول الآيات على وجوب التمسك بالأخلاق الجميلة من العفو والحلم في الدعاء إلى الدين والأمر بالمعروف، وينبغي أن يبتدىء بالذي هو أحسن.

وتدل على وجوب الاستعاذة بالله[٣] من شر الشيطان، ولو كانت[٤] الشرور كلها خَلْقاً لله[٥] تعالى لم يكن للاستعاذة به من الشيطان معنى، فيدل أنه فِعْلُ الشيطان، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على أن أهل العقاب يسألون الرجعة عند معاينة ما يستحقونه من العذاب، وروي أن النبي ﷺ قال: «إذا عاين المؤمن الملائكة فقالوا[٦]: نرجعك إلى دار الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ لا، بل قُدُماً[٧] إلى الله تعالى، وأما الكافر فيقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾.

ويدل سؤالهم الرجعة ووعدهم[٨] بالعمل الصالح أن ذلك فعلهم، وأنهم قادرون على ذلك، لولا ذلك لم يكن لسؤال الرجعة معنى، فيبطل قولهم في المخلوق والاستطاعة.

وتدل على أن لا رجعة إلى الدنيا، وذلك يبطل قول الإمامية.

وتدل على البعث يوم القيامة.

---

(١) وكل: وقيل، ل.
(٢) عن أبي مسلم: ـ ، ل.
(٣) بالله: ـ ، ز.
(٤) كانت: كان، ز.
(٥) لله: له، ز، ل، م.
(٦) فقالوا: قالوا، ز.
(٧) قدما: قدمنا، ز.
(٨) ووعدهم: ووعيدهم، م، ي.

قوله تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**شَقاوتنا**» بالألف وفتح الشين، والباقون بغير ألف وكسر الشين، وهما لغتان، قيل: شقوة بكسر الشين وفتحها، وشقاوة[1] بمعنى، وقيل: الشقاوة المصدر والشقوة الاسم، كالحيلة، وجِرْيَة الماء، عن أبي مسلم، وقرئ بجميع[2] ذلك.

اللغة

الصور: كالقرن ينفخ فيه، والصور: جمع صورة.

واللفح والنفح بمعنى واحد، إلا أن اللفح أعظم تأثيراً[3]، وهو ضرب السموم الوجه[4]، وكذلك النفح ضرب الريح الوجه، نَفَحَتْهُ[5] السموم بحرّها، ولفحه بالسيف لفحة إذا ضربه ضربة خفيفة.

والشقاوة: ضد السعادة، وهو المضرة اللاحقة في العاقبة.

(١) وشقاوة: وشقاوتنا، ل، م.
(٢) بجميع: ل، م.
(٣) تأثيراً: تأخيراً، ز.
(٤) الوجه: والوجه، ز.
(٥) نفحته: لفحته، ز، ل، م.

والغلبة[١]: الاستعلاء بالقوة.

والكُلُوح: مصدر كَلَحَ، وهو خلاف الطلاقة.

وأخْسَؤوا: زَجْرُ، كأنه قيل: أَبْعِدْ بُعْدَ الكلب، وفيه إهانة، من خَسَأْتُ فلاناً أَخْسَأُه خسأ فهو خاسئ.

۞ الإعراب

«ولا تكلمون»[٢] حذفت الياء بعد[٣] النون تخفيفاً، ودلت الكسرة في النون على ذهاب الياء، وهذا ليس بأَمْرٍ، ولو كان أمراً لقال: لا يتكلمون[٤]، ولكن المعنى: اخسأوا فيها كأنكم لا تكلمون، أي: لا تتكلمون.

۞ المعنى

ثم بين تعالى حال الفريقين يوم البعث، فقال سبحانه: «**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ**» قيل: قَرْنٌ ينفخ فيه إسرافيل علامة لوقت إعادة الخلق، عن أكثر المفسرين، وقيل: المراد به نفخ الروح في الصور، عن الحسن، ثم اختلفوا فقيل: هي النفخة الأولى، عن ابن عباس، وقيل: هي النفخة الثانية، عن ابن مسعود. «**فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ**» أي: لا يتواصلون بالأنساب، ولا يتعاطفون بها، عن الحسن، وقيل: لا يتفاخرون بالأنساب، كما فعلوا في الدنيا، عن ابن عباس، وأبي علي، وقيل: لا يستغيثون بالأنساب، ولا يقولون: يا آل فلان في الآخرة، كما هي[٥] في الدنيا، وقيل: لا[٦] ينسب للتعريف، «**وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ**» أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله، عن أبي علي، وقيل: لا يسأل بعضهم بعضاً، أي: لا[٧] يحمل عنه ذنبه[٨].

(١) والغلبة: والعاتبة.
(٢) «ولا تكلمون»: ـ ، ي.
(٣) بعد: من.
(٤) لا يتكلمون: لايكلمون.
(٥) كما هي: يا آل فلان.
(٦) لا: ـ ، ل، م.
(٧) لا: +، ز.
(٨) ذنبه: دينه.

فأما قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠] فالقيامة مواطن في بعضها يتساءلون، وفي بعضها لا يتساءلون.

«**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**» أي: من كان ميزانه بالحساب[١] أثقل، وقيل: مَنْ عظمت طاعاته[٢]، والمراد بالميزان معادلة الأعمال بالحق، عن قتادة، وقيل: الميزان الأعمال الحسنة، عن أبي مسلم، وقيل: هو ميزان[٣] له كفتان ولسان، عن الحسن، وأكثر المفسرين، وهو الظاهر، وهو الصحيح، واختلفوا فيما يوزن، قيل: الصحف، وقيل: علامات تظهر في الكفتين، وقيل: توزن الأشخاص، وليس بشيء«**فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» الفائزون بالجنة الظافرون بالبغية «**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**» بالحسنات «**فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ**» أي: خسروا حظهم من الخير «**فِي جَهَنَّمَ خَالِدون تلفح وُجُوهَهُمُ النَّارُ**» أي: يصيب وجوههم لفح النار ولهبها، «**وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**» قيل: عابسون، عن ابن عباس، وقيل: تتقلص الشفاة، وتبدو الأسنان كالرؤوس المشوية، «**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي**» يقال لهم توبيخاً على وجه الاستفهام والمراد به التقرير «**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي**»[٤] حججي وأدلتي، وقيل: القرآن «**تُتْلَى عَلَيْكُمْ**» تقرأ «**فَكُنتُمْ**[٥] **بِهَا**» بالآيات «**تُكَذِّبُونَ**»، «**قَالُوا**» وهم في النار «**رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا**» التي اكتسبناها[٦] بأعمالنا، وقيل: الشقاوة المقدرة علينا، والأول الوجه[٧] لقوله: «**وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ**» وهذه الشقاوة التي غلبت عليهم معاصيهم التي شقوا بها، فلما[٨] كان ذلك سبب شقاوتهم سماه شقاوة، توسعاً من[٩] الشقاء، أي[١٠]: نترك عبادة الله، ونعبد حجراً لا ينفع ولا يضر، ونترك الأدلة،

(١) بالحساب: موازنة، ز.
(٢) طاعاته: طاعاً، ز؛ طاعته، ي.
(٣) ميزان: موازين، ز.
(٤) ألم... «ألم تكن آياتي»: ـ، ز، ل، م.
(٥) فكنتم: وكنتم، ز.
(٦) اكتسبناها: كسبناها، ل.
(٧) الوجه: ـ، ل، م.
(٨) فلما: فما، ز.
(٩) من: في، ز.
(١٠) أي: أن، ز، ل، م.

ونتبع الهوى، «وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ» ذاهبين عن الحق «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا» من النار «فَإِنْ عُدْنَا» لما تكره «فَإِنَّا ظَالِمُونَ» لأنفسنا «قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا» قيل: يجابون بعد ألف سنة: اخسؤوا فيها[١]: أَبْعِدُوا، كما يقال للكلب إذا طُرِدَ. «وَلاَ تُكَلِّمُونِ» في دفع[٢] العذاب، أي: لا أرفعه عنكم، وقيل: هو دلالة الغضب اللازم، فعند ذلك أيسوا من الفرج، قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم[٣] به أهل النار، ثم لا[٤] يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلب، لا يفهمون ولا يُفهمون، وقيل: ليس بنهي[٥]؛ لأنه لا تكليف في الآخرة.

۞ الأحكام

تدل الآية على غاية الشدة حتى لا يتعلق أحد بالأنساب[٦]، وكل امرء همه في[٧] شأنه.

وتدل على إثبات ميزان، ولا مانع من الظاهر فيحمل[٨] عليه، وقد بينا ما يوزن، فأما نفس الأعمال فأعراض منقضية[٩] لا يصح عليها الإعادة، فلا تصح أن توزن.

ويدل قوله: ﴿قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ وقوله: ﴿أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ الآية أن ذلك فعلهم، فأسفوا[١٠] على ما[١١] سلف منهم، وتمنوا الرجوع ليتداركوا، ولو كان ذلك خلقاً لله أو لا[١٢] يقدرون على غيره لم يكن لشيء من ذلك معنى، فيبطل قولهم في المخلوق والاستطاعة.

---

(١) فيها: +، ل، م.
(٢) دفع: في دفع في دفع، ي.
(٣) يتكلم: يتعلم، ز.
(٤) لا: ـ، ز.
(٥) بنهي: يتمنى، ل، م.
(٦) بالأنساب: الأسباب، ز.
(٧) في: ـ، ز، ل، م.
(٨) فيحمل: فيحل، ز.
(٩) منقضية: مكتسبة، ل، م.
(١٠) فأسفوا: فيأسفوا، ل، م، ي.
(١١) ما: ـ، ز.
(١٢) أو لا: ولا، ز.

قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة[١] والكسائي: «سُخْرِياً» بضم السين، وفي (ص) مثله، وقرأ الباقون بكسر السين في السورتين، واتفقوا في سورة (الزخرف): ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] أنه بضم السين إلا ما روي عن ابن[٢] محيصن.

قال الخليل وسيبويه: هما لغتان بمعنى الهزء[٣]، كقولهم: بحر لجُيٍّ، وكوكب دُرِّيّ، وكرسي[٤].

وقال الفراء والكسائي: الكسر[٥] بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى التسخير، والاستعباد في[٦] سورة (الزخرف) بهذا المعنى يضم.

قرأ حمزة والكسائي: «إنهم» بكسر الألف على الاستئناف. وقرأ الباقون بالفتح على معنى لأنهم، ويحتمل أن يكون[٧] نصباً لوقوع الجزاء عليه، أي: جزيتهم اليوم الفوز بالجنة.

---

(١) وحمزة: +، ل، م.
(٢) ابن: أبي، ل، م.
(٣) الهزء: الهزو، م.
(٤) وكرسي: وكرسي وكرسي، ي.
(٥) الكسر: والكسر.ل، م، ي.
(٦) في: وفي، ز.
(٧) يكون: ـ ، ل، م.

قرأ ابن كثير: **«قل كم لبثتم»** بغير الألف على الأمر، **«قال إن لبثتم[1]»** بالألف على الخبر، وهي قراءة ظاهرة؛ لأن الثانية جواب، وقرأ حمزة والكسائي بغير ألف فيهما[2] على الأمر، وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة **«قل»** بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف فيهما جميعاً[3]، وكذلك هي في مصاحفهم على معنى: قال الله تعالى[4]، فأما قل[5] على الجمع، واللفظ على الواحد، كأنه قيل: قل أيها الكافر.

۞ اللغة

سَخِرَ فلان من فلان، وفلان سُخْرَةٌ يُسْخَرُ منه، وسُخْرَةٌ يُسَخَّرُ[6] في العمل، وسُخَرَة إذا كان يَسْخَرُ، وسخرت منه، ولا يقال: به[7].

والنسيان: ضد الحفظ، وهو الترك أيضاً، والنسية أقرب[8] بتركه، ونسيته تركته[9].

واللبث والمكث بمعنى، وهو: حصول الشيء على الحال أكثر من وقت، واللابث: الكائن على الصفة على مرور الوقت، وحقيقته ترجع إلى الأكوان.

والعَدُّ: مصدر عَدَّ يَعُدُّ عَدّاً وعدداً، فهو عاد، والشيء معدود، والعدد[10]: عقد يظهر به مقدار المعدود.

واليوم: اسم لبياض النهار، ويستعمل في الوقت، يقال: أيام بني العباس، وعلى هذا أيام الآخرة تشبيهاً باليوم الحقيقي.

(١) لبثتم: كنتم، ل، م.
(٢) فيهما: فهما، ز.
(٣) جميعاً: +، ل.
(٤) تعالى: + ز.
(٥) قل: قيل، ل.
(٦) يسخر: يسخره، ز.
(٧) به: +، ز.
(٨) أقرب: أفمرت، ز، ل، م.
(٩) ونسيته تركته: ـ ، ل، م.
(١٠) العدد: والعذرة، ل م.

۞ الإعراب

(إنه) الهاء قيل: عماد، وتسمى المجهولة أيضاً، (العادين) الدال مثَقَّلة لا بد منه؛ لأنه[1] من عددت، وهو من المضاعف.

۞ المعنى

لما تقدم[2] الخبر عن تعذيبهم بَيَّنَ العلة فيه، فقال سبحانه: «**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي**» المؤمنين «**يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا**» صدقنا بك وبرسولك وبكتابك «**فَاغْفِرْ لَنَا**» ذنوبنا «**وَارْحَمْنَا**» بأن تدخلنا الجنة «**وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا**» قيل: تستهزئون[3] بهم[4]، وقيل: تستعبدونهم[5]، ولم يرض الله تعالى ذلك، فغضب للمؤمن[6] وجازى[7] أعداءهم ووبخهم، فقال: «**حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي**» قيل: أنساكم اشتغالكم[8] بالاستهزاء بهم عما لزمكم من ذكري، وقيل: تركوا تذكيركم مخافة استحقاقكم[9] حتى صار ذكر الله منسيًا[10] لكم.

ومتى قيل: لم أضاف الإنساء إلى المؤمن على هذا؟

قلنا: إنهم لما[11] تركوا تذكير الكافرين كان ذلك بمنزلة[12] الإنساء على وجه التوسع والمجاز.

---

(١) لأنه: لأنها، ل، م.
(٢) تقدم: بين، ل.
(٣) تستهزئون: فتستهزؤن، ز.
(٤) بهم: منهم، ل، م، ي.
(٥) تستعبدونهم: يستعبدونهم، ز.
(٦) للمؤمن: المؤمن، ز.
(٧) وجازى: ويجازي، ل.
(٨) اشتغالكم: باشتغالكم، ل، م.
(٩) استحقاقكم: استخفاكم، م.
(١٠) منسياً: لمنسياً، م.
(١١) إنهم لما: لأنهم، ل، م.
(١٢) إلى . . . بمنزلة: ـ ، ز.

«**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا**» على الاستهزاء، وأقاموا على الدين «**أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**» بالجنة، يعني كافأتهم[1] بصبرهم[2] الجنة، فمع[3] إحسان الله إليهم لا يضرهم أذاهم، «**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ**» هذا سؤال توبيخ وتبكيت، يعني آثرتم الدنيا واشتغلتم بها وبزينتها، وأنكرتم البعث والجزاء فكم لبثتم فيها؟!، وقيل: مع قلة لبثكم فيها أوبقتم أنفسكم في عذاب طويل، فأجابوا مصدقين لذلك، وقيل: كم لبثتم في القبر مع إنكاركم البعث، وقيل: كم أمهلتم في الدنيا، وأبقيتم للعمل[4]، وهل علمتم؟ «**قَالُوا**» يعني الكفار «**لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**» قيل[5]: في ظننا؛ لأن أهل الآخرة لا يكذبون، وقيل: أرادوا[6] قليلاً تعظيماً[7] لما هم فيه وطوله كأنه قيل: هو كبعض يوم بالإضافة إلى ما نحن فيه، وقيل: نسوا أن شدة ما هم فيه[8] كبعض يوم، وليس بشيء؛ لأنه لا[9] يكون كذباً، وقيل: أرادوا أنهم لا يعرفون ذلك، ولذلك[10] قالوا: «**فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ**» قيل: من الملائكة، عن مجاهد؛ لأنهميحصون أعمال العباد، وقيل: العادين من الحساب، عن قتادة؛ لأنهم يعدون الشهور والسنين، «**قَالَ**» الله تعالى «**إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً**» حتى[11] بعثكم تكذيباً لظنكم، وقيل: كان قليلاً؛ لأن لها[12] نهاية وانقضت، عن أبي علي. «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**» قيل: البعث والجزاء، أي: لو علمتم الجزاء ما اعتقدتم[13] دوام اللبث تحت الأرض، وقيل: لو علمتم قدر

---

(١) كافأتهم: كمافأتهم، ز، م.
(٢) بصبرهم: بمصيرهم، ز، م.
(٣) فمع: مع، ز، ل، م.
(٤) كم أمهلتهم في الدنيا، وأبقيتم للعمل: كم أهملتم في الدنيا من العلم والعمل: ز، م.
(٥) قيل: ـ، ل، م.
(٦) أرادوا: رأوا، ي.
(٧) تعظيماً: تعظيم، ز.
(٨) هو... فيه: ـ، ز، ل، م.
(٩) لا: +، ل، م.
(١٠) ولذلك: وكذلك، ي.
(١١) حتى: ـ، ل، م.
(١٢) لها: له، ز، ل، م.
(١٣) ما اعتقدتم: فاعتقدتم، ل، م.

لبثكم وقلته[1] ما آثرتم الفاني على الباقي، وقيل: لو علمتم أن الباقي خير[2] من الفاني.

الأحكام

تدل الآية على عظيم حال المؤمنين في القيامة وسوء حال من خالفهم وسخر منهم.

وتدل على أن السخرية توجب العذاب.

ولا يقال: إنهم سخروا على وجه الكفر، لذلك عذبوا؟

قلنا: أفرد جزاء السخرية، ولو كان الكفر هو الموجب لما صح ضمه إلى ما لا يوجب.

وتدل على أن الجنة تنال بالصبر على الطاعات وعن المعاصي.

وتدل على أن أيام الدنيا قليلة في جنب الآخرة.

قال أبو علي: ولا تدل على نفي عذاب القبر، بأن يقال: كان يجب لو صحت[3] أن يعرفوا قدر لبثهم؛ لأن عذاب القبر لا يدوم، ولا يعرفون قدر اللبث وإن عذبوا.

وتدل على أن السخرية فِعْلُ العبد وليس بخلق الله تعالى[4].

قوله تعالى:
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

---

(١) وقلته: قلة، ل.

(٢) خير: جزء، ي.

(٣) ضمه... صحت: ـ، ز، ل، م.

(٤) تعالى: +، ل، م.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «تَرْجِعُون» بفتح التاء[١] وكسر الجيم على إضافة الفعل إليهم، وقرأ الباقون بضم التاء[٢] وفتح الجيم على ما لم يُسَمَّ فاعله تفخيماً.

۞ اللغة

الحسبان[٣] والظن من النظائر، واختلفوا في الظن، فعند أبي علي والقاضي أنه جنس برأسه سوى الاعتقاد، وعند أبي هاشم هو من جنس الاعتقاد، وحد الظن: قوة أحد النقيضين على[٤] الآخر في النفس من غير سكون النفس، وقيل: الظن: ما يوجب كونه ظاناً، والظان يجد نفسه ظاناً.

والعبث ما لا غرض فيه ولا عاقبة له، وهو قبيح بمنزلة الظلم والكذب.

۞ الإعراب

إنما قال: «إلهاً آخر»؛ [ليزول] الإبهام[٥]، لأن «إلهاً»[٦] حال[٧] من اسم الله تعالى[٨] والمفعول محذوف، كأنه قيل: يدعو مع الله منعماً آخر.

ونصب «عبثاً» على الحال، عن سيبويه وقطرب، تقديره: عابثين، وقيل: على المصدر[٩]، عن أبي عبيدة، وقيل: نصب على الظرف أي[١٠] بالعبث، وقيل: للعبث[١١] عن بعض نحاة البصرة، وهو الوجه.

---

(١) التاء: الياء، م، ي.
(٢) التاء: الياء، ل، م، ي.
(٣) الحسبان: الحساب، ز.
(٤) ليزول على: في، ز.
(٥) الإبهام: لأن الإله الإبهام، ز، ل، م، ي.
(٦) لأن إلها: بأن إلها، ز، ل، م، ي.
(٧) حال: قال، ز، م، ي؛ ـ، ل.
(٨) تعالى: +، ل، م.
(٩) المصدر: الصدر، ز.
(١٠) أي: بأي، ل.
(١١) للعبث: بالعبث، ل.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر والنهي بَيَّنَ أنه خلقهم للتكليف لا للعبث، فقال سبحانه: «**أَفَحَسِبْتُمْ**» أي: أظننتم «**أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**» قيل: لعباً وباطلاً لا[1] لغرض وحكمة، وقيل: للعب والباطل دون العبادة «**وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا**» إلى حكمنا والموضع[2] الذي لا يملك الحكم فيه غيرنا[3] لاَ تُرْجَعُونَ[4]» وهذا استفهام والمراد الإنكار، أي: ما خلقناكم عبثاً، ولا بد[5] من الرجوع؛ إذ لولا الرجوع والتعريض للثواب لكان الخلق عبثاً.

ثم نزه نفسه عن ذلك، فقال سبحانه: «**فَتَعَالَى اللَّـهُ**» أي: علا صفته من أن يفعل العبث والقبيح، وقيل: نزه[6] نفسه عماوصفه به المشركون من اتخاذ الأولاد والأنداد «**الْمَلِكُ الْحَقُّ**» يعني من اعتقده إلهاً فقد اعتقد الحق «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ**» أي: لا حجة له «**فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ**» قيل: جزاؤه ومكافأته عند الله، والمكافأة والمحاسبة[7] بمعنى، وقيل[8]: حساب أعماله «**عِنْدَ رَبِّهِ**» قيل[9]: محفوظة عنده، وقيل: يحاسب عنده ويجازيه «**إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**» أي: لا يظفر[10] بما ظفر به المؤمنون من الجنة والثواب.

ولما حكى أقاويل الكفار، ونزه نفسه عنها[11]، أمر نبيه صلى الله عليه[12] بالتبري منهم، والانقطاع إلى الله تعالى، فقال سبحانه: «**وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ**» الذنوب

---

(١) لا: ـ، ز.
(٢) والموضع: والمواضع، ز.
(٣) الحكم فيه غيرنا: فيه الحكم غيرنا: ز، ل، م.
(٤) لا ترجعون: لايرجعون، ز.
(٥) ولا بد: ولأنه، ل، م.
(٦) نزه: ينزه، ز.
(٧) والمكافأة والمحاسبة: والمحاسبة والمكافأة، م.
(٨) وقيل: ـ، ل.
(٩) «عند ربه» قيل: ـ، ز، ل، م.
(١٠) لا يظفر: لايظفره، ز.
(١١) عنها: عنه، ي.
(١٢) صلى الله عليه: +، ل، م.

«وَارْحَمْ» بإيجاب الثواب «وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ»؛ لأن عطاءه لا ينفد؛ بل يتصل ويدوم، ولأن أصول النعم وفروعها منه، ولا يعود من نعمه عليه شيء، قال أبو مسلم: هو معطوف على قوله: ﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾[١] وقيل: إنه لطف في استنزال الرحمة.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه تعالى لم يخلق العبث ولا الخلق للعبث[٢]، خلاف قول المجبرة، وإذا نُزِّهَ عن خلق العبث فكيف يجوز أن يخلق الكفر وسائر الفواحش، ولو كان جميع القبائح منه عبثاً كان أو غيره لمَاَ صح هذا التنزيه لنفسه والتوبيخ لهم[٣]، فكيف يصح أن يقول: «**أفحسبتم**» وهو خالق الحسبان، وروي أن عليا (عليه السلام)[٤] قال في خطبة له: «أيها الناس اتقوا الله؛ فما خُلقَامرؤُ عبثاً فيلهو[٥]، ولا[٦] أهمل سدى فيلغو[٧]».

واختلفوا لماذا خلق[٨] الخلق، وما الغرض فيه؟

فقال مشايخنا: تعريضاً للثواب الذي لا يجوز التفضل به، لما يتضمن من التعظيم والتبجيل؛ بل لا بد من استحقاق، واستحقاقه بالأعمال الصالحة، وذلك يحصل بالتكليف، وما عدا المكلفين خلقها[٩] لهم لمنافعهم، إما في الدين، وإما في[١٠] الدنيا.

---

(١) لا ترجعون: ـ ، م.
(٢) ولا الخلق للعبث: ـ ، ز.
(٣) ولا. . . والتوبيخ: ـ ، ل.
(٤) علياً عليه السلام: النبي صلى الله عليه وآله، م.
(٥) فيلهو: فلهوا، ز.
(٦) لا: +، ز، ل، م.
(٧) فيلغو: فلغوا، ز.
(٨) خلق: +، ل، م.
(٩) خلقها: خلقهم، ز.
(١٠) [وإما في]: أوفي، ز، ل.

ومخالفونا[1] منهم من قال: خلق[2] ليدل على كمال صفاته، ومنهم من قال: خلق[3] بعضهم للجنة، وبعضهم للنار، وهذا لا يجوز؛ لأنه لا ذنب لهم، وما روي عن الصادقعليه السلام، أنه خلقهم ليحسن إليهم، فهو غير ما نقوله، وقد قال بعض المجبرة: إنه لا يجوز أن يقال[4]: خلقه لغرض، وهذا يوجب كون أفعاله عبثاً.

وتدل الآية أن كل من خالف التوحيد لا برهان له فيه، وذلك عام في الثنوية والمجوس والمشبهة وكل مبتدع؛ لأن جميع ذلك خلاف التوحيد.

وتدل على أن القول إنما يصح إذا كان معه برهان، وذلك[5] يدل على وجوب النظر، وفساد التقليد، وأن المعارف مكتسبة.

(١) ومخالفونا: ويخالفونا، ل.
(٢) خلق: ـ، ز، ل، م.
(٣) خلق: ـ، ز، ل، م.
(٤) يقال: ـ، ز.
(٥) وذلك: وكذلك، ل، م.



سورة النور

سورة (النور) أربع وستون آية في الكوفي، وهي[1] مكية فيما روي عن ابن عباس، وأكثر المفسرين على أنها مدنية، وهو الصحيح.

وقيل: مكية ومدنية، وهي أربع[2] وستون آية في عدد الكوفة والبصرة، وآيتان في عدد[3] الحجاز، وأصح الأعداد الكوفي؛ لأنه عدد أمير المؤمنين عليه السلام[4].

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ وعلى[5] آله: «من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى، وفيما بقي».

والمروي عن ابن عباس أنه قرأها لموسم[6] وفسرها، فقال قائل: ما رأيت كاليوم كلاماً يخرج من رأس رجل لو سمع به الدَّيْلَمُ لأسلموا.

وعن عمر[7] بن الخطاب أنه كتب إلى أهل الكوفة: (علموا نساءكم سورة النور).

ولما ختم سورة (المؤمنين) بأنه[8] لم يخلق الخلق عبثاً؛ بل خلقهم للأمر والنهي ابتدأ هذه السورة[9] بذكر الأمر والنهي وبيان الشرائع.

---

(١) اربع وستون... وهي: +، ز، ل، م.
(٢) أربع: اثنان، ز، ل، م.
(٣) الكوفة... عدد: ـ ، ز، ل، م.
(٤) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(٥) على: +، ز، م.
(٦) لموسم: بموسم، ز.
(٧) عمر: عمرو، ز.
(٨) بأنه: أنه، ل.
(٩) السورة: ـ ، ز.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾

القراءة

قراءة العامة بالرفع: «**سورةٌ أنزلناها**[١]»، **ثم اختلفوا**[٢] فقيل: هو خبر ابتداء محذوف، أي: هذه سورة؛ لأن العرب لا تبتدئ[٣] بالنكرة، عن الخليل. وقيل: هو ابتداء وخبره في «أنزلناها[٤]» عن الأخفش، وقرأ طلحة بن مصرف: «**سورةً أنزلناها**[٥]» بالنصب[٦] على معنى أنزلنا سورة، والكناية صلة زائدة، وقيل: اتَّبِعُوا سورة أنزلناها[٧]، والرفع أجود؛ لأنك شغلت الفعل عنها بما هو من[٨] سببها[٩]، كقولك: زيد ضربته.

قرأ[١٠] ابن كثير وأبو عمرو: «**وفرَّضناها**» بتشديد الراء، والباقون بالتخفيف،

---

(١) أنزلناها: +، ز، ل، م.

(٢) ثم اختلفوا: ـ ، ز، ل، م.

(٣) لا تبتدئ: لاتأمر، ز، ل، م.

(٤) أنزلناها: أنزلنا، ز، ل، م.

(٥) أنزلناها: + ، ز، ل، م.

(٦) بالنصب: ـ ، ز، ل، م.

(٧) أنزلناها: أنزلنا، ي.

(٨) هو من: ـ ، ل، م.

(٩) سببها: يشبها، ز.

(١٠) قرأ: وقرأ، ل.

وقيل: بالتشديد للتكثير والتخفيف اعتباراً بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص: ٨٥] والتخفيف[١] من فرضت، والتشديد معناه بيّنّاها.

قرأ ابن كثير: «رَأَفَةً»[٢] بفتح الهمزة والباقون بسكون[٣] الهمزة، وروي عنه: «رآفة» مهموزة ممدودة[٤] نحو: الكآبة والكَأْبَة، والسآمة والسَّأْمة، وكلها لغات، وقيل: القصر على الاسم، والمد[٥] بمعنى[٦] المصدر.

اللغة[7]

السورة: قطعة من القرآن مفردة غير متصلة[٨]، فلما ميزت[٩] سميت سورة كما يسمى ما كان على بناء واحد، وقافية قصيدة، وفي[١٠] النثر خطبة، عن أبي مسلم، وقيل: سميت بذلك؛ لأنها تحيط بالمقصود[١١] كسور المدينة، وقيل: مأخوذ من سؤر الماء، أي: بقيته[١٢]، فالسورة من القرآن كسؤر الماء من الماء.

والفرض: العلامة، وأصله الحَزّ الذي[١٣] يجعل في القِدْحِ[١٤] على مقدار ما رسم لها من الأنصباء، ليكون علامة له[١٥]، وقيل: الفرض التقدير، والفرق بين

---

(١) بالتشديد... والتخفيف: ـ، ز.
(٢) «رأفة»: +، ز، ل، م.
(٣) بسكون: سكون، ز.
(٤) ممدودة: ممدود. ل.
(٥) والمد: والممد، ي.
(٦) بمعنى: على، ل.
(٧) اللغة: ـ، ل.
(٨) متصلة: منفصلة، ل، م.
(٩) ميزت: تميزت، ل، م.
(١٠) في: +، ز، ل، م.
(١١) تحيط بالمقصود: محبط بمقصود، ي.
(١٢) بقيته: بقية، ي.
(١٣) الذي: التي، ز، ي.
(١٤) القدح: القراح، ز، ل، م.
(١٥) ليكون علامة له: ـ، ل.

الواجب والفرض في اللغة أن الفرض واجب بجعل جاعل؛ لأنه فرضه عليه كما أوجبه، والواجب قد يكون لا بجعل جاعل على نحو وجوب شكر المنعم[1].

فأما في الشرع فمنهم من قال: هما سواء، وإليه يذهب أصحاب الشافعي، ومنهم من قال: الفرض يثبت بطريق توجب العلم والعمل، والواجب ما للاجتهاد فيه مجال، وهو قول أصحاب أبي حنيفة.

والرأفة: الرحمة، ومنه الرؤوف، وفيها ثلاث لغات: سكون الهمزة، وفتحها، ومدها، قال الأخفش: الرأفة رحمة في ترجع.

والنكاح: يعبر به عن العَقْدِ، وعن الوطي جميعاً.

الإعراب

«**لا تأخذكم**» محله النصب لوقوع[2] الرأفة عليه.

واللام في قوله: «**وليشهد**» لام الأمر، وأصله للغائب، تقول: لِيَضْرِبْ زيد، وإذا حضر قيل: اضرب فلاناً[3]. طائفة[4] رفع[5]؛ لأنه فاعل[6].

«**ذلك**» رفع؛ لأنه اسم ما لم يسم فاعله.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ أجمع القراء على الرفع، ورفعه على الابتداء، وقيل: تقديره: فيما أنزلنا[7] عليكم الزانية، أو في الفرائض الزانية، ويجوز في العربية النصب؛ لأن الفعل قد شغل عنه بالضمير، كقولك: زيداً فاضربه، وعَمْراً كن له صديقاً.

---

(١) المنعم: النعمة، ز، ل، م.
(٢) لوقوع: بوقوع، ز، ل، م.
(٣) فلاناً: فلان، ز، ل، م، ي.
(٤) طائفة: إن، ز، ل، م، ي.
(٥) رفع: ـ، ل.
(٦) فاعل: +، ل.
(٧) أنزلنا: أنزلت، ل، م.

۞ النزول

من قال: المراد بقوله: «الزَّانِي لاَ يَنكِحُ» العقد، اختلفوا في سبب نزوله:

فقيل: قدم المهاجرون[١] المدينة وفيهم فقراء، وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب أناس[٢] في كسبهن، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في نكاحهن، فنزلت الآية: «وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ[٣]» صيانة للمؤمنين عن ذلك؛ لأنهن كن زانيات مشركات، عن مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة[٤]، والشعبي، والزهري[٥]، وأبي حمزة الثمالي، ورواية[٦] عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في بغايا مكة والمدينة، منهن تسع[٧] صواحب برايات[٨] يعرفن بها يسافحن: أم مهزول جارية للسائب[٩] بن أبي السائب، وأم عليط جارية صفوان بن أمية، وحبة القبطية جارية للعاص[١٠] بن وائل، ومزنة جارية مالك، وحلالة جارية سهيل بن عمرو[١١]، وأم سويد جارية عمرو[١٢] بن عثمان، وشريفة جارية زمعة بن الأسود، وفرسة جارية هشام، وقريب جارية هلال بن أنس، فكان[١٣] لا يدخل عليهن إلا زان أو مشرك، فأراد ناس[١٤] من المسلمين نكاحهن، فاستأذن رجل

---

(١) المهاجرون: المتأخرون، ي.
(٢) فرغب أناس: فذهب ناس، ي؛ فرغب الناس.
(٣) ذلك على المؤمنين: ـ، ز، ل، م.
(٤) رباح وقتادة: رباع وقتالة، ز.
(٥) الشعبي، والزهري: والزهري والشعبي، ز، ل، م.
(٦) ورواية: ورويته، ز، ل، م
(٧) تسع: سبع، ز، م.
(٨) برايات: روايات، ز، ل، م.
(٩) للسائب: السائب، ز، ل، م.
(١٠) للعاص: العاص، ز، ل، م.
(١١) سهيل بن عمرو: سهلبن عمر، ي.
(١٢) عمرو: عمر، ز، ي.
(١٣) فكان: وكان، ل.
(١٤) ناس: أناس، ز، ل، م.

رسول الله ﷺ وعلى[1] آله في نكاح أم مهزول، واشترط أن تنفق عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن عكرمة.

وقيل: نزلت في مَرْثَدٍ العنزي وعَنَاقَ زانية دعته إلى نفسها، فقال مرثد[2]: إن الله تعالى حرم الزنا، قالت: فانكحني، قال[3]: حتى أسأل رسول الله ﷺ وعلى[4] آله، فسأله فنزلت الآية، عن عمرو بن شعيب.

المعنى

«**سُورَةٌ**» أي: هذه سورة، قطعة من القرآن لها أول وآخر «**أَنزَلْنَاهَا**» أي: أتينا بها[5] وأعطيناها، وكما يكون سؤال العبد[6] دفعاً للحاجة، كذلك إعطاء السيد إنزالاً، وقيل: أمرنا جبريل أن ينزل بها، فأطلق إنزاله، والمراد جبريل نزل[7] بها[8]؛ لأنه[9] معلوم «**وَفَرَضْنَاهَا**» قيل: بيناها، وإذا شدد قيل: فصلنا بفرائض مختلفة، وقيل: جعلنا[10] عليكم وعلى مَنْ بعدكم إلى يوم القيامة، وقيل: معناه[11] فرضنا[12] فيها؛ لأن نفس السورة لا تكون مفروضة على العباد، وقيل: فصلنا السورة بالأحكام، «**وَأَنزَلْنَا فِيهَا**» في السورة «**آيَاتٍ**» دلالات «**بَيِّنَاتٍ**» واضحات[13] «**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**»

---

(١) على: +، م.
(٢) مرثد: ـ، ز، ل، م.
(٣) قال: +، ز، ل، م.
(٤) على: +، م.
(٥) أتينا بها: أتيناها، ز، ل، م.
(٦) العبد: العد، ز.
(٧) نزل: +، ز، ل، م.
(٨) بها: به، ي.
(٩) لأنه: ولأنه، ز.
(١٠) لانه... جعلنا: ـ، ل، م.
(١١) معناه: +، ز، ل، م.
(١٢) فرضنا: ـ، ز، ل، م.
(١٣) واضحات: +، ز، ل، م.

ليذكروا الدلائل[١] فتؤديهم[٢] إلى العلم بالمدلول، وقيل: الآيات الشرائع والأحكام التي فيها.

ثم ذكر تلك الآيات، وابتدأ بحكم[٣] الزاني، فقال سبحانه: «**الزَّانِيَةُ**» المرأة التي تزني «**وَالزَّانِي**» الرجل الذي يزني، وهذا إذا كانا حُرَّيْنِ بالغين بِكْرَيْن غير محصنين زنيا في دار الإسلام، والزنا وطء في فرج عارٍ عن عقد وشبهة، وليس [٤] كلُّ وطء حرام زنا؛ لأن[٥] وطء الحائض حرام والنفساء وليس بزنا، ولا[٦] كل وطء خالٍ عن عقد زنا؛ لأن مَنْ وجد على فراشه امرأة فظنها امرأته فوطئها فليس زنا[٧] «**فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**» قيل[٨]: إنه خطاب لجماعة المسلمين، واتفقوا أنه ليس لهم إقامة الحدود، فالمراد[٩] أنه يجب عليهم إقامة إمام يقوم بها ويقيمها، فلما كان إقامة الإمام إليهم أضاف الحد إليهم، وقيل[١٠]: بل[١١] هو خطاب للأئمة، وليس بالوجه[١٢]؛ لأن الآية عامة «**وَلاَ تَأْخُذْكُمْ**» أيها المسلمون «**بِهِمَا**[١٣]» بالزانيين «**رَأْفَةٌ**» رحمة، قيل: رأفة تمنع من إقامة الحد، عن مجاهد، وعكرمة، وعطاء[١٤]،

(١) الدلائل: +، ز، ل، م.
(٢) فتؤديهم: ـ، ز، ل، م.
(٣) بحكم: بذكر، ز، ل، م.
(٤) وليس: وليس في، ل، م.
(٥) لأن: إلا، ل، م.
(٦) ولا: وإلا، ز.
(٧) فظنها امرأته فوطئها فليس زنا: فوطئها لظنه أنها امرأته ليس بزاني، ز، ل، م.
(٨) قيل: وقيل، ي.
(٩) فالمراد: والمراد، ز، ل، م.
(١٠) وقيل: قيل، ي.
(١١) بل: ـ، ز، ل، م.
(١٢) بالوجه: الوجه، ل.
(١٣) بهما: بهما رأفة، ز.
(١٤) وعكرمة وعطاء: وعطاء وعكرمة، ل.

وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وسليمان بن يسار، وابن زيد، وقيل: تمنع من الجلدات الشديدة[1]؛ بل أوجعوهما ضرباً[2] [3]، عن الحسن، وسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي[4]، وحماد، قال الزهري: يجتهد في حد الزنا والفرية، ويخفف في حد الشرب، وقال[5] قتادة: يخفف في الشرب والفرية ويجتهد[6] في الزنا، قال حماد: يُحَدُّ[7] القاذف والشارب وعليهما الثياب، والزاني تخلع ثيابه، وتلا هذه الآية. «**فِي دِينِ اللَّهِ**» أي: في حكمه، وقيل: لا رأفة لأحد على الفساق في الدين «**إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» قيل: إن كنتم تصدقون أنكم مبعوثون ومحاسبون، وقيل: إن كنتم مؤمنين، فخالفوا من خالف أمري وارتكب ما نهيت عنه؛ لأن ذلك من شرط الإيمان، «**وَلْيَشْهَدْ**» و[8] «**عَذَابَهُمَا**» أي: موضع حدهما «**طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» أي: جماعة، تغليظاً لهما وإشهاراً، ولطفاً لغيرهما واعتباراً، وقيل[9]: أراد بالطائفة الشهود؛ لأنه يجب حضورهم، واختلفوا في الذين[10] يجب حضورهم، قيل: أقله رَجُلٌ، عن النخعي، ومجاهد، واحتجا بقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] وقيل: اثنان فصاعداً، عن عكرمة، وعطاء، وقيل: ثلاثة، عن الزهري، وقتادة، وأبي علي، وهو الذي يقتضيه ظاهر اللفظ، وقيل: أربعة بعد شهود الزنا، عن ابن زيد، وقيل: يحضر الشهود ليعلم بقاؤهم[11] على الشهادة، وقيل: عشرة، حكاه علي بن موسى القمي، عن الحسن، وأبي برزة. «**الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً**

---

(١) الجلدات الشديدة: الشديدة إلى زجوهما، ل.
(٢) بل أوجعوها ضرباً: ـ ، ز، م.
(٣) ضرباً: ـ ، ل.
(٤) الشعبي: والشعبي، ل، م.
(٥) وقال: قال، ز.
(٦) ويجتهد: ولايخفف، ز، ل، م.
(٧) يُحدُّ: هذا، ز، ل، م.
(٨) و: +، ز.
(٩) وقيل: قيل، ز، ل، م.
(١٠) الذين: الذي، ل، م.
(١١) بقاؤهم: لقاؤهم، ز، م؛ إبقاؤهم، ل.

﴿وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ قيل: المراد بالنكاح العقد، وكل[1] مشركات وزانيات مَنْهِيٌّ عن نكاحهن، عن جماعة من المفسرين، وقيل: كان هذا حكم في كل زان وزانية، ثم نسخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾، عن سعيد بن المسيب وجماعة، وادعى[2] أبو علي الإجماع[3] في نسخه، وقال بعضهم: نسخت بالإجماع، إلا أن[4] عندنا نسخ القرآن بالإجماع لا يجوز، وقيل: المراد به العقد، وذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأة لا يجوز له أن يتزوج بها، وهذا التحريم ثابت، روي[5] ذلك عن جماعة من الصحابة، ورواه إسماعيل بن إسحاق عن[6] ابن مسعود وعائشة، وروي مثله عن أبي بكر وعلي (عليهما السلام)[7]، وقيل: المراد بالنكاح الوطء، والمعنى الإشتراك في فعل الزنا، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقيل: هي زانية مثله، عن الضحاك[8]، وابن زيد. **﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾** على القول الأول ذلك[9] العقد، وعلى الثاني ذلك الوطء **﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾** وقيل[10]: ليس[11] ذلك من[12] أفعال المؤمنين[13] فهو تحريم عادة لا تحريم تَعَبُّدٍ، وقيل: تحريم تعبد[14]، وهو الظاهر.

---

(١) وكل: وقيل، ل، م.
(٢) وادعى: فادعى، ل.
(٣) الإجماع: للإجماع، ل، م.
(٤) أن: +، ز، ل، م.
(٥) روي: وروي، ل.
(٦) عن: ـ، ز.
(٧) (عليهما السلام): +، ز، ل، م.
(٨) عن الضحاك: والضحاك، ي.
(٩) ذلك: +، ز، ل، م.
(١٠) وقيل: قيل، ز، ل، م.
(١١) ليس: ـ، ز، ل، م.
(١٢) من: في، ز.
(١٣) المؤمنين: المؤمن، ي.
(١٤) وقيل: تحريم تعبد: +، ز، ل، م.

۞ الأحكام

الكلام في الآية يشتمل على فصول خمسة:

أولها: ما يدل عليه من الأحكام العقلية.

والثاني: ما يدل عليه من الأحكام الشرعية.

والثالث: حد الزنا وشرائطه.

والرابع: حكم الرأفة.

والخامس: حضور جماعة.

أما الفصل الأول: فدل قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ على حدث السورة والقرآن؛ لأن الإنزال والفرض والتقدير لا يجوز على القديم.

وتدل على أنه أنزل الكتاب ليتدبروا ويستدلوا، فثبت أنه يمكن[1] أن يُعْرَفَ المراد به من غير إمام وغيره.

وتدل على أنه أراد من الجميع التدبر خلاف قول المجبرة: إنه أراد من بعضهم ترك التدبر بل كره التدبر[2].

ويدل قوله: ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أنها مستقلة بنفسها، يمكن معرفة المراد بها[3] خلاف ما يقوله قوم[4]: أنه[5] لا يعرف بظاهره الأحكام، وأن له[6] باطناً على[7] ما[8] تزعمه القرامطة، وخلاف[9] قول من يقول: إنه لا يمكن معرفة المراد به على القطع وإن المرجع فيه إلى الإمام.

---

(١) يمكن: صح، ي.
(٢) بل كره التدبر: ـ، ز، ل، م.
(٣) بها: به، ي.
(٤) قوم: القوم، ز، ل، م.
(٥) أنه: لأنه، ز، ي.
(٦) له: لها، ز، ل، م.
(٧) على: ـ، ز، ل، م.
(٨) ما: كما، ز، ل، م.
(٩) وخلاف: وبخلاف، ز، ل، م.

ويدل قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ أن الزنا فِعْلُ العبد ليس بخلق الله تعالى[1]، ولذلك استحق[2] الجلد والعقوبة خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الزنا كبيرة.

وتدل على أن الزاني لا يطلق عليه أنه مؤمن على ما يقوله شيوخنا؛ لأنه فصل بين الزناة وبين[3] المؤمنين، كما فصل بين المشركين والمؤمنين.

وتدل على أن الزاني لا يصير مشركاً بزناه، خلاف[4] قول الخوارج؛ لأنه فصل بينهما.

وتدل على[5] أن حد الزنا في المُصِرّ عقوبة.

ويدل قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾ أن الفاسق لا يجوز أن يُرْحَمَ، حتى لا[6] يقام عليه ما وجب من الحد، أي: لما نهى عن الرحمة فلا يرحمه فهو خلاف قول المجبرة[7]، وإذا[8] نهى عن الرحمة عليه، فالنبيﷺ وعلى[9] آله لا يرحمه حتى لا[10] يشفع له[11]، فيبطل قولهم في الشفاعة، وإذا لم[12] يجز أن يرحم في جلدات، فكيف[13] يجوز أن يرحم[14] عذاب الآخرة.

ويدل قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ على[15] أن ذلك فعلهم؛ لاستحالة أن يحرم عليهم ما يخلقه فيهم.

---

(١) تعالى: +، ل، م.
(٢) استحق استحقوا، ز.
(٣) بين: +، ل، م.
(٤) خلاف: ـ، ز.
(٥) على: ـ، ز، ل، م.
(٦) لا: +، ز، ل، م.
(٧) أي... المجبرة: ـ، ز، ل، م.
(٨) وإذا: فإذا، ز.
(٩) على: +، ز، م.
(١٠) لا: +، ل، م.
(١١) له: +، ز، ل، م.
(١٢) إذا لم: والمراد ألم، ز.
(١٣) فكيف: وكيف، ز، ل، م، ي.
(١٤) جلدات وكيف يجوز أن يرحم: +، ز، ل، م.
(١٥) على: +، ل، م.

فأما الفصل الثاني: فتدل على حد الزنا، وهو جلد مائة، والظاهر أنه[1] لا يفصل بين البِكْر والمحصن، غير أن السنة والإجماع حصلا[2] أنهما في البكر غير المحصن، وغير العبد، فقالوا[3] في العبد: فيه[4] خمسون جلدة، وفي المحصن الرجم، وليس في الآية بيان ذلك، فلا بد من بيان ما[5] يجب فيه الجلد[6]، ومن يدخل فيه من[7] الزناة، ومن يخرج[8]، وقد ورد الشرع ببيان جميع ذلك.

وتدل على[9] أنه لا يجوز أن يرحم الزاني حتى لا تقام عليه الحدود[10]، وذلك في المُصِرّ[11]، وأما التائب فيجوز أن يرحم؛ لأن ما يقام عليه امتحان، وليس بعقوبة.

وتدل على وجوب حضور جماعة.

وتدل على تحريم عقد أو وطء على ما بينا من قبل.

فأما الفصل الثالث: حد الزنا ففيه فصول[12] خمسة:

منها: ما الزنا الموجب للحد؟

ومنها: من يدخل في الآية من الزناة؟

ومنها: كيفية الجلدات.

---

(١) أنه: +، ل، م.
(٢) حصلا: خص، ز، ل، م.
(٣) فقالوا: فقال، ز.
(٤) فيه: +، ز، ل، م.
(٥) ما: من، ز، ل، م.
(٦) الجلد: ـ ، ز، ل، م.
(٧) فيه من: بيت، ي.
(٨) يخرج: يجلد، ي.
(٩) على: ـ ، ل، م.
(١٠) الحدود: الحد، ز، ل، م.
(١١) في المصر: ـ ، ز.
(١٢) فصول: ـ، ز، ل، م.

ومنها: ما يثبت به[1] حد الزنا.

ومنها: من يقيمه[2]؟

فأما الزنا: فلا شبهة أن الوطء في الفرج وهما مُسْلمان أو ذميان مطاوعان، ولا علقة بينهما[3] بعقد أو ملك أو شبهة أنه زنا بالإجماع، ويجب الحد. وفيما[4] عدا ذلك اختلفوا فيه، والوطء فيما دون الفرج ليس بزنا بالاتفاق، فأما الوطء في الدبر فليس بزنا عند أبي حنيفة، وفيه التعزير، وقال أبو يوسفومحمد: فيه حد الزنا، واختلف أقوال الشافعي فيمن يعمل عمل قوم لوط، وإذا[5] تزوج بمحرمه[6] ووطئها فليس بزنا عند أبي حنيفة، وهو زنا عند الشافعي، ويجب الحد، وهو اختيار قاضي[7] القضاة، وإذا استأجرها ليزني بها فلا حد عند أبي حنيفة، ويجب[8] عند الشافعي، وإذا أكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها بالاتفاق، فأما إذا[9] أكره الرجل، فمنهم من قال: لا يسقط الحد، وهو قول أبي حنيفة، ومنهم من قال: يسقط؛ لأنه ليس بزنا، ومنهم من قال: هو زنا، ويسقط الحد للشبهة، قال القاضي: والصحيح أنه ليس بزنا، ولا يوجب الحد؛ لأن عند الإكراه يخرج ذلك[10] من كونه فعلاً له، ويصير كأنه فعل المكره، وكذلك الحربي إذا زنا فلا حد عليه.

فأما من يدخل في الآية: فاختلفوا فعند الفقهاء بأسرهم يدخل فيها[11] بعض الزناة، وفي بعض قالوا بالرجم، وقالت الخوارج: الكل داخل فيها، ونفوا الرجم،

(١) به: فيه، ز.
(٢) يقيمه: يقيمها، ي.
(٣) بينهما: منهما، م، ي.
(٤) وفيهما: فيما، ز، ل، م.
(٥) وإذا: فإذا، ز، ل، م.
(٦) بمحرمه: محرمه، ل.
(٧) قاضي: ـ، ز، ل، م.
(٨) يجب: ويحد، ز، ل، م.
(٩) فأما إذا: وإذا، ز، ل، م.
(١٠) ذلك: ـ ز، ل، م.
(١١) فيها: فيه، ي.

وهم محجوجون بالإجماع، واختلف الفقهاء فمنهم من قال: يجلد ويرجم إذا كان محصناً، ويجلد إذا كان[١] غيرمحصن[٢]، وهو قول الهادي للحق[٣] عليه السلام، وبعض الظاهرية قالوا[٤]: أحدهما لا ينافي الآخر، والشرع ورد بهما، وأكثر الفقهاء يقولون: إن الآية في غير المحصن، والرجم في المحصن، ولا يجمعون بين الرجم والجلد، وقد وردت السنة بذلك[٥].

واختلفوا في العبد والأمة فعند الأكثر لا يدخلون تحت الآية، لقوله: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[٦] [النساء: ٢٥] وعند بعضهم يدخل، وكذلك الذمي الأكثر أنه يدخل، فأما الصبي والمجنون فلا يتناوله الظاهر بالاتفاق.

فأما الجلدات: فلا خلاف في مقدارها إلا ما بينا في العبد، وقد بينا[٧] ما قيل في الجلد: أيهما أشد، فالذي عليه أصحاب أبي حنيفة أن أشد الضربات[٨] التعزير، ثم حد الزنا، ثم حد الشرب، ثم حد الفرية.

اختلفوا في النفي مع الجلد، فنفاه فقهاء العراق، وأثبته فقهاء الحجاز، هو قول[٩] الهادي عليه السلام.

ولا خلاف أنه يفرق على الأعضاء، وروي ذلك عن علي عليه السلام[١٠] وابن مسعود، ولا يضرب على المَقَاتِل، واختلفوا قال أبو حنيفة: لا يضرب على الرأس، وقال أبو يوسف: يضرب. ولا يضرب الوجه والفرج بالاتفاق.

(١) كان: ـ، ز، ل، م.
(٢) غير محصن: المحصن، ي.
(٣) للحق: ـ، ز، ل، م.
(٤) قالوا: +، ل، م.
(٥) بذلك: كذلك، ي.
(٦) فعليهنَّ... للعذاب: +، ل، م.
(٧) في العبد، وقد بينا: ـ، ز، ل، م.
(٨) الضربات: الضرب، ل.
(٩) وهو قول: ولم يثبته، ز، ل، م.
(١٠) عليه السلام: +، ل، م.

فأما ما يثبت به الزنا: فإما أن يثبت بالشهادة، فلا بد فيه[1] من أربعة رجال بالاتفاق، يشهدون أنهم عاينوهما، ورأوا كالمِيلِ في المُكْحُلَة، ولا تقبل شهادة النساء، ولا الشهادة على الشهادة، ولا كتاب القاضي.

وأما[2] الإقرار: فلا يثبت إلا بأربعة[3] أقارير[4]، في أربعة مجالس، وقال الشافعي: يثبت[5] بإقراره مرة، ويسأل القاضي عن عقله، ومن زنى[6] به، وموضعه، وهل[7] كان شبهة، ويلقنه ألاّ يقر، ويعرض عنه، فإذا تحقق الزنا أمر بإقامة الحدّ[8]، ولا يحكم في الحدود بالنكول، وإذا أقر الذمي يحد عندنا، وقال مالك: لا يُحَدُّ، وإذا[9] أقر العبد يحد، وكذلك[10] المولى يقام[11] عليه الحد، وقال زفر: لا يقام، قال الطحاوي: لم يوافقه على ذلك أحد غير عمرو بن دينار.

فأما من يقيمها: فالإمام أو من[12] يقوم مقامه، واختلفوا فقال أبو حنيفة: السيد لا يقيم على عبده وأمته، وهو اختيار القاضي، وعليه نقل إجماع الصحابة، وقال الشافعي: يقيمه، فأما المتغلب فمنهم من قال: ليس له أن يقيم الحد[13]؛ لأنه من حقوق الإمام، ومنهم من قال: له[14] إقامة الحد.

---

(١) فيه: +، ز، م.
(٢) وأما: فأما، ل.
(٣) بأربعة: بأربع، ز، ل.
(٤) أقارير: أكادير، ز.
(٥) يثبت: ـ، ل، م.
(٦) زنى: يزني، م، ي.
(٧) وهل: فهل، ل.
(٨) بإقامة الحد: أمر بالحد، ي.
(٩) وإذا: إذا، ز، ل، م.
(١٠) وكذلك: وكذبه، ي.
(١١) يقام: يقيم، ل، م.
(١٢) أو من: ومن.
(١٣) الحد: ـ، ز، ل، م.
(١٤) له: ـ، ز، ل، م.

فأما الفصل الرابع: وهو حكم الرأفة، فقد بينا ما قيل فيه[1]، وبينا الفصل بينه وبين من يرحم، وهو التائب.

فأما الفصل الخامس: حضور جماعة، فقد بينا ما قيل فيه، والعدد المشروط، وبينا أن الأصح أنه لا بد من حضور ثلاثة؛ لأنه أقل الجمع، وإذا ثبت الزنا بالشهود، فيبدأ بالشهود في الرجم بالرمي[2]، ثم الإمام، ثم الناس، فإن غاب الشهود أو ماتوا[3]، أو عميوا[4] أو خرسوا سقط الحد عند أبي حنيفة ومحمد، قال أبو يوسف: لا يسقط الحد، ويبدأ الإمام، فإذا ثبت بالإقرار، فالإمام يبدأ، ثم الناس، والكلام في تفصيل هذا في كتب الفقه.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

اللغة

الرمي: أصله أن يرمي بسهم أو حجر[5] أو نحوه، رمى يرمي رمياً، ثم يستعمل في الكلام توسعاً وتشبيهاً، فيقال: رماه بالكفر والفسق والزنا.

والإحصان في كلام العرب: أصله[6] المنع، فالمرأة مَحْصَنَةُ بالإسلام؛ لأن الإسلام يمنعها من المحظورات، ومحصنة بالعفاف والحرية والتزويج، وأحصن الرجل فهو محصن إذا[7] تزوج ودخل بها، وأحصنت المرأة فهي مَحْصَنٌ ومحصنة،

---

(١) فيه: +، ز، ل، م.
(٢) بالرمي: بالمرمي، ل.
(٣) ماتوا: وماتوا، ز، ل، م.
(٤) عميوا: أوغمروا، ي.
(٥) حجر: بحجر، ل.
(٦) أصله: أصله أصله، م.
(٧) إذا: أو، ز.

وامرأة[1] حصان و[2]حاصن بَيِّنَةُ الحصانة، وفرس بَيِّنُ التحصين، وقيل: سمي بذلك لأنه ضن[3] بمائه ومنع، فلم ينز إلا على كريمة[4]، ثم كثر فيسمى كل ذكر من الخيل حصاناً، ويقال: لكل ممنوع محصن، وامرأة محصنة بفتح الصاد وكسرها، وبناء حصين: بَيِّن الحصانة، ومنه[5] الحصن المعروف.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في عائشة وفي قذفها، عن سعيد بن جبير.

وقيل: نزلت في نساء المؤمنين، عن الضحاك.

۞ المعنى

ولما تقدم ذكر حد الزنا، عقبه بحد[6] من قذف بالزنا زجراً عن القذف، كما أن الأول زجر[7] عن الزنا، فقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ**» أي: يشتمون ويقذفون، وهو أن يرميها بالزنا «**الْمُحْصَنَاتِ**» قيل: النساء[8] الحرائر المسلمات العفيفات، وقيل: المنكوحات، والأول: الوجه.

واختلفوا في المرأة إذا قذفت رجلاً مع اتفاقهم أنه يجب عليها حد القذف[9]، فقال بعضهم[10]: يعلم حكمها قياساً على الرجل إذا قذف امرأة، وقال بعضهم:

---

(١) وامرأة: والمرأة، ل.
(٢) حصان و: +، ز، ل، م.
(٣) ضن: حصن، ز، ل، م.
(٤) عقبه بحد: كفريمه، ز، م.
(٥) منه: ـ ، ز، ل، م.
(٦) عقبه بحد: بذكر حد، ز، ل، م.
(٧) زجر: زجراً، ل، ي.
(٨) قيل: [النساء] : ـ ، ز.
(٩) القذف: القاذف، ز، ل.
(١٠) بعضهم: ـ ، ز، ل، م.

المراد بالمحصنات الفروج المحصنة[1]، أي[2]: الممنوعة من المحظورات؛ لأن الإحصان صفة الفرج لقوله: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١] فالظاهر[3] تناول الذكر والأنثى، وقيل: في هذه الآيات[4] حكم[5] الإناث حكم الذكور في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾ ولا شيء في ذلك أبلغ من[6] القذف. وقيل: يعرف حكمها بالإجماع. «**ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**» يشهدون على صحة[7] ما رماها به من الزنا «**فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**» الخارجون عن طاعة الله، ثم استثنى «**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا**» عملهم[8] «**فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» يغفر ما سلف منه، ويدخله الجنة برحمته.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن[9] القاذف يُحَدُّ ثمانين جلدة، وهذا القذف أن يرمي بالزنا ونحوه مِنْ نَفْيِ الولد، فأما الرمي بغير ذلك وإِنْ عَظُمَ فلا حد فيه، وإنما فيه التعزير، نحو[10] أن يرميه بالكفر ونحوه، قيل: لأن الرمي بالزنا[11] أكبر، فاحتيج إلى زجر، والرمي[12] بالكفر يقل، وقيل: ذاك عذاب يتعداه، فاحتيج إلى زيادة زجر[13] بخلاف

(١) المحصنة: الحصنات، ز، ل، م.
(٢) أي: ـ، ز، ل، م.
(٣) فالظاهر: والظاهر، ل، م.
(٤) هذه الآيات: الآيات، ي.
(٥) حكم: وحكم، ز، ل، م.
(٦) في ذلك أبلغ من: أبلغ في ذلك أبلغ من، ز، ل، م.
(٧) صحة: ـ، بصحة، ز، ل، م.
(٨) عملهم: ـ، ز، ل، م.
(٩) أن: ـ، ز، ل، م.
(١٠) نحو: ونحو، ل.
(١١) لأن الرمي بالزنا: إلاأن الزنا، ز.
(١٢) الرمي: بالرمي، ل.
(١٣) زجر: وزجر، ز، ل، م.

الكفر، وقيل: لأن للكفر علامة يعلم[(١)] بها[(٢)]، فإذا لم يكن علم كذبه بخلاف الزنا، ودليل أن المراد به[(٣)] الرمي بالزنا قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ فشرط شهادة أربعة دل أنالذي رماه به يحتاج في إثباته إلى أربعة شهود[(٤)]، وما ذلك إلا الزنا، فقال[(٥)] القاضي: ولأن من جهة التعارف إنما يفهم[(٦)] إذا قيل: رمي[(٧)] فلان[(٨)]: الرمي[(٩)] بالزنا.

وتدل أن قذف المحصنة إنما يوجب الحد دون غيره، وهي الحرة المسلمة العفيفة البالغة العاقلة، ولا يجب بقذف الصبي والمجنون والذمي والزاني، ولا بد فيه من طلب[(١٠)]؛ لأنه وإن كان عقوبة فللآدمي حق في طلبه لأجل الشَّيْنِ الذي يلحقه في نفسه أو وَلِيِّهِ، فإن مات قبل الطلب لم يورث عند أبي حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي: يورث، وإذا قذف بعد موته فللولي الطلب؛ لأن الحق يثبت له، وإذا ثبت الحد لم يجز العفو[(١١)] [(١٢)] عند أبي حنيفة ومحمد، وقال أبو يوسف والشافعي: يصح العفو.

وتدل على[(١٣)] أن الحد إنما يجب إذا عجز عن[(١٤)] إقامة بينة، وهو أربعة شهود، فإذا شهدوا حد الزاني، ولا يحد القاذف.

---

(١) يعلم: تعلم، ز.
(٢) بها: ـ، ز، ل، م.
(٣) به: ـ، ز، ل، م.
(٤) شهود: شهداء، ز، ل، م.
(٥) فقال: قال، ل، م.
(٦) يفهم: فهم، ل، م.
(٧) رمي: +، ز، ل، م.
(٨) فلان: فلاناً، ز، ل، م.
(٩) الرمي: رمي، ي.
(١٠) طلب: طالب، ز، ل، م.
(١١) يجز العفو: تجز العقوبة، ز.
(١٢) عند أبي حنيفة... العفو: ـ، ل.
(١٣) على: ـ، ل، م.
(١٤) عن: من، ز، ل، م.

وتدل على[1] أن الحد يقدر ثمانين، وهذا[2] في الحر، فأما في[3] العبد فأربعين، ولذلك قلنا: العبد غير داخل في الآية.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً﴾

اختلفوا بِمَ[4] تبطل شهادتهم[5]؟

فقال أبو حنيفة: بضرب[6] الحد، وقيل: الحر[7] تقبل شهادته فإذا ضرب الحد لا[8] تقبل شهادته وإن[9] تاب، وقال[10] الشافعي: بالقذف[11] فقبل الحد[12] لا تقبل شهادته، وإذا تاب بعد الحد وأكذب نفسه تقبل[13] شهادته.

واختلفوا في الاستثناء إلى ما ذا يرجع؟

فقيل: إلى قوله: «**الفاسقين**» فإذا تاب خرج من كونه فاسقاً، ولا تقبل شهادته، عن شريح، وسعيد بن المسيب، والحسن، وإبراهيم، وهو قول أصحاب أبي[14] حنيفة.

وقيل: إلى قوله: «**الفاسقين**» وقوله: «**ولا تقبلوا لهم**[15]» فإذا[16] تاب تقبل

---

(١) على: ـ، ل، م.
(٢) وهذا: فهذا، ل.
(٣) في: ـ، ز، ل، م.
(٤) بم: لم، ز، ل، م.
(٥) شهادتهم: شهادته.، ز، ل، م.
(٦) بضرب: لضرب، ز، ل، م.
(٧) الحر: الحد، ز.
(٨) لا: لم، ز.
(٩) إن: وإذا، ل.
(١٠) وقال: قال، ل.
(١١) بالقذف: القذف، ل.
(١٢) فقبل الحد: يقبل الحر، ي.
(١٣) تقبل: قبلت، ل.
(١٤) أبي: أبو، ز.
(١٥) لهم: +، ز، ل، م.
(١٦) فإذا: وإذا، ز، ل، م.

شهادته، عن عطاء، وطاووس، والزهري، والشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك، وهو قول الشافعي، ومذهب[1] الهادي عليه السلام، وروي نحوه عن عمر[2] قال لأبي[3] بكرة لما شهد على المغيرة وحد[4]: إن تبت قبلت شهادتك، فأبى أبو بكرة أن يُكذِّبَ نفسه.

ومتى قيل: أليس[5] الكافر والفاسق إذا تابا تقبل[6] شهادتهما؟

قلنا: لأن هناك رد الشهادة تعلق بالفسق، فإذا زال[7] قبلت، وهاهنا تعلق[8] بالحدود وذلك لا يزول[9]، ولأنهم أجمعوا أنه لا يرجع الاستثناء إلى قوله: «**فاجلدوهم**» دل أنه يقتضي ما[10] بينه[11]، ولأن[12] الكلام إذا كان مستقلاً بنفسه لا يعلق[13] بغيره، والاستثناء غير مستقل بنفسه تعلق بما قبله، فصار مستقلاً فلا[14] يعلق بغيره، ولأنهم أجمعوا أنه يرجع إلى ما بينه، واختلفوا[15] فيما عداه ولا دليل.

واختلفوا في التوبة: قيل: أن يرجع[16] ويُكَذِّبَ نفسه، وقيل: الندم على ما فات ولا يحتاج[17] إلى تكذيب، وقيل: الله تعالى جعل حكم القاذف ثلاثة أشياء: الحد،

---

(١) مذهب: +، ز، ل، م.
(٢) عن عمر: عن ابن عمر، ز، ل، م.
(٣) لأبي: لأنه، ز، ل، م.
(٤) وحد: واحد، ز.
(٥) أليس: ليس، ز، ل، م.
(٦) تقبل: قبلت، ل.
(٧) زال: أزال، ز.
(٨) تعلق: تتعلق، ل.
(٩) لا يزول: لايزال، ز.
(١٠) ما: بما، ل، م.
(١١) بينه: ثلاثة، ز، ل، م.
(١٢) ولأن: لأن، ل.
(١٣) يعلق: لايتعلق، ز، ل، م.
(١٤) فلا: ولا، ز، ل، م.
(١٥) واختلفوا: وأجمعوا، ل.
(١٦) يرجع: رجع، ل.
(١٧) ولا يحتاج: والاحتاج، ز.

والفسق، ورد الشهادة، ثم اتفقوا أن الحد لا يسقط بالتوبة، والفسق يسقط، فكان رد الشهادة بالحد أشبه لأنه يكون امتحاناً بخلاف الفسق.

وتدل على[(١)] أن اسم الفسق من أسماء الذم وهو[(٢)] شرعي.

وتدل على أن القذف كبيرة.

وتدل على أنه فعل العبد ليس بخلق الله تعالى؛ لاستحالة أن يخلق القذف في لسانه، ثم يأمر بضرب الحد، ويسميه فاسقاً، ويحكم برد شهادته، ويذمه ويعاقبه، وإليه وجوده وعدمه، تعالى الله[(٣)] عن ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «**أربعُ شهادات**» برفع العين على الابتداء والخبر، «**فشهادة أحدهم**» ابتداء و«**أربع**» خبره، وقرأ الباقون بنصب العين على تقدير أن يشهدوا[(٤)] أربع شهادات.

قرأ حفص عن عاصم: «**والخامسةَ**» بالنصب على تقدير: وليشهد[(٥)] الشهادة الخامسة، والباقون بالرفع على الابتداء، وخبره في (أَنّ).

---

(١) على: ـ، م.
(٢) وهو: وهي، ز.
(٣) الله: ـ، ز، ل، م.
(٤) شهدوا: يشهد، ز، ل، م.
(٥) وليشهد: ويشهد، ز، ل.

قرأ نافع: «أَنْ لَعْنَةُ الله» بتخفيف (أن) ورفع (لعنة)، و«أن غضب» بتخفيف (أَنّ) وفتح «غَضِبَ»، وبكسر الضاد على الفعل، مثل سمع، والباقون بتشديد النونين، وما بعدهما، نصب «غضب» بفتح الضاد على الإسم، فمن نصب فلأن أن[١] المشددة تنصب ما[٢] بعدها[٣]، ومن رفع فلأن (أن)[٤] الخفيفة ما بعدها يكون[٥] مرفوعاً[٦].

وقرأ يعقوب والمفضل عن عاصم: (أَنْ) و(أَنْ) مخففتين، و(غضبُ) بالرفع.

اللغة

الدَّرْءُ: الدفع، دَرَأت الشيء دَرْأً دَفَعْتُهُ، وفلان ذُو تَدْرَإٍ[٧]، أي: قوي على دفع أعدائه عن نفسه.

وأصل العذاب في كلام العرب: الضرب، يقال: عذبته ضربته، وعَذَبَةُ السوط: طرفه؛ لأنه به يضرب، وعَذَبَةُ الشجر: غصنه، والمعذوب[٨]: المحبوس.

الإعراب

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ [٩] رفع شهادة[١٠] من وجهين:

أحدهما: فعليه شهادة أحدهم كأنه قيل: فعليه شهادته[١١]، أو يقدر: فشهادة[١٢] أحدهم عليه.

---

(١) أن: +، ز.
(٢) ما: +، ز، ل، م.
(٣) بعدها: بعده، ي.
(٤) أن: ـ، ل، م.
(٥) ما بعدها يكون: يكون ما بعدها، ل، م.
(٦) مرفوعاً: رفعاً، ز، ل، م.
(٧) تدرإ: ذو درأ، ز، ل، م.
(٨) والمعذوب: والمعذب، ل، م.
(٩) فشهٰدة أحدهم اربع شهدات: ـ، ز، ل، م.
(١٠) رفع شهادة: +، ز، ل، م.
(١١) أحدهم كأنه قيل: فعليه شهادته: +، ز، ل، م.
(١٢) أو يقدر: فشهادة: أويقذف بشهادة، ز، ل، م.

والثاني[1]: أن يكون ابتداء وخبره: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [2] كسر (إن[3] [في قوله: «إنه»[4] لأجل اللام التي بعدها في قوله: ﴿لَمِنَ﴾.

﴿ٱلْعَذَابَ﴾ نصب لأنه مفعول، والفاعل (أن يشهد)، كأنه قال: ويدرأ عنها الشهادة[5] العذاب.

وجواب «لولا» محذوف تقديره: ولولا[6] فضل الله عليكم لَعَاجَلَكُمْ[7] بالعقوبة ولفضحكم.

النزول

قيل: نزلت الآية في قصة عاصم بن عدي، وامرأة عويمر، وشريك بن السمحاء[8]، عن ابن عباس، ومقاتل.

وقيل: نزلت في قصة هلال بن أمية وامرأته، عن ابن عباس بخلاف.

فأما قصة عاصم فقيل: لما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ قرأها رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة، قال عاصم[9] بن عدي: (جعلني الله فداك، إن[10] رأى رجل منا مع امرأته رجلاً، فَأَخْبَرَ بما رأى جُلِدَ ثمانين جلدة، وسماه[11] المسلمون فاسقاً، ولا تقبل شهادته أبداً، وكيف لنا بالشهداء، ونحن إذا التمسنا الشهداء لكان[12] الرجل

(١) والثاني: الثاني، ل، م.
(٢) إنه: فإنه، ل.
(٣) إن: اللام، ز، ل، م.
(٤) في قوله: «إنه»: +، ز، ل، م.
(٥) الشهادة: +، ز، ل، م.
(٦) ولولا: لولا، ز، ل، م.
(٧) لعاجلكم: لعاجلهم، ل، م.
(٨) السمحاء: السحماء، ز، ل، م.
(٩) قال عاصم: بن عاصم، ز، ل، م.
(١٠) إن: +، ز، ل، م.
(١١) وسماه: فسماه، ل، م.
(١٢) لكن: كان، ز، م.

قد فرغ من حاجته، فإن قتله قُتِل[١] به، وإن سكت سكت على غيظ شديد، اللهم بَيِّنْ)، وكان لعاصم ابن عم[٢] يقال له: عويمر، وله امرأة تسمى خولة بنت[٣] قيس، فأتى عويمر عاصماً فقال: رأيت شريك بن السمحاء على بطن امرأتي خولة، وكانا من بني أعمام عاصم أيضاً، فاسترجع عاصم، وأتى[٤] رسول الله ﷺ في الجمعة الأخرى وقال: يا رسول الله، أما إني ابتليت بالسؤال الذي سألت في أهل بيتي، وقص قصة شريك وخولة، فقال ﷺ وعلى[٥] آله لعويمر: «اتق الله في زوجتك وحليلتك وابنة عمك»، فقال: يا رسول الله صلى الله عليك[٦]، أقسم بالله لقد رأيت شريكاً على بطنها وهي حبلى، ولم أقربها منذ أربعة أشهر، وأنكر شريك والمرأة ما ذكره[٧]، فنزلت الآية، وأمر[٨] فنودي: الصلاة جامعة، ثم قال لعويمر: «قم» فقام وشهد أربع[٩] مرات: أشهد بالله أن خولة زانية وأني لصادق، وقال في الخامسة: لعنة الله على عويمر إن كان من الكاذبين فيما قال على خولة، ثم قال لخولة: «قومي»، فقامت وشهدت[١٠] أربع شهادات أنه لكاذب[١١] فيما رماها به وما هي بزانية، وقالت في الخامسة: غضب الله عليها إن كان صادقاً، ففرق[١٢] بينهما، ثم قال: «إن جاءت به كذا، فهو لشريك، وإن جاءت به[١٣] كذا فهو لغيره[١٤]»، فقال

(١) قتل: قيل، ز.
(٢) ابن عم: عمر، ز.
(٣) بنت: ابنة، ي.
(٤) وأتى: إلى، ز، ل، م.
(٥) على: +، ز، م.
(٦) صلى الله عليك: +، ز، ل، م.
(٧) ذكره: ذكر، ي.
(٨) وأمر: فأمر، ز، ل، م.
(٩) أربع: ثلاث. ي.
(١٠) وشهدت: فشهدت، ز.
(١١) لكاذب: كاذب، ي.
(١٢) ففرق: ثم فرق، ز.
(١٣) جاءت به: +، ز، ل، م.
(١٤) فهو لغيره: لعويمر، ز، ل، م.

ابن عباس: فجاءت بأشبه خلق الله بشريك[(١)]، فقال ﷺ: «لولا هذه الأيمان لكان لي ولها[(٢)] شأن».

فأما[(٣)] قصة هلال: فروى[(٤)] عكرمة عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ قال سعد[(٥)] بن عبادة: لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أُهَيِّجَهُ ولا أحركه حتى آتي[(٦)] بأربعة شهداء، فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب، وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين[(٧)] جلدة! فقال ﷺ: «يا معشر الأنصار أما تسمعون[(٨)] إلى ما قال سيدكم»، فقالوا: لا تلمه فإنه[(٩)] رجل غيور[(١٠)]، فقال سعد: إني لأعرف أنها من الله، وأنها الحق[(١١)]، ولكن عجبت من[(١٢)] ذلك، فقال ﷺ وعلى[(١٣)] آله: «فإن الله يأبى إلا ذاك[(١٤)]»، فقال سعد: صدق الله ورسوله، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء خبر ابن عم له[(١٥)] يقال له: هلال بن أمية من حديقة[(١٦)] له، فرأى رجلاً مع امرأته، فلما أصبح غدا إلى النبي[(١٧)] ﷺ وعلى[(١٨)] آله وسلم[(١٩)] فقال:

---

(١) بشريك: لشريك، ز، ل.
(٢) ولها: ولهما، ل.
(٣) فأما: وأما، ز، ل، م.
(٤) فروى: فروي فروي، ز.
(٥) سعد: سعيد، ز، م، ي.
(٦) آتي: يأتي، ز.
(٧) لثمانين: ثمانين، ل، م.
(٨) تسمعون: ألا تسمعوا، ز، ل، م.
(٩) فإنه: لأنه، ل، م.
(١٠) غيور: غور، ز.
(١١) الحق: لحق، ز، ل، م.
(١٢) من: ـ، ل، م.
(١٣) على: +، ز، م.
(١٤) ذاك: لإدراك، ل، م.
(١٥) له: ـ، ل، م.
(١٦) من حديقة: بن حذيفة، ل.
(١٧) النبي: رسول الله، ل.
(١٨) على: +، ز، م.
(١٩) وسلم: +، م.

إني جئت أهلي عشاء[1] فوجدت[2] رجلاً معها رأيته بعيني، وسمعته بأذني، فكره[3] ذلك[4] رسول الله صلى الله عليه[5]، حتى رأى الكراهة في وجهه، فقال هلال: إني لأرى الكراهة في وجهك، والله يعلم أني لصادق، وإني لأرجو أن يجعل الله فرجاً، فَهَمَّ رسول الله ﷺ وآله[6] بضربه، واجتمعت الأنصار، وقالوا[7]: ابتلينا بما قال سعد، أن يجلد هلال[8] وتبطل شهادته، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ الآيات، فقال رسول الله: «يا هلال[9] فإن الله تعالى[10] قد جعل فرجاً»، فقال: كنت أرجو ذلك، واجتمعا عند رسول الله ﷺ وآله[11] فقال: «إن أحدكما[12] كاذب فهل من تائب»، فقال هلال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي لقد صدقت، «فَلاَعَنَ بينهما»، فلما شهد هلال أربع مرات قال ﷺ في[13] الخامسة: «اتق الله يا هلال، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه[14] الخامسة هي الموجبة»، فقال هلال: والله لا يعذبني عليها، وشهد الخامسة، ثم شهدت المرأة[15] أربع شهادات، فقال عند الخامسة: «اتق الله فإنها موجبة»، فَهَمَّتْ بالاعتراف، ثم قالت: لا أفضح قومي، فشهدت الخامسة، ففرق بينهما، وقضى أن الولد لها، ولا يُدعى لأب.

---

(١) عشاء: عشياً، ز.
(٢) فوجدت: وجدت، ل، م.
(٣) فكره: وكره، ز، م، ي.
(٤) ذلك: ـ، ل، م.
(٥) صلى الله عليه: ـ، ز.
(٦) وآله: ـ، ز، ل، م.
(٧) وقالوا: وقالت، ز.
(٨) هلال: هلالاً، ي.
(٩) وتبطل... يا هلال: ـ، ز.
(١٠) تعالى: +، ز.
(١١) وآله: ـ، ز، ل، م.
(١٢) أحدكما: آخركما، ز.
(١٣) في: +، ز، ل، م.
(١٤) هذه: ـ، ز، م.
(١٥) المرأة: الامرأة، ز، ل، م.

المعنى

لما تقدم حكم[1] قذف الأجنبيات بين حكم قذف الزوجات، فقال تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ» بالزنا[2]«وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ» يشهدون على صحة ما قالوا «إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فيما رماها به من الزنا «وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فيما رماها به من الزنا «وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ» أي: يدفع، قيل: حد الزنا، وقيل: الحبس؛ لأنه لا تتم البينة حتى تأتي[3] بأربعة شهود[4] أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ[5]» يعني الزوج يكذب فيما يقول علي «وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّـهِ»[6] عقابه «عَلَيْهَا إِنْ كَانَ» الزوج «مِنَ الصَّادِقِينَ» فيما رماها به من الزنا «وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ» بالإمهال لعاجلكم بالعقوبة والفضيحة ولهلكتم، وقيل: لولا فضل الله بالنهي عن الزنا والفواحش وإقامة الحدود لتهالك[7] الناس، ولفسد النسل، وانقطعت[8] الأنساب، عن أبي مسلم، وقيل: لولا فضله بقبول التوبة وإلا حمل[9] القنوط[10] ـ من رحمته ـ العاصي على الإصرار[11] ولهلكتم، وهذا[12] هو الوجه، ولذلك اتصل بقوله: «تَوَّابٌ»، «وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ[13]» قيل: كثير قبول التوبة «حَكِيمٌ» فيما فَعَلَ وأَمَرَ ونهى.

---

(١) حكم: ـ، ز، ل، م.
(٢) بالزنا: ـ، ز.
(٣) حتى تأتي: +، ز، ل، م.
(٤) شهود: شهداء، ل، م.
(٥) الكاذبين: الصادقين، ل، م.
(٦) ان غضب الله: غضب الله عليه، ز، ل، م.
(٧) لتهالك: لهلك، ل، م.
(٨) وانقطعت: وانقطع، ز، ل، م.
(٩) وإلا حمل: وإلا حل، ز، ل، م.
(١٠) القنوط: على القنوط، ي.
(١١) على الإصرار: بالإصرار، ل، م.
(١٢) وهذا: هذا، ز.
(١٣) حكيم: +، ل.

۞ الأحكام

تدل الآيات[1] على[2] أن القاذف يستحق اللعنة، والزاني يستحق الغضب، وكلاهما يرجعان إلى العقوبة.

وتدل على[3] أن موجب قذف الزوجات اللعان، وسنبين الخلاف فيه.

وتدل على كيفية اللعان.

وتدل على أن اللعان[4] إنما يثبت إذا لم يكن هناك بينة، وإن كانت بينة فلا لعان.

وتدل على أن مَنْ ليست له[5] بزوجة[6] لا[7] يثبت بينهما اللعان، كالمعتدة من طلاق[8] بائن.

وتدل على[9] أن الأمر لا يتم إلا بمجموع[10] هذه الأعداد خلاف من يقول: إذا أتى بأكثره فكأنه أتى بكله[11].

وتدل على[12] أن القذف ليس بكفر ولا الزنا على ما تزعمه الخوارج؛ إذ لو كان كذلك لكان الزوج يزعم أنها مرتدة، فتحرم عليه قبل اللعان، فلما أجمعوا على خلافه صح ما قلنا.

وتدل على أن القذف والزنا فِعْلُ العبد لذلك تعلق به العقوبات والأحكام من الأمر والنهي.

---

(١) الآيات: الآية، ز، ل، م.
(٢) على: ـ، ل، م.
(٣) على: ـ، ز، ل، م.
(٤) وسنين الخلاف. . . أن اللعان: ـ ز، ، ل، م.
(٥) له: +، ز، ل، م.
(٦) بزوجة: زوجة، ل.
(٧) لا: ولا، ز.
(٨) من طلاق: بطلاق، ز، ل، م.
(٩) على: ـ، ل، م.
(١٠) بمجموع: إلا بجميع، ز.
(١١) بكله: بشكله، ز، ل، م.
(١٢) على: ـ، ل، م.

مسائل اللعان

يشتمل على ثمانية فصول:

أولها: ما اللعان؟

وثانيها: من يجري بينهما اللعان؟

وثالثها: في أي موضع يلاعن؟

ورابعها: صفة اللعان.

وخامسها: فرقة اللعان.

وسادسها: ما يسقط اللعان.

وسابعها: ما يجب اللعان به.

وثامنها: حكم المهر في اللعان، وتفصيلها في كتب الفقه، ونشير إلى جملها.

أما الأول: فاللعان شهادة مؤكدة باليمين عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد والشافعي: يمين، ومن فروعه[١]: إذا لاعن عند القاضي ثم عُزِلَ أو مات قبل التفرق، فالقاضي الثاني يستقبل[٢] اللعان، وقال محمد: لا يستقبل[٣]، واختلفوا فقال أصحاب أبي[٤] حنيفة: يوجب[٥] قذف الزوج اللعان، فإذا امتنع منه حبس حتى يلتعن[٦] أو يُكذِّب[٧] نفسه.

وقال الشافعي: موجب القذف الحد يسقطه[٨] الزوج عن[٩] نفسه باللعان، فإذا امتنع يضرب حد القذف.

---

(١) أما الأول فاللعان. . . فروعه، ـ ، ل.
(٢) يستقبل: يستقيل، م.
(٣) لا يستقبل: لايستقيل، م.
(٤) أبي: أبو، ز، ل، م
(٥) يوجب: موجب، ز، م، ي.
(٦) يلتعن: بتلعن، ل.
(٧) يكذب: كذب، ز، ل، م.
(٨) يسقطه: يسقط، ز.
(٩) عن: من، ل.

وقال[١] مشايخنا: موجب القذف كان الحد [ثم] نسخ في الزوجات، وبقي[٢] في الأجنبيات.

فأما[٣] الثاني: فعندنا لا يجب في[٤] اللعان إلا إذا كان الزوج من أهل الشهادة على المسلمين، وكانت الزوجة ممن يُحَدُّ قاذفها، ولم تكن محدودة في قذف. وقال الشافعي: كل زوج صح طلاقه صح[٥] لِعانُهُ، فلا يثبت عندنا إلا بين حُرَّيْن زوجين بالغين عاقلين غير محدودين في القذف، وكان النكاح بينهما صحيحاً، ولا لعان في النكاح الفاسد، وقال الشافعي: يلاعن إذا كان القذف بالولد، وإن كان[٦] وطئها بشبهة ثم قذفها فلا حد ولا لعان، وقد قال أصحابنا: لا لعان بين الأخرس وامرأته، وقال الشافعي: بينهما اللعان.

فأما الفصل الثالث: فلا بد أن يلاعن عند القاضي ثم[٧] في[٨] أي موضع لاعن[٩] جاز، وقال الشافعي: يلاعن في الأوقات الشريفة كيوم[١٠] الجمعة، والأماكن المعظمة بمكة بين المقام والحجر، وبالمدينة عند المنبر، وفي سائر البلاد في الجامع، وإن كان يهودياً ففي كنائسهم، وإن كان نصرانياً ففي بِيَعِهِمْ، وإن كان مجوسياً ففي بيت نارهم، وعندنا[١١] لا يشترط أن يكون هناك جماعة، وقال الشافعي: يشترط.

---

(١) وقال: قال، ي.
(٢) وبقي: ونفى، م.
(٣) فأما: وأما، ز، ل، م.
(٤) في: ـ، ز، ل، م.
(٥) صح: ـ، ز.
(٦) كان: ـ، ز، ل، م.
(٧) ثم: +، ز، ل، م.
(٨) في: ـ، ز.
(٩) لاعن: ـ، ز.
(١٠) كيوم: ليوم، ز.
(١١) وعندنا: ثم عندنا، م، ي.

فأما صفة اللعان: وهو الرابع: فيشهد[١] أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به[٢] من الزنا، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً[٣] فيما رماها به من الزنا، وتشهد هي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماها به من الزنا.

وقيل: يتلاعنان قياماً[٤]، وقال أبو حنيفة: يجوز قائماً وقاعداً، ويوعظ[٥] كل واحد منهما[٦] عند لعانه على ما وردت به السنة.

وقال أصحابنا في رواية الحسن عن أبي حنيفة، وهو قول زفر: إنه يحتاج إلى لفظ المواجهة، فيأتي بالكاف، فيقول: رميتك[٧]، وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه يجوز بلفظ الهاء.

فأما[٨] الفصل[٩] الخامس: إذا تم اللعان لا تقع الفرقة إلا بتفريق القاضي، وقال زفر: تقع بلعانهما، وقال الشافعي: بلعان الزوج، وذهب شيخنا أبو علي إلى قول زفر.

ثم الفرقة تطليقة[١٠] بائنة، عند أبي حنيفة وأبي يوسف، قال[١١] محمد وزفر: فرقة بغير طلاق، وقال عثمان البتي: لا تقع الفرقة، وإنما ينتفي النسب ويسقط الحد، فإذا كَذَّبَ نفسه يضرب الحد، أو صدقته[١٢] المرأة فَحُدَّتْ جاز له أن يتزوجها.

---

(١) صفة اللعان وهو الرابع فيشهد، ل.
(٢) به: ـ، ز، ل، م.
(٣) كاذباً: من الكاذبين، ز، ل، م.
(٤) قياماً: قائمين، ز، ل، م.
(٥) ويوعظ: ويعيظ، ز.
(٦) منهما: +، ز، ل، م.
(٧) رميتك: إنك، ز، ل م؛ زينتك، أي.
(٨) فأما: وأم، ل.
(٩) الفصل: +، ز، ل، م.
(١٠) تطليقة: بتطليقة، ز، ل.
(١١) قال: وقال، ل.
(١٢) صدقته: أصدقت، ز.

وقال أبو يوسف والشافعي: فرقة اللعان تتأبد، فإذا فرق القاضي بعد وجود أكثر اللعان وقعت الفرقة، ومنهم من قال: لا يقع.

فأما الفصل[1] السادس: ما يسقط اللعان، قال[2] الشافعي: لا يَسْقُطُ، ويلاعن على فورها، وقال الهادي عليه السلام: يلاعنها ما دامت في العدة، وهو قول عثمان البتي، فإن طلقها رجعياً يلاعن، وإذا سقط اللعان[3] بمعنىً من جهة الزوج وجب عليه الحد، كما لو أَكْذَبَ[4] نفسه، وإن سقط بمعنىً[5] من جهة المرأة لم يجب على الرجل حدٌّ ولا لعان.

فأما الفصل السابع: ما يجب به اللعان: إذا رماها بالزنا، أو نفى[6] نسب ولدها، وإذا ولد للرجل ولد فسكت حتى يولد على فراشه فليس له نفيه بعد ذلك، وهو القياس، وإليه ذهب الهادي عليه السلام[7]، وقال أبو حنيفة: له يوماً أو يومين[8]، وعند أبي يوسف ومحمد[9]: له مدة النفاس، ولأصحاب الشافعي قولان: أحدهما: ثلاثة أيام، والآخر: أن له ذلك ما لم يشتغل بشيء يدل على الإعراض.

ولو نفى ولد حرة فصدَّقته، فلا حَدَّ ولا لعان، ولا يُصَدَّقَانِ على نفيه، وهو ابنهما؛ لأن النسب حق له[10] لا ينتفي إلا باللعان، فأما إذا نفى الحمل فوضعت[11] لأقل من ستة أشهر لاعنها، وإن وضعت[12] لأكثر لا يلاعنها، وهو قول أبي يوسف،

---

(١) الفصل: +، ل، م.
(٢) قال: وقال، ز، ل، م، ي.
(٣) اللعان: ـ، ز، ل، م.
(٤) أكذب: كذب، ز.
(٥) بمعنى: لمعنى، ز، ل، م.
(٦) أو نفى: ونفى، ز، ل، م.
(٧) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(٨) يوماً أو يومين: أو يومين يروي، ي.
(٩) أبي يوسف ومحمد: محمد وأبي يوسف، م.
(١٠) له: ـ، ز، ل، م.
(١١) فوضعت: فإن وضعت، ل، م.
(١٢) وضعت: ولدت، ز.

ومحمد والهادي عليه السلام[1]، وقال أبو حنيفة: لا لعان فيه، وقال الشافعي: لاعَنَهَا في الحال، ونفى القاضي نسب الحمل.

وأما[2] **الفصل الثامن: إذا لاعنها**: فإن كان مدخولاً بها، فلها المهر كاملاً وعليها العدة، وإن لم يدخل بها فلها نصف المهر، وهو قول جمهور الفقهاء.

وعن الحسن إذا صَدَّقَتْهُ وحُدَّتْ وهي بِكْرٌ لم يدخل بها فلا مهر، وإن كانت محصنة رجمت فلها الصداق والميراث.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ۝١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ۝١٥﴾

القراءة

قرأ حميد الأعرج ويعقوب: «كُبْرَهُ» بضم الكاف، وقراءة العامة بكسرها، قال أبو عمرو بن العلاء: ضم الكاف خطأ؛ لأن الكُبْرَ بضم الكاف هو في[3] الولاء والنسب، ومنه الحديث: «الولاء لِلْكُبْرِ»، وقال الكسائي: هما لغتان نحو صُفْر وصِفْر.

قراءة العامة: «تَلَقَّوْنَهُ» بالتشديد وفتح اللام من التلقي، وعن عائشة[4] «تَلِقُونَهُ»[5]

---

(١) عليه السلام: +، ز، ل، م.

(٢) وأما: فأما، ل، م.

(٣) في: ـ، ز، م.

(٤) نحو.. وعن عائشة: ـ، ز.

(٥) «تلقونه»: +، ل، م.

بكسر اللام وضم القاف والتخفيف، وقرأ أبي: «**تتلقونه**» بتاءين، وقرأ ابن السميقع[1]: «**تُلْقُونَهُ**» من الإلقاء[2]، نظيره[3] [النحل: ٨٦].

فأما قراءة العامة «**إذ تلقُونَهُ بألسِنتكُم**» يعني يرويه بعضكم[4] عن بعض، يقال: تلقيت[5] الحديث من فلان: أخذته منه، وقال المؤرج: يلقى، قيل: يقال تلقيت هذا[6] الكلام أي: أخذته وقبلته، فأما قراءة عائشة: «**تلقونه**» أصله من الَوْلْقِ[7]، وهو الاستمرار في الكذب، وفي حديث علي: (كذبت ووَلَقْتَ[8]، والولق بالقاف، والولغ بالغين لغتان، وهو كذب[9]، وَلَقَ الرجل يَلِقُ إذا كذب، وأصل الوَلْقِ الإسراع، عن الخليل[10]، يقال: جاءت الإبل تَلِقُ، أي[11]: تسرع، فكأن الكاذب يستمر في الكذب، فكأنه[12] يسرع على القولين، فأما قراءة أبي من التلقي، وقراءة ابن السميقع من الإلقاء، ألقى يلقي إلقاءً.

اللغة

الإفك: الكذب الذي قُلِبَ الأمر فيه عن وجهه، أصله[13] الانقلاب، ومنه: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾[14] [الحاقة: ٩]، وأفك يأفك إفكاً إذا كذب؛ لأنه قلب المعنى عن حقه إلى باطله فهو إفك مثل كاذب[15].

---

(١) ابن السميقع: اليسع. ل: السميع. ز، م، وفي هامش م كتب فوقها (السميقع). ظ.
(٢) الإلقاء: إلقاء، ز.
(٣) نظيره: ونظيره، ل.
(٤) بعضكم: بعضهم، ل.
(٥) تلقيت: لقيت، ز.
(٦) هذا: ـ، ز، ل، م.
(٧) الولق: الواق، ز، ل، م.
(٨) وولقت: ولقيت، ي.
(٩) وفي حديث... وهو كذب: ـ، ز.
(١٠) الخليل: الجلب، ي.
(١١) أبي: ـ، ز.
(١٢) فكأنه: وكأنه، ل، ز.
(١٣) أصله: وأصله، ل.
(١٤) والمؤتفكٰت: المؤتفكات، ز، ل، م.
(١٥) كاذب: كاد، ل.

والكبر والعظم[1] بمعنى، وقيل: كِبْرَهُ[2] مصدر من[3] معنى الكبَر، وكِبَرُ الشيء[4]: معظمه، (وقال الليث: الكبير الإسم[5]، اسم الكبير[6] كالخطء من الخطيئة، والكبير: خلاف الصغير، والكبار: الكبير، وكذلك الكبار، وأكبرت الشيء: استعظمته.

۞ الإعراب

جواب «**لولا**» في قوله: «**لمسكم**[7]».

«**لا تحسبوه**» جزم؛ لأنه نهي، وعلامة الجزم ذهاب النون، ولم يقل: تحسبونه.

وجواب «**ولولا**[8] **فضل الله عليكم ورحمته**» محذوف كأنه قيل: نفعل كذا وكان[9] كذا.

۞ النزول

أجمعت العلماء من أهل النقل والتفسير أن هذه الآيات وما بعدها نزلت في شأن عائشة ومن رماها بالإفك في حديث طويل جملته: أنها كانت مع رسول الله ﷺ وعلى آله[10] في غزوة بني المصطلق، وكانت في هودج تدخل ثم تجيء الرجال وتحملها، وضاع[11] لها في ليلة عقد، وكانت تباعدت في قضاء[12] الحاجة، فرجعت طالبة،

(١) العظم: العظمة، ل، م، ي.
(٢) كبره: كبر، ز، ل، م.
(٣) من: في، ل، م.
(٤) الشيء: ـ ، ز.
(٥) الكبير الاسم: الكبر الأثم، ز، ل، م.
(٦) الكبيرة: الكبير، ل، م، ي وما أثبتناه من: التبيان في تفسير القرآن للطوسي: ١/١٤٧.
(٧) لمسكم: لايمسكم، ل.
(٨) ولولا: لولا، ز، ل، م.
(٩) وكان: إن كان، ز، ل، م.
(١٠) وعلى آله: +، م.
(١١) الرجال وتحملها، وضاع: الرحل فيحملها فضاعت. ، ز، ل، م.
(١٢) في قضاء: لقضاء، ز، ل، م.

وحُمِلَ هودجها على بعيرها، فتُوُهِّم أنها فيه، وعادت وقد رحلوا وذهبوا، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، وقيل: كان من صالحي المسلمين، وقيل: كان حصوراً لا يأتي النساء، وقتل بعد ذلك شهيداً، فمر بها وهي قاعدة وعليها ملاءة[١]، فعرفها، فأناخ[٢] بعيره حتى ركبت وساقه حتى أتى الجيش بعدما نزلوا في[٣] قائم الظهيرة، فتكلم المنافقون، وقال عبد الله بن أبي: والله ما نجت منه ولا نجا منها، والذين خاضوا فيه عبد الله بن أبي، ومِسْطَحُ بن أثاثة ابن خالة أبي بكر، وحسان بن ثابت، وحمنة ابنة[٤] جحش، وأخبرت[٥] بذلك، فعادت إلى بيت[٦] أبي بكر ومرضت، فدخل عليها رسول الله ﷺ وعلى[٧] آله سلم[٨] عائداً بعدما انقطع عنها أياماً، فنزلت هذه الآية عليه في كل بَرٍّ رُمِيَ[٩] براءة لها، عن الزهري وجماعة. قالوا: ولما سري عنه بعد ما أخذه غشيان الوحي قال[١٠]: «أبشري[١١] عائشة»، وأَمَرَ بالذين رموها فجلدوا الحد[١٢] ثمانين، والقصة مشهورة، وقد قالوا في ذلك أشعاراً كثيرة.

۞ المعنى[13]

ولما بين تعالى[١٤] أحكام القذف، وعَظَّمَ أمره فأوجب[١٥] الحد في الأجنبيات،

---

(١) ملاءة: ملاها، ز، ل، م.
(٢) فأناخ: وأناخ، ز، ل، م.
(٣) نزلوا في: تولى، ز، ل، م.
(٤) أبنة: ابنت، ز، م.
(٥) وأخبرت: فأخبرت، ز، ل، م.
(٦) إلى بيت: ـ، ز، ل، م.
(٧) على: +، ز، م.
(٨) وسلم: +، ز.
(٩) كل بر رمي: غير واضحة، ل.
(١٠) قال: قالوا، ل.
(١١) ابشري: بشروا، ز، ل، م.
(١٢) الحد: الجلد، ي.
(١٣) المعنى: ـ، م.
(١٤) تعالى: ـ، ل، م.
(١٥) أمره فأوجب: أمرها وأوجب، ز، ل، م.

واللعان في الزوجات، بَيَّنَ عِظَمِ أمر[١] الإفك في عائشة، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ**» أي[٢]: بالكذب على عائشة «**عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**» أي: جماعة منكم أيها المسلمون «**لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ**» خطاب لعائشة وقذفكم[٣] لها، أي: لا تحسبوا الإفك شراً لكم «**بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**» قيل: لأنه تعالى أظهر براءتها، وأثنى عليها، وبينها في الكتاب، وألزم[٤] أصحاب الإفك ما استحقوا من العذاب، وقيل: خطاب لعائشة وصفوان، واختلفوا أي: شيء نفي عنها، وأي شر[٥] خير[٦]، قيل: غم الإفك وأذاه[٧] ليس بِشَرٍّ؛ بل هو خير لظهور البراءة، وقيل: نزول القرآن في شأنها لا تحسبوه[٨] ينزل شراً لها[٩] بل هو خير[١٠]؛ لأنه يتلى في المحاريب إلى يوم القيامة، وقيل: لا تحسبوه شراً بل هو خير.

ومتى قيل: إذا كان[١١] الإفك[١٢] معصية، والغم عليه فِعْلَ[١٣] المقذوف فكيف يستحق العوض عليه؟

قلنا: سبب الغم الإفك، فلذلك[١٤] استحق عليه العوض، كمن[١٥] آذى غيره وغمه، وبالصبر[١٦] استحق الثواب، وهذا[١٧] كان خيراً لها، وعظم أمر هذا الغم عند

---

(١) أمر: ـ، ز.
(٢) أي: ـ، ل، م.
(٣) وقذفكم: وفراقكم.
(٤) وألزم: فألزم، ل.
(٥) شر: شيء، ز، ل، م.
(٦) خير: ـ، ز، ل، م.
(٧) وأذاه: فإذا، ز.
(٨) لا تحسبوه: لاتحسبوا، ل، م.
(٩) شراً لها: بشر إليها، ل، م.
(١٠) بل هو خير... نثر الحصاد: ـ، ز.
(١١) ومتى قيل: إذا كان: +، ز، ل، م.
(١٢) الإفك: والإفك، ي.
(١٣) فعل: فعلى، ز.
(١٤) فلذلك: فكذلك.، ز.
(١٥) كمن: فمن، ز، ل، م.
(١٦) وبالصبر: ـ، ل.
(١٧) وهذا: فهذا، ز، ل، م.

رسول الله ﷺ وعلى[1] آله وعائشة وأبي بكر، وجميع المسلمين، فلذلك بلغ مبلغاً عظيماً.

وقيل: يجوز أن يضطره الله تعالى[2] إلى بعض الغم، فيكون العوض على فعل الله تعالى[3]، عن أبي علي، والأقرب الأول.

وقيل: هو خير، أي ظهور براءتها، وتكذيب الآفكين.

وقيل: إظهار الإفك كان خيراً لها حتى ظهرت[4] براءتها فزال[5] عن صدره[6] وصدور الناس الريب والتهمة[7].

«**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ**» أي: من الآفكين «**مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ**» أي: جزاء ما اجترح من الذنب[8] والمعصية، «**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ**» أي: معظم الإفك، فبدأ بالخوض فيه، وهو عبدالله بن أبي بن سلول المنافق قال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وكان المنافقون يجتمعون عنده، وقيل: هو حسان بن ثابت، وقيل: هم أربعة: عبد الله بن أبي[9] سلول[10]، وحسان، ومسطح، وحمنة خاضوا[11]، ثم فشى في الناس «**لَهُ**[12] **عَذَابٌ عَظِيمٌ**[13]» وهو عذاب النار إن[14] لم يتب «**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ**» أي: هَلاَّ، ومعناه أنه وجب عليهم عند سماعه «**ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ**

(١) وعلى: على: +، ز، م.
(٢) تعالى: +، ل، م.
(٣) تعالى: +، ز، ل، م.
(٤) ظهرت: أظهرت، ز، ل، م.
(٥) فزال: ـ ، ز، ل، م.
(٦) صدره: صدورهم، ز، ل، م.
(٧) التهمة: والتهم، ز، ل، م.
(٨) من الذنب: الريب، ز ل، م.
(٩) ابي: ـ ، ز.
(١٠) سلول: +، ز، ل، م.
(١١) خاضوا: حاضراً، ي.
(١٢) له: لهم، ز، ل، م.
(١٣) عظيم: أليم، ز، ل، م.
(١٤) إن: إذ، ز.

خَيْرًا» قيل: بإخوانهم، وببعضهم الذين هم كأنفسهم، قال مجاهد: هو كقوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾[1] [النور: ٦١]، وقيل: بأهل دينهم، عن الحسن، ونظيره: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩] وتقدير الآية: هلا ظننتم كما ظن المؤمنون بإخوانهم، وقيل: بأنفسهم وأهاليهم وأزواجهم، وقيل: بأمهاتهم؛ لأنه[2] ليس للولد أن يظن بأمه[3] إلا خيراً، وقيل: أراد بالمؤمنين أبا أيوب الأنصاري وامرأته أم أيوب؛ قالت أم أيوب لأبي أيوب: أما تسمع ما يقال في عائشة؟ قال: بلى ولكنه كذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا، قال: فعائشة خير منك. **«خيراً»**[4] يعني يجب أن يظن بها خيراً لظهور أمارات الخير، ولكونها[5] تحت رسول الله ﷺ **«وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ»** أي: كذب ظاهر **«لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ»** أي هلا جاءوا عليه بأربعة شهداء[6] يشهدون بصدقه **«فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ»** يعني إذا لم يأتوا بالشهداء فاعلموا أنهم كَذَبَةٌ[7].

ومتى قيل: عدم[8] الشهود لا ينبي[9] عن[10] عدم المعنى، فكيف[11] يقطع بكذبه؟

قلنا: قيل: معناه في حكم الله تعالى[12]؛ لأنه تعالى[13] حكم عليه بحكم الكاذبين، وهو إقامة الحد عليه، وألاّ تقبل شهادته أبداً.

(١) أنفسكم: أنفسهم، ي.
(٢) لأنه: لأن، ز، ل، م.
(٣) بأمه: بأبيه، ز.
(٤) «خيراً»: ـ ، ز، ل، م.
(٥) يجب... ولكونها: ـ ، ز، ل، م.
(٦) أي هلا جاءوا عليه بأربعة شهداء: +، ز، ل، م.
(٧) كذبة: كذبوا، ز.
(٨) عدم: ـ ، ل، م.
(٩) لا ينبي: لايبين، ز، ل، م.
(١٠) عن: ـ ، ز، ل، م.
(١١) فكيف: كيف، ز.
(١٢) تعالى: +، ز، ل، م.
(١٣) تعالى: ـ ، ز، ل، م.

وقيل: القذف لا يَحِلُّ كاذباً كان أو صادقاً، فإذا لم يكن شهود حُدَّ؛ لأنه أقدم على محرم يستحق به[1] العقوبة.

وقيل: هذا في شان عائشة، وقد أخبر الله تعالى[2] بأنها بريئة الساحة، فَمَنْ شك في ذلك صار[3] مرتداً كافراً عند الله؛ إذ رَدَّ أمر الله تعالى، وليس كذلك غيرها، وهذا هو الصحيح، وهو قول شيخنا أبي علي رحمه الله.

«**وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**» يعني لولا فضله عليكم بإمهالكم[4] بعد استحقاقكم العقوبة لتتوبوا في الدنيا، وبالعفو عنكم في الآخرة «**لَمَسَّكُمْ**» أي: أصابكم «**فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ**» أي: فيما خضتم فيه من الإفك «**عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ**» قيل: يرويه بعضكم[5] عن بعض للشُّنْعَةِ[6]، عن مجاهد، وقيل: تقبلونه من[7] غير دليل، ولذلك أضافه إلى[8] اللسان، وعلى قراءة عائشة تَلِقُونهُ[9] [بكسر اللام وتخفيف القاف من الكذب] بمعنى: [إذ تستمرون في] إفككم[10]. وقيل: تسرعون فيه[11] من غير تَأَنٍّ وتفكر، «**وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**» أضاف القول إلى الفم، قيل: ذماً لهم أنهم يتكلمون بما يريدون من غير حقيقة وعلم، وقيل: تأكيداً للإضافة «**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا**» سهلاً خفيفاً عندكم[12] «**وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**»؛ لأنه قذف محصنة، وهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبنت

---

(١) به: +، ز، ل، م.
(٢) الله تعالى: ـ، ز، ل، م.
(٣) صار: كان، ز.
(٤) بإمهالكم: بأمهاتكم، ز.
(٥) بعضكم: بعضهم، ز.
(٦) للشُّنعة: للشيعة، ز، م.
(٧) من: عن، ز.
(٨) إلى: ـ، ز، ل، م.
(٩) تلقونه: تستمعون، ز، ل، م؛ تسمعون، ي.
(١٠) اثبات النص أنظر: الثعلبي، الكشف والبيان، ٩/ ٢٩٤؛ الطوسي، التبيان، ٧/ ٤١٠؛ الطبرسي، تفسير، ١٩/ ١٣١.
(١١) فيه: ـ، ز.
(١٢) عندكم: ـ، ل، م.

أبي بكر، ونال[1] المسلمين من ذلك ما نال فعظم عند الله؛ لأن الذنب إنما يعظم لوجوه القبح، وقيل: لأن فيه تكذيب القرآن، وإلحاق الشين برسول الله ﷺ، وهتك ستره، وقيل: مَنْ صَغَّرَ ما عَظَّمَهُ[2] الله فله عذاب عظيم.

الأحكام

تدل أول الآية على عِظَمِ أمر الإفك، وأن فيه عذاب الدنيا والآخرة.

وتدل على أن المقذوف إذا[3] صبر استحق الثواب والعوض فلذلك كان خيراً له.

وتدل على عظم حال عائشة عند الله وفضلها، وعظيم[4] حال الوقيعة فيها، قال أبو علي رحمه الله: من صَدَّقَ قَذْفَ عائشة فهو كافر.

وتدل على أن ما جرى كان خيراً لعائشة؛ إذ أنزل[5] في براءتها القرآن يتلى إلى يوم القيامة.

وتدل على أن الظلم خير للمظلوم وشر للظالم.

وتدل على أن بالقذف لا[6] يكفر، لذلك[7] قال: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ فيبطل قول الخوارج.

وتدل على أنه إذا عجز عن الشهود استحق العقاب، وهو الحد، وفيه زجر عن القذف صادقاً أو كاذباً.

وتدل على قبح القول بما لا يعلم لذلك قال: ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

ويدل[8] قوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ أنه لا ينبغي أن يصغر الذنب.

---

(١) ونال: ونا، ل.
(٢) عظمه: ما عظم، ز، ل، م.
(٣) عظم أمر... أن المقذوف إذا: ـ، ز، ل، م.
(٤) وعظيم: وعظم، ز، ل، م.
(٥) أنزل: نزل، ز، ل، م.
(٦) لا: ـ، ل.
(٧) لذلك: فلذلك، ل، م.
(٨) ويدل: فيدل، ز.

ويدل[1] قوله: ﴿وَهُوَ[2] عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أن القذف لا يُكَفِّرُهُ الإسلام، فيبطل قول المرجئة.

وتدل على عظم ذنب[3] من رمى مؤمناً بكفر؛ لأن الرمي بالكفر أعظم من الرمي بالزنا.

وقد اختلف العلماء في رميهم عائشة، فقال بعضهم: كان كفرا لما فيه من الاستخفاف[4] بالرسول[5] صلى الله عليه[6]، وأنكر[7] شيخنا أبو علي ذلك، وقال: لوكان كفراً لحكم على أولئك بالردة.

وتدل الآيات على أن القذف فِعْلُ العبد ليس بخلق الله تعالى؛ لاستحالة أن يخلق الإفك فيهم، ثم يذمهم ويعظم أمرهم، ولو لم يخلق لما ينزه في العالم أحدثه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) ويدل: ويدل على، ل، م.
(٢) وهو: +، ز.
(٣) ذنب: +، ز، ل، م.
(٤) الاستخفاف: استخفاف، ز.
(٥) بالرسول: برسول الله، ل.
(٦) صلى الله عليه: +، ل، م.
(٧) وأنكر: فأنكر، ز.

۞ اللغة

السماع: إدراك المسموع، ثم قد يكون بحاسة كالواحد منا، وبغير حاسة كالقديم سبحانه، والفرق بين السميع والسامع أن السميع هو المختص بصفة إذا وجد المسموع يدركه، والسامع المدرك للصوت، ولهذا قلنا: إنه تعالى سميع لم يزل، ولا يقال سامع إلا بعد وجود المسموعات، سَمِعَ يَسْمَعُ سَمْعاً وسماعاً، والمقتضي لكونه سميعاً كونه حياً لا آفة به، وللسامع بكونه[1] سامعاً[2] حالة زائدة على كونه حياً.

والبهتان: الكذب الذي فيه مكابرة بخبر، بَهَتَهُ يَبْهَتُهُ بَهْتاً وبهتاناً[3]: إذا حيّره[4] بالكذب عليه.

والوعظ والتخويف والزجر نظائر.

ويشيع: يَفْشُو[5] ويعم ويظهر، شاع الحديث إذا سار في العامة وظهر، شَايَع الراعي بإِبِلِهِ: صاح بها[6]، وله في هذا العقار سهم شائع إذا كان له ذلك في الجميع ولم يكن مفرداً[7].

۞ الإعراب

جواب (لولا) محذوف تقديره: لولا فضله لَعَجَّلَ لكم[8] العذاب الأليم[9] الذي تستحقونه لمحبتكم[10] الفاحشة، وما قبله يدل عليه، وقيل: لَأَنْصَفَ المظلوم[11] من ظالمه في الحال[12].

---

(١) وللسامع بكونه: والسامع كونه، ل.
(٢) سامعاً: سامع، ل، م.
(٣) وبهتاناً: وبهياتنا، ز.
(٤) خيرة: أخبر. ز، ل، م؛ أخبره، ي؛ أنظر القرطبي، ١١/ ٢٥٤؛ الطوسي ٧/ ٤١١.
(٥) يفشو: يفشوي، ز، ل، م.
(٦) بها: فيها، ز، ل، م.
(٧) مفرداً: مقدراً، ز.
(٨) لعجل لكم: بكم، ي.
(٩) الأليم: ـ، ز، ل، م.
(١٠) لمحبتكم: بمحبتكم، ي.
(١١) لأنصف المظلوم: لاينتصف للمظلوم، ز، ل، م.
(١٢) الحال: حال، ز.

۞ المعنى

ثم بين تعالى[١] تمام[٢] قصة عائشة رضي الله عنها، فقال سبحانه: «**وَلَوْلَا**[٣] **إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا**» يعني هَلَّا إذ سمعتم قاذفاً يقذف من غير[٤] بينة كففتم، وقلتم: ليس لك أن تتكلم بهذا[٥]؛ لأنا[٦] لا نَأْمَنُ كونه كذباً، وقيل: كان ينبغي لكم إذا سمعتم ذلك ألاّ تتكلموا فيه حرمة لرسول الله ﷺ وعلى[٧] آله ورعاية لحقه، ولا تصدقوا ذلك لطهارة نبيه[٨]: أي: وتقولون: سبحانك، قيل: معناه ننزهك أن نعصيك بهذه المعصية، وقيل: أنت منزه عن ألاّ تؤاخذ من قذف مؤمناً أو[٩] ظلمه، وقيل: أنت منزه[١٠] أن يكون في بيت نبيك مثل هذه الفاحشة «**هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**» أي: كذب عظيم، أي: يتحير الناس من عِظَمِهِ«**يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا**[١١]» أي: ينهاكم ويزجركم أن تعودوا، وقيل: معناه يعظكم لكيلا تعودوا لمثله، أي: إلى مثل الإفك، فيدخل فيه مَنْ تكلم به، ومن سمعه فَقَبِلَهُ، ومن رضي به، ومن شك فيه، وإن كان ذنب بعضهم أعظم من بعض «**إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**» يعني من شرط الإيمان ترك هذه التهمة والقذف، «**وَيُبَيِّنُ اللَّهُ**[١٢] **لَكُمُ الآيَاتِ**» الشرائع والأحكام، وقيل: الأدلة «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**» بمصالح عباده «**حَكِيمٌ**» فيما يأمر وينهى، وقيل: «**عليم**»[١٣] بأمر عائشة، «**حكيم**» ببيان براءتها «**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ**» أن تظهر وتفشو

---

(١) تعالى: +، ز، ل، م.
(٢) تمام: ـ، ز، ل، م.
(٣) ولولا: لولا، ز، ل، م، م.
(٤) غير: بغير، ل، م.
(٥) يعني هلا... بهذا: +، ز، ل، م.
(٦) لأنه: الابا، ز، ل، م.
(٧) على: +، ز، م.
(٨) نبيه: فإطهاره سيئة، ز، م.
(٩) أو: أي، ي.
(١٠) أنت منزه: منزه إلى، ي.
(١١) أبداً: ـ، ز، ل، م.
(١٢) الله: ـ، ز، ل، م.
(١٣) بمصالح... «عليم»: ـ، ز، ل، م.

«**الْفَاحِشَةُ**» الزنا والقبائح «**فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» موجع «**فِي الدُّنْيَا**» بالحد واللعن «**وَالآخِرَةِ**» عذاب النار، وقيل: هو من[1] خاض في قذف عائشة، وهم عبدالله بن أُبَيٍّ وأصحابه، وقيل: جميع القَذَفَةِ للمؤمنين[2]، عن أبي علي. «**وَاللَّهُ يَعْلَمُ**» كذبهم «**وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**» ذلك، وقيل: يعلم من يستحق العقاب، والقَدْرَ المُسْتَحَقَّ«**وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**» لعجل لكم العذاب، ولكنه رؤوف رحيم.

۞ الأحكام

تدل الآية على المنع من القذف.

وتدل على أنه لا يريد[3] القذف ولا يَخْلُقُهُ؛ لوجوه:

أحدها: أنه لو خلقه وأراده لاستحال أن يعظ حتى لا يقذف، ولاستحال[4] أن ينهى.

وثانيها: لو خلقه وأراده لَأَحَبَّهُ، فكان يستحيل أن يَتَوَعَّدَ[5] على محبة شيء[6] هو يحبه.

ومنها: أن الشناعة لو كانت[7] خلقه[8] لما صح أن يوجب عليها العذاب، فيبطل بذلك قولهم في المخلوق والإرادة.

ومنها: قوله ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ﴾ فيعظ لكيلا يعود، ثم يخلق العود ويمنعهم عن تركه.

وتدل على أن القذف ينافي الإيمان، لذلك قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فيبطل قول المرجئة.

وتدل على أن القذف ليس بكفر؛ لأنه لم يُجْرِ عليهم أحكام المرتدين، فيبطل قول[9] الخوارج في الأسماء والأحكام.

---

(١) من: +، ز، ل، م.
(٢) للمؤمنين: المؤمنين، ز.
(٣) لا يريد: لايدبر، ي.
(٤) ولاستحال: والاستحال، ز.
(٥) يتوعد: يُوعِدَ، ي.
(٦) محبة شيء: محنة شيء، ز.
(٧) كانت: ـ ، ز، ل، م.
(٨) خلقه: خلقها، ز، ل، م.
(٩) المرجئة... قول: ـ ، ز.

وتدل على أن إشاعة الفاحشة في المؤمنين حرام، وأنه[1] يجوز في الفاسقين لولا ذلك لم يكن للنص على المؤمنين فائدة، ولأنه تعالى حكم بقبول الشهادة في[2] الفاحشة، وأوجب فيه الحد بحضرة الجماعة وفيه إشاعة، فلهذا قلنا[3]: إن الفاسق لا غِيبَةَ له، وأنه يجوز أن يُذْكَرَ بسوء[4] أفعاله كي يتقيه الناس، على ما ورد به الخبر.

وتدل على[5] أن أفعال القلب يؤخذ بها؛ لأن المحبة[6] من أفعال القلب، وقد ألحق الوعيد به، ولهذا قال شيخنا أبو علي: العزم على الفسق فِسْقٌ، وهو مثل المعزوم عليه، وقال أبو هاشم: هو دونه، وقد يبلغ حد الفسق، وأما العزم على الكفر فلا خلاف أنه كفر، وكذلك إرادة الكفر والرضى بالكفر، ومحبة الكفر، وكل ذلك من أفعال القلوب[7].

قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢١) وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٢٣) يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٢٤) يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ (٢٥) ﴾

---

(١) وأنه: فكأنه، ز، ل، م.
(٢) في: على، ز، ل، م.
(٣) فلهذا قلنا: ـ ، ز.
(٤) بسوء: سوء، ز.
(٥) على: ـ ، ز، ل، م.
(٦) المحبة: المحنة، ز.
(٧) القلوب: العبد. ز.

القراءة

قرأ ابن محيصن ويعقوب: «زَكّى[١]» بتشديد الكاف أي: طَهَّرَ لقوله: «ولكن الله يزكي[٢]» وقراءة العامة بتخفيف الكاف، أي طَهُرَ: من هذا الذنب.

قراءة العامة: «ولا يَأْتَلِ» بالألف قبل التاء، وبكسر اللام خفيفة من الأَلِيَّةِ، وهي القسم، قال الأخفش: وإن شددت جعلته من قول العرب: ما أَلَوْتُ جَهْدِي[٣] في كذا، أي: ما تركته، ووزن (يأتل) تفتعل، وآلَيْتُ: حلفت[٤]، وقرأ أبو رجاء العطاردي وأبو محلق السدوسي، وأبو جعفر قيس[٥] بن القعقاع[٦] المدني، وزيد بن أسلم: «ولا يَتَأَلَّ» التاء قبل الألف واللام مشددة مفتوحة، وهو يتفعل[٧] من الألية، وقد[٨] كتبت في المصحف الأول: (يتل).

قراءةالعامة: «فليعفوا[٩] وليصفحوا» بالياء في الحرفين على المعاينة[١٠]، كقولهم: ليضرب زيد، وقرأ يعقوب بالتاء في الحرفين على الخطاب، كقوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ وروت أسماء بنت زيد[١١] أن النبي ﷺ وعلى[١٢] آله كذا قرأها.

قرأ حمزة والكسائي: «يوم تشهد» بالتاء[١٣] لتقدم الفعل على الاسم، والباقون بالياء[١٤] لمكان الألسن والأيدي.

---

(١) زكى: يزكي، ز، ل، م.
(٢) الله يزكي: ذلك أزكى، ز، ل، م.
(٣) جهدي: بجهدي، ز، ل، م.
(٤) حلفت: حلفه، ز، ل، م.
(٥) قيس: +، ز، ل، م.
(٦) القعقاع: القعيقاع، ز، ل، م.
(٧) يتفعل: متفعل، ز، ل، م.
(٨) وقد: وقيل، ز، ل، م.
(٩) فليعفوا: وليعفوا، م.
(١٠) المعاينة: المعاتبة، ز.
(١١) زيد: يزيد، ز، ل، م.
(١٢) على: +، ز، م.
(١٣) بالتاء: بالياء، ز، م.
(١٤) بالياء: بالتاء، ز، م.

قراءة العامة: «دينَهم الحقَّ» بالنصب، لأنه نعت للدين، وقرأ مجاهد بالرفع على نعت الله، وتصديقه قراءة أبي: (**يوفيهم الله الحق دينهم**).

اللغة

الأَلِيَّةُ: اليمين والجمع الأَلَايَا، قال الشاعر:

قليل الألايا حافظٌ ليمينه[1] وإن سَبقتْ منه[2] الأَلِيَّةُ بَرَّتِ

ومنه: الإيلاء، ومن قرأ: يَتَأَلَّ[3] فهو من تألَّى يَتَأَلَّى، وفي[4] الحديث: «من يتأل على[5] الله يُكْذِبْهُ[6]»، ومنه حديث عائشة: «ويل لِلْمُتَأَلِّينَ» يعني الذين يحكمون على الله ويحلفون، فيقولون: والله لا يدخل فلان الجنة وفلان النار.

فأما قوله: «**ولا يأتل**» ففيه ثلاثة أقوال[7]:

قيل: هو[8] من الأَلِيَّة التي هي اليمين، عن أبي علي وجماعة من أهل اللغة والتفسير.

وقيل: هو من أَلَوْتُ، أي: قصرت، يعني لا يقصر، عن أبي عبيدة، يقال: لا يألوك نصحاً، ومنه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]، قال الأزهري: الأَلْوُ يكون جهداً، ويكون تقصيراً، ويكون استطاعة.

وقيل: إنه يحتمل الوجهين عن الأخفش.

فأما أبو مسلم فقال: أصل يَأْتَلِ[9] يَأْتَلِي، وذهبت الياء علامة الجزم[10]، ؛ لأنه

---

(١) ليمينه: اليمينه، ز، ل، م.
(٢) منه: فيه، ي.
(٣) يتأل: يتل، ز، ل، م.
(٤) في: ـ ، ز، ل، م.
(٥) على: ـ ، ز.
(٦) يكذبه: يكرمه، ز، ل م.
(٧) أقوال: أقاول، ز.
(٨) هو: ـ ، ز، ل، م.
(٩) يأتل: تأويل، ز.
(١٠) الجزم: للجزم، ل.

نهي، وبناؤه[1] يفتعل، ومن الولي، فلا[2] يأتل نصحاً، ولم آلِ في أمري جهداً، يعني ما تركت الجهد ولا قصرت، ومعنى[3] لا يَأْتَلِ[4]ولا يَأْلُ واحد، وهو لا يدع، قال أبو مسلم: وقد تأول بعضهم لا يأتل من آلَيْتُ: حلفت، قال: وكان أبو بكر حلف[5] ألا ينفق على مسطح.

قال: وهذا تأويل يُرَدُّ من جهات:

أحدها: أنه تعلق القسم المنهي عنه في الآية بإيتاء ذي القربى، وإنما نهى عن[6] ترك إيتائهم، فأقام هذا المتأول[7] النفي مكان الإيجاب، وجعل المنهي[8] عنه مأموراً به، وأخرى: أنه قلما يوجد في الكلام افتعلت مكان أَفْعَلْتُ[9]، وإنما يوجد مكان فَعَلْتُ[10]، أو فعِلَت مكسورة العين ومفتوحها، وبناء[11] أليت من[12] الألية افتعلت[13]، تقول: كسبت واكتسبت، وصنعت واصطنعت، وضربت واضطربت، وقعدت واقتعدت، وشويت واشتويت، ورضيت وارتضيت، ويجيء افتَعَلْتُ مفردة[14] لا يعرف من لفظها فعلت[15]، فلا يقال من أكرمت اكترمت، قال علي بن عيسى: يأتل يفتعل[16] من الألية، كما أن يقتضي يفتعل من القضية، قَضَيْتُ واقتضيت.

---

(١) وبناؤه: وبناه، ل، م، ي.
(٢) فلا: ولا، م.
(٣) ومعنى: يعني. ز، ل، م.
(٤) لا يأتل: +، ز.
(٥) أبو بكر حلف: وحلف أبوبكر.
(٦) وإنما نهى عن: ـ، ز، ل، م.
(٧) المتأول: التأول، ل، م.
(٨) المنهي: المنتهى، ز.
(٩) مكان أفعلت: ـ، ل؛ فكان افتعلت، ز؛ فكان أفعلت، م.
(١٠) فعلت: أفعلت، ل، م.
(١١) وبناء: وما، ز، ل، م.
(١٢) من: ـ، ز، ل، م.
(١٣) افتعلت: افعلت، ل، م؛ فعلت، ز، ي.
(١٤) مفردة: مقدارة، ز.
(١٥) فعلت: افتعلت، ز، ل، م.
(١٦) يأتل يفتعل: تأتلي تفتعل، ز ل، م، ي.

والاتباع: اقتفاء أثر الداعي.

والخطوات: جمع خطوة، وهي فُعْلَةٌ من خطا الرجل يخطو خطواً، فإذا أردت الرفعة قلت خَطْوة مفتوحة الأولى، والجمع: خطوات مفتوحة الخاء، ويجيء أيضاً مضمومة الأول كغرفة وغرفات، كما في الآية، والمراد به السيرة[1] والطريقة.

الإعراب

«**أن يؤتوا**» قيل: فيه محذوف معناه: ألاّ يؤتوا، عن[2] الزجاج وجماعة، تقديره: ولا يحلف أولوا السعة ألاّ يؤتوا[3]، وقيل[4]: لا[5] حذف فيه، ومعناه ألاّ يدع الإيتاء، عن أبي مسلم.

و(مِنْ) في قوله: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ صلة مؤكدة، تقديره: ما زكى منكم[6] أحد.

وأَلْسِنَةٌ ولسان مثل أَحْمِرَةٍ[7] وحمار، ويجوز لسان وأَلْسُنٌ، نحو: عناق وأَعْنُقٍ، وعُقَاب وأَعْقُب.

النزول

الآية قيل: نزلت في أبي بكر ومسطح بن أثاثة، وكان ابن خالته من[8] المهاجرين، وكان فقيراً، فكان[9] أبو بكر يجري عليه، ويقوم بنفقته، فلما خاض في الإفك قطعها، وحلف لا ينفعه بنفع أبداً فنزلت الآية: «**ولا يأتل**»، قال أبو بكر: والله

(١) السيرة: السير، ز، ل، م.
(٢) عن: على، ز.
(٣) ألا يؤتوا: أن يؤتوا، ز، ل، م.
(٤) وقيل: ـ ، ز، ل، م.
(٥) لا: ـ ، ز.
(٦) منكم أحد: منكم من، ي.
(٧) أحمرة: أحمر، ز، ل، م.
(٨) من: ومن، ز، م.
(٩) فكان: وكان، ز، م.

إني[1] لأحب[2] أن يغفر الله لي، والله لا أنزعها[3] أبداً، وكان مسطح بدرياً، عن ابن عباس، وعائشة، وابن زيد.

وقيل: نزلت في يتيم كان في حجر أبي بكر حلف[4] ألا ينفق عليه، فبدرت الأَلِيَّةُ منه، عن الحسن، ومجاهد.

وقيل: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر ألاّ يتصدقوا على رجل تكلم[5] بشيء من[6] الإفك[7]، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: نزلت في مشركي[8] مكة الذين قذفوا المهاجرات[9]، يعني قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ ، قال أبو مسلم: إنه تعالى بدأ فبين[10] حكم القاذف أولاً، وأوجب الحد، وسماه فاسقاً، ورد شهادته، فَعُلِمَ أن المراد به[11] أهل الملة[12]، وعقبه بحديث عائشة لاتصاله به[13]، ثم ذكر صنفاً آخر من القذفة، وهم المنافقون بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وبين ما لهم من الغضب[14] واللعنة، ثم عم في هذه الآية الجميع بالوعيد، فقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ الآية[15].

---

(١) إني: ـ، ز.
(٢) لأحب: أحسب، ل، م.
(٣) لا انزعها: لانزعها، ز، م؛ لا ندعها، ل، ي؛ وما أثبتناه من: تفسير مجمع البيان، للطبرسي: ٧/ ٢٠٩، تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٠، تفسير البغوي: ٦/ ٢١، تفسير الطبري: ١٩/ ١٣٧.
(٤) أبداً... أبي بكر حلف: ـ، ز، ل، م.
(٥) تكلم بشيء من: بشيء من يتكلم، ز.
(٦) بشيء من: ـ، ز.
(٧) الإفك: بالإفك، ز.
(٨) في مشركي: ـ، ز.
(٩) المهاجرات: المهاجرين، ل.
(١٠) بدأ فبين: قد بين، ز، ل، م.
(١١) به: ـ، ز.
(١٢) الملة: المللة، ز.
(١٣) وعقبه بحديث عائشة لاتصاله به: وعقبه به لاتصال عائشة لاتصاله به، ز، ل.
(١٤) الغضب: ـ، ز، ي.
(١٥) سبحانه... الآية: ـ، ز، ل، م.

۞ المعنى

لما تقدم حديث الإفك بَيَّنَ أنه مِنْ أَمْرِ الشيطان، ونهى عن اتباعه فيه، فقال تعالى[١] ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قيل: آثاره[٢] وطرقه التي تؤدي إلى مرضاته، وقيل: وساوسه، وقيل: ما يتخطى فيه إلى خلاف الشرع، فيتخطى الحلال إلى الحرام ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ قيل: الفحشاء كل قبيح عظيم من المعاصي، عن أبي علي، والمنكر: كل قبيح يجب أن ينكر ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قيل: لولا ألطافه بالوعد والوعيد وغيره ﴿مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ قيل: ما طَهُرَ وصلح منكم من[٣] أحد أبداً[٤]، والتزكية: التجنب عن القبائح، يعني لولا[٥] لطفه لتدينتم بالمعاصي، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ قيل: يطهر بلطفه من يشاء، وهو من له لطف دون من لا لطف له، والزاكي في دين الله من بلغ من[٦] طاعته أن رضي الله عنه، وقيل: أراد به القدرة على التزكية، يعني يقدر أن يلجئهم إلى ذلك لكن[٧] لو فعل لما نفعهم، وقيل: يزكي بالثناء عليه والحكم بطهارته والخبر عنه، كقولهم: فلان يزكي فلاناً، فثناء الله عليه تزكية له[٨]، وقيل: يزكي من يشاء؛ لأن في الناس من لا يكلفه[٩] أصلاً، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم[١٠] بضمائركم وأعمالكم يجازيكم بجميعها، ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾ قيل: لا يحلف، وقيل[١١]: لا يقصر ولا يترك ﴿أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُم وَالسَّعَةِ﴾ قيل: أولوا الفضل المتفضل إلى غيره المحسن،

---

(١) تعالى: سبحانه.
(٢) قيل: آثاره: ـ ، ز.
(٣) من: ـ ، ز، ل، م.
(٤) أبداً: ـ ، ز، ل، م.
(٥) لولا: إلا، ز، ل، م.
(٦) من: في، ل، م.
(٧) لكن: لكي، ي.
(٨) له: ـ ، ز، ل، م.
(٩) يكلفه: يخلقه، ز، ل، م.
(١٠) لأقوالكم: بأقوالكم، ز.
(١١) قيل: +، ز، ل، م.

وهو أبو بكر عند جميع المفسرين، فأما السعة[1] قيل: من عنده سعة من المال، وهم الأغنياء، وقيل: هم[2] أولوا الفضل في الدين والسعة في المال «**أَنْ يُؤْتُوا**» معناه ألاّ يؤتوا، أي[3]: لا يعطوا، يعني يحلف ألا يعطوا[4]، وقيل: لا يقصر أن يعطوا «**أُوْلِي الْقُرْبَى**» قرابته يعني مِسْطَحاً، وكان ممن قذف عائشة.

ومتى قيل: هلا حَسُنَ منه منع الإحسان لما آذاه في ابنته حتى أمربالإنفاق عليه؟

قلنا: لا[5]؛ لأن من أحسن مع من أساء إليه كان أجره أعظم، وقيل: اعتذر[6] مسطح وتاب بعدما حُدَّ، فلم يقبل أبو بكر عذره، فلما نزلت الآية سَرَّهُ ذلك وأنفق عليه.

ومتى قيل: أليس مسطح كان بدرياً، وورد[7] الخبر بأنه غفر لهم، وقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»؟

قلنا: البدري قد يحصل منه الكبيرة، ويؤخذ[8] بها خلاف ما يقوله النوابت، وإنما غفر لهم ما مضى؛ لأن الغفران فيه يصح؛ لأنه بمنزلة الإبراء، ولا يجوز حمله على المستقبل؛ لأنه إغراء بالمعاصي وإباحة للقبيح[9].

فأما قوله: «اعملوا ما شئتم» قيل: أراد أعمالهم وعاقبتهم على الخير والتوبة، وقيل: هو مبالغة في الرضى عنه[10] لفرط جهدهم، فاستحال[11] أن يُحْمَلَ على

---

(١) فأما السعة: والسعة، ز، ل، م.
(٢) هم: +، ز.
(٣) أي: أن، ز.
(٤) يحلف ألا يعطوا: ـ ، ز.
(٥) لا: ـ ، ز، ل، م.
(٦) اعتذر: اعذر، ز، ل، م.
(٧) وورد: ورد، ز.
(٨) ويؤخذ: فيؤخذ، ز، ل، م.
(٩) وإباحة للقبيح: ـ ، ل.
(١٠) والتوبة، وقيل: هو مبالغة في الرضى عنه: ـ ، ل.
(١١) فاستحال: ومستحيل، ي.

الأمر؛ لأنهم أجمعوا أن الأمر بالمعاصي لا يجوز، وكذلك إباحته، والآية وإن نزلت في مسطح فهو عام في جميع المؤمنين.

«**وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» وقد[١]: اجتمع في مسطح الصفات الثلاث، كان مسكيناً مهاجراً قريباً لأبي بكر «**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا**» يعني خوضهم في أمر عائشة إذا تابوا[٢] أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «يعني غفور للذنوب[٣] بالتوبة، رحيم بهم يدخلهم الجنة، فقال أبو بكر: بلى أُحِبُّ أن يغفر الله لي، ورجع ينفق على مسطح.

ثم عاد على القذفة[٤] فقال سبحانه[٥] «**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ**[٦]» العفائف «**الْغَافِلَاتِ**» عن الفواحش «**الْمُؤْمِنَاتِ**» بالله ورسوله واليوم الآخر «**لُعِنُوا**» أي: أُبْعِدُوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، وقيل: استحقوا اللعنة فيهما، وقيل: عُذِّبوا «**فِي الدُّنْيَا**» بالجلد، وفي الآخرة بعذاب النار «**وَلَهُمْ عَذَابٌ**[٧] **عَظِيمٌ**» قيل: هذا الوعد[٨] في قذف عائشة خاصة، وقيل: في عائشة[٩] وأزواج النبي ﷺ وعلى[١٠] آله، وقيل: عام في جميع المؤمنين، عن ابن عباس، وابن زيد وجماعة، «**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» قيل: يبني الله[١١] الجوارح بِنْيَةً يمكنها النطق[١٢]، وتكون هي الناطقة، وقيل: يخلق فيها النطق،

(١) وقد: وقيل، ي.
(٢) كان... تابوا: ـ، ز.
(٣) للذنوب: للمذنب، ز، ل، م.
(٤) على القذفة: على القذف، ز، ل م.
(٥) سبحانه: ـ، ز، ل، م.
(٦) المحصنات: الغافلات، ز.
(٧) ولهم عذاب: عذاب يوم، ز.
(٨) الوعد: ـ، ز، ل، م.
(٩) خاصة، وقيل: في عائشة: ـ، ز، ل، م.
(١٠) على: +، ز، م.
(١١) الله: ، ل.
(١٢) النطق: المنطق، ز، ل، م.

فيكون المتكلم[1] هو الله تعالى دون الجوارح، وأضيف إليها توسعاً؛ لأنها محل للكلام[2]، وهو الأصح، وقيل: يجعل فيها علامة تظهر تقوم مقام النطق بالشهادة.

ومتى قيل: أليس الله[3] يختم على[4] الأفواه؟ فكيف[5] تتكلم؟

قلنا: يجوز أن يكون ذلك في حال، وهذا في حال، والقيامة أحوال.

«**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ**» أي: يتم[6] لهم جزاء دينهم، وقيل[7]: جزاء أعمالهم، والدِّينُ الجزاء، يقال: كما تدين تدان، وقيل: جزاء دينهم واعتقاداتهم «**الحق**» قيل: من صفة الله تعالى[8]، وقيل: مِنْ[9] صفة الدِّينِ على ما[10] تقدم ذكره «**وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**» فيما صنع وأَمَرَ، و«**المبين**[11]» الذي يبين الأحكام، وقيل: يعلم[12] المشركون أن أمر الله هو الحق وأن[13] أديانهم باطلة.

الأحكام

يدل أول الآيات على وجوب التحرز من اتِّباع الشيطان؛ لأنه يأمر بالفحشاء.

وتدل على أن ذلك فِعْلُ العبد؛ لأنه إذا ذم الآمر بالفحشاء فخالق الفحشاء أولى

---

(١) المتكلم: +، ز، ل، م.
(٢) للكلام: الكلام، ز، ل، م.
(٣) الله: +، ز.
(٤) على: ـ ، ز.
(٥) فكيف: كيف، ز.
(٦) يتم: يتمم، ز، ل، م.
(٧) جزاء دينهم، وقيل: ـ ، ز، ل، م.
(٨) تعالى: +، ز، ل، م.
(٩) من: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) ما: ـ ، ل، م.
(١١) المبين: التبيين، ل.
(١٢) يعلم: +، ز، ل، م.
(١٣) أن: +، ز، ل، م.

به، وإذا كان هوالخالق لاتباع الشيطان فكيف نهانا عنه، وإذا كان هو الخالق للأمر بالفحشاء في الشيطان فكيف ذمه، وكل ذلك يدل على بطلان قولهم في المخلوق.

وتدل على أن الشيطان يَعْرِفُ بالفحشاء والمنكر، ويُمَيِّزُها[1] من الحق، وذلك لا يتم إلا بعد معرفة الله تعالى، ومعرفة النبوات والشرائع، فتدل على أن الشيطان مُعانِدٌ.

ويدل قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ على قولنا في اللطف، وأنه تعالى يلطف ليصلح[2] العباد.

وتدل على أن أحداً لا يصلح إلا بلطفه، وقد قال بعضهم: تدل على وجوب اللطف، قال القاضي: لا تدل؛ لجواز[3] أن يكون متفضلاً.

وتدل على أنه يجب به الشكر؛ لأنه[4] نعمة منه.

وتدل على أنه يريد للعباد خلاف ما يريده[5] الشيطان خلاف قول المجبرة: إنه أراد مِنْ فرعون الكفر، وأراد مِنْ الشيطان الكفر.

ويدل قوله: «**ولا يأتل. . .**» الآية أن المستحب لِمَنْ حلف ألاّ يفعل إحساناً أن يحنث؛ لأن المعتبر بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ويدل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ أن القذف من الكبائر، وأنه لا يُغْفَرُ إلا بالتوبة، والاعتبار بعموم اللفظ، ولا يقال: إنها وردت في شأن عائشة.

وتدل على كون عائشة من المؤمنات خلاف ما يقوله الرافضة.

ويدل قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ﴾ على إثبات المعاد، وعلى أنه يوفر الجزاء.

ويدل قوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ أنهم يضطرون إلى المعرفة على ما نقوله؛ لأنه تعالى عم.

---

(١) ويميزها: ويميزهما، ز، ل، م.

(٢) ليصلح: ليصح، ز.

(٣) لجواز: بجواز. ل، م.

(٤) لأنه: لاأنه، ل، م.

(٥) ما يريده: ما يريد، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

القراءة

القراءة الظاهرة: «حتى تستأنسوا»، وعن ابن عباس والأعمش: **(تستأذنوا)**، والمعنى واحد، ويحتمل أنهم فسروا ذلك بقولهم: تستأذنوا.

ومتى قيل: قد روي عن ابن عباس أنه غلط من الكاتب(١).

قلنا: لا يصح ذلك عنه، وذلك غلط عظيم؛ لأنه لو كان كذلك لما جوزه الصحابة والتابعون والمسلمون إلى يومنا هذا(٢).

اللغة

الخبيث: نقيض الطَّيِّب، والحرام كله خبيث، والحلال كله طيب.

والمبرأ: المنفي(٣) عنه صفة العيب، وهو المنزه عن العيب، يقال: برأه الله عن كذا، وهو يُبَرِّئ المؤمنين(٤) عن(٥) العيوب التي يضيفها إليهم أعداؤهم.

---

(١) الكاتب: الكتاب، ل.
(٢) هذا: ـ ، ل، م.
(٣) المنفي: ـ ، ل.
(٤) المؤمنين ـ ، ز، م.
(٥) عن: ـ ، ل.

ويقال: آنست[١] الشيء علمته، وآنسته: رأيته، وآنست الصوت: سمعته، والاستئناس استفعال منه، وقيل: تستأنسوا أي[٢]: تنظروا هل هاهنا أحد يأذن[٣]، عن ابن عروة، وقيل: معناه تستأذنوا.

والاستئذان: الاستعلام، أي: اسْتَعْلِمُوا أيطلق لكم الدخول أم لا[٤]، ومنه حديث عبدالله: (كان إذا دخل داره استأنس وتكلم)، وتقول[٥] العرب: اذهب فاستأنس هل ترى أحداً، معناه تَبَصَّرْ[٦]، ومنه الاستئناس: طلب الأنس[٧] بالعلم[٨].

۞ الإعراب

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ على لفظ الجمع، والمراد[٩] عائشة وصفوان، كما جاء ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ[١٠]﴾ [النساء: ١١]، والأم[١١] تحجب بالأخوين فجاء على تغليب[١٢] لفظ الجمع الذي يجري مجرى الواحد في الإعراب.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[١٣] في قصة عائشة لما خاض أهل الإفك

(١) آنست: ـ، ز، ل، م.
(٢) أي: +، ز، ل، م.
(٣) يأذن: ـ، ز، ل، م.
(٤) أم لا: +، ز، ل، م.
(٥) وتقول: ـ، ل.
(٦) تبصر: تنصرف، ز، ل، م، ي.
(٧) الأنس: ـ، ز، ل، م.
(٨) بالعلم: العلم، ز، ل، م.
(٩) والمراد: المراد، ز، ل.
(١٠) السدس: الثلث، ز، ل، م، ي.
(١١) والأم: أوالأم، ل، م.
(١٢) تغليب: تعلم، ز، ل، م.
(١٣) الخبيثات للخبيثين: ـ، ز، ل، م.

في حديث الإفك فبرأها الله من ذلك، وكان[١] الخبيث عبد الله بن أُبَيٍّ، وهو[٢] أولى بالخبيثة، والطيب النبي صلى الله عليه[٣]على آله[٤] وهو[٥] أولى بالطيبة.

وقيل: روي أن امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ وعلى آله[٦]، وقالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، ولا يزال يدخل عليَّ رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال فكيف أصنع[٧]، فنزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ الآيات.

وروي أنها لما نزلت آية الاستئذان، قال[٨] أبو بكر: أرأيت الخانات والمساكن في الطرق ليس[٩] فيها ساكن، فنزل قوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ الآية.

۞ النظم

يقال: كيف اتصل حديث الاستئذان بحديث الإفك؟

والجواب: أنه لمّا كان ذلك لتهمة[١٠] الخلوة، أمر الله تعالى عباده أن يتجنبوا مواضع التهم[١١]، وألاّ يدخلوا بيوتاً حتى يستأنسوا[١٢] ويسلموا على أهلها[١٣]؛ ليكونوا أبعد من التهمة.

---

(١) وكان: فكان، ز، ل، م.
(٢) وهو: فهو، ز، ل، م.
(٣) صلى الله عليه: +، ل.
(٤) على آله: +، م؛ وآله، ز.
(٥) وهو: فهو، ز، ل، م.
(٦) وعلى آله: +، ز، م.
(٧) فكيف أصنع: +، ز، ل، م.
(٨) قال: فقال، ي.
(٩) ليس: وليس، ي.
(١٠) لتهمة: التهمة، ز، ل، م.
(١١) التهم: التهمة، ي.
(١٢) يستأنسوا: يستأذنوا، ز،.م.
(١٣) على أهلها: +، ز، ل، م.

وقيل: لما تقدم قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ بين أن من جملة التطهير الاستئذان.

۞ المعنى

ولما تقدم حديث الإفك بيّن تعالى أن الخبيثة أولى بعبد الله بن أُبَيٍّ الذي خرج منه الإفك، وأن رسول الله ﷺ أولى بالطيبة، فقال سبحانه: «**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ**» قيل: الخبيثات من الكلام للخبيثين[1] من الرجال، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والضحاك، وقيل: الخبيثات من السيئات[2] للخبيثين من الرجال، عن ابن زيد، كأنه ذهب إلى إجماعها للمشاكلة بينهما، وقيل: الخبيثات: النساء الزواني للخبيثين من الرجال الزناة[3]، ثم نسخ ذلك، عن أبي علي، وقيل: الخبيثة للخبيث، والطيبة للطيب، ومعناه ما تقدم ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾[4] الآية، عن أبي مسلم «**وَالْخَبِيثُونَ**[5] **لِلْخَبِيثَاتِ**»، قيل: الخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلم[6]، وقيل: الخبيثات من النساء، «**وَالطَّيِّبَاتُ**» من الكلام «**لِلطَّيِّبِينَ**» من الرجال، «**وَالطَّيِّبُونَ**» من الرجال «**لِلطَّيِّبَاتِ**» من الكلام، وقيل: الطيبات من النساء للطيبين من الرجال[7]، وقيل[8]: الكلمات الخبيثة التي بها يذم في الخبيثين[9] من الرجال، وهم أولى بها، والطيبات: الثناء الحسن للطيبين من الرجال، وهم أولى بها، وقيل: هو نعت للّعن[10]، أي: اللعن للخبيثين فيستحقها في الدارين، والرحمة يستحقها الطيبون في الدارين «**أُوْلَئِكَ**»

---

(١) الكلام للخبيثين: كلام الخبيثين، ز.
(٢) من السيئات: من النساء، ز، ل، ي.
(٣) الزناة: الزواني، ي.
(٤) الزاني لا ينكح إلا زانية: +، ز، ل، م.
(٥) الخبيثون: الخبيثة، ي.
(٦) الكلم: الكلام، ز، ل، م.
(٧) «الطيبات» . . . من الرجال: ـ ، ز.
(٨) وقيل: وهم قيل، ز، م.
(٩) في الخبيثين: في الخبيثين، ل، ي؛ للخبيثين، م.
(١٠) للعن: اللعن، ز.

يعني الطيبين، يعني عائشة وصفوان «مُبَرَّءُونَ» منزهون «مِمَّا[١] يَقُولُونَ» من الإفك[٢] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ[٣] وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» يعني الجنة «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ[٤] حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا» قيل[٥]: تستأذنوا، عن ابن عباس، وابن مسعود، وإبراهيم، وقتادة، وقيل: تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الاستئذان، عن مجاهد، والسدي، وذكر الحسن أن أبا موسى روى عن النبيﷺ أنه قال: «الاستئذان[٦] ثلاث، فإذا[٧] أذنوا وإلا فارجع»، فدعاه عمر وقال: لتأتين ببينة، أو لأعاقبنك[٨]، فأتاه بمن سمعه معه، وقيل: هو التسبيح والتكبير ونحوه، عن عكرمة، وقيل: هو السلام[٩] لقوله[١٠]: «وَتُسَلِّمُوا[١١]» وروي أنه استأذن رجل على رسول الله ﷺ وعلى[١٢] آله فتنحنح فقال ﷺ وآله[١٣] لامرأة: «قومي إليه فعلميه[١٤] فقولي له: قل[١٥]: السلام عليكم، أأدخل[١٦]»؟ فسمعها الرجل فقالها، فقال: «ادخل»، وقيل[١٧]: الاستئناس: الاستهداء، ومعناه حتى تجدوا أنيساً، عن ابن الأنباري من قوله: ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠] يعني ينظر هل في البيت أحد يستأذنه في الدخول، وقيل: حتى تطلبوا[١٨]

---

(١) مما: عما، ي.
(٢) من الإفك: الخبيثون أهل الإفك، ي.
(٣) مغفرة: ـ، ز.
(٤) غير بيوتكم: ـ، ز، ل، م.
(٥) قيل: وقيل، ي.
(٦) عن مجاهد... الاستئذان: ـ، ز.
(٧) فإذا: فإن، ز، ل، م.
(٨) أو لأعاقبنك: وإلا عاقبتك، ز، ل، م.
(٩) هو السلام: المسلم، ي.
(١٠) لقوله: بقوله، ز، ل، م، ي.
(١١) وتسلموا: وأسلموا، ز.
(١٢) على: +، ز، م.
(١٣) وآله: +، ز، م.
(١٤) فعلميه: فاعلميه، ز.
(١٥) قل: +، ز، ل، م.
(١٦) أأدخل: أدخل، ز، ل، م.
(١٧) وقيل: فقيل، ز، ل، م.
(١٨) تطلبوا: تطلب، ز، ل، م.

الأنس بمتابعة الدين والإسلام، «وَتُسَلِّمُوا» قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: حتى تسلموا «عَلَى أَهْلِهَا» وتستأنسوا وتستأذنوا، فإن أذن فادخلوا، وقيل: في مصحف ابن مسعود: (حتى تسلموا][1] وتستأذنوا[2]، وقيل: معناه تستأذنوا بأن تسلموا، فتقولوا: السلام عليكم أدخل؟ وهذا هو الوجه، وقيل: تستأنسوا فإن[3] أذن فسلموا «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» يعني فعل ما أمركم به «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» مواعظه وأوامره ونواهيه فتتبعونها «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا» في البيوت من يأذن لكم في الدخول فلا تدخلوها حتى يوجد فيها من يأذن لكم[4]، فإذا[5] قيل لكم: «ارْجِعُوا» الأمر لهم «فَارْجِعُوا» ولا تقفواعلى أبوابهم، ولا تهجموا عليهم «هُوَ أَزْكَى لَكُمْ» قيل[6]: الرجوع أزكى من الوقوف، أي: أطهر، وقيل: فعل ما أمركم أزكى وأصلح، «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» أي: عليم بأعمالكم فيجازيكم بها «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أي: حرج وضيق «أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ» يعني بغير استئذان «فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ» أي: منفعة لكم[7]، قيل: هي الخانات، عن قتادة، وأباح النزول فيها، وقيل: الخربات للغائط والبول[8]، عن عطاء، وقيل: بيوت التجار وحوانيتهم التي فيها أمتعة الناس، عن ابن زيد، وقيل: جميع البيوت التي لا ساكن فيها، وقيل: هي بيوت مكة، عن محمد بن الحنفية، وقيل: الخربة التي يأوي إليها المسافر صيفاً أو شتاء[9]، عن الضحاك. «فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ» قيل: أثاث لكم وأموال وأمتعة للتجار[10]، عن ابن زيد، وقيل: متاعهم النزول فيها، عن أبي علي. «وَاللَّهُ

(١) «على أهلها». . . حتى تسلموا: ـ ، ز، ل، م.
(٢) وتستأذنوا: أوتستأذنوا، ز.
(٣) فإن: فإذن، ز.
(٤) لكم: ـ ، ز، ل، م.
(٥) فإذا: وإذا، ز، ل، م.
(٦) قيل: ذلك، ز.
(٧) أي: منفعة لكم: ـ ، ز، ل، م.
(٨) والبول: والنزول، ز، ل، م.
(٩) أو شتاء: وشتاء، ز، ل، م.
(١٠) للتجار: التجار، ز، ل، م.

﴿يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ قيل: من[1] السلام والإذن، وقيل: منهم ومنكم[2]، وضمائركم[3] فيجازيكم بها، وقيل: هو عام.

الأحكام

تدل الآية على أن كل من قال كلمة خبيثة فهو خبيث.

وتدل على براءة عائشة نصاً، ومع هذه الآيات لا ينبغي لأحد أن يبقى في قلبه شك في أمرها.

ويدل قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أنها تدخل الجنة، فمن قال فيها شيئاً، فقد رد القرآنَ والإجماع، ومن المشهور عن النبيﷺ وعلى آله[4] أنه قال: «دعوا[5] عائشة فإنها صوامة قوامة، زوجتي في الدنيا، وزوجتي في الآخرة».

وتدل على وجوب الاستئذان عند[6] الدخول في الدور؛ [7] لكيلا يهجم على ما لا يجوز من عورة ونحوها[8].

وتدل على إباحة دخول ما له فيه متاع، وهو غير[9] مسكون لما مرَّ[10] من ذلك.

وتدل على أنه إذا لم يؤذن له يجب عليه الرجوع، فقد استوفت[11] هذه الآيات على اختصارها كل ما يدخل في ذلك من الإمكان.

---

(١) من: -، م.
(٢) منهم ومنكم: من همومكم، ز، م.
(٣) وضمائركم: وإضماركم، ز، ل، م.
(٤) وعلى آله: +، م.
(٥) دعوا: ادعوا، ز.
(٦) عند: في، ز.
(٧) في الدور: للدار، ز، ل، م.
(٨) ونحوها: أونحوها، ز، ل، م.
(٩) غير: +، ز، ل، م.
(١٠) لما مر: الأمر، ز، ل، م؛ الأمر، ي.
(١١) استوفت: استوى في، ز، ل، م.

وتدل على أنه ينبغي أن يُسَلِّم، واختلفوا، فقيل: إنه نفل، وقيل: واجب، وقيل: فرض على الكفاية[1].

ومتى قيل: الاعتبار في الإذن بالقول أو الرضى[2] بالقلب؟

قلنا: بالقول[3]؛ إذ لا طريق إلى ما في القلب إلا أنه إذا وجد الإذن من دون رضى بأن يحصل مكرهاً أو نحوه، فلا يحل الدخول حينئذ.

فأما صفة الإذن فصريحة[4]، أو ما يدل عليه نحو ما روي عن ابن عباس من التسبيح والتكبير، فكانوا تعارفوا ذلك إِذْناً.

وتدل على أن الكلمات الخبيثة فعل العبد؛ لأنه بَيَّنَ أن[5] صاحبها خبيث فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) الكفاية: الكفار، ز.

(٢) بالقول أو الرضى: بالقول بالقول الرضي، ل.

(٣) قلنا: بالقول: +، ز، ل، م.

(٤) فصريحة: ـ، ز، ل، م.

(٥) أن: ـ، ل، م.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر والمفضل[١] عن عاصم: «غَيْرَ» بنصب الراء، وفيه وجهان:

أحدهما: الحال والقطع؛ لأن التابعين معرفة و(غير) نكرة.

والثاني: الاستئناف بكون[٢] (غير) بمعنى (إلا).

وقرأ الباقون بالجر نعتاً للتابعين.

قرأ ابن عامر: «أيُّهُ[٣] المؤمنون» بضم الهاء، وفي (الزخرف): ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩] وفي (الرحمن): ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] بضم الهاء في هذه الأحرف؛ لأنها مكتوبة بغير ألف، ولأن الأصل في الهاء الضم، وقرأ الباقون بالفتح؛ لأنه حرك إلى أخف الحركات، ثم اختلفوا في الوقف، فأما ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب يقفون عليها بالألف (أيها). أبو جعفر، ونافع[٤]، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، يقفون (أيه) بغير ألف.

۞ اللغة

الغض: غض البصر، وكل شيء كففته فقد غضضته، وأصله: الغضغضة، وهو النقصان، ومنه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن بن عوف[٥]: (هنيئاً لك خرجْتَ من الدنيا بِبِطْنَتِكَ ولم تتغضغض منها بشيء)، يقال: غَضْغَضْتُ[٦] الشيء فتغضغض إذا نقص، ومعنى الحديث: أنه هاجر واستحق الأجر، ولا[٧] تلبسبعمل، ولا دلس[٨] نفسه بشيء، وقوله: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩] أي: أنقص،

---

(١) والمفضل: والمعل، ز.
(٢) الاستئناف بكون: الاستثناء فيكون، ز، م.
(٣) آية: أيها، م، ي.
(٤) ومنافع: +، ز، ل، م.
(٥) بن عوف: ـ ، ل.
(٦) غضغضت: غضضت، ز، ل، م.
(٧) ولا: ولم، ز، ل، م.
(٨) ولا دلس: ولادنس، ز، ل، م.

يقال: غض بصره وصوته، أي[1]: نقص من نظره[2] وصوته.

والإربة: الحاجة، وهي فِعْلَة من الأَرَبِ، كالمشية من المشي، والجلسة من الجلوس، يقال: أَرِبَ الرجل يَأْرَبُأَرَباً، إذا احتاج، والإِرْبَةُ والأَرَبُ، والمأرَبة[3]، والمأرُبة بفتح الراء وضمها: الحاجة، والأُربة بضم الهمزة: العقدة، أَرَّبْتُ العقدة أي: أحكمتها، سمي[4] بذلك لأن ما يحتاج إليه من الأمور يقتضي العقدة عليه، ولأن الحاجة كالعقدة[5] حتى[6] تنحل بسد الخلة، ولأن العقدة التي[7] تمنع من المنفعة[8] تحتاج إلى حلها، وفي الحديث[9] أن رجلاً اعترض للنبي ﷺ يسأله[10]، فصاحوا[11] به، فقال النبي ﷺ: «دعوا الرجل أَرِبَ، مَالَهُ؟!»، قال ابن الأعرابي: احتاج، فسأل فَمَالَهُ[12]، وقيل[13]: معناه حاجة جاءت به فدعوه، و(ما) صلة، عن الأزهري، وقيل: أرب ماله، أي: سقطت آرابه وأصيبت[14]، عن القتيبي، وقيل: اشتكت آرابه وسقطت، والآراب الأعضاء، واحدها: إِرْبٌ، عن ابن الأنباري، وروي «أَرِبٌ ماله» بضم الباء والتنوين، ومعناه رجلٌ[15] أَرِبٌ، أي: حاذق كامل.

والْخُمر: جمع خمار، وهي المقانع؛ سمي بذلك لأنه يستر الرأس، ومنه:

---

(١) أي: إذا، ز، ل، م.
(٢) نظره: نضره، ز، م.
(٣) والمأربة: ـ، ز، ل، م.
(٤) سمي: يسمى، ي.
(٥) كالعقدة: العقدة، ز، ل، م.
(٦) حتى: +، ز، ل، م.
(٧) العقدة التي: العقد الذي، ز.
(٨) المنفعة: ـ، ز، ل، م.
(٩) الحديث: حديث، ز.
(١٠) يسأله: يسلبه، ز.
(١١) فصاحوا: فضجوا به، ل، م.
(١٢) فماله: ماله، ز، ل، م.
(١٣) وقيل: فقيل، ز، ل، م.
(١٤) وأصيبت: وصلبت، ز، ل، م.
(١٥) رجل: الرجل، ي.

الخَمْرُ؛ لأنه[1] يغطي العقل، والخَمَرُ: كلما[2] يسترك[3] من شجر أو[4] بناء أو غيره، ومنه الحديث: «خمروا آنيتكم[5]» أي: غطوها.

اختلفوا في (مِنْ) مِن قوله: ﴿مِنۡ أَبۡصَـٰرِهِمۡ﴾ قيل: هو صلة، أي: غضوا أبصارهم، وقيل: هو ثابت لابتداء الغاية، وقيل: بمعنى التبعيض؛ لأن غض البصر واجب في بعض المواضع، وفي بعض الأحوال ليس كذلك، عن أبي مسلم، وقيل: معناه ينقصوا[6] من نظرهم، فلا ينظروا[7] إلى ما حرم الله، وهذا يقرب من قول أبي مسلم.

۞ المعنى

ثم بين فيما[8] يتصل بما قبله ما يحل من النظر والخلوة وما لا يحل، فقال سبحانه: «قُلْ» يا محمد للمؤمنين، وإنما أمر بأن يخاطب المؤمنين بهذا الخطاب لوجهين:

أحدهما: أنه من فروع الدين، فيخاطب به المؤمنين.

والثاني: لأنه لا يَقْبَلُها ولا يعمل بها[9] إلا المؤمنون.

وقيل: إنه تعالى أراد[10] تطهيرهم، وتزكيتهم، وإنما يزكي المؤمنين دون غيرهم «**يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**» أي: يكفوا ويحبسوا أبصارهم عن النظر إلى ما لا يجوز من

(١) لأنه: لا، ز.
(٢) كلما: كلها، ز.
(٣) يسترك: يسير، ز.
(٤) شجر او: ـ، ز، ل، م.
(٥) آنيتكم: أبنيتكم، ز، م.
(٦) ينقصوا: لينقصوا، ز، م.
(٧) ينظروا: ولا ينظر، ي.
(٨) فيما: ما، ز.
(٩) ولا يعمل بها: ولايعمها، ز.
(١٠) إنه تعالى أراد: إنه أراد تعالى، ي.

العورات، «**وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**[1]» قيل: مما[2] لا يحل، عن أكثر المفسرين، وقيل: عن أعين الناس، وقيل: كل[3] ما في القرآن من حفظ الفرج[4]، فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع، فإنه أراد أن يحفظوا فروجهم حتى لا ينظر إليها أحد، ولذلك أسقط من[5]، عن ابن زيد، «**ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**» أي: أطهر وأنفى للتهمة، وأقرب إلى التقوى والشريعة «**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ**[6] **بِمَا يَصْنَعُونَ**» فيما أمرتكم ونهيتكم، وقيل[7]: من غض البصر[8]، وحفظ الفرج، قيل: بجميع أعمالكم فيجازيكم به[9] «**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**» فلا ينظرن إلى ما لا يجوز النظر إليه من العورات «**وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**» من الحرام، وقيل: من النظر إليها، فتسترها[10] حتى لا يراها أحد «**وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**» أي: لا يظهرن مواضع الزينة لغير مَحْرَمٍ، أي: ما يُتَزَيَّنُ [به][11] من الثياب وغيرها، وقيل: الحلقة الحلية من الزينة، فلا تبديها[12] لغير محرم، وقيل: موضع الزينة الخلخال والسوار والدُّمْلُوج[13] والقرط والقلائد ونحوها «**إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا**» اختلف العلماء في الاستثناء، وهو (**ما ظهر منها**)، قيل: هي الثياب، عن ابن مسعود، وإبراهيم، واعتبر قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقيل: ما ظهر على حد الحلقة والسوار، وقيل: مواضع الزينة، ثم اختلفوا، فقيل: الكحل

---

(١) ويحفظوا فروجهم: ويحفظن فروجهن، ل، م.
(٢) مما: ما، ز.
(٣) كل: ـ، ل.
(٤) الفرج: الفروج، ل، م.
(٥) من: +، ز، ل، م.
(٦) خبير: عليم، ز، ل، م، ي.
(٧) وقيل: قيل، ز، ل، م.
(٨) البصر: أبصاركم، ز، ل، م.
(٩) وحفظ الفرج، قيل: بجميع أعمالكم فيجاريكم به: لاينظرون إلى ما لايجوز النظر إليه من العورات، ز، ل، م.
(١٠) فتسترها: فيستتر بها، ز، م.
(١١) به: +، ز، ل، م.
(١٢) فلا تبديها: فلا تبدينها، ز.
(١٣) والدملوج: والدملج، ز، ل، م.

والخاتم والسوار والخضاب، عن ابن عباس، وقيل: الوجه والكفان، عن الضحاك، والأوزاعي، وعطاء، وقيل: الوجه والبنان، عن الحسن، وإنما رخص في هذه المواضع؛ لأنها ليست بعورة «**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**» أي[1]: بثيابهن على جيوبهن، وأراد أن تغطي شعرها وصدرها وعنقها[2]«**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**» الخفية التي لم يُبَحْ[3] كشفها، وهي ما عدا الكفين والوجه، وظهور القدمين «**إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ**[4] **أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ**» فيجوز لكل هؤلاء النظر إلى مواضع[5] الزينة الظاهرة «**أَوْ نِسَائِهِنَّ**» قيل: نساء المؤمنين، وقيل: لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي مشركة إلا أن تكون أَمَةً لها «**أَوْ مَا**[6]**مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**» قيل: الجواري المشركات، عن ابن جريج، وقيل: الجواري، وقيل[7]: أراد العبيد والإماء؛ لأن اللفظ يشملهم[8]، عن الحسن، وقيل: أراد مملوكاً لم يبلغ مبلغ الرجال، عن أبي علي. «**أَوِ التَّابِعِينَ**[9]**غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ**» قيل: الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في[10] النساء، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وقيل: الذي يضيفونهم، كأنهم منهم، وليس له في نسائه إربة، عن ابن زيد، وروي عن ابن عباس: الأَبْلَهُ العِنِّين، وعن مجاهد: الأبله الذي لا يعرف شيئاً من النساء، وقيل: هو الذي لا ينشر، عن الحسن، وقيل: المعتوه، عن سعيد بن جبير، وقيل: المجنون، عن عكرمة، «**أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**» بِجِماعِهن، والطفل يكون واحداً وجمعاً، وقيل: هو الذي لا يقدر على الجماع،

(١) أي: +، ز، ل، م.
(٢) وعنقها: +، ز، ل، م.
(٣) لم يبح: لايبح، ز.
(٤) أو آبائهن... بعولتهن: +، ز، ل، م.
(٥) مواضع: موضع، ز، ل، م.
(٦) أو ما: وما، م.
(٧) .... وقيل: ـ، ز، ل، م.
(٨) يشملهم: شملهن، ز، ل، م.
(٩) أو التابعين: والتابعين، ز.
(١٠) في: إلى، ز، ل، م.

فأما من قدر كالمراهق فحكمه حكم الرجال، «وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ» إذا مشين[١] لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ» مبالغة في الأمر بالتعفف، يعني لا يحركن[٢] أرجلهن إذا مشين ليعلم ما يخفين من زينتهن من الحلي، وقيل: ربما يسمع صوت الزينة الخفية فيطمع بها[٣] الرجال، وقيل: يكون بعثاً للشهوات ودعاء للرجل[٤] إلى نفسها، وعن الحسن: كانت البغايا في الجاهلية يجعلن في أرجلهن الخلخال، فإذا مرت بالمجلس حركته، فنزلت الآية. «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا» يعني ارجعوا إلى طاعة الله[٥] عن معاصيه، وإلى إرادته التي علمكم، وقيل: توبوا[٦] من التقصير فيما أمركم ونهاكم[٧] «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أي[٨]: لتفلحوا، يعني تفوزوا بالجنة، وقيل: توبوا متعرضين للفلاح.

ومتى قيل: المؤمن يستحق الفوز، فما معنى التوبة؟

قلنا: لأنه لا يخلو من الصغائر، فربما يكون كبيرة، وقيل: أراد بالمؤمنين[٩] المصدقين، وقيل: المراد الانقطاع إلى الله تعالى[١٠] والتوبة طاعة، فيصح أن يتوب حالاً بعد حال انقطاعاً إليه تعالى.

۞ فصل

الكلام في هذه الآية يشتمل على ثلاثة[١١] فصول:

أولها: أنه خطاب للمؤمنين أَوَّلِهِمْ وآخِرِهم.

---

(١) إذا مشين: +، ل، م.
(٢) لا يحركن: لايحوركن، ز.
(٣) بها: فيها، ز،ل، م.
(٤) للرجل: الرجال، ز، ل، م.
(٥) طاعة الله: الطاعة لله، ز.
(٦) توبوا: تؤمنوا، ز.
(٧) ونهاكم وأنهاكم، م.
(٨) أي: ـ، ل، م.
(٩) بالمؤمنين: المؤمنين، ل، م.
(١٠) تعالى: ـ، ز، ل، م.
(١١) ثلاثة: +، ز.

وثانيها: أن هاهنا مواضع لا يحل النظر إليها، فيتصل بها بيان العورات.

وثالثها: أن منهم من يُجُوزُ النظر إليه ومنهم من لا يُجُوزُ، فيجب بيان المحارم ليعلم الفرق بينه وبين[1] الأجانب[2].

ورابعها: دلالات الآية.

أما الفصل الأول: فقد اختلفوا فيه، فقيل: إنه خطاب لكل مكلف، وإنما خص المؤمنين بالذكر؛ لأنهم يقبلونه ويعملون[3] به، ولأنهم هم[4] الذين يصح فعلهم منهم[5] مطلقاً.

وقيل: بل هو خطاب للمؤمنين خاصة، والكفار لا تخاطب[6] بالشرائع، والأول الصحيح، وهو قول مشايخنا.

وأما الفصل الثاني: بيان العورات، قيل[7]: العورة في الرجل ما بين السُّرَّةِ إلى الركبة، والسرة ليست بعورة والركبة عورة، ثم هو على ضربين: مغلظ كالفرج، ومخفف كالفخذ، وهو قول أبي حنيفة وقال[8]: تجوز صلاته كذلك[9]، وقال الهادي: لا تجوز إذا قدر على سترها[10]، ثم عند أبي حنيفة[11] في المغلظة المقدار قدر الدرهم، وفي المخففة الربع، وقال الشافعي: السرة عورة، والركبة ليست بعورة، وقيل: ما بين العانة إلى ما[12] يقارب الركبة، وقيل: السرة والركبة عورة، والظاهر لا يشهد لأحد الأقوال، فوجب الرجوع إلى دليل آخر.

---

(١) الفرق بينه وبين: الفرق بين المحرم وبين، ل.
(٢) الأجانب: الأجنبية، ز، ل، م.
(٣) ويعملون: ويعلمون، ز.
(٤) هم: +، ل، م.
(٥) منهم: +، ز، ل، م.
(٦) لا تخاطب: لايخاطبون، ز، ل، م.
(٧) قيل: فقيل، ز، ل، م.
(٨) وقال: +، ز.
(٩) كذلك: +، ز.
(١٠) سترها: ستره، ز.
(١١) وقال: تجوز... أبي حنيفة: ـ، ل، م.
(١٢) ما: ـ، ز.

فأما النساء: فَمِنْ الحرة جميع بدنها عورة إلا الوجه والكف والقدم عند أبي حنيفة. وقال الهادي: القدم عورة، وروي عنه مثل قول أبي حنيفة.

وأما الأَمَةُ: فشعرها وصدرها وعضدها[١] ليس[٢] بعورة، ومن السرة إلى الركبة عورة للمرأة من المرأة أيضاً.

فأما الفصل الثالث: فالنظر للشهوة لا يجوز لأحد غير الزوج، فأما عند الأمن من غير شهوة فيجوز للمَحْرَم[٣] النظر إلى الشعر والصدر والثدي[٤] والعضد، ولا يجوز النظر إلى البطن والظهر، فأما الأجانب فيجوز لهم[٥] النظر إلى الوجه والكف، وفي القدم اختلاف رواية عن أبي حنيفة، فأما العجوز فلا بأس بمصافحتها، وأما[٦] الزوج فيجوز له النظر إلى جميع بدنها.

واختلفوا في الفرج، وكذلك للمرأة النظر إلى زوجها، وكذلك يجوز للزوجين من الزوجين النظر إلى فرج[٧] صاحبه، وقال الشافعي: لا يجوز النظر إلى الفرج، وروي يجوز، فأما المَحْرَم فالمذكور[٨] في الآية؛ وهومَنْ لا يجوز النكاح بينهما للقرابة.

ولا يجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته إلا ما يجوز للأجانب[٩]، وهو قول أبي حنيفة ويحيى[١٠] الهادي عليه السلام، وقال الشافعي في أحد قوليه: يجوز[١١].

(١) فشعرها وصدرها وعضدها: فصدرها وشعرها وعضدها، ل، م.
(٢) ليس: ليست، ز، ل، م.
(٣) للمحرم: ـ، ز، ل، م.
(٤) والثدي: +، ز، ل، م.
(٥) لهم: +، ز، ل، م.
(٦) أما: فأما، ز، ل، م.
(٧) للزوجين من الزوجين النظر إلى فرج: لكل واحد مس، ي.
(٨) فالمذكور: المذكور، ي.
(٩) للأجانب: للجانب، ز.
(١٠) يحيى: +، ز، ل، م.
(١١) يجوز: يجوز الرابع، ز، ل، م.

۞ الأحكام

الآية تدل على وجوب غض البصر[1]، وأن النظر يؤخذ به، وأنه من الكبائر، وأنه فعل العبد.

وتدل على أن الجنة لا تنال إلا مع التوبة خلاف قول المرجئة.

ويدل قوله: «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أنه أراد من الجميع فلاحهم، وهو[2] التوبة، دل أنه[3] فعلهم، فيبطل قولهم[4] في الإرادة والمخلوق[5].

قوله تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾

۞ اللغة

النكاح: يستعمل في العقد والوطء، ثم اختلفوا[6]، فقيل: حقيقة في[7] العقد مجاز في الوطء، وقيل: بل حقيقة في الوطء، وسمي العقد به؛ لأنه وصلة[8] إليه، يقال: نكح وأَنْكَحَ غيره، وزَوَّجَهُ، وأصله من الاجتماع.

والأَيِّمُ: مَنْ لا زوج لها، والجمع: أيامى، ويقال: ذلك للرجل والمرأة، وقيل:

---

(١) البصر: النظر، ز.
(٢) فلا خصم، وهو: صلاحهم وقبول، ل.
(٣) دل أنه: وأنه، ل.
(٤) قولهم: قول المجبرة، ل، م.
(٥) والمخلوق: في المخلوق، ي.
(٦) ثم اختلفوا: واختلفوا، ز، ل، م.
(٧) في: ـ، ز، ل، م.
(٨) وصلة: ، ز.

إنها في معنى[1] فعيلة[2]، يجمع[3] كجمع يتيمة[4] ويتامى، ويجوز في جمعه أيايم، وامرأة أَيِّمَة وأيم[5]، وقيل: هو الرجل الذي لا امرأة له، والمرأة التي لا زوج لها، عن ابن عباس، والحسن، وقيل: الأيم: الثيب[6] التي لا زوج لها، عن محمد بن الحسن، وقيل: المرأة التي لا زوج لها، عن الكسائي وأبي عبيدة، قال الشاعر:

فإن تَنْكِحِي أَنْكِحْ وإن تَتَأَيَّمِي[7] وإن كنت أَفْتَى[8] منكم أَتَأَيَّم[9]

والفعل منه آمَتْ المرأة تَأْيَمُ أَيْمَةً وأُيُوماً[10].

والاستعفاف والتعفف سواء، وهو طلب العفة واستعمالها[11]، والعفة: الكف عما لا يحل، يقال: رجل عَفٌّ وامرأة عفة، وقد عف[12] عِفَّةً وعفافاً، واستعفف وتعفف: صبر على العفة، قال الفرزدق:

وقائلةٍ ما للفرزدقِ لا يُرَى على السِّنّ يستغني ولا يَتَعَّففُ

وأمة وإماء نحو: أَكَمَةٍ وإِكامٍ، وأصلها: أَمَوَةٌ حذفت الواو تخفيفاً، يدل عليه قولهم: أَمَةٌ بَيِّنَةُ الأُمُوَّةِ.

---

(١) معنى: محل، ل.
(٢) فعيلة: فعلة، ز، ل.
(٣) يجمع: فجمع، ز، ل، م.
(٤) يتيمة: يتمه، ز.
(٥) أيم: وأيمه، ز، ل، م.
(٦) الثيب: البنت، ز، م.
(٧) تتأيمي: تأيمي، ز، ل، م، ي؛ وما أثبتناه من تفسير التبيان ٧/ ٤٣٢ وفي مجمع البيان في تفسير القرآن م٥/ج١٨/ ٤٠.
(٨) افتى: أكثر، م.
(٩) عجز البيت في تفسير التبيان ٧/ ٣٤٢، وفي مجمع البيان في تفسير القرآن م٥/ج١٨/ ٤٠:
يدا الدهر ما تنكحي أتأيم
(١٠) أيوماً: يوماً، ز.
(١١) استعمالها: واستعماله، ز، ل، م.
(١٢) عف: عفى، ي.

والعبد: يجمع على عباد نحو: كلب وكلاب، وعلى عبيد نحو: ضَأْنٍ وضَئِينٍ، وعُبُدٍ وأَعْبُدٍ، وإذا أردت القليل نحو: فَلْسٍ وأَفْلُسٍ.

المعنى

ثم أمر تعالى بالنكاح المغني[(١)] عن السفاح تطهيراً وتزكية، فقال سبحانه: «**وَأَنكِحُوا**» قيل: خطاب للأولياء، وقيل: بل[(٢)] خطاب لكل من له أن يزوج، ولياً أو غير ولي، وهو الظاهر؛ لأنه عطف على المؤمن، فالظاهر[(٣)] دخولهم فيه، وقيل: بل[(٤)] أمر[(٥)] بالإنكاح، بشرط[(٦)] رضاهن إذا كن من أهل الرضى، «**الأَيَامَى**» من لا زوج لها من النساء، أو من[(٧)] لا امرأة له من الرجال «**مِنكُمْ**» قيل: من الحرائر؛ ليقع الفصل بينه وبين العبيد، وقيل: من أقربائكم، فتُزَوَّجُ الأيم من بني عمها وأقربائها[(٨)] وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ» يعني أنكحوا عبيدكم وإماءكم[(٩)]، فيستحب للسيد أن يزوج بعضهم من بعض، وليس بأمر حتم وإيجاب، وقيل: ندب، وقيل: إباحة «**وَالصَّالِحِينَ**» يحتمل الصلاح في الدين، وهو الأظهر، ويحتمل الصلاح الذي يتعلق بحق كل واحد منهما في حقوق النكاح، ويحتمل أن يكون الصلاح في نفس النكاح، بأن تكون ممن ترغب في النكاح دون الصغيرة والمجنونة «**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**» أي: يكفيهم مؤنة النكاح[(١٠)].

---

(١) المغني: المغنية، ي.
(٢) بل: ـ ، ز.
(٣) فالظاهر: والظاهر، ز، ل، م.
(٤) بل: ـ ، ز، ل، م.
(٥) أمر: يأمر، م، ي.
(٦) شرط: فشرط، ل، م، ي.
(٧) من: ـ ، ز، ل، م.
(٨) وأقربائها: وأقربائكم، ل.
(٩) يعني أنكحوا عبيدكم وإماءكم: +، ز، ل، م.
(١٠) دون الصغيرة... مؤنة النكاح: ـ ، ز.

ومتى قيل: أليس العبد لا يملك، فكيف قال[١] يفهم[٢] الله[٣]؟

قلنا: منهم من قال: يملك إذا ملكه[٤] السيد، وقيل: أراد به غنى الاستمتاع، وهو يقع بالنكاح[٥] لا محالة، وقيل: إنه يرجع إلى الأيامى؛ لأنه يثبت بالدليل أن العبد لا يملك.

«وَاللَّهُ وَاسِعٌ» عالم[٦] الرحمة والإحسان **«عَلِيمٌ»** بمصالح[٧] الخلق، يضع رحمته بحسب المصلحة، وقيل: هذا وَعْدٌ جميل وترغيب في النكاح، وقيل: وعد لأن يغنيك عنها وغناك عنها خير[٨] من غناك بها **«وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا»** قيل: ليصبروا: الاستعفاف[٩]: الصبر على العفة، وقيل: لطلب العفة[١٠] بترك السفاح إذا لم يجد النكاح **«حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»** فيتمكن[١١] من النكاح، ومعنى **«لاَ يَجِدُونَ»** لا يتمكنون من النكاح لفقد[١٢] المَهْرِ والنفقة أو نحوها.

الأحكام

تدل الآية على أن للولي[١٣] حقاً في إنكاح الولية، ثم اختلفوا، فقال أبو حنيفة: إن كانت صغيرة أو مجنونة فهو يزوجها، وإن كانت كبيرة فالأولى أن يزوجها برضاها، ويستحب ذلك سواء كانت بكراً أو ثيباً.

---

(١) قال: قا، ز.
(٢) يغنهم: بعضهم، ل.
(٣) الله: ـ، ز، ل، م.
(٤) ملكه: ملك، ي.
(٥) بالنكاح: النكاح، ي.
(٦) عالم: عليهم، ل، م.
(٧) بمصالح: لمصالح، ز.
(٨) خير: أخير، ز.
(٩) الاستعفاف: ـ ، ل.
(١٠) وقيل: لطلب العفة: +، ز، م.
(١١) فيتمكن: فيمكن، ز.
(١٢) لفقد: لعقد، ز، م.
(١٣) للولي: للمولى، ز.

وقال الشافعي: لا يجوز للمرأة أن تُزَوِّجَ ولا ينعقد بقولها، والولي[1] هو الذي يزوج، فإن رضيت بغير كُفْؤٍ[2] جاز النكاح، وللأولياء[3] الاعتراض[4]، وكذلك إذا رضي بعض الأولياء فليس للباقين الاعتراض.

وقال مالك: لا يجوز النكاح.

فإن قصرت في المهر فله الاعتراض، عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا اعتراض، فإن منع عن التزويج من الكفؤ فهو عاضل، والسلطان يزوجها، وكذلك إذا غاب غَيْبَةً منقطعة زوجها الأقرب، وقال الشافعي: له إجبار[5] البالغة.

وتدل الآية على أن للولي الولاية، ثم اختلفوا، فقيل: هم العصبات، وليس لذوي الأرحام ولاية، وقال أبو حنيفة: وكل قريب وارث، والابن أولى من الأب، وقال الشافعي: الأب أولى، والمرأة تزوج أَمَتَها عند أبي حنيفة، وقال الهادي «عليه السلام»[6]: توكل من يزوجها، وقال الشافعي: يزوجها أولياؤها.

وتدل على الترغيب في النكاح، ثم اختلفوا، فقال أبو حنيفة: إنه مستحب ليس بواجب، وقال الشافعي: إن تاقت نفسه إلى النكاح وخاف الفساد وجب، وقال بعضهم: إنه مباح.

ومتى قيل: كيف يدخله التعبد وهو من باب التلذذ؟

قلنا: يجوز أن يتعبد بالعفة[7] عند خوف السوء، فقد[8] يجب لخوف الإقدام على الحرام، وكذلك الوطء، وقد يجب عند الخوف، ولا يمتنع[9] ورود التعبد به[10]،

---

(١) والولي: والمولى، ز.
(٢) كفؤ: كفواً، ي.
(٣) وللأولياء: والأولياء، ز، ل، م.
(٤) الاعتراض: للاعتراض، م.
(٥) إجبار: خيار، ز، ل، م.
(٦) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(٧) بالعفة: بالعقد، ز، ل، م.
(٨) السوء، فقد: للسوء وقد، ز، ل، م.
(٩) ولا يمتنع: فلا يمنع، ز، ل، م.
(١٠) به: ـ ، ز، ل، م.

وروي في ذلك أخبار منها قوله: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم»، وقال: «من أحب فطرتي فليستن بسنتي» وهو النكاح، وقال: «من كان له ما يتزوج فلم يتزوج فليس منا»، وقال: «شراركم عزابكم»، وقالﷺ وعلى آله[1]: «أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد، وليولم أحدكم ولو بشاة»، وقال: «التمسوا الرزق بالنكاح[2]»، وقال أبو حنيفة: النكاح أولىمن التخلي لثقل[3] العبادة، وقال: إنه[4] سبب لمصالح جمة وهو[5] كالإمارة، وقال الشافعي: التخلي لثقل[6] العبادة أولى.

ويدل قوله: ﴿مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ على الترغيب في نكاح المماليك[7]، واختلفوا، فقيل: واجب، عن الحسن، وروي عنه أنه رخصة، ولم يفرق بين العبد والأمة، وقيل: رخصة في الإماء، واجب في العبيد [8]، وقيل: واجب في الإماء خاصة، عن أبي علي؛ لكنه يوجب بشرط طلبها، ولا خلاف أن المولى يزوج الأمة ساخطة. واختلفوا في العبيد[9] فقال أبو حنيفة: ليس للمولى[10] إجباره على النكاح خلافاً للشافعي.

ويدل قوله: ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ على وعد بالسعة عند النكاح، ولهذا قالﷺ وآله[11]: «التمسوا الرزق بالنكاح»، وقيل: إنه يرجع إلى الأيامى؛ لأن العبد لا يملك، وقد بينا ذلك.

ويدل قوله: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾ أن إباحة الاستمتاع موقوفة على النكاح، ولولا أن

---

(١) وعلى آله: +، ز، م.
(٢) بالنكاح: ـ، ل، م.
(٣) لثقل: لشغل، ل.
(٤) وقال: إنه: وقيل: هو، ز؛ وقيل إنه، ل، م.
(٥) وهو: فهو، ز، ل، م.
(٦) لثقل: لشغل. لثقل، ل.
(٧) المماليك: المملوكين، ز، ل، م
(٨) الإماء، واجب في العبيد: في العبيد والإماء، ز، ل، م.
(٩) العبيد: العبد، ز، ل، م.
(١٠) للمولى: ـ، ز، ل، م.
(١١) وآله: +، ز، م.

الدليل دل على جواز الوطء بملك اليمين، وأنه في باب الإباحة كالنكاح في ذلك وإلا كان الظاهر وقوف الاستمتاع على النكاح، فمن هذا الوجه تدل على بطلان المتعة؛ لأنه ليس بنكاح يفتقر إلى بدل، لذلك جعل تعذره[١] متعلقاً بالفقر، ولا شبهة في ذلك.

فإن سمي وجب[٢] العقد بالمسمى[٣]، وإن لم يسم وجب مهر المثل، ويفرضه القاضي، فإن مات قبل الفرض فلها مهر المثل عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لها المتعة. وأَقَلُّ[٤] المهرعشرة دراهم، وهو قول الهادي عليه السلام[٥]، وقال الشافعي: يجوز القليل والكثير.

فأما صفات العقد من الإيجاب والقبول والشهود وغير ذلك، فالظاهر لا يدل عليه، فيجب الرجوع إلى غيره، قال أصحابنا: الشهود شرط، وقال مالك: ليس بشرط[٦]، وقال أصحابنا: الإعلان ليس بشرط، وقال مالك: هو[٧] شرط.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

---

(١) تعذره: لعذره، ز، ل، م.
(٢) وجب: +، ز، ل، م.
(٣) بالمسمى: فالمسمى، ز، ل، م.
(٤) وأقل: وقيل، ز.
(٥) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(٦) بشرط: ـ ، ز.
(٧) هو: +، ز، ل، م.

۞ اللغة

الكتابة: أصلها الجمع[١]، وكل شيء جمعت[٢] بعضه إلى بعض فقد كتبته، ومنه[٣]: الكتاب، ومنه يقال للحرب: الكتائب لتداني بعضها إلى بعض، واحدها: كتيبة، والجمع كتب، ومنه: الكتيبة لاجتماع الجيش[٤]، والكتابة: أن يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤديه إليه فإذا أداه عتق، قيل: سمي كتابة؛ لأنه يكتب لما فيه من التأجيل والتنجيم، وقيل: لأن مال السيد جمع إلى ماله، وقد صار في الشرع اسماً لعقد مخصوص بصفات مخصوصة تجري بين السيد وعبده، وهو من عقود المعاوضات، والاسم شرعي وإن كان أصله في[٥] اللغة الإكراه والإجبار على الشيء.

والفتيات: الإماء، تقول العرب للملوك[٦]: فتى، وللمملوكة[٧]: فتاة، ومنه: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ﴾[٨] [يوسف: ٣٠].

۞ الإعراب

«**مبينات**» من صفة الآيات، فهي الفاعلة، وتقرأ بفتح الباء[٩]؛ يعني الله[١٠] بَيَّنَ[١١] الآيات.

و«**مثلاً**» عطف على (الآيات).

---

(١) الجمع: اجمع، ز، ل.
(٢) جمعت: جمعته، ز، ل.
(٣) ومنه: ومن، ز.
(٤) الجيش: ـ، ل، م.
(٥) في: من، ز، ل، م.
(٦) للملوك: للمماليك، ز، ل، م.
(٧) وللمملوكة: والمملوكة، ز.
(٨) تراود فتٰها عن نفسه: +، ز، ل، م.
(٩) الباء: التاء، ز.
(١٠) يعني الله: تغير إليه، ز، ل، م.
(١١) بين: من، ل، م.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له: صُبَيْحٌ، سأل مولاه أن يكاتبه فأبى، فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه على مائة دينار فوهب منها عشرين ديناراً وأداها، وقتل[1] يوم حنين في الحرب.

فأما قوله: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ﴾ نزلت في عبد الله بن أبي بن[2] سلول المنافق، أَكْرَهَ أمته على الزنا لضريبة يأخذها[3]، فنزلت الآية.

وقال مقاتل: نزلت في ست جوار لعبد الله بن أبي[4]: معاذة، ومسيكة، وأميمة[5]، وعمرة، وأروى، وقتيلة، فشكا بعضهم إلى رسول الله ﷺ، فنزلت الآية.

وقيل: كان لعبد الله جاريه تسمى معاذة، وأُسِرَ رجل من قريش يوم بدر فأرادها الأسير فأبت[6]؛ لأنها كانت مسلمة، فأكرهها[7] عبد الله بن أُبَيٍّ رجاء أن تحمل، فيطلبه القرشي لفداء[8] ولده، عن الزهري.

۞ المعنى

ولما[9] تقدم ذكر نكاح العبيد والإماء عقبه بذكر كتابتهم، فقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**» أي: يطلبون الكتابة من عبيدكم، وإمائكم، «**فَكَاتِبُوهُمْ**» قيل: هو أمر فرض وحتم إذا طَلَبَ[10] العبد[11]، وعلم فيه الخير، عن

---

(١) وقتل: وقيل، ز.
(٢) بن: ـ ، ز، ل، م.
(٣) يأخذها: يأخذوها، ز.
(٤) بن أبي: جارية تسمى، ي.
(٥) ومسيكة وأميمة: ومسكينة وأمية، ز، ل، ي؛ ومسكينة وآمنة. والصحيح ما أثبتناه من: تفسير البحر المحيط: ٨/ ٣١١، وتفسير الرازي: ١١/ ٣٢٢.
(٦) فأبت: وأبت، ز.
(٧) فأكرهها: وأكرهها، م.
(٨) لفداء: بفداء، ز، ل، م.
(٩) ولما: لما، ز.
(١٠) إذا طلب: وإذا، ل.
(١١) العبد: العبيد. ، ي.

عطاء وعمرو بن دينار، وهو قول داود، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: هو أَمْرُ نَدْبٍ واستحباب، عن الحسن، والشعبي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي وسائر الفقهاء، وإليه ذهب الهادي عليه السلام. «إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» خطاب للسيد، إن علمتم في المملوكين خيراً فكاتبوهم، اختلفوا فيه، قيل: قوة على الكسب لأداء مال الكتابة والوفاء[1] بموجب الكتابة، عن ابن عمرو[2]، وابن زيد، ومالك، والثوري، وروي نحوه عن ابن عباس[3]، وقيل: مالاً، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وعطاء، وقيل: الإسلام والوفاء، عن الحسن، وقيل: صدقاً ووقاراً وأمانة، عن إبراهيم، وعبيدة، وأبي صالح، وابن زيد، وقيل: مالاً وأمانة، عن طاووس، وعمرو بن دينار، وقيل: صلاحاً في الدين وعملاً بالحق لأن[4] مَنْ يرجع إلى الصلاح فاستنقاذه من الرق أوجب، وفيه إشارة إلى أن الصلاح[5] يدعو إلى الخير والنعمة، وقيل: أن يكون بالغاً عاقلاً دون الصبي والمجنون؛ لأن كتابة هؤلاء لا تصح إلا أن يكون الصبي مراهقاً مأذوناً بفعل ذلك، فيجوز حينئذ عند أبي حنيفة[6]» أعطوهم «مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ[7]» أعطاكم، فيه أقوال:

أولها: قيل: إن الخطاب للموالي بحط شيء من مال[8] الكتابة، عن جماعة، وهو قول الشافعي، ثم اختلفوا فقيل: أمر إيجاب تقديره: ردوا عليهم يا معشر[9] السادة من المال الذي أخذتم منهم شيئاً، وقيل: بل[10] هو استحباب، وذهب الشافعي إلى أن الحط واجب.

(١) الوفاء: أوالوفاء، ز، ل، م.
(٢) عمرو: عمر، ل.
(٣) عباس: إسحاق، ز.
(٤) لأن: أن، ي.
(٥) فاستنقاذه... الصلاح: ـ، ز.
(٦) عند أبي حنيفة: +، ز، ل، م.
(٧) آتاكم: +، ز، ل، م.
(٨) مال: ـ، ز، ل، م.
(٩) يا معشر: أيها، ل، م.
(١٠) بل: ـ، ز، ل، م.

والقول الثاني: أنه خطاب للمؤمنين جميعاً لمعونتهم على التخلص[1] من الرق، ودفع شيء إليه، وهو قول إبراهيم وجماعة من المفسرين.

الثالث: آتوهم من الصدقات لقوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠]، عن الحسن، وزيد بن أسلم، قال الحسن: لولا الكتابة لما جاز له أخذ الصدقة.

الرابع: قال أبو مسلم: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يجري المولى عليه ما لا بد له من طعام وكسوة ونفقة.

الثاني: إذا كان يصلح للتجارة أن يقرضه ما يستعين به على التجارة حتى يفك رقبته.

فأما من قال: إنه خطاب للمولى بالحط اختلفوا في قدر ما يجب أن يحط، قيل: ربع المال، عن علي عليه السلام[2]، وهو قول الثوري، قال: وهو استحباب وليس بواجب، وقيل: يُحَطُّ عنه شيء من مال الكتابة، وليس فيه تقدير، عن عطاء، وقتادة.

«**وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ**» على الزنا[3] «**إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**» تعففاً عن الزنا، وليس ذلك بشرط؛ لأنه لا يجوز إكراههن أردن التحصن[4] أو لم يُرِدْنَ، وإنما ذكر ذلك لأن مع ابتغائها ذلك لا تحتاج إلى الإكراه، والإكراه يتصور مع[5] إبائها، وهذا[6] فائدة الشرط «**لِتَبْتَغُوا**» لتطلبوا «**عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» قيل: كراء الزنا، وقيل: الولد «**وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ**» بعد ذلك «**فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ**[7] **إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» أي: لا يؤاخذهن

(١) التخلص: التخليص، ز، ل، م.
(٢) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(٣) على الزنا: ـ، ز، ل، م.
(٤) التحصن: التحصين، ز.
(٥) مع: ـ، ز.
(٦) وهذا: فهذا، ز، ل، م.
(٧) من: ـ، ل.

بذلك، أي: رحيم بهن، والوزر على المُكْرِهِ، وقيل[١]: غفور إن تابوا، رحيم يدخلهم الجنة «وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ» واضحات ظاهرات، قيل: من[٢] القرآن، وقيل: من[٣] الفرائض «مبينات» بالنصب واضحات، وبالكسر تبين الحق من الباطل، «وَمَثَلاً» خبراً وعبرة «مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» من الأمم، كيف فعلوا وكيف هلكوا «وَمَوْعِظَةً» زجراً وتخويفاً «لِلْمُتَّقِينَ» من يتقي معاصي الله، وخصهم بالذكر لأنهم ينتفعون بها.

۞ الأحكام

الآية: تتضمن أشياء:

أولها: حكم الكتابة.

وثانيها: حكم الإيتاء من مال الله.

وثالثها: حكم الإكراه على الزنا.

ورابعها: دلالات الآية.

أما الفصل الأول: ففي الآية ترغيب في الكتابة، ولا خلاف فيه، وقد بينا اختلافهم في الوجوب في هذه الآية، والأصل[٤] في الكتابة[٥]، وعليها بنى الفقهاء مسائل الكتابة، وحكى إسماعيل بن إسحاق عن عطاء أنه واجب، وروي عن عمر أنه أمر أنس بن مالك أن يكاتب سيرين والد محمد بن سيرين، فأبى فضربه بالدرة[٦]، فكاتبه، والفقهاء على أنه ليس بواجب؛ لأنه عقد معاوضة[٧]، ولأنه عَلَّقَهُ بابتغاء العبد، قال أبو علي: الكتابة والإيتاء كلاهما ترغيب ليس بواجب.

---

(١) غفور... وقيل: ـ، ز، ل، م.
(٢) من: +، ز، ل، م.
(٣) من: +، ز، ل.
(٤) والأصل: والأفضل، ل، م.
(٥) في الكتابة: هي الآية، ز، ل، م.
(٦) بالدرة: بالدرية، ز.
(٧) معاوضة: معارضة، ز.

وتدل على أن الكتابة اسم شرعي؛ لأنه عقد يتضمن شروطاً لم يعرفها أهل اللغة، وقال أبو حنيفة: تجوز الكتابة حالاً ومُنَجَّماً، وقال الشافعي: لا تجوز حالاً[1]، وبه قال الهادي عليه السلام[2]، قال أبو حنيفة: ذكر العتق في عقد الكتابة ليس بشرط، فإذا كاتبه[3] مطلقاً جاز ويعتق بالأداء، وهو قول الهادي عليه السلام[4]، وقال الشافعي: لا بد أن يقول: إن أديت إليّ كذا فأنت حر، فيجمع بين العقد[5] والتعليق، فإذا أتى العبد المال أُجْبِرَ المولى على قبوله[6] ويَعْتِقُ، وقال زفر: لا يجبر[7]، فإذا أدى بعضاً ومات، قال أبو حنيفة: هو عَبْدٌ ما بقي عليه درهم، فإن[8] أدى هو أو أدي عنه بعد موته من ماله عُتِقَ، وقال الشافعي: لا يُعْتَقُ إلا أن يؤدي هو[9] بنفسه، وقال الهادي عليه السلام[10]: يعتق بقدر[11] ما أدى، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام[12]، وإن عجز رد إلى[13] الرق، وإن عجز عن نَجْمٍ واحد يرد[14]، وهو قول أبي حنيفة، وقال أبو يوسف: لا يرد ما لم يعجز عن نَجْمَيْنِ، ولا شبهة أن عقد الكتابة عقد[15] استحباب[16]؛ لأنه معاوضة ملك بملك، إلا أنه جعله بعقد الكتابة أحق باكتسابه[17]

(١) حالاً: حلاوته، ز.
(٢) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(٣) كاتبه: كان، ز، م.
(٤) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(٥) العقد: العقد، ي.
(٦) قبوله: فتواه، ز.
(٧) لا يجبر: لايعتق، ز، ل، م.
(٨) فإن: إن.
(٩) هو: +، ز، ل، م.
(١٠) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(١١) بقدر: بعد، ل، م.
(١٢) عليه السلام: +، ز، ل، م.
(١٣) إلى: في، ز، ل، م.
(١٤) يرد: رد، ل، م.
(١٥) عقد: عقدان قارب، ي.
(١٦) استحباب: الاستحباب، ز.
(١٧) باكتسابه: بالكتابة، ز.

ليؤدي إلى العتق، فهو لطف للعبد؛ لأنه يحثه على الكسب، ويؤديه إلى العتق، ولطف للمولى لما فيه من النفع العاجل والثواب الآجل، والولاء الذي يثبت له، ولا خلاف أنه لا بد من بذل، فإن[١] اختلفا في البذل فالقول قول المكاتب عند أبي حنيفة، ولا يتحالفان، وقال[٢] أبو يوسف ومحمد: يتحالفان ويترادان، وأحكام المكاتب أحكام العبيد في الشهادات والولايات، غير أن له أن يتصرف، وهو أولى بكسبه، وليس له أن يعتق، ولا أن يعلق العتق[٣]، وله أن يكاتب استحباباً، وأولاد المكاتبة يدخلون[٤] في كتابتها[٥]، وإذا مات المكاتب وخلف رقاً أدى وحكم بعتقه عند موته، وقال الشافعي: لا يؤدي ولا يعتق، وتبطل الكتابة، فإن لم يترك رقاً، وترك[٦] أولاداً ولدوا[٧] في حال الكتابة، وأولاداً[٨] اشتراهم فكاتبوا عليه سعى الذين ولدوا دون الذين اشتراهم عند أبي حنيفة، وقال أبو يوسف ومحمد: يسعى الجميع.

وتبرعات[٩] المكاتب لا تصح، ولا يجوز أن يتزوج بغير إذن مولاه، ولا يزوج ابنه وابنته وعبده، ويزوج أمته؛ لأن له[١٠] فيه منفعة، ويجوز له[١١] أن يعير دابته، ويدعو ضيفاً.

فأما الإيتاء: فقد بينا ما قيل فيه، والأولى أن المراد به الصدقات؛ لأنه خاطب المؤمنين[١٢]، وأمر بالإعطاء، والحط ليس بإيتاء.

---

(١) فإن: وإن، ز، م.
(٢) وقال: قال، ز.
(٣) العتق: ـ، ز.
(٤) يدخلون: يدخل، ل، م.
(٥) في كتابتها: حتابتها، ز.
(٦) وترك: ويترك، ز.
(٧) ولدوا: أولدوا، ز.
(٨) وأولاداً: وأولاد، ز، م.
(٩) وتبرعات: وتزويجات، ل.
(١٠) له: ـ، ز، ل، م.
(١١) له: +، ز، ل، م.
(١٢) المؤمنين: المؤمن، ز، ي.

فأما[١] الإكراه: فتدل الآية على النهي عن الإكراه على[٢] الزنا، وذلك نهي عن الإكراه على جميع المعاصي، واختلفوا في إكراه الرجل على الزنا، فقيل: لا يصح، وقيل: يصح، فأما المرأة فلا خلاف أنه يصح، ويسقط الحد[٣] والإثم.

فأما[٤] دلالات الآية: فتدل على الأمر[٥] بالمكاتبة[٦]، وأنه مستحب[٧].

وتدل على أن العتق مستحب[٨]، وهو قُرْبَةٌ، والأولى أنه أراد الصلاح في الدين، فيستحب كتابته[٩] ليعتق، فيتمكن[١٠] من التوفير على العبادة حرمة له؛ لأنه ما دام رقيقاً لا[١١] يتمكن من ذلك.

وتدل على أنه يستحب أن يعطى المكاتب ما يستعين به على فك رقبته[١٢]، ولا خلاف أن له سهماً[١٣] من الزكاة.

وتدل على النهي عن الإكراه على[١٤] الزنا والمعاصي.

وتدل على أن[١٥] المأخوذ به المُكْرِه.

وتدل على أن إكراه غير السلطان يكون إكراهاً خلاف ما روي عن أبي حنيفة.

---

(١) فأما: وأما، ل، م.
(٢) على: في، ز، ي.
(٣) الحد: ـ، ز، م.
(٤) فأما: دلالة، ل، م.
(٥) الأمر: للأمر، م.
(٦) بالمكاتبة: الكتابة، ز، ل، م.
(٧) مستحب: مستحق، ز.
(٨) مستحب: مستحق، ز.
(٩) كتابته: كتابه، ل.
(١٠) فيتمكن: فيمكن، م.
(١١) لا: لم، ل، م.
(١٢) رقبته: رقبة، ز.
(١٣) سهماً: بسهم، ل.
(١٤) على: عن، ل، م.
(١٥) أن: ـ، ز.

وتدل على أنه يغفر ـ لمكان الإكراه ـ ما يفعله المُكْرَهُ، والأصول في ذلك تختلف، فمنه[١] ما[٢] يأثم به المُكْرَهُ كالقتل، ومنه ما لا يأثم كالمال والضرب.

ويدل قوله: «أنزلنا» على حدث القرآن.

وتدل على أن العبد مختار؛ لأنه أسقط اللوم عنه لأجل الإكراه، فلو خلق الفعل فيه، أو خلق القدرة الموجبة وأراد لكان أعظم الإكراه[٣]، فلا يلام[٤] على ذلك، ولأن[٥] عندهم أنه خلق[٦] الإكراه في المُكْرِهِ، والبغاء في المُكْرَهِ، ثم نهى هذا عنه، وأسقط اللوم عن الآخر، والكل خلقه، تعالى الله عن ذلك، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾

القراءة

قراءة العامة: «نُوْرٌ» بضم النون والراء على أنه اسم، وروي عن علي (عليه السلام) (نَوَّرَ) بفتح النون والراء والتشديد على فعل ماض، ولا بد من حمله على أنه فسر الآية به.

---

(١) فمنه: فيه، ز، ل، م.
(٢) ما: +، ز، ل، م.
(٣) فلو خلق... الإكراه: ـ، ز.
(٤) يلام: يلزم، ز، ل، م.
(٥) لأن: فلأن، ي.
(٦) أنه خلق: ـ، ل، م.

قراءة العامة: «زُجاجة» بضم الزاي، وعن[١] نصر بن[٢] عاصم بفتحها، قال الأخفش: فيها ثلاث لغات: ضم[٣] الزاي، وفتحها، وكسرها.

واختلف[٤] القراء في «دُرِّيٌّ» فقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب وحفص عن عاصم: «دُرِّيٌّ» مضمومة الدال مشددة الياء غير مهموزة[٥]، وهو اختيار أبي حاتم، وأبي عبيد[٦]، وهو الأحسن.

وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال مهموز[٧] الياء ممدودة[٨].

وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم بضم الدال ممدودة مهموزة.

وقرأ سعيد بن المسيب وأبو رجاء العطاردي بفتح الدال والهمزة[٩].

أما[١٠] الأول فمنسوب إلى الدُّرِّ لصفائه وبهائه، قال أبو عبيد[١١]: وإنما اخترنا هذه[١٢] القراءة لثلاث علل:

أحدها: ما جاء في التفسير أنه منسوب[١٣] إلى الدر[١٤].

والثاني: لما روي في الخبر: إن أهل الجنة يرون[١٥] أهل عليين في عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبابكر وعمر منهم[١٦] وأَنْعَما.

---

(١) عن: ـ ، ز.
(٢) بن: عن، ز، ل، م.
(٣) ضم: بضم، ل.
(٤) واختلف: اختلف، ز ل، م.
(٥) مهموزة: مهموز، ز، ل، م.
(٦) عبيد: عبيدة، ز، ل، م.
(٧) مهموز: مهموزة، ل.
(٨) أي قرأ: (دِرِّيءٌ).
(٩) والهمزة: والهمزات، ل.
(١٠) أما: ـ ، ل.
(١١) ابو عبيد: أبوعبيدة، ز، ل، م.
(١٢) هذه: في هذه، ز.
(١٣) أنه منسوب: أنها منسوبة، ز، ل، م.
(١٤) الدر: الدرة. وفي ي: إلى الله، ل.
(١٥) يرون: ليرون، ز، ل، م.
(١٦) منهم: منهما، ي.

والثالث: لإجماع أهل الحرمين، واتفاق أكثر القراء.

فأما قراءة أبي عمرو والكسائي فهو فِعِّيلٌ من قولهم: دَرَأَ[١] النجم يَدْرَأُ[٢] إذا طلع وارتفع، ودرأ فلان[٣] إذا طلع مفاجأة، وأصله من الدَّرْءِ الدفع، قال[٤] كوكب[٥] درّيٌّ لسرعة[٦] دفعه[٧] في[٨] الانقضاض، والجمع دَرَارِيُّ، قال أبو عبيد: وأنا أرى[٩] لها وجهاً آخر[١٠]، وأنه قد ورد على وزن فُعُّولٍ من درأت، مثل سُبُّوح وقدوس، ثم استثقلوا كثرة الضمات فكسروا بعضها، وقيل: هو مشتق من الدرأة[١١] وهي البياض، ومنه: ملح[١٢] دراني[١٣].

فأما من ضم وهمز فهو غير معروف عند أهل العربية[١٤]، عن علي بن عيسى.

فأما[١٥] فتح الدال، قال أبو حاتم: هو خطأ لأنه ليس في الكلام فعيل، فإن ثبت عنهما فهما حجة.

واختلفوا في ﴿يُوقَدُ﴾: فقرأ شيبة ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالياء وضمها وضم الدال وتخفيف القاف، يعنون المصباح.

---

(١) دراً: در، ي.
(٢) يدراً: يدر، ي.
(٣) إذا طلع وارتفع، ودرأ فلان: ـ ، ز.
(٤) قال: يقال، ز، ل، م.
(٥) كوكب: ـ ، ز.
(٦) لسرعة: بسرعة، ي.
(٧) في تفسير البيان ٧/ ٤٣٥: رفعه.
(٨) في: إلى، ز، ل، م.
(٩) وأنا أرى: وأنا أدري، ز، ل، م.
(١٠) آخر: ـ ، ز، ل، م.
(١١) الدرأة: الدأرة، ز، ل، م.
(١٢) ملح: +، ز، ل، م.
(١٣) دراني: دراي، ز، ل، م، ي.
(١٤) العربية: اللغة، ز، ل، م.
(١٥) فأما: وأما، ز، م.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف بن هشام وأبو بكر عن عاصم مضمومة التاء والدال خفيفة القاف، أرادوا الزجاجة[(١)].

وقرأ ابن محيصن بتاء مفتوحة وتشديد القاف ورفع الدال، أراد توقد الزجاجة، وقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بفتح التاء والقاف وتشديد القاف[(٢)]، يعنون المصباح.

اللغة

النور: أصله من أنار الشيء: أضاء، ونور أضاء[(٣)]، ومنه النار لإضاءتها، والنَّوْرُ بفتح النون: نَوْرُ الشجرة[(٤)]، وهو نُوَّارُهُ، وأنارت الشجرة: أخرجت النَّوْرُ؛ لأنها نص على الشجرة، ثم يستعمل في كل شيء ممدوح، ويقال[(٥)]: فلان نور البلد، وهذا نور الأمر، والنور: جسم فيه لون مضيء.

والشَّكْوَةُ: سقاء صغير، وأصلها الوعاء يجعل فيه الشيء، والمشكاة: وعاء من أَدَمٍ.

والمصباح: السراج، وأصله من الضوء، والصباح: نور[(٦)] النهار، وسمي الصبح، قيل: لبياضه[(٧)]، وقيل: لخضرته، ورجل صَبِيحٌ، واصطبح القوم بالنار طلبوا بها الضياء، واصطبحوا: شربوا صَبُوحاً، والأصبح: الأبيض.

الإعراب

الهاء في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ قيل: يعود إلى اسم الله تعالى، وقيل: على المؤمنين، والأول أولى؛ لأنه[(٨)] تقدم ذكره.

---

(١) أرادوا الزجاجة: أراد والزجاجة، ز، م.

(٢) ودفع الدال... تشديد القاف: +، ز، ل، م.

(٣) ونور أضاء: ونور أيضاً، ي.

(٤) الشجرة: الشجر، ز، ل، م.

(٥) ويقال: فيقال، ز، ل، م.

(٦) نور: ضوء، ل، م.

(٧) لبياضه: لضيائه، ز، ل، م.

(٨) لأنه: لأنها، ز، ل، م.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ كسر لأنه نعت للشجرة.

﴿مِصْبَاحٌ﴾ رفع على الابتداء، فقال: ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾.

النظم

قيل: يتصل بما قبله اتصال المثل بالمثل؛ لأنه لما بَيَّنَ تعالى وجوه المنافع والمصالح، وعَلَّمَ الشرائع بما سبق ذكره، بَيَّنَ أن منافع أهل السماوات والأرض منه؛ لأن اسم النور يطلق على ما[1] تقدم ذكره[2]، لمنافع العباد.

وقيل: يتصل اتصال العلة بالمعلول، كأنه قال: أنزلنا آيات بينات[3] ومواعظ زاجرات، فهداكم[4] بها؛ لأنه هادي أهل السماوات والأرض، ومنه نورهما.

المعنى

لما تقدم قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أنه نزلها[5] ليهدي المكلف بها، وأنه هادي أهل السموات[6] [7]، ومنه منافع الدين والدنيا، فقال سبحانه: «**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**» قيل: هادي أهلها لا هادي غيره، عن ابن عباس، وأنس، وجماعة، وذلك لأنه[8] نصب الأدلة، وبعث الرسل، ولما كان النور يهتدي به[9] الخلق في مصالحهم أطلق عليه اسم النور توسعاً[10]، وقيل: منور السماوات والأرض بنجومها وشمسها وقمرها، عن محمد بن كعب، وأبي العباس[11]،

---

(١) ما: من، ي.
(٢) ذكره: ـ ، ز، ل، م.
(٣) بينات: مبينات، ز.
(٤) فهداكم: فهداناكم، ز، ل، م.
(٥) نزلها: أنها نزلها، ز، ي.
(٦) أهل السموات: +، ز.
(٧) ومنه نورهما. . . أهل السموات: ـ ، ل، م.
(٨) لأنه: أنه، ز، ل، م.
(٩) به: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) توسعاً: ـ ، ز، ل، م.
(١١) وأبي العباس: ـ ، ز، ل، م.

وأبي العالية[1]، والحسن، والضحاك، وقيل: مدبر السماوات، عن مجاهد، كما يقال: فلان نور هذه البلدة، وقيل: مزين السماوات والأرض؛ لأن الأنوار كلها خلقه[2]، كما يقال: فلان رحمة وفلان عذاب، وقيل[3]: أصل النور التنزيه والتصفية، فمعناه: المنزه من[4] كل عيب، وقيل: النور أربعة: نور متلألئ، ونور متولد، ونور من جهة صفاء اللون، ونور من جهة المدح، يقال: فلان نور البلد، فالله[5] نور من جهة المدح؛ لأن جميع المنافع منه[6] كما يقال للنبي صلى الله عليه وآله[7]: إنه سراج، حين عظم النفع والهداية به، ولا يقال: إنه نور في الحقيقة؛ لأن النور جسم، والله تعالى ليس بجسم «مَثَلُ نُورِهِ» قيل: مثل القرآن، فالنور[8] القرآن؛ لأن به يُهْتَدَى، والهاء كناية عن اسم الله تعالى، عن ابن عباس، والحسن، وزيد بن أسلم، وقيل: النور: محمد، أضافه إلى نفسه تشريفاً، عن كعب، وسعيد بن جبير، وقيل: النور الطاعة سمى طاعته نوراً، وضرب له مثلاً، وقيل: هي الأدلة الدالة على توحيده وعدله، فهي في الظهور كالنور[9]، ثم ضرب لها مثلاً، عن أبي مسلم، وقيل: لما كانت الأدلة ظاهرة بأنه المنعم، كان إنعامه في الظهور كالنور[10] فبالغ في صفته، فمعنى «مَثَلُ نُورِهِ[11]» أي: إنعامه على خلقه، عن الأصم، «كَمِشْكَاةٍ» قيل: هو من[12] المقلوب، وتقديره: كمصباح في مشكاة، وقيل: المشكاة الكُوَّةُ التي لا منفذ لها، عن ابن عباس، وابن

---

(١) وأبي العالية: وابن أبي العالية.
(٢) كما... خلقه: ـ، ل.
(٣) وقيل: قيل، ز، ل، م.
(٤) من: عن، ل.
(٥) فالله: والله، ز، ل، م.
(٦) منه: ـ، ي.
(٧) وآله: +، ز.
(٨) فالنور: والنور، ز، م.
(٩) كالنور: اليوم، ز.
(١٠) ثم ضرب لها مثلاً... كالنور: ـ، ل، م.
(١١) نوره: نور، ل، م.
(١٢) من: المثل، ز، ل، م.

جريج، وقيل: المشكاة عمود القنديل التي فيها الفتيلة، وقيل: هو القنديل، عن مجاهد. «**فِيهَا مِصْبَاحٌ**» قيل: هو السراج، وقيل: السراج أعظم من المصباح، وإنما شبه[1] بالقنديل فيها مصباح؛ لأنه يجمع الضوء «**الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**» أي: عظيم مضيء، ودراري[2] النجوم: عظامها.

ثم وصف دهنها، فقال سبحانه: «**يُوقَدُ**» يعني: ذلك السراج يوقد[3]» «**من**» دهن «**شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ**» خص الزيتون لأن دهنها أضوأ، وقيل: لأنها[4] أول شجرة[5] نبتت في الدنيا بعد الطوفان، وقيل: منتهى منزل الأنبياء، وقيل: لأنه[6] بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم، فسماها مباركة.

ثم وصف الزيتونة، فقال سبحانه: «**لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ**» قيل: لا[7] يسترها عن الشمس جبل، فإذا[8] طلعت أصابتها، وإذا غربت أصابتها، فهي[9] ضاحية للشمس، وليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا هي غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت بالغداة؛ بل تأخذ حظها من الأمرين، فيكون دهنها أجود وأضوأ، عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وقيل: ليست في مَقْنُؤَةٍ لا تصيبها الشمس، ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل؛ بل يصيبها الشمس والظل، عن السدي، وقيل: هي معتدلة ليست هي[10] في شرق فيلحقها الحر، ولا في غرب فيلحقها البرد، عن ابن عباس بخلاف، وقيل: هي شامية؛ لأن الشام لا شرقي ولا غربي، عن ابن زيد، وقيل: معناه هو شرقي وغربي، كما يقال: لا مسافر ولا مقيم، إذا كان يأخذ حظه من

---

(١) شبه: شبهه، ز.
(٢) وداري: ودُرِّيٌّ، ي، وما أثبتناه من ز، ل، م.
(٣) يعني ذلك السراج يوقد: ـ ، ل.
(٤) لأنها: لأنه، ي.
(٥) مباركة زيتونة... شجرة: ـ ، ز، ل، م.
(٦) لأنه: أنه، ز.
(٧) لا: ـ ، ز، ل، م.
(٨) فإذا: إذا، ز، ل، م.
(٩) فهي: وهي، ل، م.
(١٠) هي: ـ ، ز، ل، م.

الأمرين، عن ثعلب[١]، وقيل: ليست[٢] هذه الشجرة من شجر الدنيا، وإنما هي[٣] مَثَلٌ ضربه الله، ولو كانت في الدنيا لكانت إما شرقية أو غربية[٤]، عن الحسن، وهذا لا يصح؛ لأنه بدل من قوله: «زيتونة»، «**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ**» من صفائه وضيائه، «**وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**» أي: قبل أن تصيبه النار، واختلف العلماء في هذا المثل، والمشبه به على أقوال:

أولها: أنه مَثَلٌ ضرب[٥] لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله[٦]، ثم اختلفوا، فقيل: المشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح هو[٧] النبوة ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودي ولا نصراني، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ شجرة النبوة، وهو إبراهيم عليه السلام، فكان نور محمد يتبين للناس ولو لم[٨] يتكلم به، كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولولم تمسه[٩] النار، عن كعب وجماعة من المفسرين.

وقيل: المشكاة إبراهيم، والزجاجة إسماعيل، والمصباح محمد، سمي مصباحاً كما سمي سراجاً، ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ يعني إبراهيم ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ ؛ لأن أكثر الأنبياء من صلبه ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يعني إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً؛ لأن اليهود تصلي إلى[١٠] **المغرب**، والنصارى تصلي إلى **المشرق** يعني تكاد[١١] محاسن محمد تظهر قبل أن يوحى إليه، «**نُورٌ عَلَى نُورٍ**» يعني نبي من نسل نبي، عن محمد بن كعب.

وقيل: المشكاة عبد المطلب، والزجاجة عبد الله، والمصباح هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١٢]

---

(١) عن ثعلب: مطموس في م.
(٢) ليست في: +، ز، ل، م.
(٣) هي: : هو، ز، ل، م.
(٤) أو غربية: مطموس في م، وإما غربية، ل.
(٥) ضرب: ضربه، ل، م.
(٦) وعلى آله: +، م. وآله: +، ز.
(٧) هو: ما فيه من، ز، ل، م.
(٨) لم: ـ ، ل، م.
(٩) تمسه: تصبه، ي.
(١٠) إلى: ـ ، م.
(١١) تكاد: ـ ، ز.
(١٢) صلى الله عليه وآله وسلم: +، ز، ل، م.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ﴾ ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل مكية[1]؛ لأن مكة وسط الدنيا، عن الضحاك.

وثانيها: أنه مثل[2] ضربه الله تعالى[3] للمؤمن[4]، فالمشكاة نفسه، والزجاجة صدره، والمصباح الإيمان[5]، والقرآن في قلبه، «**يوقد من شجرة مباركة**» هي الإخلاص، «**لا شرقية ولا غربية**» لا تصيبها الشمس على حال طلعت أم غربت، كذلك المؤمن لا يصيبه الفتن على حال، فهو بين أربع خلال: إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حَكَمَ[6] عدل، وإن قال صدق، «**نُورٌ عَلَى نُورٍ**» فهو يتقلب في خمسة أنوار: فكلامه[7] نور، وعلمه نور، ومدخله نور[8]، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة في الجنة، عن أبي بن كعب.

وقيل: مثل هدى الله في[9] قلب المؤمن يكاد يضيء الزيت الصافي قبل أن تمسسه[10] النار، فإذا مسته ازداد ضوءاً، كذلك قلب المؤمن يعمل[11] بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا أتاه العلم ازداد هدى «**نُورٌ عَلَى نُورٍ**» أي[12]: هدى على هدى، إيمان المؤمن وعمله، عن ابن عباس.

وثالثها: أنه مثل القرآن في قلب المؤمن، فالمصباح القرآن، والزجاجة قلب المؤمن، والمشكاة لسانه وفمه[13]، والشجرة المباركة شجرة الوحي ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا

---

(١) مكية: مكة، ز، ل، م.
(٢) مثل: مثل مثلاً، ز، ل، م.
(٣) تعالى: +، ز.
(٤) للمؤمن: للمؤمنين، ز، ل، م.
(٥) الإيمان: للإيمان، ز.
(٦) حكم: تكلم، ل.
(٧) فكلامه: وكلامه، ل.
(٨) ومدخله نور: ـ ، ل، م.
(٩) مثل هدى: مطموس في م.
(١٠) تمسسه: تصيبه، ز، ل، م.
(١١) يعمل: يعلم، ي.
(١٢) أي: ـ ، ز، ل، م.
(١٣) لسانه وفمه: فمه ولسانه، ل.

﴿يُضِيٓءُ﴾ أي[١]: يكاد حجج القرآن أن[٢] تتضح وإن لم تُقْرَأْ، وقيل: تكاد[٣] حجج الله على خلقه[٤] تضيء، ولو لم ينزل القرآن «نُورٌ عَلَى نُورٍ» يعني القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازداد به[٥] نوراً على نور، عن الحسن، وابن زيد. وقيل: نور على نور يضيء بعضها بعضاً، عن زيد[٦] بن أسلم، وقيل: نور الهدى، ونور القرآن، وقيل: نور الإيمان، ونور العمل، وقيل: نور السراج، ونورالقنديل، ونور الزيت.

«يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ» قيل: بنوره، وهو الألفاظ والأدلة، وقيل: إلى نوره، وهو القرآن، وقيل: الإيمان «مَنْ يَشَاءُ» أي[٧]: بأن يكلفه[٨] فيخصص بذلك؛ لأن من الناس مَنْ ليس بمكلف[٩]، عن أبي علي، وقيل: بأن يلطف لأن من الناس من لا لطف له، وقيل: هو طريق الجنة فخص[١٠] المؤمن[١١]، عن أبي مسلم، والأقرب أنه أراد الألطاف، «وَيَضْرِبُ[١٢] اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ» تقريباً إلى أفهامهم، «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فيضع الأشياء مواضعها.

ومتى قيل: فما فائدة المثل؟

فجوابنا: أن يبين أن[١٣] أدلة الله وهداه ظاهرة، وأن المكلف في جهله إنما أتي من قِبَلِ نفسه لقلة تفكره[١٤] وتفريطه[١٥] في أمر دينه.

---

(١) أي: ـ ، ز، ل، م.
(٢) أن: +، ي.
(٣) تكاد: أراد، ز.
(٤) على خلقه: ـ ، ي.
(٥) فازداد به: فإن زادته، ز، ل، م.
(٦) عن زيد: عن ابن زيد عن، ز.
(٧) أي: ـ ، م، ي.
(٨) يكلفه: يكلف، ي.
(٩) بمكلف: يكلف، ز، ل، م.
(١٠) فخص: فيخص، ز، ل، م.
(١١) المؤمن: المهر، ز.
(١٢) ويضرب: وضرب، ل.
(١٣) أن: ـ ، ز.
(١٤) تفكره: تفكر،ز؛ فكره، ي.
(١٥) وتفريطه: وتويطه، ز.

الأحكام

تدل الآية أن مصالح العباد ومنافعهم في دينهم[1] ودنياهم منه تعالى، كما أن هدايتهم في الدنيا بالنور.

ويدل قوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2] أن المراد به الأدلة، لأنها[3] التي بها يهتدي[4] المكلف، ولا حجة للمشبهة في الآية؛ لأن النور جسم لا يخلو من أعراض، وهو مُحْدَثٌ[5] والله تعالى قديم وليس بجسم؛ لأنه[6] قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ فأضاف النور إلى نفسه، دل أنه غيره، ولأنه لو كان نوراً[7] لما صح وجود الظلمة لبقائه دائماً، ولأن مذهب المجوس أن الصانع نور، والشيطان من الظلمة، وأحد من المسلمين لم يقل بذلك.

قوله تعالى:

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) دينهم: دينه، ز.
(٢) زيادة من ز، ل، م.
(٣) لأنها: ـ، ز، ل، م.
(٤) بها: +، ل، م.
(٥) وهو محدث: مطموس في م.
(٦) لأنه: ولأنه، ز، ل، م.
(٧) نورا: نور، ز.

۞ القراءة

قرأ عاصم في رواية أبي بكر[1] عنه، وابن عامر، وقتادة، وأشهب العقيلي: «**يُسَبَّحُ**» بفتح الباء على ما لم يسم فاعله، و[2]«**رِجالٌ**» رفع كما يقال: ضُرِب زيدٌ، وأكل طعامك، فيقول[3]: من فسر! فيقول[4]: فلان، أي: هو فلان، والوقف على هذه القراءة[5] عند قوله: «**الآصال**». وقرأ الباقون بكسر الباء[6] جعلوا التسبيح فعلاً للرجال.

وقرأ ابن كثير في بعض الروايات عنه: «**سَحَابُ**» رفع من غير[7] تنوين. «**ظُلُماتٍ**» جر على أنه مضاف[8] إليه كقولهم: دار زَيْدٍ، وقرأ الباقون: «**سحابٌ**» بالرفع والتنوين، «**ظلمات**» بالرفع والتنوين، ووجه ذلك: أن الكلام تم عند قوله: «**سحابٌ**» ثم ابتدأ فقال: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾.

۞ اللغة

الآصال: جمع أَصِيلٍ، وهو ما بين العصر إلى المغرب، يقال: أصيل وآصال[9]، وأصائل، وقد آصَلْنَا[10].

والله معروف، وكل[11] ما شغلك فقد ألهاك، ولَهوتُ من اللهو، ولَـهِيتُ عنه

(١) بكر: ـ، ي.
(٢) و: ـ، ل.
(٣) فتقول: فقول، ز.
(٤) فيقول ـ، ل، م؛ ويقول، ي.
(٥) القراءة: ـ، ز، ل، م.
(٦) الباء: الياء، ز، ل، ي.
(٧) من غير: بغير، ز، ل، م.
(٨) مضاف: يضاف، ل، م.
(٩) وآصال: ـ، ي.
(١٠) آصلنا: أصليا، ي.
(١١) و: ـ، ي.

أَلْـهَى، يقال: ألهاني فلهيت، ويقال: قلبت الشيء كببته، وقلبته تقليباً[١]، ورجل حُوَّلٌ قُلَّبٌ يقلب الأمور ويحتالها[٢]، ومنه سمي القلب لتقلبه.

والسراب: شعاع يتخيل كالماء يجري على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر، والآل[٣]: شعاع يرتفع بين السماء والأرض، وإنما قيل: سراب؛ لأنه ينسرب، أي: يجري كالماء، والسارب: الذاهب في الأرض، سرب يسرب سروباً؛ قال[٤] الشاعر:

أَنَّـى سَـرَبْـتِ وكُـنـتِ غـيـر سَـرُوبِ[٥]

والسَّرَبُ: الماء يسيل من المزادة فهي تَسْرَبُ سَرَباً.

والقاع: المنبسط من الأرض الواسع، وفيه يكون السراب، وجمعه: قيعة، نحو: جار وجيرة، ويجمع: أَقْواع وقيعان، وأصله الواو، ولذلك[٦] يصغر، فيقال: قُوَيْعٌ.

والظمأ مهموز: العطش، يقال: ظمئت ظمأً، والظمى غير مهموز: قلة[٧] دم[٨] اللثة.

واللجج: لُجُّ البحر، وهو معظمه الذي تتراكب أمواجه، والتج البحر التجاجاً[٩].

والموج: موج البحر؛ لأنه يموج أي: يضطرب، ومنه: ماج الناس يموجون، أي: يضطربون.

---

(١) تقليب: تقلباً، ل، م.
(٢) ويحتالها: ويحالها، ل، م.
(٣) والآل: والأول، ز، ل، م.
(٤) قال: وقال، ي.
(٥) سروب: منسرب، ز، ل، م.
(٦) ولذلك: كذلك، ز، ل، م.
(٧) قلة: قلته، ل، م.
(٨) دم: ادم، ز.
(٩) التجاجاً: التجاج، ي.

الإعراب[1]

(إِقامِ الصلاة) وأصله إقامة، فحذف الهاء الزائدة لأجل الإضافة؛ لأن الإضافة عوض عن الهاء، وبقي عنها إذا كانت الهاء[2] عوضاً مما[3] حذف؛ لأن أصله: أَقْوَمْتُ إِقْواماً، فاستثقلوا الضمة على الواو، فسكنوها فاجتمع[4] حرفان ساكنان، فأسقطوا[5] الواو، ونقلوا حركته إلى القاف، وأبدلوا الواو المحذوفة هاء في الحرف، كما يقال: عِدَةٌ وزِنَة، وأصلها: وَعْدٌ ووَزْنٌ، فلما أضيف[6] حذفت الهاء، وبقيت الإضافة عوضاً عنها، قال الشاعر:

إنّ الخلِيط أجَدُّوا السير فانْجردوا وأخلفوك عدَى الأمر الذي وعدوا

أراد: عدة، فحذف.

ويقال: لِم وحَّدَ المشكاة والمصباح، وجمع: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ ، ولا يكون مصباح إلا في بيت؟

قلنا: هذا خطاب التلوين، بدأ بالتوحيد ثم[7] بالجمع[8] للتصرف في الكلام، وقيل: أراد في كل بيت.

النزول

عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت[9] الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم، ودخلوا المسجد، فقال: فيهم نزل: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ في

(١) الإعراب: ـ ، ل، م؛ اللغة، ي.
(٢) الهاء: ـ ، ل.
(٣) مما: ما، ز.
(٤) في ز، ل، م: فاجتمع.
(٥) فأسقطوا: فأسقط، ز.
(٦) أضيف: أضيفت، ز، ل، م.
(٧) ثم: ـ ، ي.
(٨) بالجمع: ما يجمع، ز، ل، م.
(٩) فأقيمت: فأقمت، ز.

عتبة بن ربيعة[١] بن أمية، التمس الدين في الجاهلية ثم كفر[٢] في الإسلام، عن مقاتل.

وعن أنس أن[٣] رسول الله[٤] صلى الله عليه وعلى[٥] آله قال: «إن الله تعالى خلقني من نور، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر، وخلق المؤمنين من أمتي من[٦] الرجال من نور عمر، وخلق المؤمنات من أمتي من النساء[٧] من نور عائشة، فمن أحبني ولم يحب أبا بكر وعمر وعائشة فما له من نور»، فنزل قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٨].

۞ النظم

يقال: بِم يتصل قوله: ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ ؟ وما العامل فيه؟

قلنا: فيه أقوال:

الأول: المصابيح في بيوت أذن الله، عن ابن زيد، وعاملها استقرار المصابيح.

والثاني: يتصل ب (يسبح)، كقولك: في الدار قام زيد فيها، عن الزجاج.

والثالث: توقد في بيوت.

وذكر أبو مسلم وجهاً رابعاً وهو[٩] أنه يتصل بقوله: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ في بيوت، وهم الأنبياء، والمراد بالبيوت المساجد، اعترض بعضهم بوجهين على

---

(١) ربيعة: زمعة، ز.

(٢) كفر: كفروا، ز.

(٣) أنس أن: ــ ، ي.

(٤) رسول الله: النبي، ز، ل، م.

(٥) على: ــ ، ل، ي.

(٦) من: ــ ، ز، ي.

(٧) من النساء: ــ ، ز.

(٨) جاء في هامش النسخة ي ما لفظه: (هذا حديث عجيب غريب عليه آثار الوضع مكشوفة ظاهرة، وكأنه مختلق لمعارضة أحاديث النور الصحيحة الواردة في أميرالمؤمنين، وسيد الوصيين، وأخي سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما هو ديدن الحشوية في معارضة كل فضيلة له ولأهل بيته عليهم السلام بأمر رأس القاسطين معاوية اللعين، كما هو مأثور، وفي صدور المستحفظين مزبور، ولاريب أن المؤلف رضي الله عنه تلقاه عن أولئك الطغاة، وليس بصدد التصحيح، وإنما هو راو لما روي).

(٩) وهو: ــ ، ز، ل، م.

هذا، وقال: المراد بـ «الَّذِينَ خَلَوا» المكذبين لا الأنبياء[١]، والثاني: أن هذه الآية مقطوعة عنه لما تخللها من الكلام.

والجواب لأبي مسلم: أنه يحتمل أنه أراد[٢] الأنبياء والصالحين الذين كادهم[٣] الأعداء، حتى نزل بهم ما نزل؛ إذ لا مانع منه.

وعن الثاني: أنه قد[٤] يعترض[٥] في الكلام كلام[٦] آخر، ثم يأتي كلام[٧] يتصل بالأول، وله نظائر جمة، وذلك من[٨] التصرف.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بما قبله؟

قلنا: اتصال النقيض بالنقيض، لما ضرب[٩] للمؤمنين مثلاً وبَيَّنَ صفتهم عقبه بذكر الكفار، وضرب لهم مثلاً خلاف الأول ترغيباً في الإيمان وتحذيراً من الكفر.

۞ المعنى

ثم بين تعالى صفة المؤمنين، فقال سبحانه: «فِي بُيُوتٍ» قيل: هي المساجد[١٠]، عن ابن عباس والحسن، ومجاهد، وأبي علي، وأبي مسلم، وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ وعلى[١١] آله: «المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»، وقيل: هي أربعة[١٢] مساجد لم يبنها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، ومسجد بيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة، ومسجد[١٣] قباء

---

(١) والمراد بالبيوت... لا الأنبياء: ـ، ل، م.
(٢) أنه أراد: ـ، ل، م.
(٣) كادهم: جادلهم، ي.
(٤) قد: ـ، ز، ل، م.
(٥) يعترض: بعرض، ل، م.
(٦) كلام: بكلام، ز، ل، م.
(٧) كلام: بكلام، ز، ل، م.
(٨) من: ـ، ز.
(٩) ضرب: بين، ي.
(١٠) المساجد: مساجد، ز.
(١١) على: ـ ل، م، ي.
(١٢) أربعة: أربع، ي.
(١٣) مسجد: ـ، ز، ل، م.

بناها[1] رسول الله ﷺ وعلى آله[2]، وقيل: «هي بيوت الأنبياء»، روي ذلك مرفوعاً، وقيل: هي بيوت النبي ﷺ، عن الصادق، وقيل: هي[3] بيوت المدينة، عن السدي، وقيل: هي البيوت[4] كلها، والأول الوجه، وعليه أكثر المفسرين، «**أَذِنَ اللَّه**» أمر «**أَنْ تُرْفَعَ**» قيل: تبنى، عن مجاهد، أن ترفع بالبناء كقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقيل: تُعَظَّم، عن الحسن؛ لأنها مواضع الصلوات، وقيل: تصان عن النجاسات وهو[5] ما لا يجوز من[6] المعاصي وأعمال الدنيا، وقيل: يتلى فيها كتابه[7]، عن ابن عباس. «**وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**» بتلاوة القرآن[8] والتسبيح ونحوهما[9] «**يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**» قيل: يصلى فيها بالغداة والعشي، عن ابن عباس، والحسن، والضحاك، قال ابن عباس: كل تسبيح في القرآن صلاة، وقال أيضاً: في القرآن صلاة الضحى، وما يعوض عليها من الأعواض[10]، وهو قوله: «**يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**»[11]، وقيل[12]: هي الصلاة المكتوبة، بالغداة: صلاة[13] الفجر، والباقي[14] بالعشي؛ لأن اسم الأصيل يجمعها[15]، وقيل: التسبيح التنزيه[16] لله عما[17] لا يجوز عليه[18]، ووصفه

(١) بناها: بناه، م.
(٢) وعلى آله: ـ، ي.
(٣) هي: ـ، ي.
(٤) البيوت: بيوت، ز.
(٥) هو: ـ، ي.
(٦) من: عن، ي.
(٧) كتابه: كناية، ز.
(٨) القرآن: الكتاب، ز، ل، م.
(٩) ونحوهما: ونحوها، ز، ل، م.
(١٠) قال ابن عباس... من الأعواض: ـ، ز.
(١١) يصلى فيها بالغداة... بالغدو والآصال: ـ، ل، م.
(١٢) وقيل: ـ، ز.
(١٣) صلاة: وصلاة، ي.
(١٤) والباقي: العصر، ز، ل، م.
(١٥) يجمعها: يجمعهما، ز، ل، م.
(١٦) التنزيه: والتنزيه، ز.
(١٧) عما: مما، ز.
(١٨) عليه: ـ، ي.

بالصفات التي[1] يستحقها لذاته، وأفعاله الحسنة الجميلة التي كلها حكمة وصواب، وأن يتبرأ من[2] صفات المحدثين، وعن فعل القبيح، وهذا هو الوجه؛ لأنه الواجب في كل حال دون غيره، والتسبيح قد يكون بالقلب، وقد يكون بالقول.

ثم بَيَّنَ المُسَبِّحَ، فقال سبحانه: «**رِجَالٌ**» وإنما خصهم بالذكر؛ لأن النساء لا جمعة عليهن ولا جماعة.

ثم وصفهم، فقال سبحانه: «**لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ**» أي: لا يشغلهم ذلك، وخص التجارة بالذكر؛ لأنها معظم أشغال أهل الدنيا، وبها يشتغلون عن الطاعات، وقيل: هي مباحة، فإذا لم يشغلوا[3] عن ذكر الله بالمباحات فبالمعاصي أولى، فكأنه إشارة[4] إلى أنهم لا يعصون.

ومتى قيل: لِم جمع بين التجارة والبيع؟

قلنا: التجارة الشراء، فلذلك ضم البيع إليها، عن الواقدي.

وقيل: التجارة اسم للبيع والشراء، وضم[5] البيع إليه توكيدا.

وقيل: التجارة ما يجلب، والمبايعة ما يبيع للتجارة بالنقد، والمبايعة بالنَّساء.

«**عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ**» أدائها في أوقاتها، «**وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**» قيل: إخلاص[6] الطاعة لله تعالى، عن ابن عباس، وقيل: هي[7] الزكاة المفروضة، عن الحسن «**يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**» قيل[8]: تتقلب[9] لهيبته[10] وما

---

(١) التي: الذي، ز.
(٢) من: عن، ز، ل، م.
(٣) يشغلوا: يشتغلوا، ز، ل، م.
(٤) إشارة: أشار، ز، ل، م.
(٥) وضم: ويضم، ي.
(٦) إخلاص: الإخلاص، م، ي.
(٧) هي: هو، ز، ل، م.
(٨) قيل: وقيل، ي.
(٩) تتقلب: ـ ، ل، م.
(١٠) لهيبته: عن هيبته، ي؛ من هيبته، ل، م.

فيه[1] من الأهوال وهو يوم القيامة، وقيل: تتقلب من حالة إلى حالة، بأن تحرق مرة وتنضج أخرى، وتعمى مرة وتبصر أخرى[2]، ويكون ذلك في النار، عن أبي علي، وقيل: يتحير من[3] طمع[4] في الجنة وخوف من النار، وقيل: تقلب وجوههم وأفئدتهم في[5] النار، عن أبي علي، على قولهم: تقلب وجوههم في النار، وقيل: تتقلب عن الكفر والشك، فيعرفون الله ضرورة، وقيل: تقلب الأبصار يمنة ويسرة، من أين تؤتى كتبهم؟ وأين يؤخذ بهم؟ «**لِيَجْزِيَهُمُ اللَّـهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**» يعني[6]: اشتغلوا بذكر الله ليجزيهم الله[7] بما عملوا من الطاعات «**وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ**[8]» ما لم يستحقوه بأعمالهم، «**وَاللَّهُ يَرْزُقُ**» يعطي[9] «**مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**» من غير قَدْرٍ ولا وزن، وقيل: بلا محاسبة، وقيل: لا يقتصر على المستحق؛ بل يزيدهم عليه.

ثم ذكر مَثَلَ الكافر، فقال تعالى: «**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ**» قيل: عبادتهم لأصنامهم[10]، وقيل: هو[11] طاعاتهم المحبطة، وقيل: أعمالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يحسب فيها نفعاً وعاقبته المضرة[12]، وهكذا حال كل مبتدع ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] ثم عاقبتهم للنار[13] «**كسراب**» أي: كالشعاع الذي يراه الظمآن فيظنه ماء وقت الزوال «**بِقِيعَةٍ**» قيل: هي الأرض المستوية، عن ابن عباس. «**يَحْسَبُهُ**

---

(١) فيه: فيها، ي.
(٢) وتعمى مرة وتبصر أخرى: ـ ، ي.
(٣) يتحير من: متحيرين، ز؛ متحير بين، ل، م.
(٤) طمع: طمعاً، ز.
(٥) في: على، ي.
(٦) يعني: يعطي يعني، ي.
(٧) الله: ـ ، ز، ل، م.
(٨) من فضله: بفضله، ز.
(٩) يعطي: ـ ، ي.
(١٠) لأصنامهم: الأصنام، ل، م.
(١١) هو: ـ ، ز، ي.
(١٢) وعاقبته المضرة: وعاقبها المضر، ز؛ عاقبتها المضرة، ل، م.
(١٣) للنار: النار، ز، ل.

الظَّمْآنُ» العطشان «**مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ**» قيل: جاء ما قدره ماء، وقيل: جاء موضع السراب «**لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**» أي: لم يجد ما قدر، فزادت حيرته[١]، قيل: شبه الكافر بالظمآن؛ لأنه يظن النجاة بعمله فكان[٢] فيه هلاكه[٣]، كالظمآن يظن نجاته فيما يرى[٤] من السراب، فيتحمل[٥] المشقة حتى جاءه فكان فيه هلاكه، وقيل: شَبَّهَ فعل الكافر ـ الذي عنى به أنه لا عاقبة له إلا العذاب ـ بالظمآن[٦] الذي رأى سراباً، فعُني[٧] به ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ ، فعظم تَحَيُّرُهُ وحيرته[٨]، قال أبو مسلم: إلى هاهنا تم المثَل.

ثم عاد الكلام إلى الكافر الذي ضرب له المثل[٩]، فقال سبحانه: «**وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ**» يعني حِفْظ الله[١٠] عليه عمله، وقيل[١١]: وجد الله عند[١٢] ذلك بالمرصاد «**فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ**» أي: أتم جزاءه، وقيل: وجد عقاب الله عنده فوفاه حسابه ثم أتم جزاءه توفية ما[١٣] يقتضيه حسابه «**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**»؛ لأنه لا يشغله حساب عن حساب؛ [بل يحاسب][١٤] الجميع على جميع الأفعال في حالة واحدة.

ثم ذكر مثلاً آخر للكفار، فقال تعالى: «**أَوْ كَظُلُمَاتٍ**» يعني مثلهم ومثل أعمالهم

---

(١) حيرته: حسرته، ز، ل.
(٢) فكان: وكان، ز، ل، م.
(٣) هلاكه: هلاك، ل.
(٤) يرى: رأى، ي.
(٥) فيتحمل: فتحمل، ز، ل، م.
(٦) بالظمآن: كالضمآن، ز، ل، م.
(٧) فعني: يعني، ي.
(٨) وحيرته: وحسرته، ز، ل، م.
(٩) المثل: المثال، ز.
(١٠) حفظ الله: حفظه، ز؛ حفظ، ل، م.
(١١) وقيل: وقيل به، ز.
(١٢) عند: عنده، ز، ل، م.
(١٣) ما: بما، ز، ل، م.
(١٤) بل يحاسب: ليحاسب، ي.

في فسادها وحيرتهم فيها كظلمات[١] «فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» وهو البحر العميق الكثير الماء، ولُجَّةُ البحر معظم مائه، وإنما ضرب المثل تحذيراً[٢] عمن هذا صفته، «يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» فالظلمات: ظلمة البحر، وظلمة السحاب، وظلمة الليل، وظلمة الموج، فشبه الكافر في جهله وكفره بمن هذا حاله، فحاله[٣] ظلمة، واعتقاده ظلمة، وكلامه ظلمة[٤]، ومصيره يوم القيامة إلى النار[٥] ظلمة[٦]، وعن أبي: الكافر يتقلب في خمس من الظلم: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار، وقيل: شبه جهله وسمعه وبصره بالظلمات؛ لأنهم من حيث لا ينظرون ولا يتفكرون بمنزلة مَنْ كان في ظلمات[٧]، وقيل: شبه جهله وتقليده بالظلمات، وقيل: شبه بناءهم[٨] على أصول فاسدة بالظلمات المتراكمة «إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا» يعني إذا أخرج الناظر[٩] يده لم يكد يراها للظلمة[١٠]، قيل: كما أن هذا الرجل لا يرى يده من شدة الظلمات، كذلك هذا الكافر لا يرى لعمله[١١] نفعاً لكفره، عن أبي مسلم، واختلفوا في قوله: «لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا» قيل: لم يرها[١٢] [١٣]، ولم يقرب من أن يراها، عن الحسن، وقيل: كاد: صلة، أي: لم يَرَهَا، عن الفراء، كقولهم: ما كدت أعرفه، وقيل: رآها رؤية خفية، عن أبي علي، وقيل: لم يرها[١٤] إلا بعد الجهد والشدة، عن

(١) كظلمات: ظلمات، ل.
(٢) تحذيراً: براء له، ي.
(٣) فما له: ـ ، ز.
(٤) وكلامه ظلمة: ـ ، ي.
(٥) إلى النار: ـ ، ل، م.
(٦) ظلمة: ـ ، ي.
(٧) لأنهم من حيث... في ظلمات: ـ ، ل، م.
(٨) بناءهم: ما هم، ل.
(٩) الناظر: ـ، ز.
(١٠) للظلمة: الظلمة، ز.
(١١) لعمله: بعمله، ل، م.
(١٢) يرها: يراها، ل.
(١٣) قيل لم يرها: ـ ، ي.
(١٤) يرها: يراها، ل.

المبرد، وقيل: قرب من الرؤية ولم ير[1]. «**وَمَنْ [لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**» أي: من لم يجعل الله له فرجاً ونجاة فما له من نجاة، وقيل: من[2] لم يجعل الله له نوراً في القيامة فما له من نور، وقيل: من لم يحكم له بهداية فليس له هداية[3].

۞ الأحكام

تدل الآية أنه تعالى تعبد باتخاذ المساجد وعمارتها وملازمتها للعبادة، وعَظَّم منزلة من قام[4] بذلك.

وتدل على أن الأوْلى الاشتغال بالعبادة دون أعمال الدنيا وإن كانت مباحة.

وتدل على أن العبادة تَعْظُمُ مع الخوف.

ويدل قوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾[5] على شدة يوم القيامة.

ويدل قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾[6] أن الثواب والعقاب جزاء الأعمال، خلاف قول المجبرة.

وتدل على وعد[7] بزيادة على[8] المستحق، وذلك ترغيب في الطاعة.

وتدل على مثل الكافر في غاية الوضوح؛ ليتدبروا فيه ويحترزوا عن مثل عمله[9]؛ لأن الظمآن إذا جاء موضع السراب فلم يجد شيئاً عظمت حسرته، وتحير في أمره، كذلك الكافر، يتحمل المشقة، فإذا رأى عاقبتها عظمت ندامته، وهكذا حال اليهود والنصارى من الكفار والخوارج وغيرهم من المبتدعة، يعملون ما يظنون أنهم على شيء، كذلك المثل الثاني.

---

(١) ير: يره، ل.
(٢) لم يجعل الله له... وقيل من: ـ، ز، ل، م.
(٣) هداية: هاد، ز.
(٤) قام: أقام، ز.
(٥) ساقط في ز، ل، م.
(٦) ساقط في ز، ل، م.
(٧) وعد: تعريف، ز، ل، م.
(٨) على: ـ، ل، م، ي.
(٩) عمله: ذلك، ز، ل، م.

وتدل على أن من لم يجعل الله له سبيلاً إلى[1] النجاة فما له من نجاة.

وتدل على أن أفعال العباد خَلْقُهُم لذلك قال: «**أعمالهم**» وضرب المثل لهم[2]، وأوجب العقاب عليهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾

۞ القراءة

ظاهر القراءة: «**من خِلالِهِ**» بالألف[3]، يعني وسطه، وعن ابن عباس والضحاك: «**من خلله**»وخِلَال جمع خَلَلٍ.

قرأ أبو جعفر: «**يُذْهِبُ**» بضم الياء وكسر الهاء من أذهب. والقراء على فتح الياء والهاء من ذَهَبَ يَذْهَبُ، وهو الوجه؛ لأنه عُدِّيَ بالياء.

قرأ حمزة والكسائي: «**والله خالق كل دابة**» بالألف على الاسم، «**كل**» بالجر على الإضافة، والباقون: «**خَلَقَ**» بغير ألف على فعل ماض، «**كل**» بالنصب؛ لأنه مفعول.

۞ اللغة

التسبيح: التنزيه.

---

(١) سبيلا إلى: ـ، ز، ل، م.

(٢) لهم: ـ، ز، ل، م.

(٣) بالألف: بالأل، م.

التزجية[1]: دفع الشيء، وزَجَّيْتُ وأَزْجَيْتُ: دفعت وسقت، والريح[2] تُزْجِي السحاب: تدفعه وتسوقه سوقاً رفيقاً، وزجى الشيء انساق، وزَجَا الخراج يزجو[3] زَجَاءً: إذا تيسرت[4] جبايته[5] وانساق إلى الغلة.

والركام: المتراكم بعضه على بعض[6]، ويقال: ركمت[7] الشيء: ألقيت بعضه فوق بعض، وسحاب مرتكم وركام، والركمة: الطين المجموع.

والوَدَقُ[8]: المطر، وَدَقَتْ السحاب[9] تَدِقُ وَدْقاً إذا اضطربت، قال أبو مسلم: الودق: الماء، ومنه: اسْتَوْدَقَتْ الفرس إذا حنت إلى الفحل واشتهت.

والخَلَلُ: واحد الخِلَال، وهو[10] الفرجة بين الشيئين.

والبَرَدُ معروف، وأصله من البَرْدِ خلاف الحر، وسحاب بَرِدٌ أتى بالبَرَدِ، ومنه الأبردان طرفا النهار. وقيل: يسمى البرد لأنه[11] يَبْرُدُ وجه الأرض، أي: يقشره[12]، ومنه: بردت بالمبرد، ويقال: بَرَدَ: مات لذهاب حرارته.

والسناء بالمد: الرفعة، والسنا مقصور[13]: البصر[14]، ومنه: سنا البرق.

---

(١) التزجية: التزجة، ز.
(٢) والريح: وأزجى، ز، ل، م.
(٣) يزجو: زجوا، ز.
(٤) تيسرت: انتشر، ز، ل، م.
(٥) جبايته: جايته، م.
(٦) بعض: ـ، م.
(٧) ركمت: رمكت، ل، م.
(٨) والودق: الو، ز.
(٩) السحاب: السحائب، ز، ل، م.
(١٠) وهو: وهي، ي.
(١١) يسمى البرد لأنه: سمي لأنها، ز، ل، م.
(١٢) يقشره: ينشره، ز، ل، م.
(١٣) مقصور: مقصورة، ز
(١٤) البصر: ـ، ز، ل، م.

والدابة: ما يدب على الأرض، وكل ماش على الأرض دابة، أُخِذَ من دَبَّ يَدِبُّ دبيباً، وناقة دبوب: لا تكاد تمشي من كثرة لحمها، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة دَيْبُوبٌ[1]»، يعني النمام كأنه يدب بالنميمة.

الإعراب

يقال: لماذا ذكر الكناية في قوله: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ﴾ والسحاب[2] جمع؟

قلنا: الكناية ترجع إلى اللفظ، ولأن تأنيثه غير حقيقي.

ويقال: ما معنى (مِنْ) الأولى والثانية والثالثة[3] في قوله: «من السماء من جبال فيها من برد»[4]؟

قلنا: الأولى: لابتداء الغاية؛ لأن السماء ابتداء الإنزال، والثانية: للتبعيض؛ لأن البَرَدَ بعض الجبال، والثالث: لبيان الجنس؛ لأن جنس تلك[5] الجبال جنس البرد.

«**صافات**» نصب على الحال[6]، فمنهم من[7] إذا جمع بين الآدميين وغيرهم غلب الآدميين على غيرهم.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد والوعيد، والمؤمن والكافر، عقبه بذكر دلائل التوحيد لطفاً للمؤمنين، وحجة على الكافرين، فقال سبحانه: «**أَلَمْ تَرَ**» يعني[8] ألم تعلم؛ لأن التسبيح مما لا يُرَى إنما يعلم بالإخبار[9]، وهو تنزيه الله عما لا يليق به «**أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ**» أما في السماوات فهو عام؛ لأن

(١) ديبوب: دبوب، ي.
(٢) والسحاب: من السحاب، ي.
(٣) والثالثة: ـ، ز، ل، م.
(٤) في (من السماء من جبال فيها من برد): ـ، ز.
(٥) لأن جنس تلك: بذلك، ز.
(٦) الحال: الجبال، ز، م.
(٧) من: ـ، ز، ل، م.
(٨) يعني: ـ، ز.
(٩) بالإخبار: بالأدلة، ي.

الملائكة كلهم[١] يسبحون والأرض[٢] خصوص في المؤمنين، وقيل: بل هو[٣] عام، ثم اختلفوا فقيل[٤]: تنزيهه بما يدل عليه خلقه، فما من شيء إلا ويدل على إثباته، وإثبات صفاته، وتنزيهه، وكذلك الطير صافات؛ لأن اصطفاف الطير في الهواء مما يدل عليه، لأنه بلطف تدبيره أعطاه[٥] الآلة حتى يطير مرة، ويقف مرة، ويصطف في الهواء، وقيل: كل[٦] من يعقل يسبح له، «**وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ**[٧]» يدل على وجوب التسبيح، كأن من لا يسبح لا يعتد به، فأما من يقول: كل شيء يسبح حتى الجمادات فظاهر الفساد، إلا أن يحمل على ما قلنا من دلالته على تسبيحه، «**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**» قيل: الصلاة للإنسان[٨] والتسبيح لكل شيء، عن مجاهد، وجماعة من المفسرين.

واختلفوا إلى من يعود الضمير في قوله: «**علم**»، قيل: علم الله صلاته وتسبيحه، وقيل: علم كل مصل[٩] وكل[١٠] مسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه، وقيل: كل منهم علم صلاة الله[١١] وتسبيحه.

«**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**» فيجازيهم بذلك، «**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» قيل: تقديرهما[١٢] وتدبيرهما وتصريف أحوالهما، وقيل: له ملكهما؛ لأنه خالقهما وخالق مَنْ فيهما، ورازقهم، فحقيقة المِلْك والمُلْك له، وقيل: أراد بملك

---

(١) كلهم: ـ، ز.
(٢) والأرض: في الأرض، ي.
(٣) بل هو: ـ، ز.
(٤) فقيل: قيل، ل، م.
(٥) اعطاه: أعطاها، ز، ل، م.
(٦) كل: ـ، ل؛ كان، ي.
(٧) صافات: ـ، ز، ي.
(٨) للإنسان: الإنسان، ل، م.
(٩) مصل: مصلي، ل، م.
(١٠) كل: ـ، ز، ي؛ لكل، ل.
(١١) صلاة الله: الله صلاته.
(١٢) تقديرهما: ـ، ل؛ يقدرهما، ز.

السماوات: المطر، وبملك الأرض: النبات، وقيل: أراد به الرازق، والأول الوجه؛ لعمومه.

ومتى قيل: أليس قد روي أن كل شيء يسبح؟

قلنا: إن حمل على دلالته على التنزيه فصحيح، وقد بينا، وإن حمل على أنه يسبح بالقول لم يصح؛ لأنه ليس بمكلف، ولأن التسبيح لا يصح إلا ممن عرف الله بتوحيده وعدله، وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه[1]، ولا يصح ذلك في[2] الطيور والحيوانات غير المكلفين.

فإن قال: فإنه[3] تعالى يخلق فيهم التسبيح؟

قلنا: فهو المسبح لا الطير، وإنما الطير محل التسبيح.

«**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**» أي: المرجع إلى حكمه يوم القيامة. «**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا**» قيل: يسوقه إلى حيث يريد، وقيل: يخرج شيئاً فشيئاً، «**ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ**» أي[4]: يضم ويجمع بين قطع السحاب المتفرقة، «**ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا**» أي: متراكماً بعضه فوق بعض «**فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ**[5]» أي: المطر يخرج «**مِنْ خِلَالِهِ**[6]» من وسطه[7] «**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ**» قيل: معناه ينزل من السماء أمثال[8] الجبال من برد إلى الأرض، عن ابن الأنباري، وقيل: ينزل من السماء برداً من جبال في السماء من برد، وقيل: أراد بالسماء السماء المعروفة[9] فيها جبال البرد

(١) عليه: ـ، ي.
(٢) في: إلا في، ز.
(٣) فإنه: إنه، ز، ل، م.
(٤) أي: أن، ز، ل، م.
(٥) يخرج: يخرج من خلاله، ز، ل، م.
(٦) من خلاله: ـ، ز، ل، م.
(٧) من وسطه: من وسطه قيل، ي.
(٨) أمثال: مثال، ل، م.
(٩) المعروفة: المعروف، ي.

مخلوقة[١]، فينزل منها إلى الأرض، عن الحسن، وأبي علي، وقيل: أراد بالجبال السحاب[٢]؛ لأنها إذا عظمت شبهت بالجبال، واختلفوا قيل[٣]: إنه ينزل المطر والبرد من السماء إلى السحاب، ثم ينزل إلى الأرض، لأن السحاب متخلخل، لا يبقى فيه[٤] المطر، وقيل: بل يخلق في السحاب حالاً بعد حال، إن شاء المطر، وإن شاء البرد، ثم يرسله، وكلا الوجهين جائز، إلا أن الأول أقرب إلى الظاهر، وقيل: كل ما علاك يسمى سماء، فالسحاب[٥] يسمى سماء، «**فَيُصِيبُ بِهِ**[٦]» بالبرد «**مَنْ يَشَاءُ**»، فيهلك الزرع والثمار والأموال، «**وَيَصْرِفُهُ**[٧] **عَن مَّنْ يَشَاءُ**» فلا يصيبه منه شيء «**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ**» أي: ضوء برقه، أي: برق السحاب، عن ابن عباس، وابن زيد، وقيل: لَمَعَانُ برقه[٨]، عن قتادة. «**يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**» لشدة ضوئه و[٩] بريقه[١٠]، وللضوء الكثير تأثير في سلب ضوء[١١] الأعين، كالناظر في عين الشمس «**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما، وقيل: بالطول والقصر، وإدخال أحدهما في الآخر، وقيل: يقلب[١٢] أحوالهما في الحر والبرد، وقيل: بالظلمة والضياء، والواجب[١٣] حمله على الجميع؛ إذ لا[١٤] مانع «**إِنَّ فِي ذَلِكَ**» أي: فيما ذكر من الأدلة «**لَعِبْرَةً**» لمن تدبر فيه واعتبر «**لأُوْلِي الأَبْصَارِ**» أي[١٥]: لذوي

---

(١) مخلوقة: ومخلوقة، ي.
(٢) السحاب: السماء، ز.
(٣) قيل: فقيل، ل، م.
(٤) فيه: فيها، ز، ل، م.
(٥) فالسحاب: والسحاب، ز، ل، م.
(٦) به: ـ ، ي.
(٧) ويصرفه: فيصرفه، ز.
(٨) برقه: البرقة، م.
(٩) ضوئه و: ـ ، ي.
(١٠) بريقه: تزلقه، ز، ل، م.
(١١) ضوء: نور، ز.
(١٢) يقلب: ينقلب، ل، م.
(١٣) والواجب: والطيار الواجب، ز.
(١٤) إذ لا: ولا، ل.
(١٥) أي: ـ ، ي.

العقول[١]؛ لأنهم المكلفون الذين[٢] يمكنهم النظر والاستدلال، وقيل: لمن تبصر فيه بالعقل فيستدل[٣]، وخصهم بالذكر لأنهم ينتفعون بها[٤] «**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ**» حيوان «**مِنْ مَاءٍ**» من نطفة، وقيل: من ماء؛ لأن أصل الخلق الماء، ثم قلب بعض الماء فجعله ريحاً فخلق منه الملائكة، وبعضه[٥] ناراً فخلق منه الجن، وبعضه إلى الطين فخلق منه آدم، وقيل: المراد أكثر الدواب؛ لأن من الحيوان من خلقه من الأرض والريح، وقيل[٦]: الأصل الماء، ولا بد في كل شيء يخلق منه حيوان من رطوبة، هكذا[٧] أجرى الله تعالى العادة، «**فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ**» كالحية والحوت والديدان، «**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ**» كالجن والإنس والطير[٨] «**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ**» كالأنعام والوحوش[٩] والسباع، ولم يذكر من الأشياء والمشي أكثر من ذلك؛ لأنه كالذي يمشي على أربع في رأي العين، وقيل: في قوله: «**يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**» تنبيه على أن فيها من يمشي على أكثر من ذلك[١٠] «**يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**» أي: يُحْدِثُ ما يشاء، كما يشاء مقدراً كما تقتضيه المصلحة من غير زيادة ولا نقصان، اختراعاً من غير آلة «**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ**» دلالات قيل: هو القرآن، وقيل: سائر الأدلة «**مُبَيِّنَاتٍ**[١١]» واضحات «**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» أي: طريق مستقيم، قيل: يهدي بأن يدل ويرشد[١٢]، والمراد المكلفون دون من لا يكلفه، وقيل: يهدي إلى طريق الجنة من يشاء وهم المؤمنون، وقيل: الصراط: الدين المؤدي إلى الجنة.

(١) العقول: العقل، ز.
(٢) الذين: الذي، ز.
(٣) فيستدل: يستدل، ز.
(٤) بها: به، ي.
(٥) وبعضه: وبعضهم، ز، ل، م.
(٦) وقيل: فقيل، ز.
(٧) هكذا: كذا، ي.
(٨) والطير: ـ، ز، ل، م.
(٩) والوحوش: والوحش، م، ل، ي.
(١٠) يخلق الله ما... من ذلك: ـ، ز، ل، م.
(١١) مبينات: بينات، ز، ل، م.
(١٢) ويرشد: فيرشد، ي.

الأحكام

تدل الآية على أنه[1] لا شيء إلا ويدل على توحيده وتنزيهه وعدله على ما نقوله، وهذا[2] أولى من حمله[3] على الخصوص وتسبيح القول.

وتدل على[4] أن[5] مصير جميع الخلق إليه.

وتدل على توحيده وكمال قدرته أشياء:

منها: خلق السماوات والأرض بما فيهما.

ومنها: اصطفاف الطير.

ومنها: أنه يزجي السحاب.

ومنها: إنزال المطر والبَرَدِ.

ومنها: اختلاف الليل والنهار، وقد بينا من قبل أن في كل واحد منهما أدلة جمة تدل على أنه قادر عالم حي سميع بصير.

ويدل قوله: ﴿فَيُصِيبُ[6] بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أن[7] إنزاله يتعلق بحي مختار يُنَزِّل على حسب[8] المصلحة خلاف ما تقوله الطبائعية.

ويدل قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ على كمال قدرته وعلمه؛ لأن مع اختلاف أحوال[9] الحيوانات وصورهم وألوانهم وهيئاتهم خلق الجميع من أصل واحد، وهو الماء، وقد بينا أن معناه أن تلك الأجزاء من نطفة[10] يكون فيها، ثم تزيد أجزاء الجواهر والأعراض حتى يصير حيواناً.

(١) أنه: أن، ي.
(٢) وهذا: فهذا، ز، ل، م.
(٣) حمله: حملها، ز، ل.
(٤) على: ـ ، ز، ل، م.
(٥) أن: وأن، ز.
(٦) فيصيب: يصيب، ز، ل، م.
(٧) أن: أي، ي.
(٨) على حسب: بحسب، ل، م.
(٩) أحوال: ـ ، ز، ل، م.
(١٠) نطفة: النطفة، ي.

ويدل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أن المعدوم يسمى شيئاً[1]؛ لأنه قادر عليه.

ويدل قوله: «لقد[2] أنزلنا آيات[3]» على حدث القرآن.

وتدل على أنه الهادي لِخَلْقِهِ.

قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع برواية قالون ويعقوب: «ويَتَّقِهِ» بكسر القاف والهاء مشبعة[4].

وقرأ[5] أبو جعفر وحده: «ليُحْكَمَ[6]» بضم الياء[7] وفتح الكاف، وكذلك في (البقرة) و(آل عمران) على ما لم يسم فاعله، والقراء كلهم على فتح الياء وضم الكاف، يعني[8] الرسول يحكم بينهم[9].

---

(١) شيئاً: سماء، ز.

(٢) لقد: إنا، ز، ل، م، ي، وما أثبتناه فمن المصحف.

(٣) آيات: ـ، ي.

(٤) مشبعة: مشتقة، ز.

(٥) وقرأ: ـ، ز.

(٦) ليحكم: لتحكم، ز.

(٧) الياء: التاء، ز.

(٨) يعني: بمعنى، ز.

(٩) بينهم: بينكم، ز، يعني الرسول يحكم بينكم: ـ، ل، م.

اللغة

الإذعان: الانقياد من غير إكراه، عن الفراء، وقيل: الإسراع مع الطاعة، يقال: أذعن فلان بالحق إذا أقر به إذعاناً فهو مذعن، وناقة مِذْعَانٌ[1] مُنْقادَة.

والحَيْفُ[2]: الجور ببغض[3].

والدعاء: طلب الفعل، والفرق بينه وبين الأمر يظهر بالرتبة، فإذا كان الطالب فوق المطلوب سمي أمراً، وإذا كان دونه سمي دعاءً.

والحكم: فصل[4] الأمر على ما تدعو[5] إليه الحكمة، ومنه: الحاكم، وأصله: المنع، قال:

أَبنَـي حنـيفـةَ أَحْـكِـمُـوا سفـهـاءكـم

والفوز: أخذ الحظ الجزيل من الخير، فاز يفوز فوزاً فهو فائز، وسميت المَهْلَكَةُ مفازة تفاؤلاً، كأنه قيل: منجاة.

﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ﴾ استفهام والمراد الذم، والتوبيخ، وإنما جاء على لفظ الاستفهام زيادة في الذم، كأنه قيل: إن هذا الأمر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البينة، فكذلك[6] في المدح، وهو أشد[7] مبالغة، قال الشاعر:

ألـسـتـم خَـيْـرَ مَـنْ رَكِـبَ الـمـطـايـا ... وأَنْـدَى الـعـالـمـيـن بـطـونَ راحِ

الإعراب

مَنْ نصب «قَوْلَ» فلأنه[8] خبر (كان) واسمه في قوله[9] «أن يقولوا»، ومَنْ رفع «قول»؛ لأنه اسم (كان) وخبره[10] في: «أن يقولوا».

(١) مذعان: عان، ز.
(٢) والحيف: الحيف، ز.
(٣) ببغض: ينقض، ز.
(٤) فصل: فعل، ل، م.
(٥) ما تدعو: ما يدعوا، ز، م.
(٦) فكذلك: وكذلك، ز، ل، م.
(٧) أشد: ـ ، ز.
(٨) فلأنه: ـ ، ز.
(٩) في قوله: في قوله أن قوله، ل.
(١٠) وخبره: في خبره، ل، م.

«مذعنين» نصب على[1] الحال، أي: في حال الإذعان؛ لأن الإتيان وقع على الإذعان، فانتصب[2].

و«يخش الله» جزم، وعلامة الجزم ذهاب الياء؛ لأنه يخشى، وإنما جزمت لأنه معطوف على: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾[3] وجواب (من): ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

النزول

قيل: نزلت الآية في المنافقين.

وقيل: نزلت في منافق ويهودي اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى[4] آله وسلم[5]، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف، ويقول: إن محمداً يحيف علينا، فنزلت الآية، عن جماعة من المفسرين.

فأما ما ترويه الرافضة أنها نزلت في خصومة وقعت بين[6] علي وعثمان، فقالت أقارب عثمان: لا يرفعه إلى النبي؛ لأنه يحكم لابن عمه، فهذا[7] من بَهْتِ الروافض، لم يُرْوَ ذلك[8] في حديث صحيح ولا فاسد، وعادتهم وضع الأخبار والأسانيد، ولذلك تَرَى[9] أسانيدهم مجاهيل أكثرها أسماء لا مسمى لها.

وذكر شيخنا أبو حامد في تفسيره: أنها وردت[10] في قوم امتنعوا لا للنفاق[11]

---

(١) على: في، ي.
(٢) فانتصب: ـ، ز.
(٣) ومن يطع الله: ـ، ل، م.
(٤) على: ـ، ل، م، ي.
(٥) وسلم: ـ، ز، ل، م.
(٦) وقعت بين: ـ، ي.
(٧) فهذا: هذا، ز، ل، م.
(٨) ذلك: ـ، ل، م.
(٩) ترى: تروي، ز.
(١٠) وردت: نزلت، ز.
(١١) للنفاق: للإنفاق، ز، ل، م.

والشك لكن[١] للحرص على[٢] الدنيا، ولهذا أخبر أنهم ينقادون إذا كان الحكم لهم، ولو كانوا منافقين لكانت[٣] أحوالهم متساوية في ذلك، ولأنه قال: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ولو كانوا منافقين لكان في قلوبهم مرض، فكان[٤] لا يخبر على طريق الاستفهام، غير أن أكثر المفسرين أنها نزلت في المنافقين، وهو الذي يقتضيه الظاهر.

المعنى

قيل: لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر المنافق؛ لأنه ثالث القوم، وقيل: إنه يتصل بقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ والضمير في قوله: «**وَيَقُولُونَ**» يعود إليهم، وهو[٥] يقع على بعضهم، كأنه يقول: ناس من هؤلاء الناس يقول آمنا، عن أبي مسلم، «**وَيَقُولُونَ**» يعني المنافقين «**آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ**» فيعطون[٦] بألسنتهم الإيمان والطاعة «**وَأَطَعْنَا**» فيما أمرنا به «**ثُمَّ يَتَوَلَّى**» يعرض[٧] «**فَرِيقٌ مِنْهُمْ**» جماعة يعرضون عن حكم الله، وهم المنافقون، عن أبي علي[٨]، وصفة الإعراض وما بعده لا تليق إلا بهم، «**مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**» أي: بعد أن أقروا بألسنتهم «**وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**» في الحقيقة، وقيل: ما أولئك يرجع إلى الفرقة المتولية، أي: من[٩] بعد أن أقروا بألسنتهم، ما أولئك بالمؤمنين، وقيل[١٠]: أراد يتولى يرجع إلى الفريق الآخر، ويظهر بعضهم لبعض[١١] السخط لحكم[١٢] الرسول ثم يعرضون جميعاً، فـ (أولئك) على

---

(١) لكن: لكن وفي، ل، م.
(٢) للحرص على: للحرص فيه، ز، ل، م.
(٣) لكانت: لكل، ز.
(٤) فكان: وكان، ل، ي.
(٥) وهو: ـ، ز.
(٦) فيعطون: فيغطلون، ز؛ فيغلطون، ل، م.
(٧) يعرض: ـ، ز، ل، م.
(٨) عن أبي علي: ـ، ز، ل، م.
(٩) من: ـ، ي.
(١٠) وقيل: قيل، ل، م.
(١١) لبعض: على بعض، ز.
(١٢) لحكم: بالحكم، ل.

هذا ينصرف إلى الفريقين، «**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ**» أي[١]: إلى كتابه وحكمه وشريعته **وَرَسُولِهِ**، «**وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ**» يعني إذا علموا أن[٢] الحق لهم[٣] **يَأْتُوا إِلَيْهِ**[٤] «**إلى الرسول**[٥] **مذعنين**» مطيعين منقادين «**أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**» قيل[٦]: شك في نبوتك ونفاق، وقيل: إنه استفهام على طريق الإنكار، يعني كأن في قلوبهم شكاً، وقيل: أراد به التحقيق[٧]، أي: أنتم[٨] على هذه الصفات شاكّون منافقون «**أَمِ ارْتَابُوا**» شكوا[٩]، أي: رأوا فيك ما رابهم[١٠] من[١١] أمرك، «**أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ**» أي: يظلمهم ويجور عليهم، وقيل: أيخافون أن يميل[١٢] الرسول في الحكم «**بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**» قيل: هم الظالمون لأنفسهم؛ حيث[١٣] أعرضوا عن حكم الله وحكم رسوله، وقيل: هم الظالمون لرسول الله صلى الله عليه[١٤] حيث ظنوا به[١٥] أنه يحيف، وقيل: ظلموا بما[١٦] ظنوا في الله وفي[١٧] رسوله، وفيه[١٨] إشارة إلى أن كل مَنْ يَظْلِمُ ويميل في الحكم يجوز ألا يجاب داعيه، «**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ**

---

(١) أي: ـ ، ز، ل، م.
(٢) يعني إذا علموا أن: ـ ، ي.
(٣) الحق لهم: ـ ، ي؛ الحكم، ل، م.
(٤) يأتوا إليه: ـ ، ز، ل، م.
(٥) إلى الرسول: ـ ، ي.
(٦) قيل: ـ ، ل، ي.
(٧) التحقيق: تحقيق، ز، م.
(٨) أنتم: يتم، ز.
(٩) شكوا: أشكوا، ز.
(١٠) ما رابهم: ما أرابهم، ز، م.
(١١) من: ـ ، ز، ل، ي.
(١٢) ساقط في ل، يميل: ـ، ل.
(١٣) حيث: حين، ز.
(١٤) صلى الله عليه: ـ ، ز، ي.
(١٥) به: ـ ، ل، م.
(١٦) بما: ما، ي.
(١٧) وفي: ـ ، ز، ل، م.
(١٨) وفيه: وقيل، ل.

«الْمُؤْمِنِينَ» يعني ينبغي أن تكون[١] طريقة المؤمن، وقيل: المؤمن من[٢] يسمع ويطيع الله ورسوله **«إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ»** أي[٣]: إلى كتابه وحكمه **«وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا»** الدعاء **«وَأَطَعْنَا»** فيه **«وَأُولَئِكَ[٤] هُمُ الْمُفْلِحُونَ»** أي: فازوا[٥] بالمطلوب من الثواب[٦] **«وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ»** أي: يخشى عقابه **«وَيَتَّقْهِ»** أي: يتقي معاصيه، وقيل: يخشى[٧] يتعلق بما سلف منه في[٨] الماضي[٩]، «ويتقه» يتعلق بالمستقبل، كأنه أمر أن يتلافى ما مضى، ويتقي في المستقبل، **«فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»** الآخذون حظهم من الخير.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ مع قوله: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على أن الإيمان ليس هو مجرد القول على ما يزعمه بعضهم؛ إذ لو كان كذلك لما صح النفي بعد الإثبات.

وتدل على أن الإعراض[١٠] فِعْلُهم لذلك وبخهم عليه.

وتدل على أن قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ﴾ يتضمن المنافقين لذلك قال: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وظنوا الحيف من الله ورسوله، وذلك من صفة المنافق.

وتدل على أن الواجب عند التنازع الرجوع إلى الكتاب والسنة.

وتدل على وجوب حضور مجلس القضاة عند الدعاء؛ لأنه منتصب للحكم بكتاب الله وسنة نبيه[١١].

---

(١) تكون: تكونوا، ز.
(٢) من: ـ ، ز، ل، م.
(٣) أي: ـ ، ز، ل، م.
(٤) وأولئك: فأولئك، ل، م.
(٥) فازوا: فاز، ي.
(٦) من الثواب: بالثواب، ز، ل، م.
(٧) يخشى: ـ ، ل، م.
(٨) منه في: منه من، ز؛ منه، ل، م.
(٩) الماضي: المعاصي، ز، ل، م.
(١٠) إذ لو كان كذلك. . . أن الإعراض: ـ ، ز.
(١١) وتدل على أن الواجب. . . وسنة نبيه: ـ ، ز، ل، م.

ويدل قوله: ﴿وَمَن[1] يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ أن الفوز يُنالُ بالطاعة خلاف ما تقوله المجبرة والمرجئة.

وتدل على أن الطاعة والإذعان والمعصية والتولي والإعراض فِعْلُ العبد ليس بخلق لله تعالى فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو بكر[2] عن عاصم: «اسْتُخْلِفَ» بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، الباقون بفتح التاء واللام، يعني أن الله تعالى استخلفهم.

وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: «ولَيُبْدِلَنَّهُمْ» ساكنة الباء خفيفة الدال، [و] الباقون بتشديد الدال وفتح الباء[3] من بَدَّلَ يُبَدِّلُ، والأول من أَبْدَلَ.

۞ اللغة

القسم: اليمين، يقال: أقسمت: حلفت، ويقال: أصله من القَسَامَةِ، وهي

---

(١) ومن: من، ز، ل، م.
(٢) أبو بكر: أبو جعفر، ي.
(٣) الباء: الياء، م.

الأيمان تقسم على أهل المحلة التي يُدَّعَى عليهم القتل، ويقال[1]: على الأولياء، وأصل الباب: القسم، مصدر قسمت الشيء أَقْسِمُهُ قَسْمًا، والقِسْمُ بكسر القاف: النصيب، كأنه قسمه من الشيء.

والتبديل: تغيير الشيء من حال إلى حال، ومنه الإبدال.

الإعراب

«**تولوا**» قيل: أصله تتولوا حذفت إحدى التائين؛ لأنه على المخاطبة، وليس كذلك ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا[2] هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] عن الفراء، وقيل[3]: لا حذف فيه، وإنما هذا على المعاينة[4] [5].

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ اللام للجواب تقديره: وعدهم بأن قال: والله لأستخلفنهم.

﴿لَّا تُقْسِمُوا﴾ تم الكلام عنده، ثم ابتدأ فقال: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ أي: أمركم طاعة، أو طاعة[6] معروفة خير من غيرها.

النزول

قيل: نزلت الآية في المنافقين، كانوا يحلفون لرسول الله أينما كنت نكن معك[7]، إن[8] أقمت أقمنا، وإن خرجت خرجنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فنزلت الآية.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[9] الآية في الصحابة، فروى الربيع عن أبي العالية، قال في هذه الآية[10]: مكث النبي ﷺ في مكة[11] خائفاً

(١) ويقال: وقيل، ز، ل، م.
(٢) فإنما: فإن، ز.
(٣) وقيل: ـ، ز.
(٤) المعاينة: المعاتبة، ز.
(٥) ساقط في ل.
(٦) أو طاعة: ـ، ل؛ وطاعة، ز.
(٧) معك: ـ، ز، ل.
(٨) إن: لأن، ز، ل، م.
(٩) زيادة من ز.
(١٠) الآية: ـ، ز، ل.
(١١) في مكة: ـ، ل.

هو[1] وأصحابه عشر سنين، وهاجروا وماتوا[2]، ومكثوا بالمدينة خائفين، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نَأْمَنُ فيه ونضع السلاح، فنزلت الآية، فأنجز الله وعده وأظهره على الناس فأَمِنُوا.

وقيل: لما انصرفوا من[3] الحديبية وحزنوا أطعمهم خيبر، ووعدهم أن يدخلوا العام المقبل مكة آمنين، فنزلت الآية، عن مقاتل[4].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر المنافقين، بَيَّنَ في هذه الآية سيرتهم، وأنهم يقولون عند رسول الله صلى الله عليه وعلى[5] آله وسلم خلاف ما يقولون في غيبته، فقال سبحانه: «**وَأَقْسَمُوا**» أي: حلفوا «**بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**» أي: يبذلون الجهد في اليمين، وقيل: من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين؛ لأنه حلف بما لا يتهيأ بأن[6] يُحْلَفَ بأعظم منه، «**لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ**» يا محمد «**لَيَخْرُجُنَّ**» قيل: يخرجون فيما يحكم عليهم بالخروج منه، وقيل: ليخرجن إلى العدو و[7]الغزو، عن أبي علي، وقيل: ليخرجن عن أملاكهم[8]، عن ابن عباس، «**قُلْ**» يا محمد لهم :لا تخرجوا عن أملاككم[9]، ولكن أطيعوا الله، قيل: «**لاَ تُقْسِمُوا**» أي: لا تحلفوا، فإن هذه طاعة بالقول دون الاعتقاد، فهي معروفة عندكم، يعني أنكم تكذبون، عن مجاهد، وقيل: لا تقسموا؛ بل أظهروا الطاعة، فإنها تعرف من غير قسم، فأما القسم في مثل هذا من التصنع والتملق، وقيل: طاعة معروفة هو أمر بالمعروف، عن أبي علي، وقيل: لا تقسموا على شيءلى ءقدعرفمنكم خلافه، ولكن أطيعوا «**طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ**» يعرفها أهل الدين، وقيل: لا

---

(1) هو: وهو، م.
(2) وماتوا: ـ، ز، ل، م.
(3) من: عن، م.
(4) عن مقاتل: ـ، ز، ل، م.
(5) على: ـ، ي.
(6) بأن: أن، ز.
(7) العدو و: ـ، ي.
(8) أملاكهم: من أملاكهم، ز، عن أملاكه، ي.
(9) أملاككم: أملاكهم، ل.

تحلفوا، فطاعة[١] معروفة أفضل وأمثل من هذا القسم، وقيل: الطاعة المعروفة ما يوافق الشرع، «**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**» أي: عليم بأعمالكم فيجازيكم بها «**قُلْ**» يا محمد لهم «**أَطِيعُوا اللَّهَ**» فيما أمركم[٢] به «**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**» فيما أمركم به، واحذروا المخالفة «**فَإِنْ تَوَلَّوا**» أعرضوا عن طاعة الله[٣] وطاعة رسوله، «**فَإِنَّمَا عَلَيْهِ**» أي: على الرسول «**مَا حُمِّلَ**» أي: كلف وأمر من التبليغ وأداء الرسالة، «**وَعَلَيْكُمْ**» أي: الواجب عليكم[٤] «**مَا حُمِّلْتُمْ**» من الطاعة والمتابعة[٥]، وقيل: على كل واحد تبعة ما حمل[٦]، لا يؤاخذ أحد بذنب[٧] غيره «**وَإِنْ تُطِيعُوهُ**[٨]» أي: تطيعوا الرسول «**تَهْتَدُوا**» إلى الحق، وقيل: إلى الجنة، «**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**»، أي: ليس عليه إلا أداء الرسالة، وبيان الشريعة، وليس عليه الاهتداء، وإنما ذلك عليكم، ونفعه وضره عائد إليكم، و«**المبين**»[٩]: البين الواضح «**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» يعني وعد الله الذين كانوا في عهد[١٠] النبي صلى الله عليه وعلى[١١] آله وسلم[١٢] ليستخلفنهم» قيل: ليورثنهم[١٣] أرض المشركين من العرب والعجم، ويجعلهم سكانها «**كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» يعني بني إسرائيل بالشام بعد هلاك الجبابرة أورثهم أرضهم[١٤] وأسكنهم فيها، وجعلهم ملوكاً فيها[١٥]، وقيل: كما استخلف في زمن داود وسليمان، عن أبي علي.

(١) فطاعة: بطاعة، م.
(٢) أمركم: آتاكم، ز، ل، م.
(٣) طاعة الله: الطاعة، ز.
(٤) أي على الرسول. . . الواجب عليكم: ـ ، ز، ل.
(٥) المتابعة: التابعة، ز.
(٦) حمل: ـ ، ز، م، ي.
(٧) أحد بذنب: بذنب أحد، ل.
(٨) تطيعوه: تطيعوا، ي.
(٩) والمبين: المبين، ل.
(١٠) عهد: وقت، ز.
(١١) على: ـ ، ز، ل، م.
(١٢) وسلم: ـ ، ل، م.
(١٣) ليورثنهم: لورثهم، ز.
(١٤) أرضهم: أرضهم أرضهم، ز.
(١٥) وجعلهم ملوكاً فيها: ـ ، ز.

«وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ» ليظهرن مِلَّتَهُمْ، وهي الإسلام الذي ارتضاه لهم، فأمرهم[1] أن يدينوا بها، ويظهروا الاسلام، فأنجز وعده، وأعلى[2] كلمة الدين، وجعلهم خلفاء الأرض، «وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» أي: لا يخافون في[3] ذلك أحداً، فمن كفر بعد هذه[4] النعمة ولم يَعْنِ الكفر بالله، وقيل: من كفر بالله بعد ذلك، وأراد الكفر[5] الذي هو ضد الإسلام «فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» قيل: العاصون، عن أبي العالية، وقيل: الخارجون في كفرهم إلى معصيته، لأن الفسق هوالخروج إلى المعصية.

۞ الأحكام

تدل الآية أن الكلام يؤكد باليمين لذلك قال: «وأقسموا[6]» فيحصل له به[7] من[8] الحكم[9] ما لولاه[10] لم يحصل؛ لأنه ربما لا يجوز له الحنث، وربما يجوز ويلزمه الكفارة.

وتدل على قبح من أقسم على ما ينطوي على[11] خلافه، لذلك نهاهم عن الكذب وإن لم يخشوا في الحال.

وتدل على وجوب إظهار الطاعة المعروفة قولاً وفعلاً دون القسم لذلك قال: ﴿لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾.

(١) فأمرهم: وأمرهم، ز.
(٢) في ز، ل، م: وأعلى.
(٣) في: ـ ، ي.
(٤) في في ما بين المعكوفين في ي: بعد هذه. وما أثبتناه من ز، ل، م.
(٥) الكفر: بالكفر، ز، ل، م.
(٦) وأقسموا: فأقسموا، ز.
(٧) به: ـ ، ي.
(٨) من: ـ ، ز.
(٩) الحكم: الحكم به، ي.
(١٠) ما لولاه: بالولاة، ل، م.
(١١) على: ـ ، ي.

وتدل على وجوب طاعة الرسول فيما يأمر، لذلك قال: ﴿وَأَطِيعُواْ[1] ٱلرَّسُولَ﴾.

وتدل على وجوب أوامره على ما يقوله الفقهاء خلاف ما يقوله أبو علي وأبو هاشم، قال القاضي: المراد به الطاعة فيما تقدم من الحكم، فلا يدل[2] على وجوب الأوامر، ولأن قوله: «أطيعوا» أمر، ويجوز أن يقال: يحمل على الوجوب لدليل وليس بصحيح؛ لأنه أطلق ولم يخص فيعم جميع الأوامر، وقد أجمعوا أن هاهنا على الوجوب، ولأنه أَلْحَقَ الوعيد به.

ويدل قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ[3] مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ أن كل أحد يؤخذ بذنبه، فيبطل قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ على أمرين:

أحدهما: أن الاهتداء غير الهدى؛ لأنه بَيَّنَ أنه هداهم، وأن الاهتداء إليهم، فتدل على أن الهدى هي الدلالة لا نفس الإيمان والطاعة، خلاف ما يقوله المجبرة.

والثاني: أن الاهتداء[4] فِعْلُهم، وليس بخلق الله تعالى[5] لذلك كان طاعة منهم.

ويدل قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ أن العبد يصير مزاح العلة بذلك، فإذا لم يقبل فمن قِبَلِه أُتي.

وتدل على أن من لم يبلغه الشرع فهو معذور.

ويدل قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ الآية على أمر[6] مغيب، فيجري ذلك مجرى المعجز[7]؛ لأنه وجد مخبره على وفق خبره.

---

(١) وأطيعوا: أطيعوا، ز، م.
(٢) فلا يدل: ـ ، ي.
(٣) فإنما عليه: وعليه، ز، ل، م.
(٤) الاهتداء: ـ ، ز، م.
(٥) تعالى: ـ ، ل، م.
(٦) أمر: أن من، ز.
(٧) المعجز: العجز، ز.

وتدل على خلافة الخلفاء والأئمة؛ لأن التمكن قد وجد فيهم[١]، ولم يوجد في القوم الذين ادعوا النص عليهم، ولأن التمكن[٢] هو ظهور الأمر والتصرف، وإنما وجد ذلك فيهم؛ لأنهم أظهروا الإسلام،وبهم عزّ[٣]، المسلمون[٤] وكثروا[٥]، وهم قهروا الأعداء، وفتحوا البلاد، ولهم كانت الفتوح المشهورة، ولأن الاستخلاف لا يكون إلا بعد وفاته دون حال حياته، فتعم[٦] جميع الأئمة بعده ﷺ.

ومتى قيل: كيف يصح كونهم خلفاء، ولا نص من الله ولا من الرسول؟

قلنا: وجد[٧] النص على الموضع والصفة والطريق إليه، وهو[٨] بمنزلة النص على عينه، ولهذا كانوا يقولون لأبي بكر: خليفة رسول الله صلى الله عليه وعلى[٩] آله وسلم[١٠]، فلولا[١١] أنهم علموا نصاً ما[١٢]، وإلا لما قالوا[١٣] ذلك.

ومتى قيل: هلا حمل على أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام[١٤] فقط دون من بعدهم؟

قلنا: [لا] لوجهين:

---

(١) فيهم: في هؤلاء، ل، ي.
(٢) التمكن: بالتمكن، ل، م.
(٣) لأنهم أظهروا الإسلام وبهم عز: لأن الذين أظهروا الإسلام وبهم عز، ز؛ لأن الدين والإسلام ظهر بهم وغزو، ي.
(٤) المسلمون: المسلمين، ي.
(٥) وكثروا: كثروا، ز، ي.
(٦) فتعم: فيدل، ز.
(٧) وجد: وجدنا، ز.
(٨) وهو: فهو، ز، م.
(٩) على: ـ، ز، ل، ي.
(١٠) وسلم: ـ، ل، م.
(١١) فلولا: لولا، ي.
(١٢) ما: ـ، ل، ي.
(١٣) قالوا: علموا، ز، ل، م.
(١٤) عليهم السلام: ـ، ي.

أحدهما: أن الآية عامة في الجميع؛ لأن قوله: «منكم[١]» إشارة إلى الجميع، فلا يجوز قصره على البعض.

والثاني: أنهم تمكنوا كما تمكن أولئك.

ومتى قيل: هلا حملتم الآية على معاوية؟

قلنا: لا[٢]؛ لأنه لم يكن من أهل الإمامة والخلافة، ولأن معاوية لم يكن مؤمناً في حال نزول الآية، وإنما آمن مِنْ[٣] بعد، ولأنه[٤] تمكن قهراً وغلبة لا عن مشاورة ونص.

ومتى قيل: لِم قلتم: إنهم وإن كانوا خلفاء كانوا حقاً[٥]؟

قلنا: لأنه أضاف ذلك إلى نفسه، وهو لا يفعل إلا الحق، ولأنه خبر، فلو لم[٦] يحمل عليهم[٧] لم يوجد مخبره، فيؤدي إلى كونه كذباً وهذا لا يجوز.

ومتى قيل: لِم[٨] تقولون[٩]: إنهم منصوصون؟

قلنا: النص على ضربين: على العين، وعلى الوصف، وقد نص على الوصف، وأمر بالاختيار، وقد فعلوا ما أمروا، وأصابوا الحق، فصار تعينهم بأمره[١٠] لتعينه، فأما على العين فلا[١١] نقول: إنه نص عليهم؛ لأنه لم يثبت، وإنما نقول بالوصف على ما بينا.

---

(١) منكم: ـ ، ل، ي.
(٢) لا: ـ ، ز، ل، م.
(٣) من: ـ ، ز، ل، م.
(٤) ولأنه: وأنه، ز، ل، م.
(٥) كانوا حقاً: ـ ، ز؛ كانوا خلفاء، ل، م.
(٦) فلو لم: ولو لم، ل.
(٧) عليهم: عليه، ز، ل، م.
(٨) لم: ـ ، ز، ل، م.
(٩) تقولون: يقولوا، ز، م؛ فتقولوا، ل.
(١٠) فصار تعينهم بأمره: لما بعثهم بأمره، ز، ل، م.
(١١) فأما على العين فلا: فعلى العين لا، ي.

ومتى قيل: هلا اختار النبي صلى الله عليه وعلى آله[1] واحداً فيكون أبعد من الشبهة؟ أو هلا نص الله تعالى فلا يقع فيه شبهة؟

قلنا: المصالح في ذلك تختلف، ولذلك نزل بعض[2] القرآن مُحْكَماً، وبعضه متشابهاً، وكما فوض بعض الشرائع إلى الاجتهاد، وكما تختلف[3] العلوم الدينية والنظر ليصل إليها، ولم يقتصر على الضروري؛ ليكون أجلى، وهذا لأن[4] من شروط[5] التكليف أن يكون المكلف مزاح العلة، ثم المصلحة في ذلك قد تكون[6] بما هو أجلى، وقد تكون[7] بما يحتاج إلى دقة ونظر، ولذلك[8] تختلف العقليات والشرعيات في طرقها، وفيه فوائد جمة:

منها: حصول المقصود.

والثاني: تفضيل القوم.

والثالث: إشارة إلى اعتبار الاجتهاد في الأحكام.

والرابع: ما يحصل من الثواب بالنظر فيه، كما أن أصل التكليف إنما يحسن لهذا.

وتدل على أن العبد مختار قادر، يقدر على إحداث فِعْلِهِ، لولا ذلك لم يكن لقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ[9] مَا حُمِّلَ﴾ من الأداء فائدة، فيبطل قولهم في المخلوق والاستطاعة.

---

(١) وعلى آله: ـ، ل، ي.
(٢) نزل بعض: نص، ز.
(٣) تختلف: كلف، م، ي.
(٤) لأن ـ، ز، ل، م.
(٥) شروط: شرط، م.
(٦) تكون: يكون، ز.
(٧) تكون: يكون، ز.
(٨) ولذلك: وكذلك، ي.
(٩) فإنما عليه: فعليه، ز، م.

قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

❁ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وعاصم والكسائي: «لا تَحْسَبَنَّ» بالتاء على الخطاب، يعني لا تحسب[١] أيها السامع الكافرين معجزين. وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء[٢] على أن[٣] الحسبان[٤] للذين كفروا تقديره: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين؛ لأن الحسبان يتعدى[٥] إلى مفعولين. واختلف القراء في فتح السين وكسره[٦]، وهما لغتان.

---

(١) لا تحسب: لا تحسبن، ز.

(٢) بالياء: بالتاء، ز.

(٣) أن: ـ، ي.

(٤) الحسبان: الحساب، م، ل.

(٥) يتعدى: يتعدل، ز.

(٦) وكسره: وكسرها، ز، ل.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «ثَلاثَ عورات» بنصب ثلاث[1] رداً على قوله: «ثلاثَ مرات[2]». وقرأ الباقون بالرفع على تقدير: هذه ثلاثُ عورات.

اللغة

الإعجاز: المنع من الفعل وأصله من العَجْزِ، وهو ضد[3] القدرة، عَجَزَ عن[4] الأمر يَعْجِزُ إذا قصر عنه، وأعجزه عن ذلك صيره إلى العجز.

والحلم: مصدر حَلَمَ في نومه حُلُماً، ويقال: حَلَمَ[5] واحتلم، ومنه الحديث: «الغسل واجب على كل حالم».

والعورة: سوأة الإنسان، وكل شيء يستحيا منه عورة، والعورة: كل شيء يتخوف منه في ثغر أو حرب، ومكان مُعْوِرٌ: يخاف فيه[6] القطع، وكل مكان ليس بممنوع[7] ولا مستور هو عورة[8]، عَوِرَ المكان عَوَراً فهو عور، وبيوت[9] عور[10]، وأعور فهو مُعْوِرٌ، كأنه يجب[11] حفظه كالعورة.

والقواعد: جمع قاعد، بلا هاء[12] وهي[13] التي قعدت[14] عن الحيض وعن الأزواج، فإذا قعدت عن قيام، فهي[15] قاعدة بالهاء، والقواعد: الأساس، واحدها: قاعدة.

---

(١) ثلاث: تا ثلاث، ز؛ تا عورات، ل، م.
(٢) مرات: عورات، ل، م.
(٣) ضد: ـ، ل، م.
(٤) عن: من، ز، ل، م.
(٥) ويقال حلم: ـ، ي.
(٦) فيه: منه، ز، ل، م.
(٧) بممنوع: ممنوع، ز، ل، م.
(٨) عورة: عورة والعورة، ي.
(٩) وبيوت: كبيوت، ل.
(١٠) عور: عورة، ي.
(١١) يجب: تحت، ز، م.
(١٢) بلا هاء: ـ، ز، ل، م.
(١٣) وهي: ـ، ي.
(١٤) قعدت: قعدن، ي.
(١٥) فإذا قعدت عن قيام فهي: فإذا قعدت عن قيام فهن، ي.

والتبرج[1]: إظهار المرأة محاسنها، وقيل: تبرجت المرأة إذا ظهرت، وأصله: الظهور، ومنه: البروج الكواكب العظام تسمى بذلك لظهورها. والبرج[2]: البناء العالي لظهوره.

۞ الإعراب

«**ليستأذنكم**» اللام لام الأمر.

«**ثلاث مرات**» نصب بقوله: «**ليستأذنكم**».

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنى الاستعفاف خير لهن على الابتداء والخبر.

۞ النزول

قال ابن عباس: وَجَّهَ رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار إلى عمر وقت[3] الظهيرة[4] ليدعوه، فدخل داره، فرأى[5] عمر[6] بحالة[7] فكره[8] عمر[9] رؤيته، فقال: يا رسول الله، لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾.

وقال[10] مقاتل: نزلت في أسماء[11]، امرأة كان لها غلام كبير، دخل عليها في وقت كرهته، فأتت النبي صلى الله عليه وعلى[12] آله وسلم[13] فقالت: إن

(١) والتبرج: التبرج، ي.
(٢) والبرج: والتبرج، ز.
(٣) وقت: ووقت، ز.
(٤) الظهيرة: الظهر، ل، م.
(٥) فرأى: ورأى، ز.
(٦) عمر: عمر وعلي، ز.
(٧) بحالة: حاله، ز.
(٨) فكره: يكره، ل.
(٩) عمر: ـ، ز، ل، م.
(١٠) وقال: قال، ز، م.
(١١) أسماء: ـ، ز، ل، م.
(١٢) على: ـ، ز، ل، ي.
(١٣) وسلم: ـ، ز، ل، م.

خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها[١]، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ المعنى

لما تقدم أنه يُمَكِّن هذا الدين الذي هو الإسلام، وأنه[٢] ارتضاه، عقبه بذكر إقامة شرائعه مع الأمن من الأعداء، وزوال الخوف، والبشارة بالنصر، فقال سبحانه: «**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**» أي: قوموا بأدائها وإتمامها في أوقاتها[٣] بشرائطها «**وَآتُوا الزَّكَاةَ**» المفروضة «**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**» وقيل: لترحموا، وقيل: افعلوا[٤] ذلك متعرضين للرحمة راجين لها «**لاَ تَحْسَبَنَّ**» أيها السامع، أو أيها الإنسان، أو يا محمد، أي: لا تظنهم «**مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ**» قيل: فائتين منا[٥] سابقين[٦]، يقال: طلبته فأعجزني، أي: فاتني وسبقني، وقيل: ظنوا أنهم معجزون أولياء الله من المؤمنين بأن يقاتلوهم[٧] ويظاهروهم[٨]، [ويمانعوهم ويصيروهم] إلى العجز عن أمر الله «**وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ**» أي: مصيرهم، «**وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ**» أي: المرجع[٩]«**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ**» أي: ليطلبوا الإذن «**الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**» قيل: هو في أطفال المماليك والعبيد، عن أبي علي، وهو الوجه، وقيل: هو في النساء والرجال من العبيد، عن ابن عباس، وقيل: هو في الإماء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، وقيل[١٠]: هو في الرجال خاصة، عن ابن عمر، «**وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ**» من الأحرار «**ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**» في ثلاثة أوقات، عن مجاهد، وقيل: إن الآية إرشاد وليس بحتم، كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا

(١) نكرهها: نكرهه، ز.
(٢) وأنه: ـ، ز، ل، م.
(٣) في أوقاتها: ـ، ز، ل، م.
(٤) افعلوا: فعلوا، ز.
(٥) منا: ـ، ز، م، ي.
(٦) سابقين: مسابقين، ز، ل، م.
(٧) يقاتلوهم: يقاتلونهم، ل، م.
(٨) ويظاهروهم: ـ، ز، ي.
(٩) أي المرجع: ـ، ي.
(١٠) وقيل: ـ، ي.

تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، عن أبي قلابة، والصحيح أنه في المملوك الطفل، «**مِنْ قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ**» وإنما خص[١] هذه الأوقات؛ لأنها ساعات الغفلة والخلوة ووضع الثياب والكسوة، فأباح للمملوك والأطفال الدخول في الأوقات إلا في هذه الثلاثة الأوقات؛ لكشف العورات[٢]، فقيل: الفجر وقت القيام من الفراش، والظهر وقت القيلولة ووضع[٣] الثياب، ووقت العشاء يتعرى للنوم[٤]، وروي أن النبي صلى الله عليه وعلى[٥] آله قال: «لا يغلبنكم الأعراب على اسم[٦] صلاتكم، فإنه تعالى قال[٧]: «**وَمِنْ بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ**» وإنما العتمة عتمة الإبل». «**ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ**» يعني[٨] هذه الأوقات الثلاثة[٩] طوافون[١٠] «**لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ**» ضيق وحرج «**بَعْدَهُنَّ**» بعد هذه الأوقات[١١] الثلاثة «**طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ**» يدخلون عليكم ويخرجون[١٢]، ويترددون عليكم بغير إذن، «**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ**» يعني الدلائل والحجج «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**» وقد اختلفوا فقيل: الاستئذان منسوخ، وقيل: ثابت، عن الشعبي. «**وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ**» وهو وقت البلوغ مبلغ الرجال «**فَلْيَسْتَأْذِنُوا**» في جميع الأوقات «**كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» يعني الأحرار الكبار، «**كَذَلِكَ**»[١٣] «**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**».

«**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ**» يعني التي قعدن عن الحيض والولد من الكِبَرِ، فلا

---

(١) خص: نص، ز، ل، م.
(٢) العورات: العورة، ز، ل، م.
(٣) ووضع: وتخلع، ز، ل، م.
(٤) للنوم: النوم، ز.
(٥) على: ـ ، ز، ل، ي.
(٦) اسم: ـ ، ز، ل، م.
(٧) فإنه تعالى قال: فإنه قال تعالى، ي.
(٨) يعني: يعني اسم، ل.
(٩) الأوقات الثلاثة: الثلاثة الأوقات، ل.
(١٠) طوافون: ـ ، ي.
(١١) الأوقات: ـ ، ل.
(١٢) عليكم ويخرجون: ـ ، ز، ل، م.
(١٣) كذلك: ـ ، م، ل، ي.

يَحِضْنَ ولا يلدن، وهن العجائز «**اللَّاتِي**[(١)] **لاَ يَرْجُونَ [نِكَاحًا]**[(٢)]» لا يطمعون في التزويج ليأسهن[(٣)] من البعولة[(٤)]، وقيل: لا يردن[(٥)] نكاحاً «**فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ**» عند الرجال، واختلفوا في هذه الثياب، فقيل الرداء، وقيل: الخمار والرداء، وقيل: الجلباب فوق الخمار، عن ابن مسعود، وقيل: معناه يضعن ثيابهن «**غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ**» يعني من غير أن يردن[(٦)] بوضع الجلباب إظهار[(٧)] [زينة] «**وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ**[(٨)]» يطلبن العفة بلبس الجلابيب فهو[(٩)] «**خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ**» للأقوال «**عَلِيمٌ**» بالضمائر والأفعال فيجازي عليها[(١٠)].

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أنه أراد بالتكليف الوصول إلى الرحمة على ما نقوله[(١١)] نحن، بخلاف[(١٢)] ما يقوله أهل الجبر.

ويدل قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[(١٣)] الآية أنه تعالى قادر على إكراههم، وإنما أراد أن يؤمنوا باختيارهم.

ويدل قوله: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ الآية على اختصاص الأوقات[(١٤)] الثلاثة؛ لذلك منع الطفل فيها، دون سائر الأوقات[(١٥)]، وقد بينا ما قيل فيه، وبينا أن الأولى حمله على

---

(١) اللاتي: ـ، ل، م.
(٢) نكاحاً: ـ، م.
(٣) التزويج ليأسهن: التزويج لا يأتهن، ز، ل، م، يأسهن، ي. وما أثبتناه من لدينا لاستقامة المعنى.
(٤) البعولة: البعولية، ي؛ الفعولة، م.
(٥) لا يردن: لا يرجون، ل، ي.
(٦) يردن: تريد، ي.
(٧) إظهار: لظهار، ز.
(٨) وأن يستعففن: وان يستعففن خير لهن، ل، م.
(٩) فهو: ـ، ز.
(١٠) عليها: بجميعها، ي.
(١١) نقوله: نقول، ز.
(١٢) بخلاف: خلاف، ل، م.
(١٣) ما بين المعكوفين ساقط في ز، ل، م.
(١٤) على اختصاص الأوقات: اختصاصاً للأوقات، ي.
(١٥) الثلاثة لذلك... الأوقات: ـ، ل، م.

المملوك قبل البلوغ والصبيان من الأحرار؛ لما في هذه الثلاثة الأوقات من التكشف[1]، ولو كان المراد به البالغ لكانت[2] هذه الأوقات وغيرها سواء.

ولا يقال: الصبي غير مكلف.

لأنا نقول: نحن كُلِّفْنا[3] بمنعهم عن الدخول في هذه الأوقات إلا بإذن[4]، وفيه لطف لنا وتأديب لهم، ونحو ذلك[5] في كثير من[6] الصبيان؛ ألا ترى أنهم يؤمرون بالصلاة ويُضَرَبون على تركها، وكذلك يمنعون من القبائح، والذي يدل على أنه في[7] غير البالغ أيضاً قوله من بعد: «**وإذا بلغ الأطفال**» [منكم الحلم] «**فليستأذنوا كما استأذن**[8]» وهو اختيار أبي علي، وعليه أكثر الفقهاء، وذكر إسماعيل بن إسحاق أن ابن عباس كان يقول: (ليستأذنكم الذين لم يبلغوا الحلم مما ملكت أيمانكم) وذلك يوافق[9] ما قدمنا.

وتدل الآية على وجوب ستر[10] العورة[11].

وتدل[12] على[13] أن للأطفال[14]والأحرار والمماليك[15] الدخول في سائر الأوقات بغير إذن؛ لأن العادة الاستتار، ومنع في هذه الأوقات؛ لأن العادة فيها

---

(١) التكشف: الكشف، ز، ل، م.
(٢) لكانت: لكان، ز، ل، م.
(٣) كلفنا: يكلفنا، ز؛ تكلفنا، ل.
(٤) الدخول في هذه الأوقات إلا بأذن: الدخول إلا بإذن في هذه الأوقات ز، ل م.
(٥) ونحو ذلك في: ـ ، ي.
(٦) من: في، ز، ل، م.
(٧) في: ـ ، ل، م.
(٨) كما استأذن: ـ ، ل، م، ي.
(٩) يوافق: موافق، ي.
(١٠) ستر: سيرة، ز، ل، وهو تصحيف.
(١١) العورة: ـ ، ز، ل، م.
(١٢) وتدل: وتدل وتدل، ز.
(١٣) على: ـ ، ز، ل، م.
(١٤) للأطفال: الأطفال، ز، ل، م.
(١٥) والمماليك: كتب بعد (المماليك) من فوق كلمة: (لهم) ظ، ل.

الكشف، وإنما خص الأطفال؛ لأنهم كالمحتاجين إليهم من حيث لا يستغني عنهم في خدمة[1]، ولذلك[2] وصفهم بأنهم طوافون عليكم.

وتدل على أن الأحكام تتعلق بالاحتلام، لذلك قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ ولا خلاف أن من احتلم يُحْكَم[3] فيه بالبلوغ، فأما من لم يحتلم فالبلوغ بالسنين، ثم منهم من اعتبر خمس عشرة[4] سنة، وسواء[5] في ذلك[6] الرجال والنساء، وعليه الأكثر، وهو قول الهادي عليه السلام[7]، ومنهم من فرق بين الرجال والنساء، واعتبر فيهم بثماني[8] عشرة، وفيهن بسبع[9] عشرة، وهو قول أبي حنيفة، فأما الإنبات فمنهم من قال: يحكم به[10] للبلوغ[11]، وهو قول[12] الهادي عليه السلام[13]، ومنهم من قال[14]: لا يحكم، وهو قول أبي حنيفة.

ويدل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ أنه تعالى بَيَّنَ ما يحتاج إليه المكلف من المصالح.

ويدل قوله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ[15]﴾ على الفرق بين الشابة والعجوزة[16]، ولا

---

(١) خدمة: حزمته، ز، ل، م.
(٢) ولذلك: وكذلك، ي.
(٣) يحكم: ـ، ز.
(٤) عشرة: عشر، ي.
(٥) وسواء: ويستوي، ز، ل، م.
(٦) في ذلك: بين، ز، ل، م.
(٧) عليه السلام: ـ، ي.
(٨) فيهم بثماني: فيهم ثمان، ز، ل، م.
(٩) بسبع: سبعة، ز، ل، م.
(١٠) به: ـ، ز.
(١١) للبلوغ: البلوغ، ز، ل، م.
(١٢) قول: ـ، ل؛ مذهب، ز، م.
(١٣) عليه السلام: ـ، ي.
(١٤) قال: ـ، ز، ل، م.
(١٥) من النساء: ـ، ل، م، ي.
(١٦) والعجوزة: والعجوز، ز، ل، م.

شبهة أن أحوالهما تختلف، والتكليف أيضاً يختلف، فيجوز للعجوز حضور الجمعة والجماعة خلاف الشابة[1].

ويدل قوله: ﴿يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أن لها ذلك، وهو فيما ليس بعورة؛ لأن الشابة والعجوز لا يختلفان[2] في العورة، وقد بينا ما قيل فيه.

قوله تعالى:

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «مَلَكْتُمْ» بفتح الميم واللام مخففة، وقرأ سعيد بن جبير: «مُلِّكتم» بضم الميم وكسر اللام وتشديدها على ما لم يُسَمَّ فاعله.

اللغة

الحَرَجُ: الضيق، هذا هو الأصل، ثم يقال: للإثم[3] حرج، يقال: حرج أثم، أي: سلك طريقاً لضيق[4] سلوكه في التحريم، وتَحَرَّجَ[5]: تَأَثَّمَ، ومنه الحَرَجُ، جمع

---

(١) الشابة: للشابة، ي.

(٢) لا يختلفان: لا تختلف، ي.

(٣) للإثم: اللاثم، ز.

(٤) لضيق: يضيق، ز، ل، م.

(٥) وتحريج: وحرج، ل.

حَرَجَةٍ، وهو مجتمع[1] شجر مُلْتَفّ تضيق المسالك فيه، ويقال: حَرَجَات أيضاً وحِراجٌ[2]، قال الشاعر:

أَيَا حَرَجَاتِ الحي حين تَحَمَّلُوا بِذِي سَلَمٍ[3] لا جَادَكُنَّ رَبِيعُ[4]

وناقة حرج: ضيقة البطن ضامرة الحشا[5].

التحية: الثناء الحسن، وفي التحية[6] ثلاثة أوجه: قيل: المُلْك، وقيل: الثناء الحسن، وذلك أنه كان في الأرض ملوك يحيون بتحيات مختلفة، فيقال لبعضهم: أبيت اللعن، ولبعضهم: أنعم وأسلم، ولبعضهم: عشت ألف سنة، قيل لنا قولوا: التحيات بالجمع، أي: جميع الألفاظ التي تدل على الملك لله[7] تعالى.

۞ الإعراب

(تحية)[8] نصب على المصدر، أي: حيوا تحية، وقيل: على الحال أي: يفعلونه تحية في تلك الحال.

و(مباركة) صفة للتحية.

۞ النزول

اختلفوا في نزول الآية على أقوال:

قيل: لما[9] نزل قوله[10]: ﴿وَلَا[11] تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] تحرج

---

(١) مجتمع: مجمع، ل، م.
(٢) ويقال حرجات أيضاً وحراج: ـ، ل.
(٣) سلم: سلمى، ي.
(٤) البيت ينسب إلى قيس بن الملوّح.
(٥) الحشا: ـ، ز، ل، م.
(٦) التحية: والتحيات، ز، ل، م.
(٧) لله: فيه، ي.
(٨) تحية: ـ، ز؛ وتحية، ل، م.
(٩) لمّا: ولما، ل، ي.
(١٠) قوله: ـ، ز، م.
(١١) ولا: لا، ز، ل، م.

المسلمون عن مواكلة الزَّمْنَى والمرضى والعُمْيِ والعُرْجِ، ، [وقالوا]: الطعام أفضل الأموال، والأعمى لا يبصر، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض لا يستوفي، فنزلت الآية، عن ابن عباس[١]. وعلى هذا (على) بمعنى (في) أي: ليس في مؤاكلتهم[٢] حرج.

وقيل: نزلت في هؤلاء، يعني العمي والعرج والمرضى، وكانوا يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء؛ لأن الناس يتقذرونهم[٣]، وكان أهل المدينة لا يخالطونهم[٤] في طعامهم، فنزلت الآية، عن سعيد بن جبير، والضحاك، ومقسم.

وقيل: نزلت في أكلهم مِنْ بيوت من سمى الله؛ لأن[٥] قوماً كانوا إذا لم يكن ما يُطعمونهم حملوهم إلى بيوت هؤلاء، فتحرجوا عن أكل طعامهم؛ لأنه أطعمهم[٦] غيرُ مالكه، فنزلت الآية رخصة لهم فيمن يحملهم إلى بيوت هؤلاء يستبرئهم[٧]، عن مجاهد.

وقيل: نزلت في الأكل من بيوت الغزاة، إذا خلفوهم في منازلهم بإذنهم، وكانوا يخلفون الزمنى والعمي، ويدفعون المفاتيح إليهم، فتحرجوا، فنزلت الآية رخصة[٨]، عن الزهري، وسعيد بن جبير[٩].

واختلفوا في قوله: ﴿أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾:

قيل: لما نزل ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٠] [البقرة: ١٨٨] تحرج قوم عن الأكل في

---

(١) عن ابن عباس: ـ ، ل، م.
(٢) مؤاكلتهم: أكلهم، ز، ل، م.
(٣) يتقذرونهم: يبتدرنهم، ز، ينبذونهم، ل، م.
(٤) لا يخالطونهم: لا نخالطهم، ي.
(٥) لأن: لأنهم، ل، ي.
(٦) أطعمهم: أطعمه، ل، ي.
(٧) يستبرئهم: ليستفزنهم، ز، ل.
(٨) رخصة: ـ ، ي.
(٩) جبير: المسيب، ز، ل، م.
(١٠) نزل: نزلت، ز، ل، م.

هذه البيوت، فنزلت الآية، عن ابن عباس، وروي عنه أنها نزلت في الحارث بن عمرو[1] خرج مع رسول الله ﷺ غازياً، وخلف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فسأله عن حاله، فقال[2]: تحرجت أن آكل[3] طعامك بغير إذنك، فنزلت الآية.

فأما قوله: ﴿أَن[4] تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[5].

قيل: نزلت في حي من كنانة، كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده، عن قتادة، والضحاك، وابن جريج.

وقيل: نزلت في قوم كان الغني منهم يدخل على فقير من قرابته وصداقته[6] فيدعوه إلى طعامه فيتحرج[7]، فنزلت الآية رخصة، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف مع ضيفهم، فرخص لهم أن[8] يأكلوا كيف شاؤوا مجتمعين أو أشتاتاً[9]، عن عكرمة، وأبي صالح.

وقيل: كان الواحد من العرب لا يحلب ناقته[10] إلا أن يجد من يشربها، ولا[11] يأكل في بيت أحد تكرماً، فنزلت الآية.

وقيل: لما نزل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية كرهوا مواكلة أقاربهم من المنافقين والكافرين، فأزال الحرج، ونزلت الآية.

---

(١) عمرو: عمر، ز.
(٢) فقال: قال، ل، م، ي.
(٣) آكل: أكلم، ز.
(٤) أن: ـ، ل، م.
(٥) ساقك في ل، م.
(٦) وصداقته: وصدقاته، ي.
(٧) فيتحرج: فتحرج، ل، م.
(٨) أن: ـ، ل، م.
(٩) أو أشتاتاً: وأشتاتاً، ز، ل، م.
(١٠) ناقته: ناقة، ز.
(١١) ولا: وما، ز، ل، م.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الاستئذان والدخول، عقبه ببيان المؤاكلة، فقال سبحانه: «لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ» أي: ضيق، وفيه قولان:

أحدهما: رفع الحرج في المؤاكلة، ثم اختلفوا، فقيل: لا ضيق[1] عليكم في مؤاكلة هؤلاء، عن ابن عباس.

وقيل: لا ضيق عليكم في الأكل[2] من بيوت الغزاة إذا خلفتم فيها بإذنهم، عن الزهري.

وقيل: لا حرج عليهم في الأكل من بيوت من حمله غيرهم إلى بيوتهم، عن مجاهد.

والثاني: لا حرج عليهم في التخلف عن الجهاد، عن ابن زيد، والحسن، وأبي علي، والأول أوجه[3]؛ لأنه لم يجر ذِكْرٌ للجهاد[4] قبله[5] ولا بعده.

«وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا[6]»، قيل[7]: تم الكلام عند قوله: «حرج» ثم ابتدأ: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فهو كلام منقطع عما قبله، وقيل: بل[8] يتصل به؛ لأن جميع ذلك في الأكل هو الوجه[9]، والأول قول أبي علي[10]، قال: أول الكلام في الجهاد

---

(١) ضيق: يضيق، ل، م.
(٢) الأكل: الإبل، ز.
(٣) أوجه: الوجه، ز، ل، م.
(٤) للجهاد: الجهاد، ز، ل، م.
(٥) قبله: فعله، ل.
(٦) أن تأكلوا: ـ، ز، ل، م.
(٧) قيل: وقيل، ي.
(٨) بل: ـ، ز.
(٩) الوجه: أوجه، ي.
(١٠) قول أبي علي: ـ، ل.

وآخره في الأكل، وقيل: رخص أولاً لأصحاب الأعذار، ثم رخص لعامة المسلمين، ومعناه: لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم، قيل: كان إذا وجد في بيته شيئاً لم يعلم من أين اكتسبه تحرج[1] عن أكله، فأبيح[2] له ذلك.

ثم رخص الأكل من بيوت مَنْ عَدَّهُ[3] من الأقارب[4]، إلى قوله: «خَالاَتِكُمْ» قيل: أباح الأكل من بيوت هؤلاء من غير إذن، وقيل: أبيح ما جرت العادة في أن يكون مثله مباحاً لمن تخلف في بيته، ولذلك عطف عليه الصديق، فإن العادة جرت أنه ينبسط في دار صديقه «أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ» قيل: الوكيل، ومن جرى مجراه من القَيِّم في ضيعته وماشيته، فله الأكل بالمعروف، عن ابن عباس، وقيل: ما ملكه الرجل في بيته، عن مجاهد، وقيل: معناه[5] بيوت عبيدكم ومماليككم، عن الضحاك، وقيل: هو وصي اليتيم إذا كان فقيراً[6]، فله أن يأكل بالمعروف[7]، وقيل: هو المخلف في المنزل المأذون له في الأكل، «أَو صَدِيقِكُم[8]» قيل: للرجل أن يدخل بيت صديقه، والأكل[9] من طعامه من غير إذن، عن الحسن، وقتادة، وقيل: قد سوى فيه الصداقة[10] بين المسلمين، وبين المسلم والمعاهد، فيباح له ما جرت العادة به، وقيل: هو الصديق في الدين؛ لأن الغالب هناك وجود الرضا، وروي أن صديقاً للربيع بن خثيم في الري دخل منزله، فأكل من طعامه، فلما عاد إلى المنزل أخبرته جاريته، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة، وقيل: إنه أباح الأكل من بيوت[11]

(١) تحرج: حرج، ز.
(٢) فأبيح: وأبيح، ل، ي.
(٣) عدّه: تجده، ل، م.
(٤) الأقارب: الآفات، ز.
(٥) معناه: ـ، ل.
(٦) فقيراً: ـ، ز، ل، م.
(٧) بالمعروف: المعروف، ز.
(٨) أو صديقكم: وصديقكم، ي.
(٩) والأكل: ويأكل، ز، ل، م.
(١٠) الصداقة: الصدقة، ز.
(١١) بيوت: بيت، ز، ي.

هؤلاء بغير إذن، ثم نسخ. وقيل: أباح مع الإذن رخصة، والمراد المخالفون في الدين، عن أبي مسلم. «**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا**» أي: مجتمعين ومفترقين، قيل: الغني يأكل مع الفقير في بيته، عن ابن عباس، وقيل: يأكل وحده أو مع[1] ضيفه، أو إنسان[2] آخر، «**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ**» قيل: يسلم بعضكم على بعض، عن الحسن، وقيل: إذا[3] دخل بيتاً ليس فيه أحد [فليقل]: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، عن إبراهيم، وقيل: إن جميع ما تقدم من الأقارب وإباحة الأكل فيما إذا كان الرجل مسلماً والقريب كافراً رفعاً للحرج[4] في [الأكل][5] من بيوت الكفار. ويدل عليه قوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ولو كانوا مسلمين لقال: فسلموا على أهلها، عن أبي مسلم، والجواب: أن معناه يسلم بعضكم على بعض كقوله: ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦]، قيل: إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهليكم وعيالكم، عن جابر، وطاووس، والزهري، وقتاده، والضحاك، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: إذا دخلتم المساجد فسلموا على مَنْ فيها ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قيل: تحية حياكم [الله][6] بها، وقيل[7]: تحية أمر الله بها ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم، [وقيل][8]: [بارك][9] فيمن استعملها، وقيل: مباركة بالأجر، طيبة بالمغفرة «**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**» قيل: لتعقلوا معالم دينكم.

---

(١) مع: ومع، ي.
(٢) أو إنسان: أو على إنسان، ل، م.
(٣) إذا: أراد، ز، ل، م.
(٤) للحرج: للجوع، ل.
(٥) الأكل: ـ، ي.
(٦) الله: ـ، ي.
(٧) وقيل: وهي، ز.
(٨) وقيل: ـ، ز.
(٩) بارك: ـ، م.

۞ الأحكام

الآية تدل على رفع[1] الحرج عن هؤلاء وعن أصحاب الأعداء، وقد قدمنا[2] ما قيل فيه.

ويدل ما بعده على الإباحة في الأكل من[3] بيوت هؤلاء، واختلفوا، فقيل: المراد به مع الإذن، وخص هؤلاء لما[4] ذكرنا في سبب النزول، فتخصص بأولئك القوم، وقيل: المراد به بغير إذن، ثم نسخ بالكتاب بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وفي السنة: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه[5]»، عن أبي علي.

وأما قول من يقول: المراد بغير إذن[6] وهو حكم ثابت فبعيد[7]؛ لأن مال الغير لا يحل أكله وتناوله بغير إذنه قَلَّ أم كثر؛ ولذلك يعد خيانة وغصباً، غير أنه لا يمتنع أن يحصل عادة [وعرفا]؛ فيقوم مقام الإذن فحينئذ يحل؛ لأن دلالة الحال بمنزلة الإذن كمن قدم طعاماً إلى غيره، أو نثر سكراً، أو وضع جب[8] ماء على قارعة الطريق ونحو ذلك.

ويدل قوله: ﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ على أنه مباح للقوم الاجتماع على الطعام[9] وإن تفاضلوا في التناول، فقد كان يجوز أن يظن أنه حرام من حيث استووا في الإطعام[10] وتفاضلوا في الأكل.

---

(١) رفع: دفع، ز، م.
(٢) قدمنا: بينا، ز، م.
(٣) من: في، ز.
(٤) لما: ما، ي.
(٥) نفسه: نفس منه، ي.
(٦) ثم نسخ بالكتاب... بغير إذن: ـ، ل.
(٧) فبعيد: متعبد، ز. متعبد به، م.
(٨) جب: جباً، ل.
(٩) ويدل قوله... على الطعام: ـ، ز، ل، م.
(١٠) الإطعام: الطعام، ي.

وتدل[١] على إباحة الانفراد بالأكل فقد كان يجوز أن يظن أن الديانة[٢] فيه كالمروءة.

وتدل على أن السلام مما يعتد به، واتفقوا أنه من كان في الدار غَيْرُهُ يُسَلِّمُ عليه، ثم اختلفوا، فمنهم من يوجب السلام، ومنهم من يقول: إنه سنة، ويجب الرد على الكفاية، وإذا لم يكن فيها أحد فإنه يسلم على نفسه فيقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وظاهر الآية يدل عليه.

فأما إذا كان فيه كافر فمنهم من يمنع من ابتداء[٣] السلام ويجوز الرد، ومنهم من منع[٤] منهما[٥].

وعن الحسن أنه يوجب رد السلام، ولا يقول: ورحمة الله وبركاته.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

---

(١) وتدل: ـ، ل.
(٢) الديانة: الربابة، ز، ل، ي.
(٣) من ابتداء: بابتداء، ل، م.
(٤) منع: يمنع، ل، م.
(٥) منهما: منها، ز.

۞ اللغة

الاستئذان: طلب الإذن.

والتسلل: خروج في خفية، والسَّلَّةُ: السرقة الخفية، وكذلك الإسلال، [وفي الحديث: «لا إغلال[1] و[لا] إسلال[2].

واللِّواذ: مصدر لاَوَذَ مُلاَوَذَةً[3] ولواذاً[4]، ولاذ به يلوذ إيلاذاً[5]، وقيل: اللواذ: الاعتصام بالشيء بأن يدور معه حيث دار من قولهم: لاذ بفلان: اعتصم به، ومعنى لواذاً[6] قيل: اعتصاماً، وقيل: استتاراً، وقيل: تباعداً وفراراً[7]، ويقال[8]: لاذ به إذا استغاث به لِياذاً[9]، ولاوذه لواذاً تباعد منه، فيصبح[10] الواو في فاعَلَ وفعال[11] مثل: قام قياماً، وقاوم يقاوم قواماً، وقيل اللواذ: الخلاف.

۞ الإعراب

﴿عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ قيل: (عن) صلة، وتقديره: يخالفون أمره، وقيل: بل هي ثابتة[12] تقديره: يعرضون عن أمره[13] لما في المخالفة من الإعراض.

و«لواذا» نصب على المصدر من غير لفظ الفعل، ويحتمل أن يكون نصباً على الحال.

---

(١) وإسلال: لانسلال، ز.
(٢) لا إغلال ولا إسلال: ـ ، ل.
(٣) ملاوذة: ملاوه، ز.
(٤) ولواذا: ولوذاً، ز، والواذا، م.
(٥) إيلاذاً: لياذاً، ز، ل.
(٦) ومعنى لواذاً: والمعنى لاواذا، ز، ي.
(٧) وفرار: واقترافاً، ل، م.
(٨) ويقال: وقيل، م.
(٩) لياذا: لايذاً، ل، م.
(١٠) فيصبح: فصح، ل، م.
(١١) وفعال: وفعيل في فعل، ي.
(١٢) هي ثابتة: هو ثابت، ز، ل، م.
(١٣) أمره: أمر، ز.

النزول

قيل: نزلت الآية في حرب الخندق، وكان المنافقون ينصرفون لواذاً مختفين عن رسول الله صلى الله عليه وعلى[1] آله وسلم[2] يريدون تَوْهِينَ أمره، وتفريق جمعه.

وقيل: كان يُعَرِّضُ بالمنافقين في خطبه، ويثقل عليهم، فيلوذون[3] بأصحاب النبي[4]، ففيهم نزلت الآية.

المعنى

لما تقدم ذكر بيان[5] [6] المعاشرة مع الأقرباء والمسلمين، بين في هذه الآية كيف يعاشَرُ النبيﷺ، فقال سبحانه: «**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**» يعني ليس[7] المؤمن المستحق المدح[8] إلا من كان بهذه الصفة «**الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**» أي: صدَّقوا بتوحيد الله وعدله ونبوة الرسول وبما جاء به «**وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ**» مع الرسول «**عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ**» يجمعهم، قيل: الأمر الجامع هو الحرب والغزو والأمور التي يحتاج فيها إلى العدد والقوة، عن مجاهد، وقيل: على أمر جامع: العيد[9] والجمعة من مجامع[10] المسلمين، وكل[11] ما فيه خطبة، عن الحسن، «**لَمْ يَذْهَبُوا**» لم يتفرقوا عنه «**حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**» يطلبوا إذنه في الخروج «**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ**» يا محمد «**أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ**» أمرهم وحاجتهم «**فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ**»

---

(١) على: ـ ، ل، ي.
(٢) سلم: ـ ، ز، ل، م.
(٣) فيلوذون: فليوذون، ل.
(٤) النبي: رسول الله، ل.
(٥) بيان: ـ ، ز.
(٦) ذكر بيان: بيان ذكر، ل، م.
(٧) ليس: ـ ، ل.
(٨) المدح: للمدح، ز، ل، م.
(٩) العيد: البعد، ز.
(١٠) من مجامع: ونحوهما مع، ز، ل، م.
(١١) وكل: وقيل، ز.

بالانصراف «**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» يعني إذا تكامل إيمانهم فاستغفر لهم، وقيل: إذا تركوا الجهاد فَأْذَنْ واسْتَغْفِرْ[١] لهم؛ ليكون[٢] استغفارك جبراً لذلك النقص[٣].

ومتى قيل: أليس قال في موضع[٤] ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٤]، ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]؟

قلنا: هناك لم يستأذنوا لترك الخروج مع النبي ﷺ واستأذن المنافقون، وهاهنا استأذن[٥] المؤمنون وهرب المنافقون.

وقيل: في الموضعين استئذان المؤمن على حقيقته، واستئذان المنافق تشوق ورياء.

«**لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**» قيل: احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره، عن ابن عباس، وقيل: لا تدعوه[٦] كما يدعو بعضكم بعضاً[٧]، فتقولوا: يا محمد، يا أبا القاسم، ولكن ادعوه بالتعظيم[٨]، وقولوا: يا رسول الله، عن ابن عباس، وقتادة، وعكرمة، والضحاك، وقيل: ادعوه بالخضوع والتواضع، وخفض الصوت، عن مجاهد، وقيل: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ﴾ أي: ليس الذي يدعوكم إليه الرسول ويأمركم به كما يدعوا بعضكم بعضاً، فإن[٩] في القعود عن أمر[١٠] غيره رخصة، ولا رخصة في التأخر[١١] عن أمر رسول

(١) واستغفر: فاستغفر، ي.
(٢) ليكون: لتكون، ز.
(٣) النقص: البعض، ز.
(٤) موضع: ـ، ز، ل، م.
(٥) المنافقون وهاهنا أستاذن: ـ، ل.
(٦) لا تدعوه: ـ، ل.
(٧) قيل احذروا دعاءه... بعضكم بعضاً: ـ، ز.
(٨) ادعوه بالتعظيم: ادعوا بالعظيم، م؛ ادعوا بالتعظيم، ل.
(٩) فإن: بأن، ل.
(١٠) أمر: ـ، ل.
(١١) التأخر: التأخير، ز، ل، م.

الله ﷺ؛ لأن أَمْرَهُ ونهيه منه[1] تعالى، عن أبي مسلم، «**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ**[2]» يعني يخرج من مجمع الرسول بغير إذنه مسارقة[3]، وقيل: ينصرف عن[4] معسكره مستتراً، واحداً بعد واحد «**لِوَاذًا**» قيل: يلوذ بعضهم ببعض فيستتر به، كأنه قيل: يستتر بعضكم ببعض، وكان المنافقون بعضهم يستتر ببعض][5]؛ لكيلا يراهم النبي عند خروجهم[6]، فمعنى «**لواذا**» استتاراً، وقيل: لواذاً تباعداً وفراراً عن[7] الجهاد، عن الحسن، وقيل: خلافاً، «**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**[8]» أمر رسول الله ﷺ وينصرفون بغير إذنه «**أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ**[9] **عَذَابٌ أَلِيمٌ**» وجيع، قيل: فتنة قَتْلٍ، عن ابن عباس، وقيل: هو الزلازل والأهوال، عن عطاء، وقيل: سلطان يتسلط عليهم، عن الصادق عليه السلام[10]، وقيل: بلية[11] تظهر ما في قلوبهم من النفاق[12]، وقيل: يصيبهم عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة أليم.

ومتى قيل: لِم دخل (أو) في ﴿أَن تُصِيبَهُمْ﴾؟

قلنا: لأن بعضهم أصابته فتنة، وبعضهم أصابه[13] العذاب، فليس كلهم على نسق واحد.

---

(١) منه: من أمر الله، ز، ل، م.
(٢) منكم: ـ ، ز، ل، م.
(٣) مسارقة: مساترة، ل.
(٤) ينصرف عن: يسترق من، ز، ل، م.
(٥) بعضهم يستتر ببعض: يستتر بعضهم ببعض، ز، ل، م.
(٦) خروجهم: خروجه، ل.
(٧) عن: من، ز، ل، م.
(٨) عن أمره: ـ ، ز، ل، م.
(٩) أو يصيبهم: أو يصيبهم يوم، ز.
(١٠) عليه السلام: ـ ، ي.
(١١) بلية: ثلاثة، ز.
(١٢) النفاق: الشقاق، ل، م.
(١٣) أصابه: ـ ، ي.

«أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» ومُلْكاً[1] وخلقاً ورزقاً[2]، فنبه أنه لا يجوز للعبد أن يخالف أمر مالكه الذي له ما في السماوات والأرض[3] فيستوجب[4] عقوبته «قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» من طاعتكم ومعصيتكم «وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ» إلى حكمه وأمره وجزائه «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» أي: يخبرهم[5] بأعمالهم في الدنيا، ويجازيهم[6] عليها، وقيل: يجزيهم توبيخاً وتقريعاً، وهو زجر ليكون العبد على أحوال جميلة، كما يقول الواحد[7] لعبده: أنا أعلم بما تعمل[8] «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لا يخفى عليه شيء.

الأحكام

يدل أول الآيات أن الأعمال من الإيمان خلاف قول المرجئة.

ويدل قوله: ﴿فَأْذَن﴾ على جواز الإذن، وعن قتادة قال: عاتب الله[9] ([10] رسول الله ﷺ في سورة[11] (براءة) بقوله[12] ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، ثم رخص[13] في هذه الآية.

وتدل على[14] أنه لا يجوز أن يستأذن إلا لغرض، لذلك قال: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾.

وتدل على أنه ينبغي أن يبين[15] للرسول حتى يكون الإذن للغرض، وللرسول

---

(١) وملكاً: ملكاً، ز، ل، م.
(٢) ورزقاً: ـ، ز، ل، م.
(٣) والأرض: وما في الأرض، ل.
(٤) فيستوجب: يستوجب، ي.
(٥) يخبرهم: فيخبرهم، ل م؛ يجزيهم، ي.
(٦) ويجازيهم: ثم يجازيهم، ل، م.
(٧) الواحد: ـ، ي.
(٨) بما تعمل: ما تعلم، ز، ل، م. وفي م كتب فوق لفظة: (تعلم)، لفظة: (تعمل). ظ.
(٩) الله: ـ، ي.
(١٠) ساقط في (ز، م).
(١١) سورة: ـ، ي.
(١٢) بقوله: قوله، ل.
(١٣) ثم رخص: ورخص، ز، ل، م.
(١٤) على: ـ، ز، ل، م.
(١٥) يبين: يتبين، م.

أن يأذن متى بَيَنَّ[1] الحاجة، وقد قال الحسن: إن الرسول والإمام فيما يلزم من ذلك سواء.

ويدل قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ﴾ أنه لا يستغفر[2] إلا لمن تكامل إيمانه.

ويدل قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ﴾ الآية[3] على وجوب أوامره، وأن من خالفه يستحق الوعيد خلاف قول المرجئة، ولا يقال: إنه ورد[4] في المنافقين؛ لأن المعتبر عموم اللفظ.

ويدل قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ على زجر عظيم، ولا تعلق للمشبهة بقوله: ﴿يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ لأنا بينا أن المراد بالرجوع[5] الرجوع إلى حكمه، والموضع الذي الحكم فيه له[6] .

وتدل على أن الاستئذان والتسلل فِعْلُهُمْ ليس بخلق الله تعالى فيبطل قول المجبرة[7] في المخلوق[8] .

---

(١) بيّن: تبين، ل، م.
(٢) لا يستغفر: لا تم استغفاره، ز.
(٣) الآية: ـ ، م.
(٤) ورد: ـ ، ل، م.
(٥) بالرجوع: ـ ، ز، ل، م.
(٦) له: ـ ، ز.
(٧) فيبطل قول المجبرة: ـ ، ي.
(٨) في المخلوق: ـ ، ل، م، ي.



سورة الفرقان

سورة (الفرقان) سبع وسبعون آية وهي مكية، وعن الضحاك أنها مدنية، وروي عنه أنها[1] مكية غير آيتين.

وعن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة، وهو مؤمن[2] بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأدخله الله الجنة بغير حساب».

لما ختم سورة (النور) بأن له مُلْكُ[3] السموات[4] والأرض، وأنه عليم[5] بكل شيء، افتتح[6] السورة بأنه له[7] الملك، وأنه[8] لا شريك له، فاتصل به اتصال النظير بالنظير[9].

(١) أنها: ـ، ي.
(٢) مؤمن: يؤمن، ز، ل، م.
(٣) ملك: الملك، ز، ل، م.
(٤) السماوات: ـ، ز، ل، م.
(٥) عليم: حكيم، ز.
(٦) افتتح: استفتح، ز، م.
(٧) له: ـ، ي.
(٨) وأنه: ـ، ز، ل، م.
(٩) النظير بالنظير: النظر بالنظر، ز.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: (١)

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾

اللغة

تبارك[٢] : تَفَاعَلَ من البركة، ولا يستعمل إلا على لفظ الماضي، وأصله: النمو والزيادة، وقيل: أصله الثبوت، بَرَكَ الطير على الماء، وبرك البعير، والبَرْكُ بسكون الراء المصدر، وسميت البِرْكَةَ لثبوت الماء فيها، والثبات في الحرب: البَرَاكاء[٣]، ويقال في الحرب: بَرَاكِ بَرَاكِ[٤] أي: ابْرُكُوا، وقال:

ولا يُنْجِي من الغَمَرَاتِ إلاَّ ... بَراكاء القتال أو الفرار

والفرقان: الذي يفرق بين الحق والباطل.

والنشور: مصدر نَشَرَ يَنْشُرُ نشراً ونشوراً[٥]، وهو أن يحيا الميت، وأنشره[٦] الله، ومنه: ﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢].

(١) ما بين المعكوفين زيادة من ل، م.
(٢) تبارك: التبارك، ي.
(٣) البراكاء: البراك، ز، ل، م.
(٤) براك براك: براك، ز.
(٥) ونشوراً: ونشراً، ز.
(٦) وأنشره: وأنشر، ي.

والأصيل[١] : العشي؛ لأنه أصل الليل وأوله.

والتقدير: فعل الشيء على مقدار، والتقدير: ثبات[٢] الشيء على مقدار.

الإعراب

«**تبارك**» نصب؛ لأنه فعل ماض.

و(**الذي**): في موضع رفع[٣]؛ لأنه الفاعل، و(**الذي**) الثاني رفع؛ لأنه صفة الأول.

«**نذيراً**» خبر (كان).

«**بكرة وأصيلاً**» نصب على الظرف.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[٤] في النضر بن الحارث.

وقيل: نزلت في أبي جهل بن هشام[٥]، لما قال[٦]: الله عظيم لا ينبغي لرسوله أن يمشي بيننا ويأكل.

وقيل: في جماعة من قريش رموه بما حكى عنهم.

المعنى

«**تَبَارَكَ**[٧]» قيل: معناه الذي منه البركة، عن الحسن، وقيل: تعظم، عن الضحاك، وقيل: تمجد[٨] عن الخليل، وقيل: ثبت ودام لم يزل ولا يزال، عن

(١) والأصيل: والأصل، ز، م.
(٢) ثبات: بيان، ي.
(٣) رفع: ـ ، ز، م؛ الرفع، ل.
(٤) ساقط في ز، ل، م.
(٥) بن هشام: ـ ، ي.
(٦) قال: قيل، ز، ل، م.
(٧) تبارك: ـ ، ي.
(٨) تمجد: تمجمد، ز.

جماعة من المفسرين، وقيل: قام بكل بركة، وجاء[١] بكل بركة[٢]، عن ابن عباس، وقيل: جل عن الصاحبة[٣]، وقيل: هي[٤] كلمة[٥] لتنزيهه عما لا يجوز عليه **«الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ»** يعني القرآن الذي يفرق بين الحق والباطل **«عَلَى عَبْدِهِ»** يعني محمداً صلى الله عليه وعلى آله[٦] **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً[٧]»** المراد به[٨] المكلفين **«نَذِيرًا»** قيل: إنه النبي نذير الخلق[٩]، عن ابن زيد، وقيل: أراد الفرقان أنه نذير، والنذير المُخَوِّفُ بالعقاب لمن عصى الله، والأولى أنه النبي صلى الله عليه وعلى[١٠] آله وسلم لصحة إضافة الإنذار إليه حقيقة، فحمله عليه أولى **«الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا»** أشار إلى أنه ليس بجسم، ولا قادر بقدرة؛ بل هو قادر لذاته، عالم لذاته، حي[١١] يقدر على خلق السماوات والأرض، ومن كان بهذه الصفة لا يجوز عليه اتخاذ الولد، وقيل: إنه[١٢] أشار إلى أنه لا ولد له يزول ملكه إليه **«وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ»** يزاحمه ويمنعه من مراده **«وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ»** مما يطلق عليه اسم المخلوق **«فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا»** قيل: تقدير[١٣] يوافق الحكمة، وقيل: هدى كل شيء لما يصلح له **«وَاتَّخَذُوا»** يعني عبدة[١٤] الأوثان **«مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ»**

---

(١) وجاء: أو جاء، ي.
(٢) وجاء بكل بركة: ـ ، ل.
(٣) الصاحبة: الفاعلة، ي.
(٤) هي: هو، ز.
(٥) كلمة: ـ ، ز.
(٦) وعلى آله: ـ ، ي.
(٧) نذيراً: ـ ، ي.
(٨) به: ـ ، ز.
(٩) الخلق: للحق، ز.
(١٠) على: ـ ، ل، م، ي.
(١١) حي: حتى، ي.
(١٢) إنه: ـ ، ز، ل، م.
(١٣) قيل تقديراً: ـ ، ي.
(١٤) يعني عبدة: يعني اتخذوا، ز.

توبيخاً[١] لهم في تركهم عبادة الخالق المقدِّر القادر القديم، إلى عبادة مخلوق مدَبَّر مُحْدَث هو [يعني: الله] خَلَقَها وقدرها.

ثم بين وجهاً آخر في تقبيح فعلهم، فقال سبحانه: «**وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا**» بعد الموت، فأشار[٢] إلى أنها لا تملك شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، وإذا لم تملكه لنفسها، فلأن لا تملكه لغيرها[٣] أولى، [و] من كان بهذه الصفة لا يستحق العبادة، ولا يكون إلهاً.

ولما حكى قولهم في الإلهيات ورد عليهم بَيَّنَ[٤] قولهم في النبوات، فقال سبحانه: «**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا**» يعني القرآن «**إِلاَّ إِفْكٌ**» كذب «**افْتَرَاهُ**» اختلقه محمد «**وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**» قيل: اليهود، عن مجاهد، وقيل: كاهن يسمى عبيداً، عن الحسن، وقيل: حَبْر، ويَسَار[٥]، وكانا يقرآن التوراة، فرد الله عليهم فقال سبحانه: «**فَقَدْ جَاءُوا**» يعني قائل هذه المقالة «**ظُلْمًا وَزُورًا**» قيل: ظلموا الرسول برده وتكذيبه، وقيل: ظلموا أنفسهم بقولهم، وقيل: ظلموا كتاب الله «**وزوراً**» أي[٦]: كذباً[٧] لنسبتهم كتاب[٨] الله إلى الإفك.

ومتى قيل: أيكفي في جوابه هذا القدر؟

فجوابنا: لما تقدم التحدي وعجزوا عنه، كفى هاهنا التنبيه على ذلك، وقيل: إذا بَيَّن أنه من قبله بطل ما قالوه، وقيل: هم ادعوا دعوى لم يأتوا ببينة[٩] فرد عليهم.

---

(١) توبيخاً: توبيخ، ز، ل، م.
(٢) فأشار: وأشار، ز، ل، م.
(٣) لا تملكه لغيرها: لا تملك بغيرها، ز، لا تملك لغيرها، ل، م.
(٤) بين: من، ل، م.
(٥) ويسار: ولسان، ز، ل، م.
(٦) قيل ظلموا الرسول... وزوراً أي: ـ، ل، م.
(٧) كذباً: كذبوا، ز.
(٨) كتاب: كلام، ز، ل، م.
(٩) ببينة: بشبهة، ي.

«**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**» يعني كتبهم «**اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ**» تكتب[١] وتقرأ «**بُكْرَةً وَأَصِيلاً**» قيل: صباحاً ومساءً، وقيل: أراد جميع يومه.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**تبارك**» على[٢] أن الواجب عند ذكر نعمه[٣] تعظيمه بأسمائه الحسنى.

ويدل قوله: ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أن القرآن يفرق بين الحق والباطل، ويمكن أن يعلم[٤] المراد به حتى تصح هذه الصفة، فيبطل قول من يقول: لا يُعْرَفُ مراده، أو لا يُعْرَفُ[٥] مراده[٦] إلا بقول غيره من إمام أو غيره[٧].

وتدل على حدثه لجواز[٨] الإنزال عليه.

وتدل على أن الغرض بإنزاله أن يكون نذيراً ليؤمنوا لا ليكفروا، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أنه رسول الله[٩] إلى الخلق كلهم؛ لذلك عم بقوله: «**للعالمين**» ويعلم ذلك من دينه ضرورة.

وتدل على نفي[١٠] الشريك والولد، خلاف قول النصارى، والثنوية، والمجوس.

ويدل قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١١] أن القرآن مخلوق؛ لأنه من الأشياء المقدورة.

---

(١) تكتب: لتكتب، ي.
(٢) على: ـ، ل.
(٣) نعمه: النعمة، ي.
(٤) يعلم: ـ، ز.
(٥) لا يعرف: ولا يعلم، ز، ل، م.
(٦) مراده: ـ، ز، ل، م.
(٧) أو غيره: وغيره، ل، م.
(٨) لجواز: بجواز، ز.
(٩) الله: ـ، ز، ل، م.
(١٠) نفي: ـ، ز، ل.
(١١) زيادة من (ز، م).

ويدل على أن أفعاله مقدرة، وذلك يمنع كون الكفر والقبائح خلقاً له.

ويدل قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ الآية على قبح عبادة غيره، وأن العبادة تستحق بأصول النعم لذلك ذكر ملك السماوات والأرض والنفع والضر.

ويدل قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾[1] أي[2]: أنهم تحيروا في القرآن فقالوا أقاويل مختلفة.

وتدل أن الخبر يكون كذباً وإن اعتقد قائله أنه صواب خلاف ما يقوله أبو عمرو الجاحظ[3].

قوله تعالى:

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**نَأْكُلُ**» بالنون، أي: نحن نأكل منها. الباقون «**يأكل**[4]» بالياء، أي: يأكل الرسول.

---

(١) (وقالوا إن هذا). والصحيح ما أثبتناه من نص الآية، وقال الذين كفروا إن هذا: وقالوا إن هذا، ز، ل، م، ي.

(٢) أي: ـ ، ز، ل، م.

(٣) الجاحظ: والجاحظ.

(٤) ياكل: ـ ، ي.

وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «**وَيَجْعَلُ لك قصورا**[١]» برفع اللام، و الآخرون[٢] بجزمها على محل الجزاء في قوله: ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾[٣] .

ويجوز فيه ثلاثة أوجه: الجزم بالعطف على الجواب، والرفع على الاستئناف، والنصب على الظرف[٤] .

۞ اللغة

السر: إخفاء المعنى في النفس، أَسَرَّ إليه إسراراً، أي: ألقى إليه ما يخفيه في قلبه، وسارَّهُ مُسَارّة، ومنه: السرور؛ لأنه يبلغ موضع السر، والسرير لأنه مجلس السرور.

والقصر: المسكن العالي، وجمعه: قصور، وسمي قصراً؛ لأنه قَصَرَ أي: حَبَسَ ومنع من الوصول إليه، ومنه: المقصورة، والعرب تسمي بيوت الوبر بيوتاً، وبيوت الطين[٥] قصوراً.

۞ الإعراب

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ﴾ أي: هلا أنزل، فيكون نصب؛ لأنه جواب الاستفهام بالفاء، وهو قوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾[٦] ﴿كَنزٌ﴾ اسم ما لم يسم فاعله.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ في قصة بن أبي أمية، وقد ذكرناها في سورة (بني إسرائيل).

---

(١) قصوراً: ـ ، ز، ل، م.
(٢) الآخرون: الآخرين، ز، ل.
(٣) زيادة من ز.
(٤) الظرف: الصرف، ز، ي.
(٥) وبيوت الطين: وبيوتاً للطير، ي.
(٦) زيادة من ز.

۞ المعنى

ثم بين تعالى الرد عليهم في قولهم في[1] القرآن ما تقدم، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد «**أَنزَلَهُ**» أي: أنزل القرآن[2] «**الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ**» أي: الغيب، عن أبي علي[3] «**فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» يعني لو كان من كلام البشر لَعَلِمَهُ، ولبَيَّنَ ذلك ولأبطله[4] ولكان[5] يقدر غيره على مثله، فَعَجْزُ الكل يدل[6] على[7] أنه كلامه تعالى، وقيل: أنزله على ما يقتضيه العلم بباطن الأمور لا[8] على هوى[9] النفوس[10] «**إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**» فلرحمته ومغفرته قدم الإنذار ولم يعاجل بالعقوبة، وقيل: لعلمه بالأسرار علم المصلحة فيما ينزل، ومن ينزل عليه، ووقت الإنزال، ولرحمته فعل ذلك على ما علم، «**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ**» كما نأكل[11] «**وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ**» يلتمس المعاش، كما نفعله نحن، وقيل: يأكل ويمشي كما نفعل، فهو بشر مثلنا «**لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**» أي: يصدقه ويدعو معه الخلق، وكل هذا يبين عجز القوم عن الحجة؛ لأنهم قالوا مرة: سِحْرٌ، ومرة: كَذِبٌ، ومرة: مُخْتَرَعٌ، ومرة[12]: يأخذ من غيره، ومرة: يقترح[13]، ومرة: يعيب بما ليس بعيب، وكل ذلك كلام المضطر، «**أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ**» ينفقه فلا يحتاج إلى طلب المعاش، «**أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ**»

---

(١) قولهم: ـ، ل، ي.
(٢) أي أنزل القرآن: ـ، ز، ل، م.
(٣) عن أبي علي: ـ، ز، ل.
(٤) ولأبطله: ولايظلم، ي.
(٥) ولكان: لكان، ز، م.
(٦) يدل: فدل، ز، ل، م.
(٧) على: ـ، ز، ل، م.
(٨) لا: ـ، ز.
(٩) هوى: ـ، ي.
(١٠) النفوس: النفس، ز.
(١١) كما نأكل: ـ، ز.
(١٢) ومرة: ـ، ي.
(١٣) ومرة يقترح: ـ، ل، م.

بستان «**يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ**» لأنفسهم حيث أوبقوها، وللرسول حيث كذبوه «**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا**» يعني مُوَّهَ عليه فلا تتبعوه[1]، قاله الرؤساء للأتباع، «**انظُرْ**» يا محمد «**كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ**» كيف شبهوك ومثلوك، فيقولون ما قدمنا من الأقوال، وكله كلام المتحير الجاهل «**فَضَلُّوا**» عن الهدى «**فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**» إلى الهدى مخرجاً عن الضلال، يعني السبيل الذي سلكوه لا يجدون فيه هدى، ولو سلكوا سبيل الحق لوجدوا الهدى، وقيل: لا يجدون سبيلاً إلى الحق مع ردهم الدلائل والحجج واتباعهم التقليد والإلف والعادة، وقيل[2]: لا[3] يجدون سبيلاً إلى الطعن عليك إلا[4] طريق المعارضة فقط، وقد عجزوا عنه، وسائر ما يقولون لا يقدح فيك، وقيل: ضلوا فلا يجدون فيما هم[5] فيه من الشبه سبيلاً إلى الحق «**تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ**» أي: مما قالوا، عن مجاهد، يعني ما سألوا من الكنوز والجنات والأنهار، وقيل: جواز المشي في الأسواق والتماس المعاش، عن ابن عباس.

ثم بين ذلك الخير، فقال سبحانه: «**جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَكَ قُصُورًا**» أي: بيوتاً مشيدة، وقيل: منازل رفيعة، وروي أنه لما نزلت هذه الآية أوحى الله إليه: «إن شئت أعطيتك خزائن الأرض» فاختار الدار الآخرة.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن القرآن كلامه وأنه[6] المنزل له[7] فيوجب كونه محدثاً.

وتدل على[8] أن جميع ما قالوه فيه ليس بطعن؛ لأنهم أوردوا أربعة أشياء:

---

(١) تتبعوه: يتبعوه، ز، ل، م.
(٢) وقيل: ـ ، ز.
(٣) لا: فلا، ز.
(٤) إلا: إلى، ل، م.
(٥) فيما هم: في ما لهم، ز، م؛ فيما لهم، ل.
(٦) وأنه: وأنه وأنه، ز.
(٧) له: ـ ، ز، ل، م.
(٨) على: ـ ، ل، م.

أحدها: أنه بشر يأكل الطعام.

والثاني: أنه يمشي.

والثالث: هلا كان له جنة أو كنز[١] .

الرابع: أنه مسحور، ثم أبطل جميع ذلك بقوله: «**انظر...**» الآية.

ومتى قيل: كيف يكون هذا جواباً؟ وكيف كانوا بذلك مبطلين؟

فجوابنا: أن[٢] دلالة نبوته[٣] القرآن وسائر المعجزات، وأعرضوا عنه، وأوردوا ما لا يخفى على عاقل فساده؛ لأن النبوة لا تتعلق بالصورة والجنس؛ إذ لو لم يأكل ولم يمش ولم يكن معه معجزة ما كان نبياً، فما فائدة هذا الكلام لولا الجهل والتحير.

ويدل قوله: ﴿تَبَارَكَ[٤] ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ[٥]﴾ على الترغيب في القيام بأداء الرسالة، وألاّ يعبأ بجهالات القوم.

وتدل على[٦] أن هذا القول كان منهم ليس بخلق لله، ولا شبهة للمجبرة بقوله: ﴿فَلَا[٧] يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ لأنه ليس فيه سبيل إلى ماذا[٨]، وقد بينا ما قيل فيه، فلو[٩] أراد أنهم لا يقدرون على أن[١٠] يعتقدوا[١١] الحق، لكانوا[١٢] معذورين، ولكانت الآية حجة لهم.

---

(١) أو كنز: أو أكثر، ل، م؛ أو أكثروا، ز.
(٢) أن: لأن، ي.
(٣) نبوته: ـ، ز، ل، م.
(٤) تبارك: ـ، م.
(٥) لك: ـ، ز، ل.
(٦) على: ـ، ز، ل، م.
(٧) فلا: ولا، ز.
(٨) ماذا: ما داني، ي.
(٩) فلو: ولو، ز، ل، م.
(١٠) أن: ـ، ل.
(١١) يعتقدوا: اعتقاد، ل، م.
(١٢) لكانوا: فكانوا، ي.

ومن نظر في هذه الآيات، وتأمل حال أهل البدع وأهل الحق علم أن طريقة القوم طريقتهم؛ لأنهم يعدلون عن الحجة، ويرمون أهل الحق بالألقاب القبيحة، وينسبون إليهم ما هم مبرؤُون[1] منه، وينفرون[2] الناس عنهم، ويلبسون على العوام، والله المستعان.

قوله تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير: «ضَيْقًا» ساكنة الياء، والباقون بتشديدها، وهما لغتان.

اللغة

السعير: اسم من أسماء جهنم، وهو[3] مأخوذ من إسعار النار، وهو شدة إيقادها، أسعرها إسعاراً، وسعرها الله تسعيراً، والسُّعار: حر النار، وسعر الرجل: ضربته[4] السموم.

والتغيظ[5]: الهيجان والغليان، ومنه قيل لشدة الغضب: الغيظ، وتغيظ الهاجرة: أشد[6] حرها، واغتاظ وتغيظ بمعنى.

(١) مبرؤون: مكرمون، ي.
(٢) وينفرون: ينفرون، ز، ي.
(٣) وهو: وهي، ي.
(٤) ضربته: ضربه، ز، ل، م.
(٥) والتغيظ: والغيظ، ل.
(٦) أشد: الشديدة، ز، ل، م.

والزفير[1] : من أصوات المكروبين، زَفَرَ يَزْفِرُ نحو: ضرب يضرب، والأصل فيه صوت الحمار في ابتداء نهيقه[2] والشهيق في[3] آخر نهيقه. وقال ابن عرفة: الزفير من الصدر، والشهيق من الحلق.

ومقرنين: مأخوذ من القرن، وهو الحبل[4] الذي يشد فيه[5] بعيران أو بعير، ثم يستعمل في كل مجتمعين، ومنه: القرن، التقاء الجانبين.

والثبور: الهلاك، وأصله: الصرف، يقال: ما ثَبَرَك عن هذا الأمر، أي: ما صرفك[6]، فكأن[7] المثبور ممنوع من[8] كل خير حتى يهلك، والثُّبور: مصدر يستوي فيه القليل والكثير.

والخُلْدُ: مصدر خلد خلوداً وخُلْداً، نحو شكر شكوراً[9] وشُكْراً[10].

الإعراب

«سعيرا» نصب بـ(اعتدنا).

و«ثبورا» قيل: نصب على المصدر، وقيل: بـ(تدعوا).

وأصل «أعتدنا»: أعددنا، قلبت الدال تاء؛ لأنه من مخرجها قريبة منها مع كراهة التضعيف، وقد جاء على الأصل، في قوله[11] ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٢]، وفي[12] قول الشاعر:

---

(١) والزفير: الزفير، ز.
(٢) نهيقه: شهيقه، ز، ل، م.
(٣) في: ـ، ز، ل، م.
(٤) الحبل: الخليل، ز.
(٥) فيه: ـ، ي.
(٦) أي صرفك: ـ، ي.
(٧) فكأن: وكان، ي.
(٨) من: عن، ز، م.
(٩) شكوراً: ـ، م.
(١٠) وشكراً: ـ، ز؛ شكراً، ل.
(١١) قوله: فعله، ز، م.
(١٢) وفي: في، ز، ل، م.

أَعْـدَدْتُ لـلـحَـدَثَـانِ سـابـغـةً[1] وعـدَّاء عُـلَـنْـدى[2]

المعنى

ثم بين تعالى قولهم في الساعة وما أعد لهم بعد بيان قولهم في التوحيد[3] والنبوات[4]، فقال سبحانه: «**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ**» قيل: معناه كما كذبوك كذبوا بالساعة، يعني القيامة والبعث، «**وَأَعْتَدْنَا**» هيأنا «**لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**» قيل: ناراً ملتهبة[5]، قال أبو علي رحمه الله: يحتمل ناراً يعذبون بها في قبورهم، ويحتمل إذا كان يوم القيامة أعتدنا لهم سعيراً، «**إِذَا رَأَتْهُم**» الحفظة والخزنة، فذكر النار وأراد الخزنة، وقيل: أراد النار[6] تلمع كأنها تراهم، وقيل: معنى رأتهم ظهرت لهم ورأوها، والعرب تقول: «لا تَرَاءَى ناراهما»، أي[7] لا تقارب بينهما، «**مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**» قيل: من مسيرة مائة عام، وقيل: من مسيرة خمسمائة[8] عام[9]، وقيل: **إنها تحت الأرض، فتظهر فيرونها**، «**سَمِعُوا لَهَا**» أي: سمعوا[10] للنار «**تَغَيُّظًا**» أي[11] : غلياناً، «**وَزَفِيرًا**» أصواتاً[12]، وقيل: سمعوا للخزنة تغيظاً وزفيراً؛ وذلك عدول عن الظاهر بغير موجب، وقيل: رأوا تغيظاً وسمعوا زفيراً، لأن التغيظ[13] لا يسمع، والزفير لا يرى، قال الشاعر:

---

(١) سابغة: ـ ، م.
(٢) البيت لعمرو بن معدي كرب وتمامه: نهداً وذا شطب يقدال بيض والأبدان قدا.
(٣) التوحيد: والتوحيد، ز.
(٤) والنبوات: الثواب، ي.
(٥) ملتهبة: ملتهبا، ي.
(٦) النار: بالنار، ز، ل، م.
(٧) أي: ـ ، ي.
(٨) خمسمائة: ـ ، ز.
(٩) وقيل من ميسرة خمسمائة عام: ـ ، ل، م.
(١٠) سمعوا: ـ ، ي.
(١١) أي: ـ ، ز، ل، م.
(١٢) أصواتاً: صوتاً، ز، ل، م.
(١٣) التغيظ: الغيظ، ل، م.

ورأيتُ زَوْجَكِ في الوغى   متقلداً[1] سيفاً ورمحا

أي: متقلداً سيفاً[2] وحاملاً[3] رمحاً[4].

«**وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا**» قال ابن عباس: تضيق عليهم كما يضيق الزُّجُّ[5] في الرمح «**مُقَرَّنِينَ**» قيل[6]: مصفدين، قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، عن أبي علي، وقيل: يقرن الإنسان والشيطان الذي كان يدعوه إلى الضلال، وقيل: قرن كل ضال مع[7] متبوعه، يعني يتبعه إلى النار «**دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**» قيل: ويلاً، عن ابن عباس، وقيل: هلاكاً، عن الضحاك، وقيل: معناه[8] [9]: وانصرافاه[10] عن طاعة الله، وقيل: هو قولهم: واهلاكاه، فتجيبهم الملائكة: «**لاَ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**» لا تقتصروا على المرة[11] الواحدة؛ بل أكثروا[12] من هذا، فلا غوث لكم، يعني أكثروا أو أَقِلُّوا[13] لا[14] نجاة لكم «**قُلْ**» يا محمد لهم، «**أَذَلِكَ**» الذي ذكرت لكم «**خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ**» وهذا تنبيه على تفاوت[15] ما بين الحالين، وإلا فالنار والعذاب لا خير فيهما «**الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ**» يعني الجنة كانت[16] [17]

---

(١) متقلداً: مقلداً، ل.
(٢) سيفاً: ـ ، ز، ل، م.
(٣) وحاملاً: أو حاملاً، م.
(٤) رمحاً: ـ ، ل، م.
(٥) الزج: الزوج، ز.
(٦) قيل: ـ ، ل، م.
(٧) مع: إلى، ز.
(٨) معناه: ـ ، ل.
(٩) وقيل معناه: ـ ، ز.
(١٠) وانصرافاه: وانصرافه، ز.
(١١) المرة: المراة، ز.
(١٢) أكثروا: أكثر، ز.
(١٣) أو أقلوا: وأقلوا، ز، ل.
(١٤) لا: فلا، ز، ل، م.
(١٥) تفاوت: تقارب، ي.
(١٦) كانت: ـ ، ز، ل، م.
(١٧) زيادة من ز، ل، م.

للمتقين «**جَزَاءً**» على أعمالهم «**وَمَصِيرًا**» يصيرون إليها دائماً «**لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ**» من النعم[1] «**خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ**» أي: وجب عليه لما استحقوه بطاعاتهم «**وَعْدًا**» أي: وعدهم الله بذلك في الدنيا إن أطاعوه[2]، ولا يجوز عليه الخلف «**مَسْئُولاً**» قيل: لهم أن يسألوني ما[3] وعدتهم، وقيل: إنهم سألوه[4] في الدنيا، قالوا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] وقيل: واجباً طلبه حتى يعطى، عن أبي مسلم، وأبي علي[5]، وقيل[6]: تسأله الملائكة والأنبياء[7]، لهم ذلك، في قوله: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٨] وقيل: يطلبونها بالطاعة، والتقرب[8] إلى الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

۞ الأحكام

ظاهر قوله: «**وأعتدنا**» يدل على أن النار مخلوقة غير أن أبا علي تأوله على عذاب القبر على أنه سيعذبهم، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وتدل على[9] عظيم[10] حال أهل النار ودعائهم بالثبور.

وتدل على عظيم حال ما يعطي الله[11] المتقين، وبيان[12] حالهم.

وتدل على أن الجنة تُنَالُ بالتقوى.

---

(١) النعم: النعيم، ز، ل، م.
(٢) أطاعوه: أطاعوا، ل، م.
(٣) ما: بما، م.
(٤) سألوه: سألوا، ز، ل، م.
(٥) عن أبي مسلم وأبي علي: عن أبي علي وأبي مسلم، ز، م.
(٦) وقيل: وقيل: لا، ي.
(٧) الملائكة والأنبياء: الأنبياء والملائكة، ز، ل، م.
(٨) والتقرب: والتوبة، ز، ل، م.
(٩) عذاب القبر... وتدل على: ـ، ز، ل، م.
(١٠) عظيم: عظم، ز، ل، م.
(١١) الله: ـ، ز، ل، م.
(١٢) وبيان: وتباين، ز، ل، م.

وتدل على أن لهم ما يشاءون ترغيباً في التقوى.

وتدل على أن التكذيب فِعْلُهُمْ ليس بخلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب وحفص عن عاصم: «**ويوم يحشرهم** «**فيقول**» كلاهما بالياء، وقرأ ابن عامر فيهما[١] بالنون، وقرأ الباقون «**نحشرهم**» بالنون، «**فيقول**» بالياء، فالنون للإضافة، والياء للكناية عن اسم الله تعالى.

وقرأ أبو جعفر والحسن: «**نُتَّخَذَ**» بضم النون وفتح الخاء، على ما لم يسم فاعله، وإضافة[٢] الأخذ إلى غيرهم. وقرأ الباقون بفتح النون وكسر الخاء على إضافة الأخذ[٣] إليهم، قال أبو عبيدة في قراءتهما: هذا لا يجوز؛ لأنه دخل فيه (مِنْ)، ولو كان كما قالا، لقال: نُتَّخَذَ من دونك أولياء، وقال غيره: هو جائز، و(من) صلة.

قرأ حفص عن عاصم: «**فما يستطيعون**» بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء

(١) فيهما: كلاهما، ل.

(٢) وإضافة: وأضاف، ز، ل، م.

(٣) إضافة الأخذ: الإضافة لأخذ، ز.

على الكناية عن الآلهة، وقرأ ابن كثير في رواية [ابن][1] أبي برة بالياء فيهما «**يقولون**»، و«**يستطيعون**[2]». وقيل[3] : ذلك لا يصح، ولا خلاف بين أهل مكة في «**يقولون**» أنه بالياء.

۞ اللغة

البَوَارُ: الهلاك، والبُورُ: الرجل الهالك والقوم الهَلْكَى، وأصل الباب: الشيء الفاسد، بارت السلعة: كَسَدَتْ كأنها بقيت بقاء لىالفاسد، والبور مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وقيل هو جمع البابر، قال الشاعر:

يا رسول المليك إنَّ لساني ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إِذْ أنا بُورُ

والصرف: مصدر صرفه عن الشيء صرفاً.

يقال: لِم كسرت (إن) في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾.

قلنا: لأنه موضع ابتداء كأنه قيل: إنهم يأكلون، وقيل[4] : أولياء أفعلاء وما كان على أفعلاء وفعلى[5] لا ينصرف في معرفة ولا نكرة.

۞ النزول

قوله[6] ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام، والوليد بن عقبة، والعاص بن وائل، والنضر بن الحارث، وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر[7]، وابن مسعود، وعماراً، وبلالاً، وصهيباً أسلموا قالوا: أنسلم[8] فنكون مثل هؤلاء، فنزلت الآية، عن مقاتل.

---

(١) ابن: ـ، ل.
(٢) يستطيعون: وليستطيعون، ز؛ فما يستطعون، ل.
(٣) وقيل: وقد، ز.
(٤) وقيل: ـ، ز.
(٥) وفعلى: وفعلا، ز، ل، م.
(٦) قولهُ: ـ، ي.
(٧) أبا ذر: ـ، ل، م.
(٨) أنسلم: نسلم، ز، ل، م.

۞ المعنى

ثم بين تعالى ما يُوَبَّخُون به يوم القيامة، فقال سبحانه: «**وَيَوْمَ**» يعني يوم القيامة «**يَحْشُرُهُمْ**» يجمعهم «**وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» قيل الملائكة والإنس والجن[١] كعُزَيْرٍ وعيسى، عن مجاهد، وقيل: هم الأصنام، عن عكرمة، والضحاك. «**فَيَقُولُ**» الله تعالى لهؤلاء المعبودين «**أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ**» قيل[٢]: هؤلاء إشارة إلى العباد أي: أضللتم هؤلاء المشركين، وقيل: إشارة إلى المعبودين[٣] [٤] تقديره[٥]: يا هؤلاء «**أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ**» قيل: طريق الجنة والنجاة، عن أبي مسلم، وقيل طريق الدين، عن أبي علي[٦] «**قَالُوا**» يعني المعبودين الملائكة والإنس والأصنام إذا أحياها الله[٧] وأنطقها «**سُبْحَانَكَ**» تنزيهاً لك عن الشريك وإثبات معبود سواك «**مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ**» قيل: معناه ليس[٨] لنا أن نوالي[٩] أعداءك؛ بل أنت ولِيُّنا من دونهم، قيل: معناه لا[١٠] ليس لنا معبود غيرك، وقيل: حكوا عن أنفسهم وعن الذين عبدوهم بأنه ليس لنا جميعاً أن نتخذ من دونك إلهاً، وقيل: معناه: إذا عجزنا عن تولي أمورنا حتى نتخذ الله[١١] ولياً فيلي أمورنا فكيف ندعو إلى عبادتنا مع عجزنا «**وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ**» في الدنيا بالصحة والعمر والنعمة «**حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ**» أي: ذكر[١٢] القرآن فلم يعملوا[١٣] به، وقيل: هو ما يُتَذَكَّرُ من

(١) والجن: ـ، ز، ل، م.
(٢) قيل: ـ، ل.
(٣) المعبودين: المعبود، ي.
(٤) أأنتم أضللتم... المعبودين: ـ، ز.
(٥) تقديره: ـ، ل، م.
(٦) عن أبي علي: ـ، ز.
(٧) الله: ـ، ل، م.
(٨) ليس: ليبين، ي.
(٩) نوالي: نتوالي، ي؛ نتولى، ز.
(١٠) لا: ـ، ز، ل، م.
(١١) الله: ـ، ي.
(١٢) ذكر: ـ، ز، ل، م.
(١٣) يعملوا: يؤمنوا، ز.

المواعظ والأدلة فلم يتبعوها، وقيل: تركوا التفكر[١] في سوء المنقلب، وقيل: هو الرسول تركوا اتباعه، وقيل: الإسلام والتوحيد، وقيل: ذكر الله «**وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا**» أي: هَلْكَى، وقيل: البور الذي ليس فيه شيء من الخير، عن الحسن، وابن زيد. فيقول الله تعالى عند تبري المعبودين منهم: «**فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ**[٢]» قيل: كذبكم[٣] الملائكة، أنهم آلهة، عن مجاهد، وقيل: كذبكم المشركون أيها المؤمنون بما تقولون من توحيد الله تعالى[٤] وعدله ونبوة محمد صلى الله عليه[٥] وغيره من الأنبياء عليهم السلام، عن ابن زيد، وقيل: فقد[٦] كذبكم[٧] الملائكة في قولكم[٨]: إنهم[٩] شفعاؤنا وإنهم[١٠] ينصروننا وإنهم ظَهْرٌ لكم، أنهم ليسوا بآلهة ولا يستطيعون لكم صرفاً ولا نصراً[١١] «**فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا**» قيل: لا يستطيعون صرف العذاب عن أنفسهم ولا نصر أنفسهم[١٢] من البلاء الذي هم فيه بسبب[١٣] تكذيبك، وقيل: ما تستطيع الملائكة والمعبودون صرف العذاب ولا نصرهم، وهذا توبيخ لهم، أي: متى كذبتم[١٤] بالحق فإذاً[١٥] من[١٦] الذي ينجيكم[١٧] من العذاب، «**وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ**» قيل: بالشرك، وقيل: بجميع أنواع

---

(١) التفكر: التذكر، ز.
(٢) بما تقولون: ـ، ل، م.
(٣) كذبكم: كذبوكم، ي.
(٤) تعالى: ـ، ي.
(٥) صلى الله عليه: ـ، م، ي.
(٦) كذبكم الملائكة... وقيل فقد: ـ، ل.
(٧) كذبكم: كذبوكم، ل، ي.
(٨) قولكم: قلولكم، ز؛ قولهم، ل.
(٩) إنهم: أنا، ل.
(١٠) وإنهم: ـ، ز، ل، م.
(١١) ولا يستطيعون لكم صرفاً ولا نصراً: ـ، ز، ل، م.
(١٢) ولا نصر أنفسهم: ـ، ز، ل، م.
(١٣) بسبب: لسبب، ي.
(١٤) متى كذبتم: بين كذبهم، ز، ل، م.
(١٥) فإذا: فماذا، ز، ل، م.
(١٦) من: ـ، ز، ل، م.
(١٧) ينجيكم: ينجيهم، ز، ل، م.

الكبائر[1] «نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا» أي: عذاب جهنم «وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ» يا محمد «مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ» قيل[2]: معناه أ نا[3] أرسلنا الرسل من البشر تأكل الطعام[4] وتشرب وتمشي، كما أنت[5]، قيل[6]: وهذا جواب لقولهم: ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ وقيل: معناه: إلا قيل لهم: أنتم تأكلون[7] الطعام، كما قيل لك، دليله: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، «وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» قيل: للعداوة التي بينهم في الدين، وما ينال المسلم من الكافر، والكافر من المسلم، عن أبي علي، وقيل: المريض فتنة للصحيح، والمبتلى فتنة للمعافى، والفقير[8] للغني، فيقول السقيم: ولو شاء الله لجعلني[9] صحيحاً، ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلني[10] مثل فلان، عن الحسن، وقيل: الأنبياء فتنة للأمم يلزمهم[11] اتباعهم، وتعظيمهم، والإيمان بهم، والأُمَّةُ محنة للأنبياء يلزمهم دعوتهم، والصبر على مشاق الأداء[12] وأذاهم، وقيل: بالفاضل[13] والمفضول، وتفاضل[14] الدرجات في أمور الدنيا والدين، فيمتحن المالك بالمملوك، والحر بالعبد[15]، والعالم بالجاهل، والسلطان بالرعية «أَتَصْبِرُونَ» استفهام، والمراد به الدعاء إلى الصبر، فتأكيده بالوعيد، وقيل: جعلنا

---

(١) بجميع أنواع الكبائر: بأنواع جميع الكبائر، ل، م.
(٢) قيل: وقيل، ز، ل، م.
(٣) أنا: ـ، ز، ل، م.
(٤) الطعام: ـ، ز، ي.
(٥) كما أنت: كما، ي.
(٦) قيل: ـ، ز، م.
(٧) تأكلون: لتأكلون، م، ي.
(٨) والفقير: والفقر، ز.
(٩) لجعلني: جعلني، ز، ل.
(١٠) لجعلني: جعلني، ز، ل.
(١١) يلزمهم: فيلزمهم، ز، م؛ ويلزمهم، ل.
(١٢) الأداء: الأذى، م.
(١٣) بالفاضل: بالتفاضل، ي.
(١٤) وتفاضل: وتفاضيل، ي.
(١٥) والحر بالعبد: والعبد بالحر، ز، ل، م.

بعضكم لبعض فتنة أتصبرون على جميع ذلك أو تكرهون، وقيل: أتصبرون على ما دبركم ربكم[١] حتى تستوجبوا المثوبة، فتصبرون[٢] على ما تسمعون من أذاهم أو لا تصبرون فتستحقون العقوبة، وقيل: أتصبرون على ما ينالكم من الشدائد، وقتال[٣] الكفار حتى تستحقوا[٤] الثواب، عن أبي علي. «وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا» قيل: بأعمال العباد شكروا أم كفروا، وقيل: من[٥] يصبر ومن[٦] يجزع، عن ابن جريج، والبصير العليم[٧].

۞ الأحكام[8]

تدل الآيات على أنه يوبخ مَنْ عَبَدَ غير الله، وأنهم يتبرءون من عبادتهم، ويحتمل أنهم الملائكة والمسيح، ويحتمل الأصنام، بأن ينطقها[٩] الله كما ينطق الجوارح.

ويدل قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ﴾ على أن الضلال منهم وليس من الله؛ إذ لو كان ذلك[١٠] منه لما قال[١١] : أنتم أضللتم؛ لأن على مذهب المجبرة كل ما[١٢] يقال غير هذا يكون كذباً، فيبطل قولهم في الضلال والمخلوق.

ويدل قوله: ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ أن الظلم من جهتهم أيضاً.

(١) ربكم: ـ ، ز، ل، م.
(٢) فتصبرون: فتصبروا، ي.
(٣) وقتال: وقتل، ي.
(٤) حتى تستحقوا: تستحقون، ي.
(٥) من: بمن، ز، م.
(٦) ومن: بمن، ل، م.
(٧) والبصير العليم: والصبر العلم، ز، ل، م.
(٨) الأحكام: بياض ز.
(٩) ينطقها: ينطقهم، ي.
(١٠) ذلك: ـ ، ز، ل، م.
(١١) لما قال: لقالوا، ي.
(١٢) كل ما: كما، ز.

وتدل على[1] أن الظالم يستحق العذاب خلاف قول المرجئة.

وتدل على كون الرسل من البشر، وأن ذلك ليس بطعن في الرسالة.

ويدل قوله: ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ على الترغيب في الصبر في الدين والأذى فيه[2].

قوله تعالى:

﴿۞وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب: **«ويوم تَشَّقَّقُ السماء بالغمام»** مشددة الشين، وفي سورة (ق)[3] ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ﴾[4] [ق: ٤٤] على معنى تتشقق[5]، وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: **«تَشَقَّقُ[6]»** بتخفيف الشين في السورتين على الحذف.

قرأ ابن كثير وحده: **«وننزل»** بنونين[7] خفيفة **«الملائكةَ»** نصب، الباقون **«ونزّل»** بنون واحدة والزاي مشددة، **«الملائكةُ»** رفع.

---

(١) على: ـ، م، ل، ي.

(٢) فيه: ـ، ز.

(٣) (ق): ـ، ي.

(٤) يوم تشقق الأرض: يوم تشق الأرض، ي.

(٥) تتشقق: مشتق، ل.

(٦) تشقق: تشق، ي.

(٧) بنونين: بنون، ي.

۞ اللغة

الرجاء: ترقب الخير الذي يقوى في النفس وقوعه، رجا[1] يرجو رجاءً[2]، ونظيره: الطمع والأمل.

واللقاء: المصير إلى الشيء من غيرحائل.

والاستكبار: طلب الكِبْرِ، استكبر استكباراً.

والعتُوُّ: الخروج إلى أفحش الظلم عَتَا عُتُوًّا، ونظيره: طغى.

والحِجْرُ: الحرام، وأصله: المنع، ومنه: الحَجْرُ على اليتيم: المنع من التصرف[3]، وقيل للعقل[4] حِجْرٌ: لأنه يمنع صاحبه من القبائح، وقيل: أصله الضيق، وسمي الحرام حجراً لضيقه بالنهي، ومنه الحديث[5] : «لقد تَحَجَّرْتَ واسعاً[6] » أي: ضيَّقْتَ ما وسعه الله.

والهَبَاءُ: التراب الدقيق، وكذلك الهَبْوَةُ، وجمعها: هَبَوات، قال رؤبة:

في قِطَعِ الليلِ[7] وهَبْوَاتِ الدُّقَقْ[8]

وقال بعضهم: الهَبَاءُ ما يخرج من الكَوَّةِ مع ضوء[9] الشمس شبه بالغبار.

۞ الإعراب

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ قولاً مقولا، و﴿عَسِيرًا﴾ نصب بخبر (كان)، تقديره: كان ذلك اليوم يوماً عسيراً، فـ(يوماً) خبر (كان) و﴿عَسِيرًا﴾ نعته.

---

(١) رجا: جا، ز.
(٢) رجاء: ـ ، ي.
(٣) التصرف: التصدق، ل، م.
(٤) للعقل: العقل، ل، م.
(٥) الحديث: ـ ، ل، م.
(٦) واسعاً: ـ ، ل، م.
(٧) في جميع النسخ: الليل. وما أثبتناه من تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤.
(٨) الدقق: الرفق، ز، ل.
(٩) ضوء: ضيق، م.

وقوله: «**بِالْغَمَامِ**» الباء بمعنى (عن) أي عن[1] الغمام، يقال: رميت بالقوس وعن[2] القوس[3].

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ رفع لأنه اسم ما لم يسم فاعله .﴿تَنزِيلًا﴾ نصب على المصدر.

المعنى

ثم أتبع الحكاية عن الكفار بذكر الوعيد[4] لهم، فقال سبحانه: «**وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**[5]» قيل: لا يأملون لقاء جزائنا، والمراد باللقاء[6] المصير إلى حكمه وجزائه، وقيل: معناه لا يرجون ثواب الله على الطاعة، وهذا[7] عبارة عن إنكارهم البعث والمعاد، وقيل: لا يرجون لقاء[8] الله إياهم على أعمالهم القبيحة، أي: لا يؤمنون بذلك «**لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ**» قيل: هلا أنزل الملائكة[9] فيخبروا أنك نبي صادق «**أَوْ نَرَى رَبَّنَا**»، فيخبرنا أنك حق، وأنك نبي، وقيل: لما دعاهم قالوا: هلا نزل ملائكته[10] بما جئت به، أونرى ربنا فيخبرنا بصحة ما جئت به، عن أبي علي. «**لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ**» أي: تعظموا عن قبول الحق واتباع الرسول[11] وأَنِفُوا منه، وقيل: استكبروا حيث رأوا أنفسهم بالمحل[12] الذي يجب أن يروا الله ليعترفوا برسوله[13]، وقيل: استكبروا بطلب الرؤية، «**وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**» قيل[14] : غلوا في

---

(١) أي عن: ـ ، ي.
(٢) وعن: عن، ل.
(٣) وعن القوس: ـ ، ز.
(٤) الوعيد: الوعد، م.
(٥) لقاءنا: لقاء، م.
(٦) باللقاء: ـ ، ز، ل، م.
(٧) وهذا: هذا، ز، ل، م.
(٨) لقاء: جزاء، ز، ل، م.
(٩) قيل هلا أنزل الملائكة، +، ز، ل، م.
(١٠) ملائكتة: ملائكة، ز، م.
(١١) الرسول: الرسل، ز.
(١٢) بالمحل: +، ز، ل، م.
(١٣) ليعترفوا برسوله: ليعرفوا رسوله، ز، ل، م.
(١٤) قيل: وقيل، ز.

القول[١]، والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم، وقيل: هو[٢] التعدى إلى حد المحال **«يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ»** قيل: عند الموت، وقيل[٣]: يوم القيامة **«لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ»** أي: لا بشارة لهم بخير مع كثرة البشارة في ذلك الوقت واليوم **«لِلْمُجْرِمِينَ»** قيل: للكافرين، وقيل: لكل مجرم **«وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا»** قيل: تقول الملائكة لهم: البشرى حرام عليكم محرم، عن قتادة، والضحاك، وقيل: الكفار يقولون[٤] للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون[٥] **منه القتل «حِجْرًا مَحْجُورًا[٦]»** أي: حراماً محرماً دماؤنا[٧]، عن مجاهد، وابن جريج، وقيل: البشرى حرام عليكم أي: ممنوع، وقيل: الجنة حرام عليكم تحريم منع لا تحريم تعبد[٨]، عن أبي مسلم، وقيل: الملائكة تقول: حجراً محجوراً عليكم أن تعودوا، فلا معاد لكم[٩] **«وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ»** قيل: قدمنا: عمدْنا[١٠]، عن مجاهد. **«إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ[١١]»** تقديره: قصدنا قصد القادم على ما يكرهه، وقيل: الملائكة وقت المحاسبة إذا رأوا أعمالهم ردوها عليهم، فجعل قدوم الملائكة قدوماً له تفخيم لشأنهم **«إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ»** قيل: إلى[١٢] ما عملوا لا يريدون به[١٣] وجه الله، وقيل: ما عملوا من أعمال البر، وقيل: ما عملوا من عبادة غير الله وظنوها[١٤] طاعة **«فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً»**

---

(١) وقيل غلوا في القول: وقيل: عتوا في القبول، ل، م.
(٢) هو: ـ، ي.
(٣) وقيل: ـ، ل.
(٤) يقولون: يقولوا، ز، م.
(٥) من يخافون: ويخافون، ز، م.
(٦) قيل تقول الملائكة... حجراً محجوراً: ـ، ل.
(٧) دماؤنا: دؤنا الخير، ز؛ دؤنا، ل: دماؤنا الخير، م.
(٨) تعبد: تعد، ل، م.
(٩) عن أبي مسلم... فلا معاد لكم: ـ، ل، م.
(١٠) عمدنا: عهدنا، ي.
(١١) إلى ما عملوا من عمل: ـ، ز، ل، م.
(١٢) إلى: ـ، ز، ل، م.
(١٣) له: ـ، ز، ل، م.
(١٤) وظنوها: فظنوها، ز، ل، م.

قيل: الهباء الذي يرى في كوة البيت مع شعاع الشمس كالغبار، عن الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقيل: هو ما تَسْفِيهِ الرياح، وتذريه[1] من التراب، عن قتادة، وسعيد بن جبير، وقيل: هو الغبار، عن ابن زيد، وقيل: الماء المهراق، عن ابن عباس، وهذا مَثَلٌ، يعني: تذهب أعمالهم باطلاً لا ينتفعون بها من حيث عملوها لغير الله، وأبطلوها بالكفر «مَنثُورًا» متفرقاً، «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ» يعني يوم القيامة إذا دخلوا الجنة «خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا» ومصيراً[2] من مستقر أهل النار ومصيرهم، وقيل: خير من مستقر الكفار في الدنيا والآخرة، وقيل: هو على[3] المظاهرة في الحجاج، أي: لو كان لهم مستقر خير كان هذا[4] خيرا منه، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ قيل: المقيل عبارة عن المقام؛ لأن الموضع الذي يَقِيلَ فيه الإنسان موضع إقامة، وقيل: أراد به مكان الراحة، وقيل: لأنه يفرغ من حسابهم إلى وقت القائلة، وهو نصف النهار، فيدخلون الجنة، عن ابن عباس، وإبراهيم، وابن جريج، قال ابن مسعود: لا ينصف النهار يوم القيامة حتى يَقِيلَ هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، ثم قرأ: (إن مقيلهم لإلى الجحيم)، هكذا كان يقرأ.

ومتى قيل: المستقر والمقيل واحد، فلم ذكرهما[5] ؟

قلنا: قيل[6] : مستقرهم في الجنة، ومقيلهم في الفردوس، عن ابن عباس، وقيل: ذكرهما تأكيداً، وقيل: لأن المستقر موضع الإقامة، والمقيل موضع الراحة والدعة، وإن لم يكن في الجنة نوم إلا أنه يصلح للنوم[7] .

«وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ» يعني وترون الملائكة يوم تشقق السماء فيه «بِالْغَمَامِ»، «وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً» قيل: معناه تشقق السماء وتنزل الملائكة في الغمام، كما ينشق

(١) وتذريه: وتذروه، ز، ل، م.
(٢) ومصيراً: أي مصيرا، ز، ل، م.
(٣) على: ـ ، ي.
(٤) مستقر خير كان هذا: ـ ، ز.
(٥) ذكرهما: كررهما، ز، ل، م.
(٦) قيل: ـ ، ز، م.
(٧) للنوم: لليوم، م.

الغبار عن الجبل فيظهر[١]، وقيل: يشتق[٢] السماء والغمام طريق لهم إلى الأرض حتى ينزلوا فيراهم أهل الجمع، وقيل: هو غمام أبيض من إنزالات مرتبة [مثل الذي أظل] بني إسرائيل «الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ» خالصاً تزول جميع الدعاوي بالمِلك[٣] والمُلك، «وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا»؛ لأنهم يؤدون إلى نار[٤] مؤبدة لا فرج فيها ولا مخلص[٥] .

۞ الأحكام

تدل الآية على أن القوم كانوا يعتقدون التجسيم وجواز الرؤية.

وتدل على بطلان القول بالرؤية؛ لأنه ذكر أنهم عتوا عتواً شديداً، وعلق الوعيد به، ونزول الملائكة لا يوجب ذلك، دل أن إثبات الرؤية عتو[٦] .

وتدل على أن عند الموت يرى المعاين.

ويدل قوله: ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ على تحابط الأعمال.

ويدل قوله: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أنهم يحشرون من السماء كما يحشر الإنس من بطون الأرض.

وتدل على[٧] أن العتو فِعْلُهُمْ، وأن العمل حادث من جهتم، وكذلك[٨] الاستكبار، وكل ذلك يبطل قول أهل الجبر في المخلوق.

---

(١) فيظهر: فيظر، ز.
(٢) يشتق: يشقق، ز، ل، م.
(٣) بالملك: بالمليك، ي.
(٤) نار: الجنة، ز، م.
(٥) ولا مخلص: ولا خلاص، ز، ل، م.
(٦) عتو: ـ ، ل، م.
(٧) على: ـ ، ز، ل، م.
(٨) وكذلك: كذلك، ز.

قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾

۞ اللغة

أَهْجَرَ في منطقه: أَفْحَشَ، والهُجْر بضم الهاء: الفحش، وهجر[1] العليل، وهذا هجر بفتح الهاء، وأصل الباب: الترك[2]، ثم سمي الإعراض هجراً لأنه ترك الشيء، والفحش والهذيان لأنه يجب تركه.

۞ الإعراب

«يقول» موضعه الحال، وتلخيصه: يعض الظالم على يديه قائلاً[3]: يا ليتني، عن أبي مسلم.

«مهجورا» نصب بـ«اتخذوا»، وقيل: نصب على الحال، أي: اتخذ المؤمنون[4] القرآن إماماً في حال اتخاذ الكفار إياه هجراً، عن أبي مسلم.

۞ النزول

قال ابن عباس: نزل قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[5] إلى آخر القصة في عقبة بن أبي معيط، وأبيّ بن خلف، وكانا متحابين، فأصلح عقبة طعاماً، ودعا رسول الله ﷺ، فامتنع من أكله حتى يشهد بالشهادتين، فشهد، وبلغ ذلك أبي بن خلف،

---

(١) وهجر: أو هجر، ز.
(٢) الترك: ـ ، ل، م؛ النزول، ز.
(٣) قائلاً: ـ ، ز.
(٤) المؤمنون: المؤمن، ي.
(٥) زيادة من ز، ل، م.

فقال: أصبوت[1] يا عقبة، ما أنا بالذي[2] أرضى حتى تأتيه وتَبْزُقَ في وجهه، فارتد، وفعل ذلك، ونذر رسول الله ﷺ دمه، فقتل عقبة يوم بدر[3] صبراً، وقتل أبي[4] بن خلف يوم أحد قتله بيده ﷺ[5]، ففيهما نزلت الآية.

وعن[6] الضحاك: لما بزق في وجهه عاد بزاقه في خده[7] فأحرقه، فكان أثره[8] ظاهراً حتى مات.

وقيل: كان أبي يحضر النبي ﷺ، ويستمع إلى[9] كلامه، فزجره عقبة، فنزلت الآية، عن عطاء.

وقيل: كان عقبة خليلاً لأبي بن خلف، فأسلم[10] عقبة، فقال أبي: وجهي حرام عليك إن تابعت محمداً، فارتد، فنزلت الآية، عن الشعبي.

[و] قيل: نزلت في كل كافر ظالم يتبع غيره وترك متابعة أمر ربه[11].

۞ المعنى

ثم بين حال الكفار يوم القيامة وشدة تحسرهم، فقال سبحانه: «**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**» ندماً وتأسفاً، والظالم قيل: عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس، عن ابن عباس، وقيل: هو عام في كل من اتبع هواه وعصى الله «**يَقُولُ**

---

(١) أصبوت: صبوت، ز، ل، م.
(٢) بالذي: لذي، ز.
(٣) يوم بدر: يومئذ، ز، ل، م.
(٤) وقتل أبي: وقيل إن أبي، ز، م.
(٥) قتله رسول الله صلى الله عليه بيده: قتله بيده صلى الله عليه وآله وسلم، م، ي.
(٦) وعن: عن، ل.
(٧) خده: وجهه، ي.
(٨) أثره: ـ، ز، ل، م.
(٩) إلى: ـ، ز، ل، م.
(١٠) فأسلم: ـ، ل؛ وأسلم، م.
(١١) أمر ربه: غير الله تعالى، ل، م؛ أمر الله تعالى، ز.

يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ في الدنيا «**مَعَ الرَّسُولِ**» محمد «**سَبِيلاً**» طريقاً[1]، يعني أسلمت فأكون معه على دينه «**يَا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً**» كناية عن واحد بعينه، وهو أبي بن خلف الجمحي «**خَلِيلاً**» صديقاً، وقيل: الخليل الشيطان[2]، عن مجاهد. «**لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ**» أي: ال قرآن والرسول، وقيل: هو عبارة عن الجهل والغفلة، «**بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي**» الذِّكر وقَبِلْتُهُ، «**وَكَانَ الشَّيْطَانُ**» قيل: هو[3] شيطان[4] الجن، وقيل: هو كل متمرد عاتٍ من الجن والإنس يصد عن سبيل الله «**لِلإِنسَانِ خَذُولاً**» يعني عادته الخذلان، أي: يدعو إلى الكفر والضلال، ويزين للإنسان[5]، ثم يتبرأ من الكافر، ويسلمه إلى الهلاك، ولا يغني عنه شيئاً، «**وَقَالَ الرَّسُولُ**» قيل[6]: في الدنيا عند كفرهم وضيق صدره، ولذلك عقبه بذكر مسألته، و قيل: يقول[7] يوم القيامة، ويشهد عليهم لما عضوا على أيديهم ندماً عند كفرهم[8]، وعبر بالماضي[9]؛ لتحقيق كونه. «**يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**» قيل: قالوا فيه غير الحق، أي: قالوا هجراً، أي: زعموا أنه سحر، وأنه أساطير الأولين، عن مجاهد، وإبراهيم، وقيل: هجروا القرآن بالإعراض[10] عنه[11]، عن ابن زيد، وعلى هذين القولين المراد بقومي الكفار، وقيل: هذا[12] استدعاء للعذاب عليهم، وذكر أبو مسلم وجهاً ثالثاً وهو أن المراد بالقوم المؤمنون، أي: اتخذوا هذا القرآن

---

(١) طريقاً: طريقة، ز.
(٢) الشيطان: السلطان، ز، ل، م.
(٣) هو: ـ، ز، ل، م.
(٤) شيطان: الشيطان، ز.
(٥) للإنسان: الشيطان، ي.
(٦) قيل: قد قال، ز، ل، م.
(٧) يقول: ويقول، ل، ي.
(٨) عند كفرهم: ـ ، ز، ل، م.
(٩) وعبر بالماضي: عن الماضي، ز، ل، م.
(١٠) مهجورا قيل. . . بالإعراض: ـ ، ل.
(١١) عنه: ـ ، ل، م.
(١٢) هذا: هو، ل، م.

وقد هجره الكفار، فيكون هذا القول من الرسول جامعاً للشهادة للمؤمنين بتمسكهم بالقرآن، وعلى الكافرين بإعراضهم عنه، وتقديره: قومي من المؤمنين اتخذوا[1] القرآن في حال ما هجره غيرهم.

۞ الأحكام[2]

تدل الآيات على وجوب[3] التحرز[4] من اتباع المبطل وما يناله من التحسر والندم. وتدل على بطلان التقليد.

وتدل على النهي عن[5] اتخاذ الكفار والظلمة أَخِلَّاء، وقد ثبت من شريعة نبينا محمد[6] صلى الله عليه وعلى آله[7] وجوب موالاة[8] أولياء الله، ومعاداة أعداء الله تعالى[9]، والآية عامة في كل متحابين في[10] معصية الله[11]، وقد روي عن مالك بن دينار قال: إنك إن تنقل الحجارة[12] مع الأبرار أحسن من أن تأكل الخبيص مع الفجار.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم، لذلك تحسر وندم[13] على [فعله]، وتمنى[14] لو فعل خلافه، ولو كان خلقاً لله تعالى لما صح ذلك، فيبطل قولهم في المخلوق والاستطاعة.

---

(١) اتخذوا: ـ، ز، ل، م.
(٢) الأحكام: بياض، م.
(٣) على وجوب: على أن، ل.
(٤) التحرز: التحريز، م.
(٥) عن: من، ز، ل، م.
(٦) محمد: ـ، ل، م، ي.
(٧) وعلى آله: وآله، ل؛ ـ، ي.
(٨) موالاه: موالاته، ل، ي.
(٩) تعالى: ـ، ي.
(١٠) في: في كل، ل.
(١١) الله: ـ، ز، ل، م.
(١٢) تنقل الحجارة: تأكل النخالة، ز، ل، م.
(١٣) وندم: وتندم، ل، م.
(١٤) وتمنى: ـ، ز، ل، م.

وحكى شيخنا أبو علي رحمه الله عن جماعة من الرافضة: أن المراد بقوله: ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ أبا[1] بكر وعمر، وقالوا[2]: كان[3] اسمهما مصرحاً، فغيروا الاسم[4] بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى[5] آله وسلم، ونرد ذلك عليهم بوجوه[6]: أن فيه زوال الثقة بالقرآن، وهدم[7] الإسلام، ولا شبهة أن مثل هذا لا يخرج إلا من دسيس الملحدة.

قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)﴾

اللغة

العدوُّ: نقيض الوَليِّ، وهو يقع على الواحد والجمع، وهو المباعد عن النصرة

---

(١) أبا: أبو، ز، ل، م.
(٢) وقالوا: قالوا، ز، ل، م.
(٣) كان: وكان، ز؛ فكان، م.
(٤) الاسم: للاسم، ز.
(٥) على: ـ، ل، م، ي.
(٦) بوجوه: لوجوه، ل، م.
(٧) وهدم: وهدة، ز.

للبغضة، وأصل الباب: البُعْد، ومنه عَدْوَتا[1] الوادي: جانباه[2]، وتعدى: أبْعَدَ في الخروج عن الحق، والبعيد[3]: الغريب[4] لبعده[5] عن الوطن، قال الشاعر:

إذا كُنْتَ في قوم عِدًى لَسْتَ منهم ... فَكُلْ[6] ما عُلِقْتَ مِنْ خَبيثٍ وطَيِّبِ

والمعاداة: المباعدة.

والترتيل: التبيين، رتل القرآن: بَيَّنَ قراءلىته، وثَغْرٌ رَتَلٌ، ورَتْلٌ[7] بفتح التاء وسكونها: إذا كان مفلجاً[8] لا لَصَصَ[9] فيه، وهو فرجة بين الثنايا والرباعيات، وقيل: ثَغْرٌ رَتَلٌ: أبيض كثير الماء من الألَصّ[10] المتقارب من[11] الأضراس وفيه لَصَصٌ.

والوزر[12]: الملجأ، وآزرت فلاناً مؤازرة: أَعَنْتُهُ، ومنه الوزير، وأصل الباب: الثقل، والأوزار: الذنوب لثقلها، والأوزار: السلاح، وسمي وزيراً؛ لأنه يحمل[13] الثقل عنه.

والتدمير: الهلاك، دَمَّرَهُ[14] تدميراً إذا هجم بالمكروه، ودَمَرَ القومُ يَدْمُرُون دماراً ودموراً.

والرَّسُّ: البئر التي لم تُطْوَ بحجارة، ورَسَّهُ في البئر: دَسَّهُ فيها.

---

(١) عدوتا: عدونا، ز.
(٢) جانباه: جانباً، ل.
(٣) والبعيد: والبعد، ي، ز.
(٤) الغريب: والغريب، ي.
(٥) لبعده: ـ، ز، ل، م.
(٦) فكل: فعل.
(٧) ورتل: ـ، ز، ل، م.
(٨) مفلجاً: مفحماً، م؛ مفتحاً، ز، ل؛ مقفحاً، ي.
(٩) لصص: نصيص، م؛ لا نصص، ز، ل؛ مصص، ي.
(١٠) الألص: الألين، ل.
(١١) من: ـ، ز، ي.
(١٢) والوزر، والوزير، ل، م، ي.
(١٣) يحمل: يحتمل، ز.
(١٤) الهلاك دمره: الإهلاك دمر، ز، ل، م.

والتتبير: الإهلاك، والاسم منه: التَّبار، وكل ما كسر وهدم فهو مُتَبَّر، ومنه قيل: لقطع الذهب تِبْرٌ.

الإعراب

«**بربك**» قيل: الباء صلة؛ لأن (كفى) يتعدى، ومعناه: كفى ربك[1]، وقيل: بل الباء غير زائدة؛ لأن كفى واكتفى لازم، فتدل[2] الباء على ذلك، كأنه قيل: كفى ربك ناصراً فاكْتَفِ به.

«**هادياً ونصيرا**» نصب على الحال، أي: حسبك ربك في حال نصرته وهدايته، وقيل: على التمييز، أي: حسبك ربك ناصراً من جملة الناصرين، كلاهما عن الزجاج.

و(**قوم نوح وعادا**) نصب، قيل: بمحذوف[3] أي: اذكر قوم نوح، وقيل: عطف على قوله: «**دمرناهم**» كأنه قيل: دمرنا قوم نوح وعاداً.

قوله: ﴿وَأَحْسَنَ[4] تَفْسِيرًا﴾ أحسن في موضع جر[5]، إلا أنه لا ينصرف؛ لأنه أَفْعَلُ، تقديره: جئناك بأحسن تفسيراً، ونصب «**تفسيرا**» على التمييز.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا﴾ نصب كلها بالعطف على قوم نوح، والعامل: «**دمرناهم**»، وكل ذلك مفعول به.

«**إلا كفورا**» يعني أبوا إلا أن يكفروا، فأقام الكُفُورَ مقام يكفر.

المعنى

لما تقدم قول الرسول أن قومه اتخذوا كتابه ودينه مهجوراً، بيّن حال الأنبياء قبله، وما نالهم من قومهم تسلية له، فقال سبحانه: «**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ**

(١) كفى ربك: كفى بربك. وقيل: كفى بربك، ي.
(٢) فتدل: فيدل، م.
(٣) نصب قيل بمحذوف، ل، م؛ نصب لمحذوف، ز.
(٤) وأحسن: أحسن، ز، ل، م.
(٥) جر: ـ ، ز، م؛ الجر، ل.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ قيل: كما جعلنا لك عدواً من المجرمين جعلنا لكل نبي عدواً **﴿مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾**(1) من(2) مجرمي قومه قبلك، عن ابن عباس، ومعنى **(جعلنا)** أي: حكمنا بكونهم أعداء الأنبياء، وبينا عداوتهم(3)؛ ليتحرزوا(4) منهم، وينصبوا لهم العداوة، يقال(5): فلان كَفَّرَ فلاناً وفَسَّقَهُ، أي: وصفه بذلك وجعله كذلك(6)، وصف به، وقيل: معناه: كما جعلنا النبي(7) يعادي المجرم مدحاً له كذلك جعلنا من يعادي(8) النبي ذماً له، وهذا معنى الحكم والوصف والبيان(9)، وقيل: با عدا [الله تعالى بين](10) الأنبياء وبين الكفار، **﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾** أي: لا يهمنك عداوتهم فإنهم لن يضرونك شيئاً كما في الأنبياء، فإن الله ناصرك وهاديك، وكفى به ناصراً وهادياً(11)(12).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ(13) عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود جملة واحدة(14)، وهذا كلام جاهل يطعن بشيء لا يُطعن فيه(15)؛ لأنه ليس في نزوله متفرقاً أو جملة(16) ما يقتضي طعناً.

---

(1) من المجرمين: ـ، ز، ل، م.
(2) من: ـ، ي.
(3) وبينا عداوتهم: ـ، ي.
(4) ليتحرزوا: يتحرزوا، ز، ل، م.
(5) يقال: ويقال، م.
(6) كذلك: كذا، ل، م، ي.
(7) النبي: الذي، ي.
(8) يعادي: معادي، ز، ل، م.
(9) والوصف والبيان: والصف والشأن، ي.
(10) باعد [الله تعالى بين]: ما عدا، ز، ل، م، ي. والتصحيح من الفخر الرازي، ح٦٨/٢٤، والقول منسوب لأبي مسلم الأصفهاي.
(11) ناصراً وهادياً: هادياً وناصراً، ز.
(12) أي لا يهمنك... ناصراً وهادياً: ـ، ل، ي.
(13) نزل: أنزل، ل، م، ي.
(14) كما أنزلت التوراة... جملة واحدة: ـ، ل، م.
(15) فيه: ـ، ي.
(16) أو جملة: وجملة، ز، ل، م.

ثم بين وجه المصلحة في إنزاله متفرقاً، فقال سبحانه: «كَذَلِكَ» أي: كذلك أنزلناه[١] «لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ» لنقوي[٢] به قلبك فيعيه[٣] ويحفظه، والفائدة فيه أن الكتب نزلت على أنبياء[٤] يكتبون ويقرأون، فنزل[٥] عليهم مكتوباً، والقرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، وأيضاً في القرآن ناسخ ومنسوخ، ومنه ما هو جواب للسؤال، ومنه ما هو حكاية شيء جرى، وكان إنزاله متفرقاً واجباً، وأيضاً فالمصلحة قد تكون في إنزاله متفرقاً[٦]، وأيضاً كان إذا نزل عليه جبريل عليه السلام في كل وقت أربط جأشاً، وأقوى قلباً من أن ينزل مرة واحدة، «وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً» قيل: رَسَّلْناهُ رسلاً، عن ابن عباس[٧]، وقيل: فرقناه تفريقاً، آية بعد آية[٨] وشيئاً بعد شيء، وكان بين أوله وآخره نحواً من ثلاث وعشرين سنة، عن إبراهيم، والحسن، وقيل: فسرناه تفسيراً، عن ابن زيد، والترتيل: التبيين، كأنه قال: فَصَّلناه وبيناه «وَلاَ يَأْتُونَكَ[٩]» يا محمد[١٠] هؤلاء المشركون «بِمَثَلٍ» يضربونه، وصفة يذكرونها في إبطال أمرك[١١] «إلا[١٢] جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ» الذي يبطل أمرهم، وقيل: لا يحتجون بشيء إلا أوردنا ما يقطع[١٣] حجتهم «وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» أي: بياناً، كأنهم أتوا ما ليس بحجة[١٤]، فعارضهم بالحجة؛ لأنهم قالوا: لو كان نبياً لكان له كنز، وهذا ليس بحجة[١٥] بأن قال: فأتوا بمثل هذا القرآن.

---

(١) أنزلناه: أنزلنا، ي.
(٢) لنقوي: لنقوم، ي.
(٣) فيعيه: فيعه، ز.
(٤) أنبياء: الأنبياء، ز، ل، م.
(٥) فنزل: فينزل، ي.
(٦) وأيضاً فالمصلحة قد تكون في إنزاله متفرقاً: ـ، ز.
(٧) عن ابن عباس: عن الضحاك، ي.
(٨) آية بعد آية: أنه هدى به، ي.
(٩) يأتونك: يأتونك بمثل: ز، ل، م.
(١٠) يا محمد: ـ، ز، ل، م.
(١١) في إبطال أمرك: ـ، ز.
(١٢) إلاّ: وإلا، ل.
(١٣) يقطع: يبطل، ز.
(١٤) بحجة: ـ، ز.
(١٥) بالحجة لأنهم... ليس بحجة: ـ، ز، ي.

ثم بَيَّنَ[1] حالهم، فقال سبحانه: «**الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ**» قيل: يسحبون على وجوههم[2] إلى النار «**أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً**» يعني مكانهم شر مكان، فهم أضل سبيلاً.

ثم عقب بحديث الأنبياء وأممهم، وعيرهم بقولهم، فقال تعالى[3] «**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**» يعني التوراة «**وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا**» أي: معيناً وظهيراً «**فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» عنى بالقوم قوم فرعون، وهم القِبْطُ، وفي الكلام حذف، أي: كذبوهما «**فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا**» أي: أهلكناهم إهلاكاً، «**وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ**»؛ لأن تكذيب واحد كتكذيب سائرهم، عن الحسن؛ لأن الطريق واحد، وهو المعجز، «**أَغْرَقْنَاهُمْ**» بالطوفان فهلكوا، «**وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً**» أي: عبرة وعظة، «**وَأَعْتَدْنَا**» هيأنا للظالمين[4] في الآخرة «**عَذَابًا أَلِيمًا**» وجيعاً، يعني عذاب النار «**وَعَادًا**» أي: وأهلكنا عاداً[5] «**وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ**» البئر، قيل: كانوا أصحاب آبار، عن ابن عباس، وقيل: كانوا أصحاب مواش، ولهم بئر يقعدون عليها، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله[6] إليهم شعيباً فكذبوه، فانهار البئر، وانخسف بهم وبديارهم[7] الأرض فهلكوا، عن وهب، وقيل: الرس قرية باليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله، عن قتادة، وقيل: بئر رَسُّوا[8] فيها نبيهم أي: ألقوه، عن عكرمة، وقيل: كان نبي له[9] عبد أسود، فكان[10] يحتطب[11] ويبيع، ويأتي بطعام إلى ذلك النبي، فنام نوماً[12]، فلم ينتبه[13] إلا بعد

(١) ثم بين: فبين، ز.
(٢) إلى جهنم... على وجوههم: ـ، ل.
(٣) تعالى: سبحانه، ل، م.
(٤) هيأنا: ـ، ل.
(٥) أي وأهلكنا عادا: ـ، ل.
(٦) الله: ـ، ل، م.
(٧) وبديارهم: فدمرناهم، ل.
(٨) رسوا: يرسوا، ل، م.
(٩) بنى له: يأتيه، ز، م.
(١٠) فكان: وكان، ل، م.
(١١) يحتطب: يحطب، ل.
(١٢) نوماً: ـ، ي.
(١٣) ينتبه: يأتيه، ز.

أيام، وندم قومه، فأخرجوا نبيهم وآمنوا به، فقال النبيﷺ: «ذلك العبد أول من يدخل الجنة»، فإن صح هذا فلعله أهلكها بعد ذلك، والله سبحانه أبهم قصتهم، وهو[١] أعلم بتفاصيلها[٢]، وقيل: هو المقدم باليمامة، عن أبي عبيدة، وقيل: هم بقية ثمود[٣] قوم صالح، وقيل: كان لهم نبي يسمى حنظلة، فقتلوه فهلكوا، عن سعيد بن جبير، والكلبي، وقيل: هم أصحاب رس، والرس بئر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيب النجار، فنسبوا إليها، عن كعب، ومقاتل، وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه، وقيل: أصحاب الرس السحاقات، وكان قوم[٤] اشتغل[٥] الرجال بالرجال والنساء بالنساء[٦]، فأهلكوا، عن جعفر بن محمد عليهما السلام[٧]، وقيل: كان أصحاب الرس قبل سليمان[٨] **«وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا»** قيل: بين نوح وأصحاب الرس، وقيل: بين من تقدم ذكرهم، وقيل: القرن سبعون سنة، وقيل: أربعون سنة، عن إبراهيم، **«وَكُلاًّ ضَرَبْنَا[٩] لَهُ الأَمْثَالَ»** أي: أرسلنا الرسل، وأقمنا الحجة، وذكرناهم للإعذار[١٠] والإنذار، وضربنا الأمثال بالوعد والوعيد فلما لم يؤمنوا **«وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا»** أي: أهلكناهم إهلاكاً، قيل: كسَّرنا تكسيراً، عن المؤرخ، والأخفش، **«وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ»** قيل: المطر السوء: الحجارة، والقرية قرية قوم لوط، عن ابن عباس، قيل: مُطروا الحجارة[١١] حتى رفعوا إلى السماء، قبل أن تقلب عليهم، وقيل: مُطِرَ مَنْ غاب عن القرية **«أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا»** إذا مروا عليها، ورأوا آثارها فاعتبروا[١٢] بها **«بَلْ كَانُوا لاَ**

(١) وهو: والله، ل، م فهو، ز.
(٢) بتفاصيلها: بتفاصيله، ز، ل، م.
(٣) ثمود: ـ ،ز، ل، م.
(٤) قوم: قومه، ل، م.
(٥) اشتغل: اشتغال، ز، ل، م.
(٦) والنساء بالنساء: ـ ، ز.
(٧) عليهما السلام: ـ ، ي.
(٨) قيل سليمان: وقيل سلم،ل، م؛ وقيل سليم، ز.
(٩) ضربنا: ـ ، ي.
(١٠) للإعذار: الإعذار، ز، ل، م.
(١١) الحجارة: بالحجارة، ز، ل، م.
(١٢) فاعتبروا: يعتبروا، ز، ل، م.

يَرْجُونَ[1] نُشُورًا» قيل: لا يخافون بعثاً، وقيل: لا يأملون ثواباً ولا عقاباً، فركبوا المعاصي «نُشُورًا» بعثاً من القبور، عن ابن جريج؛ لأنهم لم يؤمنوا بالنشأة[2] الثانية، كأنه قيل: أزحنا[3] عللهم من كل وجه، فلم يؤمنوا ولا خافوا العذاب.

الأحكام

تدل أول الآية على أن كل نبي له عدو تسلية للنبي صلى الله عليه وعلى[4] آله، وحثاً على الصبر، وبشارة بهلاك الأعداء، وكذلك كل مؤمن له عدو من المبتدعة.

ويدل قوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾[5] على صحة الحِجَاج في الدين.

وتدل على ضعف شُبَهِ القوم، وأن الشُّبَهَ وإن ضعفت يجب حلها؛ لئلا يضل[6] بها قوم.

وتدل على[7] أنه لا شبهة[8] إلا والله تعالى بَيَّنَ أن لا شبهة[9] فيها.

وتدل على وجوب حل الشبه وإن ضعفت، فيجب أن يتفكر أهل البدع، ليعلم جوابها، وقد ذكر قاضي القضاة في المتشابه[10] : أن لا موضع يتعلق به المخالفون إلا وفيما[11] قبله، أو فيما بعده ما يدل على بطلان تعلقهم، وذكر أن لا شيء يتعلقون به إلا والظاهر لا يدل على قولهم.

---

(١) لا يرجون: ـ ، ل.
(٢) بالنشأة: للنشأة، ز، ل، م.
(٣) أزحنا: انزحنا، ز.
(٤) على: ـ ، ل، ي.
(٥) عليه: ـ ، ز، ل، م.
(٦) يضل: يدل، ل؛ يغتر، ي.
(٧) على: ـ ، م، ي.
(٨) لا شبهة: لا شبه، ز، ل، م.
(٩) لا شبهة: لا يشبهه، ز، ل.
(١٠) المتشابه: المناسبة، ز، ل، م.
(١١) وفيما: وفيما فيما، ل، م.

وتدل على عظيم ما ينال حتى يسحبون على وجوههم، وما نال الأمم في تكذيب الرسل، والتحذير من مثل حالهم.

وتدل على أن التكذيب فِعْلُ العبد حتى استحق[1] العذاب.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم في رواية المفضل والبرجمي عن أبي بكر عنه: «نُسْقِيَهُ» بضم النون، وهي قراءة عمر، والباقون بالفتح[2].

قرأ ابن عامر في[3] رواية عن أبي عمرو[4] «نُشْرًا» بضم النون وسكون الشين،

---

(١) استحق: يستحق، ل، م.

(٢) بالفتح: بفتح الياء، ل.

(٣) في: ـ، ز، ل، م.

(٤) أبي عمرو: أبي عمر، ل، م، ي.

وقرأ عاصم بالباء وضمها وسكون الشين[1]، أما النون وجزم[2] الشين فمن نَشَرَ الله الخلق فنشروا: أحياهم بالرياح لَما يحيي الأشياء، فأما من ضمها[3] فهي جمع[4] نشور كرسول ورُسْل، من نشر الكتاب نشراً، فأما بضم[5] النون وسكون الشين فقد خفف للإيجاز[6].

والباء من[7] البشارة، فأما في الشواذ بشرى[8] بغير تنوين فهو بشره بشرى.

قراءة حمزة والكسائي: «**لِيَذْكُرُوا**» ساكنة الذال خفيفة الكاف مضمومة، وقرأ الباقون مشددة الذال والكاف مفتوحة، فالأول من ذَكَرَ يَذْكُرُ، والثاني ليتذكروا.

۞ اللغة

الهزؤ: إظهار[9] خلاف الإبطان[10] لاستصغار القَدْرِ.

والظل: قال أبو عبيدة[11]: ما نسجته الشمس وهو بالغداة.

والفيء: ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال يسمى فيئاً؛ لأنه راجع من جانب المشرق إلى جانب المغرب.

والقبض: ضد البسط، وهو جمع الأجزاء المنبسطة، قَبَضَهُ قبضاً فهو[12] قابض، والشيء مقبوض، وتقابضا تقابضاً، وانقبض انقباضاً.

---

(١) الشين: ـ ، ل.

(٢) وجزم: فضم، ل.

(٣) ضمها: ضها، ل.

(٤) جمع: ـ ، ل، م.

(٥) فأما بضم: فأما من يضم، ل، م.

(٦) للإيجار: الإيجاز، ي.

(٧) من: في، ي.

(٨) بشرى: ـ ، ز، ل، م.

(٩) إظهار: ـ ، ي.

(١٠) الإبطان: إضمار، ز، م؛ للإضمار، ل.

(١١) أبو عبيدة: أبو عبيد، ز، ل، م.

(١٢) فهو: وهو، ي.

ومددت الشيء مداً: إذا جذبته وبسطته، ومد النهر يمده، ومده نهر آخر، ومنه: مدد[١] الجيش[٢] والمداد.

واليسير: السهل، وضده: العسير.

والسبت: أصله القطع، والسُّبَات: قطع العمل، وسَبَتَ رأسه: حلقه، ويوم السبت: يوم قطع العمل.

والنشر: خلاف الطي، وهو الانبساط، ومنه[٣]: أنشر الله الموتى فنشروا، قال الأعشى:

حتى يقول الناس فيما رأوا يا عجباً للميت الناشر

وأناسِيّ: جمع إنسان، جعلت الياء عوضاً من النون، وقد قالوا: أناسين[٤]، كريحان ورياحين، وبستان وبساتين، ويحتمل أن يكون جمع إنسي.

﴿بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ ولم يقل ميتة، والبلدة مؤنثة؛ لأنه رجع[٥] به إلى المكان والموضع.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ الآيات[٦] في أبي جهل بن هشام[٧]، كان إذا مر مع أصحابه برسول[٨] الله ﷺ قال[٩] هزؤاً: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾.

---

(١) مدد: مد، ز، ل، م.
(٢) الجيش: الجيش الجيش، ي.
(٣) ومنه: ـ، ز، ل، م.
(٤) أناسين: أناسي، ي.
(٥) رجع: يرجع، ز، ل، م.
(٦) الآيات: ـ، ز، ل، م.
(٧) بن هشام: ـ، ي.
(٨) أصحابه برسول: أصحاب رسول، ز، ل، م.
(٩) قال: ـ، ز، ل، م.

۞ المعنى

ثم بين تعالى ما طعنوا به في النبوة، وعقبه ببيان حالهم، وألحق بهم الوعيد، وبيّن دلائل التوحيد، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ يعني إذا رأوك يا محمد هؤلاء المشركون [١] ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا[٢]﴾ ويقولون: هذا رسول على طريق الاستهزاء، وهم يبطنون[٣] الإنكار، ويقولون: هذا رسول الله منكرين لذلك «إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا» يعني قرب[٤] أن يصرفنا بدعوته عن عبادة[٥] آلهتنا، وهي[٦] الأوثان «لَوْلاَ أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا» يعني: فصبرنا على عبادتها وما تبعناه، لئلاّ[٧] يصرفنا [عنها] «وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ» يوم القيامة «مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً» هم أم المسلمون، وهذا وعيد لهم، وقيل: سوف[٨] يعلمون[٩] حين يرون العذاب يوم بدر والقتل فيه، فيعلمون يقيناً أنهم كانوا على ضلال، وأنه على حق «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» قيل: جعل[١٠] إلهه ما يهواه، وهو غاية الجهل، وكان الرجل من المشركين يعبد الحجر والصنم، فإن رأى أحسن منه رمى به، وأخذ الآخر فعبده، وقيل: اتبع هواه كاتباع الآلهة، فكأنه اتخذه إلهاً وعبده، قال ابن عباس: الهوى ما يعبدون من دون الله «أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً» قيل: حافظاً لهم عن[١١] الباطل مع هذا الجهل والغفلة الذي[١٢] هم فيه[١٣]، قيل: ليس عليك أن يؤمنوا إنما عليك البلاغ، «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

---

(١) المشركون: +، ز، ل، م.
(٢) هزوا: +، ز، ل، م.
(٣) يبطنون: يظنون، ز.
(٤) قرب: قريب، ي.
(٥) عبادة: قتادة، ز، ل، م.
(٦) وهي: وآلهتنا هي، ز، ل، م.
(٧) لئلا: إلا، ز، ل، م؛ ولا، ي.
(٨) سوف: ـ ، ي.
(٩) يعلمون: سيعلمون، ي.
(١٠) جعل: يجعل، ل، م، ي.
(١١) عن: من، ز، ل، م.
(١٢) الذي: التي، ز، م.
(١٣) فيه: فيها، ز، ل، م.

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ» أي[1] : سَمَاعَ طالب للإفهام[2]، ويعقلون ما يعاينون من الحجج والمعجزات «إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ» قال[3]: يعني ما[4] هم إلا كالأنعام، يعني[5] تسمع[6] ولا تفهم ولا تعقل[7] ما ترى من الحجج[8]، فهم أيضاً كالأنعام، وقيل: هم كالأنعام مشتغلون[9] بالشهوات والأكل والتمتع «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً» قيل: لأنهم[10] تمكنوا[11] من المعرفة فلم يعرفوا، والأنعام لم تتمكن[12]، وقيل: لا خطاب عليها ولا وعد ولا وعيد، وعليكم ذلك، وقيل: البهائم تهتدي لصلاحها وتطيع[13] أربابها بخلاف[14] الكفار، وقيل: لأن الأنعام لا تعتقد الكفر وإن لم تعتقد شيئاً، وهؤلاء كفروا فهم أضل سبيلاً «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» قيل: ألم تعلم، وقيل: ألم تر إلى صفة الله تعالى كيف بسط[15] الظل، وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي[16]: ألم تر إلى مد ربك الظل[17]، وتقديره: إلى الظل كيف مده[18] ربُّك، وهذا الظل قيل: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع[19] الشمس، عن ابن عباس، والضحاك[20]،

(١) او يعقلون أي: ـ ، ز، ل، م.
(٢) للإفهام: الاستفهام، ز، ل، م.
(٣) قال: ـ ، ي.
(٤) ما: لما، ل، م.
(٥) يعني: ـ ، ي.
(٦) تسمع: سمع، ز.
(٧) ولا تفهم ولا تعقل: ولا تعقل ولا تفهم، ز، ل، م.
(٨) الحجج: الحجة، ي.
(٩) مشتغلون: يشتغلون، ي، مشغولون، ز.
(١٠) لأنهم: أنهم، ز.
(١١) تمكنوا: مكثوا، ي؛ مكنوا، ز، م.
(١٢) لم تتمكن: لم يتمكنوا، ز، ل، م.
(١٣) وتطيع: وتطع، ل، م.
(١٤) بخلاف: خلاف، ز.
(١٥) بسط: بسط بسط، ز.
(١٦) أي: ـ ، ي.
(١٧) الظل: للظل، ل.
(١٨) مده: مد، ي.
(١٩) الفجر إلى الطلوع: ـ ، ل، م.
(٢٠) والضحاك: ـ ، ي.

وسعيد بن جبير، وإنما جعله ممدوداً؛ لأنه لا شمس معه، كما قيل في الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] وقيل: هوالظل بعد غروب الشمس، ولا مانع من حمله عليهما، وقيل: من بعد غروبها إلى طلوعها، عن أبي علي. «**وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً**»[١] أي: دائماً ثابتاً لا يزول، عن ابن عباس، ومجاهد، وهو أن يمنع الشمس من الطلوع، وقيل: إن النعمة بالظل عظيمة[٢] في النبات والأشجار والثمار والحيوانات، والله سبحانه يقبضها ويبسطها «**ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً**» أي: على الظل دليلاً[٣]؛ لأن الظل يتبع الشمس كما يتبع السائر الدليل، فيطول ويقصر بحسب الشمس[٤]، فإن ارتفعت الشمس قصر الظل، وإن انحطت طال، ولولا الشمس ما عرف الظل «**ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إلينا**[٥]» القبض الذهاب به، يعني بإذهابها له عند مجيئها، عن ابن زيد، يعني قبضنا[٦] الظل «**قَبْضًا يَسِيرًا**» أي: شيئاً بعد شيء على قدر سير الشمس، وقيل: يسيراً عليه لا تعب فيه «**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا**» أي: ستراً تستترون به وتسكنون فيه، وشبه الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء بظلمته، وقيل: لأن الناس يلبسون الدثار والشعار عند النوم، «**وَالنَّوْمَ سُبَاتًا**» قيل: راحة لأبدانكم، وقطعاً لأعمالكم، «**وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا**» أي: تنتشرون فيه[٧] لطلب المعاش، وتنبسطون في التصرفات «**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**» يعني يرسل الرياح أمام الغيم لتبشركم بالمطر، وإذا قرئ بالنون فالمراد تجيلىءبالمطر، أو ببسطها، وسميت الرياح ناشراً[٨] قيل: لأنها تنشر السحاب، وقيل في الرحمة: رياح؛ لأنها جمع: الجنوب، والشمال، والصبا، وفي العذاب: ريح واحدة وهي الدبور، وهي عقيم لا تلقح[٩]،

(١) وقيل من بعد غروبها... ساكناً: ـ، ي.
(٢) عظيمة: عظيماً، ل، م.
(٣) دليلاً: ـ، ز، ل، م.
(٤) بحسب الشمس: ـ، ي.
(٥) إلينا: إليه، ل؛ ـ، ز، م، ي. وما أثبتناه من نص الآية.
(٦) قبضنا: قبضت، ي.
(٧) فيه: ـ، ي.
(٨) ناشراً: ناشرة، ز، ل، م.
(٩) لا تلقح: ـ، ز، ل، م.

وكل الرياح لواقح إلا الدبور، والله أعلم بتفصيل ذلك. «**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**» قيل: طاهراً، وقيل: طاهراً في نفسه ومطهراً لغيره[1] «**لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**» لا زرع فيه ولا ضرع فيه[2] ولا نبات، فينبت الله تعالى[3] بالمطر النبات وتورق الأشجار، ويخلق الثمار، فجعله ميتاً عندعدم النبات حياً عند وجوده[4] توسعاً «**وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**» أي: نجعله سقياً للأنعام والناس[5]، وقد[6] قيل: معناه: نسقي في البلدان التي أحييناها[7] بالمطر أناساً كثيراً[8] وأنعاماً جمة[9] **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ**» يعني صرفنا[10] المطر بينهم يدور في جهات الأرض، وقيل: قسمناه بينهم، وقيل: صرفناه بينهم، وقيل: صرفناه[11] وابلاً وطَشًّا ورَذَاذاً، وقيل: التصريف يرجع إلى الريح، وقيل: صرفناه بأن أجريناه في الأنهار والعيون، وقيل: هذه النعم «**صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ**»، وقيل: الهاء ترجع إلى جميع ما تقدم من الآيات، قيل: صرفنا القرآن بينهم ليتعظوا به «**لِيَذَّكَّرُوا**» قيل[12]: ليتعظوا، وقيل: ليذكروانعم الله وقدرته، ويعلموا أنه لا يقدر عليه غيره فيعبدوه «**فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا**» يعني[13] كفراً بنعمته، وجحوداً[14] له، وقيل: هو قولهم: مطرنا بِنَوْءِ كذا.

---

(١) لغيره: لغير، م.
(٢) ولا ضرع فيه: ـ، ز. ولا خرج، ي.
(٣) تعالى: ـ، ل.
(٤) وجوده: وجودها، ي.
(٥) والناس: والإنس، ي.
(٦) قد: ـ، ز، ل، م.
(٧) أحييناها: أحياها، ز، ل.
(٨) كثيراً: كثيرة، ل.
(٩) جمة: ـ، ل.
(١٠) صرفنا: ـ، ز، ل، م.
(١١) بينهم وقيل صرفناه: ـ، م، ي.
(١٢) قيل: وقيل، ل، م.
(١٣) يعني: قيل، ز.
(١٤) وجحوداً: وجحداً، ز، ل، م.

الأحكام

تدل الآيات أن أفعال العباد حادثة من جهتهم في وجوه:

منها: قوله: ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾.

ومنها: قوله: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾.

ومنها: قوله: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

ومنها: قوله: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾.

ومنها: قوله: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وشيء من ذلك لا يصح إلا والعبد مختار فاعل[1] .

ويدل قوله: ﴿وَسَوْفَ[2] يَعْلَمُونَ﴾ أنه ليس بعد ظهور الحجة إلا الوعيد.

وتدل على أن من يسمع لا للتفهم والفائدة كان[3] كَلَا سماعٍ.

وتدل على أن[4] إثبات التوحيد ما عدّ من الآيات على نعمه تعالى بجميع ذلك على عباده.

ويدل ظاهر قوله: ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أن النوم معنى، وأكثر مشايخنا على أنه ليس بمعنى برأسه، وإنما هو سهو وفتور فعلق الراحة بذلك.

ويدل قوله: ﴿مَآءً طَهُورًا﴾ على طهارة الماء، وكونه مُطَهِّراً بجميع[5] أجناسه عَذْبِهِ ومِلْحِهِ، جارِيهِ ورَاكِدِهِ، وغير ذلك.

ويدل قوله: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أنه أراد من الجميع أن يذكروا.

ويدل قوله: ﴿فَأَبَىٰٓ﴾ أنهم قادرون على قبوله؛ لأن[6] من لا يقدر على ذلك لا

---

(١) مختار فاعل: مختاراً فاعلاً، ي.

(٢) وسوف: فسوف، ز، ل، م.

(٣) كان: كان كان، ي.

(٤) أن: ـ ، ي.

(٥) بجميع: بجمع، ي.

(٦) لأن: ـ ، ز.

يقال: أبى، وكل ذلك يبطل قول المجبرة[١] في الجبر[٢] والاستطاعة.

مسائل الماء

الماء ثلاثة: طاهر مُطهِّر، وطاهر غير مُطهِّر، ونجس.

فأما الطاهر المطهر: فكل ما بقي على أصل خلقته[٣] لم يخالطه شيء، أو خالطه تراب، أو شيء طاهر لم يغير طعمه ولا لونه[٤] ولا ريحه.

فأما[٥] الطاهر غير المطهر: فكل ما خالطه وغلب عليه طاهر فذهب بأحد أوصافه، كماء المروقة والمسلول[٦] من الأشياء.

وأما النجس: فكل ما خالطه[٧] نجاسة، إلا أن يكون كثيراً[٨].

فهذه جملة تتضمن مسائل كثيرة متفقاً فيها، ومختلفاً:

فمنها: الماء المستعمل طاهر غير مطهر[٩] عند أبي حنيفة، وهو قول الهادي إلى الحق[١٠] عليه السلام، وقال أبو يوسف: نجس، وقال مالك: طاهر وطهور[١١].

والمستعمل أن يستعمل في فريضة[١٢] أو جنابة[١٣]، فأما في النفل فيصير مستعملاً. وقال زفر: لا يصير مستعملاً[١٤]، وللشافعي أقوال، قال أصحابه: الصحيح: أنه طاهر وغير طهور.

---

(١) المجبرة: ـ، ي.
(٢) في الجبر: أهل الجبر، ي.
(٣) خلقته: خلقه، ي.
(٤) طعمه ولا لونه: لونه ولا طعمه، ز، ل، م.
(٥) فأما: وأما، ز، ل، م.
(٦) والمسلول: الملول، ز.
(٧) خالطه: يخالطه، ز، ل، م.
(٨) يعني: لو كان كثيرا مثل مياه الامطار لم ينجس وإن خالطة نجاسة رجع إلى أحكام القرآن للجصاص.
(٩) مطهر: طهور، ل.
(١٠) إلى الحق: ـ، ز، ل، م.
(١١) وطهور: طهور، ي.
(١٢) فريضة: قربة، ي.
(١٣) أو جنابة: أجناية، ز، م.
(١٤) وقال زفر لا يصير مستعملاً: ـ، ز، ل.

ومنها[١] : إذا خالطه نجاسة، قال أبو حنيفة: ينجس إلا أن يكون حيث[٢] لا يختلط[٣] بعضه إلى بعض، وقال مالك: لاينجس قَلَّ أو[٤] كثر إلا إذا تغير أحد أوصافه، وقال الشافعي: إذا بلغ قُلَّتَيْنِ لا[٥] ينجس، وما كان أقل ينجس، قال الهادي عليه السلام: كل ماء[٦] لا يمكن استعماله دفعة[٧] لا ينجس كالبِرَكِ الواسعة ونحوها.

ومنها: إذا خالطه طاهر يطهر، والقلبَ[٨]، قال أبو حنيفة: يجوز التوضؤ به، وقال الشافعي: لا يجوز.

ومنها: إذا مات في الماء ما يعيش فيه أو ليس له دم سائل[٩]، قال أبو حنيفه: لا ينجس، وقال الشافعي: ينجس.

ومنها: الأسار: فسُؤْر[١٠] الآدمي طاهر، وقال بعضهم: سؤر المشرك[١١] نجس، وسؤر[١٢] الهِرِّ مكروه عند أبي حنيفة، وعند الآخرين طاهر، وسؤر الحمار[١٣] مشكوك فيه عند أبي حنيفة يتوضأ به ويتيمم[١٤]، وقال الشافعي: طاهر، وسؤر السباع نجس عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: طاهر، وهو قول الهادي عليه السلام، ويجوز التوضي بالماء المغصوب عند الفقهاء، وقال الهادي: لا يجوز.

---

(١) ومنها: ومنها ومنها، م.
(٢) حيث: نجس، ل؛ بحيث، ز.
(٣) يختلط: يختلطه، ز.
(٤) أو: أم، ز، ل، م.
(٥) لا: فلا، ل، م.
(٦) كل ماء: كلما، ي.
(٧) دفعة: ـ ، ل.
(٨) يطهر والقلب: يطهروا بقلب، ل، م.
(٩) قال أبو حنيفة. . . دم سائل: ـ ، ل.
(١٠) فسؤر: كسؤر، ي.
(١١) المشرك: المشركين، ز، ل، م.
(١٢) وسؤر: وسؤرة، م.
(١٣) وسؤر الحمار: ـ ، ز، ل، م.
(١٤) ويتيم: وييمم، ز، ل، م.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾

۞ القراءة

قراءة حمزة والكسائي: «يَأْمُرُنا» بالياء، والباقون بالتاء على الخطاب.

۞ اللغة

المَرْجُ: الخلط، ومَرَجْتُ[1] الدابة إذا خليتها ترعى.

والفرات: كل ماء عذب[2]، والبحر: كل ماء ملح[3] .

والأُجاج: أشد ماء ملوحة، لا يمكن ذوقه.

والبرزخ: الحاجز بين الشيئين، يمنع[4] كل واحد من الوصول إلى الآخر.

(١) ومرجت: مرجت، ل، م.

(٢) كل ماء عذب: كلما ماء عذب، ي؛ ماء عذب، ل.

(٣) كل ماء ملح: كلما ملح، ي؛ كل مالح، ل.

(٤) يمنع: منع، ز.

والمصاهرة في النكاح: المقاربة، يقال: صهره وأصهره، ومنه الحديث: «كان من أسس مسجد قباء ليصهر الحجر[1] العظيم إلى بطنه»: يُدْنِيهِ.

والنسب: ما يرجع إلى ولادة[2] قريبة، والصهر: خلطة توجب القرابة.

والنفور[3] : التباعدعن الشيء، نفر ينفر نفوراً، وقوم نفور.

۞ الإعراب

(الذي) محله جر؛ لأنه نعت للحي.

(خبيرا) أي: من[4] خبيرٍ، فلما حذفت (مِنْ) نصبت[5] خبيرا)، أي: عنه خبيراً[6] .

۞ النزول

قيل: لما قال: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ﴾ قالوا[7] : ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة، يعنون مسيلمة، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ مع أنه كذاب، عن ابن عباس.

وذكر الحسن وأبو علي: أنهم أنكروا المسمى لا الاسم.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾ بما قبله؟

قلنا: لما تقدم أنه يُصَرِّفُ الآيات وهي النعم في الدين والدنيا عقبه بذكر النبوة،

---

(١) الحجر: بالحجر، م.
(٢) ولادة: ـ ، ز.
(٣) والنفور: والفور، ز.
(٤) من: ـ ، ز، ل، م.
(٥) حذفت من نصبت: حذف (أن) نصب، ز.
(٦) خبيراً: ـ ، ل، ي.
(٧) من هنا بداية النسخة في ن.

وأنه[١] لو شاء لجعل ذلك مثل سائر النعم، إلا أنه تعالى[٢] يبعث متى علم أن في[٣] البعثة مصلحة.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿فَلَا[٤] تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بما قبله؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: اتصال المصلحة في إرسال واحد إلى[٥] الجميع بالمصلحة، وفي ترك طاعة الكافرين في اقتراحاتهم.

والثاني: ما تقتضيه أخباره[٦] من بعثه واحد[٧]، وما أوجب حسن طاعته لربه وعصيان الكفار والجهاد معهم.

والثالث: بعثناك[٨] إليهم كافة، فاشكر هذه النعم بطاعة الله وعصيانهم وجاهدهم.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ وما بعده بما قبله؟

قلنا: لما تقدم ذكر أدلة التوحيد واعترض[٩] [بأدلة] النبوة؛ عاد إلى ذكر أدلة التوحيد.

وقيل: لما ذكر[١٠] نعمه بالبعثة عقبه بذكر نعم[١١] أخرى.

---

(١) وأنه: أنه، ز، ل، م.
(٢) تعالى: ـ، ي.
(٣) في: ـ، ن، ل، م، ي.
(٤) فلا: ولا، ز، ن، ل، م.
(٥) واحد إلى: واحداً في، ز.
(٦) أخباره: اختياره، م.
(٧) واحد: ـ، ز، ي.
(٨) من بعثه واحد... بعثناك: ـ، ز.
(٩) واعترض: واعراض، ز، ي.
(١٠) ذكر: ـ، ل، م.
(١١) نعم: نعمة، ي.

۞ المعنى

«وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ» [نذيراً] إليهم[1]» أي: مُخَوِّفاً، وهو الرسول ينذرهم، وقسمنا بينهم النذر، كما قسمنا بينهم[2] المطر والنعم، ولكن نفعل ما هو الأصلح، فبعثناك إليهم كافة[3] [4] «فلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ» فيما يدعونك إليه من المداهنة والاقتراحات «وَجَاهِدْهُمْ» في الدعاء إلى الحق «بِهِ» أي: بالقرآن، عن ابن عباس. «جِهَادًا كَبِيرًا».

«وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ» قيل: أرسلهما، وقيل: خلطهما[5] «هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ» شديد العذوبة، قيل: العذب والفرات بمعنى[6]، وقيل: العذب[7] والفرات: البارد، وقيل: العذب الأودية كالفرات ونحوه، والأجاج البحار، «وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ» شديد الملوحة، وقيل: أجاج حار «وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا» حجاباً[8] يمنعهما من الاختلاط «وَحِجْرًا مَحْجُورًا» أي: منعاً وستراً لا يفسد الملح العذب، ومحجوراً ممنوعاً، توكيد للحجر، «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ» أي: النطفة، ومنها خلق بني آدم، وقيل: أراد[9] الماء والطين الذي خلق منهما آدم «بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا» وقيل: النسب: ما لا يحل نكاحه، والصهر ما يحل نكاحه، عن علي (عليه السلام)، وقيل[10]: النسب سبعة[11]، والصهر خمسة، وقرأ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى آخرها، عن الضحاك. وعن ابن سيرين: نزلت ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ في النبي ﷺ وعلى علي

---

(١) إليهم: ـ، ز، ن، ل، م.
(٢) بينهم: ـ، ن، ي.
(٣) كافة: كأنه، ز، ل، م.
(٤) فلا: ولا، ز، ن، م، ي.
(٥) خلطهما: خلقهما، ل، م.
(٦) بمعنى: معنى، ي.
(٧) العذب: العذاب، ي.
(٨) حجاباً: ـ، ل.
(٩) أراد: المراد به، ل، م.
(١٠) وقيل: قيل، ز، ل، م.
(١١) سبعة: تسعة، ي.

عليه السلام[1]، هو ابن عمه، وزوج ابنته فاطمة عليها السلام[2] ومنه، «**وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا**» أي: قادراً على ما يشاء.

ثم بين أنهم مع هذه الدلائل يعبدون غير الله توبيخاً لهم، فقال سبحانه: «**وَيَعْبُدُونَ**[3] » يعني المشركين «**مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ**» قيل: لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم إن تركوه «**وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا**» قيل: يظاهر الشيطان، أي: يعينه على معصيته، وقيل: يستظهر بالأوثان وعبادتها على رسول الله ﷺ، فجعل استظهارهم على مغالبة الرسول استظهاراً على الله، عن أبي[4] علي، ونظيره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] يعني أولياءه، وقيل: «**ظهيراً**» أي: هينا كالمطرح يظهر لا يلتفت إليه، فَعِيلٌ بمعنى مفعول، والمعني هَيِّنٌ على الله أن يكفر الكافر، عن أبي مسلم، «**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ**» يا محمد[5] «**إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**» يعني لا تبعة عليك من فعلهم، فإنما أنت مبشر ونذير، قال الحسن: ما بعث[6] الله نبياً قط إلا وهو يبشر الناس إن أطاعوا الله بالسعة في الدنيا، وبالجنة[7] في الآخرة، وينذر الناس إن عصوا بعذاب الله. «**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**» فتتركوا[8] الإيمان بعلة، أني[9] أطمع في أموالكم[10]«**إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**» قيل: استثناء منقطع معناه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً[11] بإنفاق ماله في طاعته، وابتغاء مرضاته، وقيل: بل تقديره: أنه جعل آخر[12] دعائه اتخاذ المدعو سبيلاً إلى ربه

(١) عليه السلام: ـ ، ي.
(٢) عليها السلام: ـ ، ي.
(٣) ويعبدون: ويعبدون من دون الله، م.
(٤) أبي: ـ ، ز.
(٥) يا محمد: ـ ، ن، ي.
(٦) بعث: بعثا، ز، م.
(٧) وبالجنة: والجنة، ن.
(٨) فتتركوا: فتولوا، ز.
(٩) بعلة أني: فعله أني، ز، ل، م، ي.
(١٠) أموالكم: أقوالكم، ز، ل، م.
(١١) قيل استثناء... ربه سبيلاً: ـ ، ز، ل، م.
(١٢) آخر: أحد، ي.

بطاعته، يعني إجابته، وقيل: (إلا) بمعنى بل[1] أسألكم الإيمان، «**وَتَوَكَّلْ**» يا محمد في الأمور «**عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ**» يعني احمده منزهاً له عما لا يجوز عليه، وقيل: اعبده شكراً على نعمه، وقيل[2] : قل سبحان الله والحمد لله «**وَكَفَى بِهِ**[3]» بالله تعالى[4] «**بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا**» أي: عليماً[5] فيجازي به «**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام**» قال: «**بينهما**» وإن جمع السماوات؛ لأنه[6] أراد الصفتين «**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ**» أي: قدر على خلقه وتصريفه، وقيل: استوى أمر السماوات مع العرش، وقيل[7]: العرش الملك؛ أي[8] هو القادر على ملكه يتصرف كيف يشاء «**الرحمن**» أي: هو الرحمن «**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**» أي[9]: عليماً، قيل: الخبير هو الله، عن ابن جريج[10]، وقيل: جبرائيل، وقيل: تقديره: سل يا أيها[11] الإنسان عارفاً يخبرك بالحق في صفته، وقيل: لا تطلب شيئاً[12] إلا به، ولا تتوكل[13] إلا عليه، عن أبي مسلم. وقيل: إذا سألت فاسأل به خبيراً بصفاته، واختلفوا في السؤال، قيل: سل[14] عن صفته، و[15] قيل: سل[16] عن الإسلام يخبرك أنه الحق، وقيل: سل العقلاء يخبرونك[17] أنه

---

(١) بل: بل بل، ل.
(٢) وقيل: ـ ، ز.
(٣) به: ـ ، ز.
(٤) تعالى: ـ ، ن، ي.
(٥) عليماً: عالماً، ز، ل، م.
(٦) لأنه: ـ ، ي.
(٧) العرش وقيل: ز، ل، م.
(٨) أي: الذي، ي.
(٩) أي: ـ ، ز، ي.
(١٠) الخبير هو الله عن ابن جريج: الخبير هو الله عن ابن جبير، ل، م.
(١١) سل يا أيها: فسأل أيها، ز، ل، م.
(١٢) شيئاً: ـ ، ي.
(١٣) تتوكل: توكل، ز، ن، ل، م.
(١٤) سل: سال، ي.
(١٥) سل عن صفته و: ـ ، ل، م.
(١٦) سل: سال، ي.
(١٧) يخبرونك: يخبروك، ز، م.

المستحق لأن يُتَوَكَّلَ[١] عليه هو الحي الذي لا يموت، وقيل: سل هل أحد أعلم من الله بالأشياء، عن أبي علي، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ» أي: للكفار[٢] «اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ» قيل: صلوا، وقيل: اخضعوا، وقيل: هذا في قوم بأعيانهم ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ قيل: هم عَرَفُوا الاسم بأنه[٣] مشتق من الرحمة، وإنما جحدوا المسمى كفراً، وقيل: عرفوا الله وتركوا السجود؛ لأن فيه[٤] اتباع أمره لذلك[٥] قال: «أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا» وقيل: أنكروا الاسم، فهم كانوا يقرون بالله تعالى «أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وزادهم[٦]» قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[٧] «نُفُورًا» في الدين، أضاف النفور إلى دعائه؛ لأنه حصل عنده، وقيل: معناه أنهم كانوا[٨] كما لا ينقادون لك، كذلك إذا قيل لهم: اسجدوا للرحمن قالوا منكرين: ومن الرحمن حتى نسجد له؛ لأنهم لم يعرفوه.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ أنه قادر على ما لم يفعله، وأنه بعث محمداً صلى الله عليه وآله[٩] إلى الكافة؛ لأنه أصلح لهم.

وتدل الآيات على كمال قدرته وتمام نعمته.

وتدل على أنه كان لا يطلب منهم لأجل دعوته[١٠] مالاً.

وتدل على وجوب التوكل على الله[١١].

---

(١) يتوكل: توكل، ز.
(٢) للكفار: الكفار، ي.
(٣) بأنه: فإنه، ز، ن، ل، م.
(٤) فيه: ـ، ز، ل، م.
(٥) لذلك: كذلك، ل، م.
(٦) وزادهم: وزادهم نفوراً: ز، ن، ل، م.
(٧) اسجدوا للرحمن: اسجدوا للرحمن وزادهم، ز، ن، ل، م.
(٨) كانوا: ـ، ز، ن، ل، م.
(٩) صلى الله عليه وآله: ـ، ن، ي.
(١٠) لأجل دعوته: لاحد بدعوته، ن.
(١١) على الله: ـ، ز، ن، ي.

وتدل على[1] أن التسبيح والحمد من المؤمنين[2] والسجود فعلهم، وكذلك النفور من الكفار، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «**سُرُجاً**» بضم السين والراء على[3] الجمع[4]، أراد الكواكب، والباقون بالألف وكسر السين: «**سِراجاً**» على الواحد[5]، وأراد به الشمس.

قرأ حمزة: «**لمن أراد أن يَذْكُرَ**» بسكون الذال خفيفة، والباقون: «**يذَّكر**[6]» بالتشديد.

اللغة

تبارك: أصله من الثبوت، وقيل: من البركة، وقيل: من[7] النماء.

والبُرْجُ[8] : البناء العالي، وأصله الظهور، ومنه: تبرجت المرأة إذا ظهرت،

---

(١) على: ـ ، ن، ل.
(٢) المؤمنين: المؤمن، ي.
(٣) على: أراد، ل، م.
(٤) الجمع: الجميع، ز.
(٥) الواحد: الوجه، ز.
(٦) يذكر: ـ ، ز، ل، م.
(٧) من: ـ ، ز، م، ن، ي.
(٨) والبرج: والبروج، ز، ن، ل، م.

وسمي البناء العالي برجاً لظهوره، ومنه سمي القصر برجاً، والكواكب العظام.

والهَوْنُ: الرفق، والتلبث، ومنه الحديث: «المسلمون[1] هينون لينون»، قال ابن الأعرابي: العرب تمدح بالْهَيْنِ اللَّيْنِ[2] مخففا[3]، وتذم بالهيّن الليِّن المثقل[4]، وقال غيره: هما شيء واحد، والأصل التثقيل[5] عند العرب.

[والغرام]: ما كان لازماً، يقال: فلان مغرم بكذا، أي: لازم له مولع به، ويقال لمن عليه الدين: غريم؛ لأن الدين لازم، ولمن له الدين له[6] أن يلازمه، والغرم بضم الغين أداء شيء يلزم[7]، وفي الحديث عن النبيﷺ: «الزعيم غارم» أي: يلزمه الضمان.

۞ الإعراب

نصب ﴿سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ لأنه خبر (بات)، وهي بمنزلة (كان) في العمل.

﴿خِلْفَةً[8]﴾ مختلفين.

«سَلاماً» نصب على تقدير: قالوا قولاً سلاما.

﴿مُسْتَقَرًّا﴾ أي: ساء تجنهم مستقراً.

۞ المعنى

لما تقدم إنكارهم الرحمن عقبه بذكر الدلائل الدالة على توحيده، فقال سبحانه: «تَبَارَكَ» جل ثناؤه، وهو ثابت لم يَزَلْ ولا يزال، وقيل: جل بما به يقدر على جميع

---

(١) المسلمون: المؤمنون، ز، ل، م.
(٢) اللين: ـ ، ل.
(٣) مخففاً: تخفيفاً، ن، ي.
(٤) المثقل: الثقل، ل.
(٥) التثقيل: الثقل، ل، م؛ بالثقيل، ن.
(٦) له: ـ ، ل، م.
(٧) يلزم: يلزمه، ز، ل، م.
(٨) خلفة: مخلفة، ز، م.

البركات «**الَّذِي جَعَلَ**» خلق[1] **فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا**» قيل: منازل البروج الظاهرة، والبروج اثنا[2] عشر: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت، وهي منازل السبعة كواكب السيارة، وهي التي ذكرها الله[3] تعالى في قوله: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٦] وهي: الشمس، والقمر، وزحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، فالجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل، وهذه الأشياء لا تعرف إلا بوحي من جهته تعالى، وقيل: البروج القصور العالية، عن إبراهيم، واحدها: برج، ومنه: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقيل: هي[4] النجوم، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: النجوم الكبار، عن أبي صالح، وقيل: مكان[5] النجوم[6]، عن عطاء، «**وَجَعَلَ فِيهَا**[7] **سِرَاجًا**» أي: شمساً، وسراجاً كواكب؛ لأنه يُهْتَدَى بها كما يهتدى بالسراج «**وَقَمَرًا مُنِيرًا**» مضيئاً ذا نور «**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً**» قيل: أحدهما يجيء[8] خلف الآخر متعاقبين[9] في المسير[10]، وفي الضياء والظلام، والزيادة والنقصان، عن ابن زيد، وقيل: خلفاً[11] وعوضاً[12] يقوم أحدهما مقام الآخر، فمن فاته عمل بالليل قضاه بالنهار، ومن فاته بالنهار عمل قضاه[13] بالليل، عن عمر، وابن عباس،

---

(١) خلق: ـ، ل، م.
(٢) اثنا: اثني، ل، م.
(٣) الله: ـ، ز.
(٤) هي: هن، ن، ي.
(٥) مكان: كل، ز، ل، م؛ كان، ن.
(٦) النجوم: المجرة، ي.
(٧) فيها: ـ، ز.
(٨) يجيء: في، ل.
(٩) متعاقبين: فيتعاقبان، ل.
(١٠) المسير: السير، ل.
(١١) خلفاً: خلقاً، ز.
(١٢) وعوضاً: وعرضا، ز؛ ل، م.
(١٣) أحدهم مقام الآخر... عمل قضاه: ـ، ز.

والحسن، وقتادة، وقيل: جعل[1] كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه، أحدهما أسود، والآخر أبيض، عن مجاهد. «**لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**» قيل: لمن أراد أن يستدل على توحيد الله، وأراد شكرنعمته، وقيل: أراد أن يتذكر بأنهما محدثان؛ لأن أحدهما يبطل الآخر، والقديم لا يجوز عليه البطلان؛ لأن وجوده واجب لذاته.

ثم بين صفة من تفكر[2] في هذه الدلائل، وآمن بالله تعالى وتوحيده وعدله، فقال سبحانه: «**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ**» نسبهم إلى نفسه تشريفاً؛ لأنهم عرفوه، وعبدوه مخلصين له الدين، وقيل: معناه: مَنْ يعبد الرحمن بعبادته وإن كان جميع الخلق عباده، عن أبي مسلم. «**الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا**» أي: يمشون بالسكينة والوقار[3] لا أَشَرَ ولا تكبر، عن مجاهد، وقيل: حلماء علماء إن جهل عليهم لا يجهلون، وقيل: أصحاب عفة ووقار، عن محمد بن الحنفية، وقيل: متواضعين لا يستكبرون، عن ابن عباس، وقيل: أتقياء، عن الضحاك. «**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ**» بمقالات سيئة صانوا أنفسهم فـ «**قَالُوا سَلاَمًا**» قيل: سداداً من القول يسلم معه دينهم، عن مجاهد، وقيل: سلموا عليهم سلام توديع لا سلام[4] تحية، عن الحسن، وقيل: دعوا الله لهم بالسلامة عن أذاهم، ويطالبون السلامة عن مشاركتهم، عن أبي علي، وقيل: يقولون للسفهاء: نسالمكم ولا نجاهلكم، وقيل: يستدعون منهم السلامة[5] مصدر أقيم مقام الأمر، كقولهم: النجاءَ النجاءَ أي: انجوا، وقيل: ذكروا السلام[6] في أنفسهم، يعني الله تعالى وقالوا: لا نعصيه، ولعل هذا الذنب خلى بيني وبينه، واختلفوا فقيل: هذا قبل آية القتال، نسختها آية القتال، عن أبي العالية، والكلبي،

---

(١) جعل: دخل، ل.

(٢) تفكر: تذكر، ن.

(٣) إلى هنا نهاية النسخة ز.

(٤) سلام توديع لا سلام: سلاماً وريع الإسلام، ن، ل، م.

(٥) منهم السلامة: بينهم المسايلة، ي.

(٦) السلام: ـ ، ل.

وليس بصحيح؛ لأنه لا تنافي بين الآيتين، وقال[1] الحسن: هذا وصف نهارهم.

ثم وصف ليلهم، فقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**» يعني يُصَلُّون، قال ابن عباس: من صلى بالليل ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً، قال[2] الكلبي: هما[3] الركعتان بعد المغرب، وأربع بعد العشاء الآخرة، وقيل: يكثرون الصلاة بالليل؛ لأن من صلى ركعتين لا يقال: بات يصلي، وقيل: إذا كانوا مع الناس فهم حلماء، وإذا انفردوا بالليل فهم زهاد، فليلهم خير، ونهارهم خير.

ثم بين دعاءهم، فقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**» أي: لازماً لا يفارق، وقال الحسن: قد علموا أن كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم، وقيل: «**غراماً**» أي: هلاكاً، عن أبي عبيدة، وقيل: غراماً خاليا عن الروح والراحة، عن أبي مسلم، «**إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**» أي: ساء تمكاناً لم نجعل ذلك له قراراً ومكاناً، والمقام بفتح الميم: المجلس، وبضمها: الإقامة، وسماه سوءاً؛ لما فيه من الضرر الشديد.

۞ الأحكام

تدل الآيات على إثبات صانع قادر عالم حي قديم حكيم يدبر كل شيىء ويقدره.

وتدل على مدح التواضع.

وتدل على الحث على لزوم طريقة المؤمنين على ما وصفهم[4] في الآية.

وتدل على الترغيب في صلاة الليل، ولا خلاف أنها نافلة مؤكدة.

وتدل على الحث على الاستعاذة بالله تعالى[5] والانقطاع إليه[6].

وتدل على أن المشي وقول السلام والسجود والقيام والدعاء فِعْلُ العبد، فيصحح قولنا في المخلوق.

---

(١) وقال: قال، ل.
(٢) قال: وقال، ل، م.
(٣) هما: هو، ن، ل، م.
(٤) ما وصفهم: ما قدر، ل، م؛ ما ذكر، ن.
(٥) تعالى: ـ ، ز، م، ن، ي.
(٦) إليه: ـ ، ل.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «**يقتروا**»[(١)] بضم الياء وسكون القاف وكسر التاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وضم التاء، وقرأ ابن كثير[(٢)] وأبو عمرو ويعقوب بفتح الياء وكسر التاء[(٣)]، وكلها لغات صحيحة، يقال: أَقْتَرَ وقَتَرَ، وقَتَرَ يَقْتُرُ ويَقْتِرُ.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «**يُضاعَفُ**» و«**يُخْلُدُ**»[(٤)] بالرفع[(٥)] فيهما على الاستئناف، وهي قراءة ابن عباس، والباقون بالجزم[(٦)] فيهما. وقرأ ابن كثير وأبو جعفر[(٧)] وابن عامر ويعقوب: «**يُضَعَّفُ له**[(٨)]». وقرأ[(٩)] نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: «**يُضَاعَفْ**» بالألف وهما لغتان ضاعف وضَعَّفَ.

وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم: «**فيهي**[(١٠)] **مهانا**» بإشباع كسرة الهاء، وهو مذهب ابن كثير في جميع القرآن.

---

(١) يقتروا: لم يقتروا، ل.
(٢) بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير: بياض في م.
(٣) التاء: الياء، ي.
(٤) وأبو بكر عن عاصم يضاعف ويخلد: بياض، م.
(٥) بالرفع: بالرفع بالرفع، ن.
(٦) بالجزم: بالجر، ز، ي.
(٧) جعفر: أبو جعفر وابن كثير، ل، م.
(٨) له: لها، ل.
(٩) ويعقوب يضعف له وقرأ: بياض، م.
(١٠) فيهي: فيه، ن، ل، م.

قرأ عاصم في بعض الروايات عنه: «يُبْدِلُ الله[١]» ساكنة الباء خفيفة الدال، والباقون مشددة الدال، وهما لغتان أَبْدَلَ يُبْدِلُ، وبَدَّلَ يُبَدِّلُ.

اللغة

السَّرَفُ: مجاوزة الحد، والسرف: الجهل؛ لأنه مجاوزة الحد، والسرف: الإغفال.

والإقتار: التضييق[٢] في الإنفاق، يقال: قَتَرْتُهُ وأَقْتَرْتُهُ وقَتَّرْتُهُ إذا ضيقت الإنفاق، وقَتَرَ يَقْتُرُ[٣]، وأَقْتَرَ يُقْتِرُ[٤].

والقَوَامُ بالفتح: العدل، وبالكسر: السداد[٥]، وهو قوام الأمر وملاكه.

والأثام: جزاء[٦] الإثم، أَثَّمَهُ تَأْثِيمًا إذا جازاه جزاء إثمه.

ومتابا: مصدر يقال[٧]: تاب يتوب توبة ومتاباً، كقوله[٨]: قام مقاماً، وقال مقالاً.

الإعراب

«يضاعفْ» جزم لأنه جواب الشرط، كأنه قيل: من يفعل ما تقدم ذِكْرُهُ يضاعف له العذاب.

«يخلد» عطف على «يضاعف»، وكلاهما عطف على «يَلْقَ»، والرفع على الاستئناف، كأنه قيل: ما جزاء[٩] من عمل[١٠] الآثام؟ قيل: يضاعف له العذاب.

---

(١) الله: ـ، ن، ل.
(٢) التضييق: والتضييق، ي.
(٣) يقتر: تقتيراً، ن، ل، م.
(٤) يقتر: تقتيراً، ن، ل، م.
(٥) السداد: السناد، م، ن، ي.
(٦) جزاء: ـ، ل، م.
(٧) يقال: ـ، ل.
(٨) كقوله: كقولك، ن، ل، م.
(٩) جزاء: ـ، ن، ل، م.
(١٠) عمل: ـ، ن، ل، م.

«قواماً» نصب لأنه خبر (كان)، والاسم مضمر، كأنه قيل: ذلك الفعل قواماً.

«متاباً» نصب على المصدر، ومتاب مَفْعَل، وأصله: مَتْوَبٌ إلا أن الواو لما انفتحت ألقيت حركتها على ما قبلها وقلبت ألفاً.

النزول

وعن[1] سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن ناساً[2] من أهل الشرك قالوا للنبي صلى الله عليه وعلى آله[3]: إن الذي[4] تدعو إليه لحسن لو[5] تخبرنا أن لما عملنا[6] كفارة، فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية[7].

وقيل: نزلت في وحشي غلام جبير بن مطعم.

المعنى

ثم بين تعالى[8] صفة المؤمنين، فقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**» قيل: الإسراف: الإنفاق في معصية الله تعالى قَلَّ أم كثر، والإقتار: منع حق الله من المال، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد، وقيل: السرف مجاوزة الحد في النفقة، والإقتار التقصير مما لا بد منه، عن إبراهيم، وقيل: الإسراف أَكْلُ مال الله بغير حق، عن عون بن عبدالله، وقيل: كسبوا طيباً،

---

(١) وعن: ـ، ن، ي.

(٢) ناسا: أناساً، ل، م.

(٣) صلى الله عليه وعلى آله: ـ، ل، ي.

(٤) إن الذي: إن الذي إن الذي، ي.

(٥) إليه لحسن لو: الله أن يحشر أن، ل، م، ن، ي. وما أثبتناه من: الكشف والبيان، للثعلبي: ٩/ ٤٠١، أسباب النزول، للواحدي: ١/ ٢٢٦، الدر المنثور: ٧/ ٣٧٢، التحرير والتنوير: ١٢/ ٣٦٥.

(٦) عملنا: علموا، ل.

(٧) هكذا في المخطوطات المتوفرة لدينا. وفي تفسير البغوي: ١/ ٩٥ ما لفظه: عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

(٨) تعالى: ـ، ل، م.

وأنفقوا وبذلوا، عن مقاتل، «**وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**» أي: بين السرف والإقتار قواماً عدلاً وبسطاً، وعن يزيد بن حبيب: هؤلاء هم أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله[1] كانوا لا يأكلون للتنعم، ولا يلبسون للجمال، ولكن يأكلون من الطعام ما يسد جوعتهم، ومن الثياب ما يستر عورتهم، «**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**» أي: لا يعبدون معه غيره «**وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ**» قتلها «**إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ**».

ومتى قيل: لِم استثنى في القتل بالحق، ولم يستثن في الزنا؟

قلنا: لأن في الشرع استيفاء قتل بحق، كالقتل بالردة والقصاص والزنا والسعي في الأرض بالفساد، وليس في الشرع[2] زنا مباح، ولذلك[3] لم يستثن.

«**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ**» أي: كل واحد مما تقدم؛ لأنه[4] لا[5] يلزمه العذاب بكل واحد، عن أبي مسلم، وقيل: إشارة إلى الجميع، وليس بالوجه. «**يَلْقَ أَثَامًا**» أي: إثماً، عن ابن عباس، والمعنى جزاء الإثم، قيل: عقوبة، عن أبي عبيدة، وقيل: الآثام اسم من أسماء جهنم، وقيل: «موضع في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار»، وروي ذلك مرفوعاً. وقيل: واد في جهنم فيه حيات وعقارب، عن مجاهد. «**يُضَاعَفْ**[6] **لَهُ الْعَذَابُ**» يعني يستحق على كل معصية عذاباً فيضاعف لتضاعف المعاصي «**وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**» أي: يدوم في العذاب ذليلاً «**إِلاَّ مَنْ تَابَ**» من ذنوبه «**وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا**» هو أداء الواجبات واجتناب الكبائر «**فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**» يعني يمحو[7] السيئات بالتوبة، ويكتب ثواب التوبة بدلها، وقيل: يغفر السيئات ويقبل الحسنات، فيحبط العقاب، ويوجب الثواب، وقيل: يبدلهم بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن أعمالهم في الإسلام، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير،

---

(١) وعلى آله: وآله، ل، ـ ، ي.
(٢) في الشرع: ـ ، ل، م.
(٣) ولذلك: فلذلك، م.
(٤) لأنه: فإنه، ن، ل.
(٥) لا: ـ ، ن، ي.
(٦) يضاعف: ويضاعف، ل.
(٧) يمحو: يمحق، ي.

والضحاك، «وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا» أي: يرجع[(١)] إلى ولاية الله رجوعاً حسناً[(٢)].

ومتى قيل: لِم كرر التوبة؟

قلنا: الأول من تلك الخصال المذكورة، والثاني عام، وقيل: في الأول أنه يبدل السيئات بالحسنات، وفي الثاني قبول التوبة واستدعاء بألطف الوجوه.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن الواجب القصد في الإنفاق، [والنهي عن السرف، وهو الزيادة على ما جرت العادة، والتقتير التضييق عما لا بد منه، فأما الإنفاق في][(٣)] المعصية حرام لا من[(٤)] جهة أنه سرف، وكذلك منع الحق لا من حيث إنه إقتار.

ويدل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ﴾ أن المؤمن يجتنب هذه القبائح.

وتدل على أن العذاب[(٥)] عذاب القتل والزنا دائم؛ لأن اقتران[(٦)] الكفر بالشيء لا يعني ما يستحق عليه، ولأن التضعيف إنما يجب لأهل هذه[(٧)] الكبائر.

وتدل على أن الزنا يقبح مع الكفر خلاف قول بعضهم: إن الكافر لا يخاطب بالشرائع.

وتدل أن الكافر يؤخذ بسائر المعاصي كما يؤخذ بكفره.

وتدل على[(٨)] أن التوبة من القتل تصح، وقد روي عن ابن عباس وزيد بن ثابت

---

(١) يرجع: رجع، ل.
(٢) حسناً: حقاً، ن، ل، م.
(٣) والنهي عن السرف... الإنفاق في: ـ، ل، م.
(٤) لا من: إلا من، ل، م.
(٥) العذاب: عذاب، ن، م.
(٦) اقتران: اقران، ي.
(٧) هذه: ـ، ل.
(٨) على: ـ، ن، ل، م.

أنها منسوخة بآية سورة (النساء): ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] وأن التوبة من القتل لا تصح، والعلماء بأسرهم على خلافه، ولأنه لا ذنب أعظم من الكفر وعبادة الأوثان، ثم التوبة من ذلك تصح، فالقتل أولى، ولأنه[1] لا يجوز أن يبقى مكلفاً، ولا طريق له[2] إلى التخلص من العقاب، ولأن التوبة بمنزلة الاعتذار.

وتدل على أن التوبة تزيل العقاب.

وتدل على أنها بانفرادها لا تؤثر حتى يقارنها الإيمان والعمل الصالح.

وتدل على أنه تعالى يبدل سيئاته بالحسنات، وعن الحسن أنه يكون في الدنيا وهو ما يظهر منه، وقال غيره: إنه في الآخرة، وقد بينا ما قيل فيه، ولا يصح حمله على تبديل الحسنات والسيئات؛ لأن ذلك أعراض انقضت لا يجوز عليها الإعادة، ولا على نحوها من الأعراض؛ لأنه يريد ذكرهما فلا بد أن يحمل على المستحق عليه من الثواب والعقاب.

وقوله[3]: «**متابا**» تنبيه على أنه مع التوبة لا بد من انقطاع إلى الله تعالى وطلب مرضاته.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم.

---

(١) ولأنه: لأنه، ل، م؛ أو لأنه، ي.

(٢) له: ـ ، ن.

(٣) وقوله: في قوله، م، ن، ي.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)﴾

القراءة

قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عامر وحفص عن عاصم: «يَلْقَوْنَ» بفتح الياء وسكون اللام[(١)]، واختاره الفراء، قال: لأن العرب تقول: فلان يلقى بالسلام، والباقون: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، واختاره أبو عبيد[(٢)] لقوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

اللغة

الشهادة[(٣)]: مشاهدة بالحس ومنه: الشهادة.

والزور: الكذب، وأصله: المَيْلُ، ومنه: الزوراء، وازْوَرَّ[(٤)] عن الشيء: مال، وقيل: أصله: تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه للباطل بأنه حق.

وخر[(٥)]: سقط.

وقرة عين: أصله القُرُّ، وهو البرد؛ لأن دمع السرور بارد، ودمع الحزن[(٦)] حار.

---

(١) اللام: الياء، ل.

(٢) عبيد: عبيدة، ل، م.

(٣) الشهادة: الشهادة الشهادة، ن، ل.

(٤) الزوراء وازور: الزور، وازور، ن، ل، م.

(٥) وخر: وخير، ل، م.

(٦) الحزن: الحز، ل.

والغرفة: البناء فوق البناء، وجمعه: غرفات.

والعبْء[1]: الثقل، والجمع: أعباء، وأصله: تهيئة الشيء، يقال: عَبَأْتُ الطيب إذا هيأته، وعَبَّأْتُ الجيش بالتشديد والتخفيف هيأته، وسمي الثقل عبْءًا؛ لأنه يهيأ له ما يحمل به، والجمع: أعباء.

واللزام: العذاب الملازم، وأصله من اللزوم، لزم الشيء يلزمه.

الإعراب

«إماماً» نصب بـ«اجعلنا»، ووُحِّدَ لأنه مصدر قولهم: أَمَّ يَؤُمُّ إماماً، نحو: قاموا قياماً، وصاموا صياماً، ومن جمعه فقال: أئمة[2] فلأنه قد كثر في معنى[3] الصفة قالوا أئمة.

دعاؤكم: مصدر أضيف إلى المفعول كقولهم: أعجبني بناء هذه الدار وخياطة هذا الثوب.

المعنى

عاد إلى ذكر المؤمنين[4] فقال تعالى: «وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ» قيل: الشرك وتعظيم الأنداد، عن الضحاك، وقيل: شهادة الزور، عن علي بن أبي طلحة، وقيل: أعياد المشركين، عن مجاهد، وقيل: هو الغناء، عن محمد بن الحنفية، وقيل: الكذب، عن مجاهد، وقيل: مجالس الباطل، عن قتادة، ولا تنافي بين الجميع فيحمل عليها «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» قيل: إذا سمعوا شتم الكفار وأذاهم أعرضوا، عن مجاهد، ومقاتل، وقيل: هي منسوخة بآية القتال، عن السدي، وليس بصحيح. وقيل: إذا مروا[5] بما كان من المشركين[6] من القبائح مروا منكرين معرضين

(١) والعبء: والعبؤ، ن، ل، م.

(٢) فقال أئمة: +، تفسير التبيان ٧/ ٥١٣.

(٣) قد كثر في معنى: كثر ومعنى، ل، م، ن، ي. وما أثبتناه من تفسير التبيان ٧/ ٥١٣، وتفسير مجمع البيان للطبرسي: ٧/ ٢٨١.

(٤) المؤمنين: المؤمن، ي.

(٥) إذا مروا: أراد، ل.

(٦) المشركين: مشركين، ل، م، ن.

عنها[١]، عن ابن زيد، وقيل: إذا مروا بمجالس[٢] اللهو مروا معرضين مسرعين، وقيل: اللغو: المعاصي، وقيل: مروا كراماً لا يرضون بذلك، ولا يختلطون بهم[٣]؛ بل ينكرون، وقيل: معرضين يقال: شاة كريمة إذا كانت تعرض عند الحلب[٤]، فاستعير في الصفح عن الذنب، «**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا**» لم[٥] يسقطوا[٦] **عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**» يعني كأنه أصم لا يسمع، أعمى لا يبصر، لكن[٧] يسمعون ويتدبرون[٨] ويفهمون، يعني ليسوا كالساقط في مكان لا يبالي بما يسمع ويرى؛ بل يسمعون ويلحقهم هزة بذلك، وقيل: لم يخروا ولم يقتروا، عن الفراء، وقيل: خروا صلة، كقوله: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] والمعنى لم يصيروا كذلك، تقول العرب: قعد يتمنى، وقام يخاطبني، والمراد صار كذلك، «**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**» أي: مؤمنين، فتقر أعيانهم، وقيل: كانوا إذا نظروا إليهم مؤمنين سروا، وإذا نظروا إليهم كفاراً[٩] اغتموا[١٠] وحزنوا، فينالوا[١١] من نور[١٢] أعينهم[١٣] بالنظر إليهم، «**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**» أئمة[١٤] يقتدى بنا، قيل: اجعلنا هداة يقتدى بنا، عن ابن عباس، وقيل: من المقلوب، أي: اجعل المتقين[١٥] إماماً لنا لنأتم بهم، عن مجاهد، قيل[١٦] «**لِلْمُتَّقِينَ إماماً**» أي: للمتقين

(١) عنها: عنه، ي.
(٢) بمجالس: مجالس، ل، ن، ي.
(٣) بهم: ـ، ي.
(٤) الحلب: الجلد، ن، م.
(٥) لم: ـ، ن، ل، م.
(٦) بل ينكرون... يسقطوا: ـ، ل.
(٧) لكن: لكي، ل، م، ي.
(٨) ويتدبرون: ويتذكرون، ل، م، ن.
(٩) كفاراً: ـ، ل.
(١٠) اغتموا: اهتموا، ل، م، ن.
(١١) فينالوا: تسألوا، ي.
(١٢) نور: تقر، ل، م.
(١٣) أعينهم: عينهم، ن.
(١٤) أئمة: أي، ن، ل، م.
(١٥) المتقين: للمتقين، ي.
(١٦) قيل: وقيل، ي.

بالإمامة لنأتم بهم، عن أبي مسلم، وقيل: إنه مصدر، أي: اجعلنا ممن يأتم بالمتقين، وإنما طلبوا بهذا[1] الألطاف التي بها يصيرون كذلك «**أُوْلَئِكَ**» مَنْ تقدم ذكرهم «**يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ**» الدرجة العالية في الجنة «**بِمَا صَبَرُوا**» في طاعته وعن معصيته «**وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا**» أي: يستقبلون بالسلام والتحية، تحية قيل: ثناء حسناً وسلاماً من الله، وقيل: من الملائكة، أي تستقبلهم الملائكة بالتحية والسلام[2] إكراماً، وقيل: التحية: الملك والبقاء في النعم[3]، يبشرون بذلك «**خَالِدِينَ**» دائمين «**فِيهَا**[4] **حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**» موضعقرار وإقامة «**قُلْ**» يا محمد لهم «**مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي**» قيل[5]: ما يصنع بكم، وقيل[6]: ما[7] يفعل، عن مجاهد، وابن زيد، وقيل: أَيُّ مقدار لكم، عن أبي عبيدة، من قولهم: ما عبأت به شيئاً، أي: لم أُبَالِ به، وقيل: ما يصنع الله[8] بعذابكم، وقيل[9]: خلقتكم وما بي[10] إليكم من حاجة ولا منفعة، «**لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ**» لم يخلدكم، وقيل: دعاؤكم: عبادتكم إياه في الشدة والنعم، وقيل: لولا إيمانكم وتوحيدكم، عن أبي مسلم، وقيل: لولا[11] دعاؤه إياكم إلى طاعته، عن مجاهد، وأبي علي، وقيل: لا يعبأ بعذابكم لولا شرككم، عن ابن الأنباري، وقيل: لولا عبادتكم إياه ودعاؤه إياكم إليها لما خلقكم؛ لأنه خلقكم لطاعته، وهذا أحسن[12] ما قيل فيه، وروي نحوه عن ابن عباس ومجاهد، ونظيره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقيل: ما يعبأ بمغفرتكم[13] لولا

---

(١) بهذا: بهذه، ل.
(٢) والتحية تحية... والسلام: ـ، ي.
(٣) النعم: النعيم، ل.
(٤) فيها: ـ، ل.
(٥) قيل: ـ، ن، ل.
(٦) قيل: ـ، ي.
(٧) ما: ـ، ن، ل، م.
(٨) الله: ـ، ل.
(٩) وقيل: قيل، ل.
(١٠) وما بي: وما لي، ن، ل، م.
(١١) لولا: ـ، ل، م.
(١٢) أحسن: آخر، ل، م.
(١٣) بمغفرتكم: بمغفرته، ل.

كفركم «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» أيها الكافرون، قيل: خطاب لأهل مكة، وقيل: عام «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا» قيل: تكذيبكم يكون لزاماً، قيل: موتاً، عن ابن عباس، وقيل: قتلاً يوم بدر، عن مجاهد، وقيل: قتالاً، عن ابن زيد، وقيل: هلاكاً، عن أبي عبيدة، وقيل: عذاباً دائماً في الآخرة لازماً لهم بما فعلوا، عن ابن جرير، وأبي علي، وأبي مسلم، وأكثر أهل العلم، وقيل: قتلاً وأسراً يوم بدر، قتل[١] سبعون، وأسر سبعون، عن ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومقاتل، وقيل: فصلاً[٢] أي[٣] يفصل بينكم.

۞ الأحكام

تدل الآيات على وجوب مجانبة مجالس اللغو، وهو كل ما يقبح، وعلى الاختلاط بهم.

ويدل قوله: ﴿إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ على وجوب التدبر في الآيات.

وتدل على أن الولد الصالح نعمة ومرغوب فيه، ويجوز الدعاء به.

وتدل على حسن طلب[٤] الرئاسة في الدين، وذلك يتم بالعمل والعلم.

ويدل قوله: ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ[٥]﴾ أن الغرض بخلقهم دعاؤهم، يعني أنه إنما خلقهم ليكلفهم[٦] لنفعهم؛ إذ لا تجوز عليه المنافع والمضار[٧] .

---

(١) قتل: وقتل، ن، م.
(٢) فصلاً: ـ ، ل.
(٣) أي: ـ ، ل، ي.
(٤) طلب: حال، ل.
(٥) بكم: ـ ، ل.
(٦) ليكلفهم: ـ ، ي.
(٧) والمضار: ـ ، ل.

وقد ورد في نهاية النسخة ي ما لفظه: تم المجلد التاسع من التفسير ويتلوه المجلد العاشر أوله سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، على يد الفقير إلى الله، الراجي لعفو الله وثوابه، موسى بن عبدالله بن موسى، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء والأموات، في اليوم العاشر من شهر رجب، من شهور سنة خمس وثمانين وستمائة سنة، بمدينة صعدة، والحمد لله وحده، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين، وصحابته المنتجبين، وسلم تسليماً كثيراً.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سورة (الشعراء) مائتان وسبع وعشرون آية.

قال القاضي: المروي عن الحسن وعكرمة أنها مكية، وقيل: مكية إلا قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخر السورة.

عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «أعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت (طه) و(الطواسين) من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة».

وعن أنس عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى أعطاني السبع مكان التوراة، والطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي».

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الشعراء) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صَدَّقَ بنوح وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، وعدد من كذب عيسى وصدق بمحمد».

ولما ختم سورة (الفرقان) بالوعيد لهم على ترك الإيمان، وذكر أنه لولا دعاؤهم لم يعبأ بهم، افتتح هذه السورة تسلية للنبي ﷺ أنْ لم يؤمنوا، وألاّ يعبأ بهم، ولا يهلك نفسه في أمرهم، فإن الله تعالى يجازيهم، ثم ذكر قصص الأنبياء تسلية له.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي بكسر الطاء، الباقون بفتحها، وابن كثير أشدهم فتحاً وتفخيماً، ثم عاصم، ثم يعقوب، وكذلك ابن عامر وأهل المدينة بين الفتح والكسر، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. وقرأ أبو جعفر وحمزة بإظهار النون من السين عند الميم، والآخرون بالإدغام، وكذلك في (القصص)، واتفقوا في (النمل) أن النون عند التاء غير مظهرة الإظهار للبيان وهو الأصل، والإدغام للتخفيف.

قراءة العامة: **«خاضعين»**، وعن ابن أبي عبلة: **(خاضعة)**.

اللغة

البَخْعُ: القتل، بَخَعَ الشاة إذا بالغ في ذبحها، وبخع له بالطاعة إذا بالغ فيها، وبخع له بخعة إذا أقر وبالغ فيه، وبخع الواحد نفسه [إذا] نهكها.

والخضوع: الانقياد، و(خضع) لازم ومتعدٍّ، يقال: خَضَعْتُهُ فخضع أي: سَكَّنْتُهُ فسكن، ورجل خُضَعة: يخضع لكل أحد، وأصل الباب: التطامن، أخضع في عنقه: تطامن.

۞ الإعراب

يقال: لِمَ قال: «خاضعين» في الأعناق، وهي مما لا تعقل، ولم يقل: خاضعة، وقال: «فظلت»؟

قلنا: فيه أقوال:

أولها: أراد أصحاب الأعناق فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

وثانيها: أراد بالأعناق الرؤساء.

وثالثها: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر وهو قوله: «هم» على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى مؤنث.

ورابعها: أنها ذكرت بصفة [من] يعقل لما أضيف إليه ما هو متعارف من بني آدم وهو الخضوع كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وخامسها: عبر بالأعناق عن خضع الأبدان، فتقديره: ظلوا خاضعين.

وسادسها: للتفخيم كقول جرير:

أرى مَرَّ السنينَ أَخَذنَ مِنّي ... كَما أَخَذَ السرارُ مِنَ الهِلالِ

وسابعها: لرؤوس الآي.

وثامنها: راعى المعنى وهم الكفار.

وجزم ﴿نُنَزِّلْ﴾ لأنه جواب الشرط وهو قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾.

۞ النزول

قيل: لما كذب أهل مكة رسول الله ﷺ شق ذلك عليه، فأنزل الله سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ الآية.

وعن ابن عباس: نزلت «فظلت» فينا وفي بني أمية، ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم.

۞ المعنى

﴿طسٓمٓ﴾ قيل: اسم للسورة، عن مجاهد، وأبي علي. وقيل: من أسماء القرآن، عن قتادة. وقيل: هو من أسماء الله تعالى، فالطاء: طَوْلُهُ، والسين سناؤه، والميم ملكه، ويروى نحوه عن ابن عباس. وقيل: إشارة إلى أن القرآن من هذه الحروف وبها يتكلمون، فإذا عجزتم عنها عُلِمَ أنه كلام الله تعالى وأنه معجز، عن أبي مسلم. وقيل: إشارة إلى أن كلامه من هذه الحروف فيكون معجزاً، عن أبي بكر الزبيري. وقيل: لما قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن، ابتدأ السورة بهذا ليستمعوا فتعقبه بالحجة عليهم، عن قطرب. «تِلْكَ» يعني هذه السورة، وقيل: هذه الآيات، وقيل: «تِلْكَ» يعني هذه الآية «آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» يعني يبين الحق من الباطل وبلغ البيان كل مبلغ قطع الحجة، والله تعالى هو المبين، وإنما أضاف إلى الكتاب توسعاً؛ لأنه به بَيَّنَ «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» قيل: قاتل نفسك، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: مخرج نفسك من جسدك، عن ابن زيد. يعني مهلك نفسك شفقة عليهم إن لم يؤمنوا فقد أُتُوا في الكفر من جهتهم لا من جهتك، وقد بالغت فيما كان عليك من الأداء والوعظ «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً» قيل: إن يشأ لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد بعده بخلاف أمره، عن ابن جرير. وقيل: ذاك صوت يسمع من السماء، عن أبي حمزة الثمالي. «فَظَلَّتْ» ماضٍ بمعنى المستقبل؛ لأنه جزاء فلا يكون ماضياً «أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ» قيل: معناه لا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية، عن قتادة. وقيل: أعناقهم: رؤساؤهم وساداتهم، عن مجاهد. وقيل: جماعاتهم، يقال: جاء القوم عُنُقاً عُنُقاً أي: طوائف وجماعات، وقيل: إنما خص العنق بالذكر؛ لأن الخضوع والكبر ينسبان إليه، يقال: مد عنقه، والمعنى: ولو شئنا لأجبرناهم على الإيمان ولكن يزول التكليف، وإنما أمرناهم بالإيمان مختارين، وأزحنا علتهم، وأعطيناهم القدرة والآلة فإن لم يؤمنوا فلا يهمنك أمرهم فوباله عليهم «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ» قيل: القرآن، وقيل: وعظ وتذكير «مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ» لم يكن فأوحي إليه «إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ، فَقَدْ كَذَّبُوا» بذلك «فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ» أخبار وعواقب «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» بالنبي ﷺ، وهذا وعيد لهم، ومعنى أنبائه جزاؤه الذي يصل إليهم في الدنيا والآخرة.

ثم بين دلائل التوحيد فقال سبحانه: «**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ**» قيل: لون وصنف «**كَرِيمٍ**» قيل: حسن، وقيل: مُكَرَّمٍ على أهله مَنْفَعَتُهُ، وقيل: ما يأكل الناس والأنعام، عن مجاهد. «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**» حجة على أنه قادر عالم حي قديم إله «**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**» لأنهم لم يتفكروا في ذلك واتبعوا الإلف والعادة والتقليد، وآثروا الحياة الدنيا «**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ**» القادر على ما يشاء من أخذهم والانتقام منهم «**الرَّحِيمُ**» فلا يعاجلهم ويغفر لهم إن تابوا.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن القرآن بنفسه بيان خلاف ما تقوله الحشوية والإمامية، ثم ما فيه على وجوه:

منها: بيان التوحيد والعدل، ففيه بينة على الأدلة ولطف للمكلف، وتأكيد لما في العقول من إثبات الصانع وصفاته وأنه لا يشبه شيئاً.

ومنها: بيان صحة النبوة وبيان المعجز.

ومنها: بيان ما يعلم حكمه بالشرع من الواجبات والحلال والحرام، فذلك مما لا يعرف إلا به. ثم منه ما هو مبين فلا يحتاج إلى بيان، ومنه مجمل ومتشابه يحتاج إلى البيان.

ومنها: القصص والأخبار لما فيه من المواعظ.

ومنها: المواعظ والزواجر.

ومنها: الأمثال والحكم وجميع ذلك لا يخلو من فوائد.

وتدل على أن على الرسول البلاغ فقط، فأما القبول فإليهم.

وتدل على أن الإيمان فعلهم.

وتدل على أنه لو شاء لألجأهم؛ لأنه قادر على إلجائهم، وإنما لم يفعل؛ ليتم التكليف.

وتدل على بطلان الجبر؛ لأنه لا إلجاء أعظم من خلق الكفر فيهم.

ويدل قوله: ﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ﴾ على وعيد عظيم.

ويدل قوله: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم﴾ على حدث القرآن.

ويدل قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ على توحيده ونعمه على خلقه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٧ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾

القراءة

قراءة العامة: «**ألا يتقون**» بالياء على المعاينة، وعن عبيد بن عمير بالتاء، أي: قل لهم ألا تتقون.

قراءة العامة: «**يضيق**»، و«**ينطلق**» بالرفع فيهما رداً على قوله: «**أخاف**»، وقيل: على الابتداء أي: سيضيق، وقرأ يعقوب بنصبهما على معنى وأن يضيق ولا ينطلق، وقيل: أخاف أن يضيق.

قراءة العامة: «**فَعْلَتَكَ**» بفتح الفاء، وعن الشعبي بكسرها، فالفتح على مرة واحدة، فمن كسرها فمعناه هيئة الفعل جلست جِلْسَةً.

اللغة

النداء: الدعاء على طريقة يا فلان، فكأنه تعالى نادى بأن قال: يا موسى، ثم أمره.

والتربية: تنشئة الشيء حالاً بعد حال، رباه يربيه، نظيره نماه ينميه.

والعُمْرُ والعُمُرُ بسكون الميم ورفعها لغتان، وأما في القَسَمِ ففتح العين وجزم الميم لا غير، قال الشاعر:

وَلا بُـدَّ مِـن تَـركِ إِحـدى اِثـنَـتَـيـ ـنِ إِمّـا الـحـيـاة وَإِمّـا الـعُـمُـر

الإعراب

نصب (قوم) بـ(ائت)، وهو بدل من القوم الأول، وقيل: نصب على التفسير.

ومتى قيل: كيف قال: «إِنَّا رَسُولُ» وهما اثنان؟

فجوابنا: فيه وجوه:

أحدها: معناه كل واحد [منا][1] رسول.

وثانيها: أنه مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كأنه ذو رسالة، قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول[2]

أي: برسالة، عن الفراء. وأنشد الأخفش:

إن العواذل ليس لي بأمين

وأراد الأمناء، وذكر أن الرسول يكون في معنى الواحد والاثنين والجمع، يقولون: هؤلاء رسولي، وهذان رسولي، وهذا رسولي، وإلى هذا الوجه ذهب أبو عبيدة.

والواو في قوله: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ﴾ قيل: واو العطف، وقيل: واو الحال، عن أبي مسلم. كأنه قيل: يضيق صدري، فلا ينطلق لساني في تلك الحال.

المعنى

ثم ابتدأ بذكر موسى عليه السلام تسلية له في تكذيب قومه وزجراً لقومه، وإنما كرر قصة موسى في القرآن؛ لأن اليهود كانوا حول المدينة، وكثيراً ما دخلوا على النبي

---

(١) منا: زيادة من تفسير التبيان ٨/ ١٠.

(٢) البيت قائله كثير عزة في قصيدة مطلعها: ألا حييا ليلى أبي رحيلي، أنظر ديوان كثير عزة.

وجادلوه، فقال سبحانه: «**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ**» أي: دعا الله «**مُوسَى**» وذلك حين أتى الطُّورَ لما رأى ناراً في تلك الليلة التي كان انصرف من مدين قاصداً مصر «**أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**» يعني قوم فرعون، قيل: ظلموا أنفسهم بالكفر، وقيل: ظلموا بني إسرائيل بالاستعباد والقتل «**قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ**» قيل: معناه هلا اتقوا الكفر والمعاصي، وقيل: هو استفهام وأراد به التوبيخ، وقيل: هو تعجيب إذ تركوا الإيمان مع كثرة الشواهد، وقيل: معناه أنهم لا يتقون فَأْتِهِمْ وادعهم ليتقوا «**قَالَ**» موسى «**رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، وَيَضِيقُ صَدْرِي**» بتكذيبهم «**وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي**» في تلك الحال أي: لا ينبعث الكلام والتبليغ للعقدة التي فيه، وقيل: معناه يضيق صدري ولا ينطلق لساني في تلك الحال، وقيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: إني أخاف أن يكذبون ولا ينطلق لساني، فيضيق صدري في تلك الحال، وقيل: أراد إذا سمعت المحال في الدين يضيق صدري، وقيل: خاف التقصير فأبلى العذر قبله «**فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ**» يعينني ويؤازرني في التبليغ، وقيل: معنى (إلى) معنى (مع)، كقوله: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الصف: ١٤] أي: مع الله، قيل: وطلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة «**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ**» قيل: دعوى ذنب وهو قتل القبطي، عن مجاهد. «**فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**» به «**قَالَ**» الله تعالى «**كَلاَّ**» يعني لا يكون كما ظننت، ولا يقتلونك وأنت آمن «**فَاذْهَبَا**» يعني موسى وهارون «**بِآيَاتِنَا**» بحججنا «**إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**» سماع من يعينك ويحفظك، قيل: سامعون لما تقولون وما يجيب أولئك، وأراد تقوية قلبيهما، وقيل: معناه إنا مستمعون، وقيل: (مستمعون) جاز من وجهين: أحدهما: من جهة الجمع، وإنما ذكر للتفخيم، والثاني: أن مستمعاً بمعنى سامع؛ لأن الاستماع طلب السماع «**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» وقد بينا معنى رسول «**أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**» ولا تستعبدهم ولا تقتلهم، قيل: كان استعبدهم أربعمائة سنة، وقيل: أَقَلَّ، وفي الكلام حذف كأنه قال: فانطلقا إلى فرعون بمصر، وبلَّغا الرسالة فـ«**قَالَ**» يعني فرعون لموسى عليه السلام «**أَلَمْ نُرَبِّكَ**»، فقيل: بقيا على بابه سنة حتى أذن لهما وأديا الرسالة، فلما نظر إلى موسى عرفه، فقال له على وجه الاستفهام: «**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا**» يعني ألست الذي ربيناك وأنت صبي صغير قيل: قاله إظهاراً لنعمته عليه، وقيل: بل قاله إنكاراً لرسالته، وقيل: يحتمل أنه سأله ليعلم أهو هو على الحقيقة أم لا «**وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**» قيل: ثلاثون سنة «**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ**» يعني قتل

القبطي «**وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**» قيل: من الكافرين بالدين الذي نحن عليه فتعيبه، عن الحسن، والسدي. وقيل: من الكافرين لنعمتي وحق تربيتي، عن ابن عباس، وابن زيد، وأبي علي. وقيل: يحتمل أنه اتبع في تسمية موسى بالكفر كلاماً سمعه من موسى في تكفيره وتكفير قومه فرماه به «**قَالَ**» موسى «**فَعَلْتُهَا إِذًا**» يعني قتل القبطي «**وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ**» من السنن والوحي والشرع، فلم أهتد إلى شيء من ذلك، وقيل: من الضالين عن طريق الصواب، وقيل: عن العلم أن ذلك يؤدي إلى قتله، عن أبي علي. يعني من غير قصد في قتله، كمن يرمي طائراً فيصيب إنساناً، وقيل: فعلتها وأنا من الجاهلين، ويروى أنه كذلك في حرف ابن مسعود، وقيل: من المخطئين، وقيل: من الناسين، كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ أن الغرض بالإرسال أن يتقوا، دل أنه أراد ذلك وإن لم يفعلوا.

وتدل الآيات على جواز الخوف على الأنبياء.

وتدل على حسن طلب المعونة مع العصمة.

ومتى قيل: أليس يجب تبقيته إلى أن يؤدي، فكيف خاف القتل؟ فإن قلتم لم يعلم هو فلا يجوز؛ لأنه من أَجَلِّ المسائل، وإن قلتم عَلِمَ فهو إغراء. وقوله: ﴿فَأَرْسِلْ(١) إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ كأنه استعفاء من الرسالة، وذلك لا يجوز؟

قلنا: أما الأول فعند البغدادية كلفه بشرط التبقية فلا يكون فيه إغراء، فأما عند مشايخنا البصرية فلا يصح التكليف بشرط، ولكن إذا أرسله فلا بد من تبقيته حتى يؤدي، ولا بد أن يعلم النبي ذلك، ولكن لا يكون إغراء؛ لأنه تعالى علم من حالهم أنهم لا يعصونه بخلاف غيرهم.

ومتى قيل: إذا علم التبقية فلم خاف القتل بعد أداء الرسالة؟

---

(١) فأرسل: أرسل، ن.

والجواب عن الثاني: أنه طلب تقوية لنفسه وليكون الوصول إلى البغية أقرب، ويكون أقوى على الأداء، فأما الاستعفاء فلا يجوز البتة على الأنبياء، ولا بد أن يكون مأذوناً له في السؤال من جهته تعالى، وإذا أذن لا بد أن يجيب، ولأنه تعالى يعلم المصالح فلا بد في السؤال أن يكون صادراً عن أمر.

ومتى قيل: لم قال: «**اذهب أنت**»، ثم قال: «**اذهبا**»؟

قلنا: أَجْمَلَ في الأول وفَصَّلَ في الثاني.

ويدل قوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ أن في الذنوب ما يبقى وهو الكبائر وبعض الصغائر.

وتدل على أنه تعالى وعدهم النصرة والمعونة فأيدهما بالمعجزة والدلالة وأمنهما من الخوف والمضرة، وكل ذلك يدل على أن الواجب العصمة حتى يؤدي الرسالة.

ويدل قوله: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ على تقصير منه في قتل القبطي، فيحتمل أنه لم يكن بذلك عاصياً، وفعل ذلك على ظن أنه لا يأتي على النفس، وقد بينا ما قيل فيه، ولا يصح حمله على الضلال في الدين؛ لأن ذلك لا يجوز على الأنبياء؛ لأنه يقطع الولاية، ويوجب اللعن والعقوبة والعداوة، فلا يجوز على الأنبياء.

وتدل أن التقرير والإيمان والكفر والضلال فِعْلُ العبد.

قوله تعالى:

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

۞ اللغة

الفرار والهرب من النظائر، والهبة والصلة والعطية من النظائر، وَهَبَ فهو واهب، والهبة: عقد جائز في الشرع صحتها بالإيجاب والقبول بالاتفاق، ثم اختلفوا فقيل: بالقبض والتسليم عند أكثر الفقهاء، وقال الهادي: تصح من غير قبض، فلا يجوز في المشاع فيما ينقسم عند أهل العراق، وقال الشافعي: تصح.

والتعبيد: اتخاذ الإنسان عبداً، يقال: عَبَّدْتُهُ وأَعْبَدْتُهُ.

والمجنون: الذي غطت العلة عقله، وأصله الستر، ومنه: جَنَّهُ الليل: سَتَرَهُ، ومنه الجن والجِنة والجَنة والجَنَان.

والمبين: المستبين، أبان الشيءُ يَبِينُ إبانة إذا استبان، وأصل الباب: القطع، ومنه البَيْن والبَيِّن.

۞ الإعراب

«في: «أن عبدت» وجهان: النصب بنزع الخافض أي: بتعبيدك أو لتعبيدك، والثاني: الرفع على البدل من النعمة، تقديره: وتلك نعمة تعبيدك.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى تمام جواب موسى وما جرى بينه وبين فرعون، فقال سبحانه: «**فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ**» إلى مدين «**لَمَّا خِفْتُكُمْ**» على نفسي من القتل بالقبطي، وقيل: خفتكم لِمَا ظهر مني من مخالفتكم في الدين وإعانتي بني إسرائيل، واختلفوا، فقيل: لم يكن عليه قصاص؛ لأنه مخطئ، وقيل: لأنه مباح الدم، وقيل: القصاص أمر شرعي؛ ولم يكن ثَمَّ شرع، وإنما خاف منهم الظلم والتعدي، أي: خفت ظلمكم «**فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا**» قيل: علماً وفهماً؛ وهو الأولى؛ لأنه عطفه على الرسالة، وقيل: نبوة «**وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**» أي: من جملة الأنبياء «**وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اعتراف بالنعمة من موسى.

وثانيها: أنه إنكار للنعمة.

وثالثها: أنه سؤال نعمة.

فمن قال بالأول اختلفوا، فقيل: معناه بلى، تلك نعمة منك عليّ إذ ربيتني، ولم تقتلني كما قتلت غلمان بني إسرائيل [ولم تستعبدني] كما استعبدتهم، عن الفراء وجماعة. وقيل: معناه بل هي نعمة لك عَلَيَّ، غير أن اتخاذك بني إسرائيل عبيداً وما فعلت بهم أحبط ذلك، وقيل: معناه تمن عليّ بهذه النعم أنك ربيتني، وتنسى إساءتك إلى قومي في جنايتك عليهم.

ومن قال بالثاني اختلفوا، فقيل: تقديره: أوتلك نعمة؟ فهو استفهام والمراد الإنكار، فحذف حرف الاستفهام، وذلك شائع كقوله تعالى: ﴿فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وكقول الشاعر:

وقَوْلَها والركابُ سائرةٌ ... تَتْرُكُني هكذا وتَنْطَلِقُ

وهو قول مجاهد، واختيار أبي علي. ثم اختلف هؤلاء في معنى الآية، فقيل: بأن ظلمتهم ولم تظلمني تَعُدُّ ذلك نعمة عليّ؟ وقيل: لا منّة لك؛ لأن الذي تولى تربيتي أمي وغيرها من بني إسرائيل، عن أبي علي. وقيل: أخذت مال بني إسرائيل واتخذتهم عبيداً، وأنفقت عليّ من مالهم فلا منّة لك عليّ، عن الحسن. وقيل: لولا قتلك بني إسرائيل واستعبادك لرباني أبواي؛ فأي نعمة لك عليّ؟ وقيل: كيف تكون تربيتك نعمة مع ما فعلت بقومي؟ ومن أهين قومه ذل، فلا منة لك عليّ، وقيل: إنك عَبَّدْتَ بني إسرائيل وقتلت أبناءهم فلا منّة عليّ، وطلبتني لتقتلني فرباني الله في حجرك غماً لك، ولو علمتني لقتلتني فضلاً عن أن تربيني فلله المنّة دونك، والأولى أن ذلك إنكار لأن كلام موسى كلام راد لا كلام معترف.

وأما الثالثة: فقوله: «أرسل» فإنه سلك طريقة أخرى فذكر أن موسى قال: أرسل معي بني إسرائيل، وتلك نعمة لك عندي تمنّ بها عليّ؛ لأنك قد استعبدتهم، فإذا أطلقتهم فقد اتخذت عندي يداً، وكان لموسى مع تبليغه الرسالة حرص في أمر بني إسرائيل وتخليصهم؛ لأنهم قومه وشيعته «عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أي: اتخذتهم عبيداً

تستخدمهم، فلما سمع فرعون موسى ودعاه إلى الله تعالى وعبادته «**قَالَ [فِرْعَوْنُ] وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**» وهذا السؤال يحتمل ثلاثة أوجه:

أولها: أن يكون عارفاً بالله وأنه الخالق الرازق، فيكون سؤاله تلبيساً على الخلق، كأنه يقول: لا أعلم الذي تدعو إليه فإلام تدعو.

وثانيها: أن يكون قائلاً بقدم العالم والطبائع منكراً للصانع؛ لأنه ومن حوله علموا يقيناً أنه لم يخلق شيئاً من السماوات والأرض والخلق.

وثالثها: أن يكون سأله عن كيفيته وماهيته وجنسه جهلاً منه، فذكر موسى عليه السلام بأقصى ما يمكن، ولم يعول على صورة ولا على بيان كيفية؛ بل دله بأفعاله فـ«**قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» أي: خالقهما «**وَمَا بَيْنَهُمَا**» من الخلق «**إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ**» قيل: موقنين أنه خلقها، عن الكلبي. وقيل: كانوا عارفين معاندين متعنتين، وقيل: معناه إن كنتم موقنين أنه لا بد لهما من مُحْدِثٍ، وعلمتم أنكم لم تحدثوهما، وقيل: معناه إن كنتم تريدون اليقين فهو ما أخبرتكم، عن أبي مسلم. «**قَالَ**» فرعون «**لِمَنْ حَوْلَهُ**» من أشراف قومه، وقيل: كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة «**أَلاَ تَسْتَمِعُونَ**» ما يقوله، تعجيباً لهم من قول موسى، وقيل: إنما قال ذلك يعني أسأله عن ماهية[1] رب العالمين، وهو يجيب عن أفعاله؛ لأنه لم يعلم أنه تعالى لا يُدْرَكُ بالحواس، ولا هو جنس يشار إليه، وإنما يُعْرَفُ بأفعاله، فـ«**قَالَ**» موسى عليه السلام «**رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ**» يعني خالق الجميع، وإنما ذكر ذلك لزوماً للحجة؛ لأنهم علموا ضرورة أنهم وُجِدُوا بعد أن لم يكونوا في بطون الأمهات، وتنقلت بهم الأحوال فلا بد من صانع، فلما قامت الحجة عدل إلى التمويه فـ «**قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**» سماه رسولاً استهزاءً، ووصفه بالجنون تمويهاً وتلبيساً، وقيل: قال: إنه لمجنون لا يفهم ما يقوله ولا يُفْهِمُنا، وقيل: قال: إنه لمجنون، وإلا فهم علموا يقيناً أنه ليس بمجنون، فزاد موسى في البيان و«**قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**» يعني العقل يشهد بصحة ما أقول، فإن كنتم عقلتم فتدبروا لتعرفوا، وقيل:

---

(١) ماهية: ما نبه، ن. والصواب ما أثبتناه من تفسير التبيان ٨/ ١٤.

معناه إن كنتم تعقلون معنى كلامي وما أستدل به، فلما انقطعوا عدل إلى الوعيد والنكير فـ«**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**» أي: من المحبوسين، قال الكلبي: وكان سجنه أشد من القتل، كان يطرحه في مكان وحده لا يسمع ولا يبصر، فأجاب موسى «**أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ**» أي: بمعجزة تبين صدق قولي، وقيل: تبين الحق من الباطل، وقيل: قال أتخوفني بالسجن ومعي المعجزات الظاهرة الباهرة تدل على أني رسول؟ وأراد أنه لا يتمكن من ذلك مع كونه رسولاً، وقيل: معناه أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي: لا تفعله؟

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن فراره كان قبل النبوة، وأن نبوته كانت بعد خروجه من مصر، وأن الوكزة لم تكن في حال النبوة.

ويدل قوله: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي﴾ أي علماً على أن العلوم من جهته تعالى؛ لأنه إما أن يكون ضرورياً، فهو خالقه لا يقدر عليه أحد، أو كان مكتسباً فإنما يحصل إذا نصب الأدلة، وأعطى العقل، ونبه على الاستدلال، وإن كان شرعاً فبوحيه يحصل، فإذاً جميع العلوم منه.

وتدل الآيات أنه تعالى يُعْرَفُ بأفعاله لذلك؛ اقتصر في الجواب عليه ولم يعدل عنه.

وتدل على نفي التشبيه؛ إذ لو كان جسماً لشبهه شيء [و] لكان يشير إليه.

وتدل على أن فرعون كان يدعو قومه إلى أن يتخذوه إلهاً يعبدونه، وقيل: كان يأمرهم بعبادته وبعبادة الأصنام بنصبها، ويقول: أنا ربكم الأعلى.

وتدل على أن من أطاع غيره واتبعه ودِينَهُ من غير إذن الله أنه يكون بمنزلة مَنْ اتخذه إلهاً؛ إذ المعلوم أنهم علموا أن فرعون ليس بخالق الخلق، وإنما اتخذوه إلهاً على هذا الوجه، فكانوا يحلون ما أحل، ويحرمون ما حرم، ويتبعونه فيما أمرهم،

وهذا كما قال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وتدل على أن الاعتراف بالنبوة إنما يلزم بعد المعجز لذلك قال: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾.

قوله تعالى:

﴿قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم وحمزة: «أَرْجِهْ» بغير همز وجزم الهاء، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بالهمز وضم الهاء من غير إشباع، وقرأ ابن كثير بإشباع الهاء، وقرأ أبو جعفر ونافع والكسائي يشبعان كسرة الهاء، وأبو جعفر لا يشبعها.

«أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا» قرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص عن عاصم بكسر الألف على لفظ الخبر، وقرأ أبو عمرو مهموزة ممدودة، وقرأ يعقوب بهمزة غير ممدودة، وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بهمزتين.

اللغة

الثعبان: الحية العظيمة، وأصله من السعة، ومنه المَثْعَبُ المجرى الواسع، وانثعب الماء انثعاباً إذا جرى باتساع، وسمي ثعباناً؛ لأنه يجري باتساع لعظمه.

والنزع: إخراج الشيء عما كان متصلاً به، نزع يَنْزِعُ نزعاً.

والإرجاء: التأخير، أرجأت الأمر: أخرته، ومنه المرجئة؛ لأنهم قالوا بتأخير حكم الفساق في لزوم العقاب.

والحشر: الجمع من الجهات، حشر فهو حاشر.

والمقرب: المُدنى من مجلس الكرامة، وأصله القرب، قربه تقريباً.

۞ الإعراب

«أرجه» إذا همزت فتقديره: أرجعه فلا يجوز كسر الهاء؛ لأنها تكسر لكسر ما قبلها، تقول: برزت به، فإذا انفتح ما قبله أو انضم فلا يجوز الكسر، يقال: هذا غُلامُهُ، رأيت غُلامَهُ، فتضمر هاء الكناية؛ لأن ما قبلها مضموم أو مفتوح، فإذا لم تهمز فيجوز؛ لأن ما قبله وهو الجيم مكسورة، ويجوز كسرها إذا كان ما قبلها لم يهمز بالجر [مثل]: عليه ولديه.

«**يأتوك**» جزم؛ لأنها جواب الأمر، تقديره: فابعث يأتوك، وهو بمنزلة الجزاء كأنه قيل: إن تبعث يأتوك.

«**الغالبين**» نصب؛ لأنه خبر (كان)، و(هم) صلة، والمعنى: (**كانوا الغالبين**)، والضمير في (**كانوا**) اسم (كان).

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما أتى به موسى من المعجزة، فقال سبحانه: «**قَالَ**» يعني فرعون لموسى «**فَأْتِ بِهِ**» يعني بالشيء المبين إن كنت صادقاً، قيل: قاله تجربة، وقيل: بل استهزاءً، عن أبي مسلم. وقيل: قال: لا أَسْجِنُكَ إن جئت بما قلت «**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ**» حية عظيمة «**مُبِينٌ**» ظاهر أمره في الحجة والدلالة على النبوة، وذلك لأن فيه دليلاً من وجهين:

أحدهما: على الله تعالى؛ إذ لا يقدر العباد على مثله.

وثانيهما: معجزة لموسى حيث كان ذلك عقيب دعوته بحسب إرادته.

وقيل: غرزت بذنبها ورفعت برأسها إلى السماء نحو الميل، ثم انحطت فجعلت

رأس فرعون بين نابيها، وجعل يقول: مرني بأمرك مرني بما شئت، فناداه فرعون بالذي أرسلك لَمَا أخذتها، فأخذها فعادت عصا كما كان، عن ابن عباس. فقال: هل غيرها؟ «**وَنَزَعَ**[1] **يَدَهُ**» قيل: حسر عن ذراعه، وقيل: أخرجها من جيبه، وقيل: من اللباس الذي عليه «**فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**» قيل: كانت بيضاء نورها كالشمس في إشراقها، فلما رأى ذلك موه على أهل المجلس فـ«**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ**» وهم أشراف الناس «**إِنَّ هَذَا**» يعني موسى «**لَسَاحِرٌ**» مموه «**عَلِيمٌ**» بالسحر «**يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ**» أيها الملأ «**مِنْ أَرْضِكُمْ**» قيل: يريد أن يخرجكم ويتغلب على ملككم ونعمكم، وقيل: يخرج بني إسرائيل قهراً وهم عبيدكم «**بِسِحْرِهِ**» قيل: بوقوع العداوة بينكم، فيحارب بعضكم بعضاً، عن أبي علي. وقيل: بحيلته، وإنما قال: يخرجكم؛ لأن الجلاء من أشد المحن خصوصاً لأصحاب النعم والملك، فأوهم قومه أن موسى جاء بحيلة لطلب الرئاسة «**فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**» في تأديبه[2]، وأراد أن يغري أهل مملكته به، ولو آمنوا لأمنوا ولأقرهم موسى على ما كانوا عليه من النعمة.

ومتى قيل: كيف يشاور مَنْ يدعي أنه إلهٌ قَوْمَهُ في أمر نفسه وفيما يريد؟

قلنا: ذهب عليهم ذلك، كما ذهب عليهم أنه جسم مؤلف محتاج، واعتقدوا أنه إله، وقيل: دهاهم أمر عظيم فتحيروا ونسوا ما كانوا عليه، وقيل: كان يدعي أنه إله زمانه لا أنه الخالق.

ومتى قيل: كيف ذهب عنهم أمر موسى مع ظهور معجزاته؟

قلنا: موه عليهم أنه سحر، والقوم كانوا جهالاً، لم يفرقوا بين المعجزة والشعبذة.

«**قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ**» أي: أخره وأخاه معه هارون، لا تُحْدِثْ في أمرهما شيئاً حتى يأتي السحرة، وقيل: حبسهما.

ومتى قيل: لم أشاروا بالتأخير أو الحبس دون القتل؟

---

(١) ونزع: فتزع، ن.

(٢) في تأديبه: في بابه، ن. وما أثبتناه من تفسير التبيان ٨/ ١٧.

فجوابنا: قيل: رأوا الناس اقتدوا به، وقَدَّرُوا أن السحرة يغلبونه، فتزول تلك الفتنة ولعلها لا تزول بالقتل، وقيل: ليبين عذره في قتله للناس ظاهراً، وقيل: علموا أنه لا يمكنهم قتله.

«**وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**» أي: في مدائن ملكه جامعين للسحرة «**يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ**» قيل: اجتمع ثمانون ألفاً، وقيل: سبعة عشر ألفاً، وقيل: اثنا عشر ألفاً «**فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ**» أي: لوقت «**يَوْمٍ مَعْلُومٍ**» وهو يوم الزينة، وقيل: كان يوم السبت ويوم النيروز، عن ابن عباس. وقيل: كان اجتماعهم بالإسكندرية، عن ابن زيد. «**وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ**» قيل: لننظر إلى ما يفعله الفريقان، ولِمَنْ تكون الغلبة، وقيل: ليعينوا السحرة إن استعانوا بهم «**لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ**» لموسى، قيل: أرادوا نتبع السحرة الذين جاء بهم فرعون، وقيل: أرادوا بالسحرة موسى وهارون ومن معهما، وإنما قالوه استهزاءً «**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**» يعني أتعطينا أجراً إن غلبنا هؤلاء، فطلبوا منه جُعْلاً، فأجابهم فرعون فـ«**قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**» يعني بزيادة تقريب.

۞ الأحكام

تدل الآيات على معجزات لموسى.

وتدل أن الله تعالى كان أخبره أنه متى ألقاه بحضرة فرعون يصيره ثعباناً لذلك قال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ ولذلك ألقى، وكذلك اليد البيضاء لذلك قطع عليه، وقيل: إن فرعون وقومه لما رأوا ذلك خروا على وجوههم لذلك النور، وقيل: إن فرعون انقطع عن الحجة، فموه على قومه بأنه ساحر يريد الملك والمال وإخراجهم، وأراد إغراء العامة به، وهكذا فِعْلُ كل مبطل إذا أعيتهم الشبه عدلوا إلى إغراء العامة بأهل الحق.

وقوله: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ من أدل الدليل على عجزه، والعجب من قوم رأوا تلك المعجزات، ثم يتبعوا مثل هذه التمويهات.

وتدل أن ما قالوه وهذه التمويهات فعلهم؛ إذ لا يجوز على الله تعالى أن يخلقه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

القراءة

قرأ حفص عن عاصم: «**تَلْقَفُ**» بسكون اللام خفيفة القاف، وقرأ الباقون مفتوحة اللام مشددة القاف.

اللغة

التلقف: تناول الشيء بالفم بسرعة، تَلَقَّفَ تَلَقُّفاً.

والطمع والأمل والرجاء من النظائر، وهو طلب النفس بحيث يقوى عندها كونه.

والغفران: ستر الذنب بما به يصير كأنه لم يقع.

والاستغفار: طلب المغفرة.

الإعراب

«**لنحن**» اسم مبتدأ و«**الغالبون**» خبره، والابتدا والخبر خبر (إن).

«**لا ضير**» نصب على النفي، ضَارَ يَضِيرُ ضيراً فهو ضائر، والرجل يضر.

«**خطايانا**» فعائل واحدها خطيئة ففيها همزة وحذف همزة بدل الياء كما يحذف في لَفِيئَة ولَفَايا فاجتمعت همزتان؛ لأنه خطائِئُ نحو لَفَائِئ، فلما ثقل ذلك أبدلوا مكان الهمزة الأخيرة ياء، وفتحت الهمزة التي قبلها فانقلبت الياء الأخيرة ألفاً فصار خطايا.

۞ المعنى

ثم بيّن تعالى ما جرى بينهم عند الموعد، فقال سبحانه: «**قَالَ لَهُمْ مُوسَى**» وفي الكلام حذف يدل عليه باقي الكلام، كأنه قال: فلما اجتمعوا، وهذا من عجيب نظم القرآن «**أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ**» ليس هذا بِأَمْرٍ، وإنما هو تَحَدٍّ، تقديره: إن كان حقاً كما تقولون فألقوا، وقيل: قاله تهاوناً، وقيل: أراد ألقوا ليظهر الحق «**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ**» وقد صيروها بالألوان وجعلوا الزئبق في وسطها يوهمون أنها حيات وثعابين «**وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ**» فحلفوا أنهم يغلبون موسى، ولما رأى ذلك موسى ألقى عصاه فصار ثعباناً وفتح فاه «**فَإِذَا هِيَ**» يعني الثعبان «**تَلْقَفُ**» أي: تبتلع «**مَا يَأْفِكُونَ**» يعني ما يوهمون به الانقلاب زوراً وبطلاناً، وهي العصي والحبال «**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**» قيل: سجدوا خاضعين.

ومتى قيل: ما الذي ألقاهم ساجدين؟

فجوابنا: قيل: الحق الذي عرفوه بالحجة التي بهرتهم دعاهم إلى أن يسجدوا، فكأنها هي ألقتهم، وقيل: ألقوا أنفسهم ساجدين لما عرفوه من الحق.

ومتى قيل: لم سماهم سحرة في هذا الوقت؟

فجوابنا: قيل: تعريفاً، وقيل: علم السحر لا ينافي الإيمان، وإنما ينافيه اعتقاد صحته وفعله، ولعل كثيراً من المسلمين يعرفون وجوه الحيل في ذلك.

«**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**» وأضافوه إليهما؛ لأنهم دعوا إليه، وأخلصا له العبادة، والناس يعتقدون ربوبية فرعون، فعند ذلك «**قَالَ**» فرعون «**آمَنْتُمْ لَهُ**» يحتمل الله تعالى ويحتمل لموسى «**قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ**» يعني موسى «**لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ**» تمويه آخر «**فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**» تهديد لهم «**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ**» يعني قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى «**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ، قَالُوا لَا ضَيْرَ**» أي: لا ضرر علينا وإن فعلت ذلك «**إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**» أي: في جنب ما نصير إليه من رحمة الله ومغفرته «**إِنَّا نَطْمَعُ**» نرجو «**أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ**» أي: أول المؤمنين من أهل زماننا وفي هذا المجمع، وقيل: أول المؤمنين بآيات

موسى ممن يعمل السحر، قيل: فقتلهم فرعون عن آخرهم، فأصبحوا كفاراً وأمسوا شهداء، وقيل: لم يَصِلْ فرعون إلى قتل واحد منهم، عن الحسن.

۞ الأحكام

تدل الآيات على حسن إظهار الحق مع خوف القتل.

وتدل على صحة إيمان أولئك السحرة؛ حيث آمنوا، ولم يتعاظم عندهم وعيد فرعون حتى قالوا: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ [طه: ٧٢] وإن أحدكم ليصحب القرآن ستين سنة، ثم إنه يبيع دينه بثمن قليل.

وتدل على وجوب الانقياد عند ظهور الحق، وذلك طريقة من غرضه الدين. ويروى أن واصل بن عطاء ناظر عمرو بن عبيد في المنزلة بين المنزلتين، فقال عمرو بين يدي الجماعة: ليس بيني وبين الحق عداوة، أشهدوا عليّ أني قبلت قول أبي حذيفة، وذلك يدل على دين عظيم.

وتدل أن تلك الأفاعيل فِعْلُهُمْ، وأن السحر والإيمان كان منهم، والوعيد من فرعون، وكل ذلك يبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

القراءة

في «أَسْرِ» قراءتان: بقطع الألف ووصله، فمن وصل فالألف زائدة، وهو من سرى يسري، وهو لازم تعدى بالياء، ومن قطع فهو من أسرى يُسْرِي إسراءً فالباء زائدة.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**حذرون**» بغير ألف، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: «**حاذرون**» بالألف، وهو قراءة ابن مسعود وابن عباس والنخعي والأسود بن يزيد وعبيد بن عمير والضحاك واختيار أبي عبيد، وهما لغتان، قيل: بمعنى واحد، وقيل: بينهما فرق، ثم اختلفوا، فقيل: الحاذر: فاعل الحذر، والحَذِرُ: المطبوع على الحذر، وقيل: الحاذر الشاكي في السلاح، وحَذِرٌ: متيقظ، وقيل: كان الحاذر الذي يحذرك، والحذر المخلوق حذراً لا تلقاه إلا حذراً، عن الفراء. والحَذَرُ: اجتناب الشر خوفاً منه، حذر حذراً فهو حَذِرٌ وحاذر، واتفق القراء على الذال المعجمة، وعن شميط بن عجلان: حادرون بالدال غير معجمة والألف، قال الفراء: يعني عظاماً من كثرة الأسلحة، والحادر الممتلئ لحماً القصير، ومنه المرأة الحدراء.

وقرأ زيد عن يعقوب: «**فاتَّبَعُوهم**» موصولة الألف مشددة التاء مثل قراءة الحسن، والقراء كلهم على قطع الألف وسكون التاء من أتبع يُتْبِعُ.

وقرأ الأعمش وحمزة ونصير عن الكسائي: «**تَرِيئا الجمعان**» بكسر الراء، والباقون بفتحها.

قراءة العامة: «**لمدركون**» بالتخفيف، وعن الأعرج وعبيد بن عمير: «**لَمُدَّرِكون**» بتشديد الدال.

اللغة

المدائن: جمع، واحدها مدينة، والمدينة والكورة والمصر نظائر.

والحشر: الجمع، ومنه: المحشر والحاشر.

والشرذمة: البقية من الناس، وشرذمة كل شيء بَقِيَّتُهُ.

والإدراك: اللحوق، ومنه: أدرك قتادة الحسن، وأدركته ببصري، وأدركت الثمرة، وأدرك الغلامُ.

الطَّوْدُ: الجبل، وجمعه أطواد.

والإسراء: سير الليل، وكذلك السرى، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١]، وقالوا: عند الصباح يَحْمَدُ القوم السرى، قال الشاعر:

إِنَّى سَرَيْتِ وكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ وتُقَرِّبُ الأحكامُ غَيَرَ قَرِيبِ

والكنز: المال المخبأ في الأرض، وفي الشرع: اسم لمال لا تؤدى زكاته، وعليه حمل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، ورووا عن النبي ﷺ: «كل مال أدي زكاته فليس بكنز».

وغاظ يغيظ غيظاً إذا أغضب.

وأشرق: دخل في وقت إشراق الشمس.

والزُّلْفَةُ: القربة، وأزلفنا قربنا، وقيل: جمعنا، وأصله الجمع، وليلة المزدلفة أخذت؛ لأنها ليلة جمع، عن أبي عبيدة.

والعيون: جمع عين، وهو عين الماء، وهو فُعُولٌ بضم العين، ومنهم من يقرأ بكسر العين؛ لأن بعدها ياء وذلك نحو: بُيُوت وبِيُوت إلا أن القراءة بالضم.

۞ الإعراب

(شرذمة قليلون) ولم يقل: قليلة؛ لأن تقديره: هؤلاء شرذمة هؤلاء قليلون، وقيل: يقال: هم قليل، وهم قليلون، وقيل: أراد كل طائفة منهم قليلة، فلما جمع قال: «**قليلون**».

«مشرقين» نصب على الظرف، يعني اتبعوهم في ذلك الوقت، كقولهم: اتبعوهم صباحاً.

«تراءى» تقديره: تراعى: تَفَاعَلَ من رأيت كقولهم: فلما تخاصم الجمعان، إلا أن الياء التي في رأيت انقلبت ألفاً لانفتاح ما قبلها.

المعنى

ثم بين تعالى ما جرى بين موسى وفرعون بعد المحاربة حتى هلك فرعون، فقال سبحانه: «**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى**» قيل: أمرناه بالوحي، وقيل: أعلمناه، والوحي: إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى «**أَنْ أَسْرِ**» أي: سيرهم ليلاً «**بِعِبَادِي**» يعني بني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه تشريفاً «**إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ**» يتبعكم فرعون وقومه، فلما علم فرعون بخروجهم أرسل الشرط «**فِي الْمَدَائِنِ**» أي: مدائن مملكته «**حَاشِرِينَ**» أي: جامعين لتجمع الناس لمحاربة موسى وأتباعه، فلما اجتمعوا إليه قال لهم: «**إِنَّ هَؤُلَاءِ**» يعني بني إسرائيل «**لَشِرْذِمَةٌ**» عصبة وجماعة «**قَلِيلُونَ**» قيل: كانت الشرذمة ستمائة ألف وسبعين ألفاً، عن ابن مسعود. وعن عمرو بن ميمون: كان أصحاب موسى ستمائة ألف «**وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ**» يعني يقولون ما يغضبوننا [به]، وهو قولهم: إن لفرعون إلهاً يجب عليه أن يعبده، وقيل: أعداء لمخالفتهم لنا في المدائن وذهابهم بأموالنا «**وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ**» أي: حذرون حذرنا بالاستعداد بالسلاح والتحرز، «**فَأَخْرَجْنَاهُمْ**» يعني آل فرعون «**مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ**» وقيل: سماها كنوزاً؛ لأنها لم تنفق في طاعة الله، عن مجاهد. وقيل: الأموال المخبأة تحت الأرض «**وَمَقَامٍ**» مجلس «**كَرِيمٍ**» حسن من يأته يكرم، قيل: هو مجالس الملوك والرؤساء من قومه، وقيل: المنابر، وقيل: خرج فرعون ليهلكهم، وقيل: خرج ليردهم إلى خدمته كما كانوا.

ومتى قيل: لم قال: «**أخرجناهم**» والخروج فعلهم؟

قلنا: أراد إخراجهم من أموالهم ليورثها بني إسرائيل لا خروجهم الذي هو معصية، وقيل: لأنه بألطافه رغبهم في الخروج ليهلكوا.

«**كَذَلِكَ**» أي: كما وصفنا جميع ذلك «**وَأَوْرَثْنَاهَا**» بهلاكهم «**بَنِي إِسْرَائِيلَ**» قيل: صارت في أيدي بني إسرائيل أيام داود وغيره، وقال الحسن: رجع بنو إسرائيل إلى

مصر بعد هلاك فرعون، وهو الأقرب «**فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ**» قيل: لحوقهم مصبحين، وقيل: في وقت شروق الشمس أو ظهورها، وهو أوجه «**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ**» أي: تقابلا فرأى بعضهم بعضاً «**قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى**» ضعفاؤهم «**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**» أي: يلحقنا فرعون وجنوده، فأجابهم موسى بما قوى به قلوبهم فـ«**قَالَ كَلَّا**» لهم أي: لا يكون كذلك، فلا تظنوا ذلك «**إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ**» يعني إن الله سيهديني، أي: سيدلني على طريق النجاة منه كما وعدني «**فَأَوْحَيْنَا**» إليه «**أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ**» فيه حَذْفٌ، أي: ضرب «**فَانفَلَقَ**» انشق، «**فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ**» كل قطعة من الماء «**كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**» أي: الجبل العظيم، قيل: فمر بنو إسرائيل لم يبتل لهم سَرْجٌ ولا لَبَدٌ «**وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ**» أي: قربنا إلى البحر فرعون وقومه، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: جمعنا، عن أبي عبيدة. وقيل: قربناهم إلى الهلاك والمنية، وقيل: قربنا بما يسرنا لبني إسرائيل من سلوك البحر، فكان سبب هلاك فرعون حيث اقتحموه، وقيل: صار فيها اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق يبس، فقرب بنو إسرائيل، وبقيت الطرق كذلك، فلما قرب فرعون وقومه اقتحموه.

ومتى قيل: كيف اقتحموا البحر مع عظيم الخطر؟

قلنا: قد رأى أشياء وسَلِمَ، فظنه مثلها. وقيل: كان على حصان وجبريل على رَمَكَةٍ يتقدمه، واقتحم به البحر، وقيل: طردهم الملائكة إلى البحر، وقيل: لجهلهم وعنادهم لم يتفكروا فيه، وقيل: الله تعالى بلطفه أدخلهم البحر ليهلكوا.

«**الآخَرِينَ**» يعني قوم فرعون «**وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ**» يعني قوم فرعون[1] «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» حجة «**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**» اتبعوا الإلف والهوى وتركوا الحجة والدين، قال مقاتل: لم يؤمن من أهل مصر إلا حِزْقِيلُ وآسية «**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**» يعني القادر على ما يشاء من تعجيل العقوبة وتأخيرها، الرحيم؛ لأنه لا يعاجل لرحمته لعله يتوب، ولا يعذب بغير ذنب.

---

(١) وأنجينا موسى. . . قوم فرعون: «وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ» يعني قوم فرعون «وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ» يعني قوم فرعون، ن. والصواب ما أثبتناه.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أن الغنائم كانت تحل لبني إسرائيل، والخبر إن صح محمول على الأسرى.

وتدل القصة على تدبير حكمه، ومعجزة نبي صادق، حيث نجى المؤمنين في طريق يبس، وغرق فيها أولئك الكفرة.

وتدل على تسلية للنبي ﷺ بما بين أن أكثر الناس لا يؤمنون.

وتدل على أن ترك الإيمان فعلهم.

قوله تعالى:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠) قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (٧٢) أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١) وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (٨٤) وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٥) وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ (٨٧) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ (٨٩) وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ (٩٥) قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (٩٧) إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٩٨) وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ (١٠١) فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بفتح الياء والميم، وعن بعضهم بضم الياء وكسر الميم.

وقراءة العامة: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾ على التوحيد، وعن الحسن (**خطاياي**)، قال الحسن: إنه لم تكن خطيئة ولا خطايا، وإنما قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، أو كان له صغائر سأل مغفرتها.

۞ اللغة

العكوف: لزوم الشيء، ومنه الاعتكاف.

والنفع: الخير الحسن، ونقيضه الضر وهو الضرر يلحقه.

والأقدم والأسبق والأول نظائر، والقدم وجود الشيء لا إلى أول، وقيل: الموجود فيما لم يزل، ولا يوصف به إلا القديم سبحانه حقيقة، ويستعمل في غيره مجازاً عند أبي علي، وعند أبي هاشم حقيقة فيهما.

والخزي: الفضيحة بالتعبير على الذنب، خَزِيَ يَخْزَى خِزْياً، وأخزاه الله إخزاءً، وهذا موقف خزي.

والتبريز: تمكن الظهور بالخروج من الخبية، وأصله الظهور، برز يبرز بروزاً.

والغاوي: العامل بما يوجب الخيبة من الخير، غَوِيَ يَغْوِي غَيًّا وغَوَايَةً، وأغواه إغواءً.

والنصر: المعونة في دفع البلية.

والكب: الإلقاء على الوجه، كَبَبْتُهُ لوجهه كباً، والكبكبة: تدهور الشيء في هوة حتى يستقر كأنه يتردد في الكب، وكبكبوا أصله كُبِبُوا ضوعف كما يقال: ريح صرصر أي: صِرّ.

والاختصام: منازعة كل واحد صاحبه، اختصما اختصاماً، وتخاصما تخاصماً، وخاصمه مخاصمة.

والتسوية: إعطاء أحد الشيئين مثل ما يعطى الآخر، يقال: سوى بينهما تسوية.

والشافع: السائل لغيره في جلب نفع ودفع ضرر، وأصله الضم، يقال: هو من الشفع خلاف الوتر.

والصديق: الصاحب الذي يَصْدُقُ المودة، وصِدْقُ المودة: إخلاصها من الشوائب، أخذ من الصدق.

والحميم: القريب.

الإعراب

يقال: لِمَ قال: «يسمعونكم» والسمعُ للصوت؟

قلنا: في الكلام حذف، أي: يسمعون دعاءكم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

ويقال: لم كنى عن الأصنام بكناية مَنْ يعقل فقال: «يسمعونكم»، وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾؟

قلنا: لأنهم اعتقدوا فيها النفع والضرر كمن يعقل، فكنى عنها بكنايتهم. وقيل: لأن في المعبود من يعقل ومن لا يعقل فغلب من يعقل.

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناء من جميع المعبودين.

ومتى قيل: لم قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾؟

قيل: لأنه وقع موقع المصدر فلا يثنى ولا يجمع، كقولهم: رجل خَصْمٌ وعَدْلٌ، ورجال خصم وعدل. وقيل: معناه كل واحد منهم عدو، قال الفراء: هو من المقلوب، أراد: فإني عدو لهم.

نصب «رب» بالاستثناء كأنه قيل: أعبد رب العالمين، وقيل: «إلا» بمعنى (لكنَّ).

ويقال: أي لام في قوله: ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ﴾؟

قلنا: لام الابتداء التي تدخل في خبر (إن) و(إن) هذه المخففة من الثقيلة، واللام يلزمها في الخبر للفرق بينها وبين [(إن)] التي للجحد.

ونصب ﴿فَنَكُونَ﴾ لأنه جواب التمني بالفاء؛ لأن الفاء إذا صرفت عن العطف ضم معها (أن) للإشعار بالصرف.

(**يهدين**) حذفت الياء كما تحذف من القوافي، وكذلك «**يسقين**».

«**إبليس**» لا ينصرف؛ لأنه اسم أعجمي.

«**أجمعون**» من نعت الجنود.

۞ المعنى

ثم عطف تعالى قصة إبراهيم على قصة موسى ﷺ ما تسلية لرسوله فيما لقي من قومه، ووعداً له بالنصر، وزجراً لقومه، فقال سبحانه: «**وَاتْلُ**» أي: اقرأ «**عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ**» أي: خبره «**إِذْ قَالَ لأَبِيهِ**» آزر «**وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**» أي: لا نزال مقيمين على عبادتها ملازمين لها، وقيل: عاكفين: مُصَلِّين، عن ابن عباس. وقيل: إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل.

ومتى قيل: أي شبهة في عبادة الأصنام فإنها جماد لا تنفع ولا تضر؟

قلنا: لا غاية للجهل والجهال، ولهم وجوه من الشُّبَه:

منها: تقليد الآباء والرؤساء والنشوء عليه والإلف له، وعلى هذا أكثرهم.

ومنها: توهم قوم أنها تقربهم إلى الله زلفى، فجعلوها واسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذه طريقة أكثر العرب، وهذا كتقبيل بساط الملك للتقرب إليه.

ومنها: ارتباط عبادة الله بصورة ترى.

ومنها: [لكل] قوم خاصية في عبادة الصنم.

«**قَالَ**» إبراهيم «**هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ**» يعني هل يسمعون دعاءكم إذ دعوتموهم «**أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**» وهذا استفهام والمراد الإنكار بالإشارة إلى أنها

ليست بحية، يعني كيف تعبدون جماداً لا ينفع ولا يضر؟ وعبادة مثل هذا تقبح في العقل؛ لأن العبادة تحسن لأجل فعل النعم واستحقاقها بالإلهية «**قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**» كأنهم قالوا: لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، وبينوا أنهم سلكوا في عبادتها طريقة التقليد لا طريقة الحجاج فقالوا: كان آباؤنا يفعلون كما نفعل في عبادة الأصنام «**قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ**» الأولون «**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي**» قيل: عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا، وقيل: أراد بالعداوة عداوة عبّادها، فإن من عادى المعبود فقد عادى عبدته، وقيل: أراد بالعداوة البراءة، وقيل: أراد لو كان حياً ودعا إلى عبادته استحق العداوة، فسماه عدواً مجازاً، عن أبي علي. وقيل: معناه أنا عدو لهم، عن الفراء. وقيل: لم يرد العداوة ولكن أخبر أنهم لا يصلحون للعبادة، وقيل: إنه كقوله: ﴿وَيَكُونُونَ[1] عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]، والمراد التوبيخ «**إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**» فإنه معبودي الذي أحب عبادته وأعبده.

ثم وصفه بما يدل على كمال قدرته وسبوغ نعمه وأنه سبحانه المستحق للعبادة، فقال: «**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ**» لأن جميع النعم تتم بالهداية، وقيل: يدلني على سبيل الخير، وقيل: إلى الجنة، كلفني في الدنيا بعبادته ويهديني في الآخرة إلى جنته، وقيل: يؤيدني بألطافه «**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**» فأضاف المرض إلى نفسه؛ لأن أهل اللغة يقولون: مرض فلان، فيضاف إليه، وقيل: لأن قومه كانوا يعدّونه عيباً فاستعمل حسن الأدب، وأضاف الشفاء إليه لا أنه منه، وقيل: إذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة، عن الصادق. «**وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**» ليؤجلني إلى الجزاء «**وَالَّذِي أَطْمَعُ**» أرجو، وهذا طمع يقين، وإنما ذكر الطمع تلطفاً في الاستدعاء «**أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي**» قيل: الصغائر، وهي وإن وقعت مغفورة فيجوز طلب المغفرة انقطاعاً إليه وتجديداً للتوبة، وقيل: فيه فوائد:

أولها: الاعتراف بالخطأ.

والثاني: الانقطاع إلى الله.

---

(١) ويكونون: سيكونون، ن. والصحيح ما أثبتناه من المصحف.

والثالث: التعبد.

والرابع: ليجبر نقصان الثواب.

واختلفوا في تلك الصغائر التي سأل المغفرة لها، فقيل: إنها غير معينة ولا يعرى المكلف من ذلك، وقيل: هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، عن مجاهد، ومقاتل. وقيل: بل قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هي أختي، وللكواكب: هذا ربي. ولا يصح شيء من ذلك، وقد بينا تأويل الآيات في مواضعها، وأن شيئاً من ذلك ليس بكذب ولا خطيئة.

«**يَوْمَ الدِّينِ**» قيل: يوم القيامة والجزاء، وقيل: يوم لا ينفع إلا الدين «**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا**» قيل: بياناً عن الشيء على ما توجبه الحكمة، وقيل: فهماً وعلماً، عن مقاتل. وقيل: نبوة، عن الكلبي. وقيل: العلم بكتبه، وأراد زيادة العلم «**وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**» أي: بلطفك الذي يؤدي إلى الاجتماع مع النبيين والمؤمنين في الثواب، وقيل: بالنبيين في الدرجة والمنزلة، وقيل: بأهل الجنة، عن ابن عباس. «**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**» قيل: ثناءً حسناً وقبولاً عاماً، فاليهود والنصارى وأكثر الأمم تقر بنبوته، ووضع اللسان موضع القول توسعاً؛ لأن القول يكون بها، عن السلمي. وقيل: اجعل من ولدي من يقوم بالحق ويدعو إليه، وهو محمد وأمته المؤمنون، وقد أجاب الله دعاءه، عن أبي علي. وقيل: أراد أَبْقِ شريعتي في الباقين، وقد أجيب فأمر باتباعه «**وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ**» قيل: ممن يكون له في الجنة حظ، وقيل: أمتني على الإسلام وأدخلني الجنة، وهذا سؤال لطف «**وَاغْفِرْ لأَبِي**» آزر، قيل: دعا له بموعدة وعدها إياه، وقيل: آمن به في السر، وكان يزعم أنه يظهر الكفر تقية «**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ**» قيل: الذاهبين عن طريق الصواب في كتمان الإيمان، وقيل: من الكافرين، و(**كان**) زائدة «**وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ**» يوم بعث الناس للجزاء «**يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ**» أي: لا يدفع العذاب مال ولا ولد «**إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ**» قيل: أتى الموضع الذي يحكم فيه بين عباده «**بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**» خالص من الريب والشك، والبدع والشبه، وإذا سلم القلب سلم سائر الجوارح، وإنما لم يذكر الجوارح لأنها تَبَعٌ، وقيل: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن، فإن قلب الكافر مريض، عن

سعيد بن المسيب. وقيل: السليم الخائف، ويقال للديغ: سليم، وقيل: القلب السليم الذي لا ينقلب عن طاعته في حال «**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**» قيل: قربت ليدخلوها، وقيل: زينت، وقيل: هذا بناء على كلام إبراهيم، وقيل: بل هو ابتداء كلام من الله تعالى يصف القيامة «**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**» أي: أُظْهِرَتْ للكافرين حتى يروها أهل الجمع، وإنما قربت الجنة والنار ليرى أهلها محلهم، فيتعجل المؤمن سروره والكافر غمه وحسرته قبل الدخول فيها، والغاوي الضال «**وَقِيلَ لَهُمْ**» أي: للغاوين «**أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ**» يعني الأوثان التي عبدتم، وقيل: الرؤساء التي اتخذتموها كالأرباب «**هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ**» لأنفسهم، وهذا توبيخ، يعني كنتم تعبدونها فاليوم لا يملكون لكم ضراً ولا نفعاً ولا نصرة «**فَكُبْكِبُوا فِيهَا**» أي: كبوا على وجوههم في النار «**هُمْ وَالْغَاوُونَ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ**» قيل: جمعوا بطرح بعضهم على بعض، عن ابن عباس، وأبي علي. وقيل: دُهْوِرُوا، عن مجاهد. وقيل: قذفوا، عن مقاتل. «**هُمْ**» أراد الكفار، وقيل: المعبودون «**وَالْغَاوُونَ**» قيل: الشياطين، عن قتادة، ومقاتل. وقيل: كفرة الجن، عن الكلبي. «**وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ**» يعني أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس، وقيل: أراد به الفساق؛ لأن الكفار سبق ذكرهم «**قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ**» قيل: يخاصم عبّاد الأصنام الأصنام، وقيل: بل يخاصم الأتباع الرؤساء، وقيل: تخاصم الشياطين ورؤساء الكفر «**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ**» عن الحق «**مُبِينٍ**» أي: بَيِّن، قيل: قال ذلك بعضهم لبعض «**إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**» أي: نشرككم وإياه في العبادة والطاعة، فقبلنا منكم ورددنا على الأنبياء «**وَمَا أَضَلَّنَا**» أي: ما دعانا إلى الضلال «**إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ**» الشياطين من الإنس والجن، وقيل: الشياطين، عن مقاتل. وقيل: الذين اقتدينا بهم من الرؤساء والمتبوعين، وقيل: إبليس وضلّال بني آدم، عن أبي العالية، وعكرمة. «**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ**» يشفعون لنا «**وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ**» قريب يحفظ حق القرابة، وقيل: الحميم الذي يحمى عليه «**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» أي: عَوْدٌ إلى الدنيا لآمنا، تمنوا ذلك وأخبروا عن عزمهم في الحال لا عن وقوع الإيمان منهم في الحقيقة؛ لأنه تعالى أخبر أنهم لو ردوا لعادوا «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**» لحجة «**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**» قيل: فيما اقتص من نبأ إبراهيم، وقيل: فيما

اقتص من أول السورة إلى هاهنا من الأدلة، وقيل: فيه تسلية للنبي ﷺ أي: لا تستوحش كفر هؤلاء فإن ذلك عادة الأولين أيضاً فإن الأكثر منهم كفروا «**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ**» القادر «**الرَّحِيمُ**» بعباده.

۞ الأحكام

تدل الآية على صحة الحجاج في الدين وأن الحق يعرف بالحجة.

وتدل على أن العبادة إنما يستحقها القادر على أصول النعم والنفع والضر.

وتدل على أن الأهم في الدعاء البداية بالتوحيد، وهذه طريقة الأنبياء.

وتدل على ذم التقليد.

وتدل على حسن الدعاء للذرية فلذلك قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

وتدل على أن الأرزاق والشفاء منه لا من الدواء خلاف ما تقوله الطبائعية.

ومتى قيل: فما معنى الدواء؟

قيل: الدواء سبب الشفاء، والشفاء من الله تعالى، كما أن الأب والأم سببان والولد خلق لله تعالى، وكما أن الطعام والشراب سببان والشبع والري من الله تعالى، كذلك هذا. يوضحه أنه لو لم يكن سبباً بالعادة وكانت موجبة لكان لا يختلف، ولكان يحصل على حد واحد ولا يتأخر، ولأن الطبع لا يعقل فليس في الدواء شيء معلوم يحال بالشفاء عليه، ولكن الله تعالى أجرى العادة بأن فَعَلَ بعض الأشياء غذاء، وبعضها سماً، وبعضها دواءً، ولو أجرى العادة على الضد لكان كذلك، وقد بينا أن دعاءه لأبيه كان لموعدة أو على حكم العقل حتى نهي عنه.

ويدل قوله: ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم﴾ على بطلان قول المشبهة، وأنه لا يشبه الأشياء.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ على بطلان قول المجبرة؛ لأن عندهم الله أضلهم.

وذكر شيخنا أبو الحسين الخياط رحمه الله أن في قوله: ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ دليل على بطلان مذهب المجبرة والمشبهة والمرجئة.

ويدل قوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ على أنهم قادرون على الإيمان، وأنه فعلهم ليصح هذا التمني، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

ويدل قوله: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ على أن الفساق يدخلون النار فإنهم جنود إبليس، ولا يحمل على الكفار؛ لأنه عطفهم على الكفار.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٩) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٢)﴾

۞ القراءة

قرأ يعقوب: «وأَتْبَاعُكَ الأرذلُونَ» بقطع الألف وسكون التاء ورفع العين بعد الباء، مثل قراءة سعيد بن جبير وابن عباس.

والباقون: «واتّبعَك» موصولة الألف مشددة التاء مفتوحة العين بغير ألف على فعل ماضٍ، مثل قراءة ابن مسعود، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم.

۞ اللغة

الأمين: مَنْ شَأْنُهُ الأمانة، ونقيضه الخائن، والإيتاء والأمانة في تبليغ الرسالة.

والرَّذْلُ: الدون، وكذلك الرُّذَالُ، وهو الوضيع المحقر، والأرذل: البليغ في الرذالة.

والطَّرْدُ: الإبعاد، طرده طرداً وأَطْرَدَهُ: جعله طريداً.

والرجم: الرمي بالحجارة، لا يقال للرمي بالسهم رجم، والمرجوم: المشتوم، كأنه يُرْجَمُ بما يذم به.

والمشحون: المملوء بما يسد الخلل، شحنه يَشْحَنُها شحناً فهو شاحن.

والفُلْكُ: السفينة، يقال للواحد والاثنين والجمع.

والفتح: الحُكْمُ، والفتاح: الحاكم.

الإعراب

يقال: لم قال: «**كذبت**» وقوم نوح مُذَكَّرٌ؟

قلنا: لأنه بمعنى جماعة قوم نوح.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ للغاية، وتقديره: ثم أغرقنا الباقين بعد.

المعنى

ثم عقب ما تقدم بقصة نوح وقومه، فقال سبحانه: «**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**» قيل: كذبوا كل من دعا إلى توحيد الله وخلع الأصنام ممن مضى من الرسل، عن الحسن. وإنما كان كذلك؛ لأن طريق الكل واحد، وقيل: كذبوا مَنْ أُرْسِلَ قبله، عن أبي علي. وقيل: أراد بالمرسلين نوحاً وحده، وذكره بلفظ الجماعة تفخيماً «**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ**» يعني أخاهم في النسب لا في الدين «**أَلاَ تَتَّقُونَ**» عذاب الله فلا تخالفوا أمره وتؤمنوا، فهو استفهام والمراد الإنكار لماذا لا تتقون «**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**» قيل: على رسالة ربي ولا أطمع فيكم بوجه حتى تتهموني، وقيل: أمين قبل الرسالة فكيف تتهموني بعدها «**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**» على أداء الرسالة جُعْلاً «**إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**» وهو ما يجب له من الثواب على تبليغ الرسالة «**فَاتَّقُوا اللَّهَ**» باتقاء معاصيه «**وَأَطِيعُونِ**» فيما أؤدي إليكم من ربكم.

ومتى قيل: لم كرر «**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**»؟

قلنا: لفائدتين:

أولاهما: أنه نهاهم في الأول عن الكفر والمعاصي، وأمرهم بتقوى الله وطاعته.

وفي الثاني: بين أنه أمين ولا يسأل أجراً، فاتقوا الله في انتسابي إلى الخيانة واتهامي بما لا يجوز عليّ.

وقيل: كرر تأكيداً كالداعي لغيره إلى أمر يكرر المدعو.

وقيل: في الأول: دعاهم إلى الله وتقواه؛ لأنه المنعم الهادي، وفي الثاني: أمرهم بطاعته؛ لأنه يهديهم ولا يسألهم أجراً.

وقيل: فاتقوا الله وأطيعون لأني رسول أمين، واتقوا الله وأطيعون؛ لأني لا أسألكم عليه أجراً، فتخافوا ثَلْمَ أموالكم.

«**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ**» استفهام والمراد الإنكار؛ أي: لا نؤمن لك «**وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ**» قيل: كانوا أصحاب الحِرَفِ الخسيسة كالحياكة ونحوها، عن ابن عباس، وأبي علي. وقيل: السفلة، عن مقاتل، وقتادة، والكلبي. وقيل: الغَاغَةُ، عن ابن عباس. [وقيل]: الحاكة والأساكفة، عن عكرمة. وقيل: نسبوهم إلى الفواحش كالقمار وغيره. وقيل: نسبوهم إلى النفاق والمعاصي وما لا يجوز في الدين، قال أبو مسلم: جواب نوح يدل على أنهم نسبوا من اتبعه إلى ما لا يجوز في الدين «**قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» يعني: [لي] الظاهر من أمرهم، وليس عليّ من بواطن أمرهم شيء، وقيل: ليس عليّ حسابهم وإنما حسابهم على الله «**إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ**» تعلمون «**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ**» أي: لا أُبْعِدُهم من مجلسي؛ لأن حرفهم لا تضر في الدين، أو باطنهم لا يوجب ذلك، والدين يمنع من طردهم، وقيل: أرادوا منه طرد المؤمنين استنكافاً منهم «**إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ**» مُخَوِّفٌ معلم بمواضع الخوف «**مُبِينٌ**» مبيّن للحق والأحكام «**قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ**» أي: لئن لم تكف عن عادتك في الدعاء إلى دينك وعما تقول «**لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ**» قيل: من المشتومين، عن الضحاك. وقيل: من المرميين بالحجارة، عن قتادة. وقيل: من المقتولين، عن ابن عباس، ومقاتل. «**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ. فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا**» أي: احكم بيني وبينهم، فأنزل العذاب عليهم في الدنيا؛ لأنهم كذبوني، وذكر (**كَذَّبُون**) للتعليل لا للإخبار؛ لأنه تعالى عالم بذلك «**وَنَجِّنِي**» خلصني «**وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ**

«فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» قيل: المملوء الموقر، عن ابن عباس. وقيل: المثقل، عن عطاء. وكان معه من الجن والإنس والطير وسائر الحيوانات «ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ» يعني أهلكنا بالغرق الباقين الذين كانوا خارج السفينة حين نجاهم.

۞ الأحكام

يدل قوله: «كذبت» أن التكذيب فعلهم ليس بخلق الله تعالى، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ أن الدعاء إلى الدين إنما يؤثر إذا خلا من طمع فإذا اتصل به طمع الدنيا لا يُؤَثِّرُ.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أن الاعتبار عند الله بالإيمان والأعمال الصالحة لا بجمع الدنيا.

وتدل على أن للرسول أن يدعو على قومه عند الإذن.

وتدل على معجزة عظيمة لنوح.

وتدل على معجزة عظيمة لنبينا ﷺ؛ حيث أخبر عن سرائر الأخبار من غير أن قرأ كتاباً.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: «**خَلْق**» بفتح الخاء وسكون اللام يعني كَذِب الأولين، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم.

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة: «**خُلُقُ**» بضم الخاء واللام، يعني عادة الأولين من قبلنا: يعيشون ما عاشوا، ويموتون ولا بعث ولا حساب.

۞ اللغة

الريع: المكان المرتفع، وفيه لغتان: فتح الراء وكسرها، والواحد رِيَعة، والجمع: رياع، وأصله الارتفاع، ومنه: الريع في الطعام؛ ارتفاعه بالزيادة والنماء، ومنه الريع: الطريق، وأراعت الإبل: كثر أولادها، قال أبو مسلم: الرَّيْعُ بالفتح مصدر، وبالكسر الاسم، راع يَرِيعُ رَيْعاً، ونظيره: الطَّحْنُ والطِّحْنُ: بالفتح المصدر طحن طحناً، وبالكسر الاسم.

والمصانع: ما يصنع من بِئْرٍ وغيرها للسقي، وهو جمع مصنع، وأصله من الصنع، صنعت الشيء صنعاً.

والبطش: أَخْذٌ بشدة.

والجبار: المعظم، رجل جبار يتكلف الجبرية، والجَبَّارُ من النخل: ما فات اليد، ورجل جَبَّارٌ لا يرى لأحد عليه حقاً.

والإمداد: إتباع الثاني ما قبله شيئاً بعد شيء على النظام، أمده يمده إمداداً، وأصله البسط، ومنه المد والمداد.

۞ الإعراب

«**تعبثون**» في موضع الحال، تقديره: عابثين.

۞ المعنى

ثم بيّن قصة هود، فقال سبحانه: «كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ» قيل: هوداً ومن تقدمه، وقيل: بتكذيب هود يكذبون الجميع «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ» في النسب لا في الدين، عن الحسن. «هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ» الله فلا تعصونه «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» على الرسالة، وقيل: أمين قبل الرسالة فكيف تتهموني؟! وقيل: بلغت ما حملت في أمركم «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» أي: على الأداء «إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ» مكان مرتفع، عن أبي عبيدة. وقيل: بكل طريق، عن قتادة، والضحاك، ومقاتل. وقيل: شرف، عن ابن عباس. وقيل: كانوا بِفَجٍّ بين الجبلين، وقيل: بكل واد، عن عكرمة. «آيَةً» قيل: منظر، عن ابن أبي نجيح. وقيل: أمثالاً ليهتدوا بها، عن مقاتل. وقيل: الحمام، عن مجاهد. لذلك قال: «تَعْبَثُونَ» أي: تلعبون، عن ابن عباس. وقيل: كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء العالي؛ ليدلوا بذلك على أنفسهم وبه يتفاخرون «وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ» قيل: أبنية مرتفعة، عن ابن عباس. وقيل: لكل بناء مَصْنَعَة، وقيل: قصوراً مشيدة، عن مجاهد. وعنه: حصوناً، وقيل: بروج الحمام، عن ابن أبي نجيح. وقيل: مآخذ الماء[1]، عن قتادة. وقيل: منازل، عن الكلبي. وقيل: البساتين المشتملة على الحياض؛ يعني يفعلون هذه الأشياء طلباً للزينة «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» أي: كأنكم تبقون أبداً، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: لعل: استفهام، أي: فهل تخلدون إذا فعلتم هذه الأشياء؟! عن ابن زيد. وقيل: كيما تخلدون، عن الفراء. «وَإِذَا بَطَشْتُمْ» أخذتم بسطوة «بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ» قيل: بغير حق، وقيل: قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: الأخذ من غير تثبيت، عن الحسن. «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ» أي: اتقوا عصيان مَنْ أنعم عليكم، وإنما كرر هذه الآية؛ لأن الأول في ترك تكذيب الرسل وطاعة الرسول فيما يؤديه عن الله، والثاني: اتقوا الله في بطش الجبارين وعمل اللاهيين، «وَأَطِيعُونِ» فيما آمركم به «وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا

---

(١) في تفسير التبيان ٨/ ٤١: مآخذ للماء.

تَعْلَمُونَ» من النعم؛ أي: أعطاكم نعمة بعد نعمة كأنه يمد نعمة الصيف بنعمة الشتاء، ونعمة الشتاء بنعمة الصيف، فأمد بترادف النعمة.

ثم فصَّل بعض النعم، فقال سبحانه: «**أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ**» المواشي سمى ذلك نعمة لنعمة في مشيتها ولين «**وَبَنِينَ**» الأولاد «**وَجَنَّاتٍ**» بساتين فيها أشجار «**وَعُيُونٍ**» ينابيع الماء الذي يجري على الأرض حتى تراه العيون «**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ**» وهذا كلام جاهل مستخف جواباً لكلام ناصح مشفق، يعني يستوي علينا سكوتك ووعظك، فإنا لا نقبل منك «**إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ**» إذا قرئ بالفتح فالمراد اختلاق الأولين ماتوا ولم ينزل بهم عذاب، عن أبي علي. وإذا قرئ بالضم فمعناه عادة الأولين، عن قتادة. وقيل: عادتهم في ترك القبول من الأنبياء «**وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**» قيل: بعد الموت، وقيل: في الدنيا والآخرة «**فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ**» بالريح الذي أرسلنا عليهم «**إِنَّ فِي ذَلِكَ**» في شأن هود وقومه «**لآيَةً**» لعبرة وعظة لمن تدبر فيه «**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**» قادر على أخذهم، رحيم بالإمهال وإنجاء من تاب وآمن.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَتَبْنُونَ﴾ على كراهية الأبنية المرتفعة المستغنية عنها، وقد وردت السنة بذلك في كراهية الإنفاق في الماء والطين؛ لأن ذلك للعب والزينة لا للحاجة. وعن الحسن: دخلت بيوت أزواج النبي ﷺ فبلغ يدي سقفها.

وتدل أن صفة جبار نقص في العباد وإن كان مدحاً لله تعالى؛ لأنه المستحق دونهم.

وتدل على سبوغ نعمه على الكفار خلاف قول من يقول لا نعمة على الكافر.

ومتى قيل: لم جمع بين هذه القصص؟

قلنا: قيل: ليعلم عباده أن أصول الدين واحدة لا تتغير، وإن اختلفت فروعها. وقيل: تسلية للنبي في تكذيب قومه إياه.

وتدل على أن التكذيب فعلهم وكذلك البناء، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «فَرِهِينَ» بغير ألف، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «فارهين» بالألف، قيل: هما بمعنى، يقال: فارِهٌ وفَرِهٌ كحاذق وحَذِقٌ، وقيل: بينهما فرق، فالفَرِهُ: الأشر والبطر، والفاره: الحاذق، عن ابن عباس.

اللغة

الهضيم: اللطيف في جسمه، ومنه هضيم الحشا، يقال: امرأة هضيم الكَشْحَيْنِ لطيفهما، وأصله من النقصان، يقال: هضم حقه نقصه، ودواء يهضم الطعام ينقص ثقله، ومنه الهاضوم، عن الحسن، وهو الجُوَارْشَنُ[1]، يقال: هضمه واهتضمه وتهضمه إذا نقصه حقه، والمُهْتَضِم الظالم.

---

(١) الجوارشن: الجوارشين، ن. وما أثبتناه من تاج العروس ٧٩٣٨/١، ولسان العرب ٦١٣/١٢: الجوارشن.

والشرب بتعاقب الحركات الثلاث على الشين كلها مصادر.

ومنه الفَارِهُ أصله النافذ في الأمور، وفرس فارِهٌ نافذ في الجري.

الإعراب

نصب «فَيَأْخُذَكُمْ» لأنه جواب النهي بالفاء، وهو قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾.

أنث (كذبت)؛ لأنه أراد معنى الجماعة وهي مؤنثة.

المعنى

ثم ذكر قصة ثمود ورسولها صالح عليه السلام، فقال سبحانه: «**كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ**» بينا تكذيبهم للمرسلين ما قيل فيه «**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ**» في النسب «**صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ**» عذاب الله فـ«**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**» على الرسالة «**فَاتَّقُوا اللَّهَ**» ولا تعصوه «**وَأَطِيعُونِ**» فيما أودي إليكم «**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**» حتى يثقل لأجله متابعتي «**إِنْ أَجْرِيَ**» على أداء الرسالة «**إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**» خالقها ورازقها «**أَتُتْرَكُونَ**» هذا استفهام والمراد الإنكار والتوبيخ، أي: أتظنون أنكم تتركون «**[فِي مَا] هَاهُنَا**» في الدنيا مع النعيم أبداً ليس كما تظنون أي: في الدنيا «**آمِنِينَ**» من الموت والعذاب وزوال النعمة «**فِي جَنَّاتٍ**» بساتين «**وَعُيُونٍ**» الماء الجاري في بساتينهم، عن أبي علي. «**وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا**» ثمرها «**هَضِيمٌ**» قيل: لطيف ما دام في كفراه، عن ابن عباس. وقيل: يانع ناضج عنه بخلاف، وقيل: رطب لين، عن قتادة، وعكرمة. وقيل: رخو، عن الحسن. وقيل: متراكم ركب بعضه بعضاً حتى هضم بعضه بعضاً، أي: كثير، عن مقاتل، والضحاك. وقيل: يؤكل كله فلا يترك منه شيء «**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا**» قيل: نحتوا من الجبال صخوراً، وبنوا منها بيوتاً ودوراً، وقيل: نحتوا في الجبال الدور والبيوت «**فَارِهِينَ**» قيل: حاذقين بنحتها، و«**فَرِهِينَ**» قيل: أَشِرِينَ بَطِرِينَ، عن ابن عباس. وقيل: كَيِّسِينَ، عن الضحاك. وقيل: معجبين بصنعكم[1]، عن قتادة. وقيل: متحيرين، عن السدي. وقيل: أقوياء، عن ابن زيد. والفَرِهُ: القوي، وقيل: فرح والهاء بدل من الحاء، عن

---

(١) يصنعكم: بصنعه، ن. وما أثبتناه من الكشف والبيان، للثعلبي: ٩/ ٤٣٩، الدر المنثور: ٧/ ٤٠٤.

الأخفش. «**فَاتَّقُوا اللَّهَ**» ولا تعصوه «**وَأَطِيعُونِ**» فيما أبلغكم من ربكم «**وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ**» أسرفوا في المعاصي، أي: جاوزوا الحد، قيل: هم المشركون، وقيل: هم الرؤساء علماء السوء، وقيل: هم تسعة رهط من ثمود «**يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ**» وقيل: الذين يسرفون في الذنب، يسفكون الدماء، ويعصون الله، ويظلمون الناس «**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**» قيل: من المسحورين المخدوعين، عن مجاهد، وقتادة. وقيل: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب، عن ابن عباس. وقيل: ممن له سُحْرٌ أي رِئَة «**مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ**» بحجة على صحة ما تقول «**إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**» فيما تدعي «**قَالَ**» صالح «**هَذِهِ نَاقَةٌ**» قيل: كانوا سألوا أن يخرج لهم من الجبل ناقة عشراء، فأخرجها الله حاملاً كما سألوا، ووضعت فصيلاً في الحال، وكان عظيم الخلق جداً «**لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**» لها نصيب ولكم نصيب، قيل: قسم الماء فجعل لها يوماً ولهم يوماً، فكانت لا تقرب الماء يومهم «**وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**» قيل: بعقر، وقيل: بمنع من الماء والمرعى على مواشيهم وتضييق الماء عليهم «**فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ**» على عقرها، قيل: لما رأوا آثار العذاب ندموا على عقرها ولم يتوبوا، وطلبوا صالحاً ليقتلوه، فنجاه الله ومن معه من المؤمنين، ثم جاءتهم الصيحة فأهلكتهم، عن أبي علي. وقيل: تابوا حين رأوا العذاب فلم ينفعهم، عن أبي مسلم. وقيل: لما عقروا الناقة خرج صالح ومن تبعه، وندموا على تركهم إياهم غير مقتولين «**فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ**» قيل: الصيحة، فخربت أبنيتهم، وماتوا تحتها أجمعين «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» في التوحيد ومعجزة لذلك النبي وعبرة للمتفكر «**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ**» القادر على إهلاك ثمود «**الرَّحِيمُ**» بإنجاء المؤمنين.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن نعيم الدنيا إلى زوال، وأن الباقي نعيم الآخرة حثاً على طلبها وزهداً في الدنيا.

وتدل على النهي من اتباع أهل البدع ورؤساء الضلال.

وتدل على أنه تعالى أجرى العادة أن من اقترح آية فأجيب فلم يؤمن يعذبهم بعذاب الاستئصال.

وتدل على أن الندم بعد رؤية العذاب لا ينفع.

وتدل على معجزات لصالح: نفس الناقة، وخروجها، وعظمها، وحملها، وشربها الماء الكثير.

وتدل على أن عقرها وفساد القوم فِعْلٌ لهم فاستحقوا العقاب لأجلها، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والجزاء.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

اللغة

(لوط) قيل: اسم أعجمي، ويحتمل أنه من اللَّوْط وهو اللصوق، ومنه حديث أبي بكر: «الولد أَلْوَطُ» أي: ألصق بالقلب، وكل شيء لصق بشيء فقد لاط به، ويقال: ذَكَرٌ وذُكْران نحو حَمَلٍ وحُمْلَانٍ.

ويَذَرُ ويدع بمعنى، وأهمل ماضيها؛ للاستغناء عنه بـ(تَرَكَ) مع كراهة الواو أولاً حتى لا يزاد هناك.

والعادي أصلاً، والعادي والمعتدي بمعنى، وهو الخارج عن الحق، والعادي من العداوة، ويجوز أن يكون من العَدْوِ وهو الإسراع في السعي.

والقِلى: البغض، يقال: قلاه يقليه قلاً، وقليه يقلاه قِلىً، وربما فتح ويَقِيلُ قَيْلاً، ومنه حديث أبي الدرداء: «وَجَدْتُ الناسَ اخْبُرْ تَقِلَهْ» أي: من جربهم قلاهم لخبث سرائرهم، لفظه [لفظ] أمر والمراد الخبر، والفاعل (قالٍ) وجمعه في الرفع قالون وفي النصب والجر قالين.

والعجوز: المرأة المسنة أعجزها الكبر عن الأمور، ونظيره: المسنة والكبيرة.

والغابر: الباقي في قلة، كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غباره، غبر يَغْبُرُ فهو غابر، وغُبْرُ اللبن بقيته.

والتدمير: الإهلاك، دمره تدميراً، ونظيره: تبره تتبيراً، وَدَمَرَ عليه يَدْمُرُ دَمْراً إذا هجم عليه بالمكروه، والدامر: الهالك.

الإعراب

نصب «**عجوزاً**» على الاستثناء.

﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ هو بمنزلة (بِئْسَ) برفع المعرفة التي عرف بالألف واللام، يقال: بئس الرجل زيد، وبئس رجلاً زيد، و(**ساء**) يقتضي اسماً وخبراً، وخبره محذوف، تقديره: ساء مطر المنذرين مطراً.

المعنى

ثم بيّن تعالى قصة لوط، فقال سبحانه: «**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ**» بتكذيب لوط؛ لأن الطريق في الجميع واحد، وقيل: كذبوا جميع من مضى من الرسل «**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ**» في النسب؛ لأن الناس كلهم بنو آدم «**أَلاَ تَتَّقُونَ**» الله في المعاصي «**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**» على الرسالة «**فَاتَّقُوا [اللَّهَ]**» في معاصيه «**وَأَطِيعُونِ**» فيما أدعوكم إليه «**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي**» على أداء الرسالة «**إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**» وهو الثواب في الجنة «**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**» هو كناية عن الفاحشة، وهو إتيان الرجال في أدبارهم، وفي الكناية عنها بالفحش تغليظ بشأنها، وقيل: كانوا يأتون النساء والرجال في أدبارهم، وقيل: كانوا يأتون الغرباء إلا بعضهم بعضاً «**وَتَذَرُونَ**»

تتركون «**مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ**» يعني الفروج «**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**» ظالمون مجاوزون الحلال إلى الحرام «**قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ**» أي: لا تمتنع عما تقول «**لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ**» من بلدنا، وقيل: نخرجك قتيلاً من قريتنا، عن الحسن. «**قَالَ**» لوط لقومه «**إِنِّي لِعَمَلِكُمْ**» يعني اللواط «**مِنَ الْقَالِينَ**» من المبغضين.

ثم دعا فقال: «**رَبِّ نَجِّنِي**» أي: خلصني من عاقبة ما يعملون وهو العذاب الذي نزل بهم «**وَأَهْلِي**» قيل: أمته المؤمنون به، عن الحسن. وقيل: بناته، عن أبي علي. «**مِمَّا يَعْمَلُونَ**» قيل: من جزاء ما يعملون من التكذيب والعصيان، وقيل: من أذاهم «**فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ**» أي: خلصنا لوطاً وأهله من آمن به «**إِلاَّ عَجُوزًا**» وهي امرأة لوط كانت كافرة تدل الفساق والكفار على أضيافه «**فِي الْغَابِرِينَ**» قيل: الباقين في العذاب فيمن هلك من قومه، وقيل: بل هلكت فيما بعد مع من خرج عن القرية، يعني الباقين في العذاب «**ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ**» أي: أهلكناهم «**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا**» وهو الحجارة «**فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**» أي: الكافرين، قيل: أهلكوا بالانقلاب والخسف، ثم أمطرنا على من كان غائباً منهم، وقيل: بل أمطر عليهم وانقلب وساء مطر الحجارة، عند أكثر المفسرين، وقيل: الكبريت والنار، عن وهب. «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**» أي: حُجَّة في التوحيد ومعجزة للنبي وعبرة للمكلفين «**وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**» القادر على إهلاكهم، الرحيم بالمؤمنين بإنجائهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظم أمر اللواط وأنه من الكبائر العظام، ولا خلاف أن إتيان الرجال في أدبارهم من الكبائر؛ حتى يكفر مستحله ويفسق فاعله في شريعتنا، وأما إتيان النساء في أدبارهن فالأكثر على تحريمه، وعظموا أمرها، ووردت السنة بذلك إلا ما حكي عن مالك وجماعة من الإمامية جوازها، فأما الحد: فعند بعضهم حد اللواط كحد الزنا وعليه الأكثر، وعند بعضهم القتل، وعند بعضهم التعزير والضرب الشديد، وهو قول أبي حنيفة.

ويدل قوله: «**العادون**» أن ذلك الفعل فعلهم ليس بخلق الله، فيبطل قولهم في المخلوق، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾، وكذلك قوله: ﴿أَتَأْتُونَ﴾.

ويدل قوله: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ أن الواجب فيمن رأى منكراً ولم يمكنه تغييره أن ينكره بقلبه، وهو أقل أحوال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر: «**أصحاب لَيْكَةَ**» مفتوحة اللام والياء غير مهموزة على أنه اسم المدينة مَعْرِفَة لا ينصرف، وفي (ص) مثله. وقرأ الباقون ساكنة اللام مكسورة التاء مهموزة، والليكة والأيكة لغتان، وأَيْكٌ جمع أَيْكَةٍ وهي الغَيْضَةُ، وكل مكان فيه شجر ملتف فهو أَيْكٌ.

اللغة

الصاحب: الكائن مع الشيء في غالب أمره، يقال: صاحب الدار لمالكه، وأصحاب النبيﷺ ورضي عنهم الذين لازموه دون الوافدين عليه مرة أو مرتين، وصَحِبَكَ الله أي: كان معك بالنصرة.

والإيفاء: إعطاء الواجب بكماله من غير نقصان، أَوْفَى يُوفِي إيفاءً.

والمُخْسِرَ: المعرض للخسران في رأس المال بالنقصان، أَخْسَرَ يُخْسِرُ إخساراً إذا جعله يخسر في ماله، ونقيضه: أربحه، وخَسِرَ هو يَخْسَرُ خسراناً.

والقسطاس: العدل في التقويم على المقدار، ونظيره في الزنة: قِرْطاس، والجمع قَرَاطيس، ومن قال إنه رومي فليس بشيء؛ لأن القرآن نزل[1] بلغة العرب، فيحمل على أن العرب عربته أو اتفق اللغتان.

عاث يَعِيثُ، وعثا يَعْثو إذا سعى في الأرض بالفساد.

والجِبِلَّة: الخليقة، تقول العرب: بكسر الجيم والباء وبضمهما، وقد يسقطون الهاء تخفيفاً ومنه: ﴿أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ [يس: ٦٢]، قال الشاعر:

والموتُ أعظمُ حادثٍ ... مما يمرُّ على الجِبِلَّة

والكِسَفُ مثقل: جمعه أكساف وهي القطعة، نحو كِسْرَةٍ وكِسَرٍ، ومن قرأ بسكون السين على التوحيد فجمعه: أكساف وكُسُوفٌ، من كسفت الشيء غطيته، ومنه كسوف الشمس، والكسوف في الوجه: صفرة وتغير.

والقسطاس يقرأ بكسر القاف وضمها، ونظيره: قرطاس.

الإعراب

«مُفْسِدِينَ» نصب على الحال أي: لا تعثوا في حال الفساد.

«وَالْجِبِلَّةَ» نصب، قيل: تقديره: واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين، وقيل: تقديره: وخلق الجبلة.

«عَذَابَ» نصب لأنه خبر (كان) والاسم مضمر، أي: ذلك عذاب يوم عظيم.

المعنى

ثم بيّن تعالى قصة شعيب، فقال سبحانه: «**كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيكَةِ**» ذَكّر (كذب)؛ لأنه تقدم الجمع، وأَنَّثَ في أخواتها؛ لأنه أراد الجمع، وقيل: «**أَصْحَابُ الأَيْكَةِ**» أهل مدين، عن ابن عباس. وقيل: هم غيرهم، عن قتادة، قال: إن الله تعالى أرسل

---

(١) نزل: ينزل، ن.

شعيباً عليه السلام إلى أمتين، قال ابن زيد: بعث الله سبحانه شعيباً إلى أهل مدين وإلى أهل البادية، وهم أصحاب الأيكة «**إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ**» ولم يقل أخوهم؛ لأنه لم يكن منهم نسباً بخلاف سائر الأنبياء إلا موسى فإنه لم يكن من القبط، وقيل: لم يكن من أصحاب الأيكة، وكان من أهل مدين، فلما[1] ذكره في موضع آخر [قال]: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا[2]﴾ [الأعراف: ٨٥] «**أَلاَ تَتَّقُونَ**» الله، وهذا تلطف في الدعاء إلى الحق كقولك للضيف: أَلاَ تأكل. «**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**» على أداء الرسالة «**فَاتَّقُوا اللَّهَ**» ولا تعصوا أمره «**وَأَطِيعُونِ**» فيما آمركم به وأدعوكم إليه «**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ**» أي: على أداء الرسالة وبيان الحق «**مِنْ أَجْرٍ**» من جعل وجزاء في الدنيا «**إِنْ أَجْرِيَ**» على ذلك «**إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**» من ثواب الآخرة، وكانت دعوة الأنبياء عليهم السلام على نسق واحد، يبدأ بالتوحيد والعدل والنبوات، ثم يأمر بالتقوى وينهى عن المنكرات، ثم بين الامتناع عن أخذ أجر وجُعْلٍ؛ لأن الناس عنده أقرب إلى القبول، ثم بين الشرائع، فإذا فرغ من ذلك فإن كان في بقائه لطف أبقاه، وإلا نقله إلى رحمته ورضوانه «**أَوْفُوا الْكَيْلَ**» أي: أعطوا ما تعطون بالكيل تاماً غير ناقص، وكانوا يطففون فنهاهم عن ذلك «**وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ**» من الناقصين للكيل والوزن «**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ**» قيل: القَبَّان، عن الحسن. وقيل: الميزان، وقيل: العدل، عن أبي عبيدة. «**وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**» لا تنقصوهم أشياءهم «**وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**» أي: لا تفسدوا في الأرض «**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ**» أي: أوجدكم من عدم اختراعاً مقدوراً كما أراد «**وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ**» الخليقة الأولين الذين كانوا قبلكم «**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**» قيل: من المسحورين المخدوعين، أي: سحروك وخدعوك، عن الحسن. وقيل: ذو السُّحْرِ أي الجوف الذي فيه الطعام والشراب «**وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**» فيما تقول وتدعو إليه «**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ**» أي: قطعاً «**إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**» «**قَالَ**» شعيب «**رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ**» فيجازيكم بعملكم، فهو وعيد، وقيل: هو أعلم بكم إن كان في معلومه إن أبقاكم تبتم أو تاب

---

(١) فلما: فأما، ن. وما أثبتناه من لدينا ليستقيم الكلام.

(٢) وإلى مدين أخاهم شعيباً: قال لهم أخوهم شعيب، ن. ولايوجد في القرآن الكريم آية بهذا اللفظ، والصواب ما أثبتناه من المصحف.

تائب [منكم] لم يقنط منكم، وإن كان في معلومه أنه لا يصلح أحد منكم يعذبكم بعذاب الاستئصال «**فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ**» قال: أصابهم حر سبعة أيام، وحبس عنهم الريح، ثم غشيتهم سحابة، فلما خرجوا إليها طلباً للبرد من شدة الحر مطرت عليهم ناراً فأحرقتهم، وقيل: بعث شعيب إلى أمتين: إلى أهل مدين، وأصحاب الأيكة، فأما أصحاب الأيكة فَأُهْلِكُوا بالظلة، وأما أصحاب مدين أخذتهم الصيحة، صاح بهم جبريل صيحة هلكوا، وقيل: الظلة جبل اجتمعوا تحته فوقع عليهم وهلكوا «**إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ [الرَّحِيمُ]**» وقيل: الظُّلة سحابة أمطرت عليهم ناراً.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن الأهم الذي يُبْدَأُ به الدعاء إلى التوحيد والعدل.

وتدل على وجوب إيفاء الكيل والوزن، وأن البخس فيهما من الكبائر، وإنما صار كبيراً لعلمه بتحريمه وإقدامه عليه، ويجوز أن يكونوا اعتادوا ذلك وكبرت وعظمت.

وتدل على وجوب التحرز من الغصوب وأخذ أموال الناس.

وتدل على أن السعي في الأرض بالفساد من الكبائر.

وتدل على أن التطفيف والسعي بالفساد فعلهم؛ لذلك عاقبهم عليها، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن عامر: «**أولم تَكُنْ**» بالتاء «**آيةٌ**» بالرفع، وقرأ الباقون بالياء، «**آيةً**» بالنصب، فعلى هذا الهاء كناية عن علم علماء بني إسرائيل، فيكون العِلْمُ اسماً والآية خبراً فنصبه.

فأما قراءة ابن عامر، فالهاء كناية عن الآية فتكون الآية اسماً [و] ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في محل الخبر.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم: «**نزَل به**» خفيفة الزاي «**الروحُ**» بالرفع على أنه الفاعل، يعني نزل جبريل بالقرآن «**الأمينُ**» رفع لأنه نعت للروح. وقرأ الباقون: «**نَزَّلَ**» بالتشديد «**الروحَ**» بالنصب على أنه مفعول، أي: الله تعالى نزل جبريل به.

القراءة الظاهرة: ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ بياء واحدة جمع الأعجم الذي لا يفصح ولا يحسن العربية، وعن الحسن: «**الأعْجَمِيِّين**» منسوب إلى العجم.

قراءة العامة: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ بالياء العذاب، وعن الحسن بالتاء أي: الساعة.

۞ اللغة

الزُّبُر: الكتب، واحدها: زَبُورٌ، زَبَرْتُ الكتاب أَزْبُرُهُ زَبْراً: كتبته، وأصل الباب الجمع.

الأعجم والعجمي بمعنى واحد، عن الفراء وثعلب. وقيل: بينهما فرق، فالأعجم الذي لا يفصح؛ لأن في لسانه عجمة، والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً، والعجماء: البهيمة، ومنه: «جُرْح العجماء جُبَارٌ»، وسمي بذلك لأنه لا يتكلم، وكل من لا يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم، ونقيض الأعجم: الفصيح، ونقيض العجمي: العربي، والنسبة إلى الأعجم أعجمي.

۞ الإعراب

نصب ﴿فَيَقُولُوا۟﴾؛ لأنه جواب التمني بالفاء.

۞ النظم

يقال: كيف اتصل ذكر القرآن بما قبله؟

قلنا: لما اقتص أنباء الرسل بَيَّنَ أن جميع ذلك كلام نزل به جبريل الأمين، وأنه ليس من جهة بَشَرٍ، وليس بسحر ولا كهانة كما يزعمون، عن أبي مسلم.

وقيل: لما تقدم قولهم للرسل أنهم مسحورون أتبع ذلك بأن هذا القرآن ليس بسحر بل هو كلام رب العالمين.

وقيل: لما قص خبر الأنبياء اتصل به حديث نبيناﷺ.

۞ المعنى

ثم بين حديث القرآن، فقال سبحانه: «**وَإِنَّهُ**» يعني القرآن وما ذكر فيه، عن قتادة وجماعة المفسرين. «**لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**» قيل: جبريل، عن ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن جريج. وقيل: سمي روحاً؛ لأنه روحاني، وقيل: سمي روحاً؛ لأن الأرواح تحيا به لما نزل من البركات، وقيل: لأنه جسم روحاني رقيق، وقيل: لأن الدين يحيا به، وسمي أميناً؛ لأنه أمين الله على وحيه «**عَلَى قَلْبِكَ**» يا محمد، وهذا توسع؛ لأنه تعالى يسمعه جبريل فيحفظه وينزل على الرسولﷺ يقرأ عليه فيعيه ويحفظه بقلبه كأنه نزله على قلبه، وقيل: معناه أن الحفظ فعل الله في قلبه وهو المعلم بكيفية القراءة، فكان عينه فيه «**لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**» المخوِّفين من عقاب الله تعالى «**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**» يعني القرآن بلغة العرب نزل، وكل نبي أرسل بلسان قومه ليفهموا عنه «**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ**» أي: في كتب الأولين، واختلفوا ما الذي في كتب الأولين، قيل: الدعاء إلى التوحيد والعدل، والاعتراف بالبعث وأقاصيص الأمم الذي نزل به القرآن، وهو مذكور في تلك الكتب على ما نزل به القرآن، وقيل: (**إنه**) أي: ذكر محمد وصفته في الكتب، عن مقاتل. وقيل: ذكر القرآن والبشارة به وبمحمد ﷺ مذكور في الكتب، عن أكثر المفسرين، ولا يقال: إن عين هذا القرآن في الكتب؛ لأنه عربي، ونزل على محمد بخلاف تلك الكتب «**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ**» أي: لهؤلاء الكفار «**آيَةً**» أي: دلالة وحجة على نبوته وصحة القرآن وكونه

معجزاً «**أَنْ يَعْلَمَهُ**» أي: يعلمون محمداً ﷺ بصفته ونعته «**عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» قيل: عبد الله بن سلام وأصحابه، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود فسألوهم عن محمد فقالوا: إن هذا لزمانه، وإنا لنجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه، وقيل: كانت اليهود تبشر به وتستفتح على العرب به، وذلك كان سبب إسلام أهل المدينة لما سمعوا من اليهود «**وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ**» أي: لو نزلنا القرآن على أعجم لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان منسوباً إلى العرب، وقيل: لو نزلناه على رجل ليس بعربي «**فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ**» أي: على العرب «**مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**» قيل: لَمَا آمنوا به أَنَفَةً من اتباع غير العرب، فأنزلناه على عربي من بيت شريف رفيع؛ إزاحة للعلة، وليكون أدْعَى إلى اتباعه وتصديقه، وقيل: لو زاد الله في وجه الإعجاز بأن أظهر القرآن على واحد من العجم وأنطقه لَمَا آمنوا به، عن أبي مسلم. وقيل: لو نزلناه على أعجمي من البهائم لما آمنوا به، عن عبد الله بن مطيع. وقيل: لو أنزلناه على أعجمي لما آمنوا، فنبه أنه نزل على محمد بلغة العرب وهو عربي وهم عرب، فلو كان هو بقوله لقدروا على مثله، فعجزهم على مثله يدل على أن ذلك كلام الله، عن أبي علي. «**كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ**» قررناه «**فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**» اختلفوا إلى ماذا تعود الهاء في قوله: «**سلكناه**» على قولين:

أولهما: إلى القرآن يقرأ عليهم النبيﷺ، وقيل: بإخطاره ببالهم، وقيل: بألطافه أوصل ذلك إلى قلوبهم؛ لتقوم الحجة عليهم.

الثاني: التكذيب به والكفر، عن الحسن، وابن جريج، وابن زيد. وقيل: هذا الأوجه له؛ لأنه لم يَجْرِ له ذِكْرٌ ولا حجة فيه، وإنما الحجة في القرآن، وقيل: تقديره: لو أتى بهذا القرآن أعجمي لما آمنوا وكذبوا به، كذلك إذا أتيت أنت به، والأول الوجه. والمعنى أنه لم يخص بالقرآن المؤمن؛ بل أظهره للكافر، وأَمَرَّهُ بِقَلبه كما أظهره للمؤمن.

«**حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**» الوجيع، قيل: أسبابه من نيران تتأجج لهم يساقون إليها «**فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً**» يعني العذاب يأتيهم فجأة «**وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**» لا يعلمون مجيئها «**فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ**» أي: مؤخرون فلا يؤخرون.

۞ الأحكام

تدل الآية على حدوث القرآن حيث وصفه بأنه نزله، وأن جبريل أنزله، وأنه بلغة العرب.

وتدل أن الغرض التخويف ليؤمنوا به؛ لذلك قال: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ بخلاف قول المجبرة أن الغرض به أن يَكْفُرَ به قوم.

وتدل على أن القرآن عربي، فيبطل قول من يقول: إن فيه لغات غير العربية.

ويدل قوله: «سَلَكْنَاهُ» أن الحجة به تلزم الجميع.

وتدل على أنه أنزله على العرب بلسانهم دون العجم لطفاً لهم؛ ليكونوا أقرب إلى القبول.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم؛ إذ لو كانت خلقاً له لما توقف على كون القرآن عربياً أو أعجمياً؛ بل كان يتوقف الأمر على إحداثه دون الكتاب ودون الرسول ودون الآلات والقدر، واستدل بعض أصحاب أبي حنيفة بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أن القرآن قرآن وإن كان بغير لغة العرب، وهذا لا يصح؛ لأن معناه ما ذكر فيه على ما بينا؛ لأن القرآن ما كان بلفظه ومعناه.

قوله تعالى:

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «الشَّيَاطِينُ» بالياء كالبساتين في جميع القرآن، وعن الحسن: [(وما تنزلت به الشَّيَاطُونُ) بالواو، ظناً منه أنه مثل المسلمين][(١)] فقيل ذلك للنضر بن شميل

(١) بياض في النسخة ن، أنظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ح١٣/ ٩٥.

فقال: إذا جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة، فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه مع أنا نعلم أنهما لم يَقْرَآ به إلا وقد سمعاه، قال المؤرج: إن كان اشتقاقه من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه.

۞ اللغة

الاستعجال: طلب الشيء قبل وقته.

والإمتاع: إحضار ما ينتفع به لمن ينتفع، أمتعه بالمال والولد والرياحين [و] البساتين، وأمتعه بالحديث، وأصله: إحضار النفس ما فيه اللذة بإدراك الحاسة.

والتذكر: إخطار المعنى للنفس، ذَكَّر يُذَكِّر تذكيرا وذكراً وتَذْكِرَةً وذكرى.

والعزل: تنحية الشيء عن الموضع إلى خلافه وهو إزالته.

۞ الإعراب

محل «ذكرى» نصب على المصدر أي: يذكرونهم ذكرى، وقيل: تقديره: جعلنا ذلك ذكرى وعظة، فهو نصب لأنه مفعول، وقيل: محله رفع، أي: تلك ذكرى بعدما قصصنا من إنزال العذاب بالأمم الخالية، وقيل: هذا القرآن ذكرى، وقيل: إنذارنا ذكرى.

۞ النزول

قال مقاتل: قال المشركون للنبيﷺ: يا محمد إلى متى توعدنا بالعذاب ائتنا بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: إن بعض الكفار قالوا: إن لمحمد تابعةً من الشياطين يأتيه بالأخبار من السماء ويلقيه على لسانه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر العذاب كأنهم استعجلوا ذلك إنكاراً، فقال سبحانه: «**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ**» قيل: هو تهديد لهم كقولهم: عليّ تجترئ أو بي تتعرض؟! عن

أبي مسلم. وقيل: إشارة إلى عظم العقاب أي: أَلِمِثْلِ هذا العقاب يستعجل العاقل؟ «**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ**» هذا جواب لقولهم: ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ يعني هؤلاء يسألون النظرة، ولو أمهلوا سنين فلم يشتغلوا بما يعنيهم من طاعة ربهم لم ينفعهم ذلك. وقوله: «**أَفَرَأَيْتَ**» استفهام والمراد التقرير أنه لو متعناهم بطول المهلة وكثرة النعمة سنين كثيرة «**ثُمَّ جَاءَهُمْ**» ما وعدوا به من العذاب و«**مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**» أي: ما كفى عنهم شيئاً من العذاب، وقيل: إشارة إلى أن طول العمر لا يغني ليعمل المكلف لنفسه، وقيل: «**مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**» لازديادهم من الآثام واكتسابهم من الإجرام «**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ**» ممن قصصنا عليك «**إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ**» يعني سبق الإنذار بإرسال الرسل وإقامة الحجج «**ذِكْرَى**» أي: تذكرة لهم وموعظة «**وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ**» في تعذيبهم؛ لأنهم استحقوا ذلك بجناياتهم بعدما أزحنا عللهم وسبق الإنذار، وقيل: ذكرى نذكرهم نعم الله في الدنيا والآخرة، فإذا جحدوها عذبناهم بظلمهم لا أنا ظالمون بأن نعاقبهم بغير ذنب أو مع عذر «**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ**» يعني ما أنزل القرآن بعض الشياطين على الرسول «**وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ**» أي: لا يجوز كونه منهم «**وَمَا يَسْتَطِيعُونَ**» أي: ليس في قدرتهم ذلك؛ لأنه غير مقدور لبشر، وقيل: هم خونة، والخائن لا يؤتمن والوحي أمانة، وقيل: لأنهم ليسوا بِأَهْلٍ لذلك ولا لهم ذلك بمقدور، عن أبي علي. «**إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**» قيل: من استراق السمع من السماء ممنوعون بالشهب مرجومون، وقيل: عن سماع القرآن، عن قتادة.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن الإمتاع الطويل والنعم الكثيرة لا تغني عن عذاب الله سبحانه، فنبه بذلك على أن الذي يدفع العذاب تحمل المشاق في الطاعة، وتكليف النفس ترك المعاصي.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ الآيات على بطلان قول المجبرة من وجوه:

منها: أنه بين أنه لا يهلك أحداً إلا بعد إرسال الحجة، فلو كان الكفر مِنْ خَلْقِهِ له لكان ظلماً؛ حيث عاقبهم على شيء خلقه فيهم.

ومنها: أن عندهم جميع الظلم في الدنيا من خلقه وبإرادته، لا يستطيع أحد الامتناع عنه، فكيف يصح تنزيهه عن الظلم؟!.

وتدل على أن القرآن أنزل بالملائكة، وأن الشيطان لا تقدر عليه ولا على مثله.

قوله تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع: «**فتوكل**» بالفاء وكذلك في مصاحف المدينة، الباقون بالواو وكذلك في مصاحفهم. أما الفاء فهو بدل عن جواب الشرط كأنه قيل: فإن عصوك فتوكل، وأما الواو فهو عطف على قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾.

اللغة

عشيرة الرجل قرابته، سُمُّوا بذلك؛ لأنه يعاشرهم وهم يعاشرونه.

والبراءة: المباعدة عن النصرة عند الحاجة، وأصله المباعدة، [وجمع بريء] بُرَآءُ على وزن فُعَلاء وأبْرَاء على وزن أفعال، وبِراء بكسر الباء مثل: طريف وطِرافُ، وَبَرِيءٌ وبَرَاءٌ بمعنى يستوي فيه الواحد والجمع، تقول: أنا منك براء، ومنه: بَرَأْتَ من المرض كأنه بَعُدَ منه، وبرى القلم كأنه باعد ما بين القلم وما قطع منه، وأبرأت الرجل من الدين: باعدته منه.

والتوكل: تفويض الأمر إلى من يدبره.

والتقلب: أصله من قلب الشيء كببته وقلبته بيدي تقليباً وتقلبت أنا.

۞ الإعراب

«فتكون» نصب لأنه جواب النهي بالفاء وهو قوله: «فَلَا تَدْعُ» فتكون.

نصب «وَتَقَلُّبَكَ» على تقدير: يرى تقلبك.

۞ النزول

روى أبو هريرة قال: لما نزل قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله ﷺ قومه فقال: «يا معشر قريش، يا بني عبد مناف...»، وروى ابن عباس أنه قال: «يا صفية، يا فاطمة، اشتروا من الله أنفسكم فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، سلوني ومالي ما شئتم».

وعن البراء بن عازب: لما نزل قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾ جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العُسَّ، فأمر علياً فأتى بِرِجْلِ شاة، ثم قال: «ادنوا ببسم الله» فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا وشبعوا، ثم دعا بقعب من لبن فشرب منه، ثم قال: «اشربوا ببسم الله»، فشربوا حتى رووا، فبدرهم أبو لهب وقال: هذا ما سحركم به الرجل. فسكت يومئذ ولم يتكلم، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب، ثم أنذرهم ودعاهم إلى الإيمان، وقال: «من يؤازرني ويؤاخيني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي» فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً والقوم سكوت، وعَلِيٌّ يقول كل مرة: أنا، فقال في المرة الثالثة: «أنت»، فقاموا يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمره عليك.

وعن ابن عباس: لما نزلت هذه الآية صعد النبي ﷺ الصفا ونادى فاستمع إليه الناس، فقال: «يا بني فهر، لو أخبرتكم أن خيلاً طرقكم يريد أن تغيركم هل تصدقوني»؟ قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، قال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الأنبياء تسلية له وما نال الكفار من العذاب أمره بالإنذار وأنه ليس عليه إلا ذلك، فقال سبحانه: «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» الخطاب له والمراد غيره،

وإنما خاطبه ليعلم أن العظيم إذا أُوعِد فَمَنْ دونه أقرب، والثاني: أنه تحذير له ليعلم أن غيره أولى بالتحذير، والثالث: تأكيداً للخطاب بالمواجهة بالشرائع أن يتبعه بأوامره، فأفرده، ومعناه اعبد الله مخلصاً له ولا تدع غيره إلهاً تعبده «**فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ**» يعني إن فعلت ذلك عذبت «**وَأَنذِرْ**» خوف بعذاب الله، وقيل: خوفهم إذا بقوا على الشرك وادعهم إلى التوحيد «**عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**» قيل: خصهم بالذكر للتعريف أنه لا يغني عنهم من عذاب الله شيئاً إن عصوه؛ لأن العادة جرت بنصرة العشيرة، وقيل: ابدأ بهم في الإنذار ثم بمن يلونهم؛ لأن حسن الترتيب يقتضي ذلك، وقيل: أنذرهم بالإيضاح من غير تلبيس القول كما تدعو إليه معاونة العشيرة، وقيل: خصهم لأنه يمكنه جمعهم[1] وإنذارهم، وقيل: بدأ به ثم بعشيرته تنبيهاً أن من الناصح أن يبدأ بنفسه ثم بعشيرته؛ ليكون الناس إلى القبول منه أقرب «**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ**» قيل: أَلِنْ جانبك، عن ابن زيد وجماعة. «**لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» أي: لمن دان بدينك واتبعك في سنتك، وإنما خص المؤمن؛ لأن فيمن اتبعه منافقين «**فَإِنْ عَصَوْكَ**» فيما تدعوهم إليه، قيل: يعني العشيرة، وقيل: هو عام في الجميع «**فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**» من عبادة غير الله ومعاصيه «**وَتَوَكَّلْ**» أي: فوض أمرك «**عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**» قيل: العزيز القادر على كل شيء، وقيل: الذي يمنع من يلوذ به، الرحيم بعباده يكفيك كيد أعدائك «**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ**» قيل: في الصلاة، وقيل: أراد القيام بالليل؛ لأنه لا يطلع عليه أحد غيره، وقيل: حين تقوم للإنذار وأداء الرسالة «**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**» أي: ويرى تقلبك «**فِي السَّاجِدِينَ**» قيل: تصرفك مع المصلين في الصلاة، عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، وابن زيد. وقيل: أراد قيامه منفرداً وفي جماعة، وخصه تعظيماً له، وقيل: بل أراد قيامه وسجوده منفرداً على سبيل التواضع، وقيل: تقلبك إبْصَارُك منهم مَنْ هو خلفك كما تبصر من هو أمامك، عن مجاهد. وكان يرى من خلفه كما يرى أمامه، وقيل: تصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء تفعله من قبلك، والساجدون هم الأنبياء، عن سعيد بن جبير. وقيل: تصرفك في أصحابك، عن الحسن. وقيل: تقلبك من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة،

(١) لأنه يمكنه جمعهم: لأنه لا يمكنه خصهم، ن.

عن ابن عباس. «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» قيل: السميع بقراءتك في صلاتك، العليم بما في قلبك، وقيل: العليم بعملك، وقيل: السميع العليم بكل مسموع ومعلوم، فهو عام.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الإخلاص في العبادة.

وتدل أن الواجب على المرء أن يبدأ بنفسه وبعشيرته، ثم بالأبعدين في الدعاء إلى الدين.

وتدل على وجوب البراءة من العصاة وإن كان قريباً.

وتدل على وجوب تفويض الأمر إليه تعالى.

ويدل قوله: ﴿يَرَىٰكَ﴾ أنه يرى الأشياء، وقوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ على أنه يسمع؛ إذ لو كان السميع معناه العالم لكان تكراراً، وذلك يبطل قول البغدادية.

وتدل على أن العصيان فعلهم، وكذلك التقلب والسجود والقيام، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

القراءة

قرأ نافع: «والشعراء يتْبَعهم» ساكنة التاء مفتوحة الباء، وقرأ الباقون مشددة التاء مكسورة الباء، فمعنى أتْبَعه: لحقه، ومعنى اتّبعه بالتشديد أي اقتدى به.

۞ اللغة

الأفاك: الكذاب، وأصل الباب: القلب، ومنه: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ [الحاقة: ٩]، والأفاك: كثير القلب للخبر عن جهة الصدق إلى جهة الكذب.

والأثيم: فاعل القبيح، أَثِمَ يَأْثَمُ إثماً إذا ارتكب قبيحاً، وتَأَثَّمَ: ترك القبيح.

والهائم: الذاهب على وجهه، عن الكسائي. وقيل: الهائم: المخالف للقصد، عن أبي عبيدة. هام على وجهه إذا ذهب لا على طريق مستقيم.

والانقلاب: الانصراف، يقال: انقلب ينقلب انقلاباً ومتقلباً، نحو انطلق ينطلق انطلاقاً.

۞ الإعراب

«**أَيَّ مُنقَلَبٍ**» نصب على المصدر، أي: سيعلم أنه ينقلب منقلباً غير محمود.

۞ النزول

قيل: تهاجر رجلان أحدهما من الأنصار والآخر من غيرهم من العرب، ومع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر القرآن وأنه نزله وليس بسحر وشعر وكهانة، أكد ذلك ببيان من تنزل عليه الشيطان، وبصفة الشعراء ليعلم أنه مخالف للكل، فقال سبحانه: «**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ**» أخبركم «**عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ**». ثم بين تعالى: «**تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**» فاعل للإثم، قيل: هم الكهنة، قيل: طليحة ومسيلمة، عن مقاتل. يوسوس إليهم الشيطان بالباطل فيضلون «**يُلْقُونَ السَّمْعَ**» أي: يستمعون من الملائكة مسترقين فيلقون إلى الكهنة، عن الحسن، ومجاهد. وقيل: يصغون إلى ما يلقيه الشيطان من الكفر والضلالة، عن أبي علي.

ومتى قيل: أليس منعوا من استراق السمع فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾؟

قلنا: منعوا من القرآن، فيجوز أن يستمعوا إلى كلام آخر، وقيل: تقديره: كانوا يلقون السمع قبل أن منعوا منه.

«**وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**» قيل: الشياطين يخلطون الكذب بما يسمعون ويلقون إلى الكهنة، وقيل: الكهنة كاذبون «**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**» قيل: تتبعهم الشياطين، عن ابن عباس. وقيل: غواة قومه، وقيل: الرواة، وقيل: كفار الإنس والجن، واختلفوا في هؤلاء الشعراء، قيل: هم شعراء الكفار: كعبد الله بن الزبعري، وأبي عزة، وأمية بن الصلت، كانوا يهجون رسول الله ﷺ والمسلمين فيتبعهم الغواة، وقيل: من غلبت عليه الأشعار حتى يشتغل بها عن القرآن والسنة، وهو الوجه، ولذلك قال: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، فأما الأولون كفار «**أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ**» قيل: أراد أودية حقيقة الوادي، وقيل: أراد وادياً من أودية الكلام، وقيل: أراد به المذاهب المختلفة فهو مثل قوله ﷺ لعائشة: «أنتِ في وادٍ وأنا في وادٍ»، «**يَهِيمُونَ**» أي: يذهبون، قيل: في كل لغو يخوضون، عن مجاهد. يعني حسناً وقبيحاً «**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ**» من الغزل والمدح والذم «**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» وهم شعراء المؤمنين كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك «**وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا**» لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله «**وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**» أي: ردوا على المشركين فيما هجوا به، وانتصروا لأنفسهم وللمسلمين بما جاءوا به، وقيل: انتصروا للرسول، وروي أن النبي ﷺ قال لحسان: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس»، رواه أبو هريرة. «**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا**» قيل: أشركوا، وقيل: ظلموا أنفسهم والناس «**أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**» هذا مبالغة في وعيد الظلمة، أي: سوف يعلمون أي مرجع يرجعون بعد مماتهم، وعن شريح: الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر.

الأحكام

تدل الآيات أن الشياطين لا يقبل منهم الأنبياء وإنما يقبل منهم الضلال.

وتدل على ذم الشعراء، والمراد من غلب عليه الشعر في كل نوع دون مَنْ قال

حقاً؛ لأن الشعر كلام منظوم فهو كالمنثور حَسَنُهُ حَسَنٌ وقبيحه قبح، وكان رسول الله ﷺ يسمع، ويُنْشَدُ بين يديه، وكان يستنشد، ومدحه كعب، وحسان، وأمر حسان أن يجيب عنه، وتدل على صحة ما قلنا الاستثناء، ولأن كثيراً من الصحابة روي عنه الشعر.

وتدل أن الشعر لا يمنع كون قائله مؤمناً إذا كان محسناً.

وتدل على أن مَنْ هجاه غيره يحسن منه أن ينتصر منه بشعر يذكر مخازي من هجاه، وفساد طريقته بشرط ألا يكذب ولا يعيبه بما ليس هو فعل له.

وتدل على وعيد الظلمة وزجر عن الظلم.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم من وجوه أضافها إليهم وألحق بهم المدح والذم.

الفهرس

